الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي

تأليف

الشيخ محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي
المتوفى ١٣٣٣ هـ

اعتنى به وضبط نصه

الشيخ محيي الدين أسامة البيرقدار

الجزء الأول

من أول سورة الفاتحة إلى الآية ١٧٢ من سورة البقرة



الكتاب : الإكليل
على مدارك التنزيل وحقائق التأويل

Title : Al-Iklil ʿala madārik al-Tanzil wa ḥaqāʾiq al-Taʾwil

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of The Holy Qur'an

المؤلف : محمد عبد الحق الحنفي (ت ١٣٣٣هـ)

Author : Muhammed Abd Al-Haq Al-Hanafi (D.1333 H.)

المحقق : محيي الدين أسامة البيرقدار

Editor : Muhiyiddin Ossama Al-Bayrqdar

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages : (7 volumes) 4608 (7أجزاء) :عدد الصفحات

Size : 17*24 cm :قياس الصفحات

Year : 2012 A.D. -1433 H. :سنة الطباعة

Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنان

Edition : 1st (2 colors) الطبعة : الأولى (لونان)

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN 978-2-7451-5727-0



مقدمة الطبعة

بحمد الله نبدأ متوكِّلين عليه بما وَهبنا من نِعَمٍ سابغات أسدل ستارها علينا في مسيرة أيامنا ووهبنا من العلم ما لم نعلم.

فقد أولى سبحانه وتعالى صفوةً من عباده بنِعمة الفتوح العلمي، وأنارَ لهم أبواب الطريق لتُفتَح على أيديهم لطالِبي العلم المُستَجدّين لفهم آيات الله سبحانه وكتابه الكريم. فقام هؤلاء بعون الله وتوفيقه ومَنِّهِ بتفسير كتابه المُنَزَّل على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ومن ثَمَّ لِعباده الصالحين فمنهم مَن أوجَزَ ومنهم مَن استفاض وأوضح فكانت كتبهم نبراسًا يهدي به الله مَن أراد له أن يستفيد من هذه العلوم الربانية والنفحات الروحانية التي تضمنتها آيات كتاب الله العزيز المحفوظ تحت العرش كنزًا من الكنوز الإلـهية، بالإضافة إلى العلوم الدينية الشرعية المفروضة على المؤمنين والمسلمين من عبادات شاملة لكل ما يحتاجه عباد الله في الأيام التي يحيونها على أرض الله المبسوطة لعباده من أول لحظة يرى فيها هذا العبد نور الحياة إلى آخر يوم يغمض فيه عينيه متجهًا إلى عالم آخر قد كتبه الله له سبحانه وتعالى.

وأيضًا العلوم التي تخصّ الحياة الدنيوية التي يعيشها العبد المسلم في كامل مُستَلزمات هذه الحياة وما يحتاج إليه من صِغَرِهِ حتى وفاته من معاملات ونكاح وطلاق وجهاد وعلاقات تخصّ الفرد والجماعة والدولة. . . . إلى آخر مُتَطلبات هذا الإنسان في طيّ أيام عمره ذَكَرًا كان أو أُنثى، صغيرًا كان أو كبيرًا. ومن كمال هذا الكتاب المُنَزَّه عن كل نقصٍ وتقصير فقد حوى على كثير من الغيبيات والقصص القديمة والعِبَر لهذا العبد الذي كرَّمه الله واجتباه على كثير ممّن خلق فتعالى الله أحسن الخالقين.

ومن خِيرة خلق الله الذين أنعمَ الله عليهم بشرح كتابه العزيز من عباده الصالحين: شيخ الإسلام والمسلمين وارِث علوم الأنبياء والمُرسَلين مولانا أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي (المتوفى سنة ٧١٠ هـ = ١٣١٠م) رحمه الله تعالى وأسكَنه فسيح جنانه في الفردوس الأعلى مع نبيِّه الكريم ﷺ وجمعنا الله معهم في الدار الآخرة التي إليها المآل والمنتهى، ونفعنا بما قدّمه بين أيدينا من شرح لهذا المرجع القيِّم في تفسير كتاب الله العزيز والمسمى بـ «**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**». وقد أولاه الإمام العلّامة الشيخ محمد عبد الحق بن شاه محمد بن يار محمد الإله آبادي الهندي، الحنفي (١٢٥٢-١٣٣٣ هـ = ١٨٣٦-١٩١٥م) جزاه الله عن عباده الصالحين خير الجزاء - بشرح وتفصيل مُسهب لجميع ما ورد فيه من آيات وعبارات وأحاديث ومواضيع تحت عنوان «الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التاويل» وهو كتابنا هذا. وقد جاءت هذه التفاسير بلسمًا للجروح ومَقصدًا لكل مَن أراد أن يَنهلَ من ينابيع علوم كتاب الله تعالى ولآلىء كنوزه المسطورة بين دَفَّتي المصحف الشريف.

مخطط الكتاب:

- الجزء الأول	من سورة الفاتحة	إلى آية ١٧٣ من سورة البقرة
- الجزء الثاني	تتمة سورة البقرة	إلى نهاية سورة النساء
- الجزء الثالث	من سورة المائدة	إلى نهاية سورة الأنفال
- الجزء الرابع	من سورة التوبة	إلى نهاية سورة الإسراء
- الجزء الخامس	من سورة الكهف	إلى نهاية سورة الروم
- الجزء السادس	من سورة لقمان	إلى نهاية سورة الحجرات
- الجزء السابع	من سورة ق	إلى نهاية سورة الناس

- بعون الله قمنا بتقسيم الشرح إلى فقرات مع وضع علامات الترقيم والتشكيل والنقاط الغير موجودة في الأصل.

- الآيات الكريمة مع نص الإمام النسفي رحمه الله وهو متن الكتاب المميز باللون الأحمر.

ـ ثم التعقيب عليه وشرحه بالخط العادي للإمام (محمد عبد الحق) قدّس الله سرّه.

ـ تمييز أقوال الرسول ﷺ بين هلالين صغيرين بالخط الأسود.

ـ أقوال العلماء والفقهاء المنقولة والمفسّرة بين قوسين كبيرين بالخط العادي.

ـ ترويسة الصفحات المتتابعة ذُكِر فيها اسم السورة مع رقم الآية المفسّرة.

ـ عند الكلام عن الآية المفسّرة في السّياق لا يتم تخريجها إلا في بداية شرحها مرة واحدة.

ـ قمنا بتخريج جميع الآيات التي يُستَشهَد بها أثناء الشرح.

ـ هناك هامش شرحت به بعض الكلمات لغة وبيانًا إضافة إلى بعض التوضيحات والتعليمات الهامة من إعراب وغيره.

ـ فيما يلي جدول يبيّن بعض الرموز والمصطلحات الواردة في الكتاب والمعتمدة خشية الإطالة وهي كذا في الأصل:

راويان	وَرْش ج	قُنْبُل ز	سُوْسِي ي	ابن ذَكَوان م	حفص ع	أبو عيسى خَلَّاد ق	دوري ت
	قالُون ب	بزي هـ	دُوري ط	هشام ل	أبو بكر ص	خَلَف بزار ض	أبو الحارث س
قارئان	نافع مدني ا	ابن كثير مكي د	أبو عمرو بصري ح	ابن عامر شامي ك	عاصم كوفي ن	حمزة كوفي ف	كسائي كوفي ر

المصطلحات:

ـ حب: ابن حبان ـ ظ : الظاهر ـ فظ : فظاهر

ـ ج: جمع ـ رح: رحمه الله

ـ عد ابن عدي ـ خ : البخاري ـ ثنا : حدَّثنا

ـ نا: أخبرنا ـ ا. هـ. : انتهى ـ طب : الطبراني

ـ ب. د. ع: الثلاثة : أبو عمر بن عبد البر ب

ابن منده د

أبو نعيم ع

ـ إذا أطلقت عبارة (كذا في الكتاب): يقصد بها كتاب سيبويه.

خاتمة ودعاء:

وزيادة في نفع هذا الكتاب القيِّم فقد ذُكِر فيه آيات عديدة وأذكار مما هي كنز من كنوز الله تعالى المُودعة تحت عرش الرحمٰن فداوِمْ عليها أيها العبد المؤمن تكُن لك ملاذًا يوم لقاء الله، ورَوْحًا وريحانًا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، فهي ودائع ثمينة تَسْتَردُّها مُضاعفة عند ذي العرش سبحانه.

وأخيرًا جزى الله عنّا نبيّنا محمدًا ﷺ كل خيرٍ، وجزى إمامنا ومولانا الشيخ النسفي رحمه الله، والشيخ محمد عبد الحق قدّس الله سرّه، وجزانا جميعًا عالِمِين وعامِلِين وطالِبي علمٍ بكل خير وفضل ورحمة منه سبحانه.

والله وليُّ التوفيق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الإمام النسفي

الحمد لله **(المنزّه بذاته عن إشارة الأوهام، المقدَّس بصفاته)** عن إدراك العقول **(والأفهام)**، المتّصف بالألوهية قبل كل موجود، الباقي بالنعوت **(السرمدية)** بعد **(كلّ محدود)**، **(الملك)** الذي **(طمست سبحات**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله الذي لا تُستَفتَح الكتب إلا بحمده، ولا تُستَمنَح النِّعَم إلا بواسطة كرمه ورفده، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيِّبين وأصحابه الطاهرين وجنده.

أما بعد. . . فهذه تقييدات لطيفة على مدارك التنزيل، وحقائق التأويل، أسأل الله تعالى أن يمنّ بتمامها، وحُسْن اختتامها، وسمَّيتها **بالإكليل على مدارك التنزيل** وعلى الله أعتمد في كل حال، وأسأله الرِّضى والستر في الحال والمال. **قوله:** (المُنزّه بذاته): الباء مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: الآية ٨١ وغيرها] **(عن إشارة الأوهام)** قيّد بالوهم لأن العقل أشار إليه حيث يحكم بوحدانيته وغير ذلك، والوهم لا يُدرَك أصلًا لأن الوهم لا يُدرك إلا المحسوسات. **قوله:** **(المقدس بصفاته)**: الباء مزيدة للتأكيد. **قوله:** **(والأفهام)**: أي العلوم. **قوله:** (السرمدية)، السَّرْمَدْ: الدائم. **قوله:** (كلّ محدود): بوقت معين. **قوله:** (الملك): أي ذي المُلْك التام، والمراد به القدرة على الإيجاد والاختراع من قولهم: فلان يملك الانتفاع بكذا إذا تمكن منه فيكون من أسماء الصفات كالقادر. وقيل: المتصرّف في الأشياء بالإيجاد والإفناء والإماتة والإحياء فيكون من أسماء الأفعال كالخالق. **قوله:** **(طمَسَت)**: من باب ضرب، أي محت. **قوله:** **(سُبحات**

جلاله) الأبصار، **(المتكبّر)** الذي **(أزاحت سطوات كبريائه)** الأفكار، القديم **(الذي تعالى عن مماثلة الحدثان، العظيم الذي تنزّه عن مماسّة المكان، المتعالي)** عن **(مضاهاة)** الأجسام، ومشابهة الأنام، **(القادر)** الذي لا يشار إليه بالتكييف، **(القاهر)** الذي لا يسأل عن التحميل والتكليف، **(العليم)** الذي (﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمٰن: الآية ٣] و﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: الآية ٤]**الحكيم الذي نزّل القرآن)**

جلاله) بضم السين والباء: أي أنوار جلاله. **قوله**: **(المتكبِّر)**: أي المنفرد بالعظمة والكبرياء، أو البليغ فيهما بالنسبة إلى كل شيء من كل وجه. **قوله**: **(أزاحت)**: أي أزالت. **قوله**: **(سطوات كبريائه)**، السطوة: القهر بالبطش، يقال: سَطَا به، والسَّطْوَة: المرة الواحدة، والجمع السَّطَوات، كذا في الصحاح. والكبرياء يرجع إلى كمال الذات، والجلال إلى كمال الصفات، والعظمة إلى كمال الذات والصفات. **قوله**: **(الذي تعالى عن مماثلة الحدثان)**: في الصحاح الحدوث كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فحدَث أمر أي وقع، والحَدَث والحُدْثَى والحادثة والحدثان كله بمعنى، انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب حَدَثان مُحَرَّكة جيزى نوكه نبود انتهى، وفيه نفي لمذهب الاعتزال. **قوله**: **(العظيم)**: أي كبير القدر على الرتبة البالغ إلى أقصى مراتب العظمة هو الذي لا يتصوّره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة. **قوله**: **(الذي تنزّه عن مماسّة المكان)**: فيه نفي لمذهب الكرامية. **قوله**: **(المتعالي)**: بمعنى العليّ بنوع من المبالغة. وقيل: البالغ في العلى والمرتفع عن التناقض. **قوله**: **(مضاهاة)**: أي مُشاكَلَة يُهْمَزْ ولا يُهْمَزْ. **قوله**: **(القادر)**: أي ذي القدرة. **قوله**: **(القاهر)**: أي القادر الذي لا يُعجزه شيء. **قوله**: **(العليم)**: أي العالِم البالغ في العلم المحيط علمه السابق بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليّها كليّاتها وجزئيّاتها. **قوله**: (﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمٰن: الآية ٣]): المراد به جنس الإنسان الشامل لجميع أصنافه وأفراده. **قوله**: (و﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمٰن: الآية ٤])[1] هو التعبير عمّا في الضمير. **قوله**: **(الحكيم)**: أي ذي الحكمة، وهي العلم بالأشياء على ما هي عليه والإتيان بالأفعال على ما ينبغي. **قوله**: (الذي نزّل القرآن): الذي هو أعظم كتب الرحمٰن، العظيم

---

(١) قوله البيان هو اسم مصدر جعل اسمًا ما لم يظهر به الشيء كما أن اللفظ مصدر جعل اسمًا لما يظهر به المعنى. ١٢ منه.

شفاء للأرواح والأبدان. (**والصلاة والسلام على المستلّ من أرومة البلاغة والبراعة، المحتل**) في (**بحبوحة النصاحة والفصاحة**)، محمد المبعوث إلى (**خليقته**)، الداعي (**إلى الحق**) وطريقته، ﷺ وعلى آله (**وشيعته**). (**قال مولانا الشيخ**) الإمام المعظّم،

الشأن، باهر البيان، الشافع المشفّع عند المنّان. **قوله**: (**والصلاة والسلام**): أي صلوات الله والملائكة والناس وتحياتهم أجمعين. **قوله**: (**على المستلّ**): الاستلال بيرون آوردن چيزي زچيزي، أي المخرج. **قوله**: (**من أرومة**): بفتح الهمزة وتضم، أصل. **قوله**: (**البلاغة**): هي أن يبلغ الرجل بلسانه كنه ما في جنانه مع الاحتراز من الإيجاز المُخِلّ والإطالة المُمِلّ، وأما الفصاحة فهي خلوص الكلام[١] من التعقيد.

قوله: (**والبراعة**): بَرَعَ الرجل وبرُع بالضم براعة، أي فاق أصحابه في العلم وغيره. **قوله**: (**المحتل**): احتل نزل، في منتهى الأرب: احتَلَّ المكان وبه فرود آمد درجاي، أي الثابت. **قوله**: (**بحبوحة**): بالباء الموحدة من تحت وبعده حاء مهملة وبعده باء أيضًا وبعده واو وحاء، كذلك على وزن فُعْلُولة الشيء الوسط لا إفراط ولا تفريط. **قوله**: (**النَّصاحة**): نصيحت كردن. **قوله**: (**والفصاحة**): فصُح الأعجمي فصاحة فهو فصيح إذا خلصت، لغة من اللكنة. **قوله**: (**خليقته**): أي خلائقه. **قوله**: (**إلى الحق**): الحق الثابت الصدق. **قوله**: (**وشيعته**): الشيعة الأتباع والأنصار. **قوله**: (**قال مولانا**): أي مَن له علينا حق وِلاء نعمة العلم والإرشاد أو حق ولاء نعمة المصنفات التي ألّفها لنا، وهذا من هنا إلى قوله: قد سألني ملحقة من التلامذة إظهارًا لجلالة شأنه وعلو مكانه.

قوله: (**الشيخ**): هو مَن استبانت فيه السن[٢] من أربعين أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين هذا على حقيقته، وقد يطلق الشيخ على مَن لم يبلغ هذا السنّ للتبجيل، ومنه يقال: شَيَّخْتُ الرجل على ما في الصحاح، أي وَصَفْته بالشيخ وإن لم يكن موصوفًا به للتعظيم باعتبار كونه موصوفًا

---

(١) قيل: الكلام المنطق الفصيح. ١٢ منه.
(٢) السِّن بالكسر، مقدار العمر، في الناس وغيرهم، ١٢ منه عُفِي عنه.

(والحَبْر الهمام) المقدم **(أُستاذ)** أهل الأرض، محيي السنّة والفرض، كشّاف حقائق أسرار التنزيل، مفتاح أسرار حقائق التأويل، **(ترجمان)** كلام الرحمٰن، **(صاحب علميّ المعاني والبيان)**، الجامع بين الأصول والفروع، المرجوع إليه في المعقول والمسموع، **(حافظ الملّة والدين)**، شيخ الإسلام والمسلمين، **(وارث علوم الأنبياء)** والمرسلين، أكمل **(فحول)** المجتهدين، قدوة **(قروم)** المحققين، ذو السعادات والكرامات، **(أبو البركات)** عبد الله بن أحمد بن محمود **(النسفي)** نفع

بأوصاف الشيوخ. **قوله**: **(والحَبْر)**: بالفتح والكسر، والكسر أفصح، أي العالِم الذي يزين الكلام بتقريره وتحريره، ومنه سُمّي علماء التوراة المحقّقون أحبارًا. **قوله**: **(الهُمام)**: أي الكبير. **قوله**: **(أستاذ)**: بذال معجمة مُعَرَّب استاد وجمع أساتذة وأستاذ بالضم مخفف اسْتَاوَدُچه استادرلغت فرس بمعنى كتابست ووَدُ بفتح واو ودال مهملة بمعنى دانا وتركيب مقلوبست ازعالم كلاب. **قوله**: **(تَرْجُمَان)**: تَرْجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر، أي مفسّر. **قوله**: **(صاحب علميّ المعاني والبيان)**: ما يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد علم المعاني وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان. **قوله**: **(حافظ الملّة والدِّين)**: الدين والشريعة والملّة والناموس متّحدة بالذات ومتغائرة بالاعتبار إذ الطريقة المخصوصة الثابتة بالنبي ﷺ يسمى من حيث الانقياد له دينًا، ويسمى من حيث يردها الواردون المتعطشون إلى زلال نيل الكمال شرعًا وشريعة ومن حيث يُملى ويكتب ويجتمع عليها الناس للقبول ملة من الإملاء أو من أمل بمعنى اجتمع، ومن حيث يأتي بها ملك اسمه ناموس ناموسًا. **قوله**: **(وارث علوم الأنبياء)**... الخ لوحظ فيه قوله عليه السلام: العلماء ورثة الأنبياء. **قوله**: **(فحول)** بالضم: جمع فحل، بمعنى نيك دانا. **قوله**: قدوة مُثَلَّثة: ما تَسَنَّنْتُ به واقتديت به، يقال: فلانٌ قُدْوَةٌ يُقْتَدى به. **قوله**: **(قروم)**[1] بالضم: جمع قرم بمعنى مهتر قوم. **قوله**: **(أبو البركات)**: كنيته واسمه عبد الله بن أحمد بن محمود صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول منها كتاب الوافي وشرحه الكافي والمصفّى في شرح المنظومة والمستصفى في شرح النافع والمنار تفقه على شمس الأئمة الكردري وسمع منه الصغناقي دخل بغداد سنة عشر وسبعمائة ووفاته في العشر المذكور. **قوله**: **(النسفي)** نسبة إلى مدينة نسف

---

(١) القرم: السيد، ١٢ منه.

الله الإسلام بطول بقائه، والمسلمين **(بيمن لقائه)**، قد سألني من تتعين إجابته **(كتابًا وسطًا)** في التأويلات، جامعًا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمنًا لدقائق **(علمي البديع والإشارات)**، حاليًا بأقاويل أهل السنّة والجماعة، خاليًا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل **(الممل)**، ولا بالقصير المخلّ، **(وكنت أقدم فيه رجلًا وأؤخر أخرى استقصارًا لقوة البشر)**، عن درك هذا **(الوطر)**، **(وأخذًا)** لسبيل الحذر، عن ركوب متن **(الخطر)**، حتى شرعت فيه بتوفيق الله **(والعوائق كثيرة)**، وأتممته

وهو من بلاد الصغد من بلاد ما وراء النهر. قيل: هو بكسر السين، وفي النسبة تفتح كما يقال في النسبة إلى صدف صدفي بالفتح. **قوله: (بيمن لقائه)** يمن بالضم: بركة. **قوله: (كتابًا وَسَطًا)**: محركة، وفي نسخة وسيطًا، أي شريفًا. **قوله: (علمي البديع)**... الخ. علم البديع هو ما يُعرَف به وجوه التحسين، أي الطرق والأمور التي يحصل بها تحسين الكلام وكثير من الناس يسمي الجميع يعني المعاني والبيان والبديع علم البيان لأن البيان هو المنطق الفصيح المُعرِب عما في الضمير ولا شك أن العلوم الثلاثة لها تعلّق بالكلام الفصيح المذكور تصحيحًا وتحسينًا، وبعضهم يسمي الأول علم المعاني والأخيرين يعني البيان والبديع علم البيان لتعلقهما بالبيان أي المنطق الفصيح أو لتغليب الفن الثاني على الثالث وبعضهم يسمي الثلاثة علم البديع لبداعة مباحثها أي حسنها لأن البديع هو الشيء المستحسن لظرافته وغرابته وعدم وجود مثاله من جنسه ومباحث هذه العلوم كذلك أو لأنه يعرف بها أمور مبتدعة بالنسبة إلى تأدية أصل المراد الذي يعرفه الخاص والعام وتلك الأمور كالخصوصيات والمجاز والكناية والجناس والترصيع وغير ذلك. **قوله: (والإشارات)**: جمع إشارة وهي الإيماء، والمراد هنا ما دلَّ عليه القرآن المجيد بغير صريح العبارة من العلوم والمعارف والأسرار والأخبار والكوائن وغير ذلك. **وفي محيط المحيط علم الإشارة علم السلوك. انتهى. قوله: (المملّ)**: الإملال بستوه آوردن. **قوله: (وكنت أُقدِّم فيه رِجلًا وأُؤخر أخرى)** هذا كناية عن التردّد والتحيّر كما يفعل مَن يتردَّد ويتحيَّر في الطريق. **قوله: (استقصارًا لقوة البشر)**... الخ الاستقصار مقصر شمردن وبكوتاهي نسبت كردن. **قوله: (أخذًا)** العطف على استقصارًا. **قوله: (الوَطَر)**: أي الحاجة. **قوله: (الخطر)**: هو الإشراف على الهلاك. **قوله: (والعوائق كثيرة)**: أي الموانع والشواغل، إما

في مدة (يسيرة وسميته «بمدارك التنزيل، وحقائق التأويل») و(هو الميسر لكل عسير)، وهو على ما يشاء قدير (وبالإجابة جدير).

من جهة اشتغاله بتصنيف آخر وإلقاء الدروس، وإما من جهة الفترات التي لا يخلو عنها البلاد والفتن التي تزيل الأمن والقرار عن العباد. **قوله**: (يسيرة): أي قليلة. **قوله**: (وسمَّيته): أي الكتاب المذكور (بمدارك التنزيل)، أي آلة، أي موضع لإدراك معاني القرآن المنزَّل، فصيغة المدارك إما آلة أو ظرف، (وحقائق التأويل): أي آلة أو موضع لإدراك حقائق القرآن المؤوَّل، وهذا المعنى على تقدير أن يكون قوله حقائق التأويل معطوفًا على التنزيل، ويحتمل أن يكون عطفًا على قوله مدارك التنزيل وهو ظاهر. **قوله**: (هو الميسّر): أي المسهّل ويتوقف إطلاقه عليه سبحانه وتعالى على التوقيف وإن صحّ معناه على ما هو المشهور. **قوله**: (لكل عسير): أي لكل أمر صعب أو مشكل أو شديد أو مخوف يشمل كل نوع من أنواع العسر وأعظم أنواع العسر يوم الموت ويوم القبر وأشدّها يوم الحشر، ولذلك قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ [المدّثر: الآية ٩]. **قوله**: (وبالإجابة جدير). قال في القاموس: الجدير: مكان بُنِي حواليه، والخليق والجمع جَدِيرون وجُدَراء.اهـ. والمراد هنا المعنى الثاني.



سورة (فاتحة الكتاب)

سورة الفاتحة

قوله: (**سورة فاتحة الكتاب**): السورة طائفة من القرآن مترجمة أقلها ثلاث آيات، والآية طائفة من القرآن أقلها ستة أحرف صورة نحو الرحمٰن فإنه آية أن جعل خبر مبتدأ محذوف ومعنى المترجمة هو المسماة باسم، فإن بعض القرآن قد لا يسمى باسم مخصوص إلا أنه يتناول الطائفة التي تسمى باسم مخصوص كالحزب والعشر والآية فاحترز عنها بقوله أقلها ثلاث آيات والسورة في الأصل اسم لكل منزلة من منازل البناء وطبقاتها وسمّيت الطائفة المذكورة سورة لكونها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى وأقصر السور سورة الكوثر لأنها أقل حروفًا من السور التي هي ثلاث آيات. والفاتحة في الأصل صفة، ثم نُقلَت من الوصفية وجُعِلَت اسمًا لأول الشيء لأن فتح الشيء والدخول فيه إنما يكون بملابسة الجزء الأول منه فكان أول الشيء كالفاتح له بهذا الاعتبار فسُمّيت السورة الأولى من الكتاب الكريم فاتحة الكتاب لذلك، والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية لا لتأنيث الموصوف المقدّر كالقطعة مثلًا إذ لا حاجة إلى تقديره وإضافة السورة إلى فاتحة الكتاب من قبيل إضافة فاتحة الكتاب لأميّة، كما في قولك جزء الشيء ويد زيد لا بمعنى من لأن المضاف إليه ليس كليًا صادقًا على المضاف كما في خاتم فضة، وما أُضيف إليه الفاتحة هٰهنا وهو الكتاب ليس كليًا صادقًا على الفاتحة بل هو كل مركب من الفاتحة وسائر السور لأن كون الفاتحة أول الكتاب إنما هو بالقياس إلى الكل لا إلى الكلي فوجد مصداق كون الإضافة لأمية وهو عدم كون المضاف إليه ظرفًا للمضاف ولا صادقًا محمولًا عليه كما في قولك يد زيد.

مكيّة وقيل: مدنية، والأصح أنها مكيّة ومدنية، نزلت بمكة حين فرضت الصلاة (ثم نزلت) بالمدينة (حين حوّلت القبلة) إلى الكعبة. (وتُسمى أم القرآن) للحديث قَال ﷺ «لا صلاة لمَن لم يقرأ بأُم القرآن» (أو لاشتمالها على المعاني التي في القرآن)، وسورة الوافية والكافية (لذلك)، وسورة الكنز لقوله ﷺ حاكيًا عن الله تعالى: «فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي»، وسورة الشفاء والشافية لقوله ﷺ «فاتحة الكتاب شفاء (من كل) داء إلا السام»، وسورة المثاني (لأنها تُثنى)

قوله: (ثم نزلت)... الخ سبب ذلك التنبيه على شرفها وفضلها. **قوله:** (حين حُوِّلت القبلة) على المجهول إلى الكعبة وقد صلّى النبي ﷺ في المدينة إلى بيت المقدس سبعة أو ستة عشر شهرًا تأليفًا لليهود ثم حُوِّل إلى الكعبة. **قوله:** (وتسمى أم القرآن): عطف على ما يُفهَم مما سبق بحسب اقتضاء المعنى فإنه يُفهَم من قوله سورة فاتحة الكتاب أنها تسمى بهذا الاسم.

قوله: (أو لاشتمالها على المعاني التي في القرآن) من الثناء على الله تعالى بما هو أهله ومن التعبّد بالأمر والنهي، ومن الوعد والوعيد، والمراد من الثناء عليه بما هو أجلّ الصفات الكمالية له قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتِحَة: الآيات ٢ ـ ٤]، والتعبّد الاستعباد، وهو تصيير الشخص كالعبد بتكليفه بالأمر والنهي، يقال: عبدني فلان تعبيدًا واعتبدني اعتبادًا وأعبدني إعبادًا وتعبَّدني تعبّدًا، والكل بمعنى استعبدني. ومعنى التعبّد مفهوم من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتِحَة: الآية ٥] لأن عبادة المكلفين من لوازم تعبّده تعالى إياهم بأمره ونهيه. وأما بيان وعده لأهل الطاعة ووعيده للعصاة فهو مفهوم من قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتِحَة: الآية ٧]، أو من قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتِحَة: الآية ٤] أي الجزاء المتناول للثواب والعقاب. **قوله:** (لذلك): أي لاشتمالها على ما ذكر.

قوله: (من كل) داء جسماني وروحاني إلا السَّام أي الموت. **قوله:** (لأنها تُثَنَّى) في كل صلاة، ويُقرَأ بها في كل ركعة. وقيل: لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة وادّخرها لهم لم يُنزلها على غيرهم. وقيل: لأنها أُنزلت مرتين.

في كل صلاة، وسورة الصلاة **(لما يروى ولأنها تكون واجبة أو فريضة، وسورة الحمد والأساس)** فإنها أساس القرآن. قال ابن عباس ﷺ: إذا اعتللت أو اشتكيت **(فعليك)** بالأساس. **(وآيها سبع بالاتفاق)**.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾

قوله: **(لِما يُرْوَى)**: أراد قوله: قسمت الصلاة. **قوله**: **(ولأنها تكون واجبة)** كما عند الحنفيّة، **(أو فريضة)** كما عند الشافعية. **قوله**: **(وسورة الحمد)** لافتتاحها بالحمد لله. **قوله**: **(والأساس)**... الخ لأنها لمّا كانت كلها أصل القرآن كان ما عداها من القرآن، كأنه مبني عليها فكانت هي أساسًا لما عداها. **قوله**: **(فعليك)**: أي فَاستَمْسِك بالأَسَاس، أي الفاتحة لأنها شفاء من كل داء.

قوله: **(وآيها سبع بالاتفاق)**، ذكر في التيسير أن هذه السورة ثمان آيات في قول الحسن البصريّ، وستُّ آيات في قول حسين الجعفي، وسبع آيات في قول الجمهور من أهل العلم. فالحسن رحمه الله عدَّ التسمية و﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آيتين وتركهما الجعفي، والباقون اتفقوا على أنها سبع آيات لكن أصحابنا عدّوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آية، وقالوا: ليست[١] التسمية من الفاتحة، والإمام الشافعي رحمه الله تعالى جعلها من الفاتحة ولم يجعل ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آية إلى هٰهنا كلامه. فلا بدّ أن يكون مراد المصنِّف رحمه الله بالاتفاق على كونها سبع آيات اتفاق الجمهور، فإن مخالفة واحد أو اثنين للجمهور يسمَّى خلافًا لا اختلافًا فلا يخرج الحُكم به عن كونه متفقًا عليه.

---

(١) في البخاري باب غير المغضوب عليهم ولا الضالين... الخ. قال شارحه القسطلاني: وإنما جعل لها ترجمة لأنها آية مستقلة عند من قال: إن البسملة ليست من الفاتحة، وبعضهم جعل البسملة منها، وجعل غير المغضوب عليهم... الخ. ثامنة، وبعضهم جعلها ستّ آيات والبسملة ليست منها، انتهى. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية (**ليست بآية من الفاتحة**) ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت (**للفصل**) والتبرّك للابتداء بها، وهو مذهب (**أبي حنيفة**) ومَن تابعه رحمهم الله، ولذا لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقرّاء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه (**الشافعي**) وأصحابه رحمهم الله، ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه. وعن (**ابن عباس**) ﷺ: (**مَن تركها فقد ترك**) مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله. ولنا حديث أبي هريرة قال: سمعت النبيّ عليه السلام يقول: «قال الله تعالى: (**قسمت الصلاة ـ أي الفاتحة ـ بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ **قال الله تعالى: أثنى عَلَيَّ عبدي**.

قوله: (**ليست بآية من الفاتحة**): ولكنها آية في الصحيح ولهذا يحرم على الجنب قراءة التسمية على قصد قراءة القرآن. **قوله**: (**للفصل**) بين السور. **قوله**: (**أبي حنيفة**) النعمان بن ثابت أعلم أهل زمانه، وُلِد سنة ثمانين، ومات سنة خمسين ومائة رضي الله عنه. **قوله**: (**الشافعي**) محمد بن إدريس الإمام الأعلم، وُلِد سنة خمسين ومائة، وتوفي سنة أربع ومائتين رضي الله عنه. **قوله**: (**ابن عباس**): أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (**مَن تركها فقد ترك**)... الخ، كأنه اعتقد كونها آية من سورة براءة أيضًا، أو اعتبر نزول الفاتحة مرتين مصدَّرة بالتسمية أو أراد الترك مطلقًا حتى في أثناء سورة النمل فإنه يستلزم ترك الآية أو أراد بالترك عدم الإتيان ولو في محل لا ثبوت فيه كسورة براءة وح يصير المتروك مائة وأربع عشرة آية وهذا ضعيف جدًا.

قوله: (**قسمت الصلاة: أي الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين**)؛ التنصيف ينصرف إلى آيات السورة لأنها سبع آيات؛ ثلاث ثناء وثلاث سؤال والآية المتوسطة نصفها ثناء ونصفها دعاء (**ولعبدي ما سأل**)، أي لذاتي ما وصف من الثناء ولعبدي ما سأل من الدعاء (**فإذا قال العبد**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٢]، **قال الله تعالى: حَمِدَني عبدي، وإذا قال**: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٣]) بالجر على الحكاية (**قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي**)،

وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال: مجّدني عبدي. وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ (غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾) قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» فالابتداء بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة، وإذا لم تكن من

ظاهره أن المراد بالحمد الشكر وأن الإثناء بجلائل الرحمة الآلية ودقائق العواطف الربانية التي أخرجت الخلق من ظلمة العدم إلى نور الوجود ليتسارعوا إلى مرضاته وليتزوّدوا في المسير إلى دار الجزاء ودرجات جنانه، (**وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٤])، أي الجزاء (**قال: مجّدني**)، أي عظّمني (**عبدي**)، والتمجيد نسبة إلى المجد وهو الكرم أو العظمة. قال النووي: التمجيد الثناء بصفات الجلال ووجه مطابقته لقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٤] هو أنه تضمن أن الله تعالى هو المنفرد بالمُلْك فيه كما في الدنيا، وفي هذا الاعتراف من التعظيم والتفويض للأمر ما لا يخفى، (**وإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥])، أي نخصك بالعبادة، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، أي نخصّك بالاستعانة على العبادة وغيرها (**قال: هذا بيني وبين عبدي**)، لأن العبادة لله تعالى والاستعانة من الله تعالى (**ولعبدي ما سأل**)، أي بعد هذا، (**فإذا قال:** ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٦]) ثبّتنا على دين الإسلام أو طريق متابعة الحبيب عليه السلام ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] من النبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وهذا يدلّ على مذهب البصريين في الوقوف من أن ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧] آية بخلاف الكوفيين بناء على أن الفاتحة سبع آيات ولم يذكر البسملة في هذا الحديث (﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧]): أي اليهود، (﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٧]): أي النصارى، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل أي غير هذا والمعنى هذا ونحو هذا فاندفع ما قاله بعض مَن لا علم عنده لا فائدة في الدعاء لأن المدعو إن قدر وقوعه فهو واقع وإن فقد الدعاء وإلا فهو غير واقع وإن وقع الدعاء وهذا يرشد إلى سرعة إجابته. قلت: وإلى الرجاء إلى إجابة سائر حاجة.

الفاتحة لا تكون من غيرها (**إجماعًا، والحديث مذكور في صحاح المصابيح**).

قوله: (**إجماعًا**) لعدم القائل بالفصل. **قوله**: (**والحديث**[١] **مذكور في صحاح المصابيح**)، أي مصابيح السُّنَّة للإمام محيي السُّنَّة قامع البدعة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء[٢] البغوي[٣] الشافعي المتوفَّى سنة ٥١٦ ست عشرة وخمسمائة، قيل: عدد أحاديثه أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة عشر حديثًا منها المختص بالبخاري ثلثمائة وخمسة وعشرون حديثًا وبمسلم ثمانمائة وخمسة وسبعون حديثًا، ومنها المتفق عليه ألف وإحدى وخمسون حديثًا والباقي من كتب أخرى أوله الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى... الخ. قيل: المؤلف لم يُسَمِّ هذا الكتاب بالمصابيح نَصًّا منه وإنما صار هذا الاسم علمًا له بالغلبة من حيث أنه ذكر بعد قوله: أما بعد... إن أحاديث هذا الكتاب مصابيح... الخ لكن ذكر أن عدد الأحاديث المذكورة فيه أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وثمانون حديثًا. منها ما هو من الصِّحاح ألفان وأربعمائة وأربعة وثلاثون حديثًا. ومنها ما هو من الحِسان وهو ألفان وخمسون حديثًا قاله ابن مالك. وقسم المؤلف رحمه الله تعالى أحاديث كل باب إلى صحاح وحسان، وعنى بالصحاح ما رواه الشيخان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري[٤] في صحيحيهما أو أحدهما وبالحِسان ما رواه أبو داود وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي[٥] وغيرهما من الأئمة كالنَّسَائي[٦]

---

(١) في مشكاة المصابيح، رواه مسلم، انتهى، قال ميرك واللفظ له، رواه الأربعة، انتهى. ١٢ منه عم فيضهم.

(٢) أي صانع الفرو وبايعه، وهذا نعت لأبيه كان ذلك صنعته، وفرو بالفتح، منه عُفِي عنه.

(٣) منسوب إلى بغ، وقيل: منسوب إلى بغشور، قرية بين مرو وهرات في حدود خراسان، والاسم المركب تركيبًا مزجيًا ينسب إلى جزئه الأول كمعدي في معديكرب وبعلي في بعلبك، وإنما جاءت الواو في النسب إجراءً للفظة بغ مجرى محذوف العجز كالدموي لئلا يلتبس بالبغي بمعنى الزنى، وقيل: إنه منسوب على خلاف القياس، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٤) قوله القشيري بالتصغير، نسبة إلى بني قشير، قبيلة من العرب، ١٢ عُفِي عنه.

(٥) نسبة بمدينة قديمة على طرف جيحون نهر بلخ، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٦) بفتح النون والمد كما في جامع الأصول وبالقصر كما في طبقات الفقهاء، نسبة إلى بلد بخراسان، ١٢ عُفِي عنه.

وما ذكروا لا يضرّنا لأن التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره (**فخر الإسلام في المبسوط**). وإنما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية في القرآن وتمام تقريره في «الكافي».

وتعلّقت الباء بمحذوف تقديره: باسم الله أقرأ (**أو أتلو، لأن الذي يتلو التسمية**) مقروء كما أن المسافر (**إذا حلّ أو ارتحل**) فقال باسم الله (**والبركات**) كان

والدارمي[١] وابن ماجه[٢] وما كان فيهما من ضعيف أو غريب أشار إليه وأعرض عن ذكر ما كان منكرًا أو موضوعًا هذا هو المشروط في الخطبة لكن ذكر في آخر باب مناقب قريش حديثًا وقال في آخره: منكر وقد ألحقه بعض المحدّثين قال النووي[٣] في التقريب وأما تقسيم البغوي إلى حِسان وصحاح مريدًا بالصحاح ما في الصحيحين وبالحِسان ما في السنن فليس بصواب لأن في السنن الصحيح والحسن والضعيف والمنكر. انتهى. وأُجيب بأنه اصطلح عليه في كتابه ولا مناقشة فيه.

قوله: (**فخر الإسلام**) علي بن محمد البزدوي المتوفَّى سنة ٤٨٢ اثنين وثمانين وأربعمائة. **قوله**: (**في المبسوط**) هو في إحدى عشر مجلدًا. **قوله**: (**أو أتلو**) من التلاوة. **قوله**: (**لأن الذي يتلو التسمية**) أي الشيء الذي يتبع التسمية، أي يوجد بعدها مقروء في حاشية العلَّامة الشهاب على تفسير البيضاوي رحمة الله عليهما مقروّ بتشديد الواو وتخفيفها قبل همزة لأنه يقال: صحيفة مقروّة ومقروءة ومقروية.اهـ. **قوله**: (**إذا حلّ**) في منزل (**أو ارتحل**)[٤] عن المنزل عطف على حل. **قوله**: (**والبركات**): أي مع البركات. **قوله**: كان.اهـ. جواب إذا. **قوله**:

---

(١) بكسر الراء نسبة إلى دارم بن مالك، بطن كبير من تميم، يعني أبا عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) يعني أبا عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه بإثبات الألف خطأ فإنه بدل من ابن يزيد ففي القاموس، ماجه لقب والد محمد بن يزيد صاحب السنن لا جده وفي شرح الأربعين أن ماجه اسم أُمه، القزويني بفتح القاف، نسبة إلى بلد معروف، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) أي الإمام محيي الدين يحيىٰ بن مشرف، في التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير والنذير في أصول الحديث، ١٢ منه عُفِي عنه.

(٤) أي حاول الارتحال. ١٢ منه.

(المعنى باسم الله) أحلّ وباسم الله أرتحل، **(وكذا الذابح)** وكل فاعل **(يبدأ)** في فعله باسم الله **(كان مضمرًا)** ما جعل التسمية **(مبدأ له)**. **وإنما قدّر المحذوف متأخرًا)** لأن الأهم من الفعل **(والمتعلق به)** هو المتعلق به، **(وكانوا)** يبدأون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزّ وجلّ بالابتداء **(وذو)** بتقديمه **(وتأخير الفعل)**. وإنما قدم الفعل في (﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) [العلق: الآية ١] **(لأنها أول سورة)** نزلت في قول، وكان الأمر بالقراءة أهم **(فكان تقديم الفعل أوقع)**. ويجوز أن يحمل ﴿ٱقْرَأْ﴾ على معنى افعل القراءة **(وحققها)** كقولهم **(فلان يعطي ويمنع غير متعدٍ إلى مقروء به**، وأن

(المعنى) أي المراد من قوله بسم الله. **قوله**: **(بسم الله)** أحُلّ من باب قعد. **قوله**: **(وكذا الذابح)** إذا قال: بسم الله، تقديره بسم الله أذبح. **قوله**: **(وكذا)**: أي مثل المسافر. **قوله**: **(يبدأ)**: صفة كل فاعل. **قوله**: **(كان)** كل واحد منهما. **قوله**: **(مُضْمِرًا)**: أي مقدّرًا. **قوله**: **(مبدأ له)**: أي لفعله. **قوله**: **(وإنما قدّر المحذوف)** وهو الفعل العامل **(متأخرًا)** عن المتعلق مع أن العامل واجب التقديم على المعمول غالبًا. **قوله**: **(والمتعلق به)** بكسر اللام. **قوله**: **(وحقّقها)** أمر من التفعيل بمعنى أثبتها. **قوله**: **(فلان يعطي)**: أي يفعل فعل الإعطاء، **(ويمنع)**: أي فلان يفعل فعل المنع.

قوله: **(غير مُتَعَدٍّ إلى مقروء به)**: أي حال كون فعل القراءة غير متعدٍّ إلى المقروّ به وهو ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١]. **قوله**: **(وأن يكون)** عطف على قوله أن يحمل ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١] المذكور بعد ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: الآية ١] الأول **(مفعول ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: الآية ٣])** الثاني **(الذي)** يذكر **(بعده)**، أي بعد المعمول وهو ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: الآية ١]. **قوله**: **(وكانوا)**: أي المشركون. **قوله**: **(وذو)** أي الاختصاص بتقديمه أي بسم الله **(وتأخير الفعل)** لأن تقديم ما حقّه التأخير يوجِب الاختصاص. **قوله**: **(لأنها أول سورة)**. . . الخ أي لأن سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾ أول سورة نزلت من القرآن إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: الآيات ١ ـ ٥] على القول الأصح ولا يعارضه ما قيل من أن أول ما نزل من القرآن هو الفاتحة لأن المراد منه أن أول سورة نزلت بتمامها هي سورة الفاتحة ولا ينافيه بعض من سورة أخرى قبل الفاتحة فلما كان قوله تعالى: (﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾) إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: الآيات ١ ـ

يكون) ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ (مفعول) ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ (الذي بعده. واسم الله يتعلّق بالقراءة تعلّق الدهن بالإنبات في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠] (على معنى متبرّكًا باسم الله أقرأ) ففيه تعليم عباده كيف يتبرّكون باسمه وكيف يعظّمونه. وبنيت الباء على الكسر (لأنها تلازم الحرفية والجرّ) فكسرت لتشابه حركتها عملها، والاسم من الأسماء التي (بنوا) أوائلها على السكون كالابن والابنة (وغيرهما)؛ فإذا (نطقوا بها مبتدئين) زادوا همزة (تفاديًا) عن الابتداء بالساكن

٥] أول ما نزل من القرآن ليقرأ ويتدبر آياته كان الأمر بالقراءة أهم فيه والأهم أقدم فإن اسم الله تعالى من حيث إنه اسمه وإن كان أهم عند المؤمن على كل حال إلا أنه قد يكون شيء آخر أهم بحسب خصوصية المقام فيقدم عليه غيره لاقتضاء المقام تقديمه. **قوله**: (فكان تقديم الفعل أوقع): أي أحسن وقوعًا بالنسبة إلى تقديمه. **قوله**: (واسم الله يتعلق بالقراءة تعلّق الدّهن بالإنبات في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: الآية ٢٠]) أي تَنبُتُ ملتبسًا بالدّهن ومستصحبًا له وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية ﴿تُنبِت﴾ وهو إمّا من أنْبَتَ بمعنى نبت أو على تقدير تُنبِتُ زيتونها ملتبسًا بالدهن ـ يعني أن الباء[1] للمصاحبة ـ أي للملابسة، والتقدير ملتبسًا باسم الله اقرأ إلا أن المصنف رحمه الله تعالى أراد أن يبيّن أن ملابسة القراءة بالله تعالى إنما هي على وجه التبرّك به تعالى فلذلك قال: (على معنى متبرّكًا باسم الله اقرأ) فإن هذه العبارة بظاهرها تُشعِر أن الباء صلة التبرك المحذوف وأن الظرف لغو وليس.كذلك بل هو مستقر متعلق بما هو من الأفعال العامة أي ملتبسًا باسم الله اقرأ والتبرّك إنما قُدِّر لبيان أن ملابسة القراءة باسم الله تعالى إنما هو على وجه التبرّك به.

قوله: (لأنها تلازم الحرفية والجر) احترز بالأول عن كاف التشبيه لأنه قد يكون اسمًا بمعنى المثل وبالثاني عن الواو لأنه يجيء للعطف أيضًا. **قوله**: (بنوا): أي العرب. **قوله**: (وغيرهما) كامرؤ وامرأة واثنين واثنتين وغيرهما. **قوله**: (نطقوا بها): أي بالأسماء. **قوله**: (مبتدئين): حال. **قوله**: (تفاديًا).اهـ. في القاموس تَفادَى منه تَحاماه.اهـ. أي تباعد أو احترز.

---

(١) هذا أوْلى تحاشيًا عن جعل اسمه تعالى آلة. ١٢ منه.

تعذّرًا، **(وإذا وقعت)** في الدرج لم يفتقر إلى زيادة شيء. **(ومنهم)** مَن لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال: («سم») و(«سم» وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله «سمو» بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت. واشتقاقه من السمو) وهو الرفعة لأن التسمية **(تنويه)** بالمسمَّى **(وإشادة)** بذكره، وحذفت

قوله: (وإذا وقعت): أي الأسماء. **قوله:** (ومنهم): أي من العرب. **قوله:** (سُمٌ وسِمٌ) بضم السين وكسرها. **قوله:** (وهو من الأسماء[١] المحذوفة الأعجاز)، أي التي حذفت أعجازها، أي أواخرها لكثرة الاستعمال. **قوله:** (كيدٍ ودم) فإن أصل دم دمو بفتحتين، وقال سيبويه: أصله دمي بسكون الميم لأنه يجمع على دِماء، مثل ظبي وظباء. وقال المُبَرِّد: أصله فعل بالتحريك وإن جاء جمعه مخالفًا لنظائره الذاهب منها الياء بدليل قولهم: دمى يدمي، مثل رضي يرضى، وقولهم في التثنية: دميان. وبعض العرب يقول في تثنية دموان وأصل يد يدي على فعل ساكنة العين لأن جمعه أيدي، مثل فلس وأفلس، فكذا لفظ اسم من الأسماء التي حذفت أواخِرها عند البصريين لا من الأسماء التي حذفت أوائلها كما ذهب إليه الكوفيون. **قوله:** (وأصله سمْوٌ)، وقيل: سمْي. واختلف في وزن أصله أهو فعل بكسر الفاء أو فعل بضمها وكل واحد منهما يجمع على أفعال كجِذْع وأجذاع، وقفل وأقفال، فجمع اسم على التقديرين أسماء. **قوله:** (بدليل تصريفه كأسماء) جمعه (وسُمَيّ) تصغيره (وَسَمَّيْتُ)[٢] فعله فلو كان أصله وِسْمًا كما ذهب إليه الكوفيون لكان جمعه أوسامًا وتصغيره وُسَيْمًا وفعله وَسَمْتُ. **قوله:** (واشتقاقه من السُمُوْ)[٣] مشددًا كالعلو وزنًا ومعنى عند البصريين ومن السِّمَة بكسر السين بمعنى العلامة عند الكوفيين. **قوله:** (تَنْوِيْهٌ): أي رفع إلى الأذهان. **قوله:** (وإشادة): أي رفع الصوت.

---

(١) حذفوا عجزه، كما في يد ودم فبقي حرفان أولهما متحرك والثاني ساكن، فلما حرّك الساكن للإعراب أسكن المتحرّك للاعتدال فاحتيج إلى همزة الوصل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) أو سموت مثل عليت وعلوت وسليت وسلوت. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله إذ ليس إسكان السين ورُدَّ بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم، بل عهدت على محذوف العجز كابن والمعهود في محذوف الصدر إلحاق التاء كعدة. ١٢ منه عُفِي عنه.

الألف في الخط هنا وأثبتت في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ (لأنه) اجتمع فيها ـ أي في التسمية ـ مع أنها تسقط (في اللفظ كثرة الاستعمال)، وطوّلت الباء عوضًا عن حذفها، وقال (عمر بن عبد العزيز) لكاتبه: (طول الباء) وأظهر السينات ودور

قوله: (لأنه) اجتمع فيها.اهـ. قال أبو البقاء: فلو قلت لاسم الله أو باسم ربّي أثبت الألف. **قوله**: (في اللفظ): أي في الدرج. **قوله**: (كثرة الاستعمال) فاعل لقوله اجتمع، أي اجتمع فيها كثرة الاستعمال تلفّظًا وكتابة وكثرة الاستعمال تقتضي التخفيف من أيّ وجه كان مع أنها لم تترك بالكلية بل إنها لمّا حذفت بعد الباء طوّلوا هذا الباء ليدلّ طولها على الألف المحذوفة التي على صورتها الأصلية. وقيل: إنما طوّلوا الباء لأنهم ما أرادوا أن يستفتحوا كتاب الله تعالى إلا بحرف أعظم. **قوله**: (عمر بن عبد العزيز) بن مروان بن الحكم القرشي الأموي أمير المؤمنين أبو حفص وُلِد بالمدينة سنة ستين عام توفي معاوية بن أبي سفيان أو بعده بسنة كذا في مورد اللطافة وفي حياة الحيوان مولده بالبصرة سنة إحدى وستين أُمه أُم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو تابع جليل روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ﷺ. وروى عنه جماعة وكان رضي الله تعالى عنه صالحًا ورعًا زاهدًا فقيهًا. قال الشافعي رحمه الله تعالى: الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم، توفي يوم الجمعة لخمس بقين، وقال أبو عمرو بن الضرير: لعشر بقين من رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان من أعمال حمص. وقال الذهبي: من أعمال قِنسرين وقبره ظاهر يزار وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر. وقال الذهبي: عمره أربعون سنة وخلافته سنتان وخمسة أشهر كأبي بكر الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه. وفي سيرة مغلطاي مدة مكثه في الخلافة ثلاثون شهرًا وصلّى عليه ابن عمّه يزيد بن عبد الملك الذي تخلّف بعده. قال الذهبي في تاريخه عن يوسف بن ماهك قال: بينما نحن نُسَوِّي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا كتاب رق من السماء فيه بسم الله الرحمـٰن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار. **قوله**: (طَوِّل الباء)... الخ تعظيمًا لكتاب الله تعالى بل محافظة على تفخيم الاسم نظرًا إلى جلالة ما أُريد به من أسماء الله المعظّمة بعظمة مسمّاها. **قوله**: وأظهر السين: أي فرِّق بين أسنانها، والمعنى وأظهر أسنان حرفي السين،

الميم، والله (**أصله الإلٰه ونظيره الناس أصله الأناس، حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف**). والإلٰه من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو

وفي نسخة وأظهر السيِّنَات، أي السنات تسمية للجزء الذي هو العمدة باسم الكل إذ ما عدا السنات يطرح في الدرج كذا أفاده سعد الملّة والدين التفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**أصله الإلٰهَ**): أي بغير الألف واللام يدل عليه قوله وعوض منها... الخ. **قوله**: (**ونظيره الناسُ أصله الأُنَاسُ**) لما حذفت همزة أناس عوَّض عن الهمزة المحذوفة الألف واللام ولذا لا يجمع بينهما إلا بطريق الندرة والشذوذ كما في قوله:

إن المنايا يَطَّلِعنَ على الأناس الآمِنِيْنَا

فتذرهم شَتَّى وقد كانوا جميعًا وافرينا

والمعنى أن الموت يجيء حال غفلتهم وأمنهم منه يجعلهم متفرقين بعد أن كانوا مجتمعين وافرين لفظ البيت خبر ومعناه تحسر. **قوله**: (**حذفت الهمزة**)... الخ، أي حذفت على خلاف القياس لأن المحذوف قياسًا في حكم المثبت فلا يعوّض عنه بشيء. **قوله**: (**وعوّض منها حرف التعريف**): أي الألف واللام ولذلك قيل في النداء يَا اَللهُ بالقطع، أي ولكون الألف واللام عِوَضًا عن حرف أصلي وكون الألف جزءًا من العوض كانت بمنزلة الحرف الأصلي فقطعت لذلك وهذا الدليل يقتضيْ أن تكون همزة الجلالة همزة قطع مطلقًا أي حالتي النداء وغيرها وأن لا تسقط في الدرج أصلًا مع أنها تسقط في الدرج في غير النداء نقل عن الخليل أنه قال: أصل هذه الهمزة القطع لأنه إنما جيء بها لأجل التعويض لا للتعريف إلا أنها أُسقِطت في الدرج في غير النداء طلبًا للخفّة لكثرة استعمال اللفظ الشريف ولم تسقط حالة النداء لأن إسقاطها فيها يوهم كونها أداة التعريف وأن إثباتها فيها يستلزم اجتماع أداتي تعريف فأثبت حالة النداء رعاية لما هو الأصل فيها وهو كونها للقطع مع أن إسقاطها فيها طلبًا للخفة يُوهم خلاف الواقع وهو كونها أداة التعريف. **واعلم** أنه كما تحيَّرت الأوهام في ذات الله تعالى وصفاته كذلك تحيَّرت في اللفظ الدّالّ عليه أنه هل هو اسم أو صفة مشتق أو غير مشتق علم أو غير علم إلى غير ذلك، والمراد بكون لفظ الجلالة مشتقًا كونه مأخوذًا من

باطل (ثم غلب على المعبود بالحق)، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب

أصل بنوع تصرف فيه لا المشتق الذي يذكر فيه مقابلة أسماء الأعلام وأسماء الأجناس فإنه من قبيل الصفة كالضارب والمضروب وقد ذكر كونه اسمًا مشتقًّا منها في مقابلة كونه صفة مشتقة.

واعلم أيضًا أن الاسم المقابل للفعل والحرف ينقسم إلى اسم وصفة بأن يقال الاسم إما أن يكون موضوعًا لذات معينة بلا اعتبار معنى من المعاني المتعلقة بها كالفرس والعلم أو يكون موضوعًا لها باعتبار معنى كذلك كالرجل الموضوع للإنسان مع معنى الذكورة وكالأحمر إذا جعل علمًا لشخص فيه حمرة وكأسماء الزمان والمكان والآلة والإمام والكتاب، وإما أن يكون موضوعًا لذات مبهمة مع معنى معين كالضارب والمضروب والحسن والأحسن والأحمر لغير الأعلام. ويقال للقسم الأول: اسم، وللثاني: صفة، فإن الأمثلة المذكورة للقسم الأول موضوعة لذات اعتبر فيها نوع تعيّن بخلاف نحو الضارب والمضروب، فإن الذات الملحوظة في مفهومه ليس شائبة التعيّن بل هي معتبرة على وجه الإبهام بناء على أن الغرض الأصلي فيه الدلالة على المعنى المتعلّق بها واعتبار الذات المبهمة إنما هو لضرورة أن المعنى لا يقوم بذاته بخلاف نحو الإمام فإن المقصود فيه الدلالة على الذات المتعيِّنة بما تعلق بها من المعنى، والمراد بالذات هٰهنا ما هو المستقل بالمفهومية سواء كان قائمًا بنفسه كالفرس، أو بغيره كالعلم، وبالمعنى ما لا يكون كذلك لاشتماله على نسبة مّا وبالذات المعينة ما اعتبر فيها تعين مّا شخصيًا كان أو نوعيًا أو جنسيًا وبالمبهمة خلافها والاسم جنس تحته أنواع ثلاثة أسماء الأعلام وأسماء الأجناس والأسماء المشتقة لأنه إما أن يكون نفس تصوّره معناه مانعًا من الشركة أو لا يكون. والأول هو العلم، والثاني إما أن يكون المفهوم منه نفس الماهية من حيث هي أو بشيء ما موصوفًا بالصفة الفلانية، والأول اسم الجنس، والثاني الاسم المشتق، ويقال له: الصفة، وهي ما دلّ على ذات مبهمة باعتبار بعض معانيه وأوصافه. **قوله**: (ثم غلب[1] على المعبود بالحق): أي ثم غلب الإلٰه المعرّف باللام على ذات الواجب وجوده فصار علمًا له بالغلبة ينصرف إليه اللفظ

---

(١) ثم غلب آه بأن استعمل بإدخال لام العهد عليه في ذاته تعالى. ١٢ منه عُفِي عنه.

(على الثريا). وأما الله بحذف الهمزة فمختصّ بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره، وهو اسم غير صفة (لأنك تصفه) ولا تصف به، لا تقول شيء إلـٰه كما لا تقول شيء رجل، وتقول (الله واحد صمد، ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري) عليه (فلو جعلتها) كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف

عند إطلاقه كسائر الأعلام الغالبة ثم أُريد تأكيد اختصاص لفظ الإلـٰه به تعالى بتغييره فحذفت الهمزة منه ثم أدغم لام التعريف في لام الأصل فصار لفظ الله آكد اختصاصًا بالمعبود بحق بسبب حذف الهمزة والإدغام فالإلـٰه قبل حذف الهمزة وبعده علم للذات المقدس لكنه قبل الحذف أُطلق على غيره تعالى إطلاق النجم على غير الثريا، وبعدُ لم يطلق على غيره أصلًا فإن الأعلام الغالبة تخالف الأعلام القصدية من حيث إن علمية الأعلام الغالبة اتفاقية لم يكن اختصاصها بأشهر أفراد الجنس إلا لكثرة استعمالها فيه وذلك لا يُنافي جواز إطلاقها على غيره بخلاف الأعلام القصدية فإنها بسبب كونها موضوعة ابتداء لفرد معين من أفراد الجنس لا يجوز إطلاقها على غيره. قوله: (على الثريا): العرب تسمّي الثريا نجمًا وإن كانت في العدد نجومًا يقال إنها سبعة أنجم؛ ستة ظاهرة وواحدة خفيَّة يمتحن الناس بها أبصارهم وفي الشفاء للقاضي عِياض أن النبي ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجمًا. قوله: (لأنك تصفه): أي تورد له الوصف وتجعله موصوفًا به ولا تصف به بأن تجعلها صفة لشيء. قوله: (الله واحد صمد): أي مقصود في الحوائج على الدوام، أي فعل بمعنى مفعول وهو الموصوف به على الإطلاق، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع حالاته. قوله: (ولأن صفاته تعالى) عطف على قوله: لأنك... الخ (لا بد لها من موصوف تجري) أي الصفات عليه... الخ فإن قانون الوضع اللغوي واستعمالات العرب يقتضيان أن يسمَّى كل شيء من الأشياء المعتبرة باسم موضوع لذاته المخصوصة وأن يجري عليه ما فيه من المعاني والأوصاف القائمة به وإن لم يجب ذلك عقلًا لجواز أن يتصور الشيء بوجه ما من غير أن يتصور ذاته المخصوصة وتوضع ألفاظ دالّة على ما فيه من المعاني من غير أن يوضع ما يدلّ على ذاته المخصوصة ولا يصلح لأن يكون اسمًا لذاته المخصوصة من بين أسمائه تعالى سوى لفظ الجلالة لعدم ظهور معنى الوصفية فيه بخلاف سائر أسمائه الحسنى فإنها صفات مشتقة بلا خفاء. قوله: (فلو جعلتها): أي الأسماء

بها (وذا) لا يجوز. ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد بن الحسن والحسين بن الفضل.

وقيل: معنى الاشتقاق (أن ينتظم الصيغتين) فصاعدًا (معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة) قولهم: «أله» إذا تحيّر ينتظمهما (معنى التحير والدهشة، وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود) وتدهش (الفطن ولذا كثر الضلال وفشا) الباطل وقلّ النظر الصحيح. وقيل: (هو من قولهم اله) يأله إلاهًا إذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: الآية ١١] أي مخلوقه. (وتفخّم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة، وترقق إذا كان قبلها كسرة.

الإلـٰهية كلها تأكيد للضمير المنصوب صفات مفعول ثانٍ للجعل. **قوله**: (وذا): أي عدم إجراء الصفات على الموصوف. **قوله**: **(أن ينتظم)** أي يشتمل **(الصيغتين)** لم يقل اللفظين ليشعر بأن المراد اعتبار التعدّد في مجرد الصيغة والهيئة دون المادة وجوهر الحروف كأنه قال: الصورتين اللتين لهما مادة واحدة، ألا ترى إلى قوله: وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم الروح لا يرد المترادفان ولا يحتاج إلى زيادة قيد الاتحاد في الحروف الأصول ولا إلى الجواب بأنه ترك لشهرته أو لأنه لم يقصد تعريف الاشتقاق بل ببيان ما يحتاج إليه في الدلالة على اشتقاق هذا الاسم. **قوله**: **(معنى واحد)** فاعل لقوله أن ينتظم. **قوله**: **(وصيغة هذا الاسم)**: أي إلـٰه. **قوله**: **(وصيغة)** قولهم ألِهَ بكسر العين. **قوله**: **(معنى التحير والدهشة)**: أي التردّد عطف تفسير للتحيّر. **قوله**: **(وذلك أن الأوهام)**: أي العقول **(تتحيّر في معرفة المعبود)** أي الذي يُعبَد فاتخذ الناس آلهة شتّى وزعم أن الحق ما هو عليه. **قوله**: **(الفِطَن)** جمع الفطنة، وهو الفهم. **قوله**: **(ولذا)**: أي ولتحيّر الأوهام. **قوله**: **(كثر الضلال)** بين الناس. **قوله**: **(فشا)**: أي ظهر. **قوله**: (هو): أي اسم الله بدون لام التعريف إذ لا معنى لاشتقاقه مع لام التعريف مأخوذ **(من قولهم آلَه)** كعَبَدَ وزنا. ومعنى **قوله**: **(وتفخم لامه)** قد ذكر الزجَّاج أن تفخيمها سُنَّةٌ أي طريقة مسلوكة متواترة من علماء القراءة. **قوله**: **(إذا كان قبلها فتحة)** نحو إن الله.

قوله: (أو ضمة) نحو: يضرب الله. **قوله**: **(وترقّق إذا كان قبلها كسرة)** كما في بسم الله والحمد لله فإن أكثر القرّاء على ترقيق لام الجلالة حينئذ لأنَّ

ومنهم مَن يرققها بكل حال، ومنهم مَن يفخّم بكل حال) والجمهور على الأول. **(والرحمٰن فعلان من رحم)** وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضبًا، **(وكذا)** الرحيم فعيل منه كمريض من مرض. وفي الرحمٰن من المبالغة ما ليس في الرحيم لأن في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمٰن زيادتين، **(وزيادة اللفظ تدلّ على زيادة المعنى، ولذا)** جاء في الدعاء «يا رحمٰن الدنيا» لأنه يعمّ المؤمن والكافر «ورحيم الآخرة» لأنه يخصّ المؤمن.

الانتقال من الكسرة إلى اللام المفخمة ثقيل لأن الكسرة تقتضي التسفّل واللام المفخمة تقتضي الاستعلاء ولا يخفى أن الانتقال من السفل إلى العلو ثقيل وإنما استحسنوا التفخيم في الموضعين فرقًا بين لفظة الله ولفظة اللام في الذكر ولأن التفخيم تشعر بالتعظيم المناسب لاسم الله فإنه يستحق أن يبالغ في تعظيمه ففخّم لامه إن لم يمنع منه مانع، والتفخيم يقال بالاشتراك على ضدّ الترقيق وهو التغليظ وعلى ضد الإمالة والمراد به هٰهنا المعنى الأول. **قوله: (ومنهم مَن يرقّقها بكل حال)** كذا يوجد في بعض النسخ دون بعض. **قوله: (ومنهم مَن يفخّم بكل حال)** سواء كان ما قبلها مفتوحًا أو مضمومًا أو مكسورًا فيفخم في نحو الله أيضًا. **قوله: (والرحمٰن فَعْلان من رَحِمَ)** بكسر العين، فإن قيل: رحم متعدٍّ فكيف يشتق منه الصفة المشبّهة ولا كذلك غضِب ومرِض، قلنا: المتعدّي قد يجعل لازمًا وينقل إلى فعُل بضم العين فيُبنَى منه الصفة المشبهة ذكره صاحب الكشاف في الفائق في فقير ورفيع ألا ترى أن رفيع الدرجات معناه رفيع درجاته لا رافع للدرجات، وكذلك الرب وغيره وليكن هذا على ذكر منك ورحمٰن دررسم الخط بدون ألف بأيدنوشت زيراكه رحمٰن يكي ازنامهاي مسيلمة الكذاب هم است بضم ميم وفتح سين وسكون تحتاني وكسر لام وآن كافري بوده كه بزمانه رسول الله ﷺ دعوى نبوت كرده بود. **قوله: (وكذا)**: أي مثل الرحمٰن. **قوله: (وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى)** غالبًا فلا يرد النقص بالصفة المشبهة فإن حروفه أقل من حروف اسم الفاعل كحذر وحاذِر مع أنها تدلّ على الدوام والثبوت ولا يدلّ اسم الفاعل عليه مع أنه زائد حروفًا. **قوله: (ولذا)**: أي ولكونه مشتملًا على زيادة المبالغة.

وقالوا: الرحمٰن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره، وعام معنى لما بينا. والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخصّ المؤمنين **(ولذا)** قدم الرحمٰن وإن كان أبلغ والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى. يقال: فلان عالم ذو فنون **(نحرير)** لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، ورحمة الله إنعامه على عباده **(وأصلها)** العطف، وأما قول الشاعر **(في مسيلمة)**:

(وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا)

قوله: **(ولذا)**: أي ولأنه خاص اللفظ. **قوله**: **(نِحْرِيْرٌ)**: أي بليغ في العلم. **قوله**: **(وأصلها)**: أي المعنى اللغوي لها العطف[1] أي الميل، والمراد هنا الميل النفساني وهو الشفقة والرقة التي هي من الكيفيات الانفعالية التابعة للمزاج الجسماني والله تعالى مُنَزَّه عن ذلك لكونه مقتضيًا للإمكان فينبغي أن لا يصحّ توصيفه تعالى بالرحمٰن الرحيم والرؤوف والعطوف والغضب ونحوها مما يقتضي مبدؤها أن يكون المتّصف به منفعلًا انفعالًا نفسانيًّا ومتكيِّفًا بالكيفيّات النفسانية المستحيلة في حقه تعالى إلا أنه تعالى يُوصَف بذلك باعتبار غايات مأخذها فإن أسماء الله تعالى إنما تؤخَذ باعتبار الغايات التي هي أفعال وآثار يصحّ صدورها عنه تعالى فيُراد بالرحمٰن الرحيم المُحسِن المتفضِّل بالإرادة والاختيار قضاءً لحاجة المحتاجين عناية بهم لا باعتبار مبادىء تلك الأفعال التي هي انفعالات نفسانية لا يمكن اتّصافه تعالى بها، ولفظ المبادىء والغايات إشارة إلى أن محصول الجواب أن إطلاق مثل هذه الأسماء عليه تعالى مجاز مُرسَل من قبيل إطلاق اسم السبب على المُسَبّب، فإن تلك الكيفيات الانفعالية أسباب ومبادىء لتلك الأفعال التي هي غايات لها كالرحمة والرقّة اللّتين هما من أسباب الإحسان والتفضيل.

قوله: **(في مُسَيْلِمَة)** الكَذَّاب، وهو مسيلمة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبد الحارث متنّبي بوددر عهد النبي ﷺ. **قوله**:

(وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا)

---

(١) العطف أي التعطف والشفقة والميل الروحاني لا الجسماني. ١٢ منه.

فباب (مَن تعنتهم) في كفرهم. ورحمٰن غير منصرف عند مَن زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة، ومَن زعم (أن الشرط وجود فعلى) صرفه إذ ليس له فعلى، والأول الوجه.

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ الوصف بالجميل على جهة التفضيل، وهو رفع بالابتداء وأصله النصب. (وقد قُرِىء به) بإضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة (في معنى الإخبار) كقولهم (شكرًا) وكفرًا. (والعدول عن النصب إلى الرفع) للدلالة

وفي بعض النسخ: غوث الورى... البيت، وأوله:

سَمَوْتَ بالمجد يَا ابنَ أكرمين أبا

قوله: (مَن تعنتهم) العَنَت: الإثم، أي تكلّفهم ومبالغتهم في الإثم، أي الكفر، فلا يلتفت إلى قولهم هذا. **قوله**: (أن الشرط) أي شرط منع صرف فَعْلان إذا كان صفة انتفاء فَعْلانةٍ يعني[1] امتناع دخول تاء التأنيث عليه. **قوله**: (وجود فعلى) كعطشى.

قوله: (وقد قرىء به) أي قُرِىء شاذًا بنصب الدال من الحمد على أنه مفعول مطلق حذف عامله وناب المصدر منابه بإضمار فعله تقديره نحمد الحمد لله ليوافق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] في كون الجملة فعلية، فالنون نون جماعة المتكلمين لأنه مقول على ألسنة العباد لا للتعظيم لأن المقام ليس مقام التعظيم بل إظهار العبودية والتذلّل والاستعانة. **قوله**: (في معنى الإخبار) متعلق بأفعال واحترز به عن الإنشاء كقولهم غفرانك لأنه في معنى اغفر لنا غفرانك. **قوله**: (شكرًا) أي شكرت شكرًا. **قوله**: (والعدول عن النصب إلى الرفع)... الخ لأن الرفع من باب المصادر التي هي أصلها النيابة عن أفعالها يدلّ على الثبوت والاستقرار بخلاف النصب فإنه يدل على التجدّد والحدوث المُستَفاد من عامله الذي هو الفعل فإنه موضوع للدلالة عليه بخلاف الجملة الاسمية فإنها موضوعة

---

(١) قوله يعني الخ فيه رمز إلى أن انتفاء خصوص فعلانة بفتح الفاء غير مقصود حتى يرد أن في عريان بضم العين تحقيق انتفاء فعلانة بفتح الفاء مع أنه منصوب بل المراد عدم قبوله لتاء التأنيث. ١٢ منه عُفِي عنه.

على ثبات المعنى واستقراره والخبر. ﴿لِلَّهِ﴾ واللام متعلق بمحذوف أي واجب أو ثابت. وقيل: (**الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة**) وغيرها. تقول: حمدت الرجل على إنعامه وحمدته (**على شجاعته وحسبه**)، وأما

للدلالة على مجرد الثبوت العادي عن قيد التجدّد والحدوث فناسب أن يقصد بها الدوام والثبات بقرينة المقام ومعونته. فإن قيل: قد تقرر في موضعه أن الجملة الاسمية أنها تفيد الدوام والثبات ولو بالقرينة إذا لم يكن خبرها فعلًا والخبر هٰهنا فعل عند البصريين، وأجيب بأن المختار هٰهنا مذهب الكوفيين وهو تقدير اسم الفاعل ولو سلم فما تقرر إنما يكون فيما إذا كان الخبر فعلًا صريحًا نحو زيد قام والفرق بينه وبين المقدّر ظاهر فظهر أن الثبوت يُستَفاد من الرفع وإخراج الكلام على صورة الاسمية. **قوله**: (الحمد والمدح أخوان)، أي مترادفان. **قوله**: (وهو الثناء) أي الذِّكر بالخير.

قوله: (والنداء) أي رفع الصوت بالثناء. **قوله**: (على الجميل) أي على الفعل الجميل الحَسَن. **قوله**: (من نعمة) بمعنى إنعام في الكشاف في تفسير سورة المُزَّمِّل النعمة بالفتح التنعّم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المَسَرَّة. **قوله**: (على شجاعته) شجاعة بالفتح پردلي ودليري درمخاوف وشدائد للذَّكَر والأُنثى، أو خاصٌّ بالرجال. **قوله**: (وحسبه) الحسب بفتحتين ما يُعَدّ من المآثر وهو مصدر حسب وزان شرف شرفًا وكرم كرمًا. قال ابن السِّكِّيت: الحسب والكرم يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، ورجل حسيب: كريم بنفسه. قال: وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص إلا إذا كانا فيه وفي آبائه. وقال الأزهري: الحسب: الشرف الثابت له ولآبائه. قال: وقوله عليه السلام: «**تُنكَح المرأة لحسبها**» أحوج أهل العلم إلى معرفة الحسب لأنه مما يعتبر في مهر المِثْل، والحسب الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عدّ المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه. ومما يشهد لقول ابن السِّكِّيت قول الشاعر:

ومَن كان ذا نسب كريم ولم يكن ... له حسب كان اللئيم المذمَّمَا

فجعل الحسب فِعال الشخص، مثل الشجاعة وحُسْن الخلق والجود ومنه قوله: حسب المرء دينه، كذا في المصباح المنير.

الشكر فعلى النعمة خاصة (**وهو بالقلب**) واللسان والجوارح قال:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

أي القلب، والحمد باللسان وحده (**فهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث «الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده»**) وجعله رأس الشكر لأن ذكر

قوله: (وهو بالقلب)... الخ وذلك أن يعتقد أن المُنعِم وليّ النعمة ويُثني عليه بلسانه ويُدْئب[1] نفسه في الطاعة له. وقد جمعها الشاعر في قوله: أفادتكم النَّعماء... البيت، فظهر أن المراد التمثيل لجميع شُعَب الشكر لا الاستشهاد والاستدلال على أن لفظ الشكر يطلق عليها يَدِي ومعطوفاه منصوبات على البدل ووصف الضمير بالمُحَجَّب، أي المستتر إشارة إلى الإخلاص وأنهم ملكوا الظاهر والباطن وفي جعل نفس الأعضاء جزاء الإنعام مبالغة ألا يخفى، ومعنى البيت: أفادتكم إنعاماتكم على ثلاثة أشياءٍ منّي: المكافأة باليد، ونشر المحامد باللسان، ووقف الفؤاد على المحبة والاعتقاد. **قوله**: (**فهو إحدى شُعَب الشكر**) أي أقسامه وفروعه من جهة المورد وإن كان أعمّ منه من جهة المتعلّق، ولهذا كان بينهما عموم من وجه فيكون الثَّناء باللسان بمقابلة الإنعام مادة لاجتماع الحمد والشكر اللغويين[2] يصدق كل واحد منهما عليه صدق الكليّ على جزئياته ويكون الثناء باللسان بمقابلة الفضيلة المختصّة بالمثنى عليه مادة تحقّق الحمد بدون الشكر ويكون الفعل الصادر من الجنان والجوارح على وجه تعظيم المُنعِم بمقابلة إنعامه مادة تحقّقِ الشكر بدون الحمد. **قوله**: (**ومنه الحديث الحمد رأس الشكر**)... الخ. هذا الحديث رواه عبد الرزاق من طريقة الديلمي عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. **وقوله**: (**ما شكر الله عَبدٌ لم يحمده**) ـ يعني مَن لم يعترف

---

(١) الإدآب الإتعاب يقال دأب فلان في عمله أي جدّ وتعب. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) الشكر اللغوي فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا، وهذا التعريف يصدق على كل واحد من فعل اللّسان وفعل القلب وفعل سائر الجوارح، فيكون كل واحد منها جزئيًّا من جزئيّات الشكر اللغوي والشكر الاصطلاحي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به وأولاه إلى ما خلق لأجله والشكر بهذا المعنى مجموع مركّب من مجموع الأفعال الواردة من الموارد الثلاثة التي هي اللّسان والقلب وسائر الجوارح، فيكون ما صدر من أحد هذه الموارد جزءًا من حقيقة الشكر لا جزئيًّا لها لعدم صدق المجموع المركب على شيء من أجزائه. ١٢ منه.

النعمة باللسان (**أشيع لها**) من الاعتقاد (**وإدْآب الجوارح**) لخفاء عمل القلب (**وما في عمل الجوارح من الاحتمال، ونقيض الحمد الذمّ**) ونقيض الشكر **الكفران**. وقيل: المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقيًا قادرًا عالمًا (**أبديًا أزليًا**)، والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الإفضال والحمد يشملهما. (**والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافًا للمعتزلة**)، ولذا قرن باسم الله لأنه اسم

بالمُنعِم ـ ولم يحمد بالثناء عليه لم يُعَدُّ شاكرًا ولم يظهر منه ذلك وإن أتى بالعمل والاعتقاد وذلك لأن المُنبِيء عمَّا في الضمير وضعًا والمُظهِر له حقًّا هو النطق وحقيقة معنى الشكر إشاعة النعمة والإبانة عنها ونقيضه وهو الكفران يُنبِيء عن الستر والتغطية. **قوله**: (**أشيع لها**) لفظ أشيع تفضيل من المزيد فيه وهو من النوادر، والمعنى أشد إشاعة إظهار النعمة أو اللام للتعدية، فالمعنى بسيار آشكار اكنندة نعمت است، وذلك لظهوره واطّلاع كل واحد عليه. **قوله**: (**وَإِدْآب الجوارح**) بكسر الهمزة وسكون الدال المهملة وفتح الممدودة أي إتْعَابها. **قوله**: (**وما في عمل الجوارح من الاحتمال**) أي احتمال وقوعه لأمر آخر غير تعظيم المنعم فإن خدمته المنعم بالجوارح لا يتعيَّن كونها متفرّعة على نِعَمه الواصلة منه إليه جزاء لها، بل يحتمل أن تكون لغرض آخر.

قوله: (**ونقيض الحمد الذمّ**) أي مقابل له، وذلك لأن الحمد هو الثناء بذِكْر المحاسن فيقابل الذمّ الذي هو ذِكر القبائح وكذا الكفران نقيض الشكر لأن الشكر هو إظهار النعمة بإتيان الفعل الدّالّ على تعظيم المُنعِم فيقابله الكفران الذي هو ستر النعمة واحتقارها بإتيان ما يضادّ تعظيم مُنعِمها إما باللسان أو بالجنان أو بالجوارح كما في الشكر بعد أن يكون إتيان ذلك بمقابلة النعمة. **قوله**: (**أبديًا**) الأبدي معناه الذي لم يكن لبقائه نهاية ولا انقضاء. **قوله**: (**أزليًا**) الأزلي هو الأول الذي لا مُفتَتَح لوجوده، ولا بداية له، فهو بمعنى القديم.

قوله: (**والألف واللام فيه للاستغراق عندنا خلافًا للمعتزلة**) فإنها عندهم للعهد إشارة إلى حمده تعالى لنفسه، أو إلى الحمد الكامل الذي صدر من المُكمل. اعلم أن اللام تنقسم إلى أربعة أقسام: لام الجنس، ولام الاستغراق، ولام العهد الخارجي، ولام العهد الذّهني. أما الأول فما يدلّ على نفس الجنس والماهية فقط، مثل الرجل خير من المرأة، يعني أن هذا الجنس خير من ذلك

ذات فيستجمع صفات الكمال **(وهو بناء على مسألة خلق الأفعال)** وقد حققته في مواضع. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الرب المالك **(ومنه قول صفوان)** لأبي سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. تقول ربه يربه ربًا فهو رب، **(ويجوز أن يكون وصفًا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل.**

الجنس والفرس خير من الحمار. وأما الثاني فما يدلّ على استغراق الأفراد بحيث لا يشذّ فرد منها، نحو ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: الآية ٢]. وأما الثالث فما يدلّ على المعهود في الخارج نحو جاءني رجل وأكرمته، وأكرمت الرجل. وأما الرابع فما يدلّ على المعهود في الذِّهن، نحو قول المولى لعبده: ادخل السوق واشترِ اللحم، حيث لا عهد في الخارج. **قوله**: **(وهو بناء على مسألة خلق الأفعال)** فعندنا لمّا كانت أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى كانت جميع المحامد راجعة إليه، وعند المعتزلة لمّا كانت بخلق العباد كانت المحامد عليها راجعة إليهم فلم يكن جميع المحامد لله تعالى. **قوله**: **(ومنه قول صفوان[1])** وهو صفوان بن أمية الجُمحي أراد برجل من قريش محمدًا ﷺ، وبرجل من هوازن رئيسهم مالك بن عوف، قال ذلك حين استبشر أبو سفيان بانهزام المسلمين يوم حُنَين في أول القتال، فقال: غَلَبَت والله هوازن، ومعنى لأن يَرُبَّني يكون مالكًا لي مثل ساده كان له سيدًا وهوازن بالفتح قبيلة است از قيس، وقيس بالفتح لقب يدر قبيلة از بني مضر ونام أو الناس بن مضر بالنون وأورا قَيْسُ عَيْلان خوانند وبرا دراورا إلياس بن مضر بن نزاز واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي من مسلمة الفتح رضي الله تعالى عنه. **قوله**: **(ويجوز أن يكون وصفًا بالمصدر)** يعني أنه على الأول كان وصفًا يعني صفة مشبهة بعد جعل المتعدّي لازمًا بالنقل إلى فعُل بالضم. **قوله**: **(للمبالغة كما وصف بالعدل)** يعني أن المصدر وإن كان اسم معنى حقه أن لا يطلق على الذات إلا أنه أُطلق هٰهنا على الذات بقصد المبالغة في اتّصافه به، مثل رجل عدل، أي عادل.

---

(١) عن سعيد بن المسيب عن صفوان أنه قال أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ، ولما رأى صفوان كثرة ما أعطاه رسول الله ﷺ، قال: والله ما طابت بهذا إلا نفس نبي فأسلم، وكان من المؤلفة وحَسُن إسلامه. كذا في أسد الغابة. ١٢ منه عُفِي عنه.

ولم يطلقوا) الرب إلّا في الله وحده **(وهو في العبيد)** مع التقييد (﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ

قوله: **(ولم يطلقوا)**. . . الخ. أي لم يذكروه بدون الإضافة إلا في حق الله تعالى، يعني لفظ الرّبّ بخلاف الجمع كالأرباب، كما يقال: ربّ الأرباب، وفي التنزيل ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣٩] ولو أُطلِق الرّبّ في حق الغير فعلى سبيل النّدرة وظهور القرينة كقول الحارث بن حِلْزَة:

وهو الربّ والشهيد على يو م الْحِيَارَيْنِ[(١)] والبَلاءُ بَلاءُ

أراد به الملك وهو منذر بن ماء السماء. **قوله**: **(وهو في العبيد)** مع التقييد، أي لا يطلق في اللغة بدون التقييد بالإضافة إطلاقًا مُستفيضًا على غيره تعالى. وأما في الشرع فإطلاقه مقيدًا بالإضافة إلى المُكَلَّف مكروه على ما رُوِيَ في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقل أحدكم: أطعِم ربّك**» بفتح الهمزة أمر من الإطعام، «**وضِّىء ربّك**» بكسر الضاد المعجمة أمر من وضأه يُوضِئه، أي اجعل مولاك ذا وضوء، اسقِ ربّك، بهمزة وصل ويجوز قطعها مكسورة، وفي نسخة مفتوحة تثبت في الابتداء وتسقط في الدرج ويستعمل ثلاثيًا ورباعيًا أو من سقاه يسقيه ولا يقل أحدكم: هذا الخطاب للمماليك، والخطاب السابق في أحدكم للمُلاك. كذا قاله ابن الملك، وقال العلّامة القسطلاني في بيان الخطاب السابق: لا يقل أحدكم لمملوك غيره ربِّي، وليقل سيدي ومولاي. وأما قول سيدنا يوسف على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٣]، ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٠]، فكأنه مثل ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ [يوسف: الآية ١٠٠] مخصوص جوازه بزمانه ولا كراهية في إضافته إلى غير المُكَلَّف، كربّ الدار. فإن قيل فقد قال النبي ﷺ في أشراط الساعة: «**أن تَلِدَ الأَمَة ربّتها أو ربّها**»، فالجواب من وجهين: أحدهما أن الحديث الثاني لبيان الجواز، وأن النهي في الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم. والثاني أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة ولم يَنهَ عن إطلاقها في نادر من الأحوال. وأما حديث «**حتى يلقاها ربّها**» في الضالّة فإنما استعمل لأنها غير مُكَلَّفة فهي كالدار والمال، ولا كراهة أن يقال ربّ المال والدار. **قوله**: (﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ

---

(١) الحِيَاران موضع ١٢ لسان العرب.

مَثْوَايَۖ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]، ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: الآية ٥٠])، وقال (**الواسطي**: هو) الخالق ابتداء، والمربي (**غذاء**)، والغافر انتهاء. (وهو) اسم الله الأعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الأجسام والجواهر (**والأعراض**)، أو كل موجود سوى الله تعالى سُمِيَ به لأنه علم على وجوده. وإنما جمع بالواو والنون (**مع أنه**) يختصّ بصفات العقلاء (**أو ما في حكمها**) من الأعلام (**لما فيه**) من معنى

مَثْوَايَۖ﴾ [يوسف: الآية ٢٣]) أي إن الشأن والحديث أو إن الذي اشتراني ربّي سيدي ومالِكِي، يريد قِطْفِيرَ. أحسن مثواي، أي أحسن تَعَهُّدي، إذ قال لك: فِيَّ أكرمي مثواه، فما جزاؤه أَنْ أخُونَه في أهله. قال ذلك سيّدنا يوسف على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حين ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ [يوسف: الآية ٢٣] هي زُلَيْخا ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] أي طلب منه أن يُواقِعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] للبيت. قيل: كانت سبعة، ﴿وَقَالَتْ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] له ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: الآية ٢٣] أي أقبِل وبادِر.

قوله: (﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: الآية ٥٠]) أي قال سيدنا يوسف على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حين جاءه الرسول من قِبَل ملك مصر ليُخَلِّصه من السجن: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: الآية ٥٠] وأراد به ملك مصر. **قوله**: (**الواسطي**) بفتح الواو وسكون الألف وكسر السين وبعدها طاء مهملة أبو بكر محمد بن موسى خراساني الأصل من فرغانة، صَحِبَ الجُنَيد والنوري عالِم كبير الشأن أقام بمرو ومات بها بعد العشرين وثلاثمائة رحمه الله. **قوله**: (هو) أي الرّبّ. **قوله**: (**غذاء**) مثل كتاب ما يغتذى به من الطعام والشراب مصباح. وفي منتهى الأرب غذاء بالكسر والمد خورش وپرورش كه بدان باليدگي وآراستگي جسم است. **قوله**: (وهو) أي الرّبّ. **قوله**: (**والأعراض**) جمع عرض، في المصباح، العرض بفتحتين في اصطلاح المتكلمين ما لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلا في محل يقوم به وهو خلاف الجوهر. اهـ. **قوله**: (**مع أنه**) أي الجمع بهما. **قوله**: (**أو ما في حكمها**) أي حكم صفات العقلاء من الأعلام أي أعلام العقلاء بيان ما يعني إذا وقع فيه الاشتراك واحتيج إلى تثنيته أو جمعه فيُثَنَّى ويُجمَع حينئذ بأن يُؤَوَّل زيد مثلاً بالسمي بهذا اللفظ، فيقال: الزيدون يتناول المسمّون بزيد فيجمع بهذا الجمع في حكم صفات العقلاء وسَمِيّ كأميرهمنام. **قوله**: (**لما فيه**)

الوصفية وهي الدلالة (على معنى العلم). ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ذكرهما قد مرّ وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لما أعادهما لخلوّ الإعادة عن الإفادة.

(﴿مَٰلِكِ﴾ **عاصم وعليّ** ﴿ملك﴾: **غيرهما**) وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله: (﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾) [غافر: الآية ١٦] ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكًا، ولأن أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه. (**وقيل: المالك أكثر ثوابًا**) لأنه أكثر حروفًا. (**وقرأ أبو حنيفة**) والحسن ﵄ «ملك»

أي في العالم، تعليل بقوله وإنما جمع. **قوله**: (**على معنى العِلم**) بكسر العين وفتحها.

قوله: (﴿مَٰلِكِ﴾ **عاصمٌ وعليٌّ**) أي مالك بإثبات الألف كسامع اسم فاعل من ملك ملكًا بالكسر والفتح بمعنى التملّك خداوند شدن قرأه عاصِمٌ أي عاصم بن النُّجود الكوفي وعلي أي أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي الكوفي الأسدي كِسَائِي بكسر أول منسوبًا لقب علي بن حمزة يكي اذائمة قراءت ونحو كه أو أكثر كِساء، يعني گليم ميپوشيد. **قوله**: (﴿ملك﴾ **غيرهما**) أي مَلِكَ بحذف الألف من الملك بالضم بمعنى السلطنة والإمارة بادشاه شدن قرأه غيرهما. **قوله**: (﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾) يعني أن الآية تكون بهذه القراءة مناسبة لقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [غافر: الآية ١٦] من حيث اشتراكهما في الدلالة على أنه تعالى وصف ذاته بأنه الملك يوم القيامة حيث قال على سبيل الاستفهام التقريري: ﴿لمَن الملك اليوم﴾، والقرآن تتناسب معانيه في الموارد. **قوله**: (**وقيل: المالك أكثر ثوابًا**) لزيادة عشر حسنات بالألف وكِلتا القراءتين متواترة فلا ترجيح بينهما. **قوله**: (**وقرأ أبو حنيفة**) النعمان بن ثابت أعلَم أهل زمانه، وُلِد سنة ثمانين وهو الصحيح، وأجمعوا على أنه مات سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة والحسن البصري كان من سادات التابعين وكُبرائهم. توفي بالبصرة سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنهما مَلَكَ يَوْم بلفظ الفعل أي الماضي المفتوح العين واللام، ونصب اليوم على أنه حذف الموصول أي الذي مَلَكَ أو على أنه حال. وفي نشر ابن الجزري القراءات المنسوبة لأبي حنيفة رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره لا أصل لها قال أبو العلاء الواسطي: إن

(﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **أي يوم الجزاء**) ويقال (**كما تدين تدان**) أي كما تفعل تجازى، (**وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع**) كقولهم:

(يـا سـارق الـليـلة أهـل الـدار)

الخزاعي وضع هذا الكتاب ونسبه إلى أبي حنيفة فأخذت خطوط الدارقطني وجماعة على أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له. قلت: وقد رأيت الكتاب المذكور ومنه ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فَاطِر: الآية ٢٨] برفع الهاء ونصب الهمزة، وقد راج[١] ذلك على أكثر المُفَسِّرين ونسبوها إليه وتكلَّفوا توجيهها وأبو حنيفة رضي الله عنه بريء منها. انتهى.

قوله: (﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ **أي يوم الجزاء**) أي الدين بمعنى الجزاء. وفي اختيار يوم الدين على يوم القيامة وسائر الأسامي رعاية للفاصلة وإفادة للعلوم لأن الجزء يتناول جميع أحوال يوم القيامة إلى السرمد. **قوله**: (**كما تَدِيْنُ تُدَانْ**)، مثل مشهور وحديث مرفوع أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات بسند ضعيف وله شاهد مُرسَل، أي كما تفعل تُجازَى بفِعْلك سمَّى الفعل المبتدأ جزاء، والجزاء هو الفعل الواقع بعده ثوابًا كان أو عقابًا بالمُشاكلة كما سُمِّي جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[٢] [الشورى: الآية ٤٠] مع أن الجزاء المماثل مأذون فيه شرعًا فيكون بحسب الأشياء. **قوله**: (**وهذه إضافة اسم الفاعل**) أي ﴿مالك﴾ (**إلى الظرف**) أي ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (**على طريق الاتّساع**) مُجرى مجرى المفعول به مُجرى الأول اسم مفعول من الإجراء وقع حالًا من الظرف، ومجرى الثاني مصدر له أو اسم مكان، وهذا الحال بيان لطريق الاتّساع إذ معناه جعل المفعول فيه بمنزلة المفعول به وهو مجاز حكمي حيث جعل يوم الدين مملوكًا. **قوله**:

(يـا سـارق الـليـلة أهـل الـدار[٣])

---

(١) في القاموس: راج رواجًا نفق رَوَّجْتُه ترويجًا نفقته.اهـ. ١٢ منه.

(٢) أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكفار. ١٢ منه.

(٣) وقال بعض أرباب الحواشي: إن انتصابِ أهلِ الدار بمقدر أي احذر فإنهم منتبهون. ١٢ منه.

(أي مالك الأمر كله في يوم الدين. والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده،

وجه الاستشهاد أنه جعل الليلة مسروقة وإنما هي مسروق فيها، وأهل الدار منصوب بسارق، يقال سرقه مالًا يَسْرِقه من باب ضرب، ويسرق منه مالًا يتعدى إلى الأول بنفسه وإلى الثاني بالحرف، وقد يُحذَف فيتعدى له بنفسه كما في المصباح لاعتماده على حرف النداء كما في قولك: يا ضاربًا زيدًا، أو يا طالعًا جبلًا.

والسرّ في كون الاعتماد على حرف النداء مُقَوِّيًا لعمل اسم الفاعل أن حقّ النداء أن يتعلق بالذات، واقتضى بذلك أن يقدّر قبله موصوف، مثل يا شخصًا ضاربًا كأنه اعتمد على صاحبه الذي هو الموصوف ونحو ما يقوِّي عمله، وذلك أن اسم الفاعل مثلًا موضوع لذات مبهمة قام بها الحدث الذي هو مأخذ اشتقاقه فلا يقتضي مفهومه بهذه الحيثية لا فاعلًا ولا مفعولًا، فاشترط لعمله تقويته بذكر ما يخصص تلك الذات المبهمة قبله سواء كان ذلك المُخَصِّص مبتدأ في التركيب نحو: زيد ضارب عمرًا، أو كان مبتدأ في الأصل نحو: كان زيد ضاربًا عمرًا، وأن زيدًا ذاهب أبوه أو موصوفًا نحو: جاءني رجل ضارب زيدًا، أو ذا الحال نحو: جاءني زيد راكبًا جملًا.

قوله: **(أي مالك الأمرِ كُلِّه في يوم الدين)** يعني أن الظرف وإن أُجرِي مجرى المفعول به فهو ظرف في المعنى، والمفعول محذوف يشهد لعمومه الحذف بلا قرينة خصوص. **قوله**: **(والتخصيص بيوم الدين)** أي بإضافة مالك إليه مع أنه تعالى مالك للأمور كلها في جميع الأيام والأوقات، أو بإضافة ملك إليه إن قُرِىء بدون الألف **(لأن الأمر فيه لله وحده)** فإنه تعالى منفرد بالمُلْك في ذلك اليوم لزوال تلك الملوك وانقطاع أمرهم ونهيهم، فهذا كقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرقان: الآية ٢٦].

واليوم في اللغة الوقت مطلقًا ليلًا كان أو نهارًا طويلًا كان أو قصيرًا. وفي العُرْف هو المدة من طلوع الشمس إلى غروبها. وفي الشرع ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، والمراد في الآية مطلق الوقت لعدم الشمس.

وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل

قوله: **(وإنما ساغ وقوعه)** أي جاز وقوع مالك صفة للمعرفة... الخ إشارة إلى جواب ما يقال من أن قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ نكرة لكون الإضافة فيه لفظية لكونها من قبيل إضافة الصفة إلى معمولها، فالمضاف في مثله لا يتعرَّف بالإضافة بل يبقى نكرة على حاله فكيف يصحّ أن يقع صفة للمعرفة، ومحصول الجواب أن إضافة مالك ليست من معموله لأن المراد من عمل اسمي الفاعل والمفعول هو عملهما المشروط بكونهما للحال أو الاستقبال وذلك العمل هو عملهما في المفعول به ونحوه إذ لا يشترط ذلك في عملهما في المرفوع وفي الظرف وفي الجار والمجرور وفي الحال وفي المفعول المطلق فإنه يجوز عملهما في ذلك مطلقًا أي في أحد الأزمنة الثلاثة، والظرف الذي أُضيف إليه ﴿مالك﴾ إن أُجْرِي مجرى المفعول به كانت إضافة ﴿مالك﴾ إليه بمعنى اللام لا بمعنى في إلا أنها ليست من قبيل إضافة اسم الفاعل إلى معموله، فإنها إنما تكون كذلك لو لم تكن إضافة ﴿مالك﴾ إليه مبنية على الاتّساع في الظرف بأن كان الظرف متعلقًا بقوله مالك، وكانت الإضافة بمعنى اللام حقيقة وليس كذلك فإن كانت متعلقة عن اليوم فالتقدير ﴿مالك﴾ الأمر كله يوم الدين، والظرف هو المفعول فيه حقيقة، وقوة الإضافة أن تكون بمعنى في إلا أن أرباب المعاني يعدّون مثله من قبيل المجاز الحكمي والإسناد المجازي ويذهبون فيه إلى طريق الاتّساع في الظرف ولا يقدّرون كلمة في بلْ يجعلون الإضافة في جميع ذلك بمعنى اللام ويجعلون اليوم ضاربًا، والليل ماكرًا في ضرب اليوم ومكر الليل، ويجعلون الليلة مسروقة في قوله: يا سارق الليلة أهل الدار، وكذا يجعلون يوم الدين مملوكًا في ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، ويجعلون النهار صائمًا والليل قائمًا في صام نهاره وقام ليله وجعل الإضافة في الأمثلة المذكورة بمعنى في إنما هو كلام النحاة وهو كلام صادر عمّن يقصر نظره على اعتبار المعاني الأول ويطبق اللفظ عليها. وأما المُحَقِّقون الذين يرون ارتفاع بيان الكلام منوطًا برعاية الاعتبارات المناسبة للحال والمقام فإنهم لا يقدّرون في مثله كلمة في ويجعلون الإضافة بمعنى اللام، فالقول بأن اللام قد تكون بمعنى في كلام أهل الظاهر، ولمّا كانت إضافة اسم الفاعل إلى الظرف في نحو: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ مبنية على الاتّساع بإجرائه مجرى المفعول

(إضافة غير حقيقية لأنه أُريد به الاستمرار) فكانت الإضافة حقيقية، فساغ أن يكون صفة للمعرفة.

(وهذه الأوصاف) التي أُجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربًا أي مالكًا للعالمين ومنعمًا بالنعم كلها ومالكًا للأمر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ **(دليل)** على أن مَن كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ «إيا» **(عند الخليل)** وسيبويه اسم مضمر، والكاف حرف خطاب عند سيبويه

به لم تكن إضافة الاسم إليه من قبيل إضافة الصفة إلى معمولها الذي يشترط في عملها فيه كونها بمعنى الحال والاستقبال حتى تكون إضافتها إلى الظرف المذكور لفظية فلا تتعرف بالإضافة بل هي مضافة إليه غير مقيدة بشيء من الزمان الماضي والحال والاستقبال بل ملحوظة على الإطلاق بحيث يُستَفاد منها معنى الاستمرار، وعلى هذا التقدير لا يكون اسم الفاعل عاملًا تكون إضافته إلى معموله لفظية فتكون حقيقته أي معنوية مفيدة بتعرّف المضاف من المضاف إليه فلذلك صحّ وقوعه صفة للمعرفة ولم يتعرَّض لإضافة ملك لعدم الاشتباه في أن إضافته معنوية لأنه من إضافة الصفة المشبَّهة إلى غير معمولها، فلذلك لا تعمل النصب أبدًا، ألا ترى إلى قولهم في تمثيل الإضافة اللفظية والصفة المشبهة إلى فاعلها، فقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ مثل ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: الآية ٢] على القول بأن ربّ نعت في أن الإضافة بينهما معنوية، وإنما تكون لفظية إذا أُضيفت إلى فاعلها كما في حسن الوجه. **قوله:** **(إضافة غير حقيقية)** أي غير معنوية بل لفظية، وهي إضافة الصفة إلى معمولها وما عداها معنوية، وإضافة اللفظية لا تفيد التعريف بل التخفيف في اللفظ فقط. **وقوله:** **(لأنه)** أي الشأن متعلق بقوله: إنما ساغ **(أُريد به)** أي باسم الفاعل **(الاستمرار)**. **وقوله:** حقيقة أي معنوية لا لفظية. **قوله:** **(وهذه الأوصاف)** مبتدأ. **قوله:** **(دليل)** خبر لقوله هذه الأوصاف... الخ.

قوله: **(عند الخليل)** بن أحمد البصري وهو أُستاذ سيبويه إمام النحو أخذ عن أبي عمرو بن العلاء البصري وأحد مشائخ القراءات السبع. والخليل هو الذي قال صاحب إعراب الفاتحة في شأنه: لم يتقدم مثله، ولم يُخلَق مثله. وقال المحقِّق الشريف في حاشية الكشاف: وهو أعلى كعبًا من سيبويه، وسيبويه

ولا محل له من الإعراب، وعند الخليل هو اسم مضمر أُضيف «إيا» إليه لأنه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل. وقال للكوفيون: إياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، والمعنى **(نخصّك بالعبادة وهي)** أقصى غاية الخضوع والتذلّل، **(ونخصّك بطلب)** المعونة، وعدل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات، **(وهو قد يكون)** من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم **(كقوله تعالى)**: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: الآية

مركب من سيب فارسي وهو التفاح، وويه وهو صوت لقب إمام النحاة عمرو بن عثمان الشيرازي، وإنما لُقِّب به لانتشار رائحته كما ينتشر رائحة التفاح. **قوله: (نخصك بالعبادة)**... الخ. أي نفردك ونميِّزك بها ونقصرها عليك ولا نعبد ولا نستعين بأحد غيرك على أن تكون الباء داخلة على المقصور، وقد تدخل على المقصور عليه كما في قوله: الجرّ مختصٌ بالاسم، فإن الجر مقصور والاسم مقصور عليه. **قوله: (وهي)** أي العبادة أقصى غاية الخضوع. أقصى بمعنى أبعد، والمراد بُعْد البُعْد المعنوي والغاية النهاية إضافة أقصى إلى الغاية للمبالغة في النهاية فإن للخضوع حدودًا ونهايات، ولفظ الغاية شاملة لها لكونه اسم جنس مضاف، والعبادة هي الطاعة مع التذلّل، والخضوع الذلّ، والتعبيد التذليل. يقال: طريق مُعَبَّد إذا كان مُذَلَّلا بالأقدام. المُذَلَّل هنا إما من الذلّ بالضم بمعنى الإهانة أو من الذلّ بالكسر وهو السهولة واللّين، ومعبد كمكرم بمعنى مذلّل لكثرة وطئه.

قوله: (ونخصّك بطلب) المعونة فيه إشارة إلى أن السين في نستعين للطلب. **قوله: (وهو قد يكون)**... الخ أنواعه ستة باعتبار الانتقال من كلٍّ من الطرق الثلاثة؛ أعني التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخرين، إلا أن المصنّف رحمه الله اقتصر على ذِكر الأشهر الأكثر. **قوله: (كقوله تعالى)**:... الخ. مقتضى الظاهر أن يقال: ﴿وَجَرَيْنَ﴾ [يونس: الآية ٢٢] بكم بالخطاب بدل ﴿بِهِم﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وأن يقال: فساقه بالغيبة بدل ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: الآية ٩] لأن المراد بضمير الخطاب في ﴿كُنتُمْ﴾ [يونس: الآية ٢٢] وبالضمير المجرور في ﴿بِهِم﴾ [يونس: الآية ٢٢] واحد وكذا بضميري قوله: ﴿أَرْسَلَ﴾ [فاطر: الآية ٩]، وقوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: الآية ٩] وهو ظاهر.

٢٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر: الآية ٩]، **(وقول امرىء القيس)**:

(تطاول ليلك) بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود

قوله: (وقول امرىء القيس)... الخ قائله امرؤ القيس بن عانس بالنون والسين المهملة ابن المنذر بن امرىء القيس بن السمط الكندي على الأصح المعروف عند الرواة وهو صحابي وَفَدَ على النبي ﷺ وكان نزل الكوفة. وفي الصحابة عدة رجال يُسَمَّون بامرىء القيس غيره. وقيل إن قائله امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المعروف وهذا هو الثابت في كتاب أشعار الشعراء الستة، وعليه صاحب المفتاح وأكثر أهل المعاني. ونص ابن دريد على أنه وَهْم. ومعنى امرىء القيس رجل الشدّة لأن القيس في اللغة الشدة.

قوله: (تطاول ليلك) إلى آخره من البحر المتقارب ليلك بتذكير الخطاب وإن كان للنفس بتأويل المكروب يدلّ عليه تذكير لم ترقد[1] وبات، والأثمد بفتح الهمزة وضم الميم. ورُوِيَ فتحها أيضًا اسم موضع. وأما الإثمد بكسرهما فهو حجر يُكتَحَل به، كذا قيل. وقيل: إنهما لغتان بمعنى واحد وهو الموضع ولا ينافي كون الإثمد بكسرتين بمعنى الحجر الذي يُكتَحَل به وكونه موضعًا آخر. والخَلِيُّ: الخالي من الهَمِّ والحزن والخطاب في قوله: ليلك، ولم ترقد لنفسه والتفت من الخطاب إلى الغيبة حيث قال وبات والظاهر أن يقول وبت، وبات تامّة بمعنى أقام ونزل ليلًا سواء نام أو لم ينم وضميره راجع إلى النفس وباتت عطف على بات وفاعله ليلة على الإسناد المجازي والظرف أعني له حال منه وهي إما تامّة فقوله كليلة حال ثانٍ أو مفعول مطلق أي بيتوتة مثل بيتوتة ذي العائر وإما ناقصة فهو خبره فيفيد استغراق جميع زمان الليل فالمعنى كان بيتوتة ليلة مثل ليلة ذي العائر في جميع الليل في الزمان الماضي والعائر بمعنى العوار وهو القذى الرطب الذي تلفظه العين حين الوجع والأرمد مَن وجعته عينه، يقال: رمِد بالكسر

---

(١) فإنه تذكير وإلا قيل لم ترقدي، بإضمار الضمير. ١٢ منه.

فالتفت في الأبيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءك، والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل (من أسلوب) إلى أسلوب أدخل في القبول عن السامع وأحسن (تطرية

إذا هاجت عينه والمراد تشبيه نفسه في القلق والاضطراب بذي العائر وتشبيه ليلته في الوحشة والطول بليلته. وقوله وذلك أي ما ذكرته من المشاق لأجل نبأ جاءني وخُبِّرتُ ذلك النبأ عن أبي الأسود الذي هو أبو الشاعر، وذلك النبأ هو خبر قتل أبيه وكنيته أبو الأسود. وقيل: أبي أب مضاف لياء المتكلم، والأسود صفته وهو أفعل من السواد والقصيدة مرثية له وفي جاءني التفات من الغيبة إلى التكلّم فالبيت المذكور مشتمل على ثلاثة التفاتات: الأول في ليلك فإنه التفات من التكلّم إلى الخطاب إذ القياس ليلي وإن لم يسبق ضمير المتكلم عن نفسه بطريق التكلم به وعدل عنه إلى طريق الخطاب فإن مثله التفات عند السكاكي، والالتفات الثاني من بات فإنه التفات من الخطاب إلى الغيبة إذ القياس وبتّ على الخطاب، والثالث جاءني فإنه التفات من الغيبة إلى التكلم والقياس جاءه فهو باعتبار الالتفات الثاني نظير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: الآية ٢٢]، وباعتبار الالتفات الثالث نظير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [فاطر: الآية ٩] الآية، فظهر أن المصنف رحمة الله عليه اختار في الالتفات ما ذهب إليه السكاكي من أنه يكفي في الالتفات أن يكون التعبير بأحد الطرق الثلاثة عدولاً عن مقتضى الظاهر منْ حيث إن الظاهر أن يعبّر عنه بطريق آخر منها سبق التعبير بالطريق المعدول عنه تحقيقًا، بل يكتفي بالعدول عنه تقديرًا بأن يقتضي الظاهر التعبير به ولا يعبّر ويعدل عنه إلى طريق آخر في قوله: تطاول ليلك، فإن الشاعر خاطب نفسه مع أن الظاهر أن يقول ليلي وعدل عنه إلى طريق الخطاب ولم يسبق التعبير بطريق التكلم فهذا إنما يكون التفاتًا بالمعنى الأعمّ ولا التفات عند الجمهور لأنهم يشترطون سبق التعبير بالطريق المعدول عنه. **قوله**: (من أسلوب)... الخ. الأسلوب بضم الهمزة الطريق والفن فيصحّ إرادة كل واحدة منهما. **قوله**: (تطريةً) بالياء دون الهمزة، أي تجديدًا واحدًا من طريت الثوب إذا عملت به ما يجعله كأنه جديد والتطرئة بالهمزة بمعنى الإيراد والإحداث من طرأ عليه إذا ورد وحدّث والأول أنسب بهذا الموضع وإن كان صحيحًا أيضًا.

لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه)، وقد تختصّ مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا (**للحذاق المهرة**) والعلماء (**النحارير وقليل ما هم**). ومما اختصّ به هذا الموضع (**أنه**) لما ذكر (**الحقيق بالحمد والثناء، وأجرى**) عليه (**تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم**) عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات (**فخوطب**) ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل: إياك يا مَن هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك. (**وقدمت العبادة على الاستعانة**

والتطرية فائدة عامّة:

للالتفات من جهة المتكلم مع قطع النظر عن جانب السامع وهي تقرّره واتّساعه في إيجاد الكلام وإظهار قدرته عليه وتمكّنه منه وتنشيط السامع أي إحداث النشاط له في سماع الكلام واستجلاب حُسْن إصغائه إليه بلطف انعطافه.

فائدة أخرى عامّة له، إلا إنها من جهة السامع:

قوله: (**لنشاطه**) أي السامع فإن في كل جديد لذّة، وفائدة النشاط أن يصغي السامع إلى الكلام حقّ الإصغاء. **قوله**: (**وأَمْلأ لاستلذاذ إصغائه**) الإصغاء گوش نهادن في المصباح، أصغيت الإناء بالألف أمَلْته، وأصْغَيت سمعي ورأسي كذلك. انتهى. **قوله**: (**للحذّاق**) جمع الحاذق، حذق الرجل في صنعته من باب ضرب وتَعِبَ حذقًا مهَر فيها وعرف غوامضها ودقائقها، كذا في المصباح. **قوله**: (**المَهَرَة**) جمع الماهر، مَهَر في العلم وغيره يَمْهَرُ بفتحتين مُهور أو مَهارة، فهو ماهِر أي حاذق عالِم بذلك، ومهَر في صناعته ومهر بها ومهَرها أتقنها معرفة، كذا في المصباح. **قوله**: (**النحارير**) جمع النحرير وهو الكامل في العلم. **قوله**: (﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [صَ: الآية ٢٤]) أي وهم قليل، وما مزيدة للإبهام والتعجُّب من قلّتهم. **قوله**: (إنه) أي الشأن لما ذكر، أي العبد. **قوله**: (**الحقيقَ بالحمد والثناء**) وهو الله عزَّ وجلَّ. **قوله**: (وأجرى) أي العبد. **قوله**: (**تلك الصفات العِظام**) أي ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. **قوله**: (**تعلق العلم**) أي علم العبد. **قوله**: (بمعلوم)... الخ، هو الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (فخوطب) أي أُريد به خطابه. **قوله**: (**وقدّمت العبادة على الاستعانة**) مع أن العبد لا يقدر على شيء من أفعاله الحميدة التي من جملتها أداء العبادات إلا بإعانة مولاه، فمن حقه أن يقدِّم طلب المعونة في جميع مهماته وهي أداء العبادة

لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة، **(أو لنظم الآية كما قدم الرحمـٰن، وإن كان الأبلغ لا يقدم)**. وأطلقت الاستعانة **(لتتناول كل مستعان، فيه)**، ويجوز أن يراد الاستعانة به **(وبتوفيقه)** على أداء العبادات ويكون قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ بيانًا للمطوب من المعونة كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ أي ثبتنا على **(المنهاج)** الواضح كقولك للقائم: قُم حتى **(أعود)** إليك أي أثبت على ما أنت عليه. أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال. وهدى يتعدّى بنفسه إلى مفعول واحد، فأما تعدّيه إلى مفعول آخر فقد جاء متعديًا إليه بنفسه كهذه الآية، وقد جاء متعديًا باللام وبإلى كقوله تعالى: ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وقوله: ﴿هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: الآية ١٦١]. والسراط: **(الجادة من سرط)** الشيء إذا ابتلعه **(كأنه)** يسرط السابلة إذا سلكوه. والصراط من قلب السين صادًا **(لتجانس الطاء في الإطباق**

بخصوصها ثم يذكر تخصيص العبادة به تعالى. **قوله**: **(لأن تقديم الوسيلة)**... الخ، ولذا قدَّم الثناء على الله تعالى على الدعاء. **قوله**: **(أو لنظم الآية)** أو نقول قدَّم العبادة ليطابق نظم الآي في قوله: ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ مع قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾. **(كما قدَّم الرَّحمـٰن)** على الرحيم في الفاتحة ليطابق ما في البسملة **(وإن كان الأبلغ لا يقدّم)** بل العكس أولى لأن الترقّي من الأدنى إلى الأعلى شائع في استعمالهم. **قوله**: **(لتتناول كل مستعان فيه)**، أي عليه. **قوله**: **(وبتوفيقه)** عطف تفسير:

قوله: **(المنهاج)** أي الطريق. **قوله**: **(أعود)** أي أرجع. **قوله**: **(الجادّة)** شاه راه جواد جمع منتهى الأرب وفي المصباح المنير، الجادَّة وسط الطريق ومعظمه، والجمع الجواد مثل دابة ودواب. **قوله**: **(من سَرِط)** بكسر العين. **قوله**: **(كأنه)** أي الطريق يَسْرَط السابلة، السابلة: الطريق ومَن يسلكها، والمراد الثاني، أي يبتلع سالكي السُّبُل من المسافرين، يعني لمّا قطعوا المسافة وغابوا صاروا كأنهم أكلتهم الطريق وابتلعتهم.

قوله: **(لتجانس الطاء في الإطباق)** يعني أن الصاد توافق الطاء في الاستعلاء والسين تباين الطاء لأن الطاء مُستَعلية ومجهورة، والسين منخفضة مهموسة، والصاد

لأن الصاد) والضاد والطاء والظاء من حروف الإطباق، **(وقد تشمّ)** الصاد صوت الزاي لأن الزاي إلى الطاء أقرب **(لأنهما مجهورتان**

وإن كانت مهموسة لكنها مُستَعلية تناسب الطاء. وحروف الاستعلاء سبعة انحصرت في خُصَّ ضَغطٍ قِظْ، وسُمِّيت مُستَعلية لاستعلاء اللسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى وما عداها مُسْتَفِلة لانخفاض اللسان عن الحنك عند لفظها.

قوله: (لأن الصاد)... الخ وهي من جملة الحروف المستعلية وأخص منها، سُمّيت بها لإطباق ما يحاذي اللسان من الحنك على اللسان عند خروجها وهو لغة الالتصاق وضدّها المنفتحة وسُمِّيت بها لانفتاح ما بين اللسان والحنك وخروج الروح من بينهما عند النطق بها ولغة الافتراق.

قوله: (وقد تشمّ)... الخ. الإشمام هنا خلط[١] الصاد بالزاي وعرَّفه الفرّاء بخلط حرف بآخر وهو في الوقف أن تضمّ شفتيك بعد الإسكان إشارة إلى ضمة الحركة من الكلمة الموقوف عليها إذا كانت تلك الكلمة مرفوعة أو مضمومة وتترك بينهما بعض انفراج ليخرج النفس فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم أنك أردت بضمّها الإشارة إلى حركة آخر الكلمة الموقوف عليها فهو شيء يختص بإدراكه العين دون الأُذن لأنه ليس بصوت يسمع وإنما هو تحرّك عضو فلا يدركه الأعمى واشتقاقه من الشّمّ كأنك أشمَمْت الحرف رائحة الحركة بأن هيَّأت العضو للنطق بها، والمرادُ من الإشمام هو الفرق بين ما هو متحرّك في الأصل فأسْكِن للوقف، وبين ما هو ساكن في كل حال وله معانٍ أُخر سيأتي تفصيلها في سورة يوسف إن شاء الله تعالى والزاي اسم هذا الحرف المعجم بياء بعد الألف للفرق بينهما وبين الراء المهملة وقُرِىء بالزاي الخالصة أيضًا.

قوله: (لأنهما مجهورتان)، الجهر في اللغة الصوت القوي الشديد وسُمِّيت مجهورة لمنع النفس وحصره أن يجري معها لقوتها وقوة الاعتماد عليها عند

---

(١) أي خلط صوت الصاد بصوت الزاي فيمتزجان فيتولّد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي، والصاد هو الأصل، والأكثر كما يستفاد من الإشمام وهو شائبة رائحة الزاي وأصله من أشممته الطيب أي أوصلت إليه شيئًا يسيرًا مما يتعلّق به وهو الرائحة. ١٢ منه عُفِي عنه.

وهي **قراءة حمزة، والسين قراءة ابن كثير)** في كل القرآن وهي الأصل في الكلمة، والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش **(وهي الثابتة في)** المصحف **(الإمام)**، ويذكر ويؤنّث كالطريق والسبيل، والمراد به طريق الحق وهو ملّة الإسلام.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ **(بدل من الصراط)** وهو في حكم تكرير العامل، **(وفائدته)** التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين

خروجها وضدّها المهموسة، والهمس في اللغة الخفاء وسُمّيت مهموسة لجريان النَّفَس معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها، والحروف المهموسة عشرة مجتمعة في فَحَثَّه شَخْصٌ سَكَتَ. **قوله: (وهي قراءة حمزة)** بن حبيب الزيّات الكوفي.

قوله: (والسين قراءة ابن كثير) هو عبد الله بن كثير المكي. **قوله: (وهي الثابتة في الإمام)** أي المثبتة كتابةً وخطًّا في مصحف الإمام كما في نسخة فيما قد وصل رسمه إلينا من طريق علمائنا الأعلام. وفي نسخة أخرى في المصحف الإمام، والمراد بمصحف الإمام هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه المُسَمَّى إمامًا عند القرّاء والمُفَسِّرين وغيرهم فإن الإمام لغة ما يُؤتَمّ ويُقتَدَى به فيتبع وإن لم يكن من العقلاء ولهذا أُطلِق على اللوح والكتاب كما قال تعالى ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةً﴾ [هُود: الآية ١٧]، وهو الذي اتخذه لنفسه يقرأ فيه كما قاله الشيخ زكريا وليس هو بخطه كما توهّمه بعضهم إذ هو أمر زيد بن ثابت كاتب الوحي وغيره بأن يكتبوا المصاحف المتعددة وأرسلها إلى مواضع مختلفة واختار واحدًا منها لنفسه ولأهل المدينة وما بقي منها شيء. والأظهر أن المراد بمصحف الإمام جنسه الشامل لما اتخذه لنفسه في المدينة ولما أرسل إلى مكة والشام والكوفة والبصرة وغيرها.

قوله: (بدل من الصراط) أي بدل كل من كل. **قوله: (وفائدته)** أي البدل التأكيد لما فيه من التثنية والتكرير كشاف. اهـ. **قوله**: على أبلغ وجه وآكده لأنه جعل كالتفسير والبيان له.

ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون والأنبياء عليهم السلام (أو قوم موسى) قبل أن يغيروا ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ (بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾)، يعني أن المنعم عليهم هم الذين

قوله: (أو قوم موسى) وعيسى قبل أن يغيّروا دينهم وقبل أن يحرِّفوا التوراة والإنجيل وقبل أن تُنسَخ شريعتهم، وهذا منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وخصّا لشُهرة أمرهما وكثرتهما ووجودهما في عصر نبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام. والتحريف تغيير ما في الكتابين كذكر نبيِّنا ﷺ حيث أرادوا إخفاءه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣٢].

واعلم أن التوراة والإنجيل اللذين عند اليهود والنصارى الآن اختُلِف فيهما هل هما مُبدلان ومُحَرَّفان لفظًا أو تأويلًا، فأما التوراة فأفرط فيها قوم وقالوا كلها أو جُلّها مُبدَّل حتى جوّزوا الاستنجاء بها فليست المُنَزَّلة على موسى عليه الصلاة والسلام. وذهبت طائفة من الفقهاء والمحدِّثين إلى أن ذلك إنما وقع في التأويل فقط كما صرَّح به البخاري واختاره الفخر الرازي وغيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٣]، وهو أمر للنبي ﷺ بالاحتجاج بها والمُبدَل لا يُحتَجّ به ولما اختلفوا في الرَّجم لم يمكنهم تغيير آية وتوسّطت طائفة وهو الحق فقالوا: بُدِّل بعضٌ منها وحُرِّف لفظه وأُوِّل بعضٌ منها بغير المراد منه وإن لم يُعطِ منها موسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل غير سورة واحدة وجعل ما عداها عند أولاد هارون فلم تزل عندهم حتى قُتِلوا عن آخرهم في وقعة بخت نصَّر، وبعد ذلك جمع عُزَير بعضًا منها ممّن حفظها فهو الذي عندهم اليوم وليس أصلها وفيه زيادة ونقص واختلاف ترجمة وتأويل.

وأما الإنجيل ففيه تبديل وتحريف في بعض ألفاظه ومعانيه وهو مختلف النسخ. والأناجيل أربعة كما فصَّله بعضهم في كتاب عقده لذلك سمّاه: المفيد في التوحيد، كذا في عناية القاضي وكفاية الراضي. **قوله**: (بدل من ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾)، قدَّم البدلية إشارة لترجيحها لِما فيه من وجوه المبالغة وهو بدل كل من كل.

سلموا من غضب الله والضلال أو صفة للذين، يعني أنهم جمعوا بين النعمة **(المطلقة)** وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال. وإنما **(ساغ)** وقوعه صفة للذين وهو معرفة و﴿غَيْرِ﴾ لا يتعرّف بالإضافة **(لأنه إذا وقع بين متضادّين)** وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو «عجبت من الحركة غير السكون». والمنعم عليهم و(﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾) متضادان، ولأن «الذين» قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم و﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته، **(فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا. و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى محلها النصب على المفعولية، ومحل الثانية الرفع على الفاعلية.)**

قوله: (المطلقة) الكاملة. **قوله: (ساغ)** أي جاز. **قوله: (لأنه إذا أُوقع بين متضادّين)**... الخ. تقريره أن غير إنما يكون نكرة إذا لم يقع بين ضدّين، وأما إذا وقع بين ضدّين فحينئذ يتعرَّف بالإضافة ويزول إبهامه من حيث إضافته ـ يعني أن المراد به ضدّ الآخر كقولك النقلة هي الحركة غير السكون فإن لفظ غير لمَّا أُضيف إلى ما له ضدّ واحد علم أن المراد به هو الحركة والآية من هذا القبيل لوقوع «غير» فيها الشابين الضدّين فإن كل واحد من المؤمنين الكاملين و﴿(ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ضدّ الآخر فلما أُضيف غير إلى أحدهما تعيَّن أن المراد به الآخر فتعرف بالإضافة، فلذلك وُصِفت المعرفة به.

قوله: (فكل واحد منهما فيه) أي في كل واحد **(إبهام من وجه)** نظرًا إلى المعنى **(واختصاص)** أي تعريف **(من وجه)** نظرًا إلى لفظ الموصول وإضافة غير **(فاستويا)** الموصوف والصفة.

قوله: (و﴿عَلَيْهِمْ﴾ الأولى محلها النصب على المفعولية ومحل الثانية الرفع على الفاعلية) على معنى الذين غضب عليهم ولا ضمير فيه إذ لا يتعدّى إلا بحرف جر كالمنظور إليهم والمرغوب فيهم ولذلك لم يجمع لأن اسم الفاعل والمفعول إذا عمل فيما بعده لم يُجمَع جمع السلامة لقيامهما مقام الفعل. وفي القرطبي وفي ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عشر لغات قُرِيء بعامّتها ﴿عليهُم﴾ بضم الهاء وإسكان الميم و﴿عليهِم﴾ بكسر الهاء وإسكان الميم و«عليهمي» بكسر الهاء والميم وإلحاق ياء بعد الكسرة و«عليهِمُو» بكسر الهاء وضمّ الميم وزيادة واو بعد الضمة و﴿عليهُمُو﴾ بضم الهاء والميم وزيادة واو بعد الميم و﴿عليهُمْ﴾ بضم الهاء والميم من غير زيادة واو.

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ﴾) إرادة الانتقام من المكذبين (**وإنزال العقوبة**) بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده.

(وقيل: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾) هم اليهود (**لقوله تعالى**: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٦٠]) والضالّون هم النصارى (**لقوله تعالى**: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: الآية ٧٧])، «ولا» زائدة عند البصريين (**للتوكيد**)،

وهذه الأوجه الستة مأثورة عن الأئمة القرّاء وأوجه أربعة منقولة عن العرب غير محكية عن القرّاء «عليهمي» بضم الهاء وكسر الميم وإدخال ياء بعد الميم حكاها الأخفش البصري عن العرب و«عليهُمِ» بضم الهاء وكسر الميم من غير زيادة ياء و«عليهِمُ» بكسر الهاء وضم الميم من غير إلحاق واو و«عليهِمِ» بكسر الهاء والميم ولا ياء بعد الميم وكلها صواب، قاله ابن الأنباري. انتهى.

قوله: (﴿وَغَضِبَ اللَّهُ﴾ [النساء: الآية ٩٣]). . . الخ. يعني لمّا تعذّر حمل الغضب على الله تعالى على الحقيقة لأنه تغيير يعتري الإنسان عند غليان الدم وجب حمله على إرادة الانتقام. . . الخ.

قوله: (**وإنزال العقوبة**) بكسر اللام عطف على الانتقام وكذا وإن يفعل والحاصل أنه إذا أُطلق على الباري ما هو حقيقة في الأعراض النفسانية المستحيلة عليه يحمل على ما هو غاية فيه كالترك في الاستحياء أو سبب كإرادة الانتقام في الغضب أو مسبّب عنه كالإنعام في الرحمة أو نحو ذلك. **قوله**: (**وقيل**: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾). . . الخ. وقال ﷺ: «**إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالّين النصارى**» رواه ابن حبان وصحّحه. وإنما سمّى كل من اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضالّ لاختصاص كلٍّ منهما بما غلب عليه. **قوله**: (**لقوله تعالى**: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٦٠])، كان اليهود يزعمون أن المسلمين مُستوجِبون العقوبة فقيل لهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٦٠] شرٌّ عقوبةً في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات.

قوله: (**لقوله تعالى**: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: الآية ٧٧]) أي قبل مَبعَث النبي ﷺ في شريعتهم. **قوله**: (**للتوكيد**) بالواو أفصح من التأكيد بالهمزة

وعند الكوفيين (هي بمعنى الغير. آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب) كما (أن «رويدًا») اسم لأمهل. (وعن ابن عباس) ﵄ سألت رسول الله ﷺ عن

والتأكيد بالألف أي لتوكيد معنى النفي المفهوم من «غير» لئلا يتوهّم عطف ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ على ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

قوله: (هي بمعنى الغير) وهذا قريب من كونها زائدة فإنه لو صرَّح بغير كانت للتأكيد أيضًا.

قوله: (آمين صوت)... الخ. أي لفظ بل كلمة بل اسم إلا أنهم يعبرون عن مثل هذه الأسماء التي لا تعرف لها تصرّف واشتقاق بالصوت.

قوله: (سُمّي به الفعل الذي هو اسْتَجِب) تحقيق لكونه اسمًا مع أن مدلوله طلب الاستجابة كاستجب يعني أن دلالته على معنى استجب ليست من حيث إنه موضوع لذلك المعنى ليكون فعلًا بل من حيث إنه موضوع لفعل دالّ على طلب الاستجابة وهو استجب كوضع سائر الأسماء لمدلولاتها فإن قيل كيف تكون أسماء الأفعال أسماء مع كونها دالّة على المعنى المقترن بأحد الأزمنة الثلاثة فإن آمين مثلًا يدل على طلب الاستجابة المقترنة بزمان الاستقبال وكذا شتّان وهيهات فإنهما يدلّان على الافتراق والبُعد المقترنين بزمان الماضي قلنا الأسماء المذكورة موضوعة بإزاء ألفاظ الأفعال الاصطلاحية نحو استجب وابتهل وأسرع وبعد، ونفس الألفاظ غير مقترنة بزمان فتكون الألفاظ الموضوعة بإزائها أسماء لكونها موضوعة بإزاء ألفاظ لم يعتبر اقترانها بزمان، وأما المعاني المقترنة بالزمان فهي مدلولة لتلك الألفاظ ودلالة اللفظ على المعنى المقترن بواسطة دلالة معناه الأصلي على ذلك المعنى لا تستدعي كونه فعلًا.

قوله: (أن رُوَيْدًا) اسم فعل لأمْهِل أي أنْظِر. **قوله**: (وعن ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما... الخ. قال الزيلعي رحمه الله تعالى في تخريج أحاديث الكشاف أن إسناده واهٍ جدًّا وأخرجه الثعلبي عن أبي صالح عنه.

معنى آمين (**فقال**: «**افعل**» **وهو مبني**) وفيه لغتان: مدّ ألفه وقصرها وهو الأصل والمد بإشباع الهمزة قال:

(**يا ربّ لا تسلبني حبها**) أبدًا ويرحم الله عبدًا قال (آمينا)

(**وقال: آمين فزاد الله ما بيننا بُعدًا**).

قوله: (**فقال**: «**افعل**») أي افعل فِعْل الاستجابة ليؤوّل إلى معنى استجب فهو تفسير بالمآل.

قوله: (وهو مبني) على الفتح كأيْنَ وكيفَ. **قوله**: (**يا ربّ**) الشعر رُوِيَ أنه لمّا اشتد أمر قيس المجنون ابن الملوّح في حبّ ليلى أشار الناس على أبيه الملوّح ببيت الله الحرام وإخراجه إليه والدعاء له في ذلك الموضع المُبارَك فعسى الله أن يُسْليه عنها، فذهب به أبوه إلى مكة وأراه المناسك وقال له تعلق بأستار الكعبة المعظَّمة وقل: اللّهمّ أرِحني من ليلى وحُبّها، فقال: اللّهمّ مُنّ عليَّ بليلى وقُرْبها فضربه أبوه فبكى وأنشد هذا الشعر.

قوله: (**لا تسلبني**) أي لا تسلب عنّي بالحذف والإيصال أي لا تنزع عنّي (**حبّها**). **قوله**: (آمينا) بالمدّ هو الشاهد والألف الأخير للإشباع.

قوله: (**وقال**) أي شاعر آخر:

(أمين) بالقصر (**فزاد الله ما بيننا بُعدًا**)

تَبَاعَدَ عني فطحل إذ دعوتُه

ورُوِيَ لقيتُه، ورُوِيَ سألته وهو لجبير بن الأضبط قال حين سأل فطحلًا إبله فلم يعطه إياها، وفطحل بفتح الفاء وضمّها وسكون الطاء وفتح[1] الحاء كجعفر وقُنْفُذ[2] اسم رجل من بني أسد بن خزيمة، والمعنى تباعد لأن سألته وحق أمين أن يؤخّر عن الدعاء وهو قوله: فزاد الله لأن طلب الاستجابة إنما يكون بعد الدعاء لكن الشاعر قدَّمه اهتمامًا بالإجابة. وما زائدة أو موصولة.

---

(١) رُوِي بضمّها. ١٢ منه.

(٢) في القاموس: القُنْفُذ وتفتح الفاء. ١٢ منه.

(قال عليه السلام: «لقنني جبريل) آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب». **(وقال: إنه كالختم على الكتاب. وليس من القرآن)** بدليل أنه لم يثبت في المصاحف.

قوله: (قال عليه السلام: «لَقَنِيْ جبريل») الحديث كما رواه البيهقي وغيره.

قوله: (وقال) أي النبي ﷺ في خبر آخر: **(إنه كالختم على الكتاب)** كما رواه أبو داود في سننه. وقال أبو زهير: آمين مثل الطابع على الصحيفة، والطابع اسم لِما يطبع به الصحيفة، كالخاتم اسم لما يختم به وزنًا ومعنى. ووجه كون آمين كالختم على الكتاب أنه يمنع الدعاء من الفساد الذي يترتَّب عليه خيبة الداعي وحرمانه من الإجابة، كما أن الختم على الكتاب يمنعه من الفساد المتعلق به وهو ظهور ما فيه على غير مَن كتب إليه.

قوله: (وليس من القرآن)... الخ، لأنه لم يُكتَب في الإمام ولم ينقل أحد من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أنه قرآن لكن يُسَنّ خَتْم السورة به، وينبغي أن يكون التلفّظ به بعد سكتة على نون ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ليتميَّز ما هو قرآن عن غيره. وأما كَتْبه في المصاحف فبِدعَة لا يُرضَى به.

تمَّ ما يتعلق بسورة الفاتحة بحمد الله، ومَنِّه،
نفع الله بأسرارها وأشرقَ في مِشكاة قلوبنا ساطِع أنوارها
وأعاد علينا شامل بركاتها إنه قريب مُجيب،
وحَسبنا الله ونِعْمَ الوكيل، والحمد لله أولًا وآخرًا،
والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمُرسَلين
وعلى آله وأصحابه أجمعين

ومن هٰهنا أشْرَع فيما يتعلق بسورة البقرة
مُستَعينًا بالله ومتوكِّلًا عليه

(سورة البقرة)

(مدنية) وهي مائتان (وست أو سبع وثمانون آية)..............................

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البقرة

قوله: (**سورة البقرة**)... الخ، يؤخَذ من هذا أن تسميتها بما ذُكِر غير مكروهة خلافًا لمَن قال بذلك. وقال: لا يقال ذلك لِما فيه من نوع تنقيص، وإنما يقال السورة التي تُذكَر فيها البقرة والسورة قد يكون لها اسم واحد، وقد يكون لها اسمان أو أكثر، وأسماء السور توقيفية، أي تتوقف على نقلها عن النبي ﷺ، وكذا ترتيب السور، فكان إذا تمَّت السورة يقول جبريل للنبي ﷺ: اجعل هذه السورة عَقْب سورة كذا، وقبل سورة كذا وكذا ترتيب الآيات توقيفي، فكان جبريل يقول للنبي ﷺ: اجعل هذه الآية عقب آية كذا وقبل آية كذا وكون ترتيب الآيات والسور توقيفيًّا إنما هو على الراجح. وقيل[1]: إنه ثبت باجتهاد الصحابة وعلى كلٍّ من القولين فأسماء السور في المصاحف لم يثبتها الصحابة في مصاحفهم وإنما هو شيء ابتدعه الحَجَّاج[2]. **قوله:** (مدنيَة) في المكّي والمدني خلاف كثير وأرجحه أن المكّي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة، وأن المدني ما نزل بعد الهجرة ولو في مكة أو عَرَفَة. **قوله:** (**وست أو سبع**)... الخ، مَنشَأ هذا الخلاف اختلاف المصحف الكوفي وغيره في رؤوس بعض الآي. **قوله:** (**وثمانون آية**)،

---

(١) قوله: وقيل إنه... الخ. والمختار أن الكل من النبيّ ﷺ. ١٢ منه عُفي عنه.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي الأمير والظالم المبير. قال النسائي: ليس بثقة ولا مأمون. مات سنة خمس وتسعين. ١٢ منه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾

(﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ **ونظائرها أسماء**) مسمياتها الحروف (**المبسوطة**) التي منها ركبت الكلم، فالقاف تدلّ على أول حروف قال، والألف تدلّ على أوسط حروف قال، واللام تدلّ على الحرف الأخير منه (**وكذلك ما أشبهها**). والدليل على أنها أسماء أن كلًّا منها يدل على معنى في نفسه ويتصرّف فيها (**بالإمالة والتفخيم**

قيل: أصلها آيية، كتمرة قُلِبَت عينها ألفًا على غير قياس، وقيل: آئية كقائلة حُذِفَت الهمزة تخفيفًا، وقيل غير ذلك وهي في العُرْف طائفة من كلمات القرآن متميِّزة بفصل، والفصل هو آخر الآية، وقد تكون كلمة مثل: والفجر والضحى والعصر. وكذا ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١] و﴿طه ﴿١﴾﴾ [طه: الآية ١] و﴿يسٓ ﴿١﴾﴾ [يس: الآية ١] ونحوها عند الكوفيين وغيرهم لا يسمِّيها آيات بل يقول: هي فواتح السور. **قوله**: (﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ **ونظائرها أسماء**) وليست حروفًا. **قوله**: (**المبسوطة**) أي المنشورة من بسط الشيء نشره، يعني أنها مفردة متفرقة تُجمَع فتُرَكَّب منها الكَلِم، ومنه البسيط في عُرْف الحكماء لِما يقابل المُرَكَّب أي المفردة. **قوله**: (**وكذلك ما أشبهها**) أي نظير حروف، قال مثلًا الضاد تدلّ على أول حروف ضرب، والراء على الأوسط، والباء على الأخير منه. **قوله**: (**بالإمالة**) الإمالة أن تُمال الفتحة جانب الكسرة وهي على ثلاثة أنواع: إمالة فتحة ما قبل الألف إلى الكسرة فيميل الألف نحو الياء كقولك: بِاتِا، وإمالة فتحة ما قبلها التأنيث في الوقف إلى الكسرة كما في رَحمة، وإمالة فتحة ما قبل الراء المكسورة إليها نحو: من الكِبْر، فإمالة الفتحة نحو الكسرة شاملة للأنواع الثلاثة ويلزم من إمالة فتحة ما قبل الألف نحو الكسرة إمالة الألف نحو الياء لأن الألف المَحْض لا يكون إلا بعد الفتح المَحْض، ويميل إلى جانب الياء بقدر إمالة الفتحة إلى جانب الكسرة ضرورة، فلما لزمتها لم يحتج إلى ذِكرها. **قوله**: (**والتفخيم**) هو هٰهنا إمالة الألف إلى مخرج الواو، وقد يجري في غير الألف

وبالتعريف والتنكير) والجمع **(والتصغير)** وهي معربة، وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يمسّها إعراب لفقد مقتضيه. وقيل: إنها مبنية كالأصوات **(نحو «غاق»)** في حكاية صوت الغراب، **(ثم الجمهور على أنها أسماء السور، وقال ابن عباس)** رضي الله عنهما: أقسم الله بهذه الحروف. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله عنه: إنها اسم الله الأعظم. **(وقيل: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله)**.

المنقلبة عن الواو كما سيجيىء في ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريَم: الآية ١] ويمكن أن يقال: أراد بالتفخيم ضدّ الإمالة كقولك: يا ها.

قوله: (وبالتعريف والتنكير) كقولك الألف وألف. **قوله**: (والتصغير) كقولك: أُلَيْف. **قوله**: (نحو: غاق) قال ابنُ جِنِّي[1] حكاية صوت الغُراب غاقٍ غاقٍ، فكأنك قلت: بُعْدًا بُعدًا أو فِراقًا فراقًا، وإذا قلت: غاقِ غاقِ فكأنك قلت البُعد البُعد، فصار التنوين عَلَم التنكير وتركه عَلَم التعريف. **قوله**: (ثم الجمهور على أنها أسماء السور) وهو قول أكثر المتكلِّمين واختيار الخليل وسيبويه. **قوله**: (وقال ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما أقسم الله بهذه الحروف. وقال الأخفش: إن الله تعالى أقسم بالحروف المعجمة إظهارًا لشرفها وفضلها من حيث إنها مبادىء كتبه المُنَزَّلَة بالألسنة المختلفة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العُلى وأصول كلام الأمم بها يتعارفون ويذكرون الله تعالى ويوحّدونه، ثم إنه تعالى اقتصر على ذِكر بعضها، والمراد هو الكل كما تقول: قرأت الحمد لله وقل هو الله أحد وتريد السورتين بتمامهما فكأنه قال: أُقسم بهذه الحروف التسعة والعشرين أن هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المُثبَت في اللوح المحفوظ. **قوله**: (وقال ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود من كبار العلماء من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

قوله: (وقيل: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله) قال فخر الإسلام: لا شيء من المتشابهات إلا والرسول ﷺ يعلمه بتعليم الله تعالى إياه ذلك، ومعنى قول الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: استأثر الله

---

(١) الإمام أبو الفتح المشهور، وليس إلى الجنّ وإنما هو معرب كني كما في شرح المغني. ١٢ منه.

تعالى بعلمه المتشابهات، أي استقل واستفرد به أنه لا يعلمها أحد بنفسه إلا الله لا أنه لا يعلمها أحد من البشر أصلًا لجواز أن يعلمها البعض ممَّن اصطفاه الله تعالى من خَلْقه بتعليمه وإلهام إيّاه كما في الغيب فإنه تعالى قد خصَّ بعلمه مع أن الأنبياء والأولياء يعلمونه بإلهامه تعالى وإن لم يعلموه بأنفسهم. وفي التفسير المظهري والحق عندي أنها من المتشابهات وهي أسرار بين الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يقصد بها إفهام العامّة بل إفهام الرسول صلّى الله تعالى عليه وآله ومَن شاء إفهامه من كُمَّل أتباعه. قال البغوي: قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه في كل كتاب سرّ، وسرّ الله تعالى في القرآن أوائل السور. وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجّي. وحكاه الثعلبي عن أبي بكر وعن علي وكثير، وحكاه السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وحكاه القرطبي عن سفيان الثوري والربيع بن الخيثم وأبي بكر بن الأنباري وابن أبي حاتم وجماعة من المُحَدِّثين، قال السجاوندي: المروي عن الصدر الأول في حروف التهجِّي أنها سرٌّ بين الله وبين نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد يجري بين المجرمين كلمات مَعميات يشير إلى أسرار بينهما. وقيل إن الله تعالى استأثر بعلم المقطعات والمتشابهات ما فهمه النبي ﷺ ولا أحد من أتباعه وهذا بعيد جدًا فإن الخطاب للإفهام، فلو لم تكن مفهمة[1] كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل، والخطاب بالهندي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانًا وهدًى ويلزم أيضًا الخلف في الوعد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: الآية ١٩] يقتضي أن بيان القرآن محكمه ومتشابهه من الله تعالى للنبي ﷺ واجب ضروري. ورُوِيَ عن ابن عباس أنا من الراسخين في العلم وأنا ممَّن يعلم تأويله، وكذا عن مجاهد وادّعى المجدد للألف الثاني رضي الله تعالى عنه من الأمة المرحومة التي لا يدري أولها خير أم آخرها، ولعل آخرها فوجًا هي أعرضها عرضًا وأعمقها عمقًا

(١) قوله مفهمة على صيغة المجهول من باب الأفعال، أي معلومة المراد منها بحسب العلم بالوضع، فكأن الواضع أفهمنا المعنى المراد منها، وفي هذا التعبير تنبيه على أنه لا دخل للرأي في معرفتها، بل تجب استفادتها من الغير. ١٢ محمد عبد الحي عُفِي عنه.

(**وما سميت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها**). وقيل: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد (**كالإيقاظ لمن تحدى بالقرآن. وكالتحريك**) للنظر في أن هذا المتلو عليهم (**وقد عجزوا**) عنه (**عن آخرهم**) كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم (**ليؤديهم**) النظر إلى أن يستيقنوا (**أن لم تتساقط مقدرتهم دونه**) ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله (**بعد المراجعات**) المتطاولة (**وهم أمراء الكلام إلا لأنه**) ليس من كلام البشر وأنه كلام (**خالق القوى والقدر**)، وهذا القول من (**الخلاقة**) بالقبول بمنزل.

وأحسنها حُسنًا إن الله تعالى أظهر عليه تأويل المقطعات وأسرارها لكنها مما لا يمكن بيانها للعامّة فإنه ينافي كونها سرًّا من أسرار الله تعالى، والله تعالى أعلم. انتهى. **قوله**: (**وما سُمِّيت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها**) على كل أحد هذا دليل من صاحب القيل على أنها من المتشابه لا يعلمها أحد غيره تعالى.

قوله: (**كالإيقاظ لمن تُحدِّيَ بالقرآن**) الإيقاظ مصدر أيقظه إذا نبّه من نومه، والتنبّه منه يقظة بفتحات وتسكين القاف وتُحدِّيَ بصيغة المجهول من التحدِّي وهو طلب المعارضة أو المعارضة نفسها. **قوله**: (**وكالتحريك**) عطف على كالإيقاظ على معنى أنه قصد بورودها هكذا إيقاظهم وإزالة نومهم وغفلتهم عن حال القرآن وتحريكهم للنظر فيما يؤدّي إلى معرفة أنه كلام الله تعالى. **قوله**: (**وقد عجزوا**) حال إما من الضمير المجرور في عليهم أو المرفوع المُستَكِنّ في المتلو. **قوله**: (**عن آخرهم**) صفة مصدر محذوف، أي عجزًا صادرًا عن آخرهم وهو عبارة عن شمول العجز واستيعابه لجميعهم فإن العجز إذا صدر عن آخرهم يكون صادرًا عن جميعهم. **قوله**: (**ليؤدِّيهم**) تعليل للتحريك. **قوله**: (**أن لم تتساقط**) أن مخففة أنه والضمير للشأن. **قوله**: (**مقدُرتهم**) بضم الدال وفتحها وكسرها أي قدرتهم. **قوله**: (**دونه**) أي عند هذا المتلو. **قوله**: (**بعد المراجعات**) ظرف ليأتوا. **قوله**: (**وهم أمراء الكلام**) حال من المضاف إليه في عجزهم والعامل هو المضاف، أي عجزوا وهم على صفة ينافي عجزهم. **قوله**: (**إلا لأنه**) استثناء من قوله: لم تتساقط، وما عطف عليه. **قوله**: (**خالقِ القُوى والقُدَر**) في لسان العرب القوة نقيض الضعف والجمع قُوى وقِوَى وأيضًا فيه القدر والقُدرة والمقدار القُوة. **قوله**: (**الخلَاقة**) سزاوار رشدن.

وقيل: إنما وردت السور (مصدّرة بذلك ليكون أول ما يقرع) الأسماع مستقلًا بوجه (من الإغراب) وتقدمة من دلائل الإعجاز، وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام (الأميّون) منهم (وأهل الكتاب) ـ بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصًا بمَن (خط) وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم، (وكان مستبعدًا) من (الأُمي) التكلّم بها (استبعاد الخط) والتلاوة، فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار (أنه) لم يكن ممن (اقتبس) شيئًا (من أهله حكم الأقاصيص) المذكورة في القرآن (التي لم تكن) قريش ومَن (يضاهيهم) في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوّته.

واعلم أن المذكور (في الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الألف

قوله: (مصدّرة بذلك) أي أسماء الحروف. **قوله**: (ليكون) أي التصدير. **قوله**: (أول ما يقرع) نصب على الظرف أي في أوله. **قوله**: (من الإعراب) في الصحاح أغرب الرجل جاء بشيء غريب. **قوله**: (الأمّيون) بدل من العرب. **قوله**: (وأهل الكتاب) أراد أهل الكتابة. **قوله**: (خطّ) أي كتب. **قوله**: (وكان مستبعدًا) قدَّم الخبر للاهتمام. **قوله**: (الأُمّي) الذي لا يقرأ ولا يكتب نسبة إلى الأم لأنه خرج من بطن أُمه أو نسبة إلى أُمة العرب لأنهم كانوا كذلك. **قوله**: (استبعاد الخط) أي مثل استبعاده. **قوله**: (أنه) أي النبي ﷺ. **قوله**: (اقتبس) أي استفاد. **قوله**: (من أهله) أي أهل الكتاب. **قوله**: (حكم الأقاصيص) خبر كان، أي وكان حكم النطق بأسامي الحروف مثل حكم النطق بالأقاصيص جمع القَصَص. **قوله**: (التي لم تكن)... الخ صفة الأقاصيص. **قوله**: (يُضاهيهم) أي يشابههم. **قوله**: (في الفواتح) أي أوائل السور. **قوله**: (نصف أسامي حروف المعجم) في الصّحاح العَجْم النَّقْط بالسواد وغيره كالتاء عليها نقطتان، تقول: أعجمت الحرف وعجَّمته مشدّدًا ولا تقول عجمته مُخَفَّفًا. ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطّعة يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم ومعناه حروف الخط المعجم، كما تقول: مسجد الجامع وصلاة الأولى، أي مسجد اليوم الجامع وصلاة الساعة الأولى وناس يجعلون المعجَم بمعنى الإعجام مصدرًا كالمدخل أي من شأن هذه الحروف أن تُعجَّم أي تُنَقَّط، وقد يقال إن الهمزة للسَّلب بمعنى إزالة العُجمَة كأنه لمّا نقط زالَ إبهامه والتباسه. **قوله**: (وهي الألف

واللام) والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون **(في تسع وعشرين سورة)** على عدد حروف المعجم. **(وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، من بعض الأنواع فمن المهموسة)** نصفها الصاد والكاف

واللام)... الخ راعى في هذا التعديد ترتيب السور. وأما في تعديد السور التي في فواتحها الألف واللام فقد ذكر أولًا ما هو (الٓمٓ) وهي[1] ستة ثم ما فيه مع (الٓمٓ) حرف آخر كالصاد في الأعراف والراء في الرعد ثم ما هو (الٓر) على الترتيب وهذه الأسماء الأربعة عشر نصف أسامي حروف الخط المعجم وهي الحروف المقطعة التي مجموعها ثمانية وعشرون حرفًا إن لم تعد الألف اللَّيِّنَة حرفًا برأسها بناء على أن الهمزة والألف حرف واحد بالذات إلا أنها إذا تحرَّكت يقال لها همزة وإلا فألف أو لأن الألف الليِّنة ليست حرفًا أصليًا بل هي مقلوبة من الواو والياء.

قوله: (في تسع وعشرين سورة)... الخ هي بعدد الحروف البسيطة المقطَّعة إذا عَدَّ فيها الألف الليِّنة حرفًا برأسها وإلا فهي ثمانٍ وعشرون حرفًا كما مرَّ ثمان سور من هذا السور التسع والعشرين مُفتَتَحَة بقوله: (الٓمٓ)، وخمس[2] سور منها مُفتَتَحَة بقوله: (الٓر)، وواحدة بقوله: (يٓس)، وواحدة بقوله: (كٓهيعٓصٓ)، وواحدة بقوله: (طٰه)، وسورتان[3] منها بقوله: (طسم)، وواحدة بقوله: (طس)، وواحدة بقوله: (صٓ)، وستُّ سور بقوله: (حٰمٓ)، وواحدة بقوله: (حم عسق)، وواحدة بقوله: (قٓ)، وواحدة بقوله: (نٓ)، ومجموع الأسامي المذكورة في أوائل هذه السور التسع والعشرين ثمانية وسبعون اسمًا وبعد إسقاط ما تكرَّر منها بقي أربعة عشر اسمًا وهي ما ذكره المصنِّف رحمه الله.

قوله: (وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف) أراد بالأنصاف ما هو أعمّ من التحقيقية والتقريبية لأن المذكور **(من بعض الأنواع)** نصفه تقريبًا مثل نصفه الأقل ونصفه الأكثر كما سيجيء إن شاء الله تعالى.

قوله: (فمن المهموسة)... الخ وهي عشرة أحرف ويجمعها قولك: سَتَشْحَثُكَ خَصَفَةٌ، وخصفة بفتحات اسم امرأة، والشحث: الإلحاح في السؤال

---

(١) سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. ١٢ منه.

(٢) يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر. ١٢ منه.

(٣) الشعراء والقصص. ١٢ منه.

والهاء والسين والحاء، ومن المهجورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون، **(ومن الشديدة)** نصفها الألف والكاف والطاء والقاف، ومن

وضبطها ليسهل استحضارها كقولهم: فحثه شخص سكت ونحوه ذكر منها نصفها تحقيقًا وهي خمسة: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء. ويقابلها المجهورة وهي ثمانية عشر حرفًا وهي حروف قولك: ظل ربض إذا غزا جند مطيع. وذكر منها نصفَها تحقيقًا وهو تسعة أحرف يجمعها قولك: لن يُقْطَع أمرٌ. والمهموسة وهي ما يضعف[١] الاعتماد على مخرجه ويضعف اعتماده على مخرجه لا يقوى على منع النَّفَس فيجري معه النَّفَس، وجري النفس مع الحرف مما يُضعفه فظهر أن المهموسة حروف ضعيفة في أنفسها لضعف اعتمادها على مخارجها بخلاف المجهورة فإنها قوية في أنفسها لقوة اعتمادها على مخارجها فلذلك لا يجري النَّفَس مع النطق بها بل يحتبس فإن النَّفَس الخارج من أقصى الصدر يتكيَّف كله بكيفية الصوت في المجهورة فيحصل صوت قوي يمنع خروج النَّفَس مع النطق بها بخلاف المهموسة فإن النَّفَس الخارج لا يتكيَّف كله بكيفية الصوت بل يبقى شيء منه بلا صوت فيجري مع النطق بالحرف لكن هذا الجَري وعدمه إنما يكون أبين عند تحرّك الحرف، فلهذا قيَّد تعريف الجَهْر والهمس بالتحرّك ومثَّلوا[٢] بقَقَقَ وَكَكَكَ. وقالوا: إنك تجد النَّفَس محصورًا أي مُحتَبِسًا لا يجري مع النطق بالأول وتجده جاريًا غير مُحتَبِس مع النطق بالثاني. **قوله**: **(ومن الشديدة)**... الخ، والحروف الشديدة ما ينحصر جري صوتها في مخرجها فمدار الشدة

---

(١) قوله: وهي ما يضعف، أي لا ينقطع جري النفس معه بل يمكن أن يتلفظ به ويتنفس فيحصل بصوت ضعيف وهذا معنى عدم الاعتماد، ١٢ منه.

(٢) قوله ومثلوا بققق وككك مكررات متحركات. أما التكرار، فلأنك إذا نطقت بواحد من المجهورة غير مكرر، فعقيب فراغك منه يجري النفس بلا فصل، فيظن أن النفس إنما خرج مع المجهورة لا بعده، فإذا تكرّر وطال زمان الحروف ولم يخرج مع تلك الحروف المكرّرة نفس عرفت أن الموجب لحبس النفس في المخرج هو تلك الحروف. وأما الحركة، فلتعذر النطق بها ساكنات، وكذا الكلام في المهموسة، فإنك إذا كرّرتها فإنّ جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النفس فيخرج النفس ويجري كما يجري الصوت بها، وإنما اختار الكاف والقاف للمثال؛ لأنه إذا علم التباين في المتقاربين كان ذلك في المتباعدين أظهر. ١٢ منه.

الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون، **(ومن المطبقة)** نصفها الصاد والطاء، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، **(ومن المستعلية)**

والرخاوة على الصوت كما أن مدار الجَهْر والهَمْس على النَّفَس الخارج، فالصوت المتكيّف بكيفية الحروف إما أن ينحصر ولا يجري معها أو لا ينحصر، فإن انحصر تسمى الحروف شديدة، وإن لم ينحصر تسمى رخوة. ولمّا كان انحصار الصوت في المَخرَج وجَرْيه أظهَر عند السكون قدَّروه ساكنًا ومثَّلوه بالحج والبطش والظلّ. والشديدة ثمانية أحرف وهي حروف قولك: أَجَدْتَ طبقك من الإجادة وهي جعل الشيء جيدًا والطبق معروف والمذكور منها في الفواتح أربعة وهي حروف قولك: أَقِطُكَ، أي عليك أَقِطُكَ[1] أي خذه، والأقط طعام يُتَّخَذ من اللبن وما بقي بعد هذه الحروف الثمانية الحروف الرخوة وهي عشرون بناء على أن الألف الليّنة ليست حرفًا برأسها والمذكور في الفواتح منها عشرة أحرف نصف العشرين وهي حروف قولك: حُمُسٌ على نصره، والحُمس بضم الحاء المهملة جمع أحمس مثل أحمر. يقال: حِمس بالكسر أي تشدّد وتصلَّب في الدِّين أو في القتال. والتحمّس: التشدّد والتعافي، والحماسة: الشجاعة، والأحمس: الشجاع.

قوله: (**ومن المطبقة**)... الخ، والمطبقة بفتح الباء أربعة أحرف: الصاد والضاد والطاء والظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى عند تلفظها والمنفتحة ما بقي وهي أربعة وعشرون ينفتح اللسان والحنك عند تلفّظها بل يتجافى كل واحد منهما عن الآخر عنده. والمذكور منها في الفواتح أيضًا نصفها وهو اثنا عشر حرفًا. **قوله**: (**ومن المستعلية**)... الخ. والمستعلية هي التي يتصعَّد الصوت بها في الحنك الأعلى، وسُمِّيت مستعلية لخروج صوتها من جهة العلو وهي سبعة أحرف: الصاد والضاد والطاء والظاء والخاء والغين والقاف، والثلاثة الأخيرة منها مُستَعلية غير مطبقة، والأربعة الأوَل مستعلية ومطبقة. والمذكور في الفواتح من هذه السبع نصفها الأقل وهو الصاد والطاء والقاف وما سوى هذه السبعة وهو أحد

---

(١) بفتح الهمزة وكسر القاف وطاء مهملة ينير. ١٢ منه.

نصفها القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة نصفها واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، **(ومن حروف القلقلة)** نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه الأجناس **(مكثورة)** بالمذكورة منها. **(وقد علمت)** أن معظم الشيء ينزل منزلة كله، فكأن الله تعالى عدَّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى **(ما مر من التبكيت)** لهم وإلزام الحجة إياهم. وإنما

وعشرون حرفًا تسمى منخفضة لخروج صوتها من جهة السفل أو لانحطاط اللسان عند تلفّظها عن الحنك الأعلى والمذكور منها نصفها الأكثر لكثرتها وهو أحد عشر حرفًا. **قوله**: **(ومن حروف القلقلة)**... الخ، وحروف القلقلة حروف يضطرب اللسان ويتحرك عن صوتها وذلك أن حرف القلقلة لاجتماع وصفَي الشدة والجهر فيها يحتاج المتكلم عند النطق بها ساكنة وضغط لسانه إلى مخرج الحرف والتصاقه به فلا يخرج صوتها عند النطق بها حالة الوقف إلا بقلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها لأن ما فيها من صفة الجهر يمنع النَّفَس أن يجري معها وما فيها من صفة الشدة يمنع جريان صوتها، فلذلك يحصل ما يحصل من الضغط للمتكلّم عند النطق ساكنة فاحتاج المتكلّم إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه فسُمِّيت حروف القلقلة[١] وهي خمسة أحرف يجمعها قولك قد طَبج[٢] بالطاء المهملة والجيم، والمذكور منها في الفواتح حرفان وهما: القاف والطاء، ولمّا لم يكن لها نصف صحيح ذكر نصفها الأقل لقلة تلك الحروف في أنفسها وما بقي بعد حروف القلقلة وهو ثلاثة وعشرون حرفًا لمّا كثرت في أنفسها اعتبر نصفها الأكثر وهو اثنا عشر حرفًا.

قوله: **(مكثورة)** أي مغلوبة في الكثرة بالنسبة إلى التي ذكرت من كاثرته فكثرته أي غلبته في الكثرة فهو مكثور أي مغلوب، يعني أن النصف التي ذكر الله تعالى في أوائل السور أكثر استعمالاً في كلام العرب من النصف المتروكة في فواتح السور. **قوله**: **(وقد علمت)** بتاء الخطاب. **قوله**: (ما مرَّ) في قوله: وقيل: ورود هذه الأسماء على نمط التعديد... الخ. **قوله**: **(من التبكيت)** وهو إسكات الخصم، وفي المصباح المنير بكَّت زيد عمرًا تبكيتًا عَيَّره وقبَّح فِعْله، ويكون

---

(١) ويقال لها القلقة. ١٢ منه.

(٢) الطبج: الضرب على الشيء الأجوف. ١٢ منه.

جاءت مفرقة على السور (لأن) إعادة التنبيه على (**المتحدى**) به مؤلفًا منها **لا غير** (**أوصل**) إلى الغرض، (**وكذا كل تكرير**) ورد في القرآن فالمطلوب منه **تمكين** المكرر في النفوس وتقريره. ولم تجيء على (**وتيرة**) واحدة بل اختلفت **أعداد** حروفها مثل: «ص وق ون وطه وطس ويس وحم وآلم وآلر» وطسم وآلمص وآلمر «وكهيعص وحم عسق». فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة **كعادة** (**افتنانهم**) في الكلام. وكما أن أبنية كلماتهم (**على حرف وحرفين**) إلى خمسة أحرف (**سلك**) في الفواتح هذا المسلك. («**وآلم» آية حيث وقعت، وكذا** ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ آية) و(﴿الٓمٓرۚ﴾) لم تعد آية وكذا (﴿الٓرۚ﴾) لم تعد آية (**في سورها الخمس** و﴿طسٓمٓ ①﴾) آية (**في سورتيها**) و(﴿طه ①﴾) و(﴿يسٓ ①﴾) **آيتان** (و﴿طسٓۚ﴾) ليست بآية و(﴿حمٓ ①﴾ **آية في سورها كلها**) و(﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾ **آيتان**) و(﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ **آية**) و(﴿صٓۚ﴾) و(﴿نٓۚ﴾) و﴿قٓۚ﴾ ثلاثها لم

التبكيت بلفظ الخبر كما في قول إبراهيم ﷺ ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: الآية ٦٣] هذا فإنه قاله تبكيتًا وتوبيخًا على عبادتهم الأصنام. **قوله**: (**لأن المُتحدَّى**) به أي القرآن. **قوله**: (**أوصل**) أي أشدّ إيصالًا. **قوله**: (**وكذا كل تكرير**).اهـ. سواء كان مع اتحاد اللفظ أو بدونه.

قوله: (وتيرة) أي طريقة. **قوله**: (**افتنانهم**) أي تنوُّعهم. **قوله**: (**على حرف**) واحد كباء الجر والكاف ونحو ذلك. **قوله**: (**وحرفين**) كما في الحروف والأسماء الغير المتمكِّنة منتهية إلى خمسة أحرف. **قوله**: (**سلك**) على صيغة المجهول أي أجري. **قوله**: (**وآلم آية حيث وقعت**) ذكر ﴿الٓمٓ﴾ في ست سور في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

قوله: (**وكذا** ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الآية ١] **آية**) في الأعراف. **قوله**: (﴿الٓمٓرۚ﴾ [الآية ١]) في الرعد. **قوله**: (**في سورها الخمس**) يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر. **قوله**: (**في سورتيها**) الشعراء والقصص. **قوله**: (و﴿طسٓۚ﴾ [الآية ١]) في النمل. **قوله**: (﴿حمٓ﴾ [الآية ١] **آية في سورها كلها**) ذكر ﴿حمٓ﴾ في ست سور في سورة المؤمن وحم السجدة والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف. **قوله**: (﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ②﴾ [الآيتان ١، ٢]) في سورة الشورى. **قوله**: (﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [الآية ١]) في سورة مريم.

تعد آية وهذا عند الكوفيين ومَن عداهم لم يعد شيئًا منها آية، **(وهذا)** علم **(توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور)**.

(ويوقف على جميعها وقف التمام) إذا حملت على معنى مستقل **(غير محتاج**

قوله: (وهذا) علم **(توقيفي)** أي سمعي موقوف على السمع أي تعيَّن بعض هذه الفواتح آية دون بعض ليس مبنيًّا على اختيارنا حتى يقال: إنه ترجيح بلا مُرَجِّح بل هو مبني على التوقيف من قِبَل الشارع **(لا مجال للقياس فيه)** فإن قيل: وقوع الخلاف بين الأئمة يدلّ على أن للقياس مجالًا فيه أُجيب بأن مبنى الخلاف إنما هو صحة الرواية وعدمها، فمَن صحَّ عنده رواية أن لفظ كذا آية قال بكونه آية، ومَن لا فلا أقول أما عدد الآيات ففيه مذاهب خمسة: مدني ومكّي وكوفي وبصري وشامي. فالمدني رواه شيبة المدني مولى أُم سلمة عنها ويزيد بن القعقاع المدني. والمكّي رواه ابن كثير وغيره من أهل مكة عن أُبَيّ وابن عباس رضي الله تعالى عنهم. والكوفي عن حمزة بن حبيب الزيَّات مسندًا إلى عليّ رضي الله تعالى عنه. والبصري عن المعلى بن عيسى عن عاصم. والشامي عن ابن ذكوان وابن عامر وأن مُوجِب اختلافهم في هذا التوقيف كالقراءة. قال أبو عمرو: وهذه الأعداد وإن كانت موقوفة على هؤلاء الأئمة فإن لها لا شك مادة تتصل بها وإن لم نعلمها إذ كل واحد منهم لقي غير واحد من الصحابة وسمع منه أو لقي مَن لقي الصحابة مع أنهم لم يكونوا أهل رأي واختراع بل إنها تمسك واتباع. وقال السخاوي رحمه الله: لو كان ذلك راجعًا إلى الرأي لعدَّ الكوفيون الراية كما عدّوا الّم ومثله كثير. **قوله**: **(كمعرفة السور)** ما روى أُبَيّ رضي الله تعالى عنه ما كنّا نعلم آخر السورة إلا إذا قال عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمٰن الرحيم. **قوله**: **(ويُوقَف على جميعها وقف التمام)** بفتح التاء وميمين هذا هو الصحيح الموافق للكشاف، وفي بعض النسخ بميم واحدة فإن صحَّت فالمعنى كوقف الكلام التام والوقف قطع الكلمة عمّا بعدها وهو إما تامّ أو كافٍ أو ناقص لأنه إما أن يكون على كلام غير مفيد إلا بانضمام ما بعده إليه فهو قبيح ناقص، وإما على كلام مفيد فهو حسن، ثم إن كان لِما بعده تعلّق بما قبله في الإعراب فهو الكافي وإلا فهو التامّ، فالوقف على بسم الله أو على بسم الله الرحمٰن الرحيم كاف، وعلى بسم الله الرحمٰن الرحيم تامّ، وإما على مجرد بسم فهو ناقص قبيح. **قوله**: (غير محتاج

إلى ما بعده)، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور **(ونعق)** بها كما ينعق بالأصوات، أو جعلت وحدها **(أخبار)** ابتداء محذوف كقوله: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآيتان ١] أي هذه الم ثم ابتدأ فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: الآية ١] ولهذه الفواتح محل من الإعراب **(فيمن جعلها)** أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام **(وهو الرفع على الابتداء، أو النصب أو الجر)** لصحة القسم بها وكونها بمنزلة **(الله والله)** على اللغتين، ومَن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصوّر أن يكون لها محل **(في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعدودة)**.

إلى ما بعده) احتياج العامل إلى معموله. **قوله**: **(نعق)** أي صوَّت. **قوله**: **(أخبار)** بالفتح جمع خبر ابتداء بمعنى المبتدأ. **قوله**: **(فيمن جعلها)** أي في قول مَن جعلها. **قوله**: **(وهو الرفع على الابتداء)** يتناول المبتدأ[1] والخبر فإن العامل فيهما هو الابتداء كما هو مذهب المُحَقِّقين.

قوله: **(أو النصب)** بتقدير فعل القَسَم على طريقة الله لأفعلنّ بالنصب فإن تقديره أُقسم بالله لأفعلنَّ حذف الباء وأوصل الفعل فصار المُقسَم به منصوبًا ثم حذف الفعل أيضًا. **قوله**: **(أو الجر)** على إضمار حرف القَسَم. **قوله**: **(اللهَ واللهِ)** الواو للعطف أي يقال: (الله بالنصب) بنزع الخافض إذ أصله أُقْسِمُ بالله، واللهِ بالجر على إضمار حرف القَسَم أي واللهِ. **قوله**: **(في مذهبه)** أي في مذهب مَن لم يجعلها أسماء. **قوله**: **(كما لا محل للجملة المبتدأة)** أي التي وقعت في ابتداء الكلام فلم تقع موقع مفرد ليطرأ عليها ما يقتضي إعرابها في محلها.

قوله: **(وللمفردات المعدودة)** أي الواردة على نمط التعديد فلم تقع في تركيب ليعتور عليها ما يوجب إعرابها لفظًا أو محلًا والحاصل أن هذه الألفاظ إذا سُرِدَت على طريقة التهجّي لم يكن لها إعراب أصلًا لفَقْد المقتضى والعامل قيل أورد مثالين تنبيهًا على أن ما انتفى إعرابه لفَقْد مقتضيه قسمان: جملة ومفرد وربما يقال: بعض الفواتح كالجملة في تعدّد كلماته وبعضها كالمفرد في أنه كلمة واحدة.

---

(١) وخبرهما بعده وإنما جاز الإخبار عن السورة بالكتاب لأنه أُريد بها الكتاب أو بالكتاب البعض مجاز، كذا أفاده المحقّق التفتازاني. ١٢ منه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

(﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي ذلك الكتاب الذي وعد به) على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، أو «ذلك» إشارة إلى «الم»، (وإنما ذكَّر اسم الإشارة) والمشار إليه

قوله: (﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾) ذا اسم إشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بُعد المُشار إليه والكاف للخطاب. **قوله**: (أي ذلك الكتاب الذي وُعِد به)... الخ. فالمشار إليه بعيد حقيقة. **قوله**: (وإنما ذكر اسم الإشارة)... الخ. يعني أن تذكير اسم الإشارة إذا أُريد بالٓم المؤلف أو القرآن ظاهر وأما إذا أُريد به السورة فإنما هو بالنظر إلى أن ما هو خبر أو صفة له مذكر وهو الكتاب فإن المبتدأ والخبر وكذا الموصوف والصفة لما كانا عبارتين عن شيء واحد ومتّحدين صدقًا جاز إجراء الخبر على المبتدأ وحُكْم الصفة على الموصوف في التذكير والتأنيث كما أُجْرِي حكم اسم كان على خبره في قولهم: مَن كانت أُمك فإنه أنَّث اسم كان وهو الضمير الراجع إلى خبره لتأنيث خبره وهو أُمك. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: الآية ٧٨] ذكر المبتدأ نظرًا إلى كون الخبر مذكرًا فكذا ذكر لفظ ذلك مع كونه إشارة إلى السورة لتذكير الكتاب والظاهر أنه لا حاجة إلى العذر في تذكير ذلك لأن المُشار إليه بذلك لا يخلو إما أن يُراد به مسمَّى الٓم، أو اسم الٓم، وكل واحد منهما ليس بمؤنث، أما المُسَمَّى فظاهر لأنهْ هو البعض المخصوص من الكلام المُنَزَّل المُسَمَّى بسورة البقرة كما أنه مُسَمَّى بالٓم ومعلوم أنه ليس فيه تأنيث أصلًا وأما اسم الٓم فهو أيضًا ليس بمؤنث كما أنه ليس بمُشار إليه، نعم ذلك المُسَمَّى له اسم آخر وهو سورة البقرة وهو مؤنث إلا أن المذكور سابقًا ليس هذا الاسم حتى يتوهَّم كونه مُشارًا إليه بلفظ ذلك ويحتاج إلى الاعتذار في تذكير اسم الإشارة وبالجملة التذكير هٰهنا على مقتضى الظاهر فلا يرِد عليه شيء إلا أن لفظ ذلك لمّا كان إشارة إلى المسمَّى بالٓم وهو المُنَزَّل المُخَصَّص واشتهر بين الأمة عند إرادة تعيينه بخصوصه أن يُعَبَّر عنه بسورة البقرة لوحِظ كونه سورة في وضع العلم له فكان قوله: الٓم في قوة هذه السورة فورد أن يقال ذكر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث فاحتيج إلى الاعتذار لذلك.

مؤنث وهو السورة، لأن الكتاب **(إن كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه)** مسماه فجاز إجراء حكمه **(عليه)** بالتذكير والتأنيث، **(وإن كان صفته فالإشارة به)** إلى الكتاب صريحًا لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له، تقول: **(هند ذلك الإنسان)** أو ذلك الشخص فعل كذا، ووجه **(تأليف)** ذلك الكتاب مع «الم» إن جعلت «الم» اسمًا للسورة أن يكون «الم» مبتدأ و«ذلك» مبتدأ ثانيًا و«الكتاب» خبره **(والجملة خبر للمبتدأ الأول، ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل)** **(كأن ما عداه)** من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول: هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال **(من مرضيات الخصال)**، وأن يكون «الم» خبر مبتدأ محذوف أي هذه «الم» جملة و«ذلك الكتاب» جملة أخرى، وإن جعلت «الم» **(بمنزلة الصوت)** كان «ذلك» مبتدأ خبره «الكتاب» أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل.

قوله: (إن كان خبره) أي خبر ذلك، **(كان ذلك)** أي لفظ ذلك **(في معناه)** أي معنى الكتاب ومُسَمَّاه أي ذلك (مُسَمَّاه) أي مُسَمَّى الكتاب أي يصدقان على شيء واحد وإن تغايرا مفهومًا فجاز إجراء حكمه أي حكم الكتاب الذي هو الخبر (عليه) أي على ذلك الذي هو المبتدأ. **قوله**: **(وإن كان)** أي الكتاب (صفته) أي صفة ذلك (فالإشارة به) أي بذلك. **قوله**: **(هند ذلك الإنسان)**... الخ، في المصباح هِنْدٌ اسم امرأة يُصرَف ولا يصرف وإن شئت جمعته جمع التكسير فقلت: هُنُودٌ، وإن شئتَ جمع السلامة فقلت هِنْدَاتٌ. **قوله**: **(تأليف)** أي تركيب. **قوله**: **(والجملة خبر للمبتدأ الأول)** والعائد فيها هو اسم الإشارة القائم مقام الضمير. **قوله**: **(ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل)**... الخ، أُدخِل ضمير الفصل بَيْنَ المبتدأ والخبر إيذانًا بأن التركيب يفيد الحصر بناء على أن اللام للجنس حيث لا عهد ووصف الكتاب بالكامل تنبيهًا على أن المقصود من حصر الجنس حصر الكمال وإلا لم يكن الحصر صحيحًا. وقال: **(كأنَّ ما عداه)** تصريحًا لما يتضمنه حصر الكامل فيه من إثبات النقصان لِما يقابله من الكتب تأكيدًا له وفي لفظ كأنَّ نوع تأدّب مع سائر كتب الله سبحانه وتعالى.

قوله: **(من مرضيات الخصال)** بيان ما. **قوله**: **(بمنزلة الصوت)** لا يكون له محل من الإعراب.

﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شكّ (وهو مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة). وحقيقة الريبة قلق النفس (واضطرابها ومنه) قوله (عليه السلام): «دع ما يريبك) إلى ما لا يريبك فإن

قوله: (وهو) أي الريب (مصدر رابني) يعني في الأصل وإلا فهو في مثل هذه المواضع بمعنى الشك والرِّيبة. **قوله**: (إذا حصل فيك الريبة) بكسر الراء وهي وإن اشتهرت في معنى الشك إلا أن معناها الأصلي قلق النفس واضطرابها، يعنى أن الريب في الأصل مصدر رابني الشيء أقلقني وجعلني مضطربًا، فالرّيب معناه تحصيل القلق وإفادة الاضطراب للنفس إلا أنه عدل عن معناه المصدري واستعمل في هذا الموضع ونظائره في معنى الشك لكونه سببًا لقلق النفس واضطرابها على طريق إطلاق اسم المسبّب وإرادة السبب والشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا ترجّح أحدهما على الآخر فتقع في الاضطراب والحيرة. **قوله**: (واضطرابها) عطف تفسير للقلق. **قوله**: (ومنه) أي مما ورد فيه الرّيبة على حقيقتها.

قوله: (عليه السلام دع) أي اترك (ما يريبك) بفتح الياء وضمّها، والفتح أشهر إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة استشهد بالحديث على أن الشك ليس معنًى أصليًا للريب والريبة بل لهما معنى أصلي غير الشك لأنه لو اتّحد معناهما لكان قوله عليه الصلاة والسلام: فإن الشك ريبة بمنزلة قولك: فإن الأسد[1] غضنفر[2] فإن معنى الحديث والله أعلم تعليل الأمر بترك ما يُقلِق النفس ذاهبًا إلى ما لا يُقلقها كأنه قيل: أمرتك بترك ما يُقلِق قلبك لأن قلق قلب المؤمن وعدم استقراره إنما ينشأ من كون الشيء مشكوكًا فيه غير حق وثابت في نفسه فمتى اضطرب قلبك في حق شيء كان ذلك أمارة كونه مشكوكًا فيه أي غير حق في نفسه وحكم عليه السلام بأن الشك ريبة للمبالغة في سببيّته لها فإن الريبة المذكورة في الحديث ليست بمعنى الشك وإن اشتهرت فيه بل المراد بها معناها الحقيقي الأصلي، وكما استشهد بالحديث على أن الريبة غير الشك وإلا لم يكن في الكلام فائدة استشهد بجعل الريبة مقابلة للطمأنينة في الحديث المذكور على أن ذلك

---

(١) قوله: فإن الأسد غضنفر وهو من لغو الحديث. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) في القاموس: الغَضَنْفَر الأسد. ١٢ منه عُفِي عنه.

الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة» أي فإن كون الأمر مشكوكًا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر، وكونه صحيحًا صادقًا مما تطمئن له وتسكن، **(ومنه)** ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس **(ويشخص بالقلوب من نوائبه)**. وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفي كونه متعلقًا للريب **(ومظنّة له)** لأنه من

المعنى المُغائر للشك قلق النفس واضطرابها وفي الحواشي الشريفية معنى الحديث دع ما يريبك أي يُقلقك ذاهبًا إلى ما يطمئن به قلبك، فإن كون الشك في نفسه مشكوكًا فيه غير صحيح ريبة، أي مما تقلق له النفس الزكية وتضطرب معه والصدق كونه صحيحًا صادقًا طمأنينة أي يطمئن القلب بسببه ويسكن أي إذا وجدت نفسك مضطربة في أمر فدعه وإذا وجدتها مطمئنة فيه فاستمسك به لأن اضطراب قلب المؤمن في شيء علامة كونه باطلًا محلًا لأن يُشَكّ فيه وطمأنينة فيه علامة كونه حقًا وصدقًا وهذا الأمر مخصوص بذوي النفوس الشريفة القدسية الطاهرة من أوضار[١] الذنوب وأوساخ الآثام. قيل إن المصنِّف رحمة الله عليه اعتمد في نقل متن الحديث على الزمخشري وإلا فالحديث في رواية الترمذي والنسائي هكذا فإن الصدق طمأنينة والكذب[٢] ريبة ولا يخفى أن صحة أحد الروايتين لا تنافي صحة الأخرى. **قوله**: **(ومنه)** أي من قبيل إطلاق الريب الذي هو في الأصل مصدر بمعنى تحصيل القلق وإفادة الاضطراب على ما سيكون سببًا له مثل إطلاقه على الشك على طريق إطلاق لفظ المصدر وإيقاعه موقع اسم الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فإن الريب في الأصل مصدر بمعنى قلق النفس واضطرابها وأُريد به الشك الذي يُورث ذلك الاضطراب ويكون سببًا له. **قوله**: **(ويشخص بالقلوب)** أي يُقلقها من شخص به إذا ورد عليه أمر أقلقه كأنه يجعل شاخصًا بصره فلا يطرق من حَيْرته، وقيل: أي يذهب بالقلوب، يقال: شَخَصَ من بلد إلى بلد أي ذهب، فالباء للتعدية **(من نوائبه)** أي حوادثه. **قوله**: **(ومظنّة له)** ومظنَّة الشيء محله الذي يظنّ وجوده فيه.

---

(١) الوَضَر الدّرَن كذا في الصحاح. ١٢ منه عُفي عنه.

(٢) بفتح الكاف وكسر الذال وفي نسخة اليد ضبطه بكسر الكاف وسكون الذال والأول هو الأفصح الواقع في القرآن والثاني لغة. ١٢ منه.

وضوح الدلالة **(وسطوع البرهان)** بحيث لا ينبغي لمرتاب **(أن يقع فيه)** لا أن أحدًا لا يرتاب، وإنما لم يقل «لا فيه ريب» كما قال (﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: الآية ٤٧]) لأن المراد **(في إيلاء الريب حرف النفي)** نفي الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار، **(ولو أولى)** الظرف لقصد إلى ما يبعد عن المراد **(وهو أن كتابًا آخر فيه ريب لا فيه)** كما قصد في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات: الآية ٤٧]، تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها **(لا تغتال العقول)** كما تغتالها هي. والواقف على «فيه» **(هو المشهور. وعن نافع وعاصم)** أنهما وقفا على «ريب». ولا بد للواقف **(من أن ينوي خبرًا)** والتقدير: لا ريب فيه.

قوله: **(وسطوع البُرهان)** أي ظهوره. **قوله**: **(أن يقع فيه)** الضمير للارتياب الذي دلّ عليه مُرتاب أي لا ينبغي لصاحب الارتياب أن يقع فيه، وقيل للقرآن على معنى أن يطعن فيه من قولهم: وقع في فلان إذا اغتابه وطعن فيه. **قوله**: (﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصَّافات: الآية ٤٧]) أي ليس في الجنة بشرب الخمر ذهاب العقل وعرض الصداع كما في الدنيا. **قوله**: **(في إيلاء)** أي اتصال **(الريب حرف النفي)** أي جعله بحيث يلي حرف النفي أي يقرب منه ويعقبه بلا فصل. **قوله**: **(ولو أولى)** على صيغة الماضي المجهول أي لو اتصل الظرف بالرفع ويحتمل النصب على معنى ولو جعل حرف النفي بحيث يَلِي الظرف أي يقرب منه ويقدّمه بلا فصل. **قوله**: **(وهو أن كتابًا آخر فيه ريب لا فيه)** أي لا في القرآن بيان للمعنى البعيد عن المراد لا للمعنى المراد كما هو الظاهر.

قوله: **(لا فيها)** أي في خمور الجنة **(غَوْلٌ)** غائلة[1] كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله إذا أَفْسَدَه. **قوله**: **(لا تغتال العقول)** أي لا تذهب بها. **قوله**: **(هو المشهور)** قيل على هذا يكون الكتاب نفسه هدى وعلى الآخر ظرفًا له والأول أبلغ فالمشهور أولى. **قوله**: **(وعن نافع)** بن عبد الرحمٰن المدني. **قوله**: **(وعاصم)** بن أبي النجود الكوفي. **قوله**: **(من أن ينوي خبرًا)** وذلك ليكون الموقوف عليه مفيدًا تامًّا وإلا كان الوقف قبيحًا ناقصًا، ويسمى الوقف بينهما معانقة أو مراقبة يعني إن وقف على الأول وصل في الثاني وبالعكس كذا أفاده في

---

(١) الغوائل الدواهي. ١٢ قاموس.

﴿فِيهِ هُدًى﴾ **(فيه بإشباع كل هاء كناية مكي)** ووافقه حفص **(في فيه مهانًا** وهو) الأصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره. **(وكما لا يقال في داره ومن عنده)** وجب أن لا يقال فيه. وقال سيبويه **(ما قاله)** مؤدٍّ إلى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن: الياء قبل الهاء، والهاء إذ الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة لأن الهاء خفية والخفي قريب من الساكن، والياء بعدها. والهدى مصدر على فعل **(كالبكي)** وهو الدلالة الموصلة **(إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته)** في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٦] وإنما قيل هدى ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مهتدون لأنه كقولك للعزيز المكرم: أعزّك الله وأكرمك، تريد

الجمالين. **قوله: (فيه بإشباع كل هاء كناية مكي)** أي قرأ عبد الله بن كثير المكي فيه بالإشباع في الوصل أي بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء ضمير للغائب قبلها ساكن يشبعها وصلًا بالياء إن كان الساكن ياء وإلا بالواو ونحو منه كما يشبع القرّاء كلهم كل هاء قبلها متحرّك مكسور ياء نحو به أو غير مكسور واوًا نحو يضربه له ما لم يلقها ساكن فإذا لقيها ساكن سقطت مُدَّة الإشباع لاجتماع الساكنين إجماعًا نحو عليه الكتاب وله الحكم غير أن الكلمة إذا كانت ناقصة حذفت آخرها لأجل الجزم نحو يودّه ونوله ونصله فاتّقه ويتّقه وبأنه ويرضه وبقي ما قبل الهاء متحركًا ففيها خلاف القرّاء نذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى فقرأ بعضهم بالإشباع نظرًا إلى تحرك ما قبلها، وبعضهم بالاختلاس[1] نظرًا إلى كون الحركة عارضية وتنبيهًا على الحرف المحذوف وبعضهم بالسكون لحلوله محل المحذوف. **قوله: (في** ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٩]) أي في قوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفُرقان: الآية ٦٩]. **قوله: (وهو)** أي الإشباع. **قوله: (وكما لا يقال في داره ومن عنده)** يعني بغير الإشباع. **قوله: (ما قاله)** أي المكي. **قوله: (كالبُكى)** يُمَدّ ويقصر إذا مددت أردتَ الصوت الذي يكون مع البكاء وإذا قَصرت أردتَ الدموع وخروجها كذا في الصحاح. **قوله: (إلى البغْية)** أي المطلوب. **قوله: (بدليل وقوع الضلالة في مقابلته)**... الخ، يعني لأن الضلالة يقع في مقابلته استعمالًا وعدم الوصول إلى المطلوب معتبر في الضلالة فيجب أن يعتبر

---

(١) الثابت من الحركة أكثر من الذاهب في الاختلاس، وذلك أن يأتي بثلثيها. ١٢ منه.

(**طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه**) واستدامته كقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، أو (**لأنه سماهم**) عند (**مشارفتهم لاكتساء**) لباس التقوى (**متقين كقوله** عليه السلام «**مَن قتل قتيلًا فله سلبه**»[1]) وقول ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل (**فإنه يمرض المريض**)، فسمّى (**المشارف للقتل**) والمرض قتيلًا ومريضًا. ولم يقل: هدى للضالين. لأنهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى وهو هدى لهؤلاء (**فحسب**)، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل (**هدى للصائرين**) إلى الهدى بعد الضلال (**فاختصر الكلام**) بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل «هدى للمتقين» (**مع أن فيه**) تصديرًا للسورة التي هي أولى (**الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله**). والمتقي في اللغة اسم

الوصول في مفهوم الهدى ليصحّ التقابل. **قوله**: (**طلب الزيادة إلى ما هو ثابت فيه**) أي حال كونها منضمّة أي ما هو ثابت فيه. **قوله**: (**ولأنه سمّاهم**) أي غير المتقين. **قوله**: (**مُشارفتهم**) أي قربهم. **قوله**: (**لاكتساء**)... الخ متعلق بمشارفتهم. **قوله**: (**متقين**) أي سمّاهم متقين مجازًا باعتبار ما يؤول إليه (**كقوله عليه الصلاة والسلام: مَن قتل قتيلًا**) فعيل بمعنى مفعول. **قوله**: (**فله**) الضمير راجع إلى الموصول. **قوله**: (**سَلبه**) أي سلاحه سمّى الحي مقتولًا باعتبار ما يؤول إليه. **قوله**: (**فإنه**) أي الشأن. **قوله**: (**يُمْرِضُ المريض**) أي يطرأ المرض على الصحيح الذي يؤول أمره إلى كونه مريضًا. **قوله**: (**المشارف**) أي القريب. **قوله**: (**للقتل**) أي إلى القتل والمرض. **قوله**: (**فحسب**) أي فقط. **قوله**: (**هدى للصائرين**) أي للضالين الصائرين. **قوله**: (**فاختصر الكلام**) بإجراء الكلام على طريقة المجاز المذكور. **قوله**: (**مع أن فيه**) أي في ذكر المتقين.

قوله: (**الزهراوين**) أعني البقرة وسورة آل عمران والزهراوين تثنية الزهراء تأنيث الأزهر وهي المُضيء الشديد الضوء أي المُنيرتين لنورهما وهدايتهما وعظم أجْرهما فكأنهما بالنسبة إلى ما عداهما عند الله مكان القمرين من سائر الكواكب. وقيل لاشتهارهما شُبّهتا بالقمرين وسُمّيتا زهراوين لكثرة أنوار الأحكام الشرعية والأسماء الحسنى العَلِيَّة وتسميته البقرة وآل عمران بالزهراوين مما نطق به الحديث. **قوله**: (**وسَنام القرآن**) سُمِّيت البقرة سنام القرآن لأنها أعظم سورة منه وأرفعها كما أن السَّنام أكبر أعضاء الإبل وأعلاها. **قوله**: (**بذكر أولياء الله**) أي

فاعل من قولهم: **(وقاه فاتقى)**، ففاؤها واو ولامها ياء، وإذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء الأخرى فقلت اتقى. **(والوقاية)** فرط الصيانة، وفي الشريعة **(مَن يقي)** نفسه **(تعاطى)** ما يستحق به العقوبة **(من فعل أو ترك)**. ومحل «هدى» الرفع لأنه **(خبر مبتدأ محذوف، أو خبر مع** «**لا ريب فيه**» **لذلك)**، أو النصب على الحال من الهاء في «فيه» **(والذي هو أرسخ عرقًا في البلاغة)** أن

بذكر اسم أولياء الله تعالى رعاية لحُسْن المَطلع. **قوله**: **(وقاه فاتقى)** أصله أو تقى. **قوله**: **(والوقاية)** في اللغة فرط الصيانة مطلقًا أي أيّ شيء كان ومنه فرس واقٍ إذا وقى حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤذيه.

قوله: (مَن يقي) أي يحفظ ويجتنب نفسه... الخ. حاصله أنه الذي يفعل الحسنات ويترك السيئات . **قوله**: **(تعاطى)** تناول وأخذ. **قوله**: **(من فعل أو ترك)** أي فعل معصية وترك طاعة. **قوله**: **(خبر مبتدأ محذوف)** أي هو هدى. **قوله**: **(أو خبر**[1] **مع لا ريب فيه لذلك**[2]**)** أراد المَعِيَّة في كون كلٌ منهما خبرًا له.

قوله: **(والذي هو أرسخ)** أي أحكم **(عِرقًا)** أي ثباتًا **(في البلاغة)**... الخ. لمّا كان ما ذكر من وجوه إعراب هذه الآية مبنيًا على مجرد كون اللفظ محتملًا لها على وجه يصحّ به انتظام الألفاظ مع سداد المعنى في الجملة فلا بد في الكلام البليغ أن ينظر المتكلم عند نظمه إلى المعاني والأغراض المطلوبة له ويرتبها في ذِهنه ثم يرتِّب الألفاظ على حذوها فإن مدار البلاغة ومبناها إنما هو رعاية جانب المعنى وجزالته ثم تطبيق اللفظ على ما يقتضيه المقام فحق مَن يتصدى لكلام الله تعالى وتأويله أن يلاحظ حق المعاني بالاعتبار وأقربها محلًا ثم يكشف وجه انطباق ألفاظ على تلك الأغراض المطلوبة منها فلما ذكر من وجوه الإعراب ما ذكره ولاحظ أنه رُوعِي في تلك الوجوه جانب الألفاظ ووجه انتظامها على وجه الصحة مع سداد المعنى في الجملة وأن الاقتصار على هذا القدر لا وجه له في توجيه انتظام الكلام البالغ إلى أقصى مراتب البلاغة لم يرضَ بما ذكره أولًا لخلوّه عن رعاية جانب المعنى وجزالته واعتبار الدلالة العقلية والارتباطات المعنوية واختار

---

(١) قوله: أو خبر أي خبر ثان والأول لا ريب فيه. ١٢ منه.
(٢) قوله: لذلك، أي اللفظ ذلك. ١٢ منه.

(يقال): إن قوله: «الم»(جملة برأسها) أو طائفة من حروف المعجم (مستقلة بنفسها)، «وذلك الكتاب» جملة ثانية، «ولا ريب فيه» ثالثة، و«هدى للمتقين» رابعة. (وقد أُصيب بترتيبها مفصل البلاغة) حيث (جيء بها متناسقة هكذا) من غير حرف عطف (وذلك) لمجيئها متآخية (آخذًا بعضها بعنق بعض للتآخي)، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها (وهَلُمّ جرًا) إلى الثالثة والرابعة، بيان ذلك أنه

وجهًا آخر مشتملًا على ما هو مدار البَلاغة من رعاية جانب المعنى وجزالته أولًا فقال: والذي هو راسخ عرقًا أي أدخل فيها أن (يقال)... الخ.

وقوله: (جملة برأسها) مستقلة بنفسها أي مع قطع النظر عمّا بعدها. **وقوله**: (مستقلة بنفسها) أي غير مُحتاجة إلى غيرها في إفادة ما أُريد منها من الإيقاظ أو تقدمة الإعجاز فنزلت لذلك منزلة جملة لا محل لها. **وقوله**: (وقد أُصيب بترتيبها مَفْصِل البلاغة) بالنصب أي فعل ترتيبها مصيبًا إياه فإن الباء للتعدية وقد يرفع على أنها للسببية والآلة في المصباح ويأتيك بالأمر من مَفْصِله[1] أي من منتهاه. انتهى. **وقوله**: (جيء بها) أي بالجمل. **قوله**: (متناسقة) أي منتظمة متماثلة بحيث يرتبط بعضها ببعض. **وقوله**: (هكذا) مفعول مطلق، أي هذا النوع من التناسق.

وقوله: (وذلك) أي المجيء بها غير متعاطفة لمجيئها متآخية متناسبة غاية التناسب.

وقوله: (آخذًا بعضها بعنق بعض) تأكيد. **وقوله**: (للتآخي) وأقوى في الدلالة على كمال الاتصال مما يقدَّم من أخذ بعض الكلام بعجز بعض. **قوله**: (وهَلُمَّ جرًا) أي تعال على هينة وسهولة وهو من أمثال العرب وأصله من الجر في السوق وهو أن يترك الإبل يرعى في مسيرها وجرًا مصدر جر يجر بمعنى جذب وقع حالًا أي جارًا ومنجرًا. وقيل منصوب على المصدرية لأن في هَلُمَّ معنى جرَّ وهَلُمَّ بفتح الميم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنّث ويُجمَع عند بني تميم وأصله عند البصريين هالم من لم إذا قصد حذفت الألف وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا

---

(١) وزن مسجد.اهـ مصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

نبّه أولًا (على أنه الكلام المتحدى به)، ثم أشير إليه بأنه الكتاب (المنعوت بغاية الكمال) فكان تقريرًا لجهة التحدي، ثم نفى عنه أن (يتشبث) به طرف من الريب فكان شهادة (وتسجيلًا بكماله) لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة.

وقيل لعالم: فيم لذتك؟ قال: في حجة تتبختر اتضاحًا وهي شبهة (تتضاءل) افتضاحًا. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينًا (لا يحوم) الشك حوله، (وحقًّا) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم لم تخل كل واحدة)

تدخل الأمر فيكون متعديًا كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٠] ولازمًا كقوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨] وهو معطوف على مقدر فاحكم باتحاد الثانية بالأولى وهلُمَّ جرًّا إلى ما بعدها.

قوله: (على أنه الكلام المتحدَى به) أما على تقدير كونها للتعديد والإيقاظ فظاهر وأما على تقدير كونها اسمًا للسور فلأن في ذلك إشعارًا بأن القرآن ليس إلا كلمات عربية معروفة التركيب من مُسَمَّيات هذه الألفاظ. **قوله**: (المنعوت بغاية الكمال) أي في نظمه ومعناه بحيث لا يستحق غيره أن يسمى كتابًا وفي ذلك تقرير وتحقيق لجهة التحدي وإنه الحقيق بأن يتحدى به. **قوله**: (يتشَبَّث) أي يتعلق. **قوله**: (وتسجيلًا بكماله) أي حُكمًا مقطوعًا بذلك فيكون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تأكيدًا لذلك الكتاب كما أن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تأكيد لـ ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وكل واحدة من هذه الجُمَل الثلاث مؤكِّدة ومقرِّرة معنًى لِما اتصلت به لفظًا فلا مجال للعاطف بينهما. **قوله**: (تتضاءل) أي تضعف. **قوله**: (لا يحوم) أي لا يدور. **قوله**: (وحقًّا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا يتطرَّق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلًا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به، أي حتى راموا فيه أن يكون ليس حقًّا ثابتًا من عند الله وإبطالًا له لم يصلوا إليه ذكر أظهر الجهات وأكثرها في الاعتبار وهو جهة القدّام والخلف وأُريد الجهات بأسرها أو لا يأتيه الباطل فيما أخبر عمّا مضى ولا فيما أخبر عن الأمور الآتية أو الباطل، والشيطان لا يستطيع أن يغيّره بأن يزيد فيه أو يُنقص منه أو لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب يُبطله أو ينسخه. **قوله**: (ثم لم تَخْلُ) عطف على قوله قد أُصيب (كل واحدة) لشمول النفي أي لم تَخْلُ واحدة منها من نكتة ذات جزالة

من الأربع (**بعد**) أن رتبت هذا الترتيب (**الأنيق**) ونظمت هذا النظم (**الرشيق**) من نكتة (**ذات جزالة. ففي الأولى الحذف والرمز إلى المطلوب بألطف**) وجه، (**وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف**)، وفي الرابعة الحذف، ووضع المصدر الذي هو «هدى» موضع الوصف الذي هو «هاد» كأن نفسه هداية وإيراده منكرًا ففيه إشعار بأنه هدى (**لا يكتنه كنهه**). والإيجاز في ذكر المتقين كما مرّ.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ (**في موضع رفع أو نصب على المدح**) أي هم الذين يؤمنون أو أعني الذين يؤمنون، أو هو مبتدأ وخبره «أولئك على هدى»، أو جرّ على أنه صفة للمتقين، وهي صفة واردة (**بيانًا**) وكشفًا للمتقين كقولك «زيد الفقيه» المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من الإيمان الذي هو (**أساس الحسنات**)،

بل اشتملت عليها كلٌّ منها. **قوله**: (**بعد**) ليس ظرفًا للخلو ولا لعدمه بل لِما دلّ عليه سياق الكلام من اعتبار عدم الخلو بعد اعتبار ذلك الترتيب. **قوله**: (**الأنيق**) أي العجيب. **قوله**: (**الرشيق**) اللطيف. **قوله**: (**ذات جزالة**) أي عظمة أو كثرة. **قوله**: (**ففي الأولى الحذف**) أي حذف المبتدأ الذي هو هذه. **قوله**: (**والرمز**) أي الإشارة (**إلى المطلوب**) وهو أن المُتَحَدَّى به مُعجِز من الله تعالى. **قوله**: (**بألطف**) أي بأحسن. **قوله**: (**وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة**) أي العظمة فإن تعريف الخبر بلام الجنس يفيد حصر جنس الخبر في المبتدأ بناءً على أن المبتدأ يكون أكمل أفراد ذلك الجنس وهو تفخيم بليغ للمبتدأ. **قوله**: (**وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف**) وهو أنه يفيد نفي الريب عنه بالكلية من غير تعرّض لوجود ريب في غيره فإنه لو قدّم الظرف وقيل لا فيه ريب لأوهم أن انتفاء الريب مختص بهذا الكتاب من بين سائر الكتب وهو وَهْم باطل إذ لا ريب في شيء من الكتب السمٰوية. **قوله**: (**لا يكتنه**) أي لا يعلم. **قوله**: (**كنهه**) أي غاية.

قوله: (**في موضع رفع أو نصب على المدح**)... الخ، أي في موضع رفع على المدح بتقديرهم أو نصب عليه بتقدير أعني. **قوله**: (**بيانًا**) مفعول له. **قوله**: (**أساس الحسنات**) أي أصلها جعل الإيمان أساسًا إذ لا حسنة بدونه.

والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية **(وهما العيار)** على غيرهما، ألا ترى أن النبيّ ﷺ سمّى **(الصلاة عماد الدين)**، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة، وسمّى الزكاة قنطرة الإسلام فكان من شأنهما **(استتباع)** سائر العبادات، ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عدّ الطاعات بذكر ما هو **(كالعنوان)** لها مع ما في ذلك (من **الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين**، **أو صفة مسرودة)** مع المتقين تفيد **(غير فائدتها)** كقولك: زيد الفقيه **(المتكلم**

قوله: **(وهما العِيَار)** أي الشاهد، يريد أن مَن أتى بهما كان دالّاً على أنه يأتي بغيرهما ولم يقل العياران لأنه في الأصل مصدر، يقال عايرت المكائيل والموازين عيارًا أي قايستها ثم نقل إلى ما يُقاس به ويُغاير، ثم إلى الدليل على الأمر الذي به يعرف صحته من فساده. **قوله**: **(الصلاة عماد الدين)**، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مرفوعًا بسند فيه انقطاع. وقال الحافظ العراقي أخرجه الديلمي أيضًا في الفردوس عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وفي معناه حديث الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه رأس الأمر الإسلام وعَموده الصلاة. وأما حديث الزكاة قَنطرة الإسلام فأخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه مرفوعًا بسند ضعيف والعماد الدعامة من عمدت الحائط إذا دعّمته، والعمود معروف، والقَنْطرة الجسر وما ارتفع من الأرض. وفي كتب الفقه أن الجسر ما يُوضَع ويُرفَع، والقنطرة ما يحكم كما في فتاوى قاضيخان فكأنه معنى عُرْفي عندهم والدين الشريعة والإسلام والإيمان متقاربان، وكون الصلاة عماد الدين على التشبيه والاستعارة لأنها أشرف أعماله التي لا يسقط فرضيّتها إلا نادرًا، وكون الزكاة قنطرة لأن مُؤَدِّيها طهّر ماله ونفسه وبيَّن خلوصه. والقنطرة كالجسر مُستَعار للوصل. **قوله**: **(استتباع)** استجرار. **قوله**: **(كالعنوان)** عنوان الكتاب ظاهره الذي يدلّ عمّا في باطنه إجمالًا وكذلك عنوانه، وفي اشتقاقهما كلام طويل، والأكثر على أنهما من عنَّ وعلامته عنونت الكتاب وعَلْونته. **قوله**: **(من الإفصاح)** أي الإظهار. **وقوله**: **(عن فضل هاتين العبادتين)** حيث خُصَّتا بالذِّكر وقُرِنَتا بالإيمان وجُعِلَتا بمنزلة ذكر الكل. **قوله**: **(أو صفة مسرودة)** أي تابعة للموصوف ومخصصة إيّاه نحو زيد التاجر عندنا. **قوله**: **(غير فائدتها)** أي الصفة إذا كانت للبيان والكشف. **قوله**: **(المتكلم**

الطبيب)، ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيئات. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون وهو إفعال من الأمن وقولهم: آمنه أي صدقه (وحقيقته أمنة التكذيب) والمخالفة، وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر (واعترف). ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب عنهم مما أنبأهم به النبيّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (من أمر البعث والنشور) والحساب (وغير ذلك)، فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك («غاب الشيء غيبًا»). هذا إن جعلته

الطبيب) أي عالِم بالكلام والطبّ. **قوله**: (وحقيقته أَمَنَة التكذيب). . . الخ، يعني أن الأمن مُتَعَدٍّ إلى مفعول واحد فإذا نُقِل إلى باب الأفعال صار متعديًا إلى مفعولين. يقول: آمنت زيدًا عمرًا، بمعنى جعلته آمنًا منه، ثم نقل إلى معنى التصديق ووضع له لغة، ثم إنك إذا صدقت زيدًا فقد اعترفت به فعُدِّي بالباء على تضمين معنى الاعتراف والتضمين أن يُقصَد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر يناسبه ويدلّ عليه بذِكر شيء من متعلقاته كقولك: أحمد إليك فلانًا، فإنك لاحظت فيه مع الحمد معنى الإنهاء ودللت عليه بذِكر صلته، أعني كلمة إلى كأنك قلت: أُنهي حمدَه إليك وهو كثير في كلام العرب، حتى قال ابن جنّي: لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت مجلدات. وفائدة التضمين اعتبار مجموع المعنيين، فالفعلان مقصودان معًا قصدًا وتبعًا. فإن قلت: اللفظ إن كان مستعملًا في المعنيين معًا كان جمعًا بين الحقيقة والمجاز، وإن كان مُستعملًا في أحدهما فلم يقصد به الآخر فلا تضمين. قلت: هو مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدلّ عليه ذِكْر ما هو من متعلقاته فتارة يجعل المذكور أصلًا في الكلام والمحذوف حالًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥] كأنه قيل: ولتكبِّروا الله حامِدِين على ما هداكم. وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلًا والمذكور مفعولًا كما مرَّ من المثال أولاً كما فيما نحن فيه أي يعترفون به مؤمنين فإنه لمّا اعتبر يعترفون به ليكون متعلق الباء وجب اعتبار الحال أيضًا وإلا لكان يؤمنون مجازًا محضًا عن الاعتراف لا تضمينًا. **قوله**: (واعترف) عطف تفسير. **قوله**: (من أمر البعث) وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويُعيد الأرواح. **قوله**: (والنشور) بمعنى البعث. **قوله**: (وغير ذلك) أي من الصراط ونظائر الكتب والميزان ونظائرها. **قوله**: (غاب الشيء غيبًا) وهو بمعنى الغائب حال من الشيء.

(صلة) للإيمان، (وإن جعلته حالًا) كان بمعنى الغيبة (والخفاء) أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقتة متلبسين بالغيبة، (والإيمان الصحيح) أن يقرّ باللسان ويصدق (بالجنان) والعمل ليس بداخل في الإيمان. (﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يؤدونها) فعبّر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبّر عنه بالقنوت وهو

قوله: (صلة) ومتعلقًا. **قوله**: (وإن جعلته حالًا) قيل الفرق أن الإيمان على الأول يتضمن فيه معنى الإقرار أو مجاز عن الوثوق والغيبة في المعنى صفة للمؤمن به، أي يؤمنون بما هو غائب عنهم، وعلى الثاني بمعنى التصديق بلا تضمين، والغيبة صفة في المعنى للمؤمنين، والمؤمن به محذوف للتعميم أي يؤمنون في حال الغيبة كما يؤمنون في حال الحضور لا كالذين نافقوا. **قوله**: (والخفاء) عطف تفسير. **قوله**: (والإيمان الصحيح) أي المُعتَبَر شرعًا. **قوله**: (بِالجَنان) بالفتح أي بالقلب (﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) أصله يؤقومون حذفت همزة أفعل لوقوعها بعد حرف المضارعة فصار يقومون بوزن يكرمون فاستقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف ثم قُلِبَت الواو لانكسار ما قبلها. **قوله**: (أي يؤدّونها)... الخ، وجه دلالة لفظ الإقامة على هذا المعنى أن همزة أقام للصيرورة، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يصيرون ذا قيام أي ذا صلاة بأن يُعَبَّر بلفظ القيام عن الصلاة لاشتمال الصلاة عليه لكونه بعض أركانها ومع ذلك هو محل لأشرف أركانها الذي هو القراءة، كما يُعَبَّر عنها بلفظ القنوت والركوع والسجود والتسبيح كما في قوله جلّ ذِكره: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: الآية ١٢] أي من المُصَلِّين، والقنوت في المشهور الدعاء والإضافة في قولهم دعاء القنوت بيانية وجاء بمعنى القيام أيضًا ويجيء بمعنى الطاعة كذا في المغرب وهو في الآية بمعنى القيام الذي عبَّر به عن الصلاة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٣] أي صلّوا معهم وهو مما يدلّ على أداء الصلاة مع الجماعة. وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: الآية ٩٨] أي من المُصَلِّين، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٣]، وإذا جاز أن يعبّر عن الصلاة بالتسبيح لوجوده فيها من غير أن يكون ركنًا منها فجواز أن يعبّر عنها بما هو ركن من أركانها أولى فصحَّ أن يكون قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بمعنى ويؤدونها ويصلونها بناء على أن يكون يقيمون بمعنى يصيرون ذا قيام، ويُعَبَّر بالقيام عن

القيام والركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها، **(أو أُريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها مَن أقام العود إذا قومه، أوْ الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت)**

الصلاة فيكون انتصاب الصلاة بعد قوله ﴿وَيُقِيمُونَ﴾ على أنه مفعول مطلق من غير لفظ فعله على طريق قعدت جلوسًا لأن يقيمون وحده بمعنى يصلّون والمفعول المطلق يجوز كونه مُنَوَّنًا ومُعَرَّفًا باللام كما في قوله: أرسلها العراك، فإن العراك حال مصدر لفعله المضمر، والتقدير أرسلها تعترك العراك، والجملة حال من مفعول أرسلها أي أرسلها معتركة مزدحمة، وقد مرَّ أن الحمد في قراءة مَن قرأه منصوبًا مفعول مطلق لفعله المحذوف، أي نحمد الحمد فيكون قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على هذا الوجه أيضًا مجازًا مُرسَلًا من قبيل ذِكر الجزء وإرادة الكل.

قوله: **(أو أُريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها)** وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها خلل. **وقوله:** **(من أقام العود إذا قوّمه)** وسواه بحيث لم يَبْقَ فيه اعوجاج أصلًا. **وقوله:** **(أو الدوام عليها والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت)** وكانت رائجة بحيث اجتمع فيها أنواع الأمتعة والراغبين فيها فعلى هذين الوجهين يكون يقيمون استعارة تبعية شبهت تسوية الصلاة التي هي من قبيل الأفعال بتسوية الأجسام وإقامتها فاستعمل لفظ الإقامة في تسوية الصلاة ثم اشتق منها يقيمون هذا على الوجه الأول، وأما على الوجه الثاني فقد شبهت المحافظة والمداومة على الصلاة بترويج السوق وإقامتها من حيث إن كل واحد منهما يُبنَى على الاهتمام بشأن متعلقه والرغبة فيه ثم أُطلق لفظ الإقامة على المواظبة والمداومة واشتق منه يقيمون فصار لفظ المشتق أيضًا استعارة تبعًا للمأخذ ثم اعلم أن كل واحد من تقويم العود وترويج السوق معنًى عُرفي للإقامة، ومعناه اللغوي جعل الشيء قائمًا على طوله غير ساقط على عرضه فإن القيام هو الانتصاب والإقامة أفعال منه والهمزة للتعدية، ثم نقل لفظ الإقامة تارة إلى تقويم العود فقيل أقام العود إذا قوّمه أي سوّاه وأزال اعوجاجه فصار شيئًا مستقيمًا شبّه القائم فكانت حقيقة عُرفية في تسوية الأجسام ثم استعير منها لتسوية الأفعال والمعنى كتعديل أركان الصلاة على ما هو حقّها ولو كانت مجازًا في تسوية الأجسام لما جاز أن يُستَعار منها لتسوية الأفعال إذ لا وجه للمجاز من المجاز وتارة لإنفاق السوق

لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشيء (**النافق**) الذي تتوجه إليه الرغبات، وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه، (**والصلاة فعلة من صلّى**) كالزكاة من زكى، (**وكتابتها بالواو على لفظ**) المفخم. (**وحقيقة صلّى حرك الصلوين**) أي

وترويجها، فقيل: قامت السوق أي نفقت وراجَت، وأقمتها أي جعلتها رائجة، فإن رواج السوق كانتصاب الشخص في حُسْن الحال والظهور التام فاستعمل لفظ القيام في رواجها ولفظ الإقامة في ترويجها فكانت الإقامة حقيقة عُرْفيّة فيه، ثم استعيرت منه للمُداومة على الشيء تشبيهًا لها به في أن كلًّا منها مبنيّ على الرغبة والاهتمام بشأن متعلقه. **قوله**: (النافق) الرائج.

قوله: (**والصلاة فعلة**) بتحريك العين[1] وسكونه[2] يريد أن أصلها صلوة قُلِبَت الواو ألفًا. **قوله**: (مَن صلَّى) جعل الصلاة من صلَّى إشارة إلى أنه لم يستعمل الثلاثي المجرد منه كما أنه لم يستعمل التصلية مصدر المزيد في الصِّحاح هو اسم وُضِع موضع المصدر، يقال: صلَّى صلاة ولا يقال صلَّى تصلية. **قوله**: (**وكتابتها**) بالكسر في نسخة وكتابتها (**بالواو على لفظ**) المفخِّم بكسر الخاء من التفخيم، وهو هٰهنا إمالة الألف المنقلبة عن الواو إلى مخرج الواو كما هو المشهور عند بعض أهل العراق. قال صاحب المفتاح: التفخيم أن تكسو الفتحة ضمة فتخرج بين بين إذا كان بعدها ألف منقلبة عن الواو لتميل الألف إلى أصلها كما في الصلاة والزكاة فإن ألفهما منقلبة عن الواو بدليل جمعهما على صلوات وزكوات. وقد يطلق التفخيم على ما هو ضدّ الإمالة وهو تركها وعلى ضدّ الترقيق أيضًا وهو إخراج اللام من أسفل اللسان إذا انكسر ما قبلها كما في بسم الله والحمد لله فإن القرّاء يرقّقون اللام فيهما استثقالًا للانتقال من الكسرة السفلية إلى اللام المفخمة لا سيما أن ما بعدها مكسور بخلاف نحو إن الله وقل هو الله فإنهم استحسنوا تفخيم اللام وتغليظها في مثلهما تعظيم اسم الله تعالى. **قوله**: (**وحقيقة صلَّى حَرَّك الصلوين**)... الخ، يريد أن صلَّى حقيقة لغوية في تحريك الصَّلَوَين أي طرفي الألْيَتَيْن مجاز لغوي في الأركان المخصوصة استعارة في الدعاء تشبهًا

---

(١) على الظاهر المشهور. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) جوّزه بعضهم، فتكون حركة العين منقولة من اللام. ١٢ منه عُفِي عنه.

الأليتين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده. وقيل للداعي مصل تشبيهًا له في (تخشعه) بالراكع والساجد (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم. و«ما» بمعنى «الذي») ﴿يُنفِقُونَ﴾ يتصدّقون. أدخل «من» التبعيضية (صيانة) لهم (عن التبذير) المنهي عنه (وقدّم المفعول) دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة

للداعي بالراكع والساجد في التخشّع والمشهور بين الجمهور أن الصلاة حقيقة لغوية في الدعاء، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: إذا دُعِيَ أحدكم إلى طعام فليُجِب فإن كان مفطرًا فليطعَم وإن كان صائمًا فَلْيُصَلِّ، أي فليَدْعُ له بالبركة والخير ثم نقل في عُرْف الشرع إلى الأركان المعلومة والعبادة المخصوصة لاشتمالها على الدعاء كما أن الزكاة في الأصل من التزكية بمعنى التطهير أو بمعنى التنمية، ثم نقلت إلى صرف مال مخصوص إلى المصرف المخصوص فعلى هذا تكون الصلاة حقيقة لغوية في الدعاء ومجازًا لغويًّا في فِعل الهيئة المخصوصة، وحقيقة اصطلاحية فيه عند أهل الشرع منقولة من الدعاء لاشتمالها عليه. **قوله**: (تخشعه) أي تضرّعه.

قوله: (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾) بإسقاط نون من الجارّة خطًّا كسقوطها لفظًا وهي تبعيضية. **قوله**: (أعطيناهم) أي ملّكناهم. **قوله**: (وما بمعنى الذي) وقوله: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾ صِلتها فلا يكون له محل من الإعراب والعائد محذوف والتقدير وينفقون الذي رزقناهم إياه. **قوله**: (صيانة) ومنعًا. **قوله**: (عن التبذير) أي الإسراف.

قوله: (وقدّم المفعول)... الخ فيه إشارة إلى أنه صريح المفعول به بحيث لا مجال معه لتقدير مفعول إذ المعنى وبعض ما رزقناهم ينفقون، وحقيقة بعضًا مما رزقناهم على أنه واقع موقع موصوف محذوف وأما كونه أهم فلقصد معنى الاختصاص أعني حصر الإنفاق في بعض المال الحلال فإن من تبعيضية، فالمعنى بعض ما رزقناهم ينفقون لا كله، لا يقال من التبعيضية تُغني عن التقديم للتخصيص فإن إنفاق البعض يتبادر منه عدم الشمول فلذلك كان فيه صيانة وكفٌّ عن الإسراف لأنّا نقول: يجوز مع إنفاق البعض الشمول على أنه محتمل مرجوح فإذا قدِّم زال الاحتمال بالكليّة يرشدك إلى ذلك تأمّلك في الفرق بين قوليك: أنفق زيد بعض ماله، وبعض ماله أنفق، يعني لو أخّر المفعول وقيل ينفقون بعض ما رزقناهم

(التي هي أُختها) أو هي غيرها من النفقات في سبيل الخير (لمجيئه) مطلقًا، (وأنفق الشيء وأنفده أخوان) كنفق الشيء ونفد، وكل ما جاء (مما فاؤه نون وعينه فاء) فدال على معنى الخروج والذهاب. ودلّت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان (والعطف يقتضي المغايرة).

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب (كعبد الله بن سلام وأضرابه) من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانًا زال معه ما كانوا عليه

يكون تصريحًا بأنهم ينفقون بعض ما رزقوه مع السكوت عن الباقي فيكون إنفاق الباقي أيضًا محتملًا ولو كان ذلك الاحتمال احتمالًا مرجوحًا بخلاف ما إذا قدِّم المفعول فإنه لإفادة التخصيص يدل على أن المتصدَّق به إنما هو بعض المال الحلال فيحصل المقصود وهو مدحهم بالتجنّب عن الإسراف المَنهي عنه وكفّ من بعدهم عنه فظهر أن إدخال من التبعيضية عليه لا يُغني عن التقديم لقصد لتخصيص. **قوله**: (التي هي أُختها) أي من حيث إنهما إما سائر العبادات البدنية والمالية ومن حيث إنهما يُذكَران في القرآن معًا نحو: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: الآية ٤٣ وغيرها]. **قوله**: (لمجيئه) أي اللفظ وهو مما رزقناهم مطلقًا، أي غير مقيَّد بما يُعين الزكاة أو غيرها. **قوله**: (وأنفق الشيء وأنفَده أخوان) أي مشتركًا في أصل المعنى وأكثر الحروف الأصول وهو معنى الاشتقاق الأكبر. **قوله**: (مما فاؤه نون وعينه فاء) نحو: نفر ونفي ونفع ونفض ونفث وأمثالها. **قوله**: (والعطف يقتضي المُغايرة) يعني أن الأصل في العطف المغايرة وإلا فقد يكون للتفسير.

قوله: (كعبد الله بن سلام) الصحابي (وأضرابه) أي أمثاله جمع ضرب بفتح الضاد وعليه أكثر الناس، وعند الزمخشري بكسرها أو جمع ضريب كشريف وأشراف الجوهري ضرب الشيء مثله وشكله وعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه من الأنصار وكان من أحْبار اليهود من بني قينقاع الإسرائيلي بفتح القاف الأولى وضمّ النون وبالعين المهملة وكان اسمه الحصين فسمّاه النبي ﷺ عبد الله بن سلام بتخفيف اللام.

من (**أنه لا يدخل الجنة** ﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ **وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات**)، ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين، وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل: هدى للمتقين، وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك، أو المراد به وصف الأولين (**ووسط العاطف**) كما يوسط بين الصفات في قولك: (**هو الشجاع والجواد**)، وقوله:

(**إلى الملك القرم**) وابن الهمام (**وليث الكتيبة في المزدحم**)

قوله: (**إنه لا يدخل الجنة**) أحد (﴿**إِلَّا مَن كَانَ هُودًا**﴾[1] [البقرة: الآية ١١١]) جمع هائد (﴿**أَوْ نَصَـٰرَىٰ**﴾ [البقرة: الآية ١١١]) جمع نصران ونصرانة كالندامى جمع ندمان وندمانة ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب كذا في المختار. وفي المصباح والنصارى جمع نصريّ كمهريّ ومهارى.اهـ. فتلخّص أن نصارى له مفردان نصريّ ونصران. قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لمّا تناظروا بين يدي النبي ﷺ أي قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود، وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى. **قوله**: (**وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات**) رُوِيَ أن بعضهم قالوا: نعذّب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يومًا، وبعضهم قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يومًا، وأصل أيام أيوام لأنه جمع يوم نحو: قوم وأقوام فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فوجب قلب الواو ياء وإدغام الياء في الياء مثل ميّن وميّت.

قوله: (**ووُسّط العاطف**)... الخ بيان لصحة العطف بين الموصولين مع اتحاد الذات بأنه باعتبار التغاير في المفهوم. **قوله**: (**هو الشجاع**) مثلثة ذليرويردل درشدائد ومخاوف. **قوله**: (**والجواد**) كسحاب وسخي يستوي فيه المذكر والمؤنث. **قوله**: (**إلى المَلِك القرم**) بفتح فسكون الفحل المكرم الذي لا يركب ولا يحمل عليه ثم سُمّي به سيد القوم وابن الهُمام، بضم الهاء اسم من أسماء الملوك الذين عظمت همتهم وكانوا بحيث إذا همّوا لا يقدر أحد على صرفهم عمّا همّوا به (**ولَيث**) أي أسد (**الكتيبة**) أي الجيش (**في المزدحَم**) موضع الازدحام من ازدحم القوم إذا وقع بعضهم على بعض. ومنه قيل للمعركة مزدحم لأنه موضع

---

(١) الهود بوزن العود اليهود. ١٢ منه.

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) يعني القرآن (**والمراد جميع القرآن**) لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم، لأنه الإيمان بالجميع واجب. وإنما عبّر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقبًا (**تغليبًا للموجود**) على ما لم يوجد، (**ولأنه**) إذا كان بعضه نازلًا وبعضه منتظر النزول

المزاحمة. ومعنى البيت إلى الملك الجامع للسيادة وشرف النسب وكمال الشجاعة.

قوله: (والمراد جميع القرآن) جواب يقال إن أُريد بما أنزل جميع القرآن فهو غير منزل وقت إيمانهم فكيف يصحّ التعبير عن إنزاله بلفظ الماضي وإن أُريد به المقدار المُنَزَّل وقت الإيمان، فالإيمان به إيمان ببعض المُنَزَّل مع أنه يجب الإيمان بجميع المُنَزَّل سواء تحقق إنزاله أو كان مترقّب الإنزال بعد بأن يصدق إجمالًا ويعترف بأن كل ما نزل وما سينزل شيئًا فشيئًا فهو حق لأنهم وصفوا بالإيمان بجميع ما يجب أن يؤمن به من الغيب ولا شك أن ما هو مترقّب النزول من جملة ما يجب أن يؤمن به إجمالًا فإن الإيمان بتفاصيل الترقّب إنما يجب عند تحقق نزوله فينبغي أن يشار إلى اشتمال إيمانهم على الإيمان بما هو مترقّب النزول أيضًا، أي كما ذكر إيمانهم بالمقدار المُنَزَّل وقت الإيمان وتقرير الجواب أن نختار أن المراد (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) جميع القرآن ما نزل منه وما هو مُتَرَقَّب النزول. وقولك: ولا يصحّ حينئذ التعبير عن إنزاله بلفظ الماضي فالجواب عنه من وجهين: الأول تغليب ما وُجِد نزوله على ما لم يوجد، ثم أن يُعَبَّر عنهما بما يُعَبَّر به عمّا تحقَّق نزوله فصار الكل بذلك كأنه قد أُنزل فيكون قوله تعالى: (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) مجازًا مرسلًا من قبيل التعبير عن الكل بلفظ الجزء، والوجه الثاني أنه جعل كل القرآن مُنَزَّلًا وإن كان بعضه مُتَرَقَّب النزول تشبيهًا بما تحقق نزوله لكونه محقَّق النزول فاستُعير له اللفظ المستعمل فيما تحقّق نزوله.

قوله: (تغليبًا للموجود) يعني أن الوجه في التعبير عن الماضي والآتي بلفظ الماضي إما تغليب ما حصل له الوجود على ما لم يحصل وإما جعل المترقّب بمنزلة المتحقّق، فالأول مجاز باعتبار تسمية الكل باسم الجزء، والثاني استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقّق بالمتحقّق. **قوله**: (ولأنه) أي القرآن عطف على تغليبًا.

(جعل) كأن كله قد نزل ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ (يعني سائر الكتب) المنزلة على النبيين (﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ﴾) وهي تأنيث الآخر (الذي هو ضد الأول وهي صفة) والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ [القصص: الآية ٨٣] وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا. (وعن نافع) أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام. (﴿هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ الإيقان إتقان العلم) بانتفاء الشك والشبهة عنه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ (عَلَىٰ هُدٗى)﴾ الجملة في موضع الرفع إن كان (﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾) مبتدأ (وإلا) فلا محل لها، ويجوز أن يجري الموصول الأول على

قوله: (جعل). اهـ. أي جعل القرآن النازل بعضه فقط مُشَبَّهًا بالنازل كله. **قوله**: (يعني سائر الكتب) في المصباح اتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلًا كان أو كثيرًا. قال الصغاني: سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم مَن قصر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام. انتهى. **قوله**: (الذي هو ضد الأول) هذه صفة كاشفة، أي معناه الآخر اسم فاعل من أخّر بمعنى تأخر وإن لم يستعمل كما أن الآخر بفتح الخاء أفعل تفضيل منه والأول أفعل أصله أوْأَلْ قُلِبَت الهمزة واوًا فأدغِمَت فيه الواو الأولى. **قوله**: (وهي صفة) غالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ولذا قلّ ذِكر الموصوف معهما مثل الدار الآخرة والدار الدنيا وقد يجريان مع تلك الغلبة مجرى الأسماء بترك موصوفهما حتى كأنهما ليستا من قبيل الصفات. **قوله**: (وعن نافع) بن عبد الرحمٰن المدني أنه خفّفها أي سلك في تلفّظ قوله تعالى: (﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾) سبيل التخفيف بأن حذف همزتها والتي حركتها على اللام كما في قوله: دابّة أرض. **قوله**: (الإيقان إتقان العلم) أي إحكامه. **قوله**: (وإلا) أي وإن لم يكن. **وقوله**: الذين يؤمنون بالغيب) مبتدأ بل صفة أو نصبًا أو رفعًا على المدح فلا محل لها من الإعراب ـ يعني على تقدير عطف (﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾) على المتقين أو (﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾) كما مرّ وأما على تقدير أجرا الموصول الأول على المتقين ورفع الثاني على الابتداء كما سيجيء فلها محل وكون (﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾) خبر المبتدأ مذكور فيما سبق وإنما كرر هٰهنا ليبني عليه وإلا فلا محل لها.

«المتقين» وأن يرتفع الثاني على الابتداء و«أولئك» خبره، ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضًا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوّة رسول الله ﷺ وهم ظانّون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله. **(ومعنى الاستعلاء في «على هدى» مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال مَن اعتلى الشيء وركبه ونحوه «هو على الحق وعلى الباطل»**

قوله: (ومعنى الاستعلاء في ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ مثل لتمكّنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسّكهم به بحيث شُبِّهت حالهم بحال مَن اعتلى الشيء وركبه، ونحوه هو على الحق وعلى الباطل) يعني أن كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ في الآية ليست للاستعلاء الحقيقي لأن المتقين لا يستعلون على الهدى حقيقة كاستعلاء زيد مثلًا على الفرس أو على السطح بل هي استعارة تبعية شبّه تمسّك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء وقد تقرر في موضعه أن الاستعارة في الحرف تقع أولًا في متعلق معناه كالاستعلاء والظرفية والابتداء مثلًا، ثم تسري إلى الحرف بتبعية فيشبه شيء من المعاني بذلك المتعلق ثم يطلق اسم المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة الأصلية ثم يعبّر عن الاسم المستعار بلفظ الحرف فيكون استعارة تبعًا. قال صاحب المفتاح: المراد بمتعلقات معاني الحروف ما يعبّر بها عنها عند تفسير معانيها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية وفي معناها الظرفية وفي معناها الغرض فهذه ليست معاني الحروف وإلا لَما كانت حروفًا بل تكون هي أسماء لأن الاسمية والحرفية إنما هي باعتبار المعنى وإنما هي متعلقات لمعانيها بمعنى أن هذه الحروف إذا أفادت معاني ردّت تلك المعاني إلى هذه المعاني المستقلة بالمفهومية بنوع استلزام لأن معاني الحروف معانٍ نسبية مخصوصة وهذه المعاني معاني مستقلة بالمفهومية عامة والخاص يستلزم العام، ولمّا كان المستعار أصالة في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ هو متعلق معنى كلمة ﴿عَلَىٰ﴾ وهو الاستعلاء حيث عبَّر عن تمكّن المتقين من الهدى واستقرارهم على طريق التعبير باسم المشبه به عن المشبه بين أن المتقين وإن لم يستعلوا على الهدى حقيقة إلا أنه شبّه تمسكهم بالهدى وتمكّنهم منه باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكّن والاستقرار فأطلق اسم الاستعلاء على التمسك والاستقرار ثم عبَّر عن الاستعلاء المُستَعار بالحرف الموضوع للاستعلاء

وقد صرّحوا بذلك) في قولهم: **(جعل الغواية مركبًا)**، و**(امتطى الجهل)**، واقتعد

فسرت الاستعارة الواقعة في متعلقه إليه فكان استعارة تبعية، ومعنى المثل التمثيل والتصوير فإن المقصود من الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به إبرازًا لوجه الشبه فيه بصورته في المشبه به من غير أن يكون ناقصًا عن ما في المشبه به كما في صورة التشبيه، فإذا قلت: رأيت أسدًا يرمي فقد صوَّرت المشبه وشجاعته بصورة الأسد وجراءته فكذلك في الآية صوّر تمكّنهم من الهدى وتمسّكهم به واستقرارهم عليه بصورة استعلاء الراكب على مركوبه في التمسك والاستقرار فاستعير له الحرف الموضوع للاستعلاء كما شبّه استعلاء المصلوب على الجذع واستقراره عليه باستقرار المظروف في الظرف فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية في قوله تعالى حكاية عن فرعون ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:الآية ٧١]، ولمّا كان تشبيه الهدى والجهل ونحوهما من المعاني والأوصاف القائمة بالنفس المركوب عليه الذي يعتلي عليه حقيقة مما يستبعد في بادىء النظر أراد إزالة استبعاده فقال: **(وقد صرَّحوا بذلك)** التشبيه أي تشبيه نحو الهدى بالشيء الذي يعتلى عليه ويركب وإن ذلك شائع مُتعارَف فيما بين الخلق إما في صورة التشبيه كقولهم: **(جعل الغواية مركبًا)** فإنه بمنزلة قولك الغواية مركب أي مثل المركب. وإما في صورة الاستعارة كقولهم: اقتعد غارب الهوى، حيث جعل الهوى مَطِيَّة استعارة بالكناية والاستعارة بالكناية أن يشبه شيء بشيء في النفس[١] فيسكت عن ذكر أركانه سوى المشبه، وأثبت له الغارب تخييلًا. والاستعارة التخييليّة أن يثبت للمشَبَّه من لوازم المشبَّه به. وذكر الاقتعاد ترشيحًا فإنه من اقتعد بمعنى ركب وهو في الأصل افتعال من القعود، والغارب له كما في كتب اللغة معانٍ ما بين السنام والعنق، ومنه استعير حبلك على غاربك ومقدّم السنام وما يعلوه راكب البعير من مطلق الظهر وهو المراد المناسب هنا. والترشيح أن يذكر شيء يلائم المشبه به. وأما قولهم: **(امتطى الجهل)** فإن جعل بمنزلة قولك ركب مطى[٢] الجهل كان استعارة بالكناية وإن جعل في قوة قولك اتخذ الجهل مَطية كان تشبيهًا وأيًا ما كان فتشبيه الجهل بالمطية مقصود منه كما في قوله إن الشباب مطية الجهل في رواية وهو المراد

---

(١) أي في نفس معنى، أو نفس المتكلم. ١٢ منه.
(٢) بمعنى الظهر، ١٢ قاموس.

غارب الهوى. ومعنى هدى ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي أوتوه من عنده. ونكر «هدى» ليفيد ضربًا مبهمًا **(لا يبلغ كنهه)** كأنه قيل على أي هدى **(ونحوه «لقد وقعت على لحم»)** أي على لحم عظيم.

بكونه مُصَرَّحًا به. **قوله**: **(لا يبلغ)** على صيغة المجهول **(كنهه)** أي نهايته. **قوله**: **(ونحوه لقد وَقَعْتِ على لحم)** أي ونحوه في كون التنكير للتعظيم قول أبي خِراش[1] خويلد بن مُرَّة الهُذَلي:

فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم

وأبو خراش كان من فرسان العرب وفصحاء شعرائها، وكان يعدو على قدميه فيسبق الخيل ثم أسلم وحَسُن إسلامه، ومات في زمن عمر رضي الله تعالى عنه من نهش حيّة يرثي به خالد بن زهير وكان رجلًا عظيم القدر في هذيل قد قتل وأقامت الطير عليه ولزمته تأكله فاستعظم الشاعر لحمه حيث نكره وبسبب تعظيم اللحم استعظم الطير الواقعة عليه ثم ما اكتفى بتعظيم الطير بل استعظم آباء الطير حيث أقسم بها وليس لأبيها شرف يستحق لأن يُقسَم به سوى كونه أبًا لها، فتعظيم أبيها راجع إلى تعظيم نفس الطير، وتعظيم نفس الطير راجع إلى تعظيم اللحم، وتعظيم اللحم راجع إلى تعظيم خالد وكلمة لا مثلها في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القِيَامَة: الآية ١] يحتمل أن ﴿لَآ﴾ [القِيَامَة: الآية ١] تكون زائدة بل تكون ردًّا لكلام سابق أي فليس الأمر كما زعمت. وقوله لقد وقعت جواب للقسم والخطاب في قوله: وقعت للطير على طريقة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وأصل أبي أبين في وأبي الطير على خلاف القياس سقطت نونه بالإضافة ولو لم يكن كذلك لكان الواجب أن يكتب وأب الطير بلا ياء وذكرها بالكنية مما يدلّ على التعظيم أيضًا والمُرِبة بضم الميم وكسر الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة والهاء بمعنى الواقعة المُلازمة من أربَّ بالمكان بمعنى أقام به ولزمه، والباء وعلى في قوله بالضحى، وعلى خالد متعلقان بالمربة نقل عن صاحب الكشاف أنه كان يقول في حق بيت

---

(١) في تجريد أسماء الصحابة رضي الله عنهم للعلامة الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي رحمه الله أبو خراش الهذلي الشاعر له خبر منكر (ب).اهـ بحروفه. أي رواه ابن عبد البرّ، وفي أسد الغابة: وإنما ذكره في الصحابة؛ لأن أبا خراش أسلم في حياة رسول الله ﷺ. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا؛ فالفلاح درك البغية والمفلح (الفائز بالبغية كأنه) الذي انفتحت له وجوه الظفر، والتركيب دالّ (على معنى الشق) والفتح وكذا أخواته في الفاء والعين نحو «فلق وفلز وفلى»، وجاء العطف هنا بخلاف قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩] (لاختلاف الخبرين) المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثَمَّ، فكانت الثانية مقرّرة للأولى (فهي من العطف بمعزل، وهم فصل. وفائدته الدلالة) على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد

الهُذَلي: ما أفصحك يا بيت. **قوله**: (الفائز بالبغية) أي بالمطلوب، هذا هو المعنى العُرفي المعروف في الاستعمال والشق والفتح معناه الحقيقي الأصلي. **قوله**: (كأنه)... الخ بيان للمُلابسة والمناسبة بينهما. وقوله: انفتحت يدل على أن همزة أفلح والمفلح للصيرورة واكتفى بذكر الفتح فيه لاشتماله على الشق في الغالب فلا يقال المناسب لما بعده أن يذكره لكنه لو صرَّح به كان أحسن والوجوه جمع وجه، ومعناه النوع أو الطريق، فقوله: وجوه الظفر أي أنواعها أو طرقها. **قوله**: (على معنى الشق)... الخ، يقال فَلَحْت الأرض أي شققتها للحرث، ومنه الفَلاحةِ للحراثة والحديد بالحديد يفلح أي يشقّ ويقطع، وفلق بمعنى شقّ، ومنه سُمِّي الصبح فلقًا، وفلذًا بالذال المعجمة بمعنى قطع وفلى من فليت الشعر إذا فتحته لتنظر ما تحته من الهوام أو من فلوته بالسيف إذا ضربته، وفي الضرب معنى الشق هنا، أو من فلوته عن أُمه إذا فطمته. **قوله**: (لاختلاف الخبرين) يعني ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يعني أن بينهما تمايزًا في التعقّل والوجود إذ الهدى حاصل في الدنيا وإنما الفلاح في الآخرة مع ما بينهما من المناسبة، فالجملتان متوسطتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فلذا جاء الكلام مع العاطف وهذا بخلاف كالأنعام والغافلون فإنهما شيء واحد بحسب المقصود والمآل وإن تعدّد بحسب اللفظ والمفهوم إذ لا معنى للتشبيه بالأنعام إلا المبالغة في الغفلة فكانت الجملة الثانية المشاركة للأولى في المحكوم عليه مؤكدة لها فلا مجال للعاطف بينهما. **قوله**: (فهي) أي الثانية (من العطف بمَعْزَل) أي بمنزلة بعيدة في المصباح، فلان عن الحق بمعزل أي مُجانِب له.اهـ. **قوله**: (وهم فصل) أي ضمير فصل ويسمى عمادًا (وفائدته الدلالة) ذكر لضمير الفصل ثلاث فوائد: الأولى الدلالة على أن ما

(وإيجاب) أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره، أو هو مبتدأ «والمفلحون» خبره، والجملة خبر «أولئك» (فانظر كيف) قرّر الله عزّ وجلّ التنبيه على اختصاص المتقين (بنيل) ما لا يناله أحد (على طرق شتى) وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره، ففيه تنبيه على أنهم (كما ثبت) لهم (الأثرة) بالهدى (فهي) ثابتة لهم بالفلاح. (وتعريف المفلحون) ففيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانًا قد تاب من أهل بلدك (فاستخبرت مَن هو؟) فقيل: زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته. وتوسيط الفصل بينه وبين «أولئك» ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا. اللهم زيّنا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة مَن صدرت بذكرهم سورة البقرة.

بعده خبر لا نعت لأنه إنما يتوسط[1] بين المبتدأ والخبر لا بين الموصوف والصفة، وبهذا الاعتبار يسمى ضمير الفصل. الثانية توكيد الحكم لدلالة على ربط المسند بالمسند إليه، وقيل: توكيد المحكوم عليه لأنه راجع إليه فهو تكرير له. الثالثة الدلالة على حصر المسند في المسند إليه فعلًا كان أو اسمًا مُعَرَّفًا أو منكرًا فإن قولك زيد هو أفضل من عمرو، معناه زيد أوست كه أفضل است إذ عمرو. **قوله**: (إيجاب) أي إثبات. **قوله**: (فانظر كيف) لمّا كان النظر وسيلة إلى العلم كان متضمنًا لمعناه فجاز إيقاعه على الاستفهام. **قوله**: (بنيل) بوجدان متعلق باختصاص. **قوله**: (على طرق) وجوه (شتى) متعلق بكرَّرَ وشتى بمعنى متفرقة مفرد أو جمع شتيت كمريض ومرضى. **قوله**: (كما ثبت) في موقع المصدر لقوله ثابتة والفاء في (فهي) زائدة (والأثرة) بفتح الهمزة وفتح الثاء المثلثة وراء مهملة وهاء لغة بمعنى الاستيثار والاستبداد. وقيل: هي التقدم والاختصاص من الإيثار، ويجوز فيه ضمّ الهمزة وسكون المثلثة. **قوله**: (وتعريف المفلحون). . . الخ، يعني فاللام للعهد الخارجي. **قوله**: (فاستخبرت مَن هو؟) الضمير في قولك: مَن هو راجع إلى التائب أي من التائب، فمن مبتدأ والتائب خبره كما هو مذهب سيبويه، والمعنى أزيد التائب أم عمرو أو غيرهما؟

---

(١) قوله: إنما يتوسّط. . . الخ. وهو أغلبي، لأنه قد يتوسّط بين غيرهما، كما ذكره النحاة. ١٢ منه عُفِي عنه.

لمّا قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقرّبة إليه، وبيَّن أن الكتاب هدى لهم **(قفى على أثره بذكر أضدادهم)** وهم **(العتاة المردة)** الذين لا ينفع فيهم الهدى بقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الكفر ستر الحق بالجحود، والتركيب دالّ على الستر **(ولذا سمي الزارع كافرًا وكذا الليل)**. ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: الآيتان ١٣، ١٤] لأن الجملة الأولى هنا مسوقة بيانًا لذكر الكتاب لا خبرًا عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا، فبيّن الجملتين تفاوت في المراد وهما **(على حد)** لا مجال للعطف فيه، وإن كان مبتدأ على تقرير **(فهو كالجاري)** عليه، **(والمراد بالذين كفروا أناس)**

قوله: **(قفّى على أثره)** أو ردّ على عقبه وفي الأساس قفيه وقفيته به على أثره إذا أتبعه إياه، وكذا عقّبته جئت على عقبه وعقبته بالشيء جئت بالشيء على عقبه **(بذكر أضدادهم)** الأضداد جمع ضد، والضدّان المتنافيان اللذان تحت جنس واحد كالبياض والسواد فإن لم يندرجا تحت جنس كالحلاوة والحركة لم يكونا متضادين. **قوله**: **(العُتَاة)** جمع عات من عتا إذا استكبر وجاوز الحدّ **(والمردة)** كفسقة جمع مارد وقد فسَّروه بالعاتي والظاهر أن يفسر بما هو شديد العلوّ حتى يكون من الترقّي.

قوله: **(لذا سمي الزارع كافرًا)** لأنه يغطي البذر بالتراب. **قوله**: **(وكذا الليل)** لأنه يستر بظلمته كل شيء. **قوله**: **(على حدّ)** من التفاوت في المراد. **قوله**: **(فهو كالجاري)** عليه يعني أن الذين يؤمنون بالغيب وإن جعل مبتدأ خبره أولئك على هدى وكان كلامًا تامًّا مبتدأ في اللفظ غير تابع لشيء لكنه في المعنى تابع للمتقين لأنها جملة استئنافية واقعة موقع الجواب عن سؤال ناشىء عن قوله: (﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢]) فيكون في حكم المتقين لأن الجواب مبني على السؤال، والسؤال مبني على منشئه وحينئذ لا يبقى فرق بين كون الذين يؤمنون كلامًا مبتدأ وبين كونه موصولًا بالمتقين صفة له مجرورًا أو مدحًا منصوبًا أو مرفوعًا وكما لا مجال للعاطف على تقدير الاتصال فكذا على تقدير الانقطاع والابتداء. **قوله**: (والمراد بالذين كفروا أناس)... الخ، يريد أن تعريف الموصول للعهد فإن

بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون (**كأبي جهل وأبي لهب**) وأضرابهما. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (**بهمزتين كوفي**)، وسواء بمعنى الاستواء، وصف به (**كما يوصف بالمصادر**) ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]، أي

الموصول كالمُعَرَّف باللام في استعماله الأربعة. **قوله**: (**كأبي جهل**) عمرو بن هشام بن المغيرة يُكَنَّى أبا الحكم فكنَّاه النبي ﷺ أبا جهل فغلبت هذه الكنية قتله ابن عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر (**وأبي لهب**) كُنِّي أولًا بهذه الكنية لتلهّب وجهه إشراقًا وحُمْرة ثم رجع أمره إلى أن صار من أهل النار ومُلازِمًا لها، وأضرابهما أي أمثالهما. **قوله**: (**بهمزتين كوفي**) أي بتحقيق الهمزتين أي إيقاعهما على حالهما من غير تغيير، والمراد تحقيقهما من غير توسيط الألف بينهما وهو للكوفيين ـ يعني عاصم بن أبي النَّجود وحمزة بن حبيب الزيَّات وأبا الحسن علي بن حمزة الكسائي ولعبد الله بن عامر الشامي برواية ابن ذكوان وباقي القرّاء السبعة وهم نافع بن عبد الرحمٰن المدني وعبد الله بن كثير المكّي وأبو عمرو بن العلاء البصري قرؤوا بتخفيف الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والألف إلا أن أبا عمرو ونافعًا في رواية قالون عنه يسهِّلان الثانية ويُدخِلان قبلها ألفًا لتفصل بينهما وتمنع من اجتماعهما لأن الثانية وإن سهّلت لا تخلو عن الثقل بخلاف ابن كثير فإنه يسهِّل الثانية ولا يدخل بينهما ألف الفصل لزوال ثقل الهمزة الثانية بتخفيفها بين بين فلم يحتج إلى ما يمنع اجتماعهما وإن ورشًا صاحب قالون في الرواية عن نافع اختلف أصحابه عنه في كيفية تخفيف الهمزة الثانية، فأما أصحابه البصريون رووا عنه إبدالها ألفًا وأصحابه البغداديون رووا عنه تسهيلها بين بين من غير إدخال ألف الفصل بين الهمزتين في كلتا الروايتين وأن هشامًا وهو أحد راويي ابن عامر قرأ الهمزة الثانية على وجهين لتسهيلها وتحقيقها مع إدخال ألف الفصل على التقديرين فهذه القراءات الخمس من السبعة وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بتوسيط ألف بينهما وبغير توسيطها وقلب الثانية ألفًا وهي لورش في رواية البصريين عنه.

ومعنى التسهيل جعل الهمزة بينها وبين حرف حركتها فإن كانت مفتوحة فبين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة فبين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فبين الهمزة والواو فاحفظ هذه القاعدة فإنها كثيرة الفائدة. **قوله**: (**كما يوصف بالمصادر**) يعني كما أن المصادر أُجريَت على ما اتّصف بها، كذلك سواء أُجري

مستوية، وارتفاعه على أنه خبر لأن «أأنذرتهم أم لم تنذرهم» مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل: إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه. أو يكون «سواء» خبرًا مقدمًا و«أأنذرتهم أم لم تنذرهم» في موضع الابتداء أي سواء عليهم إنذارك وعدمه، والجملة خبر لـ «إن» **(وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدًا)** لأنه من جنس الكلام **(المهجور فيه جانب اللفظ)** إلى جانب المعنى. **(والهمزة وأم)**

على ما يتصف بالاستواء أي يجعل وصفًا له معنويًّا إما نعتًا نحويًّا كما في قوله تعالى: كلمة ﴿سَوَآءٍ﴾ وإما غيره كما نحن فيه فإن سواء في هذه الآية في موضع مستوٍ إما خبرًا عمّا قبل ومسندًا إلى ما بعده كما يسند الفعل إلى فاعله وح يجب توحيده وإما خبرًا عمّا بعده وإنما ترك لتثنيته رعاية لجهة المصدرية وكأنه نبّه على ما ذكر حيث قال في الأول مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه وفي الثاني سواء عليهم إنذارك وعدمه وهذا أرجح لأنه لمّا كان غير صفة فالأصل أن لا يعمل ولأن الغرض من الوصف بالمصدر هو المبالغة حتى يكون المعنى في رجل عدل أنه كان مجسم من العدل وإذا جعل بمعنى اسم الفاعل أو حمل على حذف المضاف فات ذلك. **قوله**: **(وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبدًا)**... الخ. لما حكم بأن قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ مرتفع إما على أنه فاعل لـ ﴿سَوَآءٌ﴾، وإما على أنه مبتدأ قُدِّم عليه خبره اتجه عليه السؤال الأول أن الفعل وقع مخبرًا عنه ومسندًا إليه فاعلًا أو مبتدأ مع أنه لا يكون إلا خبر أو مسندًا، والثاني أن ما ذكرته يُبطِل تصدّر الاستفهام. الثالث أن الهمزة و﴿أَمْ﴾ موضوعان لأحد الأمرين وما يسند إليه سواء يجب أن يكون متعددًا فأجاب[1] عن السؤال الأول ثم عقبه بما هو جواب عن الأخيرين. **قوله**: **(المهجور فيه جانب اللفظ)** يريد أن الفعل إذا نظر إلى لفظه واعتبر معناه على ما يقتضيه ظاهره امتنع الإخبار منه لكن هجر فيما نحن فيه مقتضى لفظه وأوّل بمعنى مصدر مضاف إلى فاعله كما أُشير إليه آنفًا، فلذلك صحّ أن يخبر عنه. **قوله**: **(والهمزة و﴿أَمْ﴾)** هذا مع كونه بيانًا وتفسير للمنزل يتضمن فائدتين: الأولى تأكيد الجواب عن السؤال وذلك لأن تجريد الهمزة

---

(١) تقرير الجواب أن أأنذرتهم أم لم تنذرهم وإن كان في اللفظ جملة فعلية استفهامية، لكنه في المعنى مصدر مضاف إلى الفاعل، أي إنذارك وعدمه، وهو مما يصح أن يخبر عنه. ١٢ منه.

مجردتان لمعنى الاستواء وقد **(انسلخ)** عنهما معنى الاستفهام **(رأسًا)**. قال سيبويه: جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك «**اللهم اغفر لنا أيتها العصابة**» يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى **ذلك** على صورة النداء ولا نداء. **(والإنذار)** التخويف من عقاب الله **(بالزجر)** عن المعاصي ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ جملة مؤكدة للجملة قبلها **(أو خبر لـ«إن»، والجملة قبلها اعتراض)**

و﴿أَمۡ﴾ لما ذكره من معنى الاستواء فيه هجر لجانب اللفظ، الثانية دفع السؤالين الباقيين وتقريره أن الهمزة و﴿أَمۡ﴾ قد انسلخ عنهما معنى الاستفهام بالكلية حتى زال عنهما الدلالة على أحد الأمرين وصارتا لمجرد معنى الاستواء فإن اللفظ الحامل لمعنيين قد يُجَرَّد لأحدهما ويستعمل فيه وحده ونظيرهما في التمحّض للدلالة على بعض المعنى الأصلي، حرف النداء المقدَّر قبل كلمة أي الموصوفة بالمُعَرَّف باللام في قولهم: اللَّهمَّ اغفر لنا أيتها[1] العصابة فإن حرف النداء في الأصل متضمِّن لمعنيين طلب الإقبال وتخصيص المنادى وتعيينه للإقبال ثم إنّها تجرّدت هٰهنا عن طلب الإقبال وتمحَّضت لمجرد معنى التخصيص كأنه قيل: اغفر لنا ونعني هذه الجماعة التي هي نحن، وهٰهنا كما خولف في لفظ الفعل وأُريد به الحَدَث مضافًا إلى فاعله فصحَّ الإخبار عنه لذلك، كذلك خولف في الهمزة و﴿أَمۡ﴾ حيث جرِّدا عن معنى الاستفهام واستعملتا لمعنى الاستواء فيبطل اقتضاء صدر الكلام وزال كونهما لأحد الأمرين.

قوله: **(انسلخ)** وتجرد. **قوله**: **(رأسًا)** أي بالكلية. **قوله**: **(والإنذار)** التخويف... الخ يعني أنه في اللغة مطلق التخويف والمراد هنا التخويف من عقاب الله سبحانه وتعالى على طريق استعمال المطلق في المقيد والتخويف منه لا يكون إلا بإعلام ما يؤدي إليه ويكون سببًا له. **قوله**: **(بالزجر)** أي المنع.

قوله: **(أو خبر لـ «إن» والجملة قبلها اعتراض)** واقع بين اسم إن وخبرها وكون ما قبلها جملة مبني على أن يكون قوله سواء خبرًا لما بعده لأنه إذا كان خبر إن وكان ما بعده مرفوعًا به على الفاعلية وكان المعنى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه لا يكون جملة فلا يكون اعتراضًا لأن الاعتراض عند

---

(١) قوله: أيّتها بضم التاء مؤنث أي. ١٢ منه.

أو خبر بعد خبر. والحكمة في الإنذار **(مع العلم)** بالإصرار **(إقامة الحجة)** وليكون الإرسال عامًا وليثاب الرسول.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

(﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾) قال **(الزجاج)**: الختم التغطية لأن في **(الاستيثاق)** من الشيء يضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه. وقال **(ابن عباس)**: طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير. يعني أن الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان. **(وحاصل الختم والطبع)** خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه. وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير. **(وقال بعضهم)**: إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر، إلا أنه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكّنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب فيقال: بنى الأمير المدينة، لأن للفعل **(ملابسات)** شتى **(يلابس الفاعل)** والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب

الجمهور عبارة عن أن يورد في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإبهام وجوّز بعضهم كونه لدفع الإبهام، وبعضهم كونه في آخر الكلام وأما اشتراط كونه للتأكيد فمما لم يسمعه. **قوله: (مع العلم)** أي مع علم الله تعالى بالإصرار والدوام على الكفر بحيث لا ينفع الإنذار فيهم **(إقامة الحجة)** أي إلزام الحجة عليهم بأن دُعُوا ولم يجيبوا.

قوله: (الزَّجَّاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد توفي سنة عشر، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل سنة ست عشر وثلثمائة ببغداد رحمه الله تعالى. **قوله: (الاستيثاق)** الاستوا ركردن. **قوله: (ابن عباس)** هو عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله: (وحاصل الختم والطبع)** على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة. **قوله: (وقال بعضهم)** من المعتزلة. **قوله: (ملابسات)** بفتح الباء. **قوله: (يلابس الفاعل)** اقتصر في ملابسات الفعل على ما يصلح لإسناده إليه فلم يذكر المفعول معه والحال والتمييز والمراد بالفاعل في قوله يلابس الفاعل والمفعول به وغير ذلك هو الفاعل النحوي أعني اللفظ الذي أُسند إليه الفعل وكذا

له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة. وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازًا (**لمضاهاتها الفاعل**) في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جرأته فيستعار له اسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ (**وحدّ السمع**) كما وحد البطن في قوله:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

البواقي. وفي قوله فإسناده إلى الفاعل حقيقة ما يكون محلًا للفعل والفعل وصفًا له قائمًا به كالفاعل في المبني للفاعل والمفعول في المبني للمفعول فإن في قولنا ضرب زيد عمروًا الفاعل للضاربية زيد وللمضروبية عمرو فالإسناد في ضُرِبَ عمرٌو مبنيًا للمفعول يكون حقيقة لكونه إسنادًا إلى الفاعل وفي نحو أُفْعِم السيلُ مبنيًا للمفعول يكون مجازًا لكونه إسنادًا إلى غير الفاعل وهو الوادي لأنه المتّصف بالمفعمية وكذا في رضيت العيشة مبنيًا للفاعل لأنه إلى غير الفاعل إذ الرضى لصاحب العيشة مع أن الإسناد في جميع ذلك بل في جميع صور الإسناد المجازي إلى الفاعل النحوي.

قوله: (**لمضاهاتها**) أي لمشابهة هذه الأشياء المذكورة (**الفاعل**) منصوب بنزع الخافض أي بالفاعل. **قوله**: (**وحدّ السمع**) جواب سؤال تقديره أن يقال إن السمع لفظ مفرد وقد أُضيف إلى ضمير الجمع والجماعة لا يكون لهم سمع واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال: وأسماعهم، ولا سيما أن ما قبله قلوبهم وما بعده أبصارهم وكلاهما جمع فالمناسب للطرفين صيغة الجمع وتقرير الجواب أن السمع في الأصل وإن كان مصدرًا كالسماع بمعنى إدراك القوة السامعة يقال: سمعت الشيء سمعًا وسماعًا إلا أنه قد يطلق على آلته التي هي الأُذُن السامعة وعلى القوة السامعة المودعة فيها مجازًا وإن الأقرب أن يكون المراد به في الآية نفس العضو لأنه جسم صالح للختم بخلاف المعنيين الآخرين فإنهما عَرَضان تابعان له. ومن المعلوم أن القوم المذمومين لهم آذان سامعة بعددهم وإن المعنى ختم الله على آذانهم فلا يصل إلى قلوبهم من جهتها إدراك فكان القياس أن يجمع السمع لكنه لم يجمع للأمْن من اللَّبس وهذا شائع مطّرد عند الأمن منه كما وحّد الشاعر البطن في موضع الجمع حيث قال، شعر:

كلوا في بعض بطنكمو تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

(لأمن اللَّبس ولأن السمع مصدر) في أصله يقال: سمعت الشيء سمعًا (وسماعًا)، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع (فلمح) الأصل. (وقيل: المضاف محذوف) أي وعلى مواضع سمعهم (وقرىء «وعلى أسماعهم»). (﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾) بالرفع خبر ومبتدأ، والبصر: (نور العين) وهو ما يبصر به الرائي، كما أن البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار. (والغشاوة:) الغطاء فِعالة من غشاه إذا غطّاه، وهذا البناء لما

يقال عفّ عن الحرام يعفّ عفًّا وعفافًا وعِفّة، أي كفَّ عنه ولم يعترض لِما لا يحلّ، والمعنى اقنعوا بالقليل من الطعام تعفوا عن تناول الحرام فإن زمانكم من الضيق والجدب والخميص الجائع والمراد أن زمانكم ذو خمص كما في ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [الحاقّة: الآية ٢١] أي ذات رِضى هذا إذا أمِن اللَّبس وأما إذا لم يؤمن بأن يكون مدلول اللفظ أمرًا منفصلًا عن الشخص كالثوب والفرس فلا يجوز حينئذ إطلاق اللفظ المفرد وإرادة الجمع فلا يقال ثوبهم وفرسهم عند إرادة الأثواب والأفراس حذرًا من اللَّبس فإنه يجوز اشتراك جماعة في ثوب واحد وفرس واحد. **قوله**: (لأمن اللَّبس) بإرادة المفرد بضمير الجمع فإنه لا يتوهم أن السمع الواحد يكون للجمع. **قوله**: (سماعًا) بالفتح. **قوله**: (فلمح) أي نظر. **قوله**: (ولأن السمع مصدر)... الخ، فهو وجه ثانٍ لتوحيد السمع مع أن المراد معنى الجمع أي وعلى آذانهم. **قوله**: (وقيل المضاف محذوف)... الخ. فعلى هذا الوجه يكون السمع بمعنى المصدر لا بمعنى العضو. **قوله**: (وقُرىء) أي شاذًا (على أسماعهم) والقارىء ابن أبي عبْلة. **قوله**: (نور العين) أي القوة التي بها الإبصار كما أن البصيرة القوة بها التعقّلات والقول بأنهما جوهران مخلوقان كذلك قول بالظن والتخمين واستعمال لفظ كأنَّ فيه شائع من غير قصد إلى التشبيه ومعنى الجوهر القائم بذاته ذهابًا إلى أن القوى صور نوعية لا أعراض والظاهر أنه لم يقصد سوى أنه جسم لطيف نورانيّ[1]. **قوله**: (والغشاوة)... الخ قال الزجّاج: كلما اشتمل على الشيء مبني على فعالة نحو العمامة والقلادة وكذا أسماء الصناعات مشتملة على كل ما فيها نحو الخياطة والقصارة، وكذلك ما استولى على

---

(١) أي الأجرام، ١٢ منه.

يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة والقلادة. والأسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: الآية ٢٣]، (ولوقفهم) على سمعهم دون قلوبهم. (ونصب المفضل وحده «غشاوة» بإضمار «جعل» وتكرير الجار) في قوله: (و) على (سمعهم») دليل على شدّة الختم

أعمّ كالخلافة والإمارة. **قوله:** (ولوقفهم) أي القرّاء رضي الله تعالى عنهم. **قوله:** (وَنَصَبَ الْمُفَضَّلُ) اسم القارىء (وحده غشاوة) بكسر الغين المعجمة (بإضمار جعل) وقد صرَّح بهذا العامل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: الآية ٢٣] فيكون الكلام من قبيل قوله، شعر:

يا ليت زوجك قد غدا   متقلدًا سيفًا ورمحا

أي وحاملًا رمحًا، وقوله: علفتها تبنًا وماءً باردا، أي وسقيتها ماء باردًا. وقرىء بضم الغين المعجمة ورفع الآخر على أنه مبتدأ عند سيبويه وبفتح الأول ونصب الآخر على أنه مفعول بفعل مقدّر وضمّ الغين وفتحها لغتان في غشاوة بكسر الغين وقُرِىء غشاوة بكسر الغين المعجمة بلا ألف مرفوعة لما ذكر وبفتح الغين المعجمة بلا ألف أيضًا مرفوعة ومنصوبة للوجه السابق وعشاوة بفتح العين الغير المعجمة والرفع في آخره وجوَّز فيه كسر العين المهملة ونصب الآخر من العشا بالقصر وهو مصدر الأعشى وهو الذي لا يُبصِر بالليل ويُبصِر بالنهار والعشاء بالفتح والمدّ الطعام الذي يُؤكَل بعد الزوال والغداء ما يؤكل قبل الزوال وفي الحواشي الشريفية ولعل المعنى حينئذ أنهم يُبصِرون الأشياء إبصار غفلة لا إبصار عبرة. انتهى. أي يبصرونها كما يُبصر الأعشى في سواد الليل لا كما يبصر أُولو الأبصار السليمة في بياض النهار قيل هذه القراءات كلها شواذ سوى القراءة بكسر الغين مع الألف بعد الشين ورفع الآخر.

قوله: (وتكرير الجار)... الخ عبارة تفسير القاضي البيضاوي وكرر الجار ليكون أدلّ على شدة الختم في الموضعين واستقلال كلٍّ منهما بالحكم. انتهت. وعبارة حاشية شيخ زاده على التفسير المذكور قوله: وكرر الجار أي ذكرت كلمة على في قوله (﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾) ولم يكتفِ بذكرها في قوله: (﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾) مع أن كل واحدة منهما متعلقة بقوله: (﴿خَتَمَ﴾ **الله على قلوبهم وسمعهم**) لم يستفد

في الموضعين. قال (**الشيخ**) الإمام (**أبو منصور**) بن عليّ رحمه الله: الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وغيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد من صانع، جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة، وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة في حكم التغشية. والآية حجة لنا على المعتزلة (**في الأصلح**) فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك

من الكلام المعنى الحاصل بالتكرير، وذكر للتكرير فائدتين: الأولى أن تكريره أدلّ على شدة الختم في الموضعين وإن كان أصل الدلالة حاصلًا بدون التكرير بناء على أن ختم يستعمل متعديًا تارة بنفسه يقال ختم فهو مختوم، وأخرى بعلى يقال: ختم عليه فهو مختوم عليه فإذا استعمل بعلى يُراد الدلالة على شدة الختم لأن زيادة اللفظ مع حصول أصل المعنى بدونه تدلّ على زيادة المعنى، والمعنى المناسب للزيادة هٰهنا هو الشدة فإذا دخلَت كلمة على على القلوب وعطف السمع عليها بالواو حصلت الدلالة على شدة الختم فيهما وإذا كرر يراد زيادة الدلالة على شدته فيما دخلت هي عليه. والفائدة الثانية الأدلة على استقلال كل واحد من القلوب والأسماع بكونه مختومًا عليه وذلك لأن ملاحظة معنى الجار في كلٍّ من الموضعين تقتضي أن يلاحظ مع كل واحد منهما على معنى الفعل المتعدّى به فكأن الفعل مذكور مرتين وذلك يدلّ على أن كل واحد منهما مختوم عليه بختم على حدة وإن ختم القلوب ختم مغاير لختم السمع وقد فرّق النحويون رحمهم الله بين مررت بزيد وعمرو وبين مررت بزيد وبعمرو فقالوا في الأول هو مرور واحد وفي الثاني هما مروران. وهذا الوجه وهو كون ملاحظة معنى الجار في كل واحد من الموضعين مقتضيًا لملاحظة معنى الفعل مع كل واحد منهما كما يدلّ على استقلال كل واحد منهما بالختم يدل أيضًا على شدته فيهما وذلك لأن تكرير الجار لمّا كان في قوة تكرير الفعل المُعَدَّى به كان ذلك في قوة تأكيد الفعل وتأكيده يدل على شدته انتهت بحروفها. **قوله**: (**الشيخ أبو منصور**) كذا في بعض النسخ وفي أكثر النسخ الإمام أبو منصور بن علي رحمه الله وهو محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج العتّابي أبو منصور ولد في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ومات في خامس عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة. **قوله**: (**في الأصلح**) أي في أن فعل الأمر الأصلح في حق العباد لا يجب على الله تعالى.

الختم أصلح لهم. (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **العذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب**) عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه، والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير. (**ويستعملان في الجثث والأحداث**) جميعًا تقول رجل عظيم وكبير (**تريد جثته أو خطره. ومعنى التنكير**) أن على أبصارهم نوعًا من

قوله: (**العذاب مثل النكال بناء ومعنى**) أي هما في الأصل متماثلان في الوزن والمعنى، أعني العقوبة الرادعة في تاج الأسامي النكال عقوبتي كه بآن عبرت گيرند فالعذاب مشتق من العذب بمعنى بازداشتن أو العذوب بمعنى بازماندن كلاهما من حد نصر على ما في التاج، وفي شمس العلوم أنه من حدّ ضرب والصفة عاذب وعذوب (**لأنك تقول أعذب**). . . الخ استشهاد على تماثله وإنما أورد باب الأفعال لكثرة استعماله بالقياس إلى المجرد والأعذاب بازداشن وبازماندن وكذا النكول والإمساك على ما في التاج. **قوله**: (**ويستعملان**) أي العظيم والكبير في (**الجُثَث والأحداث**) أي الأعيان والمعاني. **قوله**: (**تريد**) عظمة (**جثته**) أي أنه عظيم الجسم طويل القامة كبير الصورة (**أو خَطَره**) في المصباح المنير خطر الرجل خطرًا وزان شرُف شرَفًا إذا ارتفع قدره ومنزلته فهو خَطِير ويقال أيضًا في الحقير حكاه أبو زيد والخاطر يخطِر في القلب من تدبير أمر يقال **خطر** ببالي وعلى بالي خَطْرًا وخُطورًا من باب ضرب وقعد وخطر البعير بذنبه من باب ضرب خَطَرًا بفتحتين إذا حرَّكه. انتهى. أي عظيم وكبير من حيث القدر والمرتبة لأنه أمير أو عالم مثلًا.

قوله: (**ومعنى التنكير**). . . الخ يريد أن التنكير في كل واحد من غشاوة وعذاب للنوعية وإن احتمل كونه للتعظيم بأن يكون المعنى (﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾) أي غشاوة (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾) أيّ عذاب ويكون توصيفه بالعظيم للتأكيد كما في مضى أمس الدابر إلا أن حمل التنكير على النوعية في قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) أظهر من حمله على التعظيم بناء على أن التعظيم يُستَفاد من تصريح وضعه الدّالّ عليه بجوهر لفظه وصيغته وتنكيره أيضًا والوصف المشتمل على هذه الأمور الثلاثة كافٍ في تعظيم العذاب فينبغي أن يحمل تنكيره على التنويع ليفيد الكلام فائدة زائدة غير التعظيم وإذا حمل تنكير العذاب على التنويع حمل

التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب (**لا يعلم كنهه إلا الله**).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله (**وواطأت**) فيه قلوبهم ألسنتهم، ثم (**ثنى**) بالكافرين قلوبًا وألسنة، (**ثم ثلث بالمنافقين**) الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر (**استهزاءً**) و(**خداعًا ولذا**) نزل فيهم (**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**) [النساء: الآية ١٤٥]، وقال (**مجاهد**): أربع آيات من أول

تنكير الغشاوة، أيضًا عليه ليناسب العقوبة العاجلة والآجلة وذكر لفظ التعامي الدّالّ على أنهم باختيارهم أظهروا من أنفسهم العمى مع عدم اتّصافهم به في الواقع فإن نحو تمارض وتغافل معناه أنه أرى نفسه مريضًا وغافلًا وليس به ذلك والحال أنهم في الواقع عند تغطي الأبصار وختم القلوب والأسماع لا اختيار لهم في حدوث هذه الصفات فيهم تنبيهًا على أن ذلك من سوء اختيارهم وشؤم إصرارهم على الكفر والإنكار فكأنهم باختيارهم هذا المنكر اختاروا ما يترتّب عليه وأظهروه من أنفسهم. **قوله**: (**لا يعلم كُنهه إلا الله**) كأنه لفخامته ولإبهامه خفي جنسه وماهيّته حتى كان مما لا يُوقَف على كُنهه وحقيقته ولا يعلم ذلك إلا الله العلّام الغيوب وإفادة ذلك في حمله على التعظيم بعيد بمراحل.

قوله: (**واطَأَتْ**) أي وافقت. **قوله**: (**ثنى**) أي ذكر ثانيًا. **قوله**: (**ثم ثلّث بالمنافقين**)... الخ بتشديد اللام أي أتى بهم ثالثًا. **قوله**: (**استهزاء**) كما قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٤]. **قوله**: (**خداعًا**) بكسر الخاء أي مخادعة كما قال الله تعالى: (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) الآية. **قوله**: (**ولذا**) أي ولكونه أخبث الكَفَرَة. **قوله**: (﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: الآية ١٤٥]) اختلف في الدرك فعاصم وحمزة والكسائي وخلف بإسكان الراء ووافقهم الأعمش والباقون بفتحها وهما لغتان أي في الطبق الذي في قعر جهنم والنارُ سَبْعُ دركات سُمّيت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض. **قوله**: (**مجاهد**) بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة من كبار التابعين رحمة الله عليه.

السورة في نعت المؤمنين، وآيتان في ذكر الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين، **(نعى عليهم فيها نكرهم)** وخبثهم **(وسفههم، واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم)** صمًّا بكمًا عميًا، **(وضرب لهم الأمثال الشنيعة. وقصة المنافقين عن آخرها)** معطوفة على قصة الذين كفروا كما

قوله: (نعى عليهم فيها نكرهم) في منتهى الأرب في لغات العرب يقال هو ينعي على زيد ذنوبه يعنى أوشكار ميكندگناهاي زيدرا. اهـ. وأيضًا فيه نُكْر بالضم وبضمتين منكر أزهر چيزى وكار دشوار وزشت. اهـ. أي أظهر وبين على المنافقين في الآيات فسادهم كما قال: (﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢]). **قوله: (وسفّههم)** أي سمّاهم سفهاء بقوله: (﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣]). **قوله: (واستجهلهم)** أي جهلهم حيث قال في حقهم: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: الآية ٩] (﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢])، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٣]. **قوله: (واستهزأ بهم)** حيث قال سبحانه وتعالى: (﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]). **قوله: (وتهكم بفعلهم)** حيث قال سبحانه وتعالى: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦])، والتهكّم والاستهزاء بمعنى هنا. **قوله: (وسجّل بطغيانهم وعمههم)** أي حكم بهما حكمًا قطعيًا حيث قال: (﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥]) والعمه التحيّر والتردّد وهو في البصيرة كالعمى في البصر والمراد بالتسجيل الحكم القطعي وأصله كتابة السجل وهو الكتاب الحكمي. **قوله: (ودعاهم)**... الخ أي وسمّاهم صُمًّا بُكْمًا عميًا بقوله: (﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨]). **قوله: (وضرب)** أي جعل **(لهم الأمثال الشنيعة)** أي القبيحة حيث قال: (﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧])... الخ. وفي ضرب الأمثال التسجيل على خسرانهم والحرمان عن مقاصدهم وعلى عميهم وصممهم وغير ذلك من الأحوال العجيبة والأطوار الغريبة والأمثال: أُريد بها ما فوق الواحد.

قوله: (وقصة المنافقين عن آخرها) بمعنى إلى آخرها أي حال كونها ناشئة من أولها ممتدة إلى آخرها، والمعنى وقصتهم بتمامها معطوفة... الخ في الحواشي الشريفية ليس هذا العطف من عطف جملة على جملة لتطلب بينهما المناسبة المصحّحة لعطف الثانية على الأولى بل هو من قبيل عطف جملة متعددة

تعطف الجملة على الجملة. **(وأصل ناس أناس)** حذفت همزته تخفيفًا وحذفها كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الأُناس **(ويشهد لأصله إنسان وأناس وأناسي وإنس، وسموا به)** لظهورهم **(وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سُمِيَ الجن لاجتنانهم)**.

مَسوقة لغرض على مجموع جمل أخرى مَسُوقة لغرض آخر فيشترط فيه التناسب بين الغرضين دون آحاد الجمل الواقعة في المجموعين وهذا أصل عظيم في باب العطف لم يتنبّه له كثيرون فأشْكَل عليهم الأمر من مواضع شتى إلى هنا كلامه وبيان تناسب الغرضين في الآية الشريفة أن الجمل الأولى المعطوف عليها كانت مَسوقة لتقبيح حال الكفّار المُصِرِّين على الكفر ظاهرًا وباطنًا وأن الجُمَل المعطوفة كانت مَسوقة لتقبيح حال المنافقين المُصِرِّين على كُفرهم أيضًا، ولا خفاء في تناسب هذين الغرضين. **قوله**: **(وأصل ناس أُناس)** بضم الهمزة وزنه فعال بضم الفاء حذفت همزته. . . الخ لكن الحذف ليس بلازم فلذا جاء قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: الآية ٧١] الآية فنقصه وإتمامه جائزان في النكرة فإذا عُرِّف باللام فالأكثر حذفه ويجوز عدم حذفه على قلة. **قوله**: **(ويشهد لأصله إنسان وأُناس وأناسي وإنس)** أي يشهد لكونه أصله أُناسًا بالهمزة وجودها في مفرده وهو إنسان وأُناس وإنس وإنسي بكسر فسكون وأَنَسي بفتحتين بمعناه وفي جمعه أيضًا وهو أُناسي[1] فإن الجمع يردّ الألفاظ إلى أصولها. وقيل: الناس اسم جمع كما سيجيء كالقوم والرَّهط وواحده إنسان أو لا واحد له من لفظه ويرادف أُناسيّ إلا أنه جمع إنسان أو إنسيّ والإنس البشر واحده إنسي وإنسي أيضًا بالتحريك والجمع أناسي وإن شئت جعلت واحده إنسانًا ثم جمعته على أناسيّ **(فتكون)** الياء فيه عِوَضًا عن النون وهو حقيقة في الآدميين ويطلق على الجنّ مجازًا. **قوله**: **(وسمّوا به)**. . . الخ ولا يشترط الاطّراد في وجه التسمية فلا إشكال بأن سائر الحيوانات أيضًا كذلك. **قوله**: **(وأنهم يؤنسون أي يبصرون[2])** من قوله: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: الآية ٢٩] وآنس بالمد بمعنى أبصر إما من مفاعلة أو الأفعال. **قوله**: **(كما سُمّي الجنّ)** المقابل للإنسان جِنًّا **(لاجتنانهم)** أي لاستتارهم

---

(١) قوله: أناسي بفتح الهمزة وتخفيف الياء وتشديدها جمع إنسي أو إنسان، وأصله أناسين، فأُبدلت نونه ياء وأدغمت. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: أي يبصرون إنما فسر لئلا يتوهم أنه من الأنس ضد الوحشة. ١٢ منه.

ووزن ناس فعال **(لأن الزنة على الأصول)** فإنك تقول وزن **(قه)** افعل وليس معك إلا العين، **(وهو من أسماء الجمع)** ولام التعريف **(فيه)** للجنس **(ومن موصوفة)** ويقول صفة لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا. وإنما خصّوا الإيمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حدّ له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع، وإنما سُمِيَ بالآخر **(لتأخره)** عن الأوقات المنقضية

عن البصر، وكل ما كان فاؤه جيمًا وعينه نونًا لا يخلو عن معنى الاستتار. **قوله:** **(لأن الزنة على الأصول)** فيما يرجع إلى الدلالة على الأصلي والزائد. وأما فيما يرجع إلى بيان ترتيب الحروف فالزنة على الفروع كما يقال في أيس[1] عفل وفي أشياء لفْعَاء على رأي. **قوله:** (قه) أمر من وقى يَقي أعل فيه واتصل الهاء به وقفًا.

قوله: (وهو) أي الناس **(من أسماء الجمع)** أي مفرد اللفظ جمع المعنى كرُخال وهو بالضم اسم جمع وبالكسر جمع رَخِل بكسر الخاء وهي الأُنثى من ولد الضأن والحمل الذكر والسخلة تقع عليهما وقد يقال للرُّخال بالضم أنه جمع إما تجوزًا وإما لقلب الكسر ضمة. قال في عناية القاضي وكفاية الراضي الفرق بين الجمع واسم الجمع أن اسم الجمع ما دلَّ على ما فوق الاثنين ولم يكن على أوزان الجموع سواء كان له مفردًا ولا يشترط فيه أن لا يفرّق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة، وبالياء كزنج وزنجي فإنه اسم جنس جمعيّ وقد يراد باسم الجمع الجمع الوارد على خلاف القياس وهذا عُرْف النحاة. وأما أهل اللغة فاسم الجمع عندهم يسمى جمعًا حقيقة. اهـ. باختصار. **قوله:** (فيه) أي في الناس. **قوله:** (ومَنْ) حينئذ **(موصوفة)** نكرة. **قوله:** **(لتأخره)** علّة لتسمية الأبد الدائم باليوم الآخر ومعناه على هذا الوقت الذي ليس بمحدود، وهو وقت الآخرة مِنْ حين ينقطع وقت الدنيا ويجوز أن يُراد آخر الأوقات المحدودة وهو وقت النشور والحساب إلى دخول الجنة والنار وبعد ذلك ليس وقت محدود في حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي. واليوم في العُرْف ما بين طلوع الشمس إلى غروبها من الزمان وفي الشَّرْع[2] ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس

---

(١) قوله: أيس مقلوب يأس. ١٢ منه.
(٢) وعند المنجمين من نصف النهار إلى نصف النهار. ١٢ منه.

(أو الوقت المعهود من النشور) إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنهم أوهموا في هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبي الإيمان أوله وآخره، وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع إلى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه، ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور (والصراط والميزان) وسائر أحوال الآخرة. (وفي تكرير الباء) إشارة إلى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام. وإنما طابق قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (وهو في ذكر شأن الفاعل) لا الفعل، قولهم: آمنّا بالله وباليوم الآخر، (وهو في ذكر شأن الفعل) لا الفاعل (لأن المراد إنكار ما ادّعوه ونفيه

والمراد به هٰهنا إما الوقت الغير المحدود بمعنى أنه لا آخر له وإن كان له مبدأ وهو وقت الحشر وهو الأبد الدائم الذي لا قطع له ووصف بالآخر لكونه آخر الوقت المحدود من جهة طرفيه وهو وقت الدنيا، وأما آخر الوقتين المحدودين اللذين أحدهما وقت الدنيا وثانيهما ما بين وقت الحشر إلى أن يدخل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، وهذا الوقت آخر الأوقات المحدودة وما بعده هو الأبد الذي لا حدّ له. انتهت.

قوله: (أو الوقت المعهود) وفي بعض النسخ أو الوقت المحدود. **قوله**: (من النشور) أي من وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية. **قوله**: (والصراط) وهو جسر ممدود على متن جهنم أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف يعبره أهل الجنة وتزلّ به أقدام أهل النار. **قوله**: (والميزان)، الميزان عبارة عمّا يُعرَف به مقادير الأعمال. **قوله**: (وفي تكرير الباء) أي مع أنه لا حاجة إلى إعادة الجار في العطف على المظهر بخلاف العطف على المضمر المجرور فإنه يجب فيه إعادة الجار في المعطوف نحو مررت به وبزيد ومع ذلك أُعيد الجار لفائدتين الأولى ادّعاء الإيمان التفصيلي بكل واحد منهما، والثانية ادّعاء استحكام إيمانهم وتأكّده وذلك لِما مرَّ من أن ملاحظة معنى الجار في كل واحد منهما تقتضي أن يُلاحَظ مع كل واحد منهما معنى الفعل المتعدَّى به فكأنه مذكور مرتين، وهذا يدلّ على استقلال كل واحد منهما بالإيمان واستحكامه. **قوله**: (وهو في ذكر شأن الفاعل) أي في بيان أنه بحيث لم يصدر عنهم ذلك. **قوله**: (وهو في ذكر شأن الفعل) أي في بيان أنه متحقّق صادر عنهم. **قوله**: (لأن المراد إنكار ما ادّعوه ونفيه) هو قولهم آمنا الظاهر

على أبلغ وجه) وآكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين، ونحوه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: الآية ٣٧]، فهو أبلغ من قولك «وما يخرجون منها». (وأطلق الإيمان في الثاني) بعد تقييده في الأول (لأنه) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه، (ويحتمل أن يُراد نفي أصل الإيمان وفي ضمنه) نفي المذكور أولًا. (والآية تنفي قول الكرامية): إن الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم، وتؤيد قول أهل السنّة إنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان.

أن آمنا إنشاء فإنهم أحدثوا الإيمان بحسب الظاهر بهذا اللفظ ولا دعوى في الإنشاء إلا أن يراد به الإخبار بأحداث الإيمان فالمراد دعوى أحداث الإيمان فيما مضى. **قوله**: (على أبلغ وجه)... الخ فذكر الملزوم وأُريد اللازم إذ نفى كونهم معدودين من زمرة المؤمنين مستلزم لنفي الإيمان عنهم وهو المختار في الكناية وإنما قلنا فذكر الملزوم... الخ فإن كون الإيمان ثابتًا لهم مستلزم لكونهم معدودين من طائفة المؤمنين ونفي اللازم مستلزم لنفي الملزوم فذكر نفي الملزوم هنا وأُريد نفي اللازم كناية ولا ريب في أن الكناية لكونها طريق برهان أبلغ من التصريح لأنها كإيراد شيء مع بيّنة إذ انتفاء اللازم أعدل شاهد على انتفاء الملزوم كأنه قيل في ردّهم وما آمنوا لكونهم خارجين عن صلاحية الإيمان، وعن زمرة أهل الإيقان، فأنّى لهم ثبوت الإذعان، فهذا الرد مطابق لقولهم في التصريح بالشأن. **قوله**: (وأطلق[1] الإيمان في الثاني) بأن لم يذكر المؤمن به. **قوله**: (لأنه) الشأن. **قوله**: (ويحتمل أن يراد نفي أصل الإيمان) أي ليسوا من الإيمان في شيء قطّ لا من الإيمان بالله وباليوم الآخر ولا من الإيمان بغيرهما. **قوله**: (وفي ضمنه[2]) أي نفي أصل الإيمان نفي المذكور أولًا فإن نفي الإيمان المطلق يستلزم نفي الإيمان المقيّد بالطريق الأولى. **قوله**: (والآية تنفي قول الكرامية) فرقة من الفِرَق الضالة ومعدودة من المشبهة إذ اعتقادهم أن الله تعالى على العرش من جهة العلو مماس له من الصفحة العليا ويجوز عليه الحركة والنزول وغير ذلك من تُرَّهات الكرامية بكسر الكاف وتخفيف الراء طائفة منسوبة إلى رئيسهم إلى عبد الله محمد بن الكرام

---

(١) قوله: وأطلق... الخ. عما قيّدوه من الإيمان بالله واليوم الآخر. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: وفي ضمنه... الخ. إذ نفي المطلق لعمومه مستلزم لنفي المقيّد. ١٢ منه.

(ودخلت الباء في خبر «ما» مؤكدة للنفي) لأنه يستدل به السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام، (ومن موحد اللفظ) فلذا قيل يقول وجمع «وما هم بمؤمنين» نظرًا إلى معناه.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي رسول الله (فحذف المضاف) كقوله:

النيسابوري لأن أباه كان يحفظ الكرم ويقال لحافظه كرام، وفي شرح النخبة بتشديد الراء على اللغة المشهورة، وفي القاموس ضبط بفتح الكاف وتشديد الراء. وقال المطرزي أخبرني الثقاة أنه بفتح الكاف وتخفيف الراء بزِنَة حذام وقطام، وكذا صحّحه الذهبي وابن المرحل.

قوله: (ودخلت الباء في خبر «ما» مؤكدة للنفي) الباء مزيدة لتأكيد النفي غير متعلقة بشيء وهكذا كل حرف جرّ زيد في المبتدأ نحو بحسبك أن تفعل أو الخبر أو الفاعل نحو كفى بالله فاعرفه. **قوله:** (وَمَنْ مُوحَّد اللفظ)... الخ أي لفظ مفرد ويستوي فيها التذكير والتأنيث والتوحيد والتثنية والجمع والضمير الراجع إليها يجوز أن يُذَكَّر ويُفرَد حملًا على لفظها وأن يؤنَّث ويُثَنَّى ويجمع حملًا على معناها كقوله عزَّ وجلّ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ [الأنعام: الآية ٢٥] فأفرد الضمير وقال في موضع آخر: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ﴾ [يونس: الآية ٤٢] ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٢] فجمع كما ترى. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٣١] فذكر حملًا على اللفظ وقُرِىء «ومن تقنت» بالتاء حملًا على المعنى. وكذا هنا قال: (﴿مَن يَقُولُ﴾) فأفرد الضمير ثم قال: (﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾) فجمع كما ترى ولا يجوز عكسه وإنما جوِّز أن يحمل أولًا على اللفظ فيفرد ثم يجمع حملًا على المعنى ولم يجوز عكس ذلك لأن الواحد قبل الجمع في الرتبة فاعرفه فإنه أصل من الأصول.

قوله: (فحذف[1] المضاف) أشار به إلى أن المجاز اللغوي غير جائز هنا فهو إما مجاز في الحذف أو مجاز في النسبة الإيقاعية وهذا هو المراد بقوله

---

(١) قوله: فحذف المضاف نبّه به على أنه لا يصح أن يراد بلفظ الله ورسوله مجازاً؛ لأنه لا يصح إطلاق لفظ الله على غيره، ولو مجازاً كما صرّحوا به. ١٢ منه.

(﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾) [يوسف: الآية ٨٢] **كذا قاله (أبو علي)** رحمه الله وغيره، أي يظهرون غير ما في أنفسهم. فالخداع إظهار غير ما في النفس، وقد رفع الله منزلة النبيّ ﷺ **(حيث جعل خداعه خداعه)** وهو كقوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾) [الفتح: الآية ١٠] وقيل: معناه يخادعون الله في زعمهم لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه، وهذا المثال يقع كثيرًا لغير اثنين نحو قولك («**عاقبت اللص**»).

الآتي: وقد رفع الله منزلة النبي ﷺ **(حيث جعل خداعه)** أي النبي ﷺ **(خداعه)** أي الله تعالى لا بأن يطلق مجازًا لفظ الجلالة الكريمة على الرسول ﷺ لما عرفت من عدم صحته وجريان المجاز العقلي في النسبة الإيقاعية بل الإضافية مما صرَّح به النحرير في المطوّل. **قوله**: (﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢]) يعني مصر أي أرسل إلى أهلها فَسَلْهم عن كُنْه القصة. **قوله**: **(أبو علي)** الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار كان من أكابر أئمة النحو وإمام وقته. وُلِد بمدينة فسا من أعمال فارس ولذلك يقال له الفسوي أيضًا، توفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة ببغداد رحمه الله. **قوله**: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]) أي بيعة الرضوان (﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: الآية ١٠]) لأنه تعالى المقصود ببيعته ﷺ ولما جعلت المبايعة مع الرسول ﷺ مبايعة مع الله سبحانه وتعالى وشبّه تعالى بالمُبائع أثبت له تعالى ما هو من لوازم المُبايع حقيقة وهو اليد على طريق[1] الاستعارة التخييلية فإن المبايع لا بدَّ له عند مباشرة العقد من الصيغة عادة فلما قيل إن تلك المبايعة إنما هي مع الله سبحانه وتعالى أكد هذا المعنى بأن قيل: (﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية ١٠]) كأنه قيل: لا تظن أن الأمر على خلاف ذلك فإن يده ﷺ يد الله سبحانه وتعالى فلما شبّه الله سبحانه وتعالى بالمُبايع أثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل وإلا فهو تعالى مُنَزَّه عن الجوارح وصفات الأجسام. **قوله**: **(عاقبت اللَص)** في منتهى الأرب في لغات العرب لِصّ بالكسر ويُثَلَّثُ دُزد أي السارق والضم أجود عند الأصمعي لُصُوص وَأَلْصَاص جمع لَصَّة بالتاء مؤنث لَصَّات ولَصَائص جمع .اهـ.

---

(١) قوله: على طريق الاستعارة التخييلية أن يثبت للمُشَبَّه من لوازم المشبّه به. ١٢ منه عُفِي عنه.

وقد قرىء «**يخدعون الله**» وهو) بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل: ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك؟ قيل: يخادعون الله، (**ومنفعتهم في ذلك متاركتهم**) عن المحاربة التي كانت مع مَن سواهم من الكفار وإجراء أحكام المؤمنين عليهم (**ونيلهم**) من الغنائم (**وغير ذلك**). قال صاحب الوقوف: (**الوقف لازم على** ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾) لأنه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين

قوله: (**وقد قُرِىء**) وإن شاذًّا (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) والقارىء أبو حَيوة. **قوله**: (**وهو**) أي (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) بيان[1] ليقول أو مُستأنَف، فإن يقول لا شك من جانب واحد وهو المنافقون فينبغي أن يكون فِعْل الخدع أيضًا من جانب واحد ليطابق البيان المبين والاستئناف أيضًا يفيد فائدة البيان لأنه في مَعرِض الجواب لما عسى أن يقال ما بالهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٨] فقيل (﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾) فلما كان هذا الكلام جوابًا لغرضهم كان الفعل المذكور من جانبهم فقط فكان يخادعون بمعنى يخدعون. **قوله**: (**منفعتهم في ذلك**) عطف على قوله ولِمَ يدعون بطريق التفسير.

قوله: (**متاركتهم**) أي متاركة المسلمين وإعفائهم للمنافقين. **قوله**: (**ونيلهم**) في القاموس نِلْتُه أَنِيْلُه وأَناله نيلًا ونالًا ونالة أَصَبْتُه.اهـ. **قوله**: (**وغير ذلك**) من الفوائد نحو اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الأسرار التي كانوا حراصًا على إظهارها على الأعادي. **قوله**: (**الوقف لازم على** ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾)... الخ في الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد. فإن قلت هل يجوز أن يكون أي قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ في موضع جرّ على الصفة لقوله بمؤمنين، قلت: معاذ الله مما أوردت انتفى عنهم ما أثبت الله لهم إياك والعود إلى مثل هذا الإيراد في كتاب الله.اهـ. وفي إعراب القرآن العظيم لأبي البقا رحمه الله: ولا يجوز أن يكون أي قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ في موضع جرّ على الصفة لـ ﴿بمؤمنين﴾ لأن ذلك يُوجِب نفي خداعهم، والمعنى على إثبات الخداع.اهـ.

---

(١) قوله بيان: لخفائها بالنسبة إلى الغرض، والمراد عطف البيان، لكن المراد المنزل منزلة عطف البيان؛ لأنه لا يجرى كالبدل في الجمل عند النحاة وأرباب المعاني، ولذا اختير الفصل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(فينتفي الوصل) كقولك «ما هو برجل كاذب» والمراد نفي الإيمان عنهم وإثبات الخداع لهم. ومن جعل «يخادعون» حالًا من الضمير في يقول والعامل فيها «يقول» والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالًا من الضمير في «بمؤمنين» والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف (والوجه الأول): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يخادعون رسول الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإضمار الكفر. ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم، لأن ضررها يلحقهم. وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع إليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم (وما يخادعون. أبو عمرو ونافع ومكّي) للمطابقة (وعذر الأولين) أن خدع وخادع هنا

قوله: (فينتفي الوصل) وهو الخداع لأن الأصل أن النفي إذا دخل على كلام فيه تقييد يتوجه إلى القيد. **قوله**: (والوجه) هو (الأول) أي الوقف لازم. **قوله**: («وما يخادعون» أبو عمرو ونافع ومكّي) أي يخادعون من المفاعلة قرأه أبو عمرو[١] بن العلاء البصري ونافع[٢] بن عبد الرحمٰن المدني وعبد[٣] الله بن كثير المكي وعبارة التفسير المظهري قراءة الحرمين وأبي عمرو ما يخادعون. انتهت. **قوله**: (وعذر الأولين) أي دليلهم، والمراد من الأولين مَن بقي من القرّاء السبعة غير ما ذكر أولًا وهم عبد الله بن عامِر اليَحَصَّبِيّ[٤] الشامي قاضي دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ويكنّى أبا عِمران وهو من التابعين وليس في القرّاء السبعة من العرب غيره وغير أبي عمرو والباقون هم مَوَالٍ توفي بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة وعاصم بن أبي النجود الكوفي ويكنى أبا بكر وهو من التابعين، توفي بالكوفة سنة ثمانٍ. وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة وحمزة بن حبيب الزيّات

---

(١) قيل: اسمه زبّان، وقيل: يحيىٰ، وقيل: اسمه كنيته، وقيل غير ذلك. توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة. ١٢ منه.

(٢) أصله من أصفهان، ويكنى أبا رُوَيْم، وقيل: أبا حسن، وقيل: أبا عبد الرحمٰن، توفي بالمدينة سنة تسع وستّين ومائة. ١٢ منه.

(٣) يكنى أبا معبد، وهو من التابعين، توفي بمكّة سنة عشرين ومائة. ١٢ منه.

(٤) قوله: اليحصَبيّ بتثليث الصاد والفتح أخف، وهو نسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير باليمن. ١٢ منه عُفِي عنه.

بمعنى واحد، (والنفس ذات الشيء وحقيقته. ثم قيل للقلب والروح

الكوفي ويكنّى أبا عمارة وتوفي بحُلْوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ست وخمسين ومائة، وعليّ بن حمزة النحوي الكسائي الكوفي ويكنّى أبا الحسن. وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في الكساء، وتوفي برَنْبوية قرية من قرى الريّ حين توجه إلى خراسان مع الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

قوله: (والنفس[١] **ذات الشيء وحقيقته)** والمراد بالشيء كل موجود جوهرًا كان أو عَرَضًا ذو روح أو جمادًا وللإشارة إلى ذلك عطف قوله حقيقته عليه ولا وجه للتخصيص بالحيوان إذ لكل شيء حقيقة وماهية يكون الشيء به هو هو والذات منقول من مؤنث ذو بمعنى الصاحب لأن المعنى القائم بنفسه بالنسبة إلى ما يقوم به أو إفراده يستحق الصاحبية والمالكية ولكون التاء للنقل دون التأنيث لم يتحاشوا من إطلاقها على الباري تعالى ذاته وجلّ شأنه.

وأما **النفس** فلا يطلق عليه تعالى إلا مُشاكلة تحقيقية أو تقديرية، فالتعريف مختص بالممكن الموجود وهو حقيقة في الذات مجاز فيما عداه. ومن هٰهنا قال: **(ثم قيل للقلب)** وهو عضو صنوبري معروف، **(والروح)**[٢] سواء كان حيوانيًا وهو البخار اللطيف المنبعث[٣] من القلب عند الأطباء وإنسانيًا وهو النفس الناطقة التي يشير كل أحد إليها بقوله: أنا والحق إن الروح مما استأثره الله تعالى بعلمه وغاية علمنا به أنه الذي يحيى به بدن الإنسان ويموت حين مفارقته عنه قال الله تعالى:

---

(١) إطلاق النفس عليه من قبيل ذكر المسبّب وإرادة السبب أو من إطلاق اللازم على ملزومه؛ لأن النفس وذات الشيء وذات الحيوان بالقلب تتقوّم؛ لأن القلب مبدأ الحياة ومحل الروح والحيوان، ولذلك خلق في وسط الصدر؛ لأنه أحرز المواضع في البدن، إذ العظام سور حصين له، والفضلات حرس له. ١٢ منه.

(٢) أطلق على الروح بناء على أن الروح بأي معنى كانت سبب لقوام النفس بمعنى ذات الشيء الحيّ على طريق إطلاق اسم المسبّب. ١٢ منه.

(٣) قوله: المنبعث من القلب، فإنّ القلب له تجويف في جانبه الأيسر ينجذب إليه لطيف الدم، فيتحرّر بحرارته فذلك البخار هو المسمى بالروح عند الأطباء، ثم إنه يسري من القلب إلى جميع البدن ولما كان القلب منبعه، قيل: إنه محل الروح ١٢ منه.

النفس لأن النفس بهما، وللدم نفس لأن قوامها بالدم)، وللماء نفس **(لفرط حاجتها إليه، والمراد بالأنفس هٰهنا ذواتهم)،** والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم **(لا يعدوهم)** إلى غيرهم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ **(أن حاصل خداعهم يرجع إليهم)** والشعور علم الشيء علم حسّ من الشعار **(وهو ثوب يلي الجسد، ومشاعر الإنسان**

﴿يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢] الآية **(النفس لأن النفس)** أي ذات الحيوان **(بهما وللدم)** أي وقيل للدم أيضًا **(نفس لأن قوامها بالدم)** حيث رُوِيَ أن بعض الأطباء ذهبوا إلى أن الروح هو الدم. ومنه قولهم لا نفس له سائلة، أي دم يجري، والقوام بكسر القاف ما يقوم به ويبقى والنفس تؤنَّث بمعنى الروح وتُذَكَّر بمعنى الذات أي الشخص، لكن المراد بالضمير في قوامها الذات لا الروح، فالفرق المذكور غير تام فالأولى أن النفس من المؤنث المعنوي بأي معنى أُريد بها، فهذا المجاز من قبيل ذكر المسبّب وإرادة السبب. وللماء أي وقيل للماء أيضًا نفس إطلاق النفس على الماء غير متعارف في اللغة. كما قال ابن الصائغ في حاشية الكشاف إنه لم يوجد في كتب اللغة والذي فيها النفس بفتحتين. انتهى. لكن هذا لا يضرّ المصنّف رحمه الله تعالى ولا الكشاف لأنها في بيان المجاز اللغوي ولا يضرّ عدم ثبوته في اللغة ولذلك قال: **(لفرط حاجتها إليه)،** قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠] رُوِيَ أن قيصر بعث إلى معاوية رضي الله تعالى عنه بقارورة وقال له: اجعل فيها كل شيء، فسأل ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فقال له: اجعل فيها ماء ولو كان مراده بيان ما ثبت في اللغة لَما احتاج إلى ذلك، وهذا المجاز أيضًا من ذكر المُسبّب وإرادة السبب لأن بقاء المحتاج بسبب المحتاج إليه وإلا فنفس الاحتياج ليس معدودًا من العلاقة المعتبرة عند الثقات. **قوله: (والمراد بالأنفس هٰهنا ذواتهم)** لأنها أصل معناها ولا مقتضى للعدول عنها. **قوله: (لا يعدوهم)** لا يتجاوز عنهم.

قوله: (إن حاصل خداعهم يرجع إليهم) أشار به إلى أن مفعول يشعرون محذوف للعلم به. **قوله: (وهو ثوب يلي الجسد)** لمماسة الشعر ويكون بمعنى العلامة وبمعنى ما يتنادى به في الحرب ليعرف بعضهم بعضًا. **قوله: (ومشاعر الإنسان)** جمع مشعر بفتح الميم وكسرها سُمِّيت به لكون كل حاسّة محلًا للشعور

حواسه) لأنها آلات الشعور، والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس (وهم، لتمادي غفلتهم كالذي لا حسّ له).

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد. (في الحديث «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة») والمريض متردد بين الحياة والموت، ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسمًا لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب. ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ أي ضعفًا عن الانتصار وعجزًا عن الاقتدار. وقيل: المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف في زيادة الإيمان. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (فعيل بمعنى مُفْعَل)

(حواسه) والباطنة عند مُثبتيها، أو الظاهرة فقط، وكذا مشاعر سائر الحيوان حواسه إذ هي من القوى الحيوانية غير مختصّة بالإنسان وتخصيصه بالذكر هنا من مقتضيات المقام. **قوله**: (وهم لتمادي غفلتهم) أي لامتداد غفلتهم وبلوغها إلى مداها أي غايتها. **قوله**: (كالذي لا حسّ له) فيه إشارة إلى أنهم أخسّ وأدنى حالًا من البهائم ومُلحَقون بالجمادات.

قوله: (في الحديث مثل المنافق) أي صفته العجيبة الشأن (كمثل الشاة العائرة) من عار ذهب وبعد أي الطالبة للفحل المتردِّدة (بين الغنمين) أي القطيعين فإن الغنم اسم جنس يقع على الواحد والجمع لا تدري أيّهما تتبع وتمام الحديث (تعير) بفتح أوله أي تنفر وتشرد (إلى هذه) أي القطعة (مرة وإلى هذه) أي القطعة الأخرى (مرة) أخرى ليضربها فحلها فلا ثبات لها على حالة واحدة وإنما هي أسيرة شهوتها وهو تشبيه مركب محسوس بمعنى معقول تقريب إلى فهم المخاطب فشبّه عليه السلام تردّده بين الطائفتين أي المسلمين والكافرين تبعًا لهواه ومراداته وقصدًا إلى شهوته بتردّد الشاة العائرة التي لا تستقر على حال وبذلك وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: الآية ١٤٣] رواه مسلم عن ابن عمر وكذا أحمد والنسائي وزاد ألا تدري أيهما تَتْبَعُ. **قوله**: (فعيل بمعنى مُفْعَل) على لفظ اسم المفعول أي مؤلم بفتح اللام على أنه اسم مفعول من آلم إيلامًا، أي أوجع إيجاعًا، فالمؤلم هو المعذّب الذي

أي مـؤلـم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ كـوفـي. أي بـكـذبـهـم) فـي قـولـهـم: آمـنـا بـالله وبـالـيـوم الآخـر، (فـمـا مـع الـفـعـل بـمـعـنـى الـمـصـدر،

تعلق به الألم وصار محلًا له فهو بمعنى الأليم فإنه صفة مشبهة مشتق من الفعل اللازم وهو ألم يألم ألمًا فهو أليم، ومعنى ألم صار ذا ألم بأن تعلق به الألم فيكون ذا ألم وهو بعينه بمعنى المؤلم. وفي الفتوحات الإلٰهية قوله مؤلم بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي حيث أسند الألم للعذاب وهو في الحقيقة إنما يُسنَد إلى الشخص المعذّب، يقال ألم من باب طرب فهو أليم كوجع فهو وجيع أي متألم ومتوجّع ولا يقال إنه بكسر اللام اسم فاعل على طريق الإسناد الحقيقي كسميع بمعنى مسمع لخلوّه عن دعوى المبالغة الحاصلة على كونه بفتح اللام حيث يقتضي أن العذاب لشدة إيلامه للمعذبين صار كأنه مؤلم أي معذّب فهو على حدّ جَدَّ جِدّه. انتهت. **قوله**: (﴿يَكْذِبُونَ﴾ كوفي) كوفي أي قرأها عاصم بن أبي النَّجُود الكوفي وحمزة بن حبيب الزيَّات الكوفي وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي رحمة الله تعالى عليهم أجمعين. **قوله**: (أي بكذبهم) الباء للسببية أو المقابلة. **قوله**: (فما مع الفعل بمعنى المصدر) في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للعلّامة أبي السعود بن محمد العمادي، عليه رحمة الله الهادي. ﴿ما﴾ مصدرية داخلة في الحقيقة على ﴿يكذبون﴾ وكلمة ﴿كانوا﴾ مقحمة لإفادة دوام كذبهم وتجدّده أي بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين، فإنه إخبار بإحداثهم الإيمان فيما مضى لا إنشاء للإيمان ولو سلم فهو متضمن للإخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الإذعان والقبول قطعًا. ويجوز أن يكون محمولًا على الظاهر بناء على رأي مَن يجوز أن يكون لكان الناقصة مصدر كما صرَّح به في قول الشاعر:

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى وكـونـك إيـاه عـلـيـك يـسـيـر

أي لهم عذاب أليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار. انتهى بحروفه. وفي حاشية شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي وأما كلمة كان فهي للدلالة على الاستمرار في الأزمنة، كذا في الحواشي الشريفية والدلالة على الاستمرار والانقطاع ليست بمعتبرة بحسب الوضع في معنى كان الناقصة بل كل واحد منهما

والكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أي بتكذيبهم النبيّ عليه السلام **) فيما جاء به.**

مُستَفاد من القرينة وذهب إلى أن كان يدلّ على استمرار مضمون الخبر في الزمان الماضي مستدلًا بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النّساء: الآية ١٣٤]. وقال: الرَّضي الاستدلال منشأه الغفلة عن أن الاستمرار مستفاد من قرينة وجوب كون الله تعالى سميعًا بصيرًا إلا من لفظ كان الناقصة إذ هي موضوعة لمجرد الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي يدلّ عليه صيغة الفعل الناقص إما ماضيًا أو حالًا أو استقبالًا فكان للماضي ويكون للحال وللاستقبال وكن للاستقبال ومقصود الشريف الرَّضي رحمه الله بهذا الكلام دفع ما يتوهّم من المُنافاة بين لفظي كان ويكذبون من حيث إن لفظ كان أداة دالّة على أن الكذب مُنتَسِب إليهم في الزمان الماضي ولفظ يكذبون يدلّ على أن انتسابه إليهم في الحال أو في المستقبل، فالزمان الذي يدلّ عليه يكذبون بصيغة غير الزمان الذي تدلّ عليه الأداة فما وجه الجمع بينهما؟ وتقرير الدفع أن كلمة كان للدلالة على استمرار كذبهم في جميع الأزمنة بشهادة القرينة كما أن لفظ يكذبون يدل على الاستمرار التجدّدي. انتهت بحروفها وفي الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد، فإن قلت: هل يجوز أن تكون كان هنا مزيدة؟ قلت: لا يجوز ذلك لأن المزيدة تقع حشوًا أو آخرًا وهٰهنا واقعة أوّلًا أعني قبل اسمها. انتهى. **قوله**: (**والكذب إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به**) أي ما هو ملتبس به في الواقع ونفس الأمر أي الإعلام بالنسبة على خلاف الوجه الذي هي متحقِّقة به ومُتَلبِّسة بمعنى أن كل شيئين بينهما نسبة ثبوتية أو سلبية، فالإعلام بالنسبة الثبوتية على طريق الإثبات وبالسلبية على طريق السلب صدق وعلى خلاف ذلك كذب وهذا هو مذهب الجمهور وعند أهل السُّنَّة هو المشهور ولا يراد اعتقاد المخاطب لأنه مذهب المعتزلة ولا يسوغ اعتباره في كلام أهل السُّنَّة. **قوله**: (**يكذبون**) من كذبه بالتشديد نقيض صدقه والبناء للتعدية والمفعول مقدَّر أشار إليه بقوله الآتي أي بتكذيبهم النبي عليه السلام. **قوله**: (**غيرهم**) أي قرأها باقي السبعة. **قوله**: (**أي بتكذيبهم النبي عليه السلام**) بقلوبهم وتكذيب النبي عليه السلام مستلزم لتكذيب جميع ما يجب الإيمان لكونه مُبَلِّغًا له والتخصيص به مع أن تكذيب واحد من جميع المؤمن به مستلزم لتكذيب ما عداه لأن المخادعة

(وقيل: هو مبالغة في كذب) كما بولغ في صدّق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

(﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ معطوف على «يكذبون» ويجوز أن يعطف على «يقول آمنا») لأنك لو قلت ومن الناس مَن (إذا قيل لهم ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾) لكان

مع النبي عليه السلام والحمل على تكذيبه أوفق لذلك على أن تكذيب ما عدا شأنه تعالى وما سوى الرسول عليه السلام لا يستلزم تكذيب جميع المؤمن به بل يستلزم عدم الاعتداد به. **قوله**: (وقيل: هو مبالغة في كذب) أي زيادة في الكيفية بمعنى يكذبون كذبًا عظيمًا فإن بناء فعل بالتشديد قد يكون للمبالغة في فعل بالتخفيف بحسب الكيفية أي للدلالة على أن الفعل الصادر من الفاعل قوي شديد بالغ أقصى درجات الكمال فيكون لازمًا موافقًا لقراءة التخفيف والمخالفة باعتبار المبالغة وعدم اعتبارها (بيّنَ)[1] بمعنى بانَ وتبيَّن تبيّنًا تامًّا كاملًا. **قوله**: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾) قيل: أصله قُوِل كَضُرِبَ فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف بعد سلب حركتها فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهذا أصل مُطَّرِد في كل ما اعتلَّت عينه من الأفعال وهذه أفصح اللغات والقائل هو الله تعالى والرسول أو بعض المؤمنين واللام متعلقة بقيل ومعناها الإنهاء والتبليغ. **قوله**: (معطوف على ﴿يكذبون﴾) وتقدير الكلام وبما كانوا (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا﴾)... الخ فيكون منصوب المحل لعطفها على خبر كان. **قوله**: (ويجوز أن يعطف على ﴿يقول آمنا﴾) فحينئذ لا محل لهذه الجملة لعطفها على الصفة والمعنى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ [البَقَرَة: الآية ٨] الآية. **قوله**: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾) وما بينهما جملة معترضة ونكتتها تعداد منشأ قبائحهم ومن هٰهنا لم يقبح طول الفصل بين المتعاطفين وتأخير هذا الاحتمال يُشعِر بأن الأول أرجح وقد صرَّح في الكشاف وغيره أن الوجه الأول أوجه لخلوّه عن تخلّل البيان أو الاستئناف وبه ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩] وما يتعلق به بين أجزاء الصفة وإن لم يكن أجنبيًّا مُخِلًّا بالفصاحة.

(١) أي: اتضح. ١٢ منه.

صحيحًا، (**والفساد خروج الشيء**) عن حال استقامته (**وكونه منتفعًا به، وضده الصلاح وهو الحصول**) على الحال المستقيمة النافعة. (**والفساد في الأرض هيج الحروب**) والفتن (**لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع**) والمنافع الدينية والدنيوية، وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار (**ويمالؤنهم**) على المسلمين (**بإفشاء أسرارهم إليهم**) وإغرائهم

قوله: (**والفساد خروج الشيء**) أي الموجود. **قوله**: (**وكونه منتفعًا به**) عطف تفسيري. **قوله**: (**وضدّه الصلاح**) بيّنه هنا مع أن محله بعد قوله: (﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾) لكونه ضدّه، ولتناسبهما بالتضادّ بينه عقيبه (**وهو الحصول**)... الخ، فحينئذ الضدّ اصطلاحي[1]. **قوله**: (**والفساد في الأرض هيّج الحروب**)، يقال هاجت الحرب هيجًا وهياجًا وهيجانًا إذا ثارت ووقع القتال وغيره مما يُفعَل بالعدو وهو لازم ولا يناسب المقام، ويقال هاجها أي أثارها وهو متعدٍّ وهو المناسب هنا لأن الغرض بيان فِعلهم وأحوالهم الباطلة فحينئذ الأولى أن الفساد بمعنى الإفساد قال المصنِّف رحمة الله عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المَائدة: الآية ٣٣] أي مفسدين إشارة إلى أن فسادًا بمعنى الإفساد إما لأن فسد فسادًا يستعمل بمعنى المتعدّي أو فسادًا مصدرًا فسد بحذف الزوائد وهذا هو الظاهر فحينئذ إضافة الهيج إلى الحروب إضافة المصدر إلى المفعول فافهم. والفتن جمع فتنة بمعنى المِحَن والبلايا لا بمعنى المعاصي والخطايا وعطف العام على الخاص يُراد به ما وراء الخاص. **قوله**: (**لأن في ذلك**) تعليل لإطلاق الفساد على هيج الحروب (**فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة**) عطف تفسيري (**عن أحوال الناس**) وفسادهم وقوع القتال بينهم ونقصان الأموال والأولاد والأعضاء وغير ذلك. **قوله**: (**والزروع**) وفسادها بحبس المطر وعدم وصولها إلى كمالها أو بنزول آفة سماوية فيُهلكها. **قوله**: (**يمالؤونهم**) أي يعاونونهم، يقال مالأه أي عاونه وهو مهموز اللام. قال الراغب يقال: مالأته أي عاونته في مهمه وساعدته عليه وصرت من ملئه وجمعه كما يقال شايعته أي صرت من شيعته. **قوله**: (**بإفشاء أسرارهم إليهم**) أي

---

(١) ومقتضى كلام البيضاوي: أن الصلاح عدم خروج الشيء عن الاعتدال، فالمراد بالضدّ ح لغوي، أي مطلق التقابل. ١٢ منه عُفِي عنه.

عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ بين المؤمنين والكافرين (**بالمداراة**) يعني (**إن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح**) فيها من وجه من وجوه الفساد، (**لأن «إنما» لقصر الحكم**) على شيء (**أو لقصر الشيء**) على حكم كقولك «إنما ينطلق زيد (**وإنما زيد كاتب**») و«ما» كافة لأنها (**تكفها عن العمل**).

بإظهار أسرار المسلمين إلى الكفّار المُجاهِرين. **قوله**: (**بالمداراة**) في لسان العرب المداراة في حُسْن الخلق والمُعاشرة مع الناس يكون مهموزًا وغير مهموز فمَن همزه كان معناه الاتّقاء لشرّه ومَن لم يهمزه جعله من دريت أي خلت الجوهري ومداراة الناس المُداجاة والمُلاينة. ومنه الحديث: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس، أي مُلاينتهم وحُسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك وداريت الرجل لاينته ورفعت به، وأصله من دريت الظبي اختلت له وختلته حتى أصيده.اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب مُدَارَأَة يكديگررا دفع كردن وخلاف نمودن وبنرمي وحُسْن أخلاق پيش أمدن يكديگررا ازلغات اضداد است يقال دَارَأْته وَدَارَيْته يُهْمَزُ ولا إذا اتقيته ولايَنْتَه. انتهى.

قوله: (**إن صفة المُصلِحين خلصت لنا وتمحضت**) من التمحّض بمعنى الخلوص من قولهم لبن محض أي لم يخالطه ماء ولا شيء يغايره. **قوله**: (**من غير شائبة قادح**) الشائبة وهو ما يخالط الشيء فيمنعه من الخلوص سواء كان حِسِّيًا أو معنويًا كما فيما نحن فيه فإن الإصلاح حالة معنوية وخلوصها بعدم اختلاط الفساد إياه ولا يبعد كون استعمال الشائبة في المعقولات مجازًا تشبيهًا للمحسوس ويُشعِر به قول الجوهري: الشائبة واحدة الشوائب وهي الأدناس والأقذار.اهـ. وفي القاموس قَدَح فيه كَمَنَعَ طَعَنَ.اهـ.

قوله: (**لأن «إنما» لقصر الحكم**) أي المسند وإنما عبّر عن المسند بالحكم لأن الحكم ينزع منه ويحصل به. **قوله**: (**أو لقصر الشيء**) أي المسند إليه. **قوله**: (**إنما زيد كاتب**) أي ليس فيه من الفضيلة التي تُنسَب إليه سوى الكتابة ومنه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الكهف: الآية ١١٠] لأنهم طلبوا منه ما لا يقدر عليه البشر فأثبت لنفسه صفة البشر ونفى عنه ما عداها. **قوله**: (**تكفّها**) أي تمنع أن (**عن العمل**) فيما بعدها.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

(﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾) أنهم مفسدون فحذف المفعول للعمل به. («ألا» **مركبة من همزة الاستفهام**) وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققًا (**كقوله تعالى**: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة: الآية ٤٠])، ولكونها في هذا المنصب (**من التحقيق**) لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة (**بنحو ما يتلقّى به القسم**، وقد ردّ الله ما ادّعوه

قوله: (﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾) لفظ (لكن) في الآية الشريفة للاستدراك بالنفي بعد الإيجاب وقد يكون بالإيجاب بعد النفي أيضًا ووجه الاستدراك فيها أنه لمّا قيل: (﴿هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾) سبق إلى الوهم أنهم يفعلون ذلك من حيث يشعرون بناء على أنهم وُصِفوا بالإفساد وجعل ذلك وصفًا قائمًا بهم فيتبادر إلى الوهم أنهم يعلمون اتّصافهم بذلك إذ الظاهر أن يعلم الإنسان ما هو فيه من الصفات فدفع الوهم المذكور بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ مبالغة في جهلهم الجهل[1] المركَّب لا سيما إذا تعلق بما هو من أحوال النفس فيكون في غاية القباحة لا سيما عند قيام دلائل واضحة وبراهين قاطعة تبيِّن بها المُصلِح من المفسد والمُحِقّ من المُبطِل. **قوله**: (﴿أَلَآ﴾ مركبة من همزة الاستفهام) التي للإنكار وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقّق ما بعدها لأن إنكار النفي تحقيق الإثبات، وكذلك كلمة أَمَا فإنها أيضًا مركبة من همزة الاستفهام التي للإنكار وحروف النفي لإفادة التنبيه على تحقّق ما بعدها لكنهما بعد التركيب صارتا كلمة تنبيه وذهب كثير من النحاة إلى أنهما لا تركيب فيهما. **قوله**: (كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ﴾ [القيامة: الآية ٤٠]) فإنه يفيد تحقيق قادريّته وتقريرها. **قوله**: (من التحقيق) بيان المنصب. **قوله**: (بنحو ما يتلقى به القسم) أي بنحو ما يُجاب به، يقال: تلقاه بكذا واستقبله به أي أجابه به وما يُجاب القسم اللام وإن وحروف النفي نحو والله إن زيدًا قائم أو لزيد قائم أو ما قام زيد، وإنما أُجيب القسم باللام وإن لأنهما يفيدان التأكيد الذي لأجله جاء القَسَم فيدخلان لتقوية فائدة القسم. **قوله**: (وقد ردّ الله) تبارك وتعالى (ما ادّعوه

---

(١) قوله: الجهل المركب هو عبارة عن الاعتقاد الغير المطابق والجهل البسيط، وهو عدم العلم عمّا من شأنه ذلك. ١٢ منه.

من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ ردّ) وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف، وما في («ألا» و«إن») من التأكيد

من الانتظام في جمل المُصلِحين أبلغ ردّ) لمّا ادّعوا كونهم مُصلِحين وبالغوا فيه بإيراد الكلام على صورة الجملة الاسمية المُصَدَّرة بـ ﴿إِنَّمَا﴾ [البقرة: الآية ١١] الدَّالَّة على تأكيد الحكم وقصرهم أنفسهم على الصَّلاح بُولِغ في ردّهم بوجوه متعددة، الأول سلك في ردّهم مسلك الاستئناف فإنه لكونه منساقًا إلى السامع بعد السؤال والطلب يكون أدلّ على تمكّن الحكم في ذِهنه من الذي سمعه ابتداء بلا تعب، والثاني تصدير تلك الجملة المستأنفة بكلمة (ألا) المركبة من همزة الإنكار وحرف النفي و(إنّ) المقررة للنسبة أي المؤكِّدة، والثالث تعريف الخبر فإنه وإن كان يفيد قصر المسند على المسند إليه كما ذكره صاحب المفتاح وشبّه به في الاستعمال قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: الآية ٥٨] أي لا رزّاق سواه، فيكون ضمير الفعل حينئذ لتأكيد هذا القصر فإنه يؤكد ما يجده في الجملة من القصر وقد أفاد هذا الكلام قصر المسند على المسند إليه وأكّده ضمير الفصل إلا أن تعريف الخبر قد يفيد قصر المسند إليه على المسند أيضًا نحو الكرم هو التقوى والحسب هو المال أي لا كرم إلا التقوى ولا حسب إلا المال وضمير الفصل جيء به لتأكيد هذا القصر وقد ذكر في الفائق أن تعريف المسند يفيد قصر المسند إليه عليه فأكد الفصل إذ معنى التعريف الإشارة إلى الحقيقة كما ذكر في المُفلحين وتعريف المفسدون في هذه الآية ينبغي أن يُحمَل على قصر المسند إليه على المسند لأنه هو المناسب للمقام أي مقام ردّ دعواهم الباطلة فإنهم لمّا قصروا أنفسهم على محض الإصلاح قصر إفراد في جواب مَن اعتقد أنهم جمعوا بين صفتي الإصلاح والإفساد وسمعوا قول المسلمين لهم ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: الآية ١١] توهّموا أن المسلمين اعتقدوا فيهم أنهم جمعوا بين الوصفين فأجابوهم بأنهم مقصورون على الإصلاح لا يتجاوزون عنه إلى صفة الإفساد ولا يجمعون بينهما أصلًا وهو معنى قصر الإفراد فأجابهم الله تعالى بما يدلّ على قصر القلب وهو قوله تعالى: (﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾) فإنهم لمّا أثبتوا لأنفسهم صفة الإصلاح ونفوا الأخرى واعتقدوا ذلك قلب الله تعالى اعتقادهم هذا وأثبت لهم ما نفوه ونفى عنهم ما أثبتوه فهو قصر قلب لكونه كلامًا مع مَن يعتقد

(وتعريف الخبر وتوسيط الفصل) وقوله: «لا يشعرون».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ) قَالُوٓا (أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ)﴾ نصحوهم من وجهين: أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجرّه إلى

العكس ولا يخفى أن المناسب لهذا المعنى أن يحمل التعريف على قصر المسند إليه على المسند ويكون المعنى أنهم مقصورون على الإفساد لا حظّ لهم في الإصلاح بوجه ما وتوسيط الفصل كما يفيد تأكيد القصر المذكور يفيد فائدة أخرى وهي ردّ ما في قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١] من التعريض للمؤمنين بأنهم المفسدون[1] فإنه لو قيل: نحن مُصلحون بدون كلمة إنما وقصد به التعريض لجاز فكذلك إذا قالوا : نحن مقصورون على محض الإصلاح وقصدوا به ذلك فينبغي أن يكون الكلام المَسوق لردّ دعواهم الكاذبة مشتملًا على ردّ ما قصدوا فيها من التعريض للمؤمنين فيكون توسيط الفصل للفائدة المذكورة وجهًا رابعًا من وجوه الأبلغية، والوجه الخامس الاستدراك بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ووجه دلالته على أبلغية نفي علمهم بكونهم مُفسدين بنفي الإحساس عنهم للإشعار بأن إفسادهم في الظهور بمنزلة المحسوس الذي لا يخفى على مَن سلمت حواسه وعدم علمهم بذلك من حيث إنه لا إحساس لهم ولِما اشتمل هذا الكلام الوارد لردّ قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١] على هذه الأمور التي هي وجوه المبالغة وهي مفقودة في ذلك القول كان هذا الكلام أبلغ منه. **قوله: (وتعريف الخبر)** بلام الجنس لا للعهد فيه إشارة إلى أن (هم) ضمير فصل لا حظ له من الإعراب كما أشار بقوله: **(وتوسيط الفصل)**.

قوله: (﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾) جمع سفيه كفقيه وفقهاء وحكيم وحكماء.

---

(١) قوله: بأنهم المفسدون؛ لأنهم لما حصروا أنفسهم على الإصلاح والمسلمون على خلافِ منهم، فهم المفسدون فردّ بهذا الكلام عليهم بأنهم المفسدون دون غيرهم من المؤمنين وهم المصلحون. ١٢ منه.

الفساد، وثانيهما تبصيرهم الطريق (الأسَدَّ) من اتباع (ذوي الأحلام)، فكان من جوابهم (أن سفهوهم لتمادي) جهلهم، وفيه تسلية للعالم مما يلقى (من الجهلة). وإنما صحّ إسناد «قيل» إلى «لا تفسدوا» و«آمنوا» (مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصح، لأنه إسناد إلى لفظ الفعل) والممتنع إسناد الفعل إلى معنى الفعل فكأنه

قوله: (الأَسَدَ) درست ومحكم. **قوله**: (ذوي الأحْلام) أي العقول في القاموس الحِلم بالكسر الأناةُ والعَقْل ج أحلام وحُلُوم، ومنه ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الطور: الآية ٣٢]. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب حلم بالكسر أهستكي وبردباري وعقل أحلام وحلوم جمع. ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الطُّور: الآية ٣٢]. اهـ. **قوله**: (أن سفَّهوهم) أي عدوا المؤمنين سفهاء أو نسبوهم إلى السفاهة. **قوله**: (لتمادي) وإفراط. **قوله**: (من الجَهَلَة) في منتهى الأرب في لغات العرب جاهل كصاحب نادان جهل بالضم وبضمتين وجُهَّل كركع وجُهّال كرُمّان وجُهَلَاء كعقلاء وجهلة مُحَرَّكة جمع. اهـ. **قوله**: (مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصحّ) إطلاق الفعل على الفعل مع الضمير المتصل شائع في عبارتهم وبالجملة الإسناد إلى غير الاسم ممتنع وفاقًا واغترّ بعض النحاة بهذه الشبهة فذهب إلى أن الفعل أعني قيل مسندًا إلى ضمير مصدره أو إلى لهم لا إلى آمنوا ولا تفسدوا، والجواب أن الممتنع هو الإسناد إلى معنى الفعل مُعَبَّرًا عنه بمجرد لفظه وإما إلى مجرد لفظ مثل ضربَ مؤلَّف من ثلاثة أحرف أو اللفظ باعتبار الدلالة على المعنى مثل ﴿قيلَ لهم آمنوا﴾ فلا امتناع لأنه في الحقيقة إسناد إلى الاسم فإن قيل قد أطبقوا على أنه إنما يُسنَد إلى الاسم دون الفعل وهما من أقسام اللفظ دون المعنى فينبغي أن يمتنع الإسناد إلى اللفظ الذي هو الفعل، قلنا: المقصود ما ذكره على ما قررناه. ويحتمل أن يُراد بمعنى الفعل الكلمة التي هي فعل كضرب المستعمل في الحديث مع الزمان لا كضرب الذي هو علم له فليتأمل فإن قيل الجملة بعد القول في موقع المفعول المطلق لكونه في معنى هذا القول، وح يجوز أن يكون المسند إليه هو الجار والمجرور أعني لهم دون (آمنوا) قلنا الصحيح أن القول مُتَعَدٍّ وأن المحكي بعده مفعول به لأنه مقول وتعقل القول موقوف عليه وإطلاق القول عليه من قبيل ضرب الأمير أي مضروبه والغلط إنما نشأ من هذا، كذا أفاده العلّامة التفتازاني عليه رحمة الله الغني. **قوله**: (لأنه إسناد إلى لفظ الفعل) فهو اسم وهو

قيل: وإذا قيل لهم هذا القول ومنه **(زعموا مطية الكذب. و«ما» في «كما» كافة كما في «ربما»، أو مصدرية كما في** ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾) [التوبة: الآية ٢٥] **(واللام في الناس للعهد)** أي كما آمن الرسول ومَن معه وهم ناس معهودون،

مفعول به سادّ مسدّ الفاعل وهو مقول القول فلا حاجة إلى ادّعاء أنه مسند لضمير المصدر والجملة بدل منه ولا إلى الجار والمجرور. **قوله: (زعموا مطية الكذب)** في القاموس المَطِيَّة الدَّابَّة تَمْطُوا[1] في سيرها ج مطايا ومَطِيٌّ وأَمْطَاءٌ. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب مَطِيّة كغنية باركي يُذَكَّر ويؤنَّث مطايا بالفتح ومَطِيّ كغنيّ وإمطاء جمع ونيز مَطِيّ واحد وجمع. اهـ يعنى أن الوارد بعد الزعم وما يشتق منه كلام غير موثوق به لأن الزعم هو القول بغير تبيّن وتثبت.

قوله: (وما في كما كافّة) أي الكاف فيه حرف جرّ وما كافّة تكفّها عن العمل وتصحّ دخولها على الجملة الفعلية مع أن حق حرف الجرّ أن يختص بالاسم. **قوله: (كما في ربما)** كلمة ما فيه كافّة تكفّ رُبَّ عن العمل وتصحّ دخولها على الجملة. **قوله: (أو مصدرية)** أي أو الكاف في كما اسم بمعنى المثل منصوب المحل على أنه صفة مصدر محذوف وما مصدرية تقديره آمنوا إيمانًا مثل إيمان الناس فلما حذف الموصوف أُقيمت الصفة مقامه وأُعرِبَت وسُمِّيت باسمه تجوّزًا وفي الحواشي الشريفية أن لفظ ما في كما إن كانت كافّة عن العمل مصحّحة لدخولها على الجملة كانت للتشبيه بين مضمون الجملتين أي حقّقوا إيمانكم كما تحقّق إيمانهم وإن كانت مصدرية فالمعنى إيمانًا مشابهًا لإيمانهم. **قوله: (كما في ما رَحُبَتْ)** أي كما في قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: الآية ٢٥] ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رُحْبها أي سَعَتِها، والمعنى لم تجدوا موضعًا لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم. **قوله: (واللام في الناس للعهد)**... الخ أي للعهد الخارجي فلا بدّ أن يكون المشار إليه باللام حصة معهودة بين المتكلم والمخاطب تقدّم ذِكره صريحًا أو كناية بأن يذكر شيء من لوازمه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: الآية ٣٦]: فإن لفظ الذكر إشارة إلى ما سبق كناية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي

---

(١) قوله: تمطُوا... الخ. في القاموس: مَطا جَدَّ في السَّيْر وأسرَع. ١٢ منه.

(أو عبد الله بن سلام) وأشياعه أي (كما آمن أصحابكم وإخوانكم، أو للجنس

﴿مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: الآية ٣٥] فإن لفظ ما وإن كان يعمّ الذُّكور والإناث لكن التحرير وهو أن يعتق الولد لخدمة بيت المقدس إنما يكون للذكور دون الإناث فالتحرير قرينة مُخَصِّصَة للفظة ما بالذكور وقد يُستَغنَى عن تقدّم ذكره لعلم المخاطب به بالقرائن نحو خرج الأمير إذا لم يكن في البلد إلا أمير واحد. وكقولك لمَن دخل البيت: أغلق الباب والحصة المعهودة في الآية سواء أُريد بها الرسول ومَن معه أو مَن آمن من أبناء جنسهم لم يتقدَّم ذكرها لا صريحًا ولا كناية لكنها كالمتقدِّم ذِكرها من حيث إن الرسول ﷺ ومَن معه من المؤمنين كانوا معهودين حاضرين في أذهانهم لا يغيبون عن خواطرهم أبدًا كما كانوا مُبغضين عندهم ويُقاسون منهم ما يقاسون من الأحزان حسدًا من ظهور أمرهم وقبول الناس دينهم ولما رأوا من تتابع المعجزات والبراهين القاطعات ونزول الوحي الناطق بالهدى والبيِّنات وكذا عبد الله بن سلام وأشياعه فإنهم[1] أيضًا مبغوضون عندهم من حيث إنهم كانوا من أبناء جنسهم ومُصاحِبيهم ثم خالفوهم واتبعوا الحق المُبين فانكسرت بذلك قوّتهم وتفرَّقت أعوانهم فهم أيضًا معهودون وحاضرون في أذهانهم من هذا الوجه وإن لم يتقدم ذكرهم صريحًا ولا كناية فحَسُن أن يُشار إليهم بلام العهد الخارجي الذي شرطه أن يكون المُشار إليه معلومًا للمخاطَب بأي وجه كان وأيّد بعضهم بأنه المأثور لأنه مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما أخرجه ابن جرير، ولعل لهذا قدمه المصنِّف رحمه الله وذهب صاحب البحر إلى أنه أولى. **قوله:** (أو عبد الله بن سلام) هو عبد الله بن سلام ابن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفًا لهم وكان من بني قينقاع بفتح القاف وسكون الياء وفتح النون من اليهود واسمه الحصين فغيَّر النبي ﷺ اسمه وسمّاه عبد الله لمّا أسلم أول ما قَدِم المدينة، وقيل تأخر إسلامه إلى سنة ثمانٍ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وهو من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه أبو هريرة وغيره وله مناقب وأموره مع اليهود مشهورة في كتب الحديث، وتوفي بالمدينة في سنة ثلاث وأربعين من

---

(١) قوله: فإنهم أيضاً مبغوضون... الخ. والشيء إذا كان مبغوضاً أشدّ بغض كان حاضراً في الأذهان دائماً كما إذا كان الشيء محبوباً أشدّ حب لا يغيب عن الخواطر جزمًا. ١٢ منه.

أي كما آمن الكاملون) في الإنسانية، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة **(ومن عداهم كالبهائم)**، والكاف في «كما» في موضع النصب لأنه

الهجرة النبوية وسلام بفتحتين مخفَّف اللام وغيره من الأعلام مشدّد اللام وأشياعه أي أتباعه كما في نسخة جمع شيعة بكسر الشين وشيعة الرجل جماعته وأتباعه باعتبار مُشايعتهم له أي مُسايرتهم وموافقتهم له والمراد بأشياعه مَن آمن من بني إسرئيل أي **(كما آمن أصحابكم وإخوانكم)** فيكونون معهودين عندهم، وأما رسول الله ﷺ والمؤمنون فمعهودون على الإطلاق. **قوله: (أو للجنس)** المُعَرَّف بلام الجنس قد يُقصَد به نفس الحقيقة من حيث هي كالمحدودة المعرّفة باللام وقد يُقصَد به الجنس بأسره كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: الآية ٢] وشيء من هذين المعنيين لا يصحّ إرادته هٰهنا لأن الجنس من حيث هو ليس بمؤمن وكذا جميع أفراده، وقد يُقصَد به بعض أفراده من حيث إنه فرد منه مع قطع النظر عن اتّصافه بوصف زائد كما في قوله:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني

وهذا المعنى قليل الجدوى جدًّا لا يُصار إليه إلا إذ تعذّر حمل اللام على العهد الخارجي وتعذّر أيضًا حمله على المعنيين الآخرين لتعريف الجنس فظهر بهذا أنه لا وجه لجعل اللام في الناس للجنس لتعذّر إرادة كل واحد من المعاني الثلاثة للمعرّف بلام الجنس إلا أن بعض أفراد الجنس مع كونه بعضًا منها في نفس الأمر قد يُدَّعَى انحصار الجنس فيه وكونه جميع أفراد الجنس لكماله واستجماعه جميع الخواص المطلوبة من ذلك الجنس والفضائل المقصودة من مثله فاستحق لذلك أن يحصر الجنس فيه ولا يُعَدّ ما عداه داخلًا في عداد ذلك الجنس وأفراده لانحطاط رتبته عن رتبة ذلك الجنس لخلوّه عن الخواص المطلوبة من ذلك الجنس في مثل هذا الفرد وكثيرًا ما يُنفَى عنه اسم جنسه ويقال ليس بإنسان مثلًا إذا لم يوجد فيه المعنى الذي خُلِق الإنسان لأجله، فقوله أو للجنس أي لاستغراق الجنس بادّعاء انحصاره في الأفراد الكاملين المُستَجمعين للخواص المطلوبة من ذلك الجنس والفضائل المقصودة من خلقه **(أي كما آمن الكاملون)** في الإنسانية هم الجامعون لما يُعَدّ من خواص الإنسان وفضائله فهم لذلك يستحقون أن يحصر فيهم الجنس كله فهذا الحصر بالنظر إلى كمالهم. **قوله: (ومن عداهم كالبهائم)** في فَقْد التمييز

صفة مصدر محذوف أي إيمانًا مثل إيمان الناس ومثله كما آمن السفهاء. **(والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ للإنكار، واللام في «السفهاء» مشار بها إلى الناس)**، وإنما

بين الحق والباطل. **قوله: (والاستفهام في ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ للإنكار)** بمعنى أن ذلك لا يكون أصلًا، وقوله للإنكار أي مجازًا من قبيل ذكر المسبّب وإرادة السبب فإن الاستفهام عن الشيء مُسبّبًا عن الجهل المسبّب عن عدم توجّه الذّهن إليه المسبب عن إنكاره وهو قسمان: إنكار للوقوع ويسمى إبطالي بمعنى لم يقع ولم يوجد وإنكار للواقع ويسمّى توبيخي بمعنى أنه لا ينبغي أن يقع. والمراد هنا الأول ولذا فُسّر بلا يكون.

قوله: (واللام في السفهاء مُشار بها إلى الناس) أي المعهودين والكاملين أو الذين من عداهم في حكم العدم على ما ذكر وهذا عهد بلفظ آخر وباعتبار وصف آخر. وعبارة ابن تمجيد عليه رحمة الله الحميد **(إلى الناس)** أي الناس السابق ذكرهم فيكون اللام للإشارة إلى المعهود الخارجي. انتهت. وعبارة شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي واللام في السفهاء إما للعهد الخارجي والمعهود الحصة المعهودة المعينة التي تقدَّم ذكرها صريحًا في قوله تعالى: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ سواء أُريد بالناس المعهودون أو الجنس بأسره بناء على ادّعاء انحصاره في الكاملين فإن أُريد بالناس المعهودون وأشير بلفظ السفهاء إليهم تكون تلك الحقيقة معهودة بلفظين وباعتبار لفظين وُضِعا متغايرين وإما للجنس بأسره أي لاستغراق جنس السفيه أو جِنس السفهاء بوصف الجمعية وأيًا مّا كان يكون الناس المذكور سابقًا داخلًا في جنس المشار إليه بلفظ السفهاء على زعمهم الباطل وإما في نفس الأمر فهم عقلاء بل أكمل الناس عقلًا ذكر في التوسيط ومعالم التنزيل فإن قيل كيف يصحّ النفاق مع المُجاهرة بقولهم ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أُجيب بأنهم كانوا يُظهِرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ والمؤمنين بذلك عنهم. وقال الإمام: القائل ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ إمّا الرسول أو المؤمنون، ثم كان بعضهم يقول لبعض: أنؤمن كما آمن السفيه فلان ابن فلان السفيه ابن فلان والرسول وأصحابه لا يعرفون ذلك فأخبرهم الله تعالى بذلك ثم غلب عليهم هذا اللقب بقوله تعالى: (﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾). وفي التفسير كان المنافقون يتكلمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أن ينطقوا به بألسنتهم لكن

سفهوهم **(وهم العقلاء المراجيح)** لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل، ومَن ركب متن الباطل كان سفيهًا **(والسفه سخافة العقل)** وخفة **(الحلم.** ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم هم السفهاء. وإنما ذكر هنا «لا يعلمون» وفيما تقدم «لا يشعرون» لأنه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر

هتك الله تعالى أستارهم وأظهر أسرارهم عقوبة لهم على عداوتهم وبغضهم للحق المبين ففي الآية دلالة على حقية الرسالة من حيث إنه عليه الصلاة والسلام أخبر بما في قلوب المنافقين بإخبار ربّ العالمين إياه وكل واحد من هذه الوجوه محتمل لأن قوله تعالى: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾) ظرف لـ ﴿قَالُوٓا۟﴾ فيكون قولهم: (﴿أَنُؤْمِنُ﴾) جوابًا للمؤمنين حين لاقوهم وقالوا لهم: (﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾) فالقول بأن المنافقين لا يتكلمون بهذا الكلام بألسنتهم وإنما يتكلمون به في أنفسهم أو يتكلمون به فيما بينهم لا عند المؤمنين بعيد جدًا، فالظاهر في الجواب أن يقال قولهم: (﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾) ليس مجاهرة في الامتناع عن الإيمان إذ يمكن لهم أن يقولوا مرادنا بهذا القول دعوا الإخلاص في الإيمان بإنكار أن يكون إيماننا كإيمان السفهاء والعوامّ إن كان هذا التأويل منهم على وجه النفاق أيضًا كان قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨] كذلك. انتهت بحروفها فافهم والله سبحانه وتعالى أعلم.

جمع مرجاح صيغة مبالغة من الرجاحة في الأساس نخل مراجيح ومواقير ثقال الحمل وهو راجح العقل وفي عقله رجاحة وفي حلمه سجاحة وهم مراجيح. أي خفته وعدم استحكامه. وفي المصباح سخف الثوب سخفًا وزان قرُب قربًا وسخافة[1] بالفتح رَقَّ لقلة غزله. ومنه قيل رَجُل سخيف وفي عقله سُخْفٌ أي نقص. وقال الخليل: السخف في العقل خاصة والسخافة عامّة في كل شيء. انتهى. بكسر الحاء وسكون اللام هو الأناة[2] والوَقار.

---

(١) محركة. ١٢ في القاموس.

(٢) قوله: الأناة، في القاموس: الأنَاةُ كَقَناةٍ الحِلْمُ والوَقارُ. اهـ. وفي منتهى الأرب: أناة بالفتح تحمل ووقار. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

العلم معه **(أحسن طباقًا له، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال)** حتى يكتسب الناظر المعرفة، أما الفساد في الأرض فأمر مبنيّ على العادات فهو كالمحسوس. والسفهاء خبر «إن» و«هم» فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبر «إن».

قوله: **(أحسن طباقًا له)** الطباق كالمطابقة من الأسماء المتضايفة وهو أن يجعل شيء فوق آخر وهو بقدره ومنه طابق النعل بالنعل لكونه فوقه يقابله ولكونه بقدره يوافقه فلذا أطلق في اللغة على الموافقة والمناسبة وأطلق في الاصطلاح البديعي على الجمع بين الضدّين والمراد هنا الثاني لأن السفه لا يخلو عن الجهل بل هو مستلزم له فكأنه هو فذكر العلم معه يكون جمعًا بين المتضادين في الجملة فالطباق بديعي. وقيل المراد الأول لتناسب عدم العلم والسفاهة فهو لغوي يرجع إلى مراعاة النظير وهي جمع أمر وما يناسبه لا بالتضادّ. قال الطيبي: هو من باب المطابقة المعنوية إذ لو كانت لفظية لقيل لا يرشدون فإن الرشد مقابل للسفه أو قيل ألا إنهم الجهلاء ليقابل لا يعلمون. انتهى. وفيه نظر إلا أنه لا منافاة بينهما فإنه إن نظر للعلم والجهل من غير نظر لغيره فهو بديعي وإن نظر له منفيًا فلغوي ولكلٍّ وجهة.

قوله: (ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال)... الخ وجه ثانٍ لتخصيص فاصلة ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٢] بمقام نفي إدراك المنافقين وإن ما هم عليه محض إفساد وتخصيص فاصلة ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ بمقام نفي علمهم بـ ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ وتقريره أن المقصود في الموضعين نفي الإدراك عن المنافقين بأن حالهم محض الإفساد بقوله ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾، والإدراك المتعلق بأن حالهم محض السفاهة بقوله: ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ للإشارة إلى الفرق بين الإدراكين بالجلاء والخفاء من حيث إن أحدهما إدراك جليّ منزل منزلة الإحساس والآخر خفيّ مفتقر إلى النظر والتفكر فإن الإدراك المتعلق بأن ما في النفاق من تهييج الحروب والفتن ومعاداة من دعاهم إلى الصراط المستقيم المؤدّي إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد إفساد محض لا يشوبه شيء من الإصلاح إدراك جليّ مُنَزَّل منزلة الإحساس وإن كان المعلوم المدرك به أمرًا معقولًا مدركًا بالقوة العاقلة فناسب أن ينفي هذا الإدراك بأن يقال ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ تنبيهًا على أنه علم ضروري جارٍ مجرى الإحساس بالحس

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿(وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ و(**قرأ أبو حنيفة** رحمه الله **﴿وإذا لاقوا﴾ يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته**) قريبًا منه. الآية الأولى في بيان مذهب المنافقين

الحيواني والمشاعر الظاهرة ولمّا كان حال المنافقين أن لا يحصل لهم هذا الإدراك الجاري مجرى الشعور لكفاية أدنى النظر والالتفات في حصوله وأريد بيان حالهم كان المناسب أن يسلب عنهم الشعور بذلك إشعارًا بأنهم أنزل مرتبة من البهائم بخلاف الإدراك المتعلق بأمر الدين والتمييز بين الحق والباطل فإنه خفيّ يفتقر حصوله إلى نظر وتفكّر فإذا أُريد بيان حالهم وسخافة رأيهم وقصر حالهم على السفاهة المحضة كان المناسب أن يُبَيَّن ذلك بأن يقال ﴿لَّا يَعْلَمُونَ﴾ جريًا على مقتضى الظاهر لأنه علم استدلالي يحتاج إلى نظر وفكر ليس مُنَزَّلًا منزلة الإحساس حتى ينفي عنهم ذلك بأن يقال ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

قوله: (﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) لقوا أصله لَقِيُوا استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى القاف بعد حذف حركتها ثم حذفت الياء لسكونها وسكون واو الجمع بعدها وقيل بل حذفت حركة الياء حذفًا وضُمَّت القاف لِتَثبت الواو. **قوله**: (**قرأ أبو حنيفة رحمة الله عليه ﴿وإذا لاقوا﴾**) وأصله لاقيُوا فقُلِبَت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين وبقيت فتحة القاف تدل على الألف المحذوفة وقيل بل أُسكنت الياء استخفافًا ثم حذفت لما ذكرت، فإن قلت لِمَ حُذِفَت الواو في ﴿لقوا الذين﴾ من اللفظ حالة الوصل وأثبتت في ﴿لَاقَوُا الذين﴾ قلت: حذفت في ﴿لقُوا الذين﴾ لأن في الكلمة ما يدلّ عليه وهو ضمّ القاف وأثبتت في ﴿لاقوُا الذين﴾ لأنه ليس فيها ما يدلّ عليها فإن قلت لِمَ حرّكت الواو من ﴿لاقوا الذين﴾ بالضم دون أختها؟ قلت: لخمسة أوجه أذكرهنّ عند قوله ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ [البقرة: الآية ١٦] إن شاء الله تبارك وتعالى (**يقال لقيتُه ولاقيتُه**) بصيغة المتكلم (**إذا استقبلته**) بصيغة الخطاب ولو قيل بلفظة أي أيّ استقبلته لكان بصيغة المتكلم أيضًا وسرّه ما قيل في شرح الهادي من أنه قد يفسر الكلام بإذا لكنك إذا فسرت جملة مسندة إلى ضمير الحاضر بأي ضممت تاء الضمير فتقول

(والترجمة) عن نفاقهم، وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم (﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾

استكتمته الحديث أي سألته كتمانه بضم التاء فيهما وإذا فسرتها بإذا فتحت التاء الثانية فقلت إذا سألته ونظمه القائل:

إذا كنّيت بأي فعلًا تفسّره فضم تاءك فيه ضم معترّف
وإن يكن بإذا يومًا تفسره ففتحة التاء أمر غير مختلف

وسرّه كما في شرح المفصّل أن أي تفسيرية فينبغي أن يطابق ما بعدها ما قبلها والأول مضموم فالثاني مثله وإذا شرطية وإنما جعلت تفسيرية نظرًا إلى مآل المعنى فيتعلق قول المخاطب على فعله الذي ألحقه بالضمير فيستحيل فيه الضم وعبَّر بلفظ يقال مع أن الظاهر التعبير بتقول بصيغة الخطاب نظرًا إلى قوله إذا استقبلته بصيغة الخطاب حتى قال بعضهم إنه أي صيغة الغائب غير مستقيم والجواب أن صيغة الخطاب في صدر الإسلام جائز نظرًا إلى ظاهر قوله إذا استقبلته بصيغة الخطاب بل هو حسن، وصيغة الغائب في صدر الكلام جائز نظرًا إلى المعنى إذ الخطاب في مثل قوله إذا استقبلته لغير معيّن فيكون في المعنى كالغائب كأنه قيل يقال أي يقول أحد: لقيته أو لاقيته إذا استقبل شخصًا آخر ولا ريب في حُسْن هذا وكذا في حسن ما يقوم مقامه والنظر إلى المعنى شائع في كلام البلغاء، فإن قيل الخطاب لغير معيّن ليعمّ كل مُخاطَب لا لكونه في حكم الغائب قلنا معنى ليعمّ كل مخاطب ليعمّ كل مَن شأنه أن يخاطب فيكون في حكم الغائب، ولما كان الشرط والجزاء متغايرين تغاير السبب والمسبب جعلوا القول جوابًا دون المقول لإيجاده به مع عدم صحته إذا استقبلته لقيته بفتح التاء في الأول وضمّها في الثاني كما لا يصحّ إذا استقبلته أنت يقول غيرك لقيته أنا فإذا فتحت صحّ بتقدير إذا استقبلته يقول غيرك إنك لقيته أنت.

قوله: (والترجمة) أي البيان. **قوله**: (﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾) أصل خلوا خَلَوْوْا فاستثقلت الحركة على الواو فحذفت وحذفت الواو التي هي اللام لالتقاء الساكنين وقيل بل قُلِبَت ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت الألف كراهية اجتماع الساكنين وبقيت الفتحة قبلها تدلّ عليها.

خلوت بفلان وإليه) إذا انفردت معه، وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء أي إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم، ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى. **(وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم)** وهم اليهود. **(وعن سيبويه)** أن نون الشياطين أصلية **(بدليل قولهم «تشيطن»)**، وعنه أنها زائدة **(واشتقاقه)** من «شطن»

قوله: (خلوت بفلان) الخلاء مصدره كالخلوة نقل عن الأساس أنه قال خلا المكان خلاء وخلا من أهله وعن أهله وخلوت بفلان **(وإليه)** ومعه خلوة وخلا بنفسه انفرد إذا انفردت معه أي إذا اجتمعت معه في خلوة وفيه إشارة إلى أنه بمعنى الانفراد يستعمل بالباء وإلى ومع، وفي التاج والخلوة تستعمل باللام وإلى والباء ومع بمعنى واحد. انتهى. لكن الاستعمال بالاعتبار مغاير للآخر فتعديته باللام لكونه غرضًا له في الأكثر وتعديته بإلى باعتبار أن انفراده مُنْتَهٍ إليه وتعديته بالباء لملابسة ذلك لفلان ومصاحبته واستعانته واستعماله بلفظ مع ظاهر وهذا ليس من باب التضمين ولا من جعل بعضها بمعنى الآخر. **قوله: (وشياطينهم الذين ماثلوا)** أي شابهوا **(الشياطين في تمرّدهم)** التمرّد العتو والتجبّر، ومنه مَرَدَة الشياطين فيكون لفظ الشياطين استعارة تصريحية حيث شبّه كل واحد منهما بالشياطين الماردين فاستعير لفظ المشبّه به للمشبه، وفيه إشارة إلى وجه الشبه وذلك التمرّد أظهر وأغلب في الشيطان وقرينة الاستعارة ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ وإضافة الشياطين إليهم و﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فإن ذلك ليس بجائز في الشيطان. **قوله: (وعن سيبويه)** مركب من سيب وهو التفاح وْويه وهو صوت لقب إمام النحاة عمرو بن عثمان الشيرازي وإنما لُقِّب لانتشار رائحته كما ينتشر رائحة التفاح. **قوله: (بدليل قولهم تشيطن)** لأنه لو لم تكن النون أصلية سقطت من فعله. **قوله: (واشتقاقه)**... الخ اختلف أهل اللغة في اشتقاق لفظ الشيطان فقال جمهورهم هو مشتق من شطن يشطن أي بعد لأنه بعيد من رحمة الله تعالى لبُعده عن طاعته ومنه بئر شطون أي بعيد القعر فوزنه على هذا فيعال فيكون منصرفًا وقيل هو مشتق من شاط يشيط أي هلك واحترق وبطل وجوده. وفي الصحاح شاطَ الرجل يشيط أي هلك وشاط فلان أي ذهب دمه هدرًا ولا شك أن هذا المعنى موجود فيه فلذلك قالوا إنه مشتق من هذه المادة فوزنه على هذا فعلان فهو غير منصرف إذا سُمّي به وأما إذا لم يُسَمّ فإنه منصرف البتة لأن من شرط امتناع فعلان الصفة أن لا يؤنث بالتاء وهذا يؤنّث بها، قالوا شيطانة.

إذا بعد لبعده من الصلاح والخير، أو من شاط إذا بطل (**ومن أسمائه**) البطل. (﴿**قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ**﴾) إنا مصاحبوكم (**وموافقوكم**) على دينكم. (**وإنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم**) بالإسمية محققة بـ«إن» لأنهم في خطابهم مع المؤمنين (**في ادعاء حدوث الإيمان**) منهم لا في ادعاء أنهم

قوله: (ومن أسمائه) أي ومن أسماء الشيطان الباطل أورده تأييدًا لكونه مشتقًا من شاط بمعنى بطل. قال العلامة إسماعيل القنوري رحمة الله عليه ولا يخفى ضعفه لأن القول الأول قول الجمهور لأنه بعيد من رحمة الله.اهـ. **قوله**: (﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾) الأصل في إنَّا إنَّنا بثلاث نوناتٍ ثم حذفت إحداهنَّ كراهة اجتماع الأمثال والمحذوفة هي الوسطى بدلالة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا[1] لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هُود: الآية ١١١] على قراءة مَن خفَّف النون[2] وقد أتى على الأصل والتمام في قوله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:الآية ٤٦]. **قوله**: (وموافقوكم)... الخ عطف تفسير.

قوله: (وإنما خاطبوا المؤمنين)... الخ جواب سؤال مقدّر وهو أن قولهم للمؤمنين ﴿ءَامَنَّا﴾ كلام مع المنكر وقد ترك التأكيد، وقولهم لشياطينهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ كلام مع غير المنكر وقد أكد بأن واسميّة الجملة مع أن مقتضى البلاغة عكس ذلك والجواب أن ترك التأكيد كما يكون لعدم الإنكار فقد يكون لعدم الباعث من جهة المتكلم ولعدم الرَّواج والقبول من جهة السامع، وكذلك التأكيد كما يكون لإزالة الشك ونفي الإنكار من السامع يكون لصدق الرغبة والنشاط من المتكلم ونيل الرَّواج والقبول من السامع. قوله: [illegible] الدّالّ على الحدوث أي ﴿آمنا﴾. **قوله**: (وشياطينهم) **بالاسمية أي وخاطبوا شياطينهم بالجملة** الاسمية الدّالّة على الثبات أي أنا معكم. قوله: [illegible] خبر

---

(١) ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هود: الآية ١١١] اللام الأولى مُوَطّئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس، وما مزيدة بينهما للفصل، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ﴿لمَّا﴾ بالتشديد على أن أصله لمن ما فقُلِبت النون ميمًا للإدغام، فاجتمع ثلاث ميمات فحُذِفت أُولاهُنّ، والمعنى لمن الذين يوفينهم. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: من خفّف النون قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارًا للأصل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(**أوحديون في الإيمان**)، إما لأن أنفسهم (**لا تساعدهم عليه**) إذ ليس لهم (**من عقائدهم**) باعث ومحرك، وإما (**لأنه**) لا يروج (**عنهم**) لو قالوه (**على لفظ التأكيد**) والمبالغة، وكيف يطمعون في رواجه وهم (**بين ظهراني المهاجرين والأنصار**). وأما خطابهم مع إخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلًا منهم رائجًا عنهم فكان (**مظنّة للتحقيق ومئنة للتأكيد**). وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾

إن. **قوله**: (**أوحديون في الإيمان**) جمع أوْحَدٍ في منتهى الأرب في لغات العرب هو أوحدُ أهْل زمانِه أويگانه است ازاهل روزگارخود أي لا نظير له. **قوله**: (**لا تساعدهم**) المُساعدة المُوافقة. **قوله**: (**عليه**) أي على ادّعاء الأوحدية. **قوله**: (**من عَقائدهم**) بيان باعث. **قوله**: (**لأنه**) أي ادّعاء الأوحديّة لا يُرَوَّج أي لا يقبل (**عنهم**) أي عن المنافقين يشهد بذلك أنهم لمّا قالوا ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: الآية ١] على سبيل التوكيد أُجيبوا بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافِقون: الآية ١] أي فيما ادّعوا أن تلك الشهادة من صميم قلوبهم لو قالوه (**على لفظ التأكيد**)... الخ. أي لو قالوا في خطاب المؤمنين إنّا مؤمنون كان ذلك منهم ادّعاء كمال في الإيمان بتمكّنه فيهم وثباتهم عليه ظاهرًا وباطنًا وهم لا يتوقعون رواج هذا الادّعاء على المؤمنين ولا قبول المؤمنين إياه منهم وكيف يقبل منهم ذلك وهم يخاطبون به المؤمنين من المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله تعالى في التوراة والإنجيل بأوصاف دلّت على رجحان عقولهم وشدة ذكائهم وصلابتهم في دين الله تعالى فكيف يروج منهم ادّعاء الكمال في الإيمان عليهم بخلاف ما خاطبوا به الكفّار فلذلك تركوا التأكيد مع خطاب المؤمنين ولم يتركوه في خطاب الكفّار.

قوله: (**بين ظهراني المهاجرين والأنصار**) في الفائق أقام فلان بين أظهر قومه وبين ظهرانيهم، أي أقام بينهم وإقحام الأظهر وهو جمع ظهر ليدلّ على معنى أن إقامته فيهم على سبيل الاستظهار بهم وأما ظهرانيهم فأصله ظهريهم زِيدَت الألف والنون تأكيدًا وكان معنى التثنية أن ظهرًا منهم قدامه وآخر وراءه فهو مكنون من جانبيه ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقًا وإن لم يكن مكنوفًا أو على سبيل الاستظهار أو باختصار. اهـ. **قوله**: (**مَظِنَّة للتحقيق**) بكسر الظاء أي موضعه ومألَفِه التي يظن كونه فيه (**ومَئِنَّة للتأكيد**) أي موضعه الذي يتحقق ثبوته فيه مَفْعِلة

(تأكيد لقوله: «إنا معكم») لأن معناه الثبات على اليهودية، وقوله: «إنما نحن مستهزئون» رد للإسلام ودفع لهم منهم (لأن المستهزىء) بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدًا به، (ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو استئناف) كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا لهم إنا معكم إن كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا: إنما نحن مستهزئون. (والاستهزاء السخرية والاستخفاف

من معنى إن التأكيدية. قال أبو زيد إنه لمئنة من ذلك أي مَخْلَقَه وكل شيء دَلَّك على شيء فهو مئنة له وفي الأساس فلان مئنة للخير ومَعْساة أي موضع لأن يقال فيه إنه لخيرٌ وعسى أن يفعل خيرًا. وفي لسان العرب قال أبو عبيد: قال الأصمعي: سألني شعبة عن مئِنة فقلت هو كقولك علامته وخليق. **قوله**: (تأكيد[1] لقوله: إنا معكم)... الخ توجيه لعدم العطف. **قوله**: (لأن المستهزىء) دليل على قوله ردّ ودفع. **قوله**: (ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته) لئلا[2] يلزم ارتفاع النقيضين. **قوله**: (أو استئناف) الاستئناف أوجه وأحسن لزيادة الفائدة وكون المتحرِّك للسؤال.

قوله: (والاستهزاء السخرية) تعريف لفظ ولجواز التعاكس فيه قد يُفَسَّر بالاستهزاء والاسم الهُزْء بضم الهاء وسكون الزاي وهو مهموز وقد تُقلَب الهمزة واوًا مع ضمّ الزاي فيقال ﴿هُزُوًا﴾ [البقرة: الآية ٦٧ وغيرها] وهو رواية حفص عن عاصم وسين (والاستخفاف) يجوز أن يكون للتأكيد وأن يكون للطلب أي طلب الخفّة ضدّ الثقل وهما في الحسِّيَّة حقيقيان ومجازيان في المعنوية والمراد الاستهانة والاستحقار سواء كان بالفعل أو بالقول أو بالإشارة والإيماء والمراد هنا الاستخفاف بالقول لكن في صورة التعظيم لتستّر نفاقهم بإظهار التفخيم فعلم أن الاستهزاء لا يشترط فيه علم المُستَهزَأ به الاستهزاء ولو في حضوره.

---

(١) قوله: تأكيد... الخ. ولما لم يكن ظاهر كونهم مستهزئين تكريرًا وتقريرًا، وهو أنه نفي ورد للإسلام، فيكون إثباتًا وقبولًا للكسر، فيكون تأكيدًا. ١٢ منه.

(٢) لئلا يلزم... الخ. وفيه تأمّل؛ إذ الكفر ليس بنقيض الإسلام، بل إما ضدّ أو تقابل العدم والملكة فارتفاعهما جائزان وإلا لم يجتمعا، إلا أن يقال: الكلام في المنافقين فإذا استخفّوا بالإسلام يلزم إصرارهم على اليهودية. ١٢ منه عُفِي عنه.

وأصل الباب الخفَة من الهزء وهو القتل السريع، وهزأ يهزأ مات على المكان).

﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾

﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ **(أي يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه)** كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ

قوله: (**وأصل الباب الخفَة**) أي المعنى الذي اعتبر في هذه المادة بحسب أصله المنقول الخفة فإن الاستهزاء (**من الهزء وهو القتل السريع**)، يقال وهو خفيف بالنسبة إلى القتل البطيء فبين المشتق والمشتق منه مناسبة تامّة. **قوله:** (**وهزأ يهزأ مات على المكان**) أي قتل قتلًا سريعًا فمات على مكانه أي فجأة كأنه لم يمهل حتى ينتقل عن مكانه إلى محل آخر فهو كناية عمّا ذكر.

قوله: (**أي يجازيهم على استهزائهم**) هذا بناء على أن الكفّار يُعاقَبون بارتكاب المناهي مما سوى الكفر أيضًا وهذا مذهب الإمام الشافعي والعراقيين من مشايخنا رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما المعنى على مذهب جمهور الحنفية رضي الله تعالى عنهم يجازيهم على ترك اعتقاد حُرمَة الاستهزاء لأن الكفّار وإن لم يُؤاخَذوا بترك الفروع لكنهم مُؤاخذون بترك اعتقادها اتفاقًا كما في فصل في الأصول، معنى المجازاة المكافآت والمقابلة خيرًا كان أو شرًّا وإنما احتاج إلى هذا التوجيه لأن الاستهزاء مُحال على الله تعالى لكونه جهلًا بمعنى السّفَه فإن ارتكاب الذنب سَفَهٌ وتجاهل وهو المراد من قوله تعالى حكاية عن موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧] في جواب ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧] لا الجهل بالمعنى المعروف هذا مما ذهب إليه كثير من أهل السُّنَّة والجماعة إذ الاستهزاء لعِب ولهو يجب تنزيه الله تعالى عنه كالمُخادعة والمكر فحيث أطلق عليه تعالى يُراد به المعنى المجازي كما فصَّله المصنِّف رحمة الله عليه وذهب بعضهم إلى أن حقيقة الاستهزاء التحقير على وجه من شأنه يتعجّب منه ويضحك وأي استحالة في وقوع هذا من الله تعالى. انتهى. أقول منشأ الاستحالة كونه مشتملًا على اللعب واللهو بحيث يتعجب منه ويضحك كما اعترفوا به وفعل الله تعالى لا يكون بحيث يتعجب منه ويضحك بل يكون

عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٤] فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء سيئة واعتداء، وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من

بحيث يتعجب منه ويحصل الاعتبار والاستدلال على كمال قدرته فكلام هذا البعض مما يتعجب منه وتُسكَب العَبَرات لأجله إذ منشأ الضحك كيف يُسنَد إلى الله تعالى على طريق الوصف. نعم لو قيل: الاستهزاء حقيقة بمعنى الانتقام كما ذهب إليه البعض صرَّح به صاحب اللباب وقال: ولو قيل: أصله الانتقام لكان القول بأنه وصف له تعالى حقيقة لكان سديدًا وقائله سعيدًا وهذا مجمل ما نقل من علم الهدى في التأويلات وإلا فما اعتبر في معناه السخرية واللعب كما صرّح به في اللباب أيضًا فاستحالة وقوعه من الله تعالى من أجلى البديهيّات.

قوله: (فسمّى جزاء الاستهزاء باسمه) مجازًا على طريق تسمية جزاء الشيء باسمه وهو كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: الآية ١٩٤]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: الآية ١٤٢]، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٥٤] إما لمقابلة اللفظ باللفظ أي لقصد مقابلة اللفظ باللفظ المُجانِس له مع اختلاف المعنى المقصود فيكون مشاكلة وهي ذِكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير أو لكونه مُماثِلًا له في القدر وهذا وجه ثانٍ لتسمية جزاء الاستهزاء باسم الاستهزاء فإن الجزاء لمّا كان مُشابِهًا لأصل الفعل في القدر كما صرَّح به قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠] ونحو ذلك صحَّ أن يعبّر عن الجزاء باسم المشبه به فيكون لفظ يستهزىء (استعارة تبعية)[١].

---

(١) قوله: استعارة تبعية، الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمان؛ لأن اللفظ المستعار إن كان اسم جنس فالاستعارة أصلية كأسد وقتل، أي في نحو قولك: رأيت أسدًا في الحمام، أي رجلًا شجاعاً، فشبّه الرجل الشجاع بالحيوان المفترس بجامع الشجاعة في كل، وادعينا أن الرجل المذكور فرد من أفراد الحيوان المفترس، واسْتُعير اسم المشبّه به للمشبّه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأن اللّفظ المستعار وهو لفظ أسد اسم جنس، وفي نحو قولك: هذا قتل، أي ضرب عظيم، فشبّه الضرب الشديد بالفعل الجامع نهاية الإيذاء في كل، واستعير اسم المشبّه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأن القتل=

حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه. قال (الزجاج): هو الوجه المختار. (واستئناف قوله: «الله يستهزىء بهم» من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة، وفيه) أن الله تعالى هو الذي يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء (لما ينزل بهم من النكال والذل) والهوان. ولما كانت

قوله: (الزجّاج) فعال من زجَّ يزجّ إما لكونه صانِعًا للزجاج وإما لكونه بايعه كما يقال قدَّار لصانِع القِدْر ولبايِعه، وكذا خفّاف وبزّاز وهو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد النحوي كان يخرط الزجاج ثم تركه، صنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم.

قوله: (واستئناف قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة) أي العظمة حيث دلَّ على غاية شناعة ما ارتكبوه وتعاظمه على القلوب والأسماع بحيث يتوجه السامع أن يقول الذين شأنهم ذلك ما مصير أمرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله إيّاهم يعني ليس ترك العطف لمجرد رفع أن يتوهّم عطفه على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فيكون من مَقول المُنافقين أو على قالوا فيتقيّد بالظرف ـ يعني ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ ثم لم يصدر الاستئناف بذكر المؤمنين مع أنهم الذين يستهزىء المنافقون بهم وكان ينبغي أن يقابلوهم ويعارضوهم بل بذِكر الله تعالى الجامِع لصفات الكمال مع بناء الفعل عليه لإفادة الاختصاص فدلّ على أن الاستهزاء بهم هو الاستهزاء الأبلغ الذي يضمحل في جنبه استهزاؤهم لصدوده عمَّن يضمحلّ في جنب علمه وقدرته علمهم وقدرتهم وعلى أن الله تعالى يكفي مؤنته المخلصين من عباده وينتقمْ لهم ولا يحوجهم إلى معارضة المنافقين باستهزاء هو مجرد سخرية واستخفاف وفيه تعظيم لشأن المؤمنين وهذا زيادة في فخامة الاستئناف وإنما تعرَّض في تقريره إفادة الاستهزاء الأبلغ بطريق الحصر جريًا على ما هو مدلول الكلام من أن بناء الفعل على المبتدأ مطلق الاختصاص.

قوله: (وفيه) أي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يحتمل أن يكون قوله وفيه بيان فائدة أخرى سوى الجزالة والفخامة ويحتمل أن يكون بيان الجزالة والفخامة. **قوله**: (لما ينزل) أي الله تعالى (بهم من النكال) العذاب (والذلّ).

= اسم جنس للفعل الذي هو سبب لذهاب الحياة، وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس؛ فالاستعارة تبعية كالفعل وما يشتق منه والحرف. ١٢ منه عُفي عنه.

(نكايات الله) وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل: «الله يستهزىء بهم» ولم يقل الله مستهزىء بهم ليكون (طبقًا) لقوله: «إنما نحن مستهزئون» (﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أي يمهلهم عن الزجاج والسماد بالفتح السرقين والرماد ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾) في غلوهم في كفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حال أي يتحيّرون ويترددون (وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

(﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ خبره. (﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾

في منتهى الأرب في لغات العرب ذُلّ بالضم خواري ضد عزو لهَوَانِ بالفتح رَسْو أيئ وخواري. **قوله**: (نكايات الله) تعالى جمع نكاية، يقال نَكَا في العَدوّ نِكاية ككتابة إذا قتل فيهم وجرح. والمراد هنا العقوبات. **قوله**: (طِبْقًا) بالكسر أي موافقًا. **قوله**: (﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أي يمهلهم عن الزجّاج) أشار به إلى أنه من المدّ أي التطويل في العمر. وفي البيضاوي ﴿ويمدّهم﴾ من مدّ الجيش من باب ردّ وأمدّه إذا زاده وقوّاه. ومنه مددت السّراج والأرض إذا أصلحتهما بالزيت والسماد. اهـ. **قوله**: (والسماد بالفتح السرقين والرماد) أي إذا أصلحت السّراج بالزيت والأرض بالسماد وزدْتَ فيهما ما تزداد به قوتهما فمعنى قوله تعالى: (﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾) يزيد طغيانهم ويعطيهم مزادًا فيه. وفي السمين والمشهور فتح الياء من يمدّهم وقُرِىء شاذًا بضمها فقيل الثلاثي والرباعيّ بمعنى واحد تقول مدّه وأمدّه بكذا. وقيل مدّ إذا زاده من جنسه وأمدّه إذا زاد من غير جنسه. وقيل مدّه في الشرّ كقوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: الآية ٧٩] أو أمدّه في الخير كقوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح: الآية ١٢]، ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ﴾ [الطُّور: الآية ٢٢]، ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٤]. اهـ. **قوله**: (وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح) لأنهم قالوا: يقبح إيجاد القبيح وخلقه، وبوجوب الأصلح للعباد على الله تعالى والآية بظاهرها تُنافي ذلك.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ خبره (﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾) أولئك في محل الرفع على أنه مبتدأ، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مع صلته خبره وقوله: (﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾) عطف على الجملة الواقعة صلة وهي اشتروا وأصل اشتروا اشتريوا فقُلِبَت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها ثم حذفت لسكونها وسكون واو الجمع بعدها وبقيت فتحة الراء قبلها تدلّ عليها. وقيل: بل أُسكِنَت الياء تخفيفًا ثم حذفت

أي استبدلوها به، واختاروها عليه). وإنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها في قوم آمنوا ثم كفروا، أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ فلما جاءهم كفروا به، أو جعلوا **(لتمكنهم منه)** كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة، وفيه دليل على جواز البيع تعاطيًا لأنهم لم يتلفظوا الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم، وسمي ذلك شراء فصار دليلًا لنا على أن مَن أخذ شيئًا من غيره ترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به. والضلالة **(الجور عن القصد وفقد الاهتداء)**، يقال: ضلّ منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين. (﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ **الربح الفضل)** على **(رأس المال)**، والتجارة **(صناعة التاجر)** وهو الذي يبيع ويشتري للربح، وإسناد الربح إلى التجارة **(من الإسناد المجازي)**، ومعناه فما ربحوا في تجارتهم إذ التجارة لا

كما ذكرت آنفًا وحُرِّكَت الواو لالتقاء الساكنين بالضم وهو الأشيع، وبالكسر على أصل التقاء الساكنين وبالفتح للتعديل وقد قُرِىء بهنَّ، فإن قلت: لِمَ كان الضم أشيع؟ قلت: لأنها واو جمع فأرادوا الفرق بينهما وبين واو أو ولو. وقيل لأن الضم هنا أخفّ من الكسر لأنه من الواو عن ابن كيسان. وقيل حُرِّكت بحركة الياء المحذوفة عن الفرّاء، وقال الزجّاج: اختير الضم لأنها واو جمع فضُمَّت كما ضُمَّت النون في نحن. وقيل ضُمَّت لأنها ضمير فاعل فهي كالتاء في فعلتُ والباء في قوله تعالى: ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ للعوض والمقابلة وهي تدخل على المتروك أبدًا كما هنا. **قوله**: **(أي استبدلوها به)** أشار بهذا إلى أن الشراء هنا مجاز المراد به الاستبدال **(واختاروها عليه)** مبني على ما تقرّر من أن الباء تصحب المتروك الذي كان في يده ثم أعرض عنه لتحصيل غيره وأن فِعل الاشتراء إنما يتعدّى بنفسه للمأخوذ المختار. **قوله**: (لتمكَنهم منه) أي من الهدى. **قوله**: **(الجور)** الميل **(عن القصد)** أي سواء السبيل **(وفَقْد الاهتداء)** في القاموس فقده يفقده فَقْدًا وفِقْدانًا وفُقُودًا عَدَمه.اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب فَقَدَه فَقدًا بالفتح وفِقْدانًا بالكسر وبالضم وفُقُودًا بالضم كم كرد آنرا.اهـ. **قوله**: (الربح الفضل) أي الزيادة على **(رأس المال)** أي أصله والرأس مجاز فيه.

قوله: **(صناعة)** أي حِرْفَة (التاجر) في منتهى الأرب صِناعة بالكسر پيثة. **قوله**: **(من الإسناد المجازي)** وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبّس بالذي هو في

تربح، ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازًا أتبعه ذكر الربح والتجارة (**ترشيحًا له**)

الحقيقة له كما تلبَّست التجارة بالمشترى. **قوله**: (**ترشيحًا له**) أي للمجاز الترشيح في اللغة بمعنى التزيين وبمعنى التربية والتقوية والترشيح المجازي في الاصطلاح أن يؤتَى بصفة أو تنويع كلام يلائم المُستَعار منه الذي هو المعنى الحقيقي للفظ الاشتراء، وقد يوجد في المجاز المرسل[١] كما يقال لفلان يد طولى أي قدرة كاملة والفرق بينه وبين الاستعارة[٢] التخييلية[٣] مع أن في كل واحد منهما إثبات لوازم المُستَعار منه وملائمته للمُستعار له أن الترشيح إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها ولا شك أن التخييل في المَكنيَّة قرينة لها فلا يكون ترشيحًا وإن كان ملائمًا للمُستعار منه بل ما زاد عليه من ملائماته هو الذي يكون

---

(١) قوله: المجاز المرسل: المجاز مرسل إن كانت العلاقة المصحّحة لاستعمال اللفظ في غير ما وضع له غير المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي كما إذا كانت مسبّبة أو سببية، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الأصلي سبباً لشيء ومسبّباً عن شيء، فينقل اسمه لذلك الشيء، وإلّا أي بأن لم يكن العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي غير المشابهة، بل كانت نفس المشابهة؛ فاستعارة وسمّي مرسلًا لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيد بادّعاء أن المشبَّه من جنس المشبّه به، والمرسل مطلق عن هذا القيد، وقيل: إنما سمّي مرسلًا لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ورد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري، فإنه مقيّد بعلاقة واحدة، وهي المشابهة والمراد بالعلاقة هنا الأمر الذي به الارتباط بين المعنى الحقيقيّ والمجازي، وبه الانتقال من الأول للثاني؛ كالمشابهة في المجاز الاستعارة، وكالسببية والمسببية في المجاز المرسل. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله الاستعارة التخييليّة: قد يضمد التشبيه في النفس، أي في نفس المتكلّم، أي قد يستحضر المتكلم في نفسه تشبيه شيء بشيء على وجه المبالغة وادّعائه في نفسه أن المشبه داخل في جنس المشبّه به، فلا يصرّح بشيءٍ من أركانه، أي من أركان التشبيه المستحضر في النفس سوى المشبّه، ويدلّ على ذلك التشبيه المضمر في النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختصّ بالمشبّه به، فيسمّى التشبيه المضمر في النفس استعارة بالكناية أو مكنياً عنها. أمّا الكناية، فلأنه لم يصرّح به، بل إنما دلّ عليه بذكر خواصّه ولوازمه. وأمّا الاستعارة، فمجرّد تسميته خالية عن المناسبة، وسمّي إثبات ذلك الأمر المختص بالمشبّه به للمشبه استعارة تخييلية لأنه قد استُعير للمشبه ذلك الأمر الذي يخصّ المشبّه به، وبه يكون كمال وجه الشبه في المشبه به أو قوام وجه الشبه في المشبّه به ليخيّل أن المشبّه من جنس المشبّه به. ١٢ منه.

(٣) قوله الاستعارة التخييلية: أن يثبت للمشبّه من لوازم المشبّه به. ١٢ منه.

كقوله:

(ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش له صدري)

ترشيحًا كذا أفاده العلّامة شيخ زاده عليه الرحمة. وعبارة أمير بادشاه على القاضي الترشيح إثبات ذكر بعض لوازم المعنى الحقيقي للمعنى المجازي لكنه إنما يكون بعد تمام الاستعارة بالقرينة في التصريحية وبالتخييل في المَكنية وأكثر ما يكون في الاستعارة وقد يكون في المجاز المرسل نحو له اليد الطولى أي القدرة الكاملة. انتهت. **قوله:**

(ولمَا رأيت النسر عز ابنَ دأيةٍ) (وعشش في وكريه جاش له صدري)

النسر في الأصل طائر أبيض معروف يقال له بالتركي كركس وابن دأية كنية الغراب الأسود سُمّي به لأنه يقع على دأية البعير فيأكل منها وهي فقاره فكأنها تغذوه كما تغذو الأم ولدها وهو علم جنس له ممنوع من الصرف وإنما صرفه الشاعر هنا للضرورة وعز أي غلب، ويقال عشش الطائر تعشيشًا وعشّ الطائر موضعه الذي يجمعه من دقاق العيدان وغيرها للتفريخ فيه وهو في أفنان الشجر فإذا كان في جبل أو جدار ونحوهما فهو وكر ووكن وإذا كان في الأرض فهو أفحوص وأُوْحيّ، وقيل الوكر العش حيث كان في جبل أو شجر وضمير عز وعشش للنسر وضمير وكريه لابن دَأْيَةِ والمراد بتعشيشه في وكري الغراب حلوله ونزوله فيهما وقوله جاش له صدري جواب لما وهو من جاشت القدر تجشّ أي غَلَت، والمراد بغليان الصدر اضطرابه استعار لفظ النسر للشيب ولفظ ابن دأية للشعر الأسود ورشح الاستعارتين بأن أتبعهما بذكر التعشيش وبالوكرين لأن الغراب يكون له وكران؛ وكر للشتاء ووكر للصيف والوكران استعارتان للحية وللرأس أو للفودين وهما جانبا الرأس كما أن التعشيش استعارة للحلول والنزول وكون التعشيش والوكر ترشيحًا للمجاز لا ينافي كونهما استعارتين فإن كونهما ترشيحًا ليس باعتبار المعنى المقصود بهما بل باعتبار لفظيهما ومعناهما الأصلي فإن الترشيح قد يكون باقيًا على حقيقة تابعًا للاستعارة ولا يُقصَد بها إلا تقويتها كقولك رأيت أسدًا وافي البراثن لأنك لا تريد به إلا زيادة تصوير الشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تذهب بلفظ البراثن إلى معنى آخر. وقد يكون مستعارًا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار

لما شبه الشيب بالنسر والشعر (الفاحم) بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر.
(﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة) كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر. والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما، فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة، وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية (لأن الضالّ خاسر، ولأنه) لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح. وقيل: «الذين» صفة «أولئك» و«فما ربحت تجارتهم» إلى آخر الآية في محل الرفع خبر «أولئك».

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان، (ولضرب الأمثال) في إبراز خفيات المعاني ورفع

له كما في البيت فإن لفظ الوكرين كما ذكر استعير فيه من معناه الحقيقي للرأس واللحية أو للفودين ولفظ التعشيش للحلول والنزول فيهما مع كونهما مُستعارين ترشيحًا لتينك الاستعارتين لا باعتبار المعنى المقصود بهما بل باعتبار لفظهما ومعناهما الأصلي. قوله: (الفاحم) الأسود.

قوله: (﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة) قيد بذلك ليندفع أن عدم الاهتداء قد فهم من استبدال الضلالة بالهدى فيكون تكرارًا فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها أي على قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والأولى عطفها على ﴿ٱشْتَرَوُا۟﴾... الخ. وذلك أن كونه معطوفًا على قوله: ﴿فَمَا رَبِحَت﴾ يقتضي كون عدم اهتدائهم لطريق التجارة مترتبًا ومتفرّعًا على الاشتراء المذكور كما هو مقتضى كلمة الفاء الدّالّة على التعقيب وليس الأمر كذلك بل الاشتراء مترتّب على عدم الاهتداء وعلى تقدير عطفه على ﴿ٱشْتَرَوُا۟﴾ يندفع هذا المحذور وتكون العلّة مجموع الأمرين اللذين عطف أحدهما على الآخر بالواو. قوله: (لأن الضال خاسر) تعليل لقوله: لم يوصفوا بإصابة الربح. قوله: (ولأنه)... الخ عطف على قوله لأن الضالّ.

قوله: (ولضرب الأمثال)... الخ خبر مقدّم.

الأستار عن الحقائق (**تأثير** ظاهر، **ولقد كثر ذلك**) في الكتب السماوية (**ومن سور الإنجيل**) سورة الأمثال. (**والمثل في أصل كلامهم هو المثل**) وهو النظير. (**يقال: مَثَل ومِثْل ومثيل كشبه وشبه وشبيه، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بموره مثل المضرب والمورد ولم يضربوا مثلًا إلا قولًا فيه غرابة**

قوله: (**تأثير ظاهر**) مبتدأ مؤخر. **قوله**: (**ولقد كثر ذلك**)... الخ. قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]. **قوله**: (**ومن سور الإنجيل**)... الخ. قيل: الإنجيل خمس وثلاثون سورة منها سورة الأمثال. وهذا بيان ضرب الأمثال (في غير القرآن). **قوله**: (**والمثل في أصل كلامهم**) أي العرب (هو المثل) بكسر فسكون. **قوله**: (**يقال: مثل ومثل**) بكسر فسكون (ومثِيل) كقَتِيْل (كشبَه وشِبْه وشبيه) يعني أن المثل والمثل في أصل اللغة بمعنى النظير كما أره الشبه، والشبه كذلك إلا أن الشَّبَه يكون بمعنى المشابهة أيضًا يقال بينهما شبه بالتحريك أي مشابهة. **قوله**: (**ثم قيل للقول السائر**[1] **الممثَّل**) أي المشبه (مَضْربُهُ بمَوْرِدِه مثل ولم يضربوا) ولم يستعملوا (**مثلًا إلا قولًا فيه غرابة**) أي ثم نقل من معناه اللغوي إلى معنى آخر عُرْفي يتفرّع عليه معنى ثالث مجازي كما سيذكر والسائر الشائع المشهور بين الفصحاء وحقيقته قطع المسافة فشبَّه تداول الألسنة بتنقّل الأمكنة فكما أن المسافر ينتقل من موضع من الأمكنة إلى موضع آخر، كذلك ينقل القول المذكور من لسان إلى لسان آخر، وأيضًا السائر من السؤر بمعنى البقية وقد يستعمل بمعنى الجميع والمعنى حينئذ للقول السائر أي المتداوَل في جميع ألسنة البلغاء و(**المضرب**) بفتح الميم وكسر الراء ويجوز فتحها اسم مكان والمراد به الموضع الذي استعمل فيه بعد استعمال قائله الأول (والمورد) بكسر الراء لا غير الموضع الذي ورد فيه القول مرادًا به المعنى الحقيقي وفي اختيار القول إشارة إلى أنه يجب تركيبه إذ القول في العُرْف هو اللفظ المركّب تامًّا أو ناقصًا والمراد هنا المركَّب التامّ. وقد ذهب بعضهم إلى أن القول هو الركب التام لكنه غير مشهور، وكذا يعتبر فيه أن يكون استعماله على سبيل الاستعارة ويسمّى استعارة تمثيلية وفي كلامه إشارة إليه حيث

---

(١) قوله: (السائر) أي المشهور (الممثل) مضربه، أي ما يضرب له. ثانيًا: (بمورده) أي ما ورد فيه أوّلًا، أي المشبّه حال ضربه بحال وروده. ١٢ منه.

ولذا حوفظ عليه) فلا يغير. **(وقد استعير المثل للحال)** أو الصفة

قال: **(ولذا حوفظ)**... الخ فإن هذه العبارة في ألسنة أهل البيان شائعة في الاستعارة التمثيلية.

قوله: (ولم يضربوا مثلًا إلا قولًا فيه غرابة) بوجه من الوجوه إما بحسب معناه وإما بحسب خصوص ذلك اللفظ بأن يشتمل على ألفاظ نادرة لا تستعملها العامّة **(ولذا)** أي ولكون المثل العُرْفي بحيث يعتبر فيه كونه سائرًا مشهورًا في الصورة الأصلية المشبه بها حتى صار كأنه علم لها وكونه مشتملًا على نوع غرابة **(حُوفِظ عليه)** أي على المَثَل من التغيير وحمي لأن الأعلام لا تتغير ولأنه لو غير لربما انتفت الدلالة على تلك الغرابة في التركيب المغير إليه والأظهر أن الحفظ على الأمثال وعدم جواز تطرّق التغيّر لها من أجل أن المثل استعارة فيجب أن يكون عين اللفظ الدّالّ على المشبه به لأن اللفظ المُستَعار يجب أن يكون كذلك مثلًا لو قيل: الصيف ضيَّعت اللبن بفتح تاء الخطاب كان تغييرًا لأصله إذ هو بكسر تاء المخاطبة فلا يكون مثلًا بل مأخوذًا منه وإشارة إليه وقصته أن المرأة كانت تحت رجل وكان شيخًا فنشزت هي منه فطلَّقها الشيخ في وقت الصيف ثم تزوجها شاب فقير فأجدبت أي أصابها جدب وهو ضدّ الخصب فجاءت يومًا إلى زوجها الأول تطلب منه لبنًا فأجابها بقوله: الصيف ضيَّعت اللبن فاشتهر هذا القول بين الناس بحيث صار كأنه علم لحال تلك المرأة ثم ضرب مثلًا في كل مَن يطلب شيئًا فوَّته على نفسه في وقته تشبيهًا لحاله بحال تلك المرأة فلو كان المضروب مذكَّرًا وقيل له ضعيف بالتذكير لم يكن استعارة لأن الأمثال لا تغيّر. **قوله: (وقد[1] استعير المثل للحال)**... الخ لما ذكر أن للمثل مفهومًا لغويًا وهو النظير والشبيه ثم نقل منه إلى معنى عُرفي وهو قول السائر وكان لفظ المثل مستعملًا في موضع لا يصحّ أن يُحمَل فيه على أحد هذين المعنيين كما في هذه الآية. وفي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرّعد: الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النّحل: الآية ٦٠] احتاج إلى بيان استعماله في معانٍ أُخَر مشابهة لمعناه العُرفي من حيث كونها مشتملة على شأن وغرابة فيكون لفظ المثل في تلك المعاني استعارة

---

(١) وقوله: قد استعير المثل، أي من المعنى الثاني لمعنى ثالث. ١٢ منه.

(أو القصة إذا كان لها شأن) وفيها غرابة كأنه قيل: (حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارًا)، وكذلك قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: الآية ٣٥ أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن، (ثم أخذ في بيان عجائبها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: الآية ٦٠]) أي الوصف الذي له

تصريحية كاستعارة الأسد للرجل الشجاع. **وقوله**: (للحال) المراد بالحال ما يتركَّب من أمور عديدة متضامة كما أشار إليه بقوله: حالهم العجيبة... الخ. **وقوله**: (أو القصة) المراد بالقصة ما يُحكَى عنه.

وقوله: (إذا كان لها) أي لتلك الحال أو الصفة أو القصة (شأن) عجيب... الخ متعلق بقوله: قد استعير وذلك لأن لفظ كان لقوة دلالة على المضي لا يصير مستقبلًا بدخول كلمة إن مع عراقتها في الشرطية والاستقبال فكيف بدخول إذا مع تطفّله في ذلك على إن وما يقال: إن مثل آيتك إذا احمرّ البسر مجرد لمعنى الظرفية مُعَرًّى عن معنى الاستقبال فيه نظر كذا أفاده العلَّامة سعد الملة والدين التفتازاني. **قوله**: (حالهم العجيبة الشأن) مضافة إلى الشأن (كحال الذي استوقد نارًا) أي كحاله العجيبة الشأن اكتفى بذكره أولًا. **قوله**: (ثم أخذ في بيان عجائبها) أي ثم شرع في بيان عجائب تلك القصة بقوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ[1] وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ﴾ [محمد: الآية ١٥] الآية. **قوله**: (﴿وَلِلَّهِ[2] ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: الآية ٦٠])... الخ مثال للصفة كما أن قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي﴾ [الرعد: الآية ٣٥] الآية مثال للقصة ومثال الحال هذه الآية ولذا لم يذكر لها مثالًا كذكره لأخويه بل قال: كأنه قيل حالهم ثم هذه الألفاظ متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار فإطلاق الحال باعتبار قابليتها للانتقال والتحوّل وإطلاق القصة لكونها محكيَّة حقيقة أو حُكمًا وإطلاق الصفة لقيامه بموصوفه ألا ترى أن المصنِّف رحمه الله قال في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨] وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة المصرين كما أطلق هنا حالهم العجيبة وتفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرّعد: الآية ٣٥] قال أي صفتها التي هي في غرابة المثل في سورة الرعد وفسَّره هنا

---

(١) قوله: غير آسن، أي غير متغيّر اللّون والريح والطعم، يقال: أَسَنَ الماء بالفتح إذا تغيّر طعمه وريحه. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: الآية ٦٠] هذا بطريق تعداد قوله، ولذا لم يعطف. ١٢ منه.

شأن (من العظمة والجلالة ووضع «الذي» موضع الذين كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: الآية ٦٩] فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد، أو قصد جنس المستوقدين)، أو أريد الفوج الذي (استوقد) نارًا (على أن ذوات المنافقين) لم

بالقصة فعلم استعمال كلٍّ منها في موضع الآخر وعدمه إطلاق الحال على صفة الملك المتعال لمانع آخر فجمع بينها بلفظ أو للتغاير الاعتباري لا للتغاير الذاتي. **قوله**: (من العظمة والجلالة) بيان الوصف. قوله: (ووضع الذي موضع الذين) يعني أن لفظة الذي يعمّ وضعًا للمفرد وغيره وبمعونة القرينة يتعيَّن المراد وهذا توجيه لتمثيل الجماعة بالواحد وهذا وإن كان تمثيل حال بحال وهو صحيح جائز مطلقًا كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٥] فإنه تمثيل لحال الجماعة بحال الواحد، وكقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾ [محمَّد: الآية ٢٠] فإنه تشبيه لنظر الجماعة بنظر الواحد لكن كمال البلاغة يقتضي رعاية المطابقة بين الحالين في كونها للواحد أو للجماعة ولذلك تعرَّض لوجه وقوع صورة الواحد فيما أُضيف إليه الحال الممثَّل بها وهو لفظ الذي. **قوله**: (كقوله: ﴿وَخُضْتُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٩]) أي دخلتم في الباطل (﴿كَالَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: الآية ٦٩]) التشبيه في مجرد كون الذي بمعنى الذين والداعي إلى ذلك كون الصلة جُمِعا في هذه الآية. **قوله**: (فلا يكون تمثيل الجماعة) أي المنافقين (بالواحد) أي المُستوقِد. **قوله**: (أو قصد جنس المستوقدين)... الخ. عطف على قوله: وُضِع الذي... الخ أي نظر فيه إلى معنى الجنسيّة العامّة إذ لا شُبهَة في أنه لم يَرِد به مستوقد مخصوص ولا جميع أفراد المستوقدين والموصول كالمُعَرَّف بالألف واللام يجري فيه وجوهها واسم الجنس وإن كان لفظه مفردًا قد يُعامَل معاملة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾(١) [الإنسان: الآية ٢١]، وقولهم: الدينار الصفر والدرهم البيض أو يقال إنه يقدّر له موصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى أي كمثل الفوج الذي استوقد نارًا. **قوله**: (على أن) أي مع أن (ذوات المنافقين) بكسر التاء قال في الصحاح

---

(١) قوله: خضر، قرأ ابن كثير وأبو بكر ﴿خُضْرٌ﴾ [الإنسان: الآية ٢١] بالجرّ حملًا على سندس بالمعنى، فإنه اسم جنس، فلا يقال: كيف وقع خضر الذي هو جمع صفة المفرد. ١٢ منه عُفِي عنه.

يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد. **(ومعنى استوقد أوقد)**، ووقود **(ووقود النار)** سطوعها، **(والنار جوهر)** لطيف مضيء حار محرق، **(واشتقاقها)** من نار ينوّر إذا نفر **(لأن فيها حركة)** واضطرابًا. ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: الآية ٥] **(وهي)** في الآية **(متعدية، ويحتمل أن تكون غير متعدية)** مسندة إلى ما حوله، والتأنيث للحمل على

مررت بنسوة ذوات مال ورأيت نسوةً ذواتِ مال ويا ذَوَاتِ الجمال فتُكسَر التاء في الجمع في موضع النصب كما تُكسَر تاء المسلمات لأن أصلها هاء لأنك لو وقفت عليها في الواحد لقلت ذاه بالهاء ولكنها لما وصلت بما بعدها صارت تاء. وعن بعضهم أن أصل ذات ذوات كنواة لقولهم في المثنى ذواتًا فحذفت العين لكثرة الاستعمال. **وقوله: (استوقد)** السين والتاء فيه زائدتان، ولذلك قال **(ومعنى استوقد أوقد)**. **قوله: (ووقود النار)** وهو بضم الواو مصدر وقدت النار تقد أي توقدت وسطعت أي ارتفعت واستعلت وأما بفتحها فما يُوقَد به قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤] الآية. **قوله: (والنار[1] جوهر)**... الخ يريد تفسير ما يطلق عليه لغة وبيان اشتقاقه وأما تحقيق أن ما ذكر ذاتيات أو عرضيات وأن النار[2] التي تحت الفلك هل هي كذلك فليس من وظيفة اللغة. **قوله: (واشتقاقها)** أي أخذها لا يخفى أن الاشتقاق لا يختصّ بالمشتقّ بل يجري في الجوامد وهو مراد المصنف (وهو الأخذ من أصل) بنوع من التصرف فيه فالاشتقاق هنا يرادف الأخذ مطلقًا. **قوله: (لأن فيها حركة)**... الخ بيان المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه المصحِّحة للأخذ. **قوله: (وهي)** أي الإضاءة. **قوله: (متعدّية)** مسندة إلى ضمير النار والمعنى فلما جعلت النار ما حول المستوقد منوّرًا مضيئًا. **قوله: (ويحتمل أن تكون غير متعدية)**... الخ والمعنى فلما أضاءت

---

(١) قوله: والنار جوهر... الخ. لا يتناول النار الأصلية التي تحت الفلك؛ لأنها شفافة لا لون لها والضوء ملوّن، فإنه مرئي. اللّهمّ إلّا أن يقال: الكلام في النار التي فيما بيننا ووضع اللفظ له بحسب اللغة، على أن النار التي تحت الفلك مذهب الفلاسفة ومن تبعهم من المتفلسفة، فلا نقص لها. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: النار التي تحت الفلك لا ثبوت لها من الشرع. ١٢ منه عُفِي عنه.

المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء. (**وجواب فلما** ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ **وهو ظرف زمان**) والعامل فيه جوابه مثل «إذا». و«ما» موصولة و«حوله» نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير: فلما أضاءت شيئًا ثابتًا حوله. (**وجمع الضمير وتوحيده**) للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى. والنور ضوء النار (**وضوء كل نير**)، ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبًا، ومعنى ذهب به استصحبه (**ومضى به**). والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه (**وما يمسك**) فلا مرسل له (**فكان أبلغ**) من الإذهاب.

وتنوَّرت الأماكن والأشياء التي حول المستوقد. **قوله**: (**وجواب فلما** ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾) والإضاءة المذكورة سبب[1] لذهابه تعالى بنورهم فإنها لو لم تتحقَّق الإضاءة لم يوجد الإذهاب المذكور والسببية في الجملة كافية في ذلك ولا يضرّه أن يكون له سبب آخر كريح ومطر، ولمّا ظرف بمعنى إذ يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماضٍ لفظًا أو معنى، ومن هذا قال سيبويه: لمّا لوقوع أمر لوقوع غيره، أي بحيث يكون وقوع الثاني مع الأول معيّة المسبّب مع السبب المُقتضي ولو في الجملة وإنما يكون مثل لو أي مثله في المضي واحتماله في عدم العمل أو في عدم الظرفية ضعيف وإضافته إلى الجملة رجحت القول بالظرفية. قال ابن مالك: إنه بمعنى إذ واستحسنه ابن هشام بأنه يختصّ بالماضي. **قوله**: (**وهو ظرف زمان**)... الخ في الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد، لما هنا اسم للوقت بمعنى حين ويليها الفغل الماضي فإذا وليها الفعل الماضي اقتضت جوابًا وجوابها عامِلها، تقول: لما جئتَ جئتُ بمنزلة حين جئتَ جئتُ. **قوله**: (**وجمع الضمير**) في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ (**وتوحيده**) في قوله: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾. **قوله**: (**وضوء كل نير**) وفي نسخة وضوء كل شيء نيِّر. **قوله**: (**ومضى به**) أذهب به بالكليّة. **قوله**: (**وما يمسك**) أي يمنع (الله)... الخ. هذا كلام المصنِّف عليه الرحمة. **قوله**: (**فكان أبلغ**)... الخ. أي فكان ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أبلغ من أذهب الله نورهم لما فيه من الأخذ

---

(١) قوله: سبب... الخ. السببية هٰهنا ادعائية، فإنه لما ترتّب إذهاب النور على الإضاءة بلا مهملة جعل كأنه سبب له على أنه يكفي في الشرط مجرّد التوقف، نحو إن كان لي مال حججت، ولا شكّ أن الإذهاب متوقف على الإضاءة، كذا أفاده العلامة عبد الحكيم. ١٢ منه عُفِي عنه.

(ولم يقل ذهب الله بضوئهم) لقوله: «فلما أضاءت» (لأن ذكر النور) أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم (رأسا)، ولو قيل ذهب الله بضوئهم (لأوهم) الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورًا، ألا ترى كيف (ذكر عقيبه) ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ والظلمة عرض ينافي النور. (وكيف جمعها وكيف نكرها) وكيف أتبعها ما يدلّ على أنها (ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو) قوله: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ وترك بمعنى (طرح وخلى) إذا علق بواحد، فإذا علق بشيئين كان مضمنًا معنى صير (فيجري مجرى أفعال القلوب) ومنه «وتركهم في ظلمات» أصله «هم في ظلمات» ثم دخل «ترك» (فنصب الجزءين

والإمساك. قوله: (ولم يقل ذهب الله بضوئهم) ليكون من باب ردّ العجز إلى الصدر. قوله: (لأن ذكر النور) في قوله: (﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾).

قوله: (رأسا) أي بالكليّة. قوله: (لأوهم)... الخ والحاصل أن نفي القليل نفي الكثير دون العكس. قوله: (ذكر عقيبه) أي عقيب ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. قوله: (وكيف جمعها) لم يبيّن ما هو المراد من الجمع كما فسَّره غيره بظلمة الليل وظلمتي الغمام وتطبيقه وتتابع القطر أو بظلمة متراكمة كأنها ظلمات إشارة إلى أنه لا يتعلق الغرض بالتعيين في بيان حال المشبّه به. قوله: (وكيف نكرها) تنبيهًا على أنها ظلمات لا يكنه بكنهها. قوله: (ظلمة لا يتراءى) الترائي بايكديگرديدن (فيها) أي تلك الظلمة (شبحان) أي شخصان أي بحيث لا يرى شيء فيها وإنما عبَّر بالترائي وأتى بقوله شَبَحَان مثنى شَبَحَ بشين معجمة وباء موحدة مفتوحتين وحاء مهملة الشخص الذي يرى ولا يدرك تشخّصاته لبعد وغيره مبالغة في عدم الرؤية لأن المراد بهما الرائي والمرئي من الشخصين المتقابلين ولذا عبَّر بالتفاعل إذ المراد أن يكون من شأنهما أن يرى أحدهما الآخر. وقيل إنه إشارة إلى أن الظلمة إذا كانت متراكمة فغاية ما يرى فيها مجرد الشبح فإذا لم يرَ فيها الشبح كانت الظلمة في أعلى مراتبها. قوله: (وهو) عائد إلى «ما يدلّ». قوله: (طرح) الطرح افگندن ويعدّى بنفسه وبالباء. قوله: (وخلى) التخلية دست بازداشتن. وفي القاموس خلى الأمر تركه.اهـ. باختصار إذا عُلِّق بواحد أي بمفعول واحد. قوله: (فيجري مجرى أفعال القلوب) في الدخول على المبتدأ والخبر وعدم الاكتفاء على أحد المفعولين. قوله: (فنصب الجزءين) أي ﴿هم﴾ و﴿فِي ظُلُمَٰتٍ﴾.

والمفعول الساقط من ﴿وَلَّا يُبْصِرُونَ﴾ من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوي) كأن الفعل غير متعدٍ أصلًا. وإنما شبهت حاله بحال المستوقد (**لأنهم غب الإضاءة**) وقعوا في ظلمة وحيرة، (**نعم**) المنافق (**خابط**) في ظلمات الكفر أبدًا ولكن المواد ما استضاؤوا به قليلًا (**من الانتفاع بالكلمة**) المجراة على ألسنتهم، (**ووراء**) استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم إلى ظلمة العقاب

قوله: (**والمفعول الساقط من ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدّر المنوي**)... الخ. فإن الفعل المتعدّي قد يكون تعلّقه بالمفعول مراد بأن لا يقصد مجرد صدوره من فاعله بل يقصد بيان صدوره منه متعلقًا بمفعوله فحينئذ يكون عدم ذكر المفعول للاختصار اعتمادًا على القرينة الدّالّة عليه وقد ينزل منزلة اللازم بأن يكون المقصود بيان مجرد صدوره من الفاعل فلا يذكر له مفعول لا صريحًا ولا مقدّرًا بل يقتصر على بيان مجرد صدوره وفيما نحن فيه وإن جاز أن يكون المفعول مقدّرًا منويًا ويكون عدم ذكره للتعميم مع الإيجاز كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: الآية ٢٥] أي يدعو كل أحد ويكون تقدير هذه الآية أنهم لا يبصرون شيئًا مّا إلا أن المصنّف رحمه الله تعالى لم يلتفت إليه وجعل المقصود مجرد بيان انتفاء الإبصار عنهم كأنه قيل ليس لهم أبصار بناء على أنه أبلغ من نفي التعلّق لأن نفي أصل الفعل يستلزم نفي التعلق من غير عكس. **قوله**: (**لأنهم**) أي المنافقين (**غِبَّ**) بالكسر استعمله استعمال الظرف أي في أثر (**الإضاءة**) وعقيبها.

قوله: (**نعم**)... الخ جواب عمّا يقال أين الإضاءة في حال المنافق؟ وهل هو أبدًا إلا حائر خابط في ظلماء الكفر. **قوله**: (**خابط**) في منتهى الأرب خَبَطَ فلانٌ استاده شد. اهـ. وأيضًا فيه ونيز خبط به غير نظام كاري كردن وكذلك القول ومنه يخبط خَبْط عَشْواء. اهـ. وأيضًا فيه عشواء كصحراء مؤني أعشى وشتر مادة كه پيش خودنه بيند وخبط خبطة عشواء يعني كردكاري داير غير بصيرت. ويقال ركب عشواء إذا خبط أمره على غير بصيرة وفلان خابط خبط عشواء كذلك. اهـ. وأيضًا فيه أعشى كأحمد شب كورو آنكه شب وروزكم بينديانابينا. اهـ. **قوله**: (**من الانتفاع**) بيان ما. **قوله**: (**بالكلمة**) لا إله إلا الله محمد رسول الله. **قوله**: (**ووراء**) أي بعد في منتهى الأرب وراء مثلثة الآخر مبنية سپس وپيش ازضدادا است

(**السرمدي**). وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة (**ما حول المستوقد، والضلالة**) التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات (**وتنكير النار**) للتعظيم.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

(﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾) أي هم (**صُمٌّ، كانت حواسهم**) سليمة (**ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم**) وأن ينظروا (**أو**

ومؤنث آيد وُرَيِّدَة بشد الياء مصغران. اهـ. **قوله**: (**السرمدي**) الدائمي. **قوله**: (**ما حول المستوقد**) مفعول المضيئة. **قوله**: (**والضلالة**) أي وليمثل الضلالة. **قوله**: (**وتنكير النار**) في ﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾.

قوله: (﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ صم) خبر مبتدأ محذوف أي هم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ خبر بعد خبر وقُرِيء صُمًّا بُكْمًا عُمْيًا بالنصب على الحال من الضمير في تركتم أو في لا يبصرن أو على الذمّ أو على جعلهم صُمًّا في المصباح صُمَّت الأُذُن صَمَمًا من باب تعب بَطُل سمعها هكذا فسّره الأزهريّ وغيره ويسند الفعل إلى الشخص أيضًا فيقال صُمَّ زيد يُصَمّ صَمَمًا، فالذَّكَر أصمّ والأُنثى صمَّاء والجمع صُمٌّ مثل أحمر وحمراء وحمر. اهـ. وفي الكتاب الفريد، في إعراب القرآن المجيد، صُمٌّ جمع أصمّ، يقال أَصَمَّ وصُمٌّ وصُمَّان، كما يقال: أسود وسود وسودان وسبيل أفعل إذا كان صفة أن يجمع على فُعْل فإن كان اسمًا جمع على أفاعل كأحمد وأحامد. اهـ. وفي المصباح بكم يبكم من باب تعب فهو أبكم أي أخرس وقيل: الأخرس الذي خُلِق ولا نطق له والأبكم الذي له نطق ولا يعقل الجواب والجمع بكم. اهـ. وأيضًا فيه عمى، عمى من باب صدى فقد بصره فهو أعمى والمرأة عمياء والجمع عمي من باب أحمر وعميان أيضًا. اهـ.

قوله: (**كانت حواسهم**)... الخ هذه من أحوال المنافقين خاصة دون المستوقد. **قوله**: (**ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم**) السد بالفتح ضد الفتح ثم الظاهر أنه حقيقة في المحسوسات مجاز متعارف في المعقولات وفيه إشارة إلى أنهم لانهماكهم في الكفر والخداع أحدث الله هيئته في قواهم تمنعهم

يتبصروا) بعيونهم **(جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم. وطريقته)** عند علماء البيان طريقة

عن قبول الحق وهي المراد بالسد هنا لكن المصنف رحمه الله تعالى أسند السد إليهم لكونهم سببًا لإحداث تلك الهيئة والإصاخة بصاد مهملة وألف بعدها خاء معجمة الاستماع المقرون بالقبول وهو مُنتَفٍ عنهم دون السمع مطلقًا وتعديته بإلى مع أنه مُعَدًّى باللام، يقال صاخ له وأصاخ لتضمّنه معنى الميل والمسامع جمع مسمع بكسر الميم كمنير وهو خرق الأُذُن كذا نقل عن الراغب وهو الأنسب بالسد والظاهر القوة السامعة وهي الملائم لقوله: كأنما إيفت مشاعرهم وهي آلة السمع وما قيل المسمع هنا محتمل لأن يكون مَسْمَع بالفتح وهو موضع السمع بمعنى القوة السامعة عدول عن المعروف في كلام العرب وكتب اللغة من غير داعٍ على أنه غير ملائم لكلام المصنّف رحمه الله تعالى **(وأبوا أن ينطقوا به)** منشأ آبائهم سدّ مسامعهم ولذا عطف عليه بالواو وينطقوا من الإنطاق كما في قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ [فصّلت: الآية ٢١] أي جعلنا ناطقين، والنطق يُضاف للسان ولصاحبه يقال نطق زيد أو لسانه وكلاهما حقيقة لغة كذا في كفاية الراضي وإفادة العلّامة إسماعيل القنوي إسناد النطق إلى اللسان مجاز لكونه آلة. انتهى. وضمير به راجع إلى الحق أي وأبوا أن يجعلوا **(ألسنتهم)** ناطقة بالحق ولو جعل أن ينطقوا من النطق وألسنتهم بدلاً منهم بدل اشتمال أو نصب بنزع الخافض لم يبعد والألسنة كأرغفة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة وأن ينظروا أي وأبوا أن ينظروا **(أو يتبصروا)** من التعقّل والمعنى امتنعوا من أن ينظروا إلى الآيات الدّالّة على الحق سواء كانت عقلية أو نقلية لسدّ مسامعهم لأن مَن اختلّ قوته السامعة يكون محرومًا من أكثر الخير ولذا عدّ السمع من أعظم النّعم. وللتنبيه على ذلك قدّم السمع على البصر حيثما جمع بينهما في الذكر في أكثر المواضع من القرآن والأخبار وهنا أيضًا إشارة إلى ذلك حيث قدّم صُمٌّ على عُمْيٌ. ونبّه المصنّف رحمه الله على هذا بقوله في الأول لمّا سدّوا مسامعهم وقوله ثانيًا وأبوا... الخ وإنما قال: إنهم أبوا أن ينطقوا بالحق مع أنهم ناطقون به لأن نطقهم لعدم مواطئة قلوبهم لا يعبأ به كما لا يعبأ استماعهم الحق في مجلس الرسول عليه السلام والشيء عديم النفع ملحق بالعدم.

قوله: **(جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم)** جواب لما وإنما قال كأن لأنها ليست مؤفة لكنها لمّا لم تستعمل فيما خُلِقَت له جُعِلَت بمنزلة المؤف **(وإيفت)** مجهول

قولهم: (هم ليوث للشجعان) وبحور للأسخياء إلا أن (هذا) في الصفات (وذلك) في الأسماء، وما في الآية (تشبيه بليغ) في الأصح لا استعارة (لأن المستعار له) مذكور وهم المنافقون، (والاستعارة) إنما تطلق حيث (يطوى) ذكر المستعار له (ويجعل الكلام خلوًا) عنه (صالحًا) لأن يراد به (المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام) ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

آف بوزن قال أي صارت ذات آفة وأصابتها آفة فهي مؤفة. وفي القاموس الآفة العاهة أو عرض مفسد لما أصابه وأيف الزرع فهو مأوف ومئيف على خلاف القياس لأن فعله لازم والمشاعر بمعنى آلات الشعور إن كان جمع مشعر بكسر الميم وبمعنى محال الشعور (إن كان) جمع مشعر بفتح الميم والمراد هنا الحواس الظاهرة وفيه تغليب إذ اللسان ليس من المشاعر.

قوله: (وطريقته)... الخ يعني أنه من أسلوب حمل المشبه به على المشبه بحذف أداة التشبيه. **قوله**: (هم ليوث) في المصباح الليث الأسد وبه سُمِّي الرجل وجمعه ليوث والأُنثى ليثة وجمعها ليثات. اهـ. **وقوله**: (للشجعان) بالكسر والضم. وقال ابن دريد الضم خطأ كذا في المصباح. وفي منتهى الأرب في لغات العرب شجاع مثلثة دلير وپردل درشد ائدومخاوف شجْعةَ مثلثة وشَجَعَةَ مُحَرَّكة وشجاع بالكسر وشجعان بالضم والكسر جمع. **قوله**: (هذا) أي قوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾. **قوله**: (وذلك) أي هم لُيوث وبحور. **قوله**: (تشبيه بليغ) تسميته تشبيهًا ظاهر ووصفهْ بالبلاغة لِما فيه من حمل المشبّه به على المشبه حتى كأنه هو بعينه في الأكثر.

قوله: (لأن المُستعار له) أي المشبّه. **قوله**: (والاستعارة)... الخ يعني أن الاستعارة المُصرَّحة لا المَكنيَّة فإنها بالعكس من ذلك يُطوَى فيها ذكر المُستَعار منه أي المشبه به. **قوله**: (يُطوَى) أي يُترَك. **قوله**: (ويجعل الكلام خِلْوًا) أي خاليًا في المصباح خِلْوٌ مثل حِمْلٌ. اهـ. عنه أي عن ذكر المستعار له لفظًا أو حكمًا (صالحًا) لأن يراد به أي بالكلام أي بلفظ المشبه به المذكور فيه معناه الحقيقي الذي (المنقول عنه) ومعناه المجازي (والمنقول إليه لولا دلالة الحال) متعلق بقوله صالحًا (أو فحوى الكلام) فحوى الشيء ما يُفهَم منه على سبيل القطع أي لولا دلالة القرينة الحالية أو المقالية الدّالّة على تعيين المعنى المجازي والمنقول إليه

(لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه)، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوّع

بحسب الإرادة أي وإطلاق ألفاظ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ على المنافقين كان على طريق التشبيه فيكون لفظ المشبه به مستعملًا في معناه الحقيقي لا على طريق الاستعارة حتى يكون مجازًا وذلك لأن شرط الاستعارة التصريحية أن يطوى ذكر المُستَعار له بحيث لا يكون مذكورًا أصلًا أي لا لفظًا كما قي قولك زيد أسد ولا مقدّرًا كما في قوله أسد عليّ بحذف المبتدأ أي أنت أسد عليّ، ولا منويًا كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧]، فإن قوله تعالى من الفجر بيان للخيط الأبيض الذي شبّه به الفجر فلا يكون الخيط الأبيض استعارة لكون المشبه وهو الفجر مذكورًا صريحًا فكذا لا يكون الخيط الأسود استعارة لكون المشبّه الذي هو سواد آخر الليل مذكورًا نيّة كأنه قيل حتى يتبين لكم ما هو كالخيط الأبيض مما هو كالخيط الأسود من الفجر ومن سواد آخر الليل المُستَعار له وهو وإن وجب أن لا يكون مذكورًا أصلًا أي لا لفظًا ولا تقديرًا ولا نيّة إلا أن معناه يكون مرادًا بلفظ المُستَعار منه فحينئذ يكون لفظ المشبّه به مستعارًا للمشبه.

قوله: (لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه) فسّر قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ بثلاثة أوجه مبنى الجميع على أن ﴿يَرْجِعُونَ﴾ لازم بمعنى يعودون من معنى رجع بنفسه رجوعًا بمعنى عاد لا من رجعه غيره بمعنى أعاده وهذيل يستعملونه لازمًا البتّة وإنما يعدّونه بالهمزة ويقولون أرجعه غيره إرجاعًا ثم إن كان لازمًا في نفسه قد يُعَدَّى بكلمة إلى وقد يعدّى بكلمة عن ويقتصر على ذكر إحدى الصلتين بناء على أن الأخرى تعلم منها فإن المرجوع إليه يستلزم المرجوع عنه وبالعكس فإذا ذكرت إحداهما تعلم منها الأخرى وقد لا يعتبر تعلّقه بمفعوله الذي تعدّى إليه بواسطة حرف الجر فيكون معنى ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ حينئذ أنه لا يحصل منهم الرجوع والتحوّل ويجعل انتفاء الرجوع عنهم كناية عن تحيّرهم لأنه لازم للتحيّر كما أشار إليه بقوله أو أراد أنهم أي المستوقدين متحيّرون. وقوله بقوا خامدين... الخ. استئناف لبيان تحيّرهم لما بيّن الله سبحانه وتعالى موضع المنافقين بقوله سبحانه وتعالى: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾) وضيّعوا ما آتاهم الله من الهدى الفطري واختاروا الضلالة بدله ورشح استعادة الاشتراء والاستبدال والاختيار بقوله

الرجوع إلى الشيء. وعنه أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا (**خَامدين**) في مكانهم (**لا يبرحون ولا يدرون**) أيتقدمون أم يتأخرون.

تعالى: (﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾) ثم مثلهم بمُستوقِد أوقد نارًا بالسعي والطلب فحين ما أضاءت النار ما حول المُستَوقد ذهب الله تعالى بنورهم بالكلّيّة وصيَّرهم مستقرين في ظلمات لا يتراءون كأنهم غير مُبصِرين أصلًا ثم بيَّن فذلكة التمثيل ونتيجته بأن شبّههم بمَن اختلّت حواسهم وانتفت قُواهم فقال على طريق التشبيه البليغ هم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ بمعنى أنهم بمنزلة الصّمّ من حيث إنهم لا يسمعون قول النذير الصادق الأمين إلا أن صفقتكم خاسرة فارجعوا وبمنزلة البُكْم من حيث إنهم لا يقدرون أن ينطقوا بما ينفعهم وبمنزلة العمى من حيث إنهم لا يبصرون الآيات الدّالّة على صدق المنذر وحقيّته قوله فلما شبّههم بمَن اتّصف بهذه الأوصاف فرع عليه قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بالفاء الدّالّة على سببية ما قبلها لما بعدها أي فهم بسبب كونهم بمنزلة الصُمّ البُكْم العُمْي لا يرجعون إلى الهدى الذي باعوه وضيّعوه أو عن الضلالة التي اشتروها على أن يكون تعلّق فعل الرجوع بالمرجوع إليه أو المرجوع عنه مرادًا وإذا لم يكن تعلّقه بمفعوله الغير الصريح مرادًا بل كان المراد بيان انتفاء الرجوع والتحوّل عنهم يكون انتفاء الرجوع كناية عن التحيّر لكونه لازمًا للتحيّر كما مرَّ آنفًا وهذا مختص بمَن يصرّ على نفاقه حتى يموت وإن أُريد العام فيكون عامًّا خصَّ منه البعض وهو الذي آمن بعد نفاقه وكفره.

قوله: (**خامدين**) في لسان العرب خمدت النار تخمد خمودًا سكن لهبها ولم يُطفأ جمرها وهَمَدَت هُمودًا إذا أُطفيء جمرها البَتّة وأخمد فلان ناره وقوم خامدون لا تسمع لهم حِسًّا من ذلك، وفي التنزيل العزيز ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [يس: الآية ٢٩]. قال الزَّجّاج فإذا هم ساكتون قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد الهامد. اهـ.

قوله: (**لا يبرحون**) في منتهى الأرب في لغات العرب برِح براحًا زائل شديد يقال بَرِح مكانه أي زال عنه ومنه لا أَبْرَحُ أَفْعَلُه أي لا أزال أَفْعَله. اهـ. **قوله**: (**ولا يدرون**) . . . الخ، ضمن لا يدرون معنى العلم وعلّق عمله حيث أتى بجملتين مصدّرتين بحرف الاستفهام.

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾

﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾ ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح. شبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد نارًا **(وإظهاره الإيمان بالإضاءة)** وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار، وهنا شبّه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به **(حياة الأرض)** بالمطر، **(وما يتعلّق)** به **(من شبه الكفار)** بالظلمات، **(وما فيه من الوعد والوعيد)** بالرعد والبرق، **(وما يصيبهم)**

قوله: (وإظهاره) أي المنافق **(الإيمان بالإضاءة)** اعترض عليه بأنه يخالف ما تقدَّم من أن المشبه بالإضاءة عدَّى الانتفاع بالكلمة المُجراة على ألسنتهم ولا يناسب ما تأخر من أن المشبه بانطفاء النار هو انقطاع الانتفاع بل يناسب أن يقال شبّه انقطاع الإظهار بالانطفاء وأُجيب عن الأول بأن المراد هٰهنا الإضاءة المتعدّية. وفي ثمّة الإضاءة اللازمة وعنهما معًا بأنه أراد بإظهار الإيمان أثره أعني الانتفاع به فمعنى كلامه أنه شبّه المنافق أي نفاقه وإظهار الإيمان بالمستوقد أي باستقاده وشبّه أثر الأول أي الانتفاع بأثر الثاني أي الإضاءة وشبّه انقطاع الانتفاع الإضاءة ولا يخفى أن ما اعتبره من تشبيه المفردات على الوجوه المختلفة بيان لمحتمل اللفظ أو حكاية لكلام الغير والمختار عنده رحمه الله أن التمثيلين من جملة التشبيهات المركبة التي لا يتكلّف فيها لتشبيه المفردات. أيْ مثل حياة الأرض. وشبّه ما يتعلق به أي بدين الإسلام وتعلّق الشبهة بالشيء لا يقدح في حقِّيَّته. وفي المصباح الشبهة الالتباس. اهـ. وفي المصباح اشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر ومنه اشتبهت القبلة ونحوها والشبهة في العقيدة المأخذ الملتبس سُمِّيت شبهة لأنها شبه الحق والشبهة العُلقة والجمع فيها شُبَه وشبهات مثل غرفة وغرفات. اهـ. أي وشبه أي في دين الإسلام أي كل واحد من الوعد والوعيد شبه بكلٍّ من الرعد والبرق لاشتمال كلٍّ منهما على خوف وطمع، فمن حيث تضمّنهما للخوف شبّه بهما الوعيد وليس الكلام على اللف كما ظنّ. قوله: (وما يصيبهم) أي وشبّه ما يصيب الكَفَرَة.

من الأفزاع والبلايا (من جهة أهل الإسلام) بالصواعق. والمعنى أو كمثل ذوي صيب فحذف «مثل» لدلالة العطف عليه «وذوي» لدلالة «يجعلون» عليه. (والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء) بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا، فهذا (تشبيه أشياء) بأشياء إلا أنه لم يصرّح بذكر المشبهات كما صرّح في قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ [غافر: الآية ٥٨]، (وقول امرىء القيس):

(كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا لدى وكرها العناب والحشف البالي)

قوله: (من جهة أهل الإسلام) متعلق بصيب. **قوله**: (والمراد كمثل قوم)... الخ يعني أن حال المنافقين كحال قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة وهو أن يكون هناك مطر فيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق يخافونها غاية الخوف فجرى عليهم ما جرى من الخبط والضلال والدهش والحيرة. فإن قلت فيجب أن يكون المنافقون ذوي دين الإسلام تحيى به القلوب كالصَّيِّب يشتمل على الوعد والوعيد والأفزاع اللاحقة بالكفّار. قلت: نعم لكن لا على معنى اتّصافهم به وإيثارهم إياه بل على معنى أنهم مُكلَّفون به مُشاهِدون إيّاه متلبّسون بظاهره متشبثون بأذياله كحال القوم بالنسبة إلى المطر وإلى هذا يشير بقوله: (والمراد كمثل قوم). **وقوله**: (أخذتهم السماء) أي المطر.

قوله: (تشبيه أشياء) مفردة بأشياء مفردة. **قوله**: (وما يستوي الأعمى)... الخ، فيه نشر على خلاف ترتيب اللف حيث شبّه المؤمن الصالح بالبصيرة والمُسِيء بالأعمى. وفي قول امرىء القيس نشر على ترتيبه. **قوله**: (وقول امرؤ القيس) بن حجر الكندي الشاعر الجاهلي المشهور من قصيدة طويلة:

(كأنّ قلوب الطير رطبًا ويابسًا لدى[1] وكرها العُنَّاب والحشف البالي)

---

(١) ظرف مكان بمعنى عند، وقد يستعمل لدى في الزمان، وإذا أضيفت إلى مضمر لم تُقلب الألف في لغة بني الحارث بن كعب تسوية بين الظاهر والمضمر، فيقال لداه، ولذاك، وعامّة العرب تقلبها ياء، فتقول: لديك ولديه، كأنهم فرّقوا بين الظاهر والمضمر بأن المضمر لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى ما يتّصل به، فتقلب ليتصل به والضمير لدى اسم جامد لا حظ له في التصريف والاشتقاق، فأشبه الحرف نحو إليه وإليك وعليه وعليك، كذا في المصباح. ١٢ منه.

(بل جاء به مطويًا ذكره على سنن الاستعارة). والصحيح أن التمثيلين **من** جملة التمثيلات المركبة دون **(المفرقة لا يتكلّف)** لواحد واحد شيء يقدر **شبهه (به. بيانه)** أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولًا بعضها من بعض لم **(يأخذ هذا**

قوله: (رطبًا ويابسًا) معًا حال من القلوب أي رطبًا بعضها ويابسًا بعضها والعامل فيها كان باعتبار معنى التشبيه وكذا لدى وكرهًا حال منها شبه رطب القلوب بالعناب ويابسها بالحشف البالي يصف عقابًا[1] بكثرة الاصطياد فإنه لا يأكل قلب الطائر قوله العناب في منتهى الأرب في لغات العرب عناب كرمان سنجد جيلان عنابه يكي باريبلو. اهـ. وفي لسان العرب العناب من التمر معروف الواحدة عنابة ويقال له السنجلان بلسان الفرس وربما ثمر الأراك عنابًا. اهـ. **قوله: (والحشف)** في منتهى الأرب في لغات العرب حشف محركة بدترين خرما وخرماي ضعيف بي خستة ياخشك تباه. اهـ. وفي المصباح الحشف أردأ التمر وهو الذي يجفّ من غير نضج ولا إدراك فلا يكون له لحم الواحدة حشفة. **قوله: (بل جاء به مطويًا ذكره على سُنَن الاستعارة)** أي على طريقة الاستعارة المصرّحة في الصحاح السنن الطريقة يقال استقام فلان على سنن واحد ويقال امضِ على سَنَنك وسُنَنك أي على وجهك وتَنَحَّ عن سنن الجبل أي عن وجهه وعن سَنَن الطريق وسُنُنه وسُنَنه ثلاث لغات. اهـ باختصار. وفي المصباح السنن الوجه من الأرض وفيه لغات أجودها بفتحتين والثانية بضمتين والثالثة وزان رطب ويقال تنح عن سنن الطريق وعن سنن الخيل أي عن طريقها وفلان على سنن واحد أي طريق. اهـ. يريد أن طريقة الاستعارة أن يطوي ذكر المشبه قطعًا ويجعل الكلام عنه خلوًا فلا يكون مذكورًا ولا مقدَّرًا في نظم الكلام. وأما التشبيه فقد يطوي فيه ذكره أيضًا كذلك والفرق بينهما أن المتروك في التشبيه منوي مراد وفي الاستعارة منسي بالكليّة.

قوله: (المفرقة). قوله: (لا يتكلف)... الخ خبر آخر لأن والعائد محذوف أي فيهما وفيه إشارة إلى أن الوجه الأول غير صحيح ويتكلف وضمير شبهه راجع إلى شيء وفي (به) إلى واحد. **قوله: (بيانه)** أي بيان وقوع التمثيل في كلامهم وأن التمثيل من التمثيلات المركّبة. **قوله: (لم يأخذ هذا)** أي البعض

---

(١) في منتهى الأرب: عقاب كغراب مرغى است. اهـ. ١٢ منه.

(بحجزة ذلك فتشبيهها) بنظائرها (كما فعل امرؤ القيس) (وتشبيه) كيفية حاصلة من مجموع أشياء (قد تضامت) وتلاصقت (حتى عادت) شيئًا واحدًا (بأخرى مثلها) كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: الآية ٥]. فالمراد تشبيه حال اليهود (في جهلها) بما معها (من التوراة) بحال الحمار (في جهله) بما يحمل (من أسفار الحكمة) (وتساوي الحالتين عنده) من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها (من الأوقار) (لا يشعر من ذلك) إلا بما يمر (بدفيه من الكد) والتعب. وكقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الكهف:

(بحجزة ذلك) في المصباح احتجز الرجل بإزاره شدّه في وسطه وحجزة الإزار معقده وحجزة السراويل مجمع شده والجمع حجز مثل غرفة وغرف. انتهى. وفي لسان العرب أصل الحجزة موضع شدّ الإزار. ثم قيل للإزار حُجزة للمجاورة واحتجز بالإزار إذا شدّه على وسطه فاستعاره للالتجاء والاعتصام والتمسك بالشيء والتعلق به. انتهى باختصار. قوله: (فتشبيهها) أي تلك الأشياء. قوله: (كما فعل امرؤ القيس) في قوله كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا. قوله: (وتشبيه) عطف على قوله تأخذ. قوله: (قد تضامت)... الخ صفة أشياء. قوله: (حتى عادت) أي صارت الأشياء. قوله: (بأخرى) أي بكيفية أخرى (مثلها) أي حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت... الخ. قوله: (في جهلها) أي اليهود. قوله: (من التوراة) بيان ما. قوله: (في جهله) أي الحمار. قوله: (من أسفار الحكمة) بيان ما في الصحاح السفر بالكسر الكتاب والجمع الأسفار. قوله: (وتساوي الحالتين) عطف على قوله جهله. قوله: (عنده) أي الحمار. قوله: (من الأوقار) في لسان العرب الوقر بالكسر الثقل يحمل على ظهر أو على رأس يقال جاء يحمل وقره. وقيل: الوقر الحمل الثقيل والخفيف وما بينهما وجمعه أوقار. اهـ. قوله: (لا يشعر) مؤكد ومقرّر تساوي الحالتين عنده (من ذلك) إشارة إلى المذكور وهو حمل الأسفار وحمل ما عداها. قوله: (بدفيه) أي بجنبيه في الصحاح الدَّفُّ الجنب ودفا البعير جنباه. اهـ. وفي الصحاح الدف الجنب من كل شيء والجمع دفوف مثل فلس وفلوس وقد يؤنّث بالهاء فيقال الدفتر ومنه دفّتا المصحف للوجهين من الجانبين والدف الذي يلعب به بضم الدال وفتحها والجمع دفوف. انتهى. قوله: (من الكد) في لسان العرب

الآية ٤٥]، فالمراد **(قلّة بقاء)** زهرة الدنيا **(كقلّة بقاء الخضر)** فهو تشبيه كيفية بكيفية، فأما أن يُراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير **(منوط)** بعضها ببعض **(ومصيرة شيئًا واحدًا فلا. فكذلك)** لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم **(وما خبطوا)** فيه من الحيرة والدهشة، شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم **(بما يكابد)** من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك مَن أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق، والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدلّ على **(فرط الحيرة)** وشدة الأمر ولذا أخر، وهم يتدرجون في مثل هذا **(من الأهون إلى الأغلظ)**. وعطف أحد التمثيلين على الآخر بـ «أو» لأنها في أصلها لتساوي شيئين فصاعدًا **(في الشك عند البعض)**، ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك:

الكدُّ الشدة في العمل وكدَّ الدابة والإنسان وغيرهما يُكدّه كدًّا أتعبه. انتهى.
قوله: (قلة بقاء) مبتدأ خبره **(كقلة بقاء الخضر)** والجملة خبر المبتدأ الذي هو المراد على سبيل الحكاية. **قوله: (منوط)** أي متعلق. **قوله: (مصيرة)** على لفظ المبني للمفعول معطوف على منوط أي غير مجعولة **(شيئًا واحدًا)**. **قوله: (فلا)** أما فلا يتحقق.

قوله: (فكذلك)[1] متعلق بشبهت أي إذا عرفت ما ذكر فمثل ذلك التشبيه المقدَّم شبّهت حيرتهم والمراد الحيرة الخاصة الناشئة من وقوعهم في الضلالة التي استبدلوها بالهدى. **قوله: (وما خبطوا)** أي سقطوا فيه في المصباح خبطت الورق في الشجر خبطًا من باب ضرب أسقطته فإذا سقط فهو خبط بفتحتين فعل بمعنى مفعول مسموع كثيرًا. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب خَبَطَ فلان أستاده شدَ. انتهى. **قوله: (بما يكابد)** في المصباح الكبد بفتحتين المشقّة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق على فعله. انتهى. **قوله: (فرط الحيرة)** أي كثرة الحيرة. **قوله: (من الأهون)** والأدون **(إلى الأغلظ)**. **قوله: (في الشك)** أي الشك في النسبة المتعلقة بهما **(عند البعض)** وقال المحقّقون أن كلمة «أو» لأحد الأمرين مطلقًا وأما الشك من المتكلم وتشكيك السامع والتخيير والإباحة فليس

---

(١) قوله: فكذلك، أي فمثل تشبيه اليهود بحال الحمار تشبيه حال المنافقين بحال المستوقد، وبحال ذوي النصب. ١٢ منه عُفِي عنه.

(«**جالس الحسن أو ابن سيرين**») تريد أنهما (**سيان**) في استصواب أن يجالسا.

شيء منها داخلًا في مفهومها بل كل واحد منها استفيد منها بمعونة المقام وفحوى الكلام فإن كلمة أو في قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: الآية ١٩] للشك من المتكلم. وفي قوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] لتشكيك السَّامع وإخفاء الحال عليه مع انتفاء الشك من المتكلم وإن وقعت في الأمر ولم يمتنع الجمع أفادت الإباحة وإن امتنع الجمع أفادت التخيير وزاد الكوفيون لها معنيين آخرين أحديهما كونها بمعنى الواو كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور: الآية ٣١]، وثانيهما كونها بمعنى بل كما في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٤] معناه بل أشد. **قوله**: (**جالس الحسن**) أي الحسن البصري رضي الله تعالى عنه هو الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فنّ أبو سعيد **الحسن** بن أبي **الحسن** يسار التابعي البصري بفتح الباء وكسرها الأنصاري مولاهم مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جميل بن قطبة وأُمه خيرة مولاة لأُم سلمة أُم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، وُلد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه قالوا: فربما خَرَجَتْ أُمه في شُغُل فيبكي فتعطيه أُم سلمة رضي الله تعالى عنها ثديها فيدرّ عليه فيرون أن تلك الفصاحة والحكم من ذلك، ونشأ الحسنُ بوادي القرى وكان فصيحًا رأى طلحة بن عبيد الله وعائشة رضي الله تعالى عنهما ولم يصحّ له سماع منهما، وقيل: إنه لقي عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولم يصحّ وسمع ابن عمر وأنَسًا وسَمُرَة وأبا بكرة وقيس بن عاصم وجُنْدب بن عبد الله ومعقل بن يسار وعمر بن تغلب بالمثناة والغين المعجمة وعبد الرحمٰن بن سَمُرَةَ وأبا برزة الأسلمي وعمران بن الحصين وعبد الله بن معقل وأحمر بن جَزْءٍ وعايد بن عمرو المزني الصحابيين رضي الله تعالى عنهم وسمع خلائق من كبار التابعين وروى عنه خلائق من التابعين وغيرهم وروينا عن الفُضَيل بن عياض رحمه الله قال: سألت هشام بن حسّان كم أدرك الحسنُ من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: مائة وثلاثين، قلت: فابن سيرين؟ قال: ثلاثين وروينا عن الحسن قال: غزونا غزوةً إلى خراسان معنا فيها ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان الرجل منهم يصلّي بنا ويقرأ الآيات من السورة ثم يركع،

....

قال يحيىٰ بن معين وأبو حاتم وابن أبي خيثمة وغيرهم ولم يصحّ للحسن سماع من أبي هريرة فقيل ليحيىٰ يجيء في بعض الحديث عن الحسن قال: حدّثنا أبو هريرة قال: ليس بشيء، قيل له: فسالم الخيّاط؟ قال: سمعت الحسن يقول: سمعت أبا هريرة فقال سالم الخياط: ليس بشيء وأثنى علي بن المديني وأبو زرعة على مراسيل الحسن، روينا عن مَطَر الورّاق قال: كان الحسن كأنما كان في الآخرة فهو يخبر عمّا رأى وعايَنَ. وقال أبو بردة: لم أرَ مَن لم يصحب النبي ﷺ أشبه بأصحابه من الحسن، وروينا عن الربيع بن أنس قال: اختلفتُ إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله ما من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبله وروينا عن محمد بن سعد قال كان الحسن جامعًا عالِمًا رفيعًا فقيهًا ثقة مأمونًا عابِدًا ناسكًا كثير العلم فصيحًا جميلًا وسيمًا وقَدِمَ مكة فأجلسوه على سرير واجتمع الناس إليه فيهم طاؤس وعطاء ومجاهد وعمرو بن شعيب فحدّثهم فقالوا أو قال بعضهم: لم يرَ مثل هذا قطّ، وقال بكر بن عبد الله: الحسن أفقه مَن رأينا ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله عنه كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (أو ابن سيرين) هو أبو بكر محمد بن سِيْرِيْن الأنصاري مولاهم أبو بكر البصري التابعي الإمام في التفسير والحديث والفقه وتعبير الرؤيا والمقدم في الزهد والورع. وأولاد سيرين ستة محمد ومعبد وأنس ويحيىٰ وحفصة وكريمة وكلهم رُواة ثقات. وروى محمد عن يحيىٰ عن أنس بن مالك حديثًا وهذا من المُستَطرَفات لكونهم ثلاثة إخوة روى بعضهم عن بعض وكان أبوهم سيرين من سبي عين التمر وهو مولى أنس بن مالك كاتبه على عشرين ألف درهم فأدّاها وعتق. قال ابن قتيبة في المعارف كانت أُم ابن سيرين اسمها صفية مولاة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه طيّبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريًا منهم أُبَيّ بن كعب يدعو وهم يؤمنون، وكان سيرين يكنَّى أبا عمرة، قال: وقد وُلِد لسيرين ثلاثة وعشرن ولدًا من أُمهات أولاد، دخل محمد بن سيرين على زيد بن ثابت وسمع ابن عمر قال: يحيىٰ بن معين سمع منه حديثًا واحدًا وفي تاريخ بغداد عن أيوب أنه سمع من ابن عمر حديثين وسمع أيضًا

جندب بن عبد الله البجلي وأبا هريرة وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وعديّ بن حاتم وسليمان بن عامر وأُم عطية الأنصارية وهؤلاء كلهم صحابة وسمع من التابعين عبيدة بفتح العين السلماني ومسلم بن يسار وشريحًا وقيس بن عباد بضم العين وتخفيف الباء وعلقمة والربيع بن خيثم وأخاه معبدًا وحُمَيد بن عبد الرحمٰن الحميري وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة وأُخته حفصة وخلائق قال أحمد بن حنبل: لم يسمع ابنُ سيرين ابنَ عباس وقال هشام بن حسّان أدرك الحسن البصري من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وعشرين وأدرك ابن سيرين ثلاثين منهم. وقال البخاري: حجّ ابن سيرين زمن الزبير فسمعه وسمع زيد بن ثابت وُلِد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وهو أكبر من أخيه أنس وروى عنه جماعات من التابعين منهم الشعبي وأيوب وقتادة وسليمان التيمي وخلائق منهم ومن غيرهم. قال ابن عون: كان ابن سيرين يحدِّث بالحديث على حروفه. وقال محمد بن سعد كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا كثير العلم ورعًا. وقال هشام بن حسان: حدّثني أصدق مَن أدركت محمد بن سيرين، وقال الخطيب في تاريخ بغداد: كان ابن سيرين أحد الفقهاء المذكورين بالورع في وقته. قال: وكان سيرين مولى لأنس بن مالك فكاتبه على أُلوف فعتق بالكنانة، وعن محمد قال: حججنا فدخلنا على زيد بن ثابت ونحن سبعة ولد سيرين فقال هذان لأُم وهذان لأُم وهذان لأُم وهذا لأُم فما أخطأ. وكان معبدًا أخاه لأُمه، وعن مورق العجلي قال: ما رأيت رجلًا أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين. وعن عبد الحميد بن عبيد الله بن مسلم بن يسار قال: لما حُبس ابن سيرين في السجن قال له السَّجَّان: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، وإذا أصبحت فتعالَ. فقال: لا والله لا أعينك على خيانة السلطان. قال الخطيب: وكان حبس في دَيْن ركبه لغريم له. وبإسناده عن المدائني قال: كان سبب حبس ابن سيرين أنه اشترى زيتًا بأربعين ألف درهم فوجد في زقّ منه فأرة فقال: الفأرة كانت في المعصَرَة، فصبَّ الزيت كله، وكان يقول عيَّرت رجلًا بشيء من ثلاثين سنة أحسبني عُوقِبتُ به. وكانوا يرون أنه عيّره بالفقر فابتُلِي به. وعن ابن عون كان ابن سيرين من أرجأ الناس لهذه الأمة وأشدّهم أزرًا على نفسه. وعن هشام بن حسّان قال: كنّا نُزُولًا مع ابن سيرين في الدار فكنّا

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾ [الدهر: الآية ٢٤]، (أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان) فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعًا فكذلك. (والصيب): المطر الذي يصوّب أي ينزل ويقع يقال للسحاب صيب أيضًا. وتنكير «صيب» لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول، والسماء (هذه المظلة. وعن الحسن أنها موج مكفوف). والفائدة في ذكر السماء. والصيب لا يكون إلا من السماء أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام (آخذ بآفاق السماء) ونفى

نسمع بُكاه بالليل وضحكه بالنهار، ومرَّ ابن سيرين برواس قد أخرج رأسًا فغشي عليه وادّعى عليه رجل درهمين فأنكره فقال: تحلف؟ قال: نعم، قيل له: تحلف على درهمين؟ قال: نعم لا أطعمه حرامًا وأنا أعلم وعن عثمان البتّي قال: لم يكن بهذه البلدة أحدًا أعلم بالقضاء من محمد بن سيرين. قال ابن قتيبة: وُلِد لابن سيرين ثلاثون ولدًا من امرأة واحدة زوجة له عربيّة ولم يبقَ منهم غير عبد الله بن محمد وقضى عنه ابنه هذا ثلثين ألف درهم فما مات عبد الله حتى صار ماله ثلثمائة درهم واتفقوا على أن ابن سيرين توفي بالبصرة سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم. قال حمّاد بن زيد: مات الحسن أول رجب سنة عشر ومائة، وصلَّيت ومات ابن سيرين لتسع مضين من شوّال سنة عشر رضي الله تعالى عنهما كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (سيان) أي مستويان. **قوله**: (أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان) إنما قال في وجوب العصيان بناء على أن النهي عن الإطاعة مآله الأمر بالعصيان كأنه قال: اعصِ هذا وذاك فإنهما متساويان في وجوب العصيان. **قوله**: (والصيب)... الخ من صاب يصوب إذا نزل وأصله صيوب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قُلِبَت الواو ياء وأُدغِمَت الياء في الياء. ويقال لكل واحد من المطر والسحاب صيِّب لوجود معنى النزول فيهما. **قوله**: (هذه المظلة) في منتهى الأرب في لغات العرب مِظَلَّة بكسر وفتح خيمة بزرگ وسايه بان. انتهى. **قوله**: (وعن الحسن أنها موج مكفوف) أي إن السماء الدنيا موج مكفوف أي مدفوع ممنوع من أن يسيل وقد ورد ذلك في الحديث. **قوله**: (آخذ) بالمدّ اسم فاعل. **قوله**: (بآفاق السماء) الآفاق بالمدّ جمع أفق بضمتين

أن يكون من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، **(لأن كل أفق من آفاقها سماء)**، ففي التعريف مبالغة **(كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه، وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه، وقيل: إنه يأخذ من البحر ويرتفع)**.

(**«ظلمات»**) مرفوع **(بالجار والمجرور)** لأنه قد قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء «فيه ظلمات» **(ففيه خلاف بين الأخفش**

تطلق على كل ناحية من نواحي الأرض وعلى كل ناحية وجانب من السماء. **قوله**: **(لأن كل أفق من آفاقها سماء)** يعني أنه يسمّى سماء مجازًا كما أن كل طبقة منها تسمى سماء حقيقة. **قوله**: **(كما في تنكير صيّب)** لأنه للتعظيم والتهويل كتنكير النار في التمثيل الأول. **قوله**: **(وتركيبه)** أي مادّته الأولى أعني الحروف التي يتركّب هو منها فإن الصاد من المستعلية والياء مشددة والباء من الشديدة وقوة صيغة المادّة تدلّ وتُنبىء عن المبالغة في مدلول الكلمة ومادّته الثانية أعني مأخذ هذه الصيغة وهي الصوب فإنه نزول شديد له وَقْع وتأثير. **قوله**: **(وبنائه)** أي صورته فإن فيعلًا صفة مشبهة دالّة على الثبوت بخلاف الصائب فإنه يدل على الحدوث. **قوله**: **(وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر)** وينزل **(ومنها يأخذ ماءه، وقيل: إنه يأخذ من البحر)** للاتفاق على أنه من السماء أو من البحر من قول أحد بأن البعض من هذا والبعض من ذاك. وقوله ينحدر في منتهى الأرب في لغات العرب انحدار بنشيب فرود آمدن. انتهى. **قوله**: **(ويرتفع ظلمات بالجار والمجرور)** أي بالظرف على الاتفاق يعني الاتفاق على جواز ذلك. **قوله**: **(ففيه خلاف بين الأخفش)** الأوسط أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي أحد نحاة البصرة تلميذ سيبويه، وسيبويه فإن سيبويه لا يجعله مرفوعًا بالظرف بل بالابتداء فإذا قلت له مال ارتفع، مال بالابتداء وله خبر مقدَّم عليه. وعند الأخفش رحمه الله يرتفع بالفاعلية لأنه لا يجعل الاعتماد شرطًا لعمل الظرف وقوله الأخفش مشتق من الخفش بفتحتين في لسان العرب الخَفَش ضعف في البصر وضيق في العين وقيل صغرٌ في العين خِلْقَةً وقيل هو فساد في جَفْن العين واحمرار تضيق له العيون من غير وجع ولا قرح خفش خَفَشًا فهو خَفِشَ وأخفشُ. قال الجوهري: قد يكون الخفش علّة وهو الذي يُبصِر الشيء بالليل

وسيبويه. والرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه،

ولا يبصره بالنهار ويبصره في يوم غيم ولا يبصره يوم صاحٍ. انتهى باختصار. ومَسعدة بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبعدهن هاء ساكنة. والمجاشعي بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بطن من تميم، وهو غير الأخفش الأكبر والأخفش الأصغر، فالأخفش الأكبر هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد أستاذ سيبويه، والأخفش الأصغر هو أبو الحسن علي بن سليمان تلميذ المبَرّد، وكان الأخفش الأوسط من أئمة العربية وأخذ النحو عن سيبويه وكان أكبر منه وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئًا إلا وعرضه عليَّ، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه، وكان أجلع والأجلع الذي لا ينضمّ شفتاه على أسنانه، وكان وفاته سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين رحمه الله تعالى، وكان يقال له الأخفش الأصغر فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضًا صار هذا وسطًا.

وقوله: (سيبويه) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقَّب سيبويه بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الباء الموحّدة والواو وسكون الياء الثانية وبعدها هاء ساكنة، ولا يقال بالتاء البتّة وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما. والعجم يقولون: سيبويه بضم الباء الموحّدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة ويه لأنها للندبة. وقال إبراهيم الحربي سُمِّي سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفّاحتان وكان في غاية الجمال رحمه الله تعالى. توفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة ثمانين ومائة، وقيل سنة سبع وسبعين وعمره نيف وأربعون سنة. وقال ابن قانع: بل توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وقيل: ثمانٍ وثمانين، وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: توفي سنة أربع وتسعين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة وأنه توفي بمدينة ساوة. **قوله**: (والرعد: **الصوت الذي يُسمَع من السحاب لاصطكاك أجرامه**) هذا مسلك الحكماء الغافلين ولا عبرة به فإنهم قالوا: إن الشمس إذا أشرقت على الأرض اليابسة حلَّلَت منها أجزاء نارية يخالطها أجزاء أرضية فيتركَّب منهما دخان

أو ملك يسوق السحاب به). والبرق الذي يلمع من السحاب (من برق) الشيء بريقًا إذا لمع، والضمير في «فيه» يعود إلى الصيب فقد جعل الصيب مكانًا للظلمات، فإن أريد به السحاب فظلماته ـ إذا كان (أسحم مطبقًا)، ظلمتا (سحمته

ويختلط بالبخار، والبخار وهو ما يحصل بتركّب أجزاء هوائية أو مائية ويتصاعدان معًا إلى الطبقة الباردة فينعقد ثم سحابًا ويحتقن الدخان فيه ويطلب الصعود إن بقي على طبعه الحار والنزول إن ثقل وبرد، وكان يمزّق السحاب بعنفه فيحدث منه الرعد، وقد تشتعل منه لشدة حركته وقوة التسخين فلطيفه ينطفىء سريعًا وكثيفه لا ينطفىء حتى يصل إلى الأرض وهو الصاعقة كذا في كتب الحكمة وهذا بناء على الأصول الفلسفية ولا يَعبأ به أصلًا كذا أفاده العلّامة الحافظ إسماعيل بن محمد بن المصطفى القنوي تغمَّدهم الله تعالى بغفرانه.

وقوله: (لاصطكاك أجرامه) الاصطكاك بمعنى الحركة العنيفة مطلقًا. **قوله**: (أو ملك يسوق السحاب) هذا ما أخبره الشرع وعليه التعويل وفيه روايات كثيرة منها ما رُوِيَ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: الرعد مَلَك وكّله الله سبحانه وتعالى بسياقة السحاب فإذا أراد الله أن يسوقه إلى بلد أمره فساقه فإذا تفرّق عليه زجره بصوته حتى يجتمع كما يردّ أحدكم ركابه ثم قرأ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: الآية ١٣] وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم أن الرعد اسم مَلَك يسوق السحاب. وقال مجاهد رحمه الله: الرعد اسم المَلَك، ويقال لصوته أيضًا: رعد، وقيل: زجر السحاب، وقيل: تسبيح المَلَك، وقيل: الرعد نُطْق المَلَك والبرق ضحكه، وقيل: البرق نار تخرج منه إذا غضب، وقيل: البرق مخراق من حديد أو من نار أو من نور يضرب به السحاب، وقيل: البرق لمعان السوط الذي يزجر به السحاب ويزجر بضم الجيم من باب نصر أي يسوقه ورُوِيَ أن الملك إذا اشتد غضبه على السحاب طارت من فِيْه النار وهي الصواعق. ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع الرعد وصواعقه قال: «**اللَّهمَّ لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك**».

قوله: (من برق) بابه دخل وبَرِقَ البصر من باب طرب إذا تحيّر فلم يطرف كذا في مختار الصحاح. **قوله**: (اسحم) بمعنى أسود. **قوله**: (مطبقًا) بضم الميم وكسر الباء مشددة ومخفَّفة بمعنى محيط وشامل. **قوله**: (سحمته) بضم السين أي

وتطبيقه) مضمومة إليهما ظلمة الليل. وأما ظلمات المطر فظلمة **(تكاثفه بتتابع القطر)** وظلمة **(إظلال)** غمامه **(مع ظلمة الليل)**. وجعل الصيب مكانًا للرعد والبرق **(على إرادة السحاب به ظاهر، وكذا إن أُريد به المطر)** لأنهما ملتبسان به في الجملة. ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران في الأصل، **(يقال: رعدت السماء رعدًا وبرقت برقًا)** فروعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما. ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات **(داجية ورعد قاصف)** وبرق

سواده في المصباح السحمة وزان غرفة السواد وسحم سحمًا من باب تعب وسحم بالضم لغة إذا اسودَّ فهو أسحم والأنثى سحماء مثل أحمر وحمراء. انتهى. **قوله:** **(وتطبيقه)** أي كونه طبقات بأن يكون بعضها فوق بعض. **قوله:** **(تكاثفه)** في منتهى الأرب في لغات العرب تكاثف برهم نشتن وسطبرشدن. انتهى. **قوله:** **(تتابع القطر)** لأن تقارب **القطرات** يقتضي قلة الهواء المتخلِّل المُستَنير. وقوله **القطر** في المصباح القطر المطر الواحدة قطرة مثل تمر وتمرة. انتهى. **قوله:** **(إظلال)** بكسر الهمزة. **قوله:** **(مع ظلمة الليل)** فيه إشارة إلى أن ظلمة الليل هي الأصل في الظلمات وظلمة الليل مُستَفادة من قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠] الآية فلا وجه لما قيل من أن ظلمة الليل من أين يُستَفاد، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧] الآية. يدل عليه أيضًا. **قوله:** **(على إرادة السحاب به ظاهر)** لأن مكانهما هو **السحاب** لا المطر لأن الرعد صوت يُسمَع من السحاب والبرق ما يلمع منه. **قوله:** **(وكذا إن أُريد به المطر)**. . . الخ يعني أنهما وإن لم يكونا في المطر نفسه لكنهما في محل متصل بالمطر وهو أعلاه ومنحدره[1] أي مَصَبّه الذي هو السحاب فكانا مُلتبسين بالمطر فجعلا كأنهما فيه بناء على استعارة كلمة في للملابسة الشبيهة بمُلابسة الظرفيّة فاستعمل فيها ما وُضِعَ لمُلابَسَة الظرفية.

قوله: **(يقال: رعدت السماء رعدًا أو برقت برقًا)** كلاهما من باب نصر. **قوله:** **(داجية)** أي سابغة. **قوله:** **(رعد قاصف)** القاصف شديد الصوت في القصف وهو الكسر، وقيل القصيف هو الصوت القويّ كذا أفاده العلّامة السيد

---

(١) قوله: ومنحدره على صيغة اسم المفعول مكان الانحدار والانصباب. ١٢ منه عُفِي عنه.

(خاطف. ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ﴾ ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ (الضمير لأصحاب الصيب) وإن كان محذوفًا (كما في قوله: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤]) لأن المحذوف باقٍ معناه وإن سقط لفظه. ولا محل لـ«يجعلون» لكونه مستأنفًا (لأنه) لما ذكر الرعد والبرق (على ما يؤذن بالشدة) والهول فكأن قائلًا قال: (فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟) فقيل: يجعلون أصابعهم في آذانهم. ثم قال: فكيف حالهم مع مثل ذلك

الشريف رحمة الله تعالى عليه. وفي المصباح قصف الرعد قصيفًا: صوّت. انتهى. وفي لسان العرب رعد قاصف: شديد الصوت. قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا بلغ الرعد الغاية في الشدة فهو القاصف وقد قصف يقصف قصفًا وقصيفًا. انتهى. **قوله**: (خاطف) الخطف: الأخذ بسرعة. **قوله**: (الضمير لأصحاب الصيب) فيه إيجاز لطيف، وأصله لذوي الذي بمعنى أصحاب لأنه جمع ذو بمعنى صاحب وهو أشهر معانيه وهو جواب عمّا يقال من أنه كيف جمع الضمائر الثلاثة مع أن المذكور قبلها إنما هو لفظ صيِّب وهو مفرد فلا وجه لإرجاع ضمير الجمع إليه وتقرير الجواب أن الضمائر المذكورة راجعة إلى أصحاب الصيب لِما مرَّ من أن تقدير الكلام كمثل ذوي صيب والمضاف وإن كان محذوفًا لفظًا إلا أن معناه باقٍ فعوّل على بقاء معناه في إرجاع ضمير الجمع إليه. **قوله**: (كما في قوله: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤]) أي كجمع الضمير في قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤] لرجوعه إلى أهل القرية ولو رُوعِي حال اللفظ القائم مقام المضاف لأنَّث هٰهنا، وأفرد ثمة في تفسير الجلالين في سورة الأعراف (وكم) خبرية مفعول (من قرية) أريد أهلها ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ [الأعراف: الآية ٤] أردنا إهلاكها (﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ [الأعراف: الآية ٤] عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ [الأعراف: الآية ٤]) ليلًا (﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤]) نائمون بالظهيرة، والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أي مرة جاءها ليلًا ومرة جاءها نهارًا. انتهى. وفي الكشاف القيلولة. انتهى.

قوله: (لأنه) أي الشأن. **قوله**: (على ما يؤذن بالشدة) أي على الوجه الذي يؤذن بها وهو التنكير. **قوله**: (فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد) لا يقال الجواب لا يطابق هذا السؤال لأنه يبيِّن حالهم مع الصواعق دون الرعد لأنّا نقول: لمّا كانت الصاعقة قصفة رعد أي شدّة صوته ينزل معها قطعة من نار كان الجواب

البرق؟ فقال: يكاد البرق يخطف أبصارهم. (**وإنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل ورؤوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان (اتساعًا) كقوله:**

مطابقًا كأنه قيل ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ من أجل شدة صوت الرعد وانقضاض شقة من النار معها. **قوله:** (**وإنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل**)، الأنامل جمع أَنمُلة بفتح الهمزة وفتح الميم أكثر من ضمّها. وابن قتيبة يجعل الضم من لَحْن العوامّ وبعض المتأخرين من النحاة حكى تثليث الهمزة مع تثليث الميم فيصير تسع لغات وهي العقدة من الأصابع وبعضهم يقول الأنامل رؤوس الأصابع وعليه قول الأظهري الأنمُلة المِفصَل الذي فيه الظفر (**ورؤوس الأصابع**) كذا في بعض النسخ وفي الصحيح كما في أكثر النسخ وَرُئَيْسُ الأصبع تصغير الرأس والواو للحال (**هي التي تجعل في الآذان**) كذا في الكشاف والأصبع مؤنثة وكذلك سائر أسمائها مثل الخنصر والبنصر وفي كلام ابن فارس ما يدلّ على تذكير الأصبع فإنه قال الأجود في أصبع الإنسان التأنيث. وقال الصغاني أيضًا: يُذَكَّر ويُؤَنَّث والغالب التأنيث. قال بعضهم: وفي الأصبع عشر لغات تثليث الهمزة مع تثليث الباء والعاشرة أصبوع وزان عصفور والمشهور من لغاتها كسر الهمزة وفتح الباء وهي التي ارتضاها الفصحاء كذا في المصباح (اتّساعًا) مفعول له لقوله: وإنما ذكر أي مجازًا لغويًّا يعني أن هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد العام يحصرها كقوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٦]، ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨] أراد البعض الذي هو المِرفَق في الغسل والذي إلى الرّسغ فالقرينة في أصابعهم عقلية و﴿أيديكم﴾ لفظية أعنى إلى المرافق وفي أيديهما شرعية. ثم هنا احتمالات ثلاثة مجاز لغوي: ذكر الكل وإرادة الجزء كما في كتب المعاني. أو مجاز عقلي: بإسناد ما للبعض إلى الكل. ومجاز في الحذف: أي يجعلون أنامل أصابعهم وخير الأمور أوساطها إذ المبالغة إنما يتأتّى إذا كانت الأصابع باقية على حقيقتها. وقد صرّحوا بأن المجاز العقلي أبلغ من المجاز اللغوي وإن كانت المبالغة متحقّقة في المجاز اللغوي المرسل باعتبار أن تبادر الذِّهن إلى المعنى الحقيقي قبل النظر إلى القرينة وعن هنا قال أهل البيان المجاز أبلغ من الحقيقة وهنا يتبادر الذِّهْن إلى الأصابع وأنهم جعلوها في آذانهم قبل الالتفات إلى القرينة المانِعة وكفى هذا في إفادة المبالغة.

(﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨] والمراد الكوع إلى الرسغ، ولأن في ذكر الأصابع)

قوله: (﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨]) في تفسير الجلالين في سورة المائدة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: الآية ٣٨] ال فيهما[١] موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: الآية ٣٨]) أي يمين كل منهما من الكوع. انتهى. **قوله: (الكوع)** في المصباح الكوع طرف الزَّنْد الذي يلي الإبهام والجمع أكواع مثل قفل وأقفال والكاع لغة قال الأزهري: الكوع طرف العظم الذي يَلِي رسغ اليد المُحاذي للإبهام وهما عظمان متلاصقان في الساعد أحدهما أدقّ من الآخر وطرفاهما يلتقيان عند مفصل الكفّ فالذي يَلِي الخنصر يقال له الكرسوع والذي يلي الإبهام يقال له الكوع وهما عظما ساعِد الذراع ويقال في البليد لا يفرّق بين الكوع والكرسوع. انتهى. **قوله: (والمراد الكوع إلى الرسغ)**[٢] بالسين والصاد وبضم فسكون أو بضمتين أفاده في القاموس مفصل[٣] الكفّ بين الكوع والكرسوع. وأما البوع ففي الرجل قال الشاعر:

وعظم يلي الإبهام كوع وما يلي
لخنصره[٤] الكرسوع والرسغ في الوسط[٥]

وعظم يلي إبهام رجل ملقب
ببوع فخذ[٦] بالعلم واحذر من الغلط

قوله: (ولأن في ذكر الأصابع)... الخ يعني إنما استعملها موضع الأنامل للمبالغة في بيان شدة رعبهم إذ الأنامل جزء مخصوص من الأصابع

---

(١) قوله: ال فيهما موصولة، أي الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) الرسغ، في المصباح: الرسغ من الإنسان مفصل ما بين الكفّ والساعد والقدم إلى الساق، وضمّ السين للاتباع لغة، انتهى. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٣) قوله: مفصل الكفّ على وزن منبر ملتقى العظمين من الجسد. قاموس. ١٢ منه عفي عنه.
(٤) قوله: لخنصره، أي الشخص المعلوم من المقام. ١٢ منه.
(٥) قوله: في الوسط، في بعض النسخ: ما وسط أي ما توسّط بينهما. ١٢ منه.
(٦) فخذ بالعلم، الباء زائدة أو أصلية، والمفعول محذوف، أي خذ هذه المسائل بعلم لا بظنّ، لأنه قد يوقع في الغلط، أو ضمّن خذ معنى الظفر. ١٢ منه عُفِي عنه.

من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل. وإنما لم يذكر الأصبع الخاص الذي تسد به الأذن لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن، ولم يذكر المسبحة لأنها مستحدثة غير مشهورة.

﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ (متعلق بـ «يجعلون») أي من [illegible] يجعلون أصابعهم في آذانهم. والصاعقة (قصفة رعد تنقض) معها (شقة) من نار. قالوا: [illegible] من السحاب إذا اصطكت أجرامه. وهي نار لطيفة (حديدة) لا تمرّ بشيء [illegible] عَلَيۡهِ﴾ [الذاريات: الآية ٤٢]) إلا أنها مع حدتها (سريعة الخمود). يُحكى أنها سقطت

والمعتاد إدخالها دون الأصابع بتمامها فعبَّر عنها بالأصابع إيذانًا بأنهم يبالغون في إدخال أناملهم لشدة الرعد فكأنهم يدخلون جميعًا مبالغة في السدّ ثم إن لم يحمل على انقسام الآحاد يحمل إضافة الجمع على الاستغراق فيفيد كمال المبالغة للإشعار بأن كل فرد منهم يجعل أصابعه العشرة في أُذُنَيه وهذا وإن كان مُحالًا لكن المراد التصوير والتمثيل وهذه مبالغة لا فوقها مبالغة لكن الظاهر أنه من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد، مثل ركب القوم دوابّهم. [illegible]: [illegible] بـ ﴿يَجۡعَلُونَ﴾) لا بالموت لأنه بعيد وتقديمه عليه ليس له وجه ظاهر. [illegible]: (أي من أجل الصواعق)... الخ إشارة إلى أن لفظة ﴿مِّنَ﴾ هٰهنا للسببية بمعنى لام الأجل كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ [مريم: الآية ٥٣] أي من أجل رحمتنا. وقوله: سبحانه وتعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ [نوح: الآية ٢٥] أي من أجل خطيئاتهم فلفظة ﴿مِّنَ﴾ تعليلية بتقدير مضاف أي من أجل إصابتها إذ العلل المعاني لا الذوات. **قوله**: (قصفة رعد) بفتح القاف وسكون الصاد المهملة وبعدها فاء أي شدة صوته. **قوله**: (تنقض) أي تسقط في الكشاف في سورة الكهف انقضّ إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضيضته وقيل افعلّ من النقض كاحمرّ من الحمرة. انتهى. **قوله**: (شقّة) أي قطعة. **قوله**: (تنقدح) أي تخرج تلك النار. **قوله**: (حديدة) يعني تيز. **قوله**: (إلا ﴿أَتَتۡ[1] عَلَيۡهِ﴾ [الذاريات: الآية ٤٢]) أي غلبت عليه وأهلكته. **قوله**: (سريعة الخمود) في المصباح خمدت النار خُمُودًا من باب قعد ماتت

---

(١) لأن أتى المتعدى بعلى يكون بمعنى الغلبة، ولك أن تقول: تعديته بعلى لتضمينه معنى الغلبة. ١٢ منه عُفِي عنه.

على نخلة فأحرقت نحو نصفها (**ثم طفئت**). ويقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ (**مفعول له، والموت فساد بنية الحيوان**) أو عرض لا يصح معه إحساس (**معاقب**)

فلم يَبْقَ منها شيء وقد سكن لهبها وبقي جمرها. انتهى. **قوله**: (ثم طَفئت) عطف على سقطت وفيه بيان الحدة بإحراق النصف وسرعة الخمود بالاقتصار على النصف. **قوله**: (مفعول له) أي للفعل[١] المعلّل بالصواعق أي لقوله: ﴿يَجْعَلُونَ﴾ بعد تعليله بقوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ لئلا يلزم تعدّد المفعول له بلا عطف قال العلامة الحافظ إسماعيل بن محمد بن المصطفى القنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهذا من قبيل ضربت تأديبًا له فهو غرض متأخر إذ المعنى احتراز الموت والصواعق باعث فتقدَّم ولعله لهذا ترك من هنا وذكر هنا. انتهى. وقال العلّامة الشيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكل واحد منهما باعث مقدَّم على الفعل لا غرض مؤخر عنه. انتهى فافهم.

قوله: (والموت فساد[٢] بنية الحيوان) فعلى هذا يكون أمرًا عدميًا وقوله بنية في منتهى الأرب فيّ لغات العرب بنية الضمّ والكسر بناونهادو آفرينش چيزى يقال فلان صحيح البِنْيَة أي الفطرة بُنًى بالضم وكسر جمع. انتهى.

قوله: (معاقب) صفة عرض أي هو عرض مقابل للحياة مناوب لها أي لا يُجامعها بل يناوب بها فيكون أمرًا وجوديًا واستدلّ عليه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [المُلك: الآية ٢] فإن الخلق إيجاد بمعنى إعطاء الوجود فيكون الموت موجودًا كالحياة، وأُجيب بأن المراد بالخلق التقدير[٣] أي تعيين المقدار

---

(١) يعني أن من الصواعق علّة ليجعلون أصابعهم في آذانهم، أي لمطلق الجعل وحذر الموت علّة الفعل المعلل، أي للفعل مع علّته، وهو كلام نفيس فليُحفظ. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) فإطلاق الموت على العدم السابق على الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨] مجاز. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) يعني لا نسلم بمعنى الإيجاد، فإنه معنى شرعي لا يجب اعتباره في كل موضع، بل بمعنى التقدير، وهو معنى لغوي له، وقد يعتبر عند قيام القرينة على عدم المعنى الشرعي؛ كقوله تعالى: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٩] الآية، وهنا كذلك، فيكون بمعنى التقدير. ١٢ منه عُفِي عنه.

للحياة (﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **يعني أنهم لا يفوتونه**) كما لا يفوت المحاط به المحيط (**فهو مجاز وهذه الجملة اعتراضية**) لا محل لها.

بوجهٍ ما وهو حقيقة لغة وهو مما يوصف به المعدوم والموجود لأن العدم له مدة ومقدار معين عنده تعالى ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: الآية ٨] ولو سلم فالمراد بخلق الموت إحداث أسبابه فالمراد بخلق الموت والحياة خلق أسبابهما وهيأها. وما ورد في الحديث من أن الحياة فرسُ والموت كبش أملح حتى ذهب بعض الظاهرية إلى أنهما جسمان فهو من قبيل التمثيل، وقد صرَّح به شُرَّاح الحديث في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلّم يُؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح ليُذبَح. وفي قوله ﷺ على صورة كبش إشارة إليه فلا ينبغي أن يغفل عن إشاراته العلية وتلويحاته السَّنِيَّة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾) أصل محيط محوط لأنه من حاطَ يحوط فاعل إعلال فتعين بأن نقلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها ثم قُلِبَت ياء لسكونها إثر كسرة. **قوله**: (يعني أنهم لا يفوتونه) كما لا يفوت المحاط به المحيط كذا في بعض النسخ وفي أكثر النسخ المحيط به والضمير المجرور في قوله المحاط به راجع إلى اللام في المحاط لأنه بمعنى الذي أحيط والظرف مرفوع محلًا على أنه فاعل أي وبه مرفوع المحل على أنه قائم مقام الفاعل للمُحاط ولا ضمير في المحاط لأنه إنما عُدِّي إلى المفعول بواسطة حرف الجر والضمير في المحيط راجع إلى اللام لأنه بمعنى الذي أحاط والضمير المجرور في قوله المحيط به راجع إلى المحاط والظرف منصوب المحل على المفعولية أي كما لا يفوت الذي أُحيط به من كل جانب من قصده وأحاط به.

قوله: (فهو مجاز) لما استحال كونه سبحانه وتعالى محيطًا بالكافرين حقيقة بأن يحصرهم من جميع جوانبهم وأطرافهم كما يحصر الحائط البستان جعل لفظ المحيط استعارة تبعية سارية إلى الصفة المشتقة من مصدرها بأن شبّه شمول قدرة الله سبحانه وتعالى إياهم ونفاذ مشيئته فيهم بحيث يتصرف فيهم كيف يشاء لا يتأبون عن مطاوعة قدرته وإرادته بوجه ما أصلًا بإحاطة المحيط.

قوله: (وهذه الجملة اعتراضية) وقعت مع واو بين كلامين متصلين معنى لأن الاستئناف الشاني وهو قوله سبحانه وتعالى

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

(﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾) الخطف الأخذ بسرعة، (وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدًا)، وموضع «يخطف» نصب لأنه خبر «كاد». ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾

(﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾) متصل بالاستئناف الأول وهو قوله سبحانه وتعالى: (﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾) من حيث إن الاستئناف الثاني وقع جوابًا عن السؤال الناشيء عن الاستئناف الأول كما يدل عليه قول المصنِّف رحمه الله تعالى فالواو فيه اعتراضية لا عاطفة ولا حالية كما بيّن في كتب العربية ثم إن كان المراد بالكافرين أصحاب الصيب فالنكتة في الاعتراض التنبيه على أن الحذر من الموت لا يفيد وفي وضع المظهر موضع المضمر تنبيه على أن أصحاب الصيب كَفَرَة يستحقون الشدة لكفرانهم نِعَم الله، ومثل هذا التعميم في المشبه به عمّا يقوّي المقصود في التمثيل من المبالغة وإن كان المراد المنافقين كانت هذه الاعتراضية من أحوال المشبّه والمعنى أن المنافقين لا خلاص لهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة وإنما جاز وقوعها في أثناء المشبه به تنبيهًا على شدة الاتصال وفرط المناسبة بين المشبه والمشبه به وعلى أن المشبه مما يهتم بشأنه.

قوله: (﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾) واويّ العين فوزنه يَكوَد كيعلم نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها. ثم يقال تحركت الواو بحسب الأصل والفتح ما قبلها بحسب الآن فقلبت ألفًا فصار ﴿يَكَادُ﴾ بوزن يخاف أو ماضيه كود بكسر العين كخوف ومصدره الكود كالخوف وهذا في كاد الناقصة وأما كاد التامّة فهي يائية العين المفتوحة في الماضي كباع ومصدره الكيد كالبيع ولذلك جاء المضارع في القرآن مختلفًا ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ [النور: الآية ٣٥]، ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: الآية ٥]. ومعنى التامّة المكر ومعنى الناقصة المقاربة. **قوله**: (وكاد يستعمل لتقريب الفعل جدًا) أفعال المقاربة أفعال مخصوصة سمّاها النحاة بهذا الاسم وإن لم تكن كلها للمقاربة لأن منها ما هو للشروع كطفق ومنها ما هو للترجّي ومنها ما هو للمقاربة سُمِّيت بها تغليبًا لها لأنه أشهرها وأصلها كما في شرح التسهيل وقد يخصّ بكاد وأخواتها ويجعل ما عداها من الباب قسمًا آخر أو ملحقًا بها والمشهور الأول فتدخل فيها

(«**كل**» **ظرف و«ما» نكرة موصوفة**) معناها الوقت، والعائد محذوف أي كل وقت أضاء لهم فيه، والعامل فيه جوابها وهو ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول: كيف يصنعون (**في تارتي خفوق البرق وخفيته؟ وهذا تمثيل**) لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب (**وما هم فيه**) من غاية التحيّر والجهل بما يأتون (**وما يذرون**

عسى والدلالة على الدنوّ والقرب مخصوص بكاد وأخواتها واعتبره الجزولي في جميع الباب من غير تغليب والمحقِّقون على خلافه لأن عسى وُضِع لرجاء الخبر مطلقًا لا لرجاء دنوّه كما زعمه وطفق يدلّ على الشروع وأخذ أول أجزاء الخبر والدنو إنما يكون قبل الشروع فيه فليس فيها مقاربة. انتهى شهاب. **قوله**: (**كل ظرف**) أي كل نصب على الظرف. **قوله**: (**وما نكرة موصوفة**)... الخ أو ما مصدرية والزمان محذوف أي كل زمان إضاءة. **قوله**: (**في تارتي خفوق البرق وخَفْيته**) خفوق البرق بضم الخاء المعجمة والفاء وفي آخره قاف لمعانه وأصله الاضطراب ومنه خفقت الراية والسراب وسُمِّي به اللمعان لاضطرابه وخفيته أي اختفائه كما هو شأن البرق، قال الشاعر:

وكأن البرق مصحف قار[١] فانطباقًا مرّة وانفتاحا

وخفيته بفتح الخاء المعجمة وسكون الفاء وياء مثناة تحتية وهاء تأنيث بزنة المرأة من خفي يخفى كعلم يعلم أو خفي يخفو كدخل يدخل إذا لمع لمعانًا ضعيفًا في نواحي الغيم كما في بعض الحواشي ولا وجه له فإنه تكرار غير مناسب للمراد، فالظاهر أنه أراد ظهوره واختفاءه ويجوز أن يكون من خفت البرق إذا سكن كما في الأساس وتارتي مثنى تارة وهي المرة والحالة أي في حالتي الظهور والخفاء والاستتار. **قوله**: (**وهذا تمثيل**) يعني قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ﴾ لا قوله: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ على ما وهم يعني أن بيان شدة الأمر على أصحاب الصيب وفرط تحيّرهم بيان لشدّته على المنافقين وفرط تحيّرهم لما أن حالهم كحالهم وهذه من جملة تفاصيل الأحوال. **قوله**: (**وما هم فيه**) عطف على شدّته كأنه تفسير لها. **قوله**: (**وما يذرون**) أي يتركون في المصباح وذرته أذره وذرًا تركته قالوا: وأماتت العرب ماضيه

---

(١) أصله قارىء فحذف الهمزة لمحافظة الوزن. ١٢ منه.

إذا صادفوا) من البرق (خفقة) مع خوف أن يخطف أبصارهم (انتهزوا تلك الخفقة فرصة) فخطوا (خطوات يسيرة)، فإذا خفي (وفتر) لمعانه بقوا واقفين. و«أضاء» متعدٍ (كلما نوّر لهم ممشى) ومسلكًا (أخذوه)، والمفعول محذوف. أو غير متعدٍ

ومصدره فإذا أُريد الماضي قيل ترك وربما استعمل الماضي على قلة ولا يستعمل منه اسم فاعل. انتهى. وفي لسان العرب قال الليث: العرب قد أماتت المصدر من يَذَرُ والفعل الماضي فلا يقال وذره ولا واذرٌ ولكن تركه وهو تاركٌ. قال: واستعمله في الغابر والأمر فإذا أرادوا المصدر قالوا ذره تركًا ويقال هو يَذَرُه تركًا. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب يقال: ذَرْهُ يعني بگذار أنرا ويقال أيضًا يَذَره تركًا ولا يقال وَذْرًا يعني ميگذار وأصله وذِرَه يَذَرُه كوَسعه يَسَعُه كسَمِعَه لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل فلا يقال وذَرَهُ وَذْرًا فهو واذِر وقيل وَذرْتُه شَاذًّا. انتهى. **قوله**: (إذا صادفوا) بيان لغاية التحيّر. وفي لسان العرب المصادفة الموافقة. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب صادفه مصادفة يافت اوراوديد. انتهى. **قوله**: (خَفْقَةً) من خفق البرق خفقًا أي لمع. **قوله**: (انتهزوا)[1] أي اغتنموا (تلك الخفقة فرصة) الفرصة واحد الفرص كغرفة وغرف وأصل معناها النوبة في شرب الماء القليل يقال جاءت فرصة فلان أي نوبته والانتهاز كالافتراض يتعدّى إلى مفعول واحد، فقوله: فرصة حال، وقيل: مفعول ثانٍ بتضمين الانتهاز معنى الاتخاذ أي اتخذوا الخفقة فرصة. وقيل: الخفقة مصدر مقدَّر بالزمان وفرصة مفعول أي انتهزوا في وقت تلك الخفقة فرصة. **قوله**: (خطوات يسيرة) قليلة مبني على قصر زمان الخفقة لا على ما قيل إن ازدياد الخطوات لا يكون مشيًا بل سعيًا أو عدوًا لأن ذلك إنما يكون بالشدة والسرعة لا بالازدياد والكثرة. **قوله**: (فتر) أي ضعف في لسان العرب الفترة الانكسار وفَتَرَ الشيء والحر وفلان يفتُرُ فُتُورًا وفتارًا سكن بعد حدة ولانَ بعد شدة. انتهى. **قوله**: (كلما نوَّر لهم ممشى) أي موضع مشي وهو المفعول المحذوف لأضاء بمعنى نوّر والمستتر في نور ضمير البرق ونكر ممشى لعدم تعيّنه وفيه إشارة إلى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم يمشون في أيّ ممشى ظهر لهم ولا يرومون ممشى سويًا ومسلكًا عطف تفسير. **قوله**: (أخذوه) أي ذلك المسلك ومشوا فيه أي

---

(١) لأن زمان الخفقة قصير جدًا. ١٢ منه عُفِي عنه.

أي كلما لمع لهم (مشوا في مطرح نوره). والمشي (جنس الحركة) المخصوصة (فإذا اشتدّ) فهو سعي (فإذا ازداد) فهو عَدْوٌ. ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ﴾ «أظلم» غير متعدٍ وذكر مع «أضاء» «كلما» ومع «أظلم» «إذا» لأنهم (حراص) على وجود (ما همهم) به معقود من إمكان المشي، فكلما (صادفوا) منه فرصة (انتهزوها

شرعوه وسلكوه ابتغاء للوصول إلى البغية والنجاة عن المهلكة وفيه إشارة إلى أن الضمير المجرور في قوله تبارك وتعالى فيه راجع إلى المحذوف بناء على أن المقدَّر في حكم الملفوظ فصحّ رجوع الضمير إليه.

قوله: (مشوا في مطرح نوره) إشارة إلى أن ضمير فيه على أن تقدير أن يكون أضاء لازمًا راجع إلى البرق كضمير أضاء وإلى أن هناك مضافين مُقدَّرين والمعنى أن البرق كلما لمع لهم مشوا فيه في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف أبصارهم وقد مرَّ أن ضمير فيه على تقدير أن يكون أضاء متعديًا راجع إلى المفعول المحذوف. **قوله**: (جنس الحركة)... الخ، الجنس ضرب من الشيء في منتهى الأرب في لغات العرب جنس بالكسر كونه أزهر چيزى ازمردم وجزءان وهو أعمّ من النوع فالإبل جنس من البهائم أجْنَاس وجنوس جمع هذا عن أئمة اللغة والمتكلمون يقولون على العكس. انتهى. **قوله**: (فإذا اشتد) أي المشي فهو سعي (فإذا ازداد) أي اشتداده فهو عدو في المصباح عدا في مشيه عدوًا من باب قال.اهـ. **قوله**: (حراص) جمع حريص في المصباح حرص عليه حرصًا من باب ضربَ إذا اجتهد والاسم الحرص بالكسر وحرص على الدنيا من باب ضرب أيضًا ومن باب تعب لغة إذا رغب رغبة مذمومة فهو حريص وجمعه حراص مثل ظريف وظراف وغليظ وغلاظ وكريم وكرام. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب حريص كأمير آزمند حُرَّاص وحُرَصَاء جمع. انتهى. **قوله**: (ما همّهم) أي قصدهم به معقود أي مربوط هذا لا ينافي ما سبق من جهلهم بما يأتون ويذرون لأنه كناية عن شدة الأمر وتأكيد لفرط تحيّرهم ولأن معناه أنهم لا يدرون كيف يأتون ما يأتون وكيف يتركون ما يتركون مع حرصهم على المشي. **قوله**: (صادفوا) أي وجدوا. **قوله**: (انتهزوها) أي اغتنموها يقال: انتهز فلان الفرصة أي اغتنمها وقاربها والفرصة النوبة والحاصل أن كلما تدلّ على تكرار الفعل عند تكرار الشرط أبدًا وإذا لا تدلّ عليه والقوم لمّا كانوا متحيِّرين في الظلمات مدهوشين

ولا كذلك التوقف). ﴿قَامُواْۚ﴾ وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء (**إذا جمد**). ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ (**بقصيف الرعد**) ﴿وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ﴾ (**بوميض البرق**). ومفعول «شاء» محذوف لدلالة الجواب عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم

بسببها وكانت جُلّ هِمَمهم مصروفة إلى الخلاص منها كانوا حِراصًا على المشي والهرب رجاء أن يتخلصوا من تلك الحيرة والدهشة العظيمة فلذلك قيل مع الإضاءة كلما حتى يدلّ على أنهم يعدّون فرصة إمكان المشي وتأتيه غنيمة فلا يضيِّعونها بخلاف التوقف والثَّبات فإنهم ليسوا حراصًا عليه بل هم واقفون اضطرارًا لعدم تأتّي المشي فلذلك قيل مع الإظلام إذ المجرد بيان أنهم يقفون وقت الإظلام من غير أن يتعرَّض لكون الوقوف مهمًا عندهم بحيث يتكرر ذلك منهم كلما تكرّر ما يؤدي إليه. **قوله**: (**ولا كذلك التوقف**)، التوقف معنى قوله قاموا. **قوله**: (**إذا جمد**) في المصباح جمد الماء وغيره جمدًا من باب قتل وجُمُودًا خلاف ذاب فهو جامد. انتهى. وفي لسان العرب جَمَد الماء والدم وغيرهما من السيّالات يَجْمُدُ جُمُودًا وجَمْدًا أي قام وكذلك الدم وغيره إذا يَبِسَ. انتهى.

قوله: (**بقصيف الرعد**) أي شدة صوته. **قوله**: (**بوميض البرق**) أي لمعانه والغرض من هذا التقرير بيان الربط المعنوي لهذه الجملة بالجملة الاستئنافية لظهور أنه عطف على (﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾) الظاهر أن لو هٰهنا لمجرد الشرط بمعنى أن لا بمعناه الأصلي من انتفاء الشيء لانتفاء غيره كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف وقال العلَّامة الشيخ زاده في حاشيته على تفسير القاضي البيضاوي ولعل وجه ارتباط جملة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ﴾ بما قبلها بيان شدة قصيف الرعد ووميض البرق والمعنى أنهما بحسب شدتهما كانا يقتضيان إذهاب قوَّتي سمعهم وأبصارهم فكان ينبغي أن تذهبا لتحقّق علّة ذهابهما لكن لم يتحقق الذهاب لعدم ارتفاع ما يمنع تحقّقه وهو عدم تعلق مشيئة الله تعالى بذهابهما فإن تحقّق العلة المُوجِبَة لوجود الشيء لا تنفي وجوده ما لم يرتفع مانع وجوده وقصيف الرعد وإن كان يوجِب ذهاب سمعهم بسبب شدته وكذا وميض البرق وإن كانت شدته بحيث توجِب ذهاب أبصارهم إلا أن عدم تعلّق مشيئة الله تعالى بذهابهما لما كان مانعًا من تأثير القصيف والوميض المذكورين في ذهابهما لم يتحقق ذهابهما. انتهى.

وأبصارهم لذهب بهما (ولقد تكاثر) هذا الحذف في «شاء» وأراد (لا) يكادون (يبرزون) المفعول (إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله):

(فلو شئت) أن أبكي دمًا لبكيته   عليه ولكن (ساحة الصبر أوسع)

قوله: (ولقد تكاثر[1]) اللام لام الابتداء إذ لا وجه للقسم هنا وصيغة التفاعل للمبالغة هذا الحذف أي حذف المفعول في شاء وأراد متصرفاتهما إذا وقعت في حيِّز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف كما أشار إليه المصنّف رحمه الله بقوله: ولو شاء الله أن يذهب. **قوله**: (لا يبرزون) في المصباح برز الشيء بروزًا من باب قعد ظهر ويتعدّى بالهمزة فيقال أبرزته فهو مبروز وهذا من النوادر التي جاءت على مفعول من أفعل. انتهى. **قوله**: (إلا في الشيء المستغرب) فلا يكتفي فيه بدلالة الجواب بل يصرِّح به اعتناء بتعيينه ودفعًا لتوهم غيره لاستبعاد تعلق الفعل به لاستغرابه. **قوله**: (كنحو قوله)... الخ قائل هذا البيت أبو يعقوب[2] الخُزَيْمي يرثي بقصيدته خُزَيم بن عامر المرّي وفي شرح شواهد المعاني يرثي[3] بها ابنه ليثًا ثم قال: وما في بعض الحواشي من أنه للبُحْتُرِيّ[4] كأنه من تحريف الناسخ. **قوله**: (فلو شئت)... الخ، فلو قيل فلو شئت بكيت دمًا[5] لجاز توهّم قصدك لو شئت أن أبكي الدمع لبكيت الدم بدله بل هذا راجح لأن تعلق البكاء بالدم غريبٌ نادر فالمفعول هنا ليس البكاء مطلقًا بل بكاء الدم فلا يكون الجواب قرينة عليه قوية فإن المعنى لما كان محتملًا لما ذكرنا من أن قصدك لو شئت أن أبكي دمعًا على جريان العادة بكيت دمًا من غير قصد إما لعدم الدموع بكثرة البكاء وإما لفرط الحرارة ولاحتراق الكبد والمعدة فلا بدّ في مثل هذا من ذكر المفعول تنصيصًا على المقصود ودفعًا للتوهّم المردود. **قوله**: (ساحة الصبر أوسع) الساحة الموضع المتّسع فوصفها بالسّعة مبالغة والمراد سعة ساحته إما زيادة تجلّده لتلازم عظم الشيء وسعة مكانه أو كونه جميلًا محمودًا أو مستمرًا باقيًا.

---

(١) قوله: تكاثر، المراد به المبالغة في الكثرة لا التفاعل، وإن كان هو أصله. ١٢ منه.

(٢) إسحٰق بن حسان. ١٢.

(٣) قوله: يرثي بها... الخ. ويصف نفسه بشدّة الحزن وكمال الصبر عليه. ١٢ منه عفى عنه.

(٤) هو أبو عبادة الوليد بن عتيد. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٥) البيت من الطويل. ١٢ منه.

وقوله تعالى: (﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]. و﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: الآية ٤]) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ (عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)﴾ أي **(إن الله قادر على كل شيء شاءه)**.

قوله: (﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]) في تفسيرالجلالين في سورة الأنبياء (**لو أردنا أن** نتخذ لهوًا) به من زوجة أو ولد ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: الآية ١٧] من عندنا من الحور العين والملائكة (﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٧]) ذلك لكنَّا لم نفعله فلم نرده. اهـ. **قوله**: (و﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية ٤]) في تفسير الجلالين في سورة الزمر (﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية ٤]) كما قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: الآية ٨٨]، ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الزمر: الآية ٤] واتخذه ولدًا غير مَن قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (**سبحانه**) تنزيهًا له عن اتخاذ الولد (﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: الآية ٤]) لخلقه. اهـ.

قوله: أي (إن الله قادر) فرَّق بين القادر والقدير بناء على أن صيغة الفعيل للمبالغة كالرحيم والعليم فيكون قدير أبلغ من قادر كما نقل الزجَّاج. وعن الهروي إنهما بمعنى **قوله**: (﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٠]) من تفسير الجلالين على كل شيء شاءه. انتهى. وفي الحاشية المسمّاة بالفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخَفِيَّة للعلَّامة الشيخ سليمان الجمل رحمه الله (قوله على كل شيء شاءه) قيَّد بذلك الإخراج الواجب وهو ذاته وصفاته فإنهما من جملة الشيء إذ هو الموجود لكنهما ليسا من متعلقات الإرادة، فالمراد بقوله: شاءه إن من شأنه أن يشاءه وذلك هو الممكن. اهـ. شيخنا انتهت بحروفها وفي الجمالين للجلالين للعلَّامة علي القاريء رحمه الله قوله شاءه احتراز عن المستحيل والممتنع فإن ما لم تتعلق به المشيئة لم تتعلق به القدرة. قال أهل التفسير: الشيء في الأصل (أي في أصل اللغة) مصدر شاء أطلق بمعنى (شاء أصله)[1] شأى تارة (بتقديم الهمزة فاعل إعلال قاضٍ أي مصدر أطلق على الفاعل) وحينئذ يتناول الباري تعالى (وتناوله الجمادات الموجودات حينئذ بطريق التغليب فلا إشكال بها) كما في قوله تعالى:

---

(١) أي بمعنى الفاعل.

(لمّا عدد الله فرق المكلفين) من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [الأنعام: الآية ١٩] وبمعنى مشيء أخرى (أي تارة أخرى بفتح الميم وفي آخره همزة وقد تبدَّل ياء فتدغم[1] فحينئذ يتناول الجماد بلا تكلّف ولا يتناول الباري تعالى وقول أهل الكلام نسمي الله شيئًا لا كالأشياء مصروف على الإطلاق الأول فبين المعنيين عموم من وجه مادة الاجتماع الموجود العاقل ويتحقق الأول في الباري دون الثاني، والثاني في الجمادات دون الأول إن لم يحمل على التغليب وإلا فالأول أعمّ من الثاني مطلقًا) أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده (يريد أن معنى كونه قادرًا على المعدوم حال عدمه أنه تعالى إن شاء وجوده أوجده لا أن المعدوم الأزل حال عدمه يتعلق به المشيئة فأعدمه وإنما قال) فهو موجود في الجملة (لتعلق المشيئة به وعدم تخلّف المراد عن مشيئته تعالى فهو موجود في المستقبل لا محالة) وعليه (أي على أن الشيء بمعنى مُشيء وجوده ورد) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (والمعنى أن الله على مشيء وجوده أو عدمه فهو قدير على إيجاده أو على إعدامه). انتهى.

فعلى هذا لا يحتاج إلى قيد شاءه. انتهت عبارة الجمالين مع زيادة فهو على عمومه بلا مَثْنَوية[2] أي بلا استثناء للواجب والممتنع إذ المُشيء لا يتناولهما أما الواجب تعالى فلأنه شيء بمعنى شاء لا بمعنى مُشيء وهو المراد هنا. وأما الممتنع بالذات كالشريك للباري تعالى واجتماع النقيضين فلأنه لا تتعلق به المشيئة قطعًا لإنشائه بالذات فلا يكون مشيئًا كما لا يكون شاء فلا يطلق عليه شيء أصلًا.

قوله: (لمّا عدّد الله فرق المكلّفين). . . الخ، أشار بذلك إلى ارتباط هذه الآية بما قبلها والمراد بالفرق المؤمنون والكفّار والمنافقون والمُكَلَّفون الإنس والجن لا الملائكة فإنهم وإن كانوا مُكَلَّفين كما صرَّح به المصنّف رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الآية ٥٠] من سورة النحل لكنهم ليسوا بمُرادين هنا كما لا يخفى.

---

(١) اسم مفعول بوزن مبيع ومهيب. ١٢ منه.

(٢) كالمعنوية بمعنى الاستثناء صرّح به أهل اللغة، وورد في الحديث الشريف وفي كلام فصحاء العرب. ١٢ منه عُفي عنه.

وأحوالهم وما اختصت به كل (فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها) عند الله (ويرديها أقبل عليهم) بالخطاب (وهو من الالتفات المذكور) فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

(قال علقمة): ما في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (فهو خطاب لأهل مكة)، وما

وقوله: (فرقة) في منتهى الأرب في لغات العرب فِرْقَة كروه مردم فِرَق كعنب جمع ودر شعر برا فارقة جمع كرده أَفْراق جمع الجمع أفارِيقُ جمع جمع الجمع. ومنه في الحديث أَفَارِيْقُ العَرَبِ. انتهى. قوله: (مما يسعدها يشقيها) المذكور صريحًا لفرقة المؤمنين هو المسعدات والمحظيات ولفرقتي الكافرين والمنافقين هو المشقيّات والمرديات ويفهم المقابل ضمنًا فيكون الكل مذكورًا ومبنى على كون من في مما يسعدها للبيان. قوله: (ويحظيها) في المصباح حظي عند يحظى من باب تعب حظه وزان عدة وحظوة بضم الحاء وكسرها إذا حيوه ورفعوا منزلته فهو حظيّ على فعيل والمرأة حظيئة إذا كانت عند زوجها كذلك. انتهى. وفي الصحاح رجل حظيّ إذا كان ذا حظوة ومنزلة وقد حظي عند الأمير واحتظى بمعنى وأحظيته على فلان أي فضَّلته عليه. انتهى. وفي لسان العرب وأحظيت فلانًا على فلان من الحظوة والتفضيل أي فضلته عليه. انتهى. قوله: (ويرديها) في لسان العرب الرّدى الهلاك رَدِيَ بالكسر يَرْدى ردًى هلك فهو رَدٍ والردي الهالك وأرداه الله وأرديته أي أهلكته. انتهى. قوله: (أقبل عليهم) المراد بالإقبال معنوي عبّر به فإنه مقتضى النداء بالخطاب ابتداء هذا الخطاب من قوله: يا أيها الناس فإن المنادى مخاطب بمنزلة ضمير الخطاب وإن كان في أصله للغيبة والمصنّف رحمه الله نظر إلى المعنى فقال: أقبل عليهم بالخطاب مع أن قوله: (اعبدوا ربكم) صريح في الخطاب على سبيل الالتفات فإن الفِرَق الثلاثة ذكرت بالغيبة وشرحت قصصهم ثم عدل عن الغيبة إلى خطابهم.

قوله: (وهو من الالتفات المذكور) من الغيبة إلى الخطاب عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: الآية ٥]. قوله: (قال علقمة)... الخ هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلَامَان بن كهيل بن بكر بن عوف بن النخع، ويقال بكر بن المنتشر بن النخع

فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهو خطاب لأهل المدينة، وهذا خطاب لمشركي مكة،

النخعي الكوفي التابعي الكبير الجليل الفقيه البارع وهو عَمُّ الأسود وعبد الرحمٰن ابني يزيد خالي إبراهيم النخعي سمع عمر بن الخطاب وعثمان وعليًا وابن مسعود وسلمان الفارسي وخَبَّابًا وحُذيفة وأبا موسى الأشعري وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين روى عنه أبو وائل وإبراهيم النخعي والشعبي وابن سيرين وعبد الرحمٰن بن يزيد وأبو الضحى[1] وغيرهم من التابعين وأجمعوا على جلالته وعظم محله ووفور علمه وجميل طريقته قال إبراهيم النخعي: كان علقمة يشبه ابن مسعود وقال أبو إسحٰق السبيعي: كان علقمة من الربانيّين. وقال أحمد بن حنبل: علقمة ثقة من أهل الخير وقال أبو سعد السمعاني: كان علقمة أكبر أصحاب ابن مسعود وأشبههم هديًا ودلالة به. توفي سنة ثنتين وستين، وقيل: ثنتين وسبعين من الهجرة رضي الله تعالى عنه. كذا في تهذيب الأسماء وأخرج الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله[2] قال ما كان يا أيها الذين آمنوا نزل بالمدينة وما كان يا أيها الناس في مكة وأخرجه أبو عبيد في الفضائل عن علقمة مرسلًا كذا في الإتقان.

واعلم أن النداء على سبع مراتب: نداء مدح، ونداء ذمّ، ونداء تنبيه، ونداء إضافة، ونداء نسبة، ونداء تسمية، ونداء تصنيف. فالأول كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: الآية ٦٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: الآية ٤١]. والثاني كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجمعة: الآية ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم: الآية ٧]. والثالث كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: الآية ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: الآية ٢١]. والرابع كقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: الآية ٥٦]. والخامس كقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٦]، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: الآية ٤٠]. والسادس كقوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ [ص: الآية ٢٦]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [هود: الآية ٧٦]. والسابع كقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]. انتهى كرخي. **قوله: (فهو خطاب لأهل مكة)**

---

(١) بضم المعجمة العطار الكوفي مسلم بن صبيح بالضم مصغرًا وثّقه ابن معين، وأبو زرعة. ١٢ منه.

(٢) يعني عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ١٢ منه.

(و«يا» **حرف وضع لنداء البعيد**، وأي) والهمزة للقريب، ثم استعمل في (مناداة) مَن غفا (وسها) وإن قرب (ودنا) تنزيلًا له منزلة من بعد (ونأى)، فإذا نودي به القريب (المفاطن) فذاك للتوكيد

واعترض بأن سورة البقرة مدنية فكيف يكون هذه الآية مكيّة ولو سلّم فكونها مكية لا يوجِب اقتصار الخطاب على مُشرِكي مكة كما أن كونها مدنية لا يُوجِب اختصاصها بكفّار المدينة. والجواب أن مدلول ما نقل أن كل حكم وخطاب نزل فيه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مكّي أي متعلق بمُشرِكِي مكة سواء نزلت الآية بمكة أو بالمدينة وبه يتم ما ذكر.

وفي تفسير المظهري قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٤] خطاب أهل المدينة، فإن أهل مكة لمّا كان أكثرهم كفّار أو المؤمنون كانوا هناك قليلًا خاطب بما يعمّ القبيلتين وأهل المدينة كان أكثرهم مؤمنين خاطبهم بعنوان أهل الإيمان إظهارًا لشرفهم. انتهى. **قوله**: (ويا حرف) فيه ردّ على مَن قال إنه اسم فعل على ما نقل بعضهم فحينئذ يظهر فائدة الخبر بأنها حرف (وُضِع لنداء البعيد) وهذا مختار الزمخشري ورضي به المصنِّف رحمه الله والشيخ ابن الحاجب رحمه الله ذهب إلى كونه موضوعًا لنداء مطلق المنادى والنداء في الوضع دون الاستعمال ولهذا قال ثم استعمل... الخ. **قوله**: (وأي) بفتح الهمزة وسكون الياء والهمزة أي وكذا الهمزة المفتوحة. **قوله**: (مناداة) أي نداء في المصباح ناديته مناداة ونداء من باب قاتل إذا دعوته.اهـ. وأيضًا فيه النداء الدعاء وكسر النون أكثر من ضمّها والمدّ فيها أكثر من القصر.اهـ. **قوله**: (وسها) في لسان العرب السهو والسهوة نسيان الشيء والغفلة عنه وذهاب القلب عنه إلى غيره. انتهى. **قوله**: (ودنا) في لسان العرب دنا الشيء من الشيء دنوًا ودناوة قرب. انتهى. **قوله**: (ونأى) عطف تفسير في لسان العرب النأي البُعد نأى ينأى بوزن نَعى ينعى. انتهى. **قوله**: (المفاطن) في لسان العرب الفِطْنة كالفهم والفِطْنة ضد الغَباوة ورجلٌ فَطِنٌ بَيِّنُ الفِطْنة والفَطْن وقد فطن لهذا الأمر بالفتح يفطُن فِطْنة ويفطن فَطْنًا وفَطَنًا وفَطِنًا وفُطونة وفِطانة وفَطانِيَة فهو فاطِنٌ له وفَطُون وفطين وفَطِن وفَطُن وفَطْن وفَطُونة وقد فطِن بالكسر فطنة وفطانة وفطانية والجمع فُطْن والأُنثى فَطِنة والمفاطنة مفاعلة منه. انتهى. وفي منتهى الأرب في

(المؤذن) بأن الخطاب الذي (يتلوه معتنى به جدًا). وقول الداعي «يا رب» (وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضمًا) لنفسه وإقرارًا عليها (بالتفريط مع فرط التهالك) على استجابة دعوته. (و«أي» وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام) كما أن «ذو» و«الذي» وصلتان إلى الوصف بأسماء

لغات العرب مفاطنة باهم زيركي نمودن. انتهى. **قوله**: (المؤذن) في لسان العرب آذنه الأمر وآذنه به أعْلَمَه. انتهى. **قوله**: (يتلوه) أي يتبعه، أي يأتي بعد النداء في المصباح تلوت الرجل أتلوه تلوًّا على فعول تبعته فأنا له تال وتلوًا أيضًا وزان حمل وتلوت القرآن تلاوة. انتهى. **قوله**: (معتنى به) وفي نسخة مُعتَنَى به في المصباح عنيته عنها من باب رمى قصدته واعتنيت بأمره اهتممت واحتلفت وعنيت به أعني من باب رمى أيضًا عناية كذلك. انتهى. **قوله**: (جدًا) بالكسر أي نهاية ومبالغة. **قوله**: (وهو أقرب إليه من حبل الوريد) حال قال المصنّف في تفسير سورة قٓ (﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [قٓ: الآية ١٦]) المراد قرب علمه منه (﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [الآية ١٦]) هو مثل في فرط القُرْب والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق والإضافة للبيان كقولهم بَعِيْرٌ سانِيَةٍ. انتهى. وقوله سانية في المصباح السانية البعير يسنى عليه أي يستقي من البئر والسحابة تسنو الأرض أي تسقيها فهي سانية أيضًا. انتهى.

قوله: (استقصار منه لنفسه واستبعاد لها) في الصحاح استقصره عدّه مقصرًا واستبعده عدّه بعيدًا. **قوله**: (عن مظان) جمع مظِنَّة بكسر الظاء وهي موضع الشيء ومَعْدِنه. **قوله**: (الزلفى) في المصباح الزلفة، والزلفى القربة. اهـ. عن مواضع القربة. **قوله**: (هضمًا) أي كسرًا مفعول له للاستقصار والاستبعاد. **قوله**: (بالتفريط) في المصباح فرّط في الأمر تفريطًا قصر فيه وضيعه. انتهى. أي بالتفريط في جَنْبِ الله أي طاعته. **قوله**: (مع فرط التهالك) أي كمال الحرص في لسان العرب تَهَالَكَ الرجل على المتاع والفراش سقط عليه. انتهى. وهو حال من بعض الضمائر العائدة إلى الداعي يعني أن المتضرّع إلى الله تعالى يستعمل في دعائه الحرف الموضع لنداء البعيد إشارة إلى بُعْد المرتبة بين المدعو والداعي وإلى حرص الداعي إلى استجابة دعائه والاستماع لندائه كالاعتناء التام بشأن الخطاب فيما سبق. **قوله**: (وأيّ وُصْلَة) أي جُعل وسيلة (إلى نداء ما فيه الألف واللام) أي لفظة أيَّ وأيّه الواقعان في النداء أصلهما اسم نكرة موضوعة لبعض من كل أو لفرد

الأجناس ووصف المعارف بالجمل، وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه (**اسم جنس أو ما يجري مجراه**) يتصف به (**حتى يتضح المقصود بالنداء**). فالذي يعمل فيه «يا (أي)»، أي والتابع له صفته نحو («**يا زيد الظريف**» **إلا أن** «**أيا**») لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة، (**وكلمة التنبيه المقحمة**) بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أي من الإضافة. (**وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة**

من كل ثم تعرّفت بالنداء وتوصل بها النداء ما فيه حرف التعريف لأن يا لا تدخل عليها في غير يا الله إلا شذوذًا. **قوله**: (**اسم جنس**[١]) لأنه الدّال على تعيين الماهيّة. **قوله**: (**أو ما يجري مجراه**) ما يجري مجراه الذي ومثناه ومجموعه ومؤنثها وقد يجري مجراه اسم الإشارة الموصوف بذي اللام نحو يا أيهذا الرجل.

قوله: (**حتى يتضح المقصود بالنداء**) تنبيه على أن ذلك الاسم المُزيل للإبهام هو المقصود بالنداء ولهذا التزم رفعه. **قوله**: (**أيّ**) أي هو أيّ. **قوله**: (**يا زيد الظريف**) في منتهى الأرب في لغات العرب ظريف كأمير زيرك ودانا ظُرَفاء وظُرُف ككُتُب وظراف ككتاب وظَريفون وظروف جمع. انتهى. **قوله**: (**إلا أن أيا**)... الخ إشارة إلى أن وصفه لازم بخلاف يا زيد ويا هذا. **قوله**: (**وكلمة التنبيه المقحمة**) الزائدة... الخ الإقحام إدخال شيء في شيء بشدة وعنف وأشار بذكره إلى أن ما بين الصفة والموصوف ليس موضع تخلّل شيء أجنبي وتخصيص ها التنبيه بذلك للمناسبة بينهما وبين النداء لأن النداء أيضًا تنبيه وإيقاظ للمنادى فصحّت مؤكدة للنداء.

قوله: (**وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة**) وهي أن يجعل حرف النداء لفظ يا الموضوعة لنداء البعيد وأن يجعل المنادى مُبهمًا موصوفًا باسم جنس كشفًا وبيانًا له وأن يقحم ها التنبيه زيادة إيقاظ للمنادى لاستقلال النداء على هذه الطريقة بأوجه من التأكيد وهو أن اختيار لفظ البعيد في نداء القريب يؤكد الحث على

---

(١) قوله: اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به كالناس والرجل والمرأة والقارىء والكاتب وعمر والعاقل وما أشبه هذا. ١٢ منه.

لأن ما نادى الله به عباده) من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده (أمور عظام وخطوب جسام)، يجب عليهم أن يتيقظوا لها (ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون)، فاقتضت الحال (أن ينادوا بالآكد الأبلغ). ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وحدوه. (قال ابن عباس [illegible]: كل عبادة في القرآن فهي توحيد ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمّون الآلهة أربابًا.

المدعوّ له ويقوّيه وكذلك حرف التنبيه يؤكد معنى حرف النداء وهو تنبيه المنادى وإيقاظه وأن المجيء بأيّ ثم بصفة الموضحة يتضمن أمرين كل واحد منهما يفيد تأكيد المنادى، وتقريره الأول تكرير ذكر المنادى حيث ذكر أوّلًا مبهمًا وثانيًا مُفَصَّلًا والثاني تدرّج الكلام من الإبهام إلى التوضيح ومن الإجمال إلى التفصيل فإنه أكثر تقريرًا للمراد وأثبت له في الذِّهن. قوله: (لأن ما نادى الله به عباده)... الخ تعليل للكثرة. قوله: (أمور عظام) خبر أن (وخطوب) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس. انتهى.

(جسام) في المصباح جسُم الشيء جسامة وزان ضخُم ضخامة وجَسِم جَسَمًا من باب تعب عظم فهو جسيم وجمعهِ جسَام. انتهى. قوله: (ويميلوا بقلوبهم إليها) حتى يتهيؤوا لأدائها ولو مع تعب أولًا والشوق والذوق ثانيًا (وهم عنها غافلون) لعل مراده وهم أي العباد برُمَّتهم غافلون عنها لعدم نزولها من قبل هذا النداء، فمعنى الغفلة حينئذ عدم المعرفة وهذا حاصل لجميعهم وإن أُريد بها عدم الإجابة بأسرع الإجابة فلا بدّ من قيد الأكثر كما في تفسير البيضاوي وأكثرهم عنها غافلون. قوله: (أن ينادوا بالآكد الأبلغ) وذلك ليستيقظوا عن رقدة غفلتهم ويتنبّهوا لِما نودوا لأجله وهذا المعنى راجع إلى ما ذكره بقوله ثم استعمل في مناداة مَن غفل وسَهَا.

قوله: (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)... الخ هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله ﷺ، كُنِّي بابنه العباس وهو أكبر أولاده وأُمه لبابة بنت الحارث الهلالية وكان يُقال لابن عباس حَبْر الأمة، والبحر لكثرة علمه دَعا له ﷺ بالحكمة وحنكه بريقه حين ولد وهم في الشعب وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وعاش ابن عباس بعد ابن مسعود نحو خمس وثلاثين سنة تشدّ

....

إليه الرِّحال ويقصد من جميع الأقطار ومشهور في الصحيحين تعظيم عمر بن الخطاب لابن عباس واعتداده به وتقديمه مع حداثة سِنِّه، وعاش بعده ابن عباس نحو سبع وأربعين سنة يُقصَد ويُستَفتى ويُعتَمَد، وهو أحد العبادلة الأربعة ابن عمرو، وابن عباس، وابن عمرو بن العاص، وابن الزبير. وكان ابن عباس أحد الستة من الصحابة الذين هم أكثرهم رواية عن رسول الله ﷺ وهم أبو هريرة ثم ابن عمر ثم جابر وابن عباس وأنس وعائشة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

روينا عن الإمام أحمد بن حنبل قال: ستة من أصحاب رسول الله ﷺ أكثروا الرواية عنه وعمّروا فذكرهم. وابن عباس أكثر الصحابة فتوى يُروَى كذا قاله أحمد بن حنبل وغيره. وقال علي بن المديني: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد له أصحاب يقومون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: ابن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس. وقال سفيان بن عُيينة: كان الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه. وقال عبد الله بن طاهر: كان الناس أربعة: ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه.

وذكر الأزرقي في كتاب مكة بإسناده الصحيح عن ابن جريج قال: كنّا مع عطاء في المسجد الحرام فتذاكر ابن عباس وفضله وكان ابن عبد الله بن عباس وابنه محمد في الطواف فعجبنا من تمام قامتهما وحُسْن وجوههما، فقال عطاء: وأين حُسنهما من حُسْن ابن عباس؟! ما رأيت القمر ليلة أربع عشر إلا ذكرتُ وجه ابن عباس. رُوِيَ لابن عباس عن النبي ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين.

روى البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي في باب ما يستدلّ به على معرفته لصحة الحديث عن الشافعي قال: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث، روى عنه ابن عمر وأنس وأبو الطفيل وأبو أمامة بن سهل، وروى عنه خلائق لا يُحصَون من التابعين. وُلِد ابن عباس عام الشعب في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن

....

عشر وهو ضعيف، وقيل: ابن خمس عشرة ورجّحه أحمد بن حنبل وغيره وثبت في الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: مررت في حجة الوداع على أتان بين يدي الصف والنبي ﷺ يصلّي بالناس بمِنًى وأنا غلام قد ناهزت الاحتلام، وتوفي بالطائف سنة ثمانٍ وستين قاله الواقدي وابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل وابن نمير، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة سبعين. وحكى ابن الأثير قولًا أنه سنة ثلاث وسبعين وضعَّفه وهو غريب ضعيف أو باطل وصلّى عليه محمد ابن الحنفية، وقال: اليوم مات ربّانيّ هذه الأُمة، روينا عن ميمون بن مهران قال: شهدت جنازة ابن عباس فلما وُضِعَ ليُصَلَّى عليه جاء طائر أبيض فوقع على أكفانه فدخل فيها فالتُمِس فلم يوجد فلما سوّي عليه التراب سمعنا مَن يسمع صوته ولا يرى شخصه يقرأ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: الآيات ٢٧ - ٣٠].

وروينا نحوه عن سعيد بن جبير في تاريخ دمشق وكان قد كُفَّ بصره في آخر عمره، وكذلك العباس وجدّه عبد المطّلب وكان يخضّب لحيته بالصُّفرة، وقيل: بالحِنَّاء، وحجّ بالناس حين حصر عثمان وكان لموضع الدمع من خدّي ابن عباس أثر لكثرة بكائه واستعمله علي رِضى الله تعالى عنه على البصرة ثم فارقها قبل قتل عليّ وعاد إلى الحجاز وقال عبيد الله بن عبد الله عتبة: ما رأيت أحدًا أعلم من ابن عباس بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ولا أفقه منه ولا أعلم بتفسير القرآن وبالعربية والشعر والحساب والفرائض وكان يحبس يومًا للتأويل ويومًا للفقه ويومًا للمغازي ويومًا للشعر ويومًا لأيام العرب، وما رأيت عالِمًا قطُّ جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلًا سأله إلا وجد عنده علمًا وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ ضم ابن عباس إلى صدره وقال: «**اللّهمّ علّمه الكتاب**»، وفي رواية للبخاري علّمه الحكمة، وفي رواية لمسلم: «**اللّهمّ فقِّهه**»، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه، كذا في تهذيب الأسماء وفي تفسير المظهري.

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد، فالكفّار مأمورون بإتيانها، والمؤمنون بالثّبات عليها. انتهى.

والخلق إيجاد المعدوم **(على تقدير)** واستواء، **(وعند المعتزلة)**

قوله: **(على تقدير)** وهو تعيين المقدار واستواء عطف تفسير له إذ هو افتعال من المساواة وهي المعادلة المعتبرة بالذراع والوزن والكيل وهو عين تعيين المقدار لكن هذا لا يتناول ما لا مقدار له كالجزء الذي لا يتجزَّى إلا أن يقال هذا بيان أفراده المشهورة على أن إيجاد الجزء الذي لا يتجزّى منفردًا مما يمكن أن يناقش فيه، والمعنى إيجاد الشيء على تقدير مشتملًا على تعيين قُدِّر فيما من شأنه التعيين، كان ذلك التعيين قبل الإيجاد كما هو مقتضى أصل معناه اهـ. قنوي.

قوله: **(وعند المعتزلة)** هم أول فرقة أسسوا قواعد الخلاف لما ورد به ظاهر السُّنَّة وجرى عليه جماعة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في باب العقائد وذلك أن رئيسهم أبا حذيفة واصل بن عطاء اعتزل أي رجع عن مجلس الحسن البصري يقرّر أن مُرتَكِب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة بين المنزلتين أي بين الإيمان والكفر، فقال الحسن البصري: قد اعتزل واصل بن عطاء عنّا فسُمُّوا المعتزلة، كذا أفاده العلّامة التفتازاني في شرح العقائد النسفية وغيره رحمه الله ويتبادر منه أن تسميتهم هذا القول الحسن اعتزل عنّا وقال العلّامة الموصوف في شرح الكشاف قال عبد القاهر البغدادي سُمِّي المعتزلة لأن الحسن طرده عن مجلسه حين قال المنزلة بين المنزلتين فاعتزل عنه إلى سارية من سواري مسجد البصرة وأظهر بدعته فقال الناس: إنه اعتزل الأُمة ونقل عن كتاب الغرر أنه لمّا قال واصل بالمنزلة بين المنزلتين قال عمرو بن عبيد: القول قولك وإني اعتزلت مذهب الحسن فسُمُّوا المعتزلة لذلك كذا في حاشية الفاضل العصام على شرح العقائد وفي كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للعلّامة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان عليه رحمة الله تعالى المنّان وذكر السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة المعتزلي أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مُرتَكِب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأُمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون. انتهى. وأيضًا فيه وكان أبو الخطاب قتادة بن دعامة السَّدوسي البصري تابعيًّا وكان عالِمًا كبيرًا وكان يدور

إيجاد الشيء على تقدير واستواء، وهذا بناء على أن المعدوم

البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد فدخل مسجد البصرة فإذ بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري رضي الله تعالى عنه وحلقوا وارتفعت أصواتهم فأمّهم وهو يظن أنها حلقة الحسن فلما صار معهم عرف أنها ليست هي فقال: إنما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم فمذ يومئذ سُمُّوا المعتزلة. انتهى. وهم أي المعتزلة سمُّوا أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد لقولهم بوجوب ثواب المطيع وعقاب العاصي على الله تعالى ونفي الصفات القديمة عنه ثم إنهم توغّلوا في علم الكلام وتشبثوا أي تمسكوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول وشاع مذهبهم فيما بين الناس إلى أن قال الشيخ أبو الحسن الأشعري لأُستاذه أبي علي الجبائي ما تقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مُطيعًا والآخر عاصيًا والثالث صغيرًا؟ فقال الجبائي: إن الأول يُثاب بالجنة، والثاني يعاقَب بالنار، والثالث لا يُعاقَب ولا يُثاب. قال الأشعري: فإن قال الثالث: يا ربّ لِمَ أمَتَّني صغيرًا وما أبقيتني إلى أن أبر فأُومن بك وأُطيعك فأدخل الجنة؟ فقال الجبائي: يقول الرّبّ: إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعَصَيتَ فدخلتَ النار وكان الأصلح لك أن تموت صغيرًا. قال الأشعري: فإن قال الثاني أي العاصي لِمَ لم تُمِتْني صغيرًا لئلا أعصي بك فلا أدخل النار، ماذا يقول الرّبّ؟ فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون فقال لا بل وقف حمار الشيخ في العقبة فبُهِتَ الجبائي، أي سكت وتحيَّر من غير اقتدار على التكلم وترك الأشعري مذهب الجبائي واشتغل هو أي الأشعري ومَن تبعه بإبطال رأي المعتزلة واشتغل أيضًا الشيخ أبو منصور الماتريدي بإبطال رأيهم وإثبات ما ورد به السُّنَّة ومضى عليه الجماعة فسُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة. وقوله: (واصل بن عطاء) هو أبو حذيفة المعتزلي وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة بمدينة الرسول ﷺ، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة. وقوله: (عمرو بن عبيد) هو أبو عثمان وكان شيخ المعتزلة في وقته. وقوله: (أبو الخطاب قتادة بن دعامة السَّدوسي) هذه النسبة إلى سدوس بن شيبان وهي قبيلة كبيرة. توفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط. وقيل: ثماني عشرة رضي الله تعالى عنه. وقوله: (أبو الحسن الأشعري) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحٰق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي

شـيء عـنـدهـم لأن الـشـيء مـا صـح أن يـعـلـم ويـخـبـر عـنـه عـنـدهـم،

موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وهو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السُّنَّة وإليه تُنسَب الطائفة الأشعرية وشُهرته تُغني عن الإطالة في تعريفه، وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين فجأة والأشعري بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح العين المهملة وبعدها راء هذه النسبة إلى أشعر واسمه نبت بن أدد بن زيد بن يشجب، وإنما قيل له أشعر لأن أُمه ولدته والشعر في بدنه وكان أبو الحسن الأشعري أولًا معتزليًّا ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة رَقِيَ كرسيًّا ونادى بأعلى صوته مَن عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني فأنا أُعرِّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وأن الله تعالى لا تراه الأبصار وأن أفعال الشرّ أنا أفعلها وأنا تائب مُقلِع مُعتَقِد للرّدّ على المعتزلة مُخرِج لفضائحهم ومعائبهم.

وقوله: (أبي علي) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمران بن أبان مولى عثمان بن عفّان رضي الله عنه المعروف بالجبائي إمام المعتزلة. وقوله: (الجبائي) بضم الجيم وتشديد الباء الموحّدة هذه النسبة إلى قرية من قرى البصرة. وقيل: إنها كورة وبلد ذات قرى وعمارات من نواحي حوز بغداد. وقوله: (الشيخ أبو منصور الماتريدي) اسمه محمد بن محمد بن محمود كان من كبار العلماء وكان يقال له عَلَم الهدى، وله كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي وكتاب بيان وَهْم المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يُدانيه شيء من تصانيف مَن سبقه في ذلك الفن، وله كتب شتَّى. مات رحمه الله تعالى سنة ٣٣٣ بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند، كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن علي الحنفي ورأيت بخط شيخنا قطب الدين عبد الكريم ٣٢٣ كذا في الجواهر المضيئة في تاريخ الحنفية للشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفا محمد القرشي المصري الحنفي رحمه الله. وفي مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار الإمام أبو منصور الماتريدي نسبة إلى قرية ماتريد من قرى سمرقند وهو تلميذ أبي نصر العياض تلميذ أبي بكر الجرجاني تلميذ محمد بن الحسن الشيباني من أصحاب

(وعندنا هو اسم للموجود. خلقكم بالإدغام): أو عمرو. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ احتجّ عليهم بأنه خالقهم وخالق مَن قبلهم (لأنهم كانوا مقرّين بذلك) فقيل لهم: إن كنتم مقرّين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا (الأصنام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا) فتنجوا بسببه من العذاب. (و«لعل» للترجي والإطماع) ولكنه إطماع من كريم فيجري مجرى وعده (المحتوم وفاؤه،

الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم أجمعين. انتهى. **قوله:** (وعندنا) أي عند أهل السُّنَّة والجماعة. **قوله:** (هو) أي شيء (اسم للموجود) ويدلّ على ما ادّعاه أهل السُّنَّة والجماعة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريَم: الآية ٩] فإنه دليل على أن المعدوم ليس بشيء لأن الله تعالى نفى الشيئية في حال عدمه ولو جاز لَمَا صحّ النفي وقد صحّ. **قوله:** (﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالإدغام) قرأه أبو عمرو بن العلاء بن عمار البصري أحد القرّاء السبعة كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر وهو في النحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان رأسًا في حياة الحسن البصري مقدَّمًا في عصره، توفي سنة أربع وخمسين، وقيل: تسع وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وقيل: ست وخمسين ومائة بالكوفة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (لأنهم كانوا مُقِرِّين بذلك) كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: الآية ٢٥]. **قوله:** (الأصنام) في المصباح الصنم يقال هو الوثن المُتَّخَذ من الحجارة أو الخشب. ويُروَى عن ابن عباس ويقال الصَّنم المُتَّخَذ من الجواهر المعدنية التي تذوب والوثن هو المُتَّخَذ من حجر أو خشب. وقال ابن فارس الصَّنم ما يُتَّخَذ من خشب أو نحاس أو فضة والجمع أصنام. انتهى.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا)... الخ يعني أن قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال من الضمير في اعبدوا. **قوله:** (ولعلّ للترجّي) وهو الطمع في حصول أمر محبوب ممكن الوقوع. **قوله:** (والإطماع) أي الإيقاع في الطمع. **قوله:** (المحتوم[1] وفاءه) في المصباح حتم عليه الأمر حتمًا من باب

---

(١) في لسان العرب: الحتم إحكام الأمر. اهـ. ١٢ منه.

وبه قال سيبويه. وقال قطرب): هو بمعنى «كي» أي لكي تتقوا.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ (أي صير) ومحل «الذي» (نصب على المدح

ضرب أوجبه جزمًا وانحتم الأمر وتحتم وجوبًا لا يمكن إسقاطه وكانت العرب تسمِّي الغراب حاتمًا لأنه يحتم بالفراق على زعمهم أي يُوجِبه بنُعاقه وهو من الطِّيرة ونهي عنه. انتهى. **قوله**: (وبه قال سيبويه) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمهم الله تعالى. **قوله**: (وقال قطرب) هو أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري مولى سالم بن زياد أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين وكان حريصًا على الاشتغال والتعلّم وكان يُبكِّر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة فقال له يومًا ما أنت إلا قطرب ليل فبقي عليه هذا اللقب. وقطرب اسم دُوَيبة لا تزال تدبّ ولا تفتر وهو بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضمّ الراء وبعدها باء موحدة وكان من أئمة عصره وله من التصانيف كتاب معاني القرآن وكتاب الاشتقاق وكتاب القوافي وكتاب النوادر وكتاب الأزمنة وكتاب الفِرَق وكتاب الأصوات وكتاب الصفات وكتاب العِلَل في النحو وكتاب الأضداد وكتاب خلق الفرس وكتاب خلق الإنسان وكتاب غريب الحديث وكتاب الهمزة وكتاب فعل وافعل وكتاب الرّدّ على المُلحِدين في تشابه القرآن وغير ذلك وهو أول مَن وضع المثلث في اللغة وكتابه وإن كان صغيرًا لكن له فضيلة السَّبْق. وتوفي سنة ست ومائتين رحمه الله تعالى ويقال إن اسمه أحمد بن محمد، وقيل: الحسن بن محمد والأول أصحّ والله أعلم بالصواب. والمُستنير بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء كذا في كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تأليف القاضي أحمد الشهير بابن خلكان عليه رحمة الله تعالى المنّان.

قوله: (أي صيَّر) أي جعل بمعنى صيَّر فيتعدَّى إلى مفعولين وهما ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ و﴿فِرَٰشًا﴾ ومثله ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾. **قوله**: (نصب على المدح) على أنه مفعول محذوف كأنه قيل أعني الذي أو أمدح الذي أو أخصّ الذي جعل لكم الأرض

أو رفع بإضمار هو) ﴿فِرَٰشٗا﴾ بساطًا تقعدون عليها وتنامون **(وتتقلبون)** وهو مفعول ثانٍ لجعل، **(وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كروية**

فراشًا مستقرًا تستقرون عليها استقراركم على البساط المفروش. **قوله: (أو رفع)** على المدح **(بإضمار هو)** أي هو الذي. **قوله: (وتتقلبون)** في لسان العرب تقلب في الأمور وفي البلاد تصرّف فيها كيف شاء. انتهى. **قوله: (وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كروية)**. . . الخ في منتهى الأرب في لغات العرب تسطيح برابر وهموا ركردن ويهن نمودن. وأيضًا فيه كُرَة كثبة كوي أصلها كُرُوكِرْين بضم كاف وكسرها وكَرِي وكُرَى كَهُدًى وكرات جمع. انتهى. وفي غيار اللغات كرة بضم أول وتخفيف راء مهملة بمعنى كَوى كه بدان بازي كنندوهرچيز مدوروگرد كه مثل كوى بأشد. انتهى. وفي المصباح الكرة محذوفة اللام وعُوِّض عنها الهاء والجمع كرات يقال كروت بالكرة كروًا إذا ضربتها لترتفع، النسبة إليها كريّ وكرية على لفظها انتهى. قال الحافظ العلاّمة إسماعيل القنوي رَحِمَهُ اللهُ كونها مسطحة راجحة لأنها مختار ابن عباس عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم. وظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ [الحجر: الآية ١٩؛ وق: الآية ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ١٠٧﴾ [طه: الآية ١٠٧]، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [النازعات: الآية ٣٠] يدل على كونها مسطحة وابن عباس وجمع كثير من أهل العلم أعلم باللسان وأدرى بالبيان فلا جرم أن الميل إليه مقبول لدى أُولي العرفان والكروية قول الفلاسفة. انتهى. وفي تفسير الجلالين في تفسير سورة الغاشية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠]، قوله: ﴿سُطِحَتۡ﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠] ظاهر في أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع. انتهى. وفي الحاشية المُسَمَّاة بالفتوحات الإلٰهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الحنفية للعلاّمة الشيخ سليمان الجمل رَحِمَهُ اللهُ قوله: وإن لم ينقض أي ما قاله أهل الهيئة من القواعد التي بيَّنوها ركنًا أي قاعدة فإن ما قالوه لا ينقض من أركان الشرع شيئًا فهي كرة عند علماء الهيئة بطبعها وحقيقتها لكن الله تعالى أخرجها عن طبعها وحقيقتها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لإقامة الحيوانات عليها فأخرجها عمّا يقتضيه طبعها. اهـ كرخي. انتهت. وفي حاشية العلاّمة شهاب على تفسير القاضي البيضاوي في تفسير قوله تعالى:

إذ الافتراش ممكن) على التقديرين. ﴿وَٱلسَّمَآءَ (بِنَآءً)﴾ سقفًا كقوله تعالى: (﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢]، **وهو مصدر سُمِيَ به المبنى)**. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ (مَآءً)﴾ مطرًا ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ بالماء، نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سببًا في خروجها **(كماء الفحل)** في خلق الولد وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ **(نفوس الأسباب والمواد)**، ولكن

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠] بسطت، قوله: بسطت إما على نفي كرويتها كما عليه أهل الشرع أو هو بحسب ما يراه لعظمها. انتهت. وقال الحافظ العلّامة إسماعيل القنوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٠] فيه دليل على أن الأرض مسطحة غير كروية، كما ذهب أهل الشرع ومَن ذهب إلى كرويتها يأول بأنها لعظمها ترى مسطحة فهذا بيان بحسب الحسّ ولا يخفى ضعفه. انتهى. **قوله: (إذ الافتراش ممكن)**... الخ لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها كالسطح[(١)] في افتراشه.

قوله: (﴿بِنَآءً﴾) البناء مصدر بنيت وإنما قُلِبَت الياء همزة لتطرّفها بعد ألف زائدة. **قوله**: (﴿سَقْفًا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢]) جاء التعبير به في آية أخرى فعبّر عنه هنا بالبناء إشارة إلى إحكامه. **قوله**: (﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٢]) في تفسير الجلالين في سورة الأنبياء (وجعلنا السماء سقفًا للأرض) كالسقف للبيت **(محفوظًا)** عن الوقوع. انتهى. **قوله**: (وهو) أي البناء **(مصدر سمي به المبنى)** فإن الفعال بمعنى المفعول كثير ومنه المهاد بمعنى الممهود والبساط بمعنى المبسوط. **قوله**: (ماء) الأصل في مَاءٍ مَوَه لقولهم ماهت الركية تموه وفي الجمع أمواه فلما تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها قُلِبَت ألفًا ثم أبدلوا من الهاء همزة وليس بقياس. **قوله**: **(كماء الفحل)** في المصباح الفحل الذَّكَر من الحيوان جمعه فحول وفحولة وفحال. اهـ.

قوله: **(نفوس الأسباب)** أي أعيانها وذواتها. **قوله**: **(والمواد)** في غياث اللغات مواد بفتح ميم وتشديد دال مگرفا رسيان بتخفيف خوانند جمع مادة كه بمعنى أصل هرچيزاست. انتهى باختصار.

---

(١) في إمكان الاستقرار عليه. ١٢ منه.

(له) في إنشاء الأشياء (مدرجًا) لها من حال إلى حال وناقلًا من مرتبة إلى مرتبة، (حكمًا وعبرًا للنظار) بعيون (الاستبصار). و«من» في ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتبعيض أو للبيان ﴿رِزۡقٗا﴾ مفعول (له) إن كانت «من» (للتبعيض)، ومفعول به لـ «أخرج» إن كانت (للبيان. وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار) وإن كان الثمر المخرج بماء

قوله: (له) خبر لقوله حكمًا قدِّم عليه. **قوله**: (مُدَرِّجًا) بكسر الراء على صيغة اسم الفاعل من التدريج حال من فاعل إنشاء الأشياء. **قوله**: (حكمًا) اسم لكن في غياث اللغات حكم بكسر الأول وفتح ثاني بمعنى حكمتها درينصورت جمع حكمت است. انتهى باختصار.

قوله: (وعِبَرًا) جمع عبرة وهي كالموعظة مما يتَّعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره والعبرة الاعتبار بما مضى وقيل العبرة الاسم من الاعتبار الفراء العَبَر الاعتبار قال والعرب تقول: اللّهمَّ اجعلنا ممَّن يَعْبَرُ الدنيا ولا يعبُرُها أي ممَّن يَعتَبِر بها ولا يموت سريعًا حتى يُرْضِيَك بالطاعة. كذا في لسان العرب. **قوله**: (للنُظّار) بالضم جمع ناظر. في القاموس نظره كنَصَره وسَمِعه وإليه نَظَرًا تأمّله بعينه. اهـ. باختصار، وأيضًا فيه النَّظَر مُحَرَّكة الفكر في الشيء تُقَدِّرُه وتُقَيِّسُه. انتهى. وفي لسان العرب النظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني. انتهى. **قوله**: (الاستبصار) في المصباح الاستبصار بمعنى البصيرة. انتهى. **قوله**: (للتبعيض) لأن المُنكِرين أعني ﴿مَآءٗ﴾ و﴿رِزۡقٗا﴾ يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل: وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وعليه المعنى لأنه لم ينزل الماء كله ولا أخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات. **قوله**: (للبيان) وحينئذ يكون اللام في ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للجنس دون الاستغراق.

قوله: (وإنما قيل: الثمرات[1] دون الثمر والثمار)... الخ جواب عمّا يقال إن لفظ الثمرات لكونه جمع السلامة من صيغ جمع القلّة كأفعل وأفعال وأفعلة،

---

(١) يعني أن الثمرات جمع الثمرة التي يراد بها الكثرة بناء على أن التاء للوحدة النوعية، فيتناول إفراد كثيرًا، فإنها إذا تلاحقت واجتمعت يطلق عليها الثمرة بناء على الوحدة النوعية الحاوية أفرادًا كثيرة، فالثمرات جمع الأنواع لا الأشخاص، فحينئذ يدلّ من الكثيرة ما لا يدل عليه=

السماء كثيرًا، لأن المراد جماعة الثمرة، ولأن الجموع (**يتعاور بعضها موقع بعض**

الحال أن الموضع موضع جمع الكثرة مثل الثمر والثمار لكثرة الثمار المُخرجة بماء السماء وجمع القلّة موضوع لأن يطلق على العشرة وما دونها، وجمع الكثرة لا يطلق بالحقيقة إلا على ما فوق العشرة وأجاب عنه بوجهين: الأول أن الثمرات جمع الثمرة الذي يستعمل بمعنى جماعة من أنواع الثمار وأصنافها وأجناسها فالثمرات مشتملة على إفراد كلٌ منها ثمار فإذن يفيد الثمرات ما لا يفيده الثمار ولا أقل من أن يساويه وإن كانت جمع قلة. والوجه الثاني من الجواب أن الثمرات جمع قلة وقعت موقع جمع الكثرة كجنات في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الدّخَان: الآية ٢٥] فإنه جمع قلّة استعمل في معنى جمع الكثرة إذ المراد الكثرة لأن كم للتكثير ولأن العيون لكونها جمع الكثرة تقتضيها وكلفظ قروء في قوله تعالى: ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٨] فإنه جمع كثرة وهو ظاهر وقد وقع في موضع جمع القلة أي وقع موقع أقراء مجازًا مع وجود أقراء لأن مميز الثلاثة لا يكون إلا جمع قلة والنكتة فيه أن الثلاثة من القرء سواء بمعنى الحيض كما هو مذهبنا أو بمعنى الطهر كما هو مذهب الشافعي رحمه الله لاشتمالها على أزمنة متطاولة لا سيما الطهر في حكم الكثير ولأنه في شأن المطلقات فالمدّة القليلة بالنسبة إليهنَّ فإن أيام الهموم طوال.

قوله: (يتعاور) ويستعمل (**بعضها موقع بعض**) التعاور من قولهم تعاور القوم كذا واعتوروه إذا تداولوه فأخذه مرّة هذا وتارة أخرى ذاك والمراد هنا أنه يقع كل منهما موقع الآخر أي يُستَعار أحدهما للآخر مع وجود ذلك الآخر فيكون جمع القلة للكثرة وجمع الكثرة للقلة والعلاقة التقابل فإن بين القليل والكثير تضايفًا هذا إذا كانا منكرين وأما إذا كانا معرِفَتين فلا مجاز. قيل: وهذا إذا لم يكن للَّفظ إلا جمعًا واحدًا ظاهر، وظاهر كلامهم فيه أنه حقيقة، وأما إذا كان له جمعان أو جموع فلا يقع أحدهما موقع الآخر منكرًا إلا مجازًا والداعي إلى المجاز هنا التنبيه على أن الخارج لكم وإن كان في نفسه كثيرًا لكنه بالنسبة إلى مقدرة الله تعالى قليل، وما أورد بلفظ جمع الكثرة كالثمار بالنظر إلى نفسه.

= الثمار. ١٢ منه عُفِي عنه.

لالتقائهما في الجمعية). ﴿لَكُمْ﴾ **(صفة جارية على الرزق إن أريد به العين، وإن جعل اسمًا للمعنى)** فهو مفعول به كأنه قيل رزقًا وإياكم. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ **(هو متعلق بالأمر)** أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادًا لأن أصل العبادة **(وأساسها)** التوحيد، وأن لا يجعل له ندّ ولا شريك، ويجوز أن يكون «الذي» رفعًا على الابتداء **(وخبره «فلا تجعلوا»**. **ودخول الفاء)** لأن الكلام يتضمن الجزاء **(أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة)** والدلائل النيّرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء. المثل **(والندّ ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي)**، ومعنى

قوله: (لالتقائهما) واشتراكهما **(في)** معنى **(الجمعية)** وإن تفاوتا في القلة والكثرة. **قوله: (صفة جارية على الرزق إن أُريد به العين)** بمعنى المرزوق فيكون رزقًا مفعولًا به لـ ﴿أخرج﴾ ويكون لكم ظرفًا مستقرًا صفة له ويكون قوله: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ حالًا منه والمعنى أخرج مرزوقًا كائنًا لكم هو الثمرات فلما قدّم على المبين انتصب حالًا. **قوله: (وأن ﴿جعل﴾ اسمًا للمعنى)**. . . الخ أي إذا أُريد بالرزق المصدر كانت الكاف في لكم مفعولًا به واللام لتقوية العمل لتعدّي المصدر إليه لكونه عامِلًا ضعيفًا، وإليه أشار بقوله: ﴿رزقًا﴾ إياكم فحذف اللام وفصل الضمير تنبيهًا على زيادتها ومفعوليته وح يكون ﴿من الثمرات﴾ مفعولًا به لا على أن من اسم بمعنى بعض كما قيل بل على أن تقديره شيئًا من الثمرات، وما يقال من أن معناه فأخرج بعض الثمرات فهو حاصل المعنى ويكون رزقًا بمعناه المصدري مفعولًا له ولكم ظرفًا لغوًا مفعولًا به لـ ﴿رزقًا﴾ أي أخرج بعض الثمرات لأجل أن يرزقكم. **قوله: (وهو متعلق بالأمر)** المراد بالتعلّق التعلّق المعنوي كالعطف وغيره فهو مجرد ارتباط عنهما. **قوله: (وأساسها)** في المصباح أس الحائط بالضم أصله وجمعه أساس مثل قفل وأقفال وربما قيل أَسَاس مثل عُسّ وعِسَاس والأساس مثله وجمعه أُسُسٌ مثل عَنَاق وعُنُق. انتهى. **قوله: (وخبره ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾)** على تأويل مفعول فيه لا تجعلوا. **قوله: (ودخول الفاء)**. . . الخ عبارة تفسير القاضي البيضاوي والفاء للسببية أُدخِلَت عليه لتضمّن المبتدأ معنى الشرط. انتهت. **قوله: (أي الذي حفّكم بهذه الآيات العظيمة)** أي جعلكم مُحاطين بها من قولهم حفّوا حوله، أي أحاطوا به، وحفّه بالشيء أي أحاطه. **قوله: (والندّ ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي)** بضم

قولهم: (ليس لله ندّ ولا ضد نفي ما يسدّ مسدّه ونفي ما ينافيه ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) أنها لا تخلق شيئًا ولا ترزق والله الخالق الرازق، (أو مفعول «تعلمون») متروك (أي وأنتم من أهل العلم). وجعل الأصنام لله أندادًا غاية الجهل، والجملة حال من الضمير في «فلا تجعلوا».

ولما احتجّ عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك ـ لخلقهم أحياء قادرين وخلق الأرض التي هي (مثواهم) ومستقرهم، وخلق السماء التي هي (كالقبة

الميم وكسر الواو اسم فاعل من ناواه ومعناه المعادي وأصله من النوى وهو البُعد فكنّى به أو تجوّز عن المعاداة لأن العدو يتباعد عن عدوّه ويهوى بعده ومفارقته ولما فسّر أهل اللغة الندّ بالمثل كما قاله ابن فضالة وفسّره أبو عبيد بالضدّ حتى جعله بعضهم من الأضداد. أشار المصنِّف رحمه الله إلى اتحادهما وأنه مثل مخصوص فمنهم مَن أطلق ومنهم مَن قيّد. **قوله**: (ليس لله ندّ ولا ضدّ) فيه لف.

وقوله: (ند ولا ضد) في المصباح النِّدّ بالكسر المثل والنديد مثله ولا يكون الند إلا مخالفًا والجمع أنداد مثل حمل وأحمال. وأيضًا فيه الضدّ هو النظير والكفؤ والجمع أضداد. قال أبو عمرو: الضد مثل الشيء، والضد خلافه. انتهى. **قوله**: (نفي ما يسُدُّ مَسَدَّه ونفي ما يُنافيه) فيه نشر. **وقوله**: (ما يسدّ مسدّه) وهو الند. **وقوله**: (ما ينافيه) وهو الضد. **وقوله**: (يَسُدَّ مَسَدَّه) أي يقوم مقامه في محيط المحيط سَدّ مسدّه أي قام مقامه. اهـ. وفي تاج العروس عن جواهر القاموس من المجاز هو يسدّ مسدّ أبيه ويسدّون مسدَّ أسلافهم. انتهى. **قوله**: (﴿وَأَنتُمْ﴾) الاسم من ﴿وَأَنتُمْ﴾ الألف والنون والتاء للخطاب لا موضع لها من الإعراب والميم للجمع. **قوله**: (أو مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾) متروك بالكلية بحيث لا يكون مقدّرًا ولا منويًا بأن لا يقصد تعلق الفعل به أصلًا بل ينزل منزلة اللازم ويقصد مجرّد قيامه بالفاعل واتّصافه به إيهامًا للمبالغة في ذلك الاتّصاف ولهذا قال: (أي وأنتم من أهل العلم)، وأهل العلم أصحابه من قام به والأهل في غير هذا يكون بمعنى المستحق.

قوله: (مثواهم) في المصباح المثوى بفتح الميم والعين المنزل، والجمع المثاوي بكسر الواو. انتهى. قوله (كالقبة) القبة هي المستديرة من الخيام. **قوله**: (المضروبة) في المصباح ضربت الخيمة نصبتها. انتهى.

المضروبة والخيمة المطنبة) على هذا القرار وما سوّاه عزّ وجلّ من شبه عقد النكاح **(بين المقلة والمظلة)** بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه **(النسل)** من الثمار رزقًا لبني آدم، فهذا كله دليل موصل إلى التوحيد مبطل للإشراك، لأن شيئًا من المخلوقات لا يقدر على إيجاد شيء منها، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوّة محمد ﷺ وما يقرر إعجاز القرآن فقال:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

(﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ «ما» **نكرة موصوفة أو بمعنى الذي)** ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد عليه السلام، والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء، والمملوك موجود

قوله: (والخيمة المطنبة) في لسان العرب خباء مُطَنَّب ورِواق مُطَنَّبٌ أي مشدودة بالأطناب. انتهى. والأطناب جمع طنب بفتحتين وسكون الثانية لغة الحبل تُشَدّ به الخيمة، ونحوها مثل عنق وأعناق كذا في المصباح. **قوله**: (بين المقلة) بزنة اسم الفاعل من أقله إذا حمله هي الأرض لأنهم عليها وهي تحملهم. **وقوله**: (والمظلة) بزنته من قوله أظلّه إذا جعل عليه ظلّة والمراد بها السماء. **قوله**: (النسل) في المصباح النسل الولد. انتهى.

قوله: (﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾) ﴿إِن﴾ حرف جزم ومعناه المُجازاة كقولك: إن تقم أَقُمْ، فَتَقُم مجزوم على أنه شرط بأن وأقم مجزوم بأنه جزاء فإن دخل على فَعَلَ قلب معناه إلى يفعل كما قلب لم معنى يفعل إلى فعل وأصل كنتم كونْتُم به منقول من فعَل إلى فعُل لأن الفاء منه مضموم وكان قبل اتصال التاء به مفتوحًا نحو كان فعلمنا أن الضمة ليست حركة الفاء وأنها حادثة فيها أو منقولة إليها من العين فلا معنى لأن تكون حادثة لأن الفعل يُضَمّ فاؤه إذا بُني للمفعول به نحو ضُرِبْتَ و﴿كُنتُمْ﴾ مبني للفاعل كما ترى وإذا بطل أن تكون حادثة على نفس الفاء كائنة له علمتَ أنها منقولة من العين وفيه كلام لا يليق ذكره هنا ثم نقلت حركة العين إلى الفاء فسكنت العين واللام بعدها ساكنة لاتصالها بالفاعل فحذفت العين لالتقاء الساكنين وبقيت الضمة في الفاء تدل عليها فاعرفه وقس عليه ما كان من الأفعال معتلّ العين من ذوات الواو في ريب في محل النصب بخبر كان متعلق

قهر بالاستيلاء. وقيل: نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول (**على سبيل التدريج والتنجيم وهو من محازّه لمكان التحدّي**) وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا

بمحذوف وكذلك كل ما وقع من الظروف خبرًا لكان وأخواتها ولأن وأخواتها أو مفعولًا لظننت وأخواتها نحو كان زيد في الدار، وإن زيدًا في الدار، وظننت زيدًا في الدار، فإنه يتعلق أبدًا بمحذوف فاعرفه فإنه أصل يُعتَمَد عليه.

قوله: (**ما نكرة موصوفة أو بمعنى الذي**) والعائد على كِلا القولين محذوف أي نزلناه. **قوله:** (**على سبيل التدريج**)، التدريج بمعنى الإتيان بالشيء قليلًا قليلًا. **قوله:** (**والتنجيم**) النزول قطعة قطعة آية أو آيتين. النجم في الأصل اسم للكوكب، ولما كانت العرب تُوَقِّت بطلوع النجوم لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب وإنما يحفظون أوقات السنة بالأنواع سمُّوا الوقت الذي يحلّ فيه الأداء نجمًا تجوّزًا ثم توسّعوا حتى سمّوا الوظيفة لوقوعها في الوقت الذي يطلع فيه النجم واشتقوا منه نجّمت الشيء إذا وزّعته وفرّقته، ومنه ما نحن فيه.

قوله: (**وهو**) أي التنزيل. **قوله:** (**من محازه**) أي من محاله جمع محز من قولهم أصاب المحز كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشية الكشاف وفي شرح القاموس المسمَّى تاج العروس من جواهر القاموس للإمام اللغوي محبّ الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي نزيل المصر المعزبة رحمه الله تعالى في فصل الحاء المهملة مع الزاء المحز موضع الحز أي القطع. ومنه قولهم قطع فأصاب المحز. انتهى.

قوله: (**لمكان التحدّي**) في منتهى الأرب في لغات العرب تحدّى برابري كردن دركاري وپيش خواندن خصم راو غلبه جستن. يقال تحدّيت فلانًا أي بَارَيْتُه في فعلٍ ونَازَعْتُه الغلبة. انتهى. أي هذا المقام من المواقع المناسبة لاعتبار النزول التدريجي واستعمال لفظ التنزيل لأن ذلك كان أحد أسباب طعنهم وارتيابهم في القرآن. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]، فقيل لهم: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا﴾ على التدريج منجمًا مفصَّلًا إلى السور والآيات ﴿فَأۡتُواْ﴾ أنتم بسورة من سوره ونجم من نجومه فإنه أسهل من أن ينزل القرآن جملة واحدة ويتحدّى بها.

(**من عند الله**) لم ينزل (**هكذا نجومًا سورة بعد سورة**) وآيات (**غبّ**) آيات (**على حسب النوازل وعلى سننٍ**) ما نرى عليه (**أهل الخطابة**) والشعر من وجود ما يوجد منهم (**مفرقًا حينًا فحينًا، شيئًا فشيئًا لا يلقي الناظم ديوان شعره**) دفعة، ولا يرمي

قوله: (**من عند الله**) خبر كان. **قوله**: (**هكذا**) حال من فاعل لم ينزل. **قوله**: (**نجومًا**) بدل من الحال. **قوله**: (**سورة بعد سورة**) وما عطف عليه بيان لنجومًا. **قوله**: (**غِبّ**) بالكسر بمعنى بعد في محيط المحيط بعض كتّاب المولّدين يستعمل الغِبّ بمعنى بعد. انتهى. **قوله**: (**على حسب**) متعلق بمعنى نجومًا أي مفرّقًا منجمًا على حسب النوازل بالفتح أي على قدرها وعددها. **وقوله**: (**النوازل**) جمع النازلة في لسان العرب النازلة الشديدة تنزل بالقوم وجمعها النوازل «المحكم» والنازلة الشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس نسأل الله العافية. انتهى. **قوله**: (**وعلى سَنَن**) عطف على حسب والسَّنَنُ هو الطريق. **قوله**: (**أهل الخطابة**) في لسان العرب خطب الخاطِب على المنبر واختطب يخطب خطابة. انتهى. **قوله**: (**مفرّقًا**) حال من الموصول أعني ما يوجد والعامل فيها المصدر. **قوله**: (**حينًا فحينًا**) أي موزّعًا على الأحيان. **وقوله**: (**شيئًا فشيئًا**) أي متفرّق الأجزاء والثاني عطف على الأول وكلاهما معًا بيان لمفرّقًا. **قوله**: (**لا يلقى الناظم**) تأكيد وتقرير لقوله من وجود ما يوجد منهم إلى آخره. **قوله**: (**ديوان**) أصله دِوَّان فعُوِّض[١] من إحدى الواوين ياء لأنه يجمع على دواوين ولو كانت الياء أصلية لقالوا دياوين وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء وأول مَن دوَّن الديوان عمر رضي الله تعالى عنه وهو فارسي مُعرَّب. انتهى لسان العرب بالتقاط. وفي غياث اللغات ديوان بالكسر معرب ديوان كه بياء مجهول است بمعنى جاي جمع شدن مردم ومجازًا بمعنى دفتر محاسبة وكچهري وبمعنى دار العدالت ومكان نشتن ملوك وأمرا وصاحب دار العدالت وصاحب مسند وبمعنى داد وفرياد وما جرا وبمعنى كتاب غزلها. انتهى.

قوله: (**شعره**) في المصباح الشعر العربي هو النظم الموزون وحده ما تركّب تركّبًا متعاضدًا وكان مُقَفًّى موزونًا مقصودًا به ذلك فما خلا من هذه القيود أو من

---

(١) قوله: فعوّض للتخفيف. ١٢ منه عُفِي عنه.

الناثر (**بخطبه ضربة**)، فلو أنزله الله لأنزله جملة قال الله تعالى: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]، **فقيل**:) إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على تدريج (﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ﴾) أي (**فهاتوا**) أنتم (**نوبة**) واحدة من

بعضها فلا يسمى شعرًا ولا يسمى قائله شاعرًا ولهذا ما ورد في الكتاب أو السُّنَّة موزونًا فليس بشعر لعدم القصد أو التقفية. وكذلك ما يجري على ألسنة بعض الناس من غير قصد لأنه مأخوذ من شعَرْتُ إذا فَطِنْتُ وعلمت وسُمِّي شاعر الفطنة وعلمه به فإذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به. انتهى. **قوله**: (**بخطبه**) في لسان العرب الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب. انتهى. وأيضًا فيه وذهب أبو إسحٰق إلى أن الخطبة عند العرب الكلام المنثور المُسَجَّع ونحوه. انتهى. وأيضًا فيه والخطبة مثل الرسالة لها أول وآخر. انتهى. **قوله**: (**ضربة**) أي دفعة. **قوله**: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا﴾ [الفرقان: الآية ٣٢]) هلّا (﴿نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: الآية ٣٢])، كالتوراة والإنجيل والزبور. **قوله**: (**فقيل**) عطف على كانوا يقولون. **قوله**: (﴿فَأۡتُواْ﴾) أصل ﴿فَأۡتُواْ﴾ ائتيوا مثل اضربوا فالهمزة الأولى همزة وصل أتى بها للابتداء بها لتعذّر الابتداء بالساكن والثانية فاء الكلمة قُلِبَت الثانية ياء لكسرة ما قبلها دفعًا لثقل المتكرِّر واستثقلت الضمة على الياء التي هي لام الكلمة فنقلت إلى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم حذفت لاجتماع الساكنين فصار ائتوا فلما اتصلت الكلمة بالفاء الجزائية استغني عن همزة الوصل فسقطت كما هو الأصل في همزات الوصل فعادت الهمزة التي هي فاء الكلمة لأنها إنما قُلِبَت ياء للكسرة التي كانت قبلها وقد زالت. وفي الجمالين قال تعالى: ﴿فَأۡتُواْ﴾ الأمر للتعجيز. انتهى. **قوله**: (**فهاتوا**[1]) في لسان العرب هات يا رجل بكسر التاء أي أعطني وللاثنين هاتيا مثل آتيا وللجمع هاتوا وللمرأة هاتي بالياء وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاتين. انتهى. وأيضًا فيه قال الخليل: أصل هاتِ من أتى يؤتى فقُلِبَت الألف هاء. انتهى. **قوله**: (نوبة) والجمع نُوَب مثل قرية وقرى كذا في المصباح وفي غياث اللغات نوبت بالفتح وقت چيزى وبمعنى مصيبت وكرت ومرتبه ازمنتحب. انتهى.

---

(١) قوله: فهاتوا، هات الشيء أعطني. ١٢ منه عُفِي عنه.

نوبه، (وهلموا) نجمًا فردًا من نجومه سورة من أصغر السور. (والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات. وواوها) إن كانت أصلًا فإما أن تسمى بسورة المدينة وهو حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة (محوزة) على (حيالها)

قوله: (وهلمّوا[1]) في المصباح هلمّ كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال تعال. قال الخليل: أصله لُمَّ من الضم والجمع ومنه لَمَّ اللهُ شَعَثَه وكأنّ المنادى أراد لمّ نفسَك إلينا وها للتنبيه وحذفت الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال وجعلا اسمًا واحدًا وقيل أصلهما هَلْ أُمّ أي قصد فنقلت حركة الهمزة إلى اللام وسقطت ثم جُعِلا كلمة واحدة للدعاء وأهل الحجاز ينادون بها بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع وعليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: الآية ١٨] وفي لغة نجد تلحقها الضمائر وتطابق فيقال هَلُمّي وهَلُمَّا وهَلُمُّوا وهَلْممن لأنهم يجعلونها فعلًا فيلحقونها الضمائر كما يلحقونها قم وقوما وقوموا وقمْنَ وقال أبو زيد استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عقيل وعليه قيس بعد وإلحاق الضمائر من لغة بني تميم وعليه أكثر العرب وتستعمل لازمة نحو: هلمّ إلينا أي أقبِل ومتعدية نحو: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٠]، أي أحضروهم. انتهى.

قوله: (والسورة الطائفة من القرآن) الطائفة من الناس جماعة ومن الشيء قطعة وهذا هو المراد يريد تفسير سورة القرآن وإلا فلفظ السورة يطلق على الطائفة من سائر الكتب السماوية كما رُوِيَ أن من سور الإنجيل سورة الأمثال ورُوِيَ أيضًا أن سائر ما أوحى الله تعالى إلى أنبيائه سورة مترجمة (المترجمة) الترجمة تكون بمعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى والناقل ترجمان بفتح الجيم أو بضمّها وبمعنى مطلق التبليغ وبمعنى التسمية وهو المراد هنا أي المسماة والملقبة باسم مخصوص كسورة الفاتحة وسورة الإخلاص (التي أقلها ثلاث آيات) المراد به أن جنس تلك الطائفة المسماة بالسورة متفاوت (قلة وكثرة) في أفرادها وغاية قلتها ثلاث آيات. **قوله**: (وواوها) أي واو السورة. **قوله**: (محوزة) أي مجتمعة على (حيالها) أي انفرادها عن غيرها والحاصل أنها مستقلة

---

(١) قوله: وهلموا، هلمّ زيد، أي قربه وأحضره. ١٢ منه.

كالبلد المسور، أو لأنها (**محتوية على فنون من العلم**) وأجناس من الفوائد (**كاحتواء سور المدينة على ما فيها**)، وإما أن تُسمى بالسورة (**التي هي الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارىء، وهي أيضًا في نفسها مرتبة**

ممتازة بحيِّز يخصّها. **قوله**: (**محتوية**) گرد اگرد گيرنده ومحيط شونده في منتهى الأرب احْتَوَاهُ واحتوى عليه كردكردن آنراوفراگرفت ازهرسوي وفرازآمدبروي. انتهى.

وقوله: (**على فنون**) أي أنواع (**من العلم**) نوع منه متعلق بالاعتقاد ونوع آخر بالعمليات ونوع آخر بالأخلاق وبالقصص والأمثال في المصباح الفن من الشيء النوع منه والجمع فنون مثل فلس وفلوس. اهـ. **قوله**: (**كاحتواء سور المدينة على ما فيها**) إشارة إلى وجه الشبه وهو الاحتواء المشترك بينهما وإن لم يكن بين المحتويين مناسبة. **قوله**: (**التي هي الرتبة**) في المصباح رتّب الشيء رتوبًا من باب قعد استقر ودام فهو راتب ومنه الرتبة وهي المنزلة والمكانة والجمع رتب مثلا غرفة وغرف. انتهى.

قوله: (**لأن السور**) بفتح الواو وجمع سورة مثل غرفة وغرف (**بمنزلة المنازل والمراتب يترقّى فيها القارىء**) تعليل لقوله وأما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة وبيان وجه المشابهة أي أن سورة القرآن كالمنازل المرتبة في العلو لكن لا في أنفسها بالنسبة إلى القارىء فإن القارىء يترقّى فيها بالقراءة فيترقّى من سورة إلى سورة، فالرتبة حسّيّة أو يترقّى من ظاهرها إلى باطنها ومن نكتة إلى نكتة أخرى أكبر من أختها بتصفية الباطن وتحصيل الحدّ المُطَّلع فالرتبة معنوية وهذا ممكن في المنازل فإن السالك في قطع المنازل كلما ترقّى من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها حِسًّا ترقى العارف حين سيره حِسًّا من مرتبة العرفان إلى مرتبة أخرى بمشاهدة آثار القدرة وأسرار العناية ومائدة الهداية ويستوي لديه البداية والنهاية فإن أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين فيما يعنّ له في كل حين ويؤيده ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [طه: الآية ١٠] من أن المراد هاديًا يهديني إلى أبواب الدين. **قوله**: (**وهي أيضًا في نفسها**) مع قطع النظر عن القارىء (مرتبة) (طوال وأوساط وقصار) **لأنها** في أنفسها منفصلة بعضها عن بعض متفاوتة في الطول والقصر والتوسط والفضل

طوال وأوساط وقصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين. وإن كانت) منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء. وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سورًا فهي كثيرة، ولذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السورة، وبوّب المصنّفون في كل فن كتبهم أبوابًا **(موشحة)** الصدور بالتراجم. منها **(إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع**

والشرف والثواب فالرتبة ح حسّيَّة ومتفاوتة أيضًا في الشرف والفضل باعتبار اشتماله التوحيد والعرفان وبيان صفاته العُلى كما ورد أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فلكل شرف وفضل بالنسبة إلى غيره واشتماله الفصاحة والبلاغة والإعجاز بعذوبة نظمه وجزالة معانيه لكن لبعض منه شرف وفضل بأكثرية الثواب على بعض منه بالاعتبار المذكور فلا محذوف فعلى هذا الرتبة معنوية. **وقوله: (طوال)** بكسر الطاء جمع طويل ككريم وكرام والطوال بالضم الرجل الطويل وبالفتح المرأة الطويلة.

وقوله: (وأوساط) جمع وسط بفتح السين ما بين القصار والطوال. **وقوله: (وقصار)** بكسر القاف جمع قصيرة. **قوله: (أو لرِفعَة شأنها وجلالة محلها في الدين)** قال العلّامة السيد الشريف رحمه الله في حاشية الكشاف: ثم إن الرتبة إن جعلت حسّيَّة فلأن السور كمنازل يترقّى فيها القارىء ويقف عند بعضها أو لأنها في أنفسها منازل منفصلة بعضها من بعض متفاوتة في الطول والقصر والتوسط وإن جعلت معنوية فليتفاوت رفع شأنها وجلالة محلها في الدين كأن واحدة منها رتبة من تلك المراتب. **قوله: (وإن كانت)** أي واو السورة. **قوله: (موشحة)**[١] بضم ميم وفتح واو وفتح شين معجمة مشددة وحاء مهملة زيورداده شده وآراسته صيغة اسم مفعول ازتوشيح وتوشيح درلغت وشاح دركردن انداختن است ووشاح بضم وكسر حمائل وكلوبند مرصع راكوبندكه نوعي اززيور زنان است كذا في غياث اللغات.

قوله: (إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع) في كتاب الكليات للعلّامة أبي البقاء الحسيني الكفوي الحنفي رحمه الله الجنس هو عبارة عن لفظ يتناول كثيرًا ولا

---

(١) أي: مزينة. ١٢ منه.

واشتمل) على أصناف كانٍ أحسن من أن يكون **(بيانًا واحدًا)**، ومنها أن القارىء

تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير كالجسم وإن تناول اللفظ كثيرًا على وجه تتم ماهيّته بفرد منه يسمى نوعًا كالإنسان ثم هذا الفرد الذي تتم به ماهية النوع يسمى فصلًا وهذا عند المتكلمين والمناطقة. انتهى. وأيضًا فيه والجنس الخاص ما يشتمل على كثيرين متفاوتين في أحكام الشرع كالإنسان والنوع الخاص هو ما يشتمل على كثيرين متفقين في الحكم كالرجل والعين الخاص هو ما له معنى واحد حقيقة كزيد والجنس العالي هو الذي تحته جنس وليس فوقه جنس كالجوهر على القول بجنسيته والجنس السافل هو الذي فوقه جنس وليس تحته جنس كالحيوان لأنه الذي تحته أنواع الأجناس والجنس المتوسط هو الذي فوقه جنس وتحته جنس كالجسم النامي والجنس المنفرد هو الذي ليس فوقه جنس ولا تحته جنس. قالوا: لم يوجد له مثال. انتهى. وأيضًا فيه والجنس ضرب من الشيء والنوع أخصّ منه يقال تنوّع الشيء أنواعًا فالإبل جنس من البهائم وعند الأصولي الجنس أخصّ من النوع. والنوع في عُرْف الشرع قد يكون نوعًا منطقيًا كالفرس وقد لا يكون كالرجل فإن الشرع يجعل الرجل والمرأة نوعين مختلفين نظرًا إلى اختصاص الرجل بالأحكام. والجنس عند النحويين والفقهاء هو اللفظ العامّ فكل لفظ عمّ شيئين فصاعدًا فهو جنس لما تحته سواء اختلف نوعه أو لم يختلف، وعند آخرين لا يكون جنسًا حتى يختلف بالنوع نحو الحيوان فإنه جنس للإنسان والفرس والطائر ونحو ذلك فالعامّ جنس وما تحته نوع وقد يكون جنسًا لأنواع ونوعًا لجنس كالحيوان فإنه نوع بالنسبة إلى الجسم وجنس بالنسبة إلى الإنسان والفرس، والجزء المحمول إن كان تمام المشترك لحقيقتين فهو الجنس وإلا فهو الفصل، والفصل قد يكون خاصًا بالجنس كالحسّاس للنامي مثلًا فإنه لا يوجد لغيره وقد لا يكون كالناطق للحيوان عند مَن يجعله مقولًا غير الحيوان كبعض الملائكة مثلًا. والجنس فيه معنى الجمع لكونه معروض الكثرة ذِهنًا أو خارجًا وكذا الجمع فيه معنى الجنس لأن كل فرد منه يتضمنه لكن الجنس ما يمكن أن يكون معروض الوحدة والكثرة وأما في الجمع ليس كذلك والجنس الجمعي إذا زِيدَ عليه التاء نقص معناه كتمر وتمرة وكل جمع جنس وليس كل جنس جمعًا. انتهى. **قوله: (واشتمل)** أي الجنس على أصناف مندرجة تحت أنواعه المنطوية فيه. **قوله: (بيانًا واحدًا)** أي ضربًا واحدًا.

إذا ختم سورة أو بابًا من الكتاب ثم أخذ في آخر (كان أنشط) له (**وأبعث على الدرس والتحصيل منه**) لو استمر على الكتاب بطوله، ومن ثم (**جزّأ**) القراء القرآن أسباعًا وأجزاء (**وعشورًا وأخماسًا**)، ومنها أن الحافظ إذا (**حذق السورة**) اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه (**ويجلّ**) في نفسه، (**ومنه حديث أنس** ﵁) كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران

قوله: (كان أنشط وأبعث على الدرس والتحصيل منه)... الخ الظاهر أن ضمير كان ومنه للقارىء أي كان القارىء على تقدير الختم ثم الأخذ أشدّ تنشيطًا لنفسه منه على تقدير الاستمرار على تمام الكتاب من غير ختم لشيء ثم أخذٍ في شيء أو أشد نشاطًا للآخر والأخذ فيه. **قوله**: (جزأ) في المصباح جزأته تجزيئًا جعلته أجزاء متميزة فتجزأ تجزئة وجزأته من باب نفع لغة. انتهى. القراء في المصباح الفاعل قارىء وقرأة وقُرّاء وقارئون مثل كافر وكفرة وكفار وكافرون. انتهى. أسباعًا في المصباح السبع بضمتين والإسكان تخفيف جزء من سبعة أجزاء والجمع أسباع. انتهى. وأجزاء في المصباح الجزء من الشيء الطائفة منه والجمع أجزاء مثل قفل وأقفال. انتهى. (وعشورًا) في لسان العرب العُشُر والعشير جزء من عشرةٍ يطَّرِد هذان النبئان في جميع الكسور والجمع، أعشار وعشور وهو المعشار. انتهى. (وأخماسًا) في المصباح الخمس بضمتين وإسكان الثاني لغة. والخميس مثال كريم لغة ثالثة هو جزء من خمسة أجزاء والجمع أخماس. انتهى. **قوله**: (حذق[1] السورة) بزنة ضرب بحاء مهملة وذال معجمة وقاف أي أتمّها وقطّعها من قولهم حذّق السكين الشيء أي قطعه. قال الجوهري: يقال: حذق الصبي القرآن إذا مَهَرَ فيه. **قوله**: (يجلّ) في المصباح جلّ الشيء يجلّ بالكسر عظم. انتهى.

قوله: (ومنه حديث أنس رضي الله عنه) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بفتح الضادين المعجمتين ابن زيد بن حرام بالراء ابن جندب بضم الدّال وفتحها ابن عامر بن غنم بفتح الغين المعجمة وإسكان النون ابن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة الأنصاري الخزرجي

---

(١) أي أتم قراءتها مجاز من قولهم: سكين حاذق، أي قاطع كما في الأساس وغيره. ١٢ منه.

(جلّ فينا). (ومن ثم) كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾

النجاري البصري خادم رسول الله ﷺ كان يُنمى بذلك ويفتخر به وحُقّ له ذلك كنّاه رسول الله ﷺ أبا حمزة ببقلة كان يحبّها وأُمه أُم سُلَيم خدم أنس النبي ﷺ عشر سنين وهي مدة إقامته بالمدينة ﷺ ثبت ذلك في الصحيح وحمل عنه حديثًا كثيرًا فروى ألفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثًا اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وثمانية وستين وانفرد البخاري بثلاثة وثمانين ومسلم بأحد وسبعين وكان أكثر الصحابة أولادًا لدعاءِ رسول الله ﷺ. روينا في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: دخل النبي ﷺ على أُم سليم يعني أُمه فأتته بتمر وسمن فقال: أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه ثم قام إلى ناحية البيت فصلّى غير المكتوبة فدعا لأُم سليم وأهل بيتها فقالت: يا رسول الله إن لي خُوَيْجة، قال: «**وما هي**»؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به: «**اللَّهمّ ارزقه مالًا وولدًا وبارك له**» قال فإني لمن أكثر الأنصار مالًا وحدَّثتني بنتي أمينة أنه دفن لصلبي إلى مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة هذا لفظ البخاري واتفق العلماء على مجاوزة عمره مائة سنة والصحيح الذي عليه الجمهور أنه توفي سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة تسعين، وقيل: إحدى وتسعين، وقيل: اثنتين وتسعين، وقيل: خمس وتسعين، وقيل: سبع وتسعين. وثبت في الصحيح أنه كان قبل الهجرة عشر سنين فعمره فوق المائة كما ترى وأما ما نقل عن حميد أن عمر أنس مائة إلا سنة فشاذ مردود، وتوفي بالبصرة خارجها على نحو فرسخ ونصف ودفن هناك في موضع هناك يُعرَف بقصر أنس رضي الله تعالى عنه وكان له بستان يحمل في سنة مرتين وكان فيه ريحان يجيء منه ريح المسك وكان أحد الرّماة المُصيبين قال محمد بن عبد الله الأنصاري خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه قال ابن قتيبة في المعارف ثلاثة من أهل البصرة لم يموتوا حتى رأى كل واحد منهم مائة ذكر من صلبه أنس بن مالك وأبو بكرة وخليفة بن بدر روى البخاري في تاريخه عن قتادة لمّا مات أنس قال مورِّق: ذهب اليوم نصف العلم، قيل له: كيف ذلك؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا تَعَالَ إلى مَن سمعه من النبي ﷺ كذا في تهذيب الأسماء. **قوله:** (جلّ فينا) أي عظم في أعيننا. **قوله:** (ومن ثم) في المصباح ثم بالفتح اسم إشارة

متعلّق بـ «سورة» صفة لها والضمير لما نزلنا **(أي بسورة كائنة من مثله)** يعني فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان والغريب **(وعلو الطبقة)** في حسن النظم، أو لعبدنا أي فأتوا بمَن هو على حاله من كونه **(أُميًا)** لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء. **(ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك)**. وردّ الضمير إلى المنزل أولى لقوله

إلى مكان غير مكانكم. انتهى. وفي لسان العرب ثم بفتح الثاء إشارة إلى المكان. انتهى. وأيضًا فيه ثم في المكان إشارة إلى مكان متراخٍ عنك وإنما منعت ثم الإعراب لإبهامها وأما هنا فهو إشارة إلى القريب منك وثم بمعنى هناك وهو للتبعيد بمنزلة هنا للتقريب قال أبو إسحٰق: ثم في الكلام إشارة بمنزلة هناك زيد وهو للمكان البعيد منك ومنعت الأعراب لإبهامها وبُنِيَت على الفتح لالتقاء الساكنين وثمة أيضًا بمعنى ثم. انتهى ملتقطًا. وفي حاشية العلّامة الصبّان على شرح العلّامة الأشموني على ألفيَّة ابن مالك في النحو وقد تلحقها وقفًا هاء السكت وقد يجري الوصل مجرى الوقف وقد تلحقها تاء التأنيث كربة كذا رأيته في غير موضع ومقتضى التشبيه بربة جواز فتح التاء وإسكانها. انتهت. **قوله**: **(أي بسورة كائنة من مثله)** يعني على تقدير كونه صفة كونه ظرف مستقر بخلاف ما إذا كان صلة فأتوا فإنه ظرف لغو. **قوله**: **(وعلو الطبقة)** في المصباح علا الشيء **علوًا** من باب قعد ارتفع. انتهى. وفي لسان العرب الطبقة الحال. انتهى. **قوله**: **(أُمِّيًا)** في المصباح الأُميّ في كلام العرب الذي لا يُحسِن الكتابة، فقيل نسبته إلى الأم لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته أُمه من الجهل بالكتابة. وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أُمِّيين. انتهى.

قوله: **(ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك)** يعني ليس القصد إلى أن هناك مثلًا محقّقًا يطلب الإتيان بسورة منه كما إذا قيل ائتوا بمسألة من مثل أبي حنيفة ويُراد أبو يوسف رضي الله تعالى عنهما بل المراد بالمثل ما هو على صفة القرآن في كمال البلاغة أو مَن هو مثل محمد ﷺ في كونه عربيًا أُمِّيًا وهو وإن كان موجودًا محقّقًا إلا أنه لم يقصد به واحد بعينه بل قصد مَن هو على صفته أيًا كان. **وقوله**: **(إلى مثل)** أي شبيه. **وقوله**: **(ونظير)** في المصباح النظير المثل المساوي وهذا نظير هذا أي مُساويه والجمع نظراء. انتهى. **وقوله**: **(هنالك)** في منتهى الأرب في لغات العرب وهنا وهٰهنا بالضم إينجا وهما للقريب إذا أشَرْتَ إلى مكان وهُناك

تعالى: (﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]، ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾) [هود: الآيـة ١٣]. (﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾) [الإسـراء: الآيـة ٨٨].

وهنالِك آنجا وهما للبعيد واللام زائدة والكاف للخطاب وفيها دليل على التبعيد يُفتَح للمذكَّر ويُكسَر للمؤنث. انتهى. **قوله**: (﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس:الآية ٣٨]) في تفسير الجلالين في سورة يونس (﴿أَمْ﴾ [الآية ٣٨]) بل (﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) اختلقه محمد ﷺ (﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فإنكم عربيون فصحاء مثلي (﴿وَٱدْعُواْ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) للإعانة عليه (﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) أي غيره (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: الآية ٣٨]) في أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك. انتهى. **قوله**: (﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: الآية ١٣]) في تفسير الجلالين في سورة هود (﴿أَمْ﴾ [الآية ١٣]) بل (﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [هود: الآية ١٣] أي القرآن (﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: الآية ١٣]) في الفصاحة والبلاغة (﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: الآية ١٣]) فإنكم عربيون فصحاء مثلي. تحدّاهم بها أولًا ثم بسورة (﴿وَٱدْعُواْ﴾ [هود: الآية ١٣]) للمعاونة على ذلك (﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ٣٨] **أي غيره** ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: الآية ١٣]) في أنه افتراء. انتهى. **قوله**: (﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الآية ٨٨]) في تفسير الجلالين في سورة بني إسرائيل (﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية ٨٨]) في الفصاحة والبلاغة (﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]) معينًا نزل ردًّا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا. انتهى. وفي السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير للشيخ الإمام الخطيب الشربيني قدّس الله روحه وعمَّ بالرحمة ضريحه في تفسير سورة يونس في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الآية ٣٨].

تنبيــه:

مراتب تحدّي رسول الله ﷺ بالقرآن ستة:

أولها: أنه تحدّاهم بكل القرآن، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾

ولأن الكلام مع ردّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبًا. **(وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه)** فإن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزّل من عند الله فهاتوا أنتم **(نبذًا)** مما يماثله. وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودًا إلى رسول الله ﷺ أن يقال: وإن ارتبتم في أن محمدًا منزّل عليه فهاتوا قرآنًا من مثله، ولأن هذا التفسير **(يلائم)** قوله: ﴿(وَادْعُواْ) شُهَدَآءَكُم﴾ **(جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة**

[الإسراء: الآية ٨٨]. ثانيها: أنه تحدّاهم بعشر سور، فقال تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: الآية ١٣]. ثالثها: أنه تحدّاهم بسورة واحدة، كما قال تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾. رابعها: أنه تحدّاهم بحديث مثله. خامسها: أن في تلك المراتب الأربعة كان يطلب منهم أن يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله ﷺ في عدم التلمذة والتعلّم، ثم في هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من أيّ إنسان سواء تعلّم العلوم أم لم يتعلّمها. سادسها: أن في المراتب المتقدمة تحدّي واحد من الخلق وفي هذه المرتبة تحدّي جميعهم وجوَّز أن يستعين البعض بالبعض في الإتيان بهذه المعارضة كما قال تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: الآية ٣٨] وهٰهنا آخر المراتب فهذا مجموع الدلائل التي ذكرها الله تعالى في إثبات أن القرآن مُعجِز. انتهى. **قوله: (وذلك أن الحديث)** أي البحث **(في المنزّل لا في المنزل عليه وهو مَسوق إليه)** ومربوط به فحقه أن لا يفكّ عنه بردّ الضمير إلى غيره. **قوله: (نبذًا)** أي شيئًا قليلًا كذا في الصحاح. **قوله: (يلائم)** بهمزة بعد ألف وتبدل ياء كثيرًا أي يوافق ويناسب.

قوله: (وادعوا[١]**)** أصله ادعووا بواوين الأولى مضمومة وهي لام الكلمة والثانية ساكنة وهي واو الجماعة فاستثقلت الضمة على الواو الأولى فحذفت الضمة فاجتمع ساكنان فحذفت الواو الأولى التي هي لام الكلمة. **قوله: (جمع شهيد)** لا جمع شاهد. **قوله: (بمعنى الحاضر)** قدَّمه لأنه الأصل إذ التركيب أي تركيب لفظ الشهيد موضوع للحضور. **قوله: (أو القائم بالشهادة)** ولم يقل أو الشاهد لمكان الالتباس فإنه وإن كان شائعًا في معنى القائم بالشهادة لكنه محتمل بمعنى الحضور

---

(١) وزن ادعوا افعوا؛ لأن لام الكلمة محذوفة. اهـ سمين. ١٢ منه.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ **أي غير الله وهو متعلّق بـ«شهداءكم» أي ادعوا)** الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق **(أو مَن يشهد لكم بأنه مثل القرآن** ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) إن ذلك **(مختلق)** وأنه من كلام محمد ﷺ. وجواب الشرط محذوف يدلّ عليه ما قبله أي إن كنتم صادقين في دعواكم **(فأتوا أنتم بمثله)** واستعينوا بآلهتكم على ذلك.

والشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور فمعنى الحضور معتبر فيه أيضًا لكن الحضور فيه بالقلب لما أن الشهادة لا مساغ لها إلا عن قلب حاضر ويقين تام والأولى أن الحضور فيه تشخصه حين أداء الشهادة في مجلس الشهادة وتقابله بالحاضر تقابل الخاص بالعام أو تقابل المقيَّد بالمطلق. **قوله: (أي غير الله وهو متعلق بـ** ﴿شُهَدَآءَكُم﴾) أي إن دون مستعمل في معنى التجاوز على أنه ظرف مستقر حال من الشهداء وهذا معنى التعلق بـ ﴿شُهَدَآءَكُم﴾. **قوله: (أي**[1] **ادعوا)**. . . الخ أي ادعوا للاستظهار في معارضة القرآن أصنامكم الذين يزعمون أنهم يشهدون يوم القيامة أنكم على الحق، فالشهيد بمعنى القائم بالشهادة يوم القيامة لا في الدنيا، وزعم أنهم يشهدون لهم يوم القيامة إن كان يوم القيامة واقعًا. **قوله: (أو مَن يشهد لكم بأنه مثل القرآن)** أي أو ادعوا شهداءكم أي أشرافكم ورؤساءكم ليشهدوا أنكم أتيتم بمثل القرآن متجاوزين أولياء الله المؤمنين فإنهم لا شهادة لهم في ذلك - يعني أن أشرافكم أيضًا لا يشهدون بذلك لظهور بُطلانه. **قوله: (مُختَلق)** أي مُفتَرَى. **قوله: (فأتوا أنتم بمثله)** فإنه لو جاء به فرد من أفراد البشر من قبله ومن عند نفسه لوجب أن تكونوا قادرين على إتيان مثله لا سيما عند استعانتكم بأعوانكم ومن المعلوم أنه ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨] وأن كون المتحدّى مُعجزًا دليل قطعي على أن المُنَزَّل عليه صادق في دعوى النبوّة وليس قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ جوابًا للشرطين على سبيل التنازع لأن البصريين لا يجوّزون تقدّم الجزاء على الشرط ويجعلون ما تقدم عليه دليل الجزاء بخلاف الكوفيين فإنهم يجوّزون تقدّمه عليه.

---

(١) والمعنى: فادعوا للمعارضة الذين اتّخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتّخاذها كذلك. ١٢ منه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرّفون صدق النبيّ ﷺ، قال لهم: (**فإذا لم تعارضوه وبانَ عجزكم**) ووجب تصديقه (**فآمنوا وخافوا**) العذاب (**المعَدّ**) لمن كذب (**وعاند. وفيه دليلان على إثبات النبوّة صحة**) كون المتحدّى به معجزًا، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله. ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالشكوك فيه (**لديهم**

قوله: (**فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم**) إشارة إلى معنى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ وفيه إيماء إلى أن كلمة (إن) في الآية وقعت موقع إذا لما سيجيء وإنها للاستمرار دون مجرد الاستقبال. **قوله**: (**بان**) في المصباح بان الأمر يبين فهو بيِّن وجاء بائن على الأصل وأبان إبانة وبيّن وتبيّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف والاسم البيان وجميعها يُستعمل لازمًا ومتعديًا إلا الثاني فلا يكون إلا لازمًا. انتهى. **قوله**: (**فآمنوا وخافوا**) إشارة إلى معنى قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾. **قوله**: (**المعدّ**) في المصباح أعددته إعدادًا هيّأته وأحضرته. انتهى.

قوله: (**عاند**) في لسان العرب عاند معاندة أي خالف وردّ الحق هو يعرفه فهو عنيد وعاند. انتهى. **قوله**: (**وفيه دليلان على إثبات النبوّة صحة**) أي في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ دليلان على صحة النبوة أحدهما ثبوت كون القرآن مُعجِزًا وثانيهما الإخبار بالغيب.

قوله: (**لديهم**) أي عندهم في المصباح لدن ولدى ظرفا مكان بمعنى عند إلا أنهما لا يستعملان إلا في الحاضر، يقال **لدُنْه** مال إذا كان حاضرًا ولَدَيْه مال كذلك وجاءه من لدُنَّا رسول أي من عندنا وقد يستعمل لَدَيْ في الزمان وإذا أُضيفت إلى مضمر لم تُقلَب الألف في لغة بني الحارث بن كعب تسوية بين الظاهر والمضمر فيقال لداه ولداك وعامة العرب تقلبها ياء فتقول لديك و**لديه** كأنهم فرّقوا بين الظاهر والمضمر بأن المضمر لا يستقلّ بنفسه بل يحتاج إلى ما يتصل به فتُقلَب ليتصل به الضمير ولدى اسم جامد لا حظ له في التصريف والاشتقاق فأشبه الحرف، نحو إليه وإليك وعليه وعليك وأما ثبوت الألف في نحو رماه وعصاه فعلًا واسمًا فلأنه

لاتكالهم على فصاحتهم وإعتمادهم على بلاغتهم، سيق) الكلام معهم (على حسب حسبانهم فجيء) بـ («إن» الذي للشك دون «إذا» الذي للوجوب)، وعبَّر عن الإتيان بالفعل لأنه فعل من الإفعال.

أعلّ مرة قبل الضمير فلا يعلّ معه لأن العرب لا تجمع إعلالين على حرف. انتهى. **قوله: (لاتّكالهم)** أي اعتمادهم **(على فصاحتهم واعتمادهم على بلاغتهم)** في المصباح توكّل على الله اعتمد عليه ووثق به واتّكل عليه في أمره، كذلك والاسم التّكلان بضم التاء. انتهى.

وقوله: (فصاحتهم) إلى قوله: بلاغتهم الفصاحة وهي في الأصل أي اللغة تُنبِيء عن الظهور والإبانة أي[1] البيان يوصف بها المفرد مثل كلمة فصيحة ويوصف بها الكلام مثل كلام فصيح وقصيدة فصيحة ويوصف بها المتكلم أيضًا، يقال كاتب أي ناثر أي مُنشيء النثر فصيح وشاعر أي مُنشيء الشعر فصيح والبلاغة وهي تُنبيء عن الوصول والانتهاء يوصف بها الأخيران فقط أي الكلام والمتكلم دون المفرد فالفصاحة في المفرد خُلُوصه[2] أي خلوص المفرد من تنافر الحروف والغرابة والمخالفة القياس. والمراد من الخلوص لازمه وهو عدم الاتّصاف وليس المراد أنه كان متّصفًا بها أولًا ثم خلص ووجه حصر فصاحة المفرد في الخلوص من الثلاثة أن كل مفرد له مادة هي حروفه وصورة هي صيغته، ودلالة على معناه فعيبه إما في مادته وهو التنافر أو في صيغته وهو مخالف عنه القياس الصرفي أو في دلالته على معناه وهو الغرابة فالتنافر وصف في الكلمة يوجِب ثِقلها[3] على اللسان وعُسْر النطق بها، نحو مستشزرات في قول امرىء القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا

---

(١) عطف تفسير. ١٢ منه.

(٢) ويمكن إجراء ذلك في الكلام أيضًا؛ لأن له مادة هي كلماته وصوره هي التآليف العارض لها ودلالة على معناه التركيبي، فعليه إما في مادته وهو تنافر الكلمات، وفي صورته وهو ضعف التأليف، وفي دلالته على معناه، وهو التعقيد. ١٢ منه.

(٣) أي الضابط المتقرر من استقرار استعمالات العرب كقولنا كلما تحركت الياء أو الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفًا، ١٢ منه.

....

قوله: (غدائره) أي ذوائبه[١] جمع غديرة والضمير عائد إلى الفرع وهو شعر الرأس في البيت السابق.

قوله: (مستشزرات) أي مرتفعات فالزاي مكسورة أو مرفوعات فالزاي مفتوحة يقال استشزره أي رفعه واستشزر أي ارتفع.

قوله: (إلى العلا) جمع العليا بضم العين تأنيث الأعلى أي إلى جهة العلى وهي السمٰوات والضابط المعوّل عليه في ضبط تنافر الحروف الذوق[٢] وهو قوة يدرك بها لطائف الكلام ووجوه تحسينه فكل ما عدّه الذوق ثقيلًا متعسّر النطق به كان ثقيلًا وما لا فلا والغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى الموضوع له ولا مأنوسة الاستعمال في عُرْف الأعراب الخُلَّص نحو غرابة مسرّج في قول العجاج:

ومقلة وحاجبًا مزججا وفاحمًا ومرسنًا مسرّجا

قوله: (ومقلة) عطف على واضحًا في البيت السابق وهو:

أزمان أبدت واضحًا مفلجا

أي بين البرج بفتح الراء وهو أن يكون بياض العين محدقًا بالسواد كله والمقلة بياض العين مع سوادها وقد تستعمل في الحدقة وحاجبًا مزججًا أي مدققًا خلقته لا بفعل فاعل مطوّلًا مع تقوّس وفاحمًا أي شعر أسود كالفحم ومرسنًا بفتح الميم وكسر السين أو فتحها أي أنفًا مسرجًا كالسيف السريجي في الدقة والاستواء وسريج اسم قين أي حداد تُنسَب إليه السيوف أو كالسراج في البريق واللمعان والتفسير الأول لابن دريد والثاني لابن سيدة والمخالفة أن تكون الكلمة على خلاف قانون مفردات الألفاظ الموضوعة أعني على خلاف ما ثبت عن الواضع نحو اجلل بفكّ الإدغام في قول الفضل بن قدامة بن عبيد الله

---

(١) جمع ذؤابة، وهو الشعر المنسدل من الرأس إلى الظهر، أي الذي شأنه الانسدال، فلا ينافي أنه قد يكون فوق وسط الرأس كما هنا. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) الذوق قوّة للنفس بها كمال الإدراك وهو سليقي كما للعرب العرباء وكسبي كما للمولدين الممارسين كلامهم بلغاء العرب المزاولين لنكاتهم وأسرارهم. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

العجلي المكنَّى بأبي النجم:

الحمد[١] لله العليّ الأجلل

والقياس الأجلّ فنحو[٢] آل وماء وأبى يأبى وعور يعور فصيح لأنه ثبت عن الواضع كذلك. والفصاحة في الكلام خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها. فالضعف أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمهور كالإضمار بل الذكر لفظًا ومعنى وحكمًا نحو ضرب غلامه زيدًا أو التنافر أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان وإن كان كلٌّ منها فصيحًا نحو:

وليس قرب[٣] قبر حرب قبر

ونحو قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى[٤] معي وإذا ما لمته لمته وحدي

---

(١) تمامه:

أنت مليك الناس ربا فاقبل

قال في الأصول: ربا بالألف يريد ربّي، فيا محذوف، وفي الألف بدل عن الياء، أي فاقبل الحمد، ابتهى. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) هذا تفريع على قوله: أعني، على خلاف ما ثبت عن الواضع وذلك لأن أصل أل أهل وأصل ماء موه أبدلت الهاء فيهما همزة، وإبدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس، إلا أنه ثبت عن الواضع وقوله: أبى يأبى، أي بفتح الباء في المضارع والقياس كسرها فيه، لأن فعل بفتح العين لا يتأتّى مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كانت عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس، إلا أن الفتح ثبت عن الواضع. وقوله: عور يعور، فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفاً لتحركها وانفتاح أي ما قبلها كزال يزال فتصحيح الواو خلاف القياس، إلا أنه ثبت عن الواضع. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) قوله: قرب ظرف متعلق بخبر ليس، أي ليس قبر كائناً قرب قبر حرب، أو بمعنى المتقارب والإضافة لفظية، فلم يلزم كون خبر ليس معرفة واسمها نكرة، أي الذي هو ممتنع. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٤) قوله: والورى الواو في الورى للحال هو مبتدأ وخبره قوله: معي. ١٢ منه.

....

وإنما مثل مثالين لأن الأول متناهٍ في الثقل والثاني دونه ولأن منشأ الثقل في الأول نفس اجتماع الكلمات وفي الثاني حروف من كلمتين وهما أمدحه أمدحه والمراد من الحروف[١] مجموع الحاءين والهاءين. والتعقيد أي كون الكلام معقدًا أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد لخلل واقع إما في النظم أي التركيب سواء كان نظمًا أو نثرًا بسبب تقديم أو تأخير أو حذف بلا قرينة واضحة أو غير[٢] ذلك مما يوجِب صعوبة فهم المراد. والفصاحة في المتكلم ملكة[٣] يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وكثيرًا ما يسمى[٤] ذلك الوصف المذكور فصاحة أيضًا كما يسمى بلاغة والبلاغة في المتكلم مَلَكَة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

قوله: (**سيق**) أي أورد. **قوله:** (**على حَسَب حِسْبانهم**) أي ظنهم الفاسد حيث قالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: الآية ٣١]. **قوله:** (**على حسب**) في لسان العرب الحَسَب والحسْب قدر الشيء كقوله الأجْر بحسب ما عملت وبحسبه. انتهى. **وقوله:** (**حسبانهم**) في المصباح حسبت المال حسبًا من باب قتل أحصيته عددًا وفي المصدر أيضًا حسبته بالكسر وحُسْبانًا بالضم وحسبت زيدًا قائمًا أحسبه من باب تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضًا على غير قياس حسبانًا بالكسر بمعنى ظننت. انتهى. **قوله:** (**فجيء بإن الذي للشك**) وعدم القطع بأحد طرفي النسبة. **قوله:** (**دون إذا الذي للوجوب**) أي للتحقّق والثبوت على ما هو مقتضى وضعه فإن إذا الشرطية تقتضي الجزم والقطع بمضمون الشرط ما لم يمنع مانع ولا مانع هنا.

---

(١) في عدا الهاء من الحروف مع كونه اسمًا تغليب. ١٢ منه.
(٢) كالفصل بين المبتدأ والخبر وبين الصفة والموصوف وبين البدل والمبدل منه بالأجنبي في الجميع. ١٢ منه.
(٣) اعلم أن الصفة الحاصلة للإنسان في أول أمرها تسمى حالًا، لأن المتّصف بها يقدر على إزالتها، فإذا ثبتت في محلّها وتقررت بحيث لا يمكن المتصف بها إزالتها تسمى ملكة. ١٢ منه.
(٤) وعلى هذا التقدير تكون الفصاحة والبلاغة مترادفين. ١٢ منه.

(والفائدة فيه أنه جارٍ مجرى الكناية) التي **(تعطيك)** اختصارًا **(إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيان)** إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال «فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله». **(ولا محل لقوله: «ولن تفعلوا» لأنها جملة اعتراضية)**، وحسّن هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله: «ولن تفعلوا» و«لا» و«لن» **(أختان)** في نفي المستقبل إلا أن في «لن» تأكيدًا. **(وعن الخليل**

قوله: (والفائدة فيه أنه جارٍ مجرى الكناية). . . الخ يعني جريانه مجرى الكناية أنه إذا أُريد ذكر شيء جرى ذكره أولًا كان المناسب أن يعبّر عنه بالضمير الذي يسمّى كناية لكونه غير صريح في مدلوله لكن الكناية عن الشيء بالضمير إنما يكون في الأسماء فعبَّر عن الفعل الذي قصد إعادة ذكره بلفظ الفعل ليكون بمنزلة ذكر الاسم بضميره[1] فيفيد الإيجاز الذي عليه مبنى وضع الضمائر. **قوله: (تعطيك)** أي تفيد لك. **قوله: (إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيان)**. . . الخ في المصباح عدل عن الطريق عدولًا مال وانصرف . انتهى. **قوله: (ولا محل لقوله: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ لأنها جملة اعتراضية[2])** والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب لعدم وقوعها موقع ما يستحق الإعراب من المفردات والواو الداخلة عليها تسمى واوًا اعتراضية ليست حالية ولا عاطفة. **قوله: (أختان)** أي مثلان. **قوله: (وعن الخليل)** هو أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي اليحمدي كان إمامًا في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحرًا ثم زاد فيه الأخفش بحرًا واحدًا وسمّاه الخبب، قيل إن الخليل دعا بمكة المعظمة زادها الله شرفًا أن يُرزَق علمًا لم يسبقه أحد إليه ولا يُؤخَذ إلا عنه، فلما رجع من حَجّه فتح عليه علم العروض وله معرفة بالإيقاع والنغم وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض فإنهما متقاربان في المأخذ وكان الخليل رجلًا صالحًا عاقلًا حليمًا وقورًا ومن كلامه لا يعلم الإنسان خطأ معلم حتى يُجالس

---

(١) أي إذا ذكر شيء أولًا ثم أريد إعادته فحقه أن يعبر عنه بالضمير الذي مبناه على الاختصار ودفع التكرار، لكن التعبير عن الشيء بالضمير مختص بالأسماء. ١٢ منه.

(٢) أي جملة معترضة بين الشرط، وهو قوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤]، وبين جزائه وهو قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤]. ١٢ منه.

أصلها «لا أن»، وعند الفراء «لا» أبدلت ألفها نونًا، وعند سيبويه) حرف موضوع لتأكيد نفي المستقبل، وإنما علم أنه إخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لأنهم لو عارضوه بشيء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عددًا **(من الذابين)** عنه؟ وشرط في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله لأنهم إذا لم يأتوا

غيره. وقال تلميذه النضر بن سهيل: أقام الخليل في خُص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال، ولقد سمعته يومًا يقول: إني لأغلق عليَّ بابي فما يجاوزه همِّي. وكان يقول أكمل ما يكون الإنسان عقلًا وذِهنًا إذا بلغ أربعين سنة وهي السن التي بعث الله تعالى فينا محمدًا ﷺ ثم يتغيَّر وينقص إذا بلغ ثلاثًا وستِّين سنة، وهي السن التي قبض فيها رسول الله ﷺ وأصفى ما يكون ذِهن الإنسان في وقت السحر وأخبار الخليل كثيرة وعنه أخذ سيبويه علوم الأدب ويقال إن أباه أحمد أول مَن سمّى بأحمد بعد رسول الله ﷺ كذا ذكره المرزباني في كتاب المقتبس نقلًا عن أحمد بن أبي خيثمة وكانت ولادته في سنة مائة وتوفي سنة سبعين، وقيل: خمس وسبعين ومائة، وقيل: عاش أربعًا وسبعين سنة رحمه الله تعالى. وقال ابن قانع في تاريخه المرتّب على السنين أنه توفي سنة ستين ومائة والفراهيدي بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة هذه النسبة إلى فراهيد وهي بطن من الأزد والفرهودي واحدها والفرهود ولد الأسد بلغة أزد شنوءة، وقيل: إن الفراهيد صغار الغنم، واليحمدي بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة نسبة إلى يحمد وهو أيضًا بطن من الأزد خرج منه خلق كثير ويُحكى أن الخليل كان ينشد كثيرًا هذا البيت وهو للأخطل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

قوله: (أصلها لا أن) حذفت همزة أن لكثرتها في الكلام وسقطت الألف لالتقاء الساكنين فصارت لن. **قوله: (وعند الفراء)** هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسد، وقيل: مولى بني مِنقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وبعدها راء كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب حُكِي عن أبي العباس ثعلب أنه قال: لولا الفراء لَمَا كانت عربية لأنه خلَّصها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية

بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا (**العناد وأبوا**) الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد، فوضع «فاتقوا النار» موضعه لأن اتقاء النار سبب ترك

لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل مَن أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب وأخذ النحو عن أبي الحسن الكسائي وهو الأحمر من أشهر أصحابه وأخصّهم به. قال الخطيب: كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفراء وكان الفراء يومًا جالسًا عنده فقال الفراء: قلَّ رجل أنعم النظر في باب من العلم فأراد غيره إلا سهَّل عليه فقال له محمد: يا أبا زكريا قد أنْعَمْتَ النظر في العربية فأسألك عن باب من الفقه فقال: هات على بركة الله تعالى، قال: ما تقول في رجل صلّى فَسَها فسجد سجدتين للسهو فسَها فيهما ففكر الفراء ساعة ثم قال: لا شيء عليه. فقال له محمد: ولِمَ؟ قال: لأن التصغير عندنا لا تصغير له وإنما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام. فقال محمد: ما ظننت آدميًا يَلِد مثلك وكان الفراء يميل إلى الاعتزال ومولد الفراء بالكوفة وانتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه بها توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكة المعظَّمة زادها الله تعظيمًا وتشريفًا وعمره ثلاث وستون سنة رحمه الله تعالى والفراء بفتح الفاء وتشديد الراء وبعدها ألف ممدودة وإنما قيل له فراء ولم يكن يعمل الفِراء ولا يبيعها لأنه كان يفري الكلام ذكر ذلك الحافظ السمعاني في كتاب الأنساب وعزاه إلى كتاب الألقاب. **قوله**: (**لا أبدلت ألفها نونًا**) كما يبدل النون الخفيفة ألفًا في الوقف وكذا التنوين التابع بحركة الفتح. **قوله**: (**وعند سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمه الله. **قوله**: (**من الذّابّين**) أي الدافعين الذين يدفعون عنه المطاعن. **قوله**: (**العناد**) في المصباح عاند فلان عنادًا من باب قاتل إذا ركب الخلاف والعصيان. انتهى.

قوله: (**وأبوا**) في المصباح أبى الرجل يأبى إباء بالكسر والمد وإباية امتنع فهو آب وآبى على فاعل وفعيل وتأبى مثله وبناؤه شاذّ لأن باب فعل يفعل بفتحتين أن يكون حلقي العين أو اللام ولم يأتِ من حلقي الفاء إلا أبى يأبى وعض ويعض في لغة وأَث الشعر يأث إذا كثر والتفّ وربما جاء في غير ذلك قالوا ودّ يودّ في

العناد **(وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة)**، وفائدته الإيجاز الذي هو من **(حلية القرآن. والوقود ما ترفع به النار)** يعني الحطب، وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح. **(وصلة الذي والتي يجب أن يكون معلومًا للمخاطب)** فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: الآية ٦]. وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن تلك الآية نزلت بمكة **(ثم)** نزلت هذه الآية بالمدينة مشارًا بها إلى ما عرفوه أولًا. ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران أنها تتقد بالناس

لغة. انتهى باختصار. **قوله**: (وهو[1]) أي وضع فاتقوا النار موضع فاتركوا العناد **(من باب الكناية وهي)** شعبة[2] **(من شعب البلاغة)** أي فن من فنونها وأبلغ من التصريح فهذه فائدة عامة وفائدته الخاصة الإيجاز[3] فقيل من حيث إن تلك الوسائط التي صرّح بها في توجيه ارتباط الجزاء بالشرط مرادة بحسب المعنى وإن لم تكن مقدّرة في العبارة كما عرفته ويرد عليه أنه لو قيل فاتركوا العناد لكانت تلك الوسائط مرادة أيضًا فلا إيجاز بسبب الكناية وقيل من حيث إنه أُريد بهذه الكناية مجموع المعنيين أعني اتّقاء النار وترك العناد معًا فيشمل الإيجاز في كل كناية أُريد بها معناها جميعًا. **قوله**: **(حلية القرآن)** أي زينته وحُسْنه. **قوله**: **(والوقود)** بالفتح **(ما ترفع به النار)** يعني أن الوقود بالفتح اسم لما يكون سببًا لاشتعال النار والتهابها من حطب ونحوه. **قوله**: **(وصلة الذي والتي يجب أن يكون معلومًا للمخاطب)**

---

(١) قوله: وهو من باب الكناية.. الخ. هكذا في الكشاف. وإطلاق الكناية على التعبير بالملزوم عن اللازم سائغ في كلام صاحب الكشاف. وأما التفرقة بأن التعبير باللازم عن الملزوم كناية وعكسه مجاز، فإنما هي لصاحب المفتاح. ١٢ منه.

(٢) في المصباح: الشعبة من الشجرة الغصن المتفرع منها، والجمع الشعب مثل غرفة وغرف، انتهى. ١٢ منه.

(٣) قوله: الإيجاز حيث طُويت الوسائط، أعني قولنا: إذا لم تفعلوا فقد صحّ عندكم صدقه، وإذا صح كان لزومكم العناد وترككم الإيمان والانقياد شيئًا لاستحقاقكم العقاب بالنار، فاتركوا ذلك واتّقوا النار، وليس المراد أن هناك حذفاً وإضمار شرط وجزاء، بل إن المعنى على ذلك، وإلى هذا يشير من يقول أنه يراد في الكناية معنى اللفظ ومعنى معناه. ١٢ منه.

(والحجارة وهي حجارة الكبريت)، فهي أشد (توقدًا وأبطأ خمودًا وأنتن) رائحة وألصق بالبدن أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسيرًا. وإنما (قرن) الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أندادًا (ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ (وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾

إما بالفعل أو بالتمكّن بالعلم ومع هذا إنه حكم أغلبي لا كلّي لأنه يجوز كون الصلة غير معلومة حين قصد التفخيم والتشديد. **قوله**: (ثم) أي في سورة التحريم. **قوله**: (**والحجارة**) جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس (**وهي حجارة الكبريت**) فإنه أخرج مسندًا في السنن وصحّح روايته عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم الطبراني والحاكم والبيهقي وابن جرير وابن المنذر وغيرهم وقد رجّحه كثير من المفسّرين وعلّلوه بأنه أشدّ حرًّا وأكثر التهابًا وأسرع إيقادًا مع نتن ريحه وكثرة دخانه وكثافته وشدة التصاقه بالأبدان فلتخصيصه وجه بل وجوه رواية ودراية والكبريت بكسر الكاف قال ابن دريد هو الحجارة الموقد بها ولا أحسبه عربيًا صحيحًا وقال غيره: إنه معرب والكبريت الأحمر الياقوت أو الذهب. وفي منتهى الأرب في لغات العرب كبريت كقنديل گوگرد كه سنگ آتش گيراست يا جوهري معدني وآن بخارى بأشد دخاني كه بعض آن زيرزمين منجمد گردد وبغض آن ازشگافها برآيد ودركر أنها بسته گردد وگويند معدن آن دروادي النمل وراي تُبَّت وگويند جشمه است روان چون منجمد گردد كبريت شود وآن براصناف باشد سرخ وزردوسياه وتمامه آن كرم است درچهارم وياقوت سرخ وزر. انتهى. وفي غياث اللغات كبريت بالكسر وياء معروف وتاء فوقاني گوگردگه بهندي گندهك گويند وبمعنى زرونقره خالص نيزاز منتخب ولطائف. انتهى. **قوله**: (**توقدًا**) في منتهى الأرب في لغات العرب تَوَقُّد آتش افروختن وافروخته شدن آن. انتهى. **قوله**: (**أبطأ**) في المصباح أبطأ الرجل تأخر مجيئه وبطؤ مجيئه بُطْأ من باب قرب وبطاءة بالفتح والمد فهو بطيء. انتهى. **قوله**: (**خمودًا**) في غياث اللغات خمود بضمتين سردشدن اتش. انتهى. **قوله**: (**وأنتن**) في منتهى الأرب في لغات العرب نَتنُ نَتانة بدبوي كستت. انتهى. وأيضًا فيه نتن بالفتح بوي ناخوش. انتهى. **قوله**: (**قرن**) من باب قتل وفي لغة من باب ضرب جمع. **قوله**: (**ونحوه قوله تعالى**) أي في سورة الأنبياء (﴿إِنَّكُمْ﴾ [الآية ٩٨]) يا أهل مكة (﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

[الأنبياء: الآية ٩٨] أي حطبها، فقرنهم بها (محماة) في نار جهنم إبلاغًا في إيلامهم. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ هيئت لهم. وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافًا لما يقوله (جهم) سنة الله في كتابه أن يذكر

دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨]) أي غيره من الأوثان. **قوله**: (محماة) في المصباح حميت الحديدة تحمى من باب تعب فهي حامية إذا اشتد حرّها بالنار ويعدّى بالهمزة فيقال: أحميتها فهي محماة، ولا يقال حميتها بغير ألف. انتهى.

قوله: (جهم) هو جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهًا فنفى كونه حيًّا عالمًا وأثبت كونه قادرًا فاعلًا خالقًا لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق. ومنها إثباته علومًا حادثة للباري تعالى لا في محل قال: لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق انتفى علمه على ما كان أو لم يبقَ فإن بقي فهو جهل فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد وإن لم يبق فقد تغيّر والمتغيّر مخلوق وليس بقديم ووافق في هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرّر قال: وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث في ذاته تعالى وذلك يؤدّي إلى التغيير في ذاته وأن يكون محلًا للحوادث وإما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفًا به لا الباري تعالى فيتعيّن أنه لا محل له وأثبت علومًا حادثة بقدر الموجودات المعلومة ومنها قوله في القدرة الحادثة أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يُوصَف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وينسب إليه الأفعال مجازًا كما ينسب إلى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيّمت السماء وأمطرت واهتزّت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضًا كان جبرًا. ومنها أن حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما وتلذّذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بحميمها إذ لا يتصور بحركات لا يتناهى آخرًا كما لا يتصور حركات لا يتناهى أولًا وحمل قوله تعالى:

(الترغيب) مع **(الترهيب تنشيطًا)** لاكتساب **(ما يزلف وتثبيطًا عن اقتراف ما يتلف)**، فلما **(ذكر الكفار وأعمالهم)** وأوعدهم بالعقاب **(قفاه)** بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والمأمور بقوله: «وبشّر» الرسول

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٢] على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد كما يقول خلد الله ملك فلان واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: الآية ١٠٧] فالآية اشتملت على شريطة واستثناء والخلود والتأبيد لا شرط فيه استثناء. ومنها قوله: مَن أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لأن العلم والمعرفة لا يزول بالجحد فهو مؤمن. قال: وإيمان الأمة على نمط واحد إذ المعارف لا تتفاضل وكان السلف كلهم من أشد الرّادّين عليه ونسبه إلى التعطيل المحض وهو أيضًا موافق للمعتزلة في نفي الرؤية وإثبات خلق الكلام وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع والشرع كذا في كتاب المِلَل والنِّحَل. **قوله**: **(الترغيب)** في منتهى الأرب في لغات العرب رَغَّبَه ترغيبًا راغب كرد اوراوخواهان گردانيد. انتهى. **قوله**: **(الترهيب)** بوزن تركيب بمعنى ترسانيدن كذا في غياث اللغات. **قوله**: **(تنشيطًا)** التنشيط التحريك والتحريض وذلك يحصل بالترغيب. **قوله**: **(ما يزلف)** في المصباح الزلفة والزلفى القربة وأزلفه قربه. انتهى. **قوله**: **(تثبيطًا)** التثبيط المنع والصرف وذلك يحصل بالترهيب والتخويف. **قوله**: **(عن اقتراف)** أي عن اكتساب. **قوله**: **(ما يتلف)** أي يهلك إهلاكًا لا منجى منه.

قوله: **(ذكر الكفار وأعمالهم)** هي اتخاذ الأنداد والارتياب في المنزل وما يتبع ذلك من المفاسد. **قوله**: **(قفاه)** منتهى الأرب في لغات العرب تقفية دربي فرستادن يقال قفَّيت على أثره بفلان وقفَّيته زيدًا وبه أي أتبعه إياه. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: الآية ٢٧] ومنه الكلام المقفّى وسمّيت قوافي الشعر لأن بعضها يتبع أثر بعض. انتهى. والضمير البارز في قفاه لذكر

عليه السلام (**أو كل أحدٍ، وهذا أحسن**) لأنه يؤذن بأن الأمر (**لعظمه وفخامة**) شأنه (**محقوق بأن يبشّر به**) كلّ مَن قدر على البشارة به. وهو معطوف على «فاتقوا» كما تقول (**يا بني تميم**) احذروا عقوبة (**ما جنيتم**) وبشّر يا فلان (**بني أسد**) بإحساني إليهم. أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين

الكفّار. **قوله**: (**أو كل أحد**) يقدر على البشارة عالمًا كان أو لا لكن على العالم بالوجوب الكفائي وعلى غيره بالندب. **قوله**: (**وهذا**) الوجه (**أحسن**) لكونه مجازًا. **قوله**: (**لعظمه**) عِظَم بزرگي. **قوله**: (**وفخامته**) بالفتح بزرگي وبلندي. **قوله**: (**محقوق**)[1] أي لائق (**بأن يبشر به**) في الأساس أنت حقيق بكذا من حقق بالضم في التقدير كما قال سيبويه في فقير إنه من فقُر بالضم مقدرًا وفي شديد أنه شدُد ونظيره خليق وجدير من خلُق بكذا وجدُر به ولا يكون فعيلًا بمعنى مفعول أي محقوق لقولهم أنت حقيقة بكذا وهذه امرأة حقيقة بالحضانة وأما حُقِقْتَ بأن تفعل كذا وأنت محقوق به فبمعنى جعلت حقيقًا به وهو من باب فعلته ففعُل، كقولك قبُح وقبحه الله كذا أفاده العلّامة التفتازاني في حاشية الكشاف وفي منتهى الأرب في لغات العرب محقوق سزاوار يقال هو محقوق به. انتهى. وأيضًا فيه حقيق كأمير سزاوار يقال هو حقيق به أحقاء جمع. انتهى.

قوله: (**يا بني تميم**) في منتهى الأرب في لغات العرب تميم كأمير نام ابن أدّ بن طابخة پدر قبيلة است ويُصْرَفُ. انتهى. **قوله**: (**ما جنيتم**) في المصباح جنى على قومه جناية أذنب ذنبًا يُؤاخذ به. انتهى. وفي لسان العرب الجناية الذنب والجرم وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العقاب أو القصاص في الدنيا والآخرة. انتهى. **قوله**: (**بني أسد**) في منتهى الأرب في لغات العرب أَسَد نام پدر قبيلة از مضركه پدرش خُزَيمة نام داشت ونام پسر ربيعة بن نِزاركه آن هم پدر قبيلة وبوده است. انتهى. وأيضًا فيه أسْد بسكون سين آزداست كه پدر قبيلة ازيمن بوده. انتهى. وأيضًا فيه أَزْد بالفتح پدر قبيلة است دريمن كه جميع أنصار إذ أولاد اويندو پدرش غوث نام داشت وسين بجاي ذا أفصح است واور أَزْدَشَنُوءَةَ وَأَزْد عُمان وأزد السَّراة نيزگويند. انتهى.

---

(١) أي خليق. ١٢.

كقولك: «زيد (**يعاقب بالقيد والإرهاق**) وبشّر عمرًا بالعفو (**والإطلاق**)». (**والبشارة**) الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء: إذا قال (**لعبيده**): أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حرّ. فبشروه (**فرادى عتق أولهم**) لأنه هو الذي أظهر (**سروره بخبره**) دون الباقين. ولو قال: «أخبرني» مكان «بشرني» (**عتقوا جميعًا، لأنهم**) أخبروه، ومنه (**البشرة**) لظاهر الجلد، وتباشير الصبح ما ظهر من

قوله: (**يعاقب بالقيد والإرهاق**) في منتهى الأرب في لغات العرب قيد بالفتح بند أقياد وقيود جمع. انتهى. وأيضًا فيه إرهاق تكليف دادن كسى را زائد از طاقت. انتهى. **قوله**: (**الإطلاق**) في منتهى الأرب في لغات العرب إطلاق رهاكردن بندي را ازبند. انتهى. **قوله**: (**والبشارة**) بكسر الباء والضم لغة.اهـ. مصباح. **قوله**: (**لعبيده**) في المصباح العبد خلاف الحرّ وهو عبد بين العبدية والعبودة والعبودية واستعمل له جموع كثيرة والأشهر منها أعبد وعبيد وعباد. انتهى. **قوله**: (**فرادى**) في المصباح الفرد الوتر وهو الواحد والجمع أفراد وأما فرادى فقيل جمع فرد على غير قياس وقيل كأنه جمع فردان وفردى مثل سُكارى في جمع سكران وسكرى والأُنثى فردة. انتهى.

قوله: (**عتق أولهم**) في منتهى الأرب في لغات العرب (ض) عَتَق العبدُ عتقًا بالكسر ويفتح أو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ويفتح وعَتَاقًا وعَتاقَةً بفتحهما آزادگرديد. انتهى. **قوله**: (**سروره بخبره**) مع كون المخبر به غافلًا عمّا أخبر به. **قوله**: (**عتقوا جميعًا**)... الخ سواء أخبروه فرادى أو جميعًا أو أخبروه بعد علم مولاهم أولًا خلافًا للإمام مالك رضي الله تعالى عنه فإنه قال مَن أخبرني عتق الأول فإن المراد البشارة كما يشهد به العُرْف. والجمهور قالوا: إن الإخبار في المتعارف ذكر الكلام[1] الخبري ويراد به معناه سواء أفاد العلم أو لا وإن كان في أصل اللغة بمعنى الإعلام.

قوله: (**لأنهم**) جميعًا. **قوله**: (**البَشَرة**) في المصباح البَشَرَةُ ظاهر الجلد والجمع البشر مثل قصبة وقصب ثم أطلق على الإنسان واحده وجمعه لكن العرب ثنوه ولم يجمعوه. وفي التنزيل قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: الآية ٤٧].

---

(١) أي أن يذكر الجملة الخبرية، ويراد بها معناها. ١٢ منه.

(أوائل) ضوئه. وأما «فبشرهم بعذاب أليم» **(فمن العكس في الكلام)** الذي يقصد به الاستهزاء **(الزائد في غيظ المستهزأ به)** كما يقول الرجل **(لعدوه)** أبشر **(بقتل ذريتك ونهب مالك)**.

انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب بَشَر محركة مردم مذكر ومؤنث واحد وجمع دروي يكسان است وقد يُثَنَّى ويُجمَع فيقال بشران وأبشار وروى پوست مردم وغيران بَشَرَة يكي أَبْشار جمع. انتهى.

قوله: **(أوائل)** جمع أول. **قوله**: **(فمن العكس في الكلام)** أي هو من قبيل استعارة أحد الضدَّين للآخر تهكمًا واستهزاء. **قوله**: **(الزائد في غيظ المستهزأ به)** مأخوذ من زاد المتعدي. يقال زاد في ماله بمعنى زاد شيئًا فيه. وقوله في غيظ في المصباح الغيظ الغضب المحيط بالكبد وهو أشدّ الحنق. انتهى.

قوله: **(لعدوه)** في المصباح العدّو خلاف الصديق الموالي والجمع أعداء وعدّى بالكسر والقصر قالوا ولا نظير له في النعوت لأن باب فعل وزان عنب مختص بالأسماء ولم يأتِ منه في الصفات إلا قوم عديّ وضم العين لغة ومثله سوى وسوى وطوى وطوى وتثبت الهاء مع الضم فيقال عداه ويجمع الأعداء على الأعادي. وقال في مختصر العين: يقع العدو بلفظ واحد على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع. قال أبو زيد: سمعت بعض بني عقيل يقولون: هنَّ وليّات الله وعدوّات الله وأولياؤه وأعداؤه. قال الأزهري: إذا أُريد الصفة قيل عدوة. ومن كلام العرب أن الجرب ليعدي أي يجاوز صاحبه إلى مَن قاربه حتى يجرب والاسم العدوى فيقال: أعداه. وقال في البارع: إذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه المذكر والمؤنث فلا يؤنَّث بالهاء سوى عدو فيقال فيه عدوة. انتهى.

قوله: **(بقتل ذريتك)** في المصباح الذرية فعلية من الذر وهم الصغار ويكون الذرية واحد أو جمعًا وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال وبها قرأ السبعة والثانية كسرها. ويُروَى عن زيد بن ثابت والثالثة فتح الذال مع تخفيف الراء وزان كريمة وبها قرأ أبان بن عثمان وتجمع على ذريات وقد تُجمَع على الذراريّ وقد أُطلِقَت الذرية على الآباء أيضًا مجازًا. انتهى. **قوله**: **(ونهب مالك)** النهب الغارة والسلب، كذا في لسان العرب.

(والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم. والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسُنَّة واللام للجنس).

قوله: **(والصالحة نحو الحسنة في جريها**[1] **مجرى الاسم)** أي هي من الصفات التي غلبت عليها الاسمية حيث غلب استعمالها بلا قصد إلى موصوف تجري عليه فإن صالحة في الأصل صفة للدلالة على ذات مبهمة يقوم بها معنى الصلاح ثم غلب عليها الاسمية أي غلب استعمالها فيما يتقرَّب به إلى الله سبحانه وتعالى. **قوله**: **(والصالحات**[2] **كل ما استقام من الأعمال)** استعمال كلمة كل في مثل هذا المقام شائع في عبارة الأدباء وإن لم يحسن في التفسير لكن قصد هٰهنا تفسير جمع الصالحات فحسن وبهذا الاعتبار حسن في دليل الاستقامة عطف الكتاب والسُنَّة على العقل بالواو وإذ المجموع دليل المجموع ومعنى الاستقامة الصلوح لترتيب الثواب فخرج ما لا يتعلق بذلك. **قوله**: **(بدليل العقل)** اعلم أن شرف العقل إنما هو لكونه سببًا للعلم المُنتِج للعمل المؤدي إلى السعادة الأبدية وسُمِّي عقلًا لأنه يعقل صاحبه عمّا لا ينبغي كما سُمِّي نهية لأنه ينهى عن الفحشاء والمنكر. وقال الراغب: العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل ولهذا قيل: العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع إذا لم يكُ مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع وإلى الأول أشار بقوله عليه السلام: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من العقل وإلى الثاني أشار بقوله ما كسب أحد شيئًا أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويردّه عن ردي وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]، قلت: الظاهر أنه كما لا ينفع مسموع بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا مسموع ألا ترى أن الحكماء مع زعمهم أنهم أكبر العقلاء ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير متابعتهم للأنبياء وأقوالهم المسموعة. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: الآية ٢٣]، ونظيره المشاهد لكل أحد الأصم الخلقي

---

(١) قوله: في جريها مجرى الاسم يريد أن الصالحة من الصفات التي تستعمل من غير موصوف، فكأنها ليس لها موصوف فيجري مجرى الاسم كالحسنة. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) قوله: والصالحات كلّ ما استقام، أي صلح لترتب الثواب عليه، والمراد تفسير جميع الصالحات بمجموع المستقيم الصالح لما ذكر من ثمّة عطف الكتاب والسنة على العقل بالواو؛ لأن مجموعها دليل المجموع. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

فإنه ينفع بعقله المطبوع وليس له حظ من العقل المسموع كذا أفاده العلّامة علي القاريء في شرح مشكاة المصابيح في باب الحذر والتأنّي عليه رحمة الله الغني المُغني.

قوله: (والكتاب) أي القرآن. **قوله**: (والسُّنَّة) المراد بالسُّنَّة هنا أقواله ﷺ وأفعاله وأحواله المُعَبَّر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة ولذا قال: «**بُعِثْتُ لأُتَمّم مكارم الأخلاق**». **قوله**: (**واللام للجنس**[1]) المراد به لام الاستغراق أي جميع ما يسوّغ ويحسن أن يفعله المُكَلَّف بالنظر إلى حاله كالغِنَى والفقر والصحة والمرض والحَضَر والسفر والحرّ والعبد والذَّكَر والأُنثى وغير ذلك مثلًا فيفعل الغني جميع ما يجب عليه كالزكاة والحج مع الصلاة والصوم والفقير يفعل الصلاة والصوم وقِس عليه ما عداهما من المريض والصحيح والحرّ والعبد وبهذا يندفع كثير من الأشكال منها أن المراد بالصالحات ليس جنس الجمع مطلقًا وإلا لكفى الأقل وهو ثلثه من الأعمال أو الاثنان ولا الجنس كله لامتناع أن يُؤتَى به أحد وإن قصد التوزيع عاد المحذور وهو أن يكفي من كل ثلاثة أعمال أو اثنان بل أقلّ بناء على انقسام الآحاد على الآحاد وجه الاندفاع هو أنا نختار أن المراد الجنس كله لكن لا بالنسبة إلى كل فرد فرد بل إلى كل مكلّف بالنظر إلى حاله والقرينة على هذه الإرادة قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: الآية ١٦] الآية وما ثبت في الشرع لا حرج في الدين فيجب على المُكَلَّف جميع ما يجب عليه بالنظر إلى حاله اليقين هذا في الوجوب الشامل للفرض وأما المندوب فلا حرج فيه والغني والفقير والأمراء

---

(١) أي لاستغراق ما يُطلق عليه لفظ الصالحات؛ لأن المجموع وأسماءها المحلات باللام للعموم حيث لا عهد، وليس منها معهود خارج من جنس الصالحة حتى يكون تعريف الصالحات للعهد الخارجي، إلا أنه لا يجوز أن يراد به جميع أفراد الأعمال الصالحة أن المبشّر بالجنّة ليس يأتي بجميعها؛ إذ ليس في وسع أحد أن يأتي بكلّ ما يصدق عليه أنه عمل صالح، بل المراد به جميع ما يجب على كل مكلّف بالنظر إلى حاله، فيختلف باختلاف أحوال المكلّفين من الغنى والفقر والإقامة والسفر والصحة والمرض إلى غير ذلك، مثلًا تجب الزكاة والحجّ أو إتمام الصلوات أو تخيير الصوم على واحد دون آخر على حسب اختلاف حاله، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥] أنّ كل واحد عمل جميع ما يجب عليه من الأعمال على حسب حاله. ١٢ منه عُفِي عنه.

(**والآية حجة على مَن جعل الأعمال إيمانًا**) لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه. ولا يقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل

والعلماء سواء فيه فعلم أن الاستغراق المُشار إليه بالجنس عرفي لا حقيقي نحو جمع الأمير الصاغة والقول بأن إرادة البعض متعيِّن فيكون للعهد الذهني ضعيف لأنه إن أراد بالنسبة إلى كل فرد بالنسبة إلى حاله فلا يخفى فساده إذ المجموع بالنظر إلى حاله معتبر البَتَّة وإن أراد بالنسبة إلى كل مكلَّف بدون تقييد بالنظر إلى حاله فذلك البعض متفاوت في المكلَّفين فيؤول إلى الاستغراق العُرفي إذ لا أحد يجب عليه بعض الأحكام بدون ملاحظة حاله فإذا لوحظ حاله يكون ذلك البعض كُلّاً بالنظر إليه على أنه يجوز أن يوجد واحد من المكلَّفين يجب عليه كل الأحكام بأسرها فلا يتناول العهد الذِّهني له، والمؤمن الذي لم يعمل أصلًا أو عمل عملًا واحدًا أو آمن ومات قبل أن يعمل أو بلغ ومات قبل أن يعمل فمعرفة كونه مبشرًا من موضع آخر. **قوله**: (**والآية حجة على مَن جعل الأعمال إيمانًا**)... الخ قد اختلف أهل القِبلَة في مُسَمَّى الإيمان في عُرْف الشَّرع على أربع فِرَق: فرقة قالوا: الإيمان فعل القلب فقط وهؤلاء قد اختلفوا على قولين: أحدهما وهو مذهب المحقِّقين وإليه ذهب الأشعري وأكثر الأئمة كالقاضي عبد الجبار والأستاذ أبي إسحٰق الإسفرايني والحسين بن الفضل وغيرهم أنه مجرد التصديق بالقلب أي تصديق الرسول عليه السلام في كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقًا جازمًا مطلقًا سواء كان لدليل أو لا فقولهم مجرد التصديق إشارة إلى أنه لا يعتبر فيه كونه مقرونًا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة لإخراج ما لا يعلم بالضرورة أن الرسول عليه السلام جاء به كالاجتهاديات كالتصديق بأن الله عالِم بالعلم أو عالم بذاته والتصديق بكونه مرئيًا أو غير مرئي فإن هذين التصديقين وأمثالهما غير داخلة في مسمى الإيمان فلهذا لا يُكَفَّر مُنكِر الاجتهاديات بالإجماع والتقييد بالجازم لإخراج التصديق الظنِّي فإنه غير كافٍ في حصول الإيمان والتقييد بالإطلاق لدفع وَهْم خروج اعتقاد المقلِّد فإن إيمانه صحيح عند الأكثرين وهو الصحيح.

فإن قيل اقتصر النبي عليه السلام عند سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان في الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بذكر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فلم يزد عليه الإيمان بكل ما جاء به رسول

المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشّر بالجنة لمن آمن وعمل

الله ﷺ. قلت: لاشتمال الإيمان بالكتب عليه لأن من جملة الكتب القرآن ويدلّ على وجوب أخذ كل ما جاء به عليه السلام باعتقاد حقيقته والعمل به لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: الآية ٧]. والقول الثاني أن الإيمان معرفة الله تعالى وحده بالقلب والإقرار باللسان ليس بركن فيه ولا شرط حتى إن مَن عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل أن يقرّ به فهو مؤمن كامل الإيمان وهو قول جهم بن صفوان، وأما معرفة الكتب والرُسُل واليوم الآخر فقد زعم أنها غير داخلة في حدّ الإيمان وهذا بعيد من الصواب لمخالفة ظاهر الحديث والصواب ما حكاه الكعبي عن جهم أن الإيمان معرفة الله تعالى مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام. والفرقة الثانية قالوا إن الإيمان حيّ باللسان فقط وهم أيضًا فريقان الأول أن الإقرار باللسان هو الإيمان فقط، ولكن شرط كونه إيمانًا حصول المعرفة في القلب فالمعرفة شرط لكون الإقرار اللساني إيمانًا لأنها داخلة في مسمى الإيمان وهو قول غيلان بن مسلم الدمشقي والفضل الرقاشي. الثاني أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان وهو قول الكرامية وزعموا أن المنافق مؤمن الظاهر كافر السَّريرة فيثبت له حكم المؤمنين في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة. والفرقة الثالثة قالوا إن الإيمان عمل القلب واللسان معًا أي في الإيمان الاستدلالي دون الذي بين العبد وبين ربّه، وقد اختلف هؤلاء على أقوال: الأول أن الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وهو قول أبي حنيفة وعامّة الفقهاء وبعض المتكلمين. الثاني أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معًا وهو قول بشر المريسي وأبي الحسن الأشعري. والثالث أن الإيمان إقرار باللسان وإخلاص بالقلب. فإن قلت ما حقيقة المعرفة بالقلب على قول أبي حنيفة رضي الله عنه، قلت: فسّروها بشيئين الأول بالاعتقاد الجازم سواء كان اعتقاده تقليديًّا أو كان علمًا صادرًا عن الدليل وهو الأكثر والأصح ولهذا حكموا بصحة إيمان المقلِّد، الثاني بالعلم الصادر عن الدليل وهو الأقل فلذلك زعموا أن إيمان المقلّد غير صحيح ثم اعلم أن لهؤلاء الفرقة اختلافًا في موضع آخر أيضًا وهو أن الإقرار باللسان هل هو ركن الإيمان أم شرط له في حق إجراء الأحكام، قال بعضهم: هو شرط لذلك حتى أن مَن صدَّق الرسول عليه السلام في جميع

صالحًا، لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان، ولا

ما جاء به من عند الله تعالى فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقرّ بلسانه. وقال حافظ الدين النسفي هو المروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه وإليه ذهب الأشعري في أصحّ الروايتين وهو قول أبي منصور الماتريدي. وقال بعضهم: هو ركن لكنه ليس بأصلي له كالتصديق بل هو ركن زائد ولهذا يسقط حالة الإكراه والعَجْز. وقال فخر الإسلام: إن كونه ركنًا زائدًا مذهب الفقهاء وكونه شرطًا لإجراء الأحكام مذهب المتكلّمين. والفرقة الرابعة قالوا: إن الإيمان فعل القلب واللسان مع سائر الجوارح وهم أصحاب الحديث ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي. وقال الإمام وهو مذهب المعتزلة والخوارج والزيدية. أما أصحاب الحديث فلهم أقوال ثلاثة: الأول إن المعرفة إيمان كامل وهو الأصل ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حِدَة وزعموا أن الجحود وإنكار القلب كفر ثم كل معصية بعده كفر على حِدَة ولم يجعلوا شيئًا من الطاعات إيمانًا ما لم توجد المعرفة والإقرار ولا شيئًا من المعاصي كفرًا ما لم يوجد الجحود والإنكار لأن أصل الطاعات الإيمان، وأصل المعاصي الكفر والفرع لا يحصل دون ما هو أصله وهو قول عبد الله بن سعيد. القول الثاني أن الإيمان اسم للطاعات كلها فرائضها ونوافلها وهي بجملتها إيمان واحد وإن مَن ترك شيئًا من الفرائض فقد انتقص إيمانه ومَن ترك النوافل لا ينقص إيمانه. القول الثالث أن الإيمان اسم للفرائض دون النوافل. وأما المعتزلة فقد اتفقوا على أن الإيمان إذا عُدِّي بالباء فالمراد به في الشرع التصديق، يقال: آمن بالله أي صدّق فإن الإيمان بمعنى أداء الواجبات لا يمكن فيه هذه التعدية لا يقال فلان آمن بكذا إذا صلّى أو صام، بل يقال: آمن لله كما يقال صلّى لله، فالإيمان المعدّى بالباء مجرى على طريق اللغة وأما ما ذكر مطلقًا غير معدّى فقد اتفقوا على أنه منقول نقلًا ثانيًا من معنى التصديق إلى معنى آخر ثم اختلفوا فيه على وجوه أحدها أن الإيمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة أو مندوبة أو من باب الاعتقادات أو الأقوال والأفعال وهو قول واصل بن عطاء وأبي الهذيل والقاضي عبد الجبار. والثاني أنه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وهو قول أبي علي الجبائي وأبي هاشم. والثالث أن الإيمان عبارة عن اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد وهو قول

نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء غفر

النظام ومن أصحابه مَن قال شرط كونه مؤمنًا عندنا وعند الله اجتناب كل الكبائر. وأما الخوارج فقد اتفقوا على أن الإيمان بالله يتناول معرفة الله تعالى ومعرفة كل ما نصب الله عليه دليلًا عقليًا أو نقليًا ويتناول طاعة الله في جميع ما أمر به ونهى صغيرًا كان أو كبيرًا وقالوا مجموع هذه الأشياء هو الإيمان ويقرب من مذهب المعتزلة مذهب الخوارج ويقرب من مذهبهما ما ذهب إليه السلف وأهل الأثر أن الإيمان عبارة عن مجموع ثلاثة أشياء: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان إلا أن بين هذه المذاهب فرقًا وهو أن مَن ترك شيئًا من الطاعات سواء كان من الأفعال أو الأقوال خرج من الإيمان عند المعتزلة ولم يدخل في الكفر بل وقع في مرتبة بينهما يسمّونها منزلة بين المنزلتين وعند الخوارج دخل في الكفر لأن ترك كل واحدة من الطاعات كفر عندهم وعند السلف لم يخرج من الإيمان. وقال الشيخ أبو إسحٰق الشيرازي: وهذه أول مسألة نشأت في الاعتزال ونقل عن الشافعي رحمه الله أنه قال: الإيمان هو التصديق والإقرار والعمل فالمُخِلّ الأول وحده مُنافِق وبالثاني وحده كافر، وبالثالث وحده فاسق ينجو من الخلود في النار ويدخل الجنة. قال الإمام في غاية الصعوبة لأن العمل إذا كان ركنًا لا يتحقّق الإيمان بدونه فغير المؤمن كيف يخرج من النار ويدخل الجنة؟ قلت: قد أُجيب عن هذا الإشكال بأن الإيمان في كلام الشارع قد جاء بمعنى أصل الإيمان وهو الذي لا يعتبر فيه كونه مقرونًا بالعمل كما في قوله عليه السلام: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبَعْث والإسلام أن تعبد الله ولا تُشرِك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» الحديث. وقد جاء بمعنى الإيمان الكامل وهو المقرون بالعمل كما في حديث وفد عبد القيس أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخُمْس والإيمان بهذا المعنى هو المراد بالإيمان المنفي في قوله عليه السلام: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث. وهكذا كل موضع جاء بمثله فالخلاف في المسألة لفظي لأنه راجع إلى تفسير الإيمان وأنه في أيّ المعنيين منقول شرعي وفي أيّهما مجاز ولا خلاف في

له وإن شاء عذّبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ (أي بأن لهم جنات). وموضع «أن» وما عملت فيه النصب بـ«بشّر» (عند سيبويه خلافًا للخليل) وهو كثير في التنزيل.

المعنى فإن الإيمان المُنجي من دخول النار هو الثاني باتفاق جميع المسلمين والإيمان المُنجي من الخلود في النار هو الأول باتفاق أهل السُّنَّة خلافًا للمعتزلة والخوارج ومما يدلّ على ذلك قوله عليه السلام في حديث أبي ذرّ «**ما من عبد قال لا إلٰه إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**». قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: «**وإن زنى وإن سرق**». قال: وإن زنى وإن سرق، الحديث. وقوله عليه السلام: «**يخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» فالحاصل أن السلف والشافعي إنما جعلوا العمل ركنًا من الإيمان بالمعنى الثاني دون الأول وحكموا مع فوات العمل ببقاء الإيمان بالمعنى الأول وبأنه ينجو من النار باعتبار وجوده وإن فات الثاني فبهذا يندفع الإشكال كذا أفاده العلّامة بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني الحنفي المتوفَّى سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة في شرح البخاري المسمَّى بعمدة القاري رحمه الله.

قوله: (**أي بأن لهم جنات**) فحذف حرف الجر وهو حذف مطّرد مع أن ومع أن الناصبة للمضارع بسبب طولهما بالصلة فلما حذف حرف الجر اختلف النحاة فذهب الخليل والكسائي إلى أن كلمة إن مع ما في حيِّزها مجرور المحل بناء على أن حرف الجر وإن ذهب لفظًا فهو ملحوظ معنى فيكون موجودًا حكمًا والجر باقيًا كما في قولهم: الله لأفعلنّ بجر لفظ الجلالة بإضمار الجار وذهب سيبويه والفرّاء إلى أنه منصوب المحل بناء على أن فصحاء العرب إذا حذفوا حرف الجر يجعلونه نسيًا منسيًا ويوصِلون الفعل بنفسه إلى مدخوله فينصبونه كما في قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] وهو المختار لأن حذف حرف الجر وإبقاء عمله نادر قليل وجنات اسم أن ولهم خبرها مقدّمًا ولا يجوز تقديم خبر إن وأخواتها إلا ظرفًا أو حرف جر.

قوله: (**عند سيبويه**) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمه الله. **قوله**: (**خلافًا للخليل**) بن أحمد البصري وهو أستاذ سيبويه رحمه الله.

(والجنة البستان) من النخل (**والشجر المتكاثف، والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان، وسميت دار الثواب**

قوله: (**والجنة البستان**) البستان يطلق على الأرض التي فيها الأشجار وعلى الأشجار وحدها وورد في شعر الأعشى بمعنى النخلة خاصة كما ذكره الجواليقي في كتاب العرب وقد عرَّبته العرب قديمًا واستعملته بهذين المعنيين وأصله بالفارسية بوستان وبوي الرائحة الطيبة وستان بمعنى المكان والناحية فخفّف بحذف الياء والواو وخصَّ بأرض الأشجار التي تعطر بروض النسيم وطيب الأزهار ثم عرِّب ونقل بهذا المعنى ثم توسّعوا فيه فأطلقوه على الأشجار نفسها ومثل البستان في معنييه الجنة فتطلق على الأرض بأشجارها وعلى الأشجار وحدها من النخل في المصباح النخل اسم جمع الواحدة نخلة وكل جمع بينه وبين واحده الهاء قال ابن السكِّيت: فأهل الحجاز يؤنِّثون أكثره فيقولون هي التمر وهي البر[1] وهي النخل وهي البقر وأهل نجد وتميم يذكرون فيقولون: نخل كريم وكريمة وكرائم وفي التنزيل نخل منقعر ونخل خاوية وأما النخيل بالياء فمؤنثه قال أبو حاتم لا اختلاف في ذلك. اهـ.

(**والشجر**) في المصباح الشجر ما له ساق صلب يقوم به كالنخل وغيره الواحدة شجرة وتجمع أيضًا على شجرات وأشجار. اهـ. (**المتكاثف**) مُستَعار من الكثافة المقابلة للَّطافة والرقّة. **قوله**: (**والتركيب دائر على معنى الستر**) أي إن حروف جنّ تتضمن معنى الستر (**ومنه الجن**) في المصباح الجن والجنة خلاف الإنس. اهـ. وسُمِّي الجنّ جنًّا لاستتارهم واختفائهم عن أعين الناس (**والجنون**) سُمِّي جنونًا لما فيه من ستر العقل (**والجنين**) في المصباح الجنين وصف له ما دام في بطن أُمه والجمع أجنّة مثل دليل وأدلّة قيل: سُمِّي بذلك لاستتاره فيه فإذا وُلِد فهو منفوس. اهـ. (**والجنة**) في لسان العرب الجُنة بالضم ما واراك من السلاح واستتر به والجنة السترة والجمع الجُنن. اهـ.

(**والجان**) حيّة بيضاء كذا في الصحاح (**والجنان**) بالفتح القلب سُمِّي به لاستتاره في الصدر كذا في لسان العرب. **قوله**: (وسُمِّيت دار الثواب

---

(١) البُرّ ـ بالضمّ ـ القمح، الواحدة برّة. اهـ مصباح. وأيضاً فيه القمح عربي وهو البرّ والحنطة والطعام، والقمحة الحبّة. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

جنة لما فيها من الجنان). والجنة مخلوقة (**لقوله تعالى**: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) خلافًا لبعض المعتزلة. (**ومعنى جمع الجنة وتنكيرها**) أن

جنة[١]) دار الثواب هي الدار الآخرة وهي في مقابلة الدنيا التي هي دار التكليف والنار التي هي دار العقاب كذا أفاده العلّامة شهاب عليه رحمة الله الوهّاب وقال العلّامة إسماعيل القنوي رَحِمَهُ اللهُ دار الثواب أي دار النعيم ومقام كريم لا الدار الآخرة والتعبير بدار الثواب أي دار الجزاء للإشارة إلى كونها في مقابلة الإيمان والأعمال الصالحات بمقتضى وعده تعالى وإن كان تفضّلًا ورحمة منه تعالى في حدّ ذاته. انتهى فافهم (**لما فيها من الجنان**) بالكسر جمع جنة بالفتح بمعنى أرض ذات أشجار وحدائق[٢] أو أشجار وهذا تعليل لتسمية دار الثواب الجنة مع أن فيها أنواعًا من النِّعَم سوى الأشجار المتكاثفة يعني سُمِّيت بها لكثرة جنانها كما أن دار العقاب سُمِّيت نارًا مع أن فيها أنواعًا من العذاب لكونها أعظم العقاب. **قوله**: (**لقوله تعالى**: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) قال القرطبي: لا خلاف أن الله تعالى أخرج إبليس عند كفره وأبعده عن الجنة وبعد إخراجه قال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾ [البقرة: الآية ٣٥] أي لازِم الإقامة واتخذها مسكنًا وهو محل السكون وليس المراد به ضدّ الحركة بل اللَّبث والاستقرار (﴿وَزَوۡجُكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) حوّاء يقال للمرأة الزوج والزوجة والزوج أفصح كما في تفسير أبي الليث وإنما لم يخاطبهما أولًا تنبيهًا على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له (﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥]) هي دار الثواب بإجماع المفسّرين خلافًا لبعض المعتزلة والقدرية حيث قالوا المراد بالجنة بستان كان في أرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانًا لآدم وأوّلوا الهبوط بالانتقال منه إلى أرض الهند كما في قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦١] وفيه نظر لأن الهبوط قد يُستَعار للانتقال إذا ظهر امتناع حقيقته واستبعادها وهناك ليس كذلك. **قوله**: (**ومعنى جمع الجنة وتنكيرها**)... الخ

---

(١) الجنّة ـ بالفتح ـ الحديقة ذات الشجر، وقيل: ذات النخل، والجمع جنّات على لفظها وجنان أيضاً، كذا في المصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) في المصباح: الحديقة البستان يكون عليه حائط فعيلة بمعنى مفعولة؛ لأن الحائط أحدق بها أي أحاط ثم توسّعوا حتى أطلقوا الحديقة على البستان وإن كان بغير حائط، والجمع الحدائق. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان. ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ الجملة في موضع النصب صفة لجنات،

جواب عمّا يقال أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي دار واحدة فما معنى جمعها وتنكيرها وتقرير الجواب أن الجنة وإن كان اسمًا لدار الثواب كلها إلا أنها مشتملة على جنان كثيرة فجمعت لاشتمالها عليها وأما تنكيرها فليدلّ على تنوّعها فإنها أنواع مختلفة بحسب اختلاف العامِلِين واختلاف أنواع أعمالهم وهِمَمِهم ودرجات أعمالهم وعلومهم واختلافهم كأنه قيل لهم جنات شتّى مختلفة بحسب اختلاف أعمالهم ومراتبها في مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله قال ابن عباس: وهي ثمانية: دار الجلال، ودار القرار، ودار السلام، وجنة عدن وهي قصبة الجنة وهي مُشرِفَة على الجنان كلها، وباب جنة عدن مصراعان من زمرّد وياقوت ما بين المصراعين كما بين المشرق والمغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، قال ابن عباس: دار الجلال كلها من نور مدائنها ومراقيها وقصورها وبيوتها وأبوابها وأعاليها وأسافلها وخيامها وأوانيها وحُلِيِّها وكل ما فيها، ودار القرار كلها من المرجان، ودار السلام كلها من الياقوت الأحمر، وجنة عدن من الزبرجد كلها، وجنة المأوى من الذهب الأحمر كلها، وجنة الخلد من الفضة كلها، وجنة الفردوس من اللؤلؤ كلها وحيطانها لَبِنَة من ذهب ولَبِنَة من فضة ولَبِنَة من ياقوت ولَبِنَة من زبرجد وملاطها وهو ما يُجعَل بين اللبنين مكان الطين المسك وقصورها الياقوت وغرفها اللؤلؤ ومصاريعها الذهب وأرضها الفضة وحصباؤها المرجان وترابها المسك ونباتها الزعفران والعنبر، وجنة النعيم من الزمرد كلها. وقال مجاهد: أرض الجنة فضة وترابها المسك وأصول أشجارها ذهب وفضة وأفنانها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ انتهت. وفي تفسير روح البيان للفاضل الكامل الشيخ إسماعيل حقي أفندي رحمه الله في الخبر أن المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألف حديقة في كل حديقة سبعون ألف شجرة على كل شجرة سبعون ألف ورقة وعلى كل ورقة لا إلـٰه إلّا الله محمد رسول الله أُمة مذنبة وربٌّ غفور كل ورقة عرضها من مشرق الشمس إلى مغربها. انتهى.

(والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية. وأنهار الجنة تجري في غير أخدود. وأنزه البساتين) ما كانت أشجارها مظلّة

قوله: (والمراد من تحت أشجارها) إشارة إلى أن الجنة عبارة عن مجموع العرصة والأشجار لا الأشجار وحدها وإن تقدير الأشجار أولى لأنها جزء المعنى المراد. **قوله: (كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية)** من تشبيه الحال بالحال والهيئة بالهيئة فلم يلزم أن يقال كما ترى الأنهار الجارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها[1] ثم لا خفاء في أن الأنهار إنما تجري من تحت الأشجار فيكون على حذف المضاف أن جعلت الجنة هي الأرض التي فيها الأشجار ولا يعلم من قوله الجنة البستان من النخل والشجر أنها نفس الأشجار الملتفّة أو الأرض التي فيها تلك أو مجموع الشيئين والشاطىء مهموز الآخر كالساحل وزنًا ومعنى وجمعه شواطىء. **قوله: (وأنهار الجنة تجري في غير[2] أخدود)** رواه مسروق وهذا أثر صحيح أخرجه ابن المبارك وهناد في الزهد وابن جرير والبيهقي في البعث والأخدود كما في الصحاح شقّ مستطيل في الأرض والأثر مؤيد لكون المعنى تجري من تحت أشجارها كذا في عناية القاضي وكفاية الراضي. وفي حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي وعلى ما ذكره مسروق يكون جريه تحت الأشجار على وجه غير معتاد وهو جريه على سطح الجنة حيث شاء أهلها منضبطًا بقدرة الله تعالى. انتهت.

ومسروق بزنة المفعول هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بالجيم ودال مهملة ابن مالك بن أميّة بن عبد الله الهمداني الكوفي التابعي المخضرم. روى عن أبي بكر الصدِّيق وعثمان وعليّ وسمع عمر بن الخطاب وابن مسعود وخباب بن الأرت وزيد بن ثابت وابن عمرو والمغيرة وعائشة رضي الله تعالى عنهم. روى عنه أبو وائل وهو أكبر منه وسليمان بن مسعود وابن الضحى والشعبي والنخعي والسبيعي وعبد الله بن مرّة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وآخرون واتفقوا على جلالته وتوثيقه وفضيلته وإمامته. قال الشعبي: ما علمت أحدًا كان أطلب للعلم من مسروق. وقال مُرَّة ما ولدت همدانية مثل مسروق

---

(١) أي جوانبها. ١٢ منه.

(٢) أي في غير شقّ، والخدّ الشقّ. ١٢ خازن.

والأنهار في خلالها (**مطردة**) والجري الاطّراد. والنهر المجرى الواسع (**فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل: نهر مصر، واللغة العالية**) نهر (**ومدار التركيب على السعة،**

وقال علي بن المديني لا أقدّم على مسروق أحدًا من أصحاب ابن مسعود وصلّى خلف أبي بكر ولقي عمر وعليًا ولم يروِ عن عثمان شيئًا. وقال أبو داود: كان أبو مسروق أفرس فارس باليمن وهو ابن أُخت عمرو بن معديكرب. وقال عمر بن الخطاب لمسروق: ما اسمك؟ قال: مسروق بن الأجدع، فقال سمعت النبي ﷺ يقول: الأجدع شيطان وأنت مسروق بن عبد الرحمٰن قال الشعبي: فرأيته في الديوان مسروق بن عبد الرحمٰن وكان مسروق يصلي حتى تورّمت قدماه. قال أبو سعد السمعاني كان مسروق سُرق في صغره فغلب عليه ذلك. توفي سنة ثنتين، وقيل: سنة ثلاث وستين كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (**وأنزه البساتين**)... الخ في مختار الصحاح نزّه النزهة معروفة ومكان نَزِه وقد نزهت الأرض بالكسر تَنْزَهُ نُزْهَةً أي تزيّنت بالنبات. انتهى. وفي غياث اللغات نزه بفتح أول وكسر زاء عربي وهاء ملفوظ پاك ازعيب ومجازًا بمعنى تازه وخوب ازلطائف. انتهى. **قوله**: (**مطّردة**) جارية في لسان العرب اطَّرَدَ الماء إذا تتابع سيلانه. انتهى. وفي المصباح اطّردت الأنهار جَرَت. انتهى.

قوله: (**فوق الجدول ودون البحر**) الجدول أصغر الأنهار كالقناة والبحر أعظمها. **قوله**: (**يقال للنيل نهر مصر**) وهو نهر عظيم مشهور. **قوله**: (**واللغة العالية**) أي الفصيحة المشهورة التي يتكلم بها الأعلون[1] في الفصاحة نهر بفتح الهاء وهو اسم جنس وقد يُراد به معنى الجمع كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٥٤]. **قوله**: (**ومدار التركيب على السَّعة**[2]) أي تركيب ما أوله نون ثم الهاء ثم الراء لا يخلو من معنى السعة فإن النهار اسم لضوء واسع يمتَدّ من طلوع الشمس إلى غروبها ويقال أنهرت الطعنة إذا وسعتها واستنهر الشيء أي اتّسع وأنهرت الدم أي أسلته بكثرة وأما النهر بمعنى الزجر فالمراد به زجر بليغ كما فسره الراغب ففيه سعة معنوية قيل ومنه الرهن لأن فيه سعة للراهن والمرتهن فالمراد من

---

(١) أي الفصيح الأعلى. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) سعة ـ بالفتح ـ فراخى، والهاء عوض من الواو. منتهى الأرب.

وإسناد الجري إلى الأنهار مجازي). وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها **(فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى:** ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: الآية ٤]،

التركيب التركيب من هذه الحروف مطلقًا. **قوله**: **(وإسناد الجري إلى الأنهار مجازي)** من غير تجوّز[1] في الظرف ولا تقدير[2] فيكون لفظ الأنهار حقيقة لغوية وإسناد الجري إلى الأنهار مجازًا عقليًا على طريق إسناد الفعل إلى المحل الذي يلابسه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: الآية ٢] فإن الفاعل الحقيقي للإخراج هو الله تعالى وقد أسند إلى الأرض التي هي محل إخراج الله تعالى الأثقال. **قوله**: **(فعوّض التعريف باللام من تعريف الإضافة)** فيكون تعريف الأنهار تعريفًا لاميًا قائمًا مقام التعريف الإضافي لا أن يكون اللام عوضًا من المضاف إليه كما يراه[3] الكوفيون وبعض البصريين. **قوله**: **(كقوله تعالى:** ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم: الآية ٤]) لم يُضِف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا يعني من جهة جعله خبرًا عن ﴿إِنِّي﴾ [مريم: الآية ٤] وعطفه على ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ [مريم: الآية ٤] فظهر أن المعنى على الإضافة وصحَّ أن التعريف باللام بدل من تعريف الإضافة من غير أن يكون اللام بدلًا من المضاف إليه في تفسير الجلالين في سورة مريم في ذكر زكريا على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام قال: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ [الآية ٤] ضعف ﴿ٱلۡعَظۡمُ﴾ [الآية ٤] جميعه ﴿مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ﴾ [الآية ٤] مني ﴿شَيۡبٗا﴾ [الآية ٤] تمييز مُحَوَّل من الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب. انتهى. وفي الجمالين للجلالين للعلّامة علي القاري عليه رحمة الله الباري.

قوله: (ضعف) بضم العين. قوله: (جميعه) الأظهر جنسه وخصّ جنسه عمود البدن وأشدّ ما فيه. **قوله**: (﴿مِنِّي﴾ [مريم: الآية ٤]) ففيه إجمال وتفصيل أو

---

(١) على أن يكون لفظ الأنهار مجازًا لغويًا من حيث أنه كان موضوعاً للمجازي التي هي الأخاديد، وأُريد به ما حلّ فيها من المد مجازًا مرسلًا. ١٢ منه.

(٢) على أن يكون الأصل تجري من تحتها مياه الأنهار، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢]، أي أهل القرية. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) أي كون اللام عوضاً عن المضاف إليه. ١٢ منه.

أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: الآية ١٥]، **الآية**) والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا (**قرن**) الله تعالى الجنّات بذكر الأنهار الجارية وقدمه (**على سائر نعوتها**).

رأسي وهو الأظهر والمراد شعره وأسند إلى منبته مجازًا لإفادة الشمول. **قوله**: (شعره) أي الرأس. انتهى. **قوله**: (**أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى فيها**: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمَّد: الآية ١٥] **الآية**) فيكون اللام للعهد الخارجي والآية المذكورة من سورة القتال وهي مدنية[١] على الأصح وقيل إنها مكية[٢] ولهذا قال الشيخ بهاء الدين بن عقيل رحمه الله هذا يتوقف على تقدم نزول آية القتال على هذه وقد قال عكرمة: إن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة ولذا قال الفاضل التفتازاني: إنما يصحّ هذا لو ثبت سبقها في الذِّكر ومع ذلك فلا يخفى بعد مثل هذا العهد وتبعه الفاضل الشريف قدّس سره. وفي حواشي ابن الصائغ هذا إنما يتمشّى على تقدير أن يكون ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ [محمد: الآية ١٥] الآية سبقت في النزول هذه الآية وهو قول الضحاك وسعيد بن جبير في أنها مكية وأما على قول مجاهد إنها مدنية فإنما يتمشّى على تقدير أن يكون ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ [محمد: الآية ١٥]... الخ سبقت في النزول هذه الآية. **قوله**: (**في قوله تعالى**: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمَّد: الآية ١٥] **الآية**) في تفسير الجلالين في سورة القتال ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمَّد: الآية ١٥] بالمد والقصر كضارب وحَذِر أي متغيِّر بخلاف ماء النهر فيتغيَّر لعارض (﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [**محمد: الآية ١٥**]) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ [محمد: الآية ١٥] لذيذة (**للشاربين**) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: الآية ١٥]) بخلاف عسل الدنيا فإنه يخرج من بطن النحل يخالطه الشمع وغيره[٣]. انتهى. **قوله**: (**قرن**) في لسان العرب قَرَنْتُ الشيء بالشيء وصلتُه. انتهى.

قوله: (**على سائر نعوتها**) في المصباح سئر الشيء سؤرًا بالهمزة من باب شرف بقي فهو سائر قاله الأزهري واتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه قليلًا كان

---

(١) فح لا عهد. ١٢ منه. (٢) فح يكون قرينة على العهد. ١٢ منه.
(٣) قوله: وغيره من فضلات النحل علي قاري رحمه الله. ١٢ منه.

﴿(كُلَّمَا) رُزِقُوا۟﴾ (صفة ثانية لـ«جنات» أو جملة مستأنفة) لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل (خلد السامع) أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أُخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل: إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله. ﴿مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي «كلما رزقوا» من الجنات، من أي ثمرة كانت من (تفاحها

أو كثيرًا قال الصغاني: سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام ولا يجوز أن يكون مشتقًّا من سور البلد لاختلاف المادتين ويتعدّى بالهمزة فيقال أسأرته ثم استعمل المصدر اسمًا للبقية أيضًا وجمع على أسْآر مثل قفل وأقفال. انتهى. وفي منتهى الأرب في لغات العرب:

سائر كصاحب باقي وهمه قليلًا

ومنه قول الأحوص:

فجلتها لنا لبابة لَمَّا وَقَدَ النومُ سائر الحُرَّاس

أي جميعهم. انتهى وأيضًا فيه سار الشيء تمامه أن چيز لغة في سائر الشيء. انتهى. وأيضًا فيه سائر الناس تمامه مردم. انتهى. **قوله**: (كُلَّمَا) نصب على الظرفية وهذا بالاتفاق وناصبها قالوا الذي هو جوابه معنى وجاءتها الظرفية من جهة ما فإنها إما مصدرية أو اسم نكرة بمعنى وقت وكونها شرطية ليس بالوضع وإنما طرأ عليها في الاستعمال لأن ما المصدرية التوقيتية شرط من حيث المعنى فلذا احتاجت لجملتين مرتبة أحدهما على الأخرى ولا يجوز أن تكون ما شرطية كما فصّله في المغني وشرحه. **قوله**: (صفة ثانية لجنات) أي صفة مادحة لها كالصفة الأولى وهي تجري فيكون منصوب المحل ولم يتخلل العاطف بين الصفتين إشعارًا بأن الصفة الثانية أيضًا صفة مستقلة ولو عطف الثانية على الأولى ربما توهّم أنها صفة واحدة. **قوله**: (أو جملة مستأنفة) فلا يكون لها محل من الإعراب. **قوله**: (خلد السامع) الخلد بفتحتين البال والقلب والنفس وكلٌّ منها صحيح هنا. **قوله**: (تفاحها) في المصباح التفاح فعال فاكهة معروفة الواحدة تفاحة وهو عربي. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب تُفّاح كرمّان سيب تُفّاحة يكي.

أو رمانها) أو غير ذلك «رزقًا» قالوا ذلك. (فـ «من» **الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية)** لأن الرزق قد ابتدىء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدىء من ثمرة، ونظيره أن تقول: رزقني فلان فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه. فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من الرمان. وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة (**الفذة**) وإنما المراد نوع من أنواع الثمار. ﴿رُزِقۡنَا﴾ أي رزقناه فحذف العائد ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ أي من قبل هذا، فلما قطع عن الإضافة بنى، والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ وهذا كقولك: («**أبو يوسف أبو حنيفة**») تريد أنه (**لاستحكام الشبه**) كأن ذاته ذاته.

انتهى. **قوله**: (**أو رمّانها**) في المصباح الرمّان فعال ونونه أصلية ولهذا ينصرف فإن سُمّي به امتنع حملًا على الأكثر الواحدة رمانة. انتهى.

قوله: (**فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية**)... الخ يعني (إنهما) ظرفان لغوان متعلقان بـ ﴿رُزِقُواْ﴾ إلا أن الأول متعلق به مطلقًا والثاني متعلق به مقيدًا بكونه من الجنات. **قوله**: (**الفَذّة**) أي الواحدة في المصباح **الفَذُّ** الواحد وجمعه فذوذ. انتهى. **قوله**: (**لاستحكام الشبه**) بينهما في العلم والاجتهاد. **قوله**: (**أبو يوسف وأبو حنيفة**) في كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان للعلّامة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان، عليه رحمة الله تعالى المنّان، القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد ابن حبتة الأنصاري وسعد ابن حبتة أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو مشهور في الأنصار بأُمه وهي حبتة بنت مالك من بني عمرو بن عوف وأما أبو سعد ابن حبتة فهو عوف بن بجير بن معاوية بن سلمى بن بجيلة حليف بني عمرو بن عوف الأنصاري هكذا ساق نسب سعد ابن حبتة في الاستيعاب وأما الخطيب أبو بكر البغدادي فإنه قال في تاريخه هو سعد بن بجير بن معاوية بن قحافة بن بليل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي سامة بن شحمة بن سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن بجيلة كان القاضي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة وهو صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه وكان فقيهًا عالِمًا حافظًا سمع أبا إسحٰق الشيباني وسليمان التيمي ويحيىٰ بن سعيد الأنصاري والأعمش وهشام بن عروة وعطاء بن السائب ومحمد بن إسحٰق بن يسار وتلك الطبقة وجالس محمد بن

....

عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ثم جالس أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه النعمان بن ثابت وكان الغالب عليه مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وخالفه في مواضع كثيرة وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني الحنفي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد وأحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين في آخرين وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يُكرمه ويُجِلّه وكان عنده حَظِيًّا مَكينًا وهو أول مَن دُعِي بقاضي القضاة ويقال إنه أول مَن غيّر لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئًا واحدًا لا يتميَّز أحد عن أحد بلباسه ولم يختلف يحيىٰ بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل وذكر أبو عمر بن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب في كتابه الذي سمّاه كتاب الانتهاء في فضائل الثلاثة الفقهاء أن أبا يوسف المذكور كان حافظًا وأنه كان يحضر المحدّث ويحفظ خمسين أو ستين حديثًا ثم يقوم فيُمليها على الناس، وكان كثير الحديث. وقال محمد بن جرير الطبري: وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غَلَبَة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام مع صحبة السلطان وتقلّده القضاء. وحكى أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أبا يوسف قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مُقلّ رثّ الحال فجاءني أبي يومًا وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال: يا بني لا تمدّ رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خُبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخّري عنه قال لي: ما شغلك عنّا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست فلما انصرف الناس دفع إليَّ صرّة وقال: استمتع بها فنظرت فإذا فيها مائة درهم، وقال لي الزم الحلقة وإذا فرغت هذه فأعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إليَّ مائة أخرى ثم كان يتعهّدني وما أعلمته بخلّة قطّ ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتموّلت ثم قال الخطيب: وحُكِيَ أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلًا صغيرًا وأن أُمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة ثم روى

....

الخطيب أيضًا بسند متصل إلى علي بن الجعد قال: أخبرني أبو يوسف القاضي قال: توفي أبي وخلفني صغيرًا في حِجْر أُمي فأسلمتني إلى قصَّار أخدمه فكنت أدع القصَّار وأمرّ إلى حلقة أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فأجلس أسمع فكانت أُمي تجيء خلفي إلى الحلقة فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصَّار وكان أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعنى بي لِما يرى من حضوري وحِرصي على التعلّم فلما كثر ذلك على أُمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك هذا صبي يتيم لا شيء له وإنما أُطعمه من مِغزَلي وآمل أن يكسب دانقًا يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مرّي يا رعناء[1] ها هو ذا يتعلّم أكل الفالوذج بدهن الفستق فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاء وكنت أُجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فلما كان في بعض الأيام قَدِم إلى هارون الرشيد فالوذجة فقال لي: يا يعقوب كل منها فليس في كل يوم يُعمَل لنا مثلها، فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت فقال لي: مِمَّ ضحكك؟ فقلت: خيرًا أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لتخبرني وألحَّ عليَّ فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها فتعجّب من ذلك وقال: لعمري إن العلم لينفع دُنيا ودينًا وترحَّم على أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه. وحكى علي بن المحسن التنوخي عن أبيه عن جدّه قال: كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قَدِم بغداد بعد موت أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه فحنث بعض القوّاد في يمين فطلب فقيهًا يستفتيه فجيء له بأبي يوسف فأفْتاه أنه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له دارًا بالقرب منه ودخل ذلك القائد يومًا على الرشيد فوجده مغمومًا فسأله عن سبب غمّه فقال شيء من أمر الدين قد أحزنني فاطلب لي فقيهًا كي أستفتيه فجاءه بأبي يوسف. قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسنًا عليه أثر المُلْك وهو في حجرة محبوس فأومى إليّ بأصبعه مُستغيثًا فلم أفهم منه إرادته وأدخلت

(١) في القاموس: الأرعن الأَهْوَج في منطقه والأحمق المسترخي، وقد رعن ـ مثلثة ـ رعونة ورعنا محرّكة. اهـ. وأيضًا فيه: الهوج محركة طولٌ في حمق. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

إلى الرشيد فلما مَثَلْتُ بين يديه سلَّمت ووقفت فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين، قال: ما تقول في إمام شاهد رجلًا يزني هل يحدّه قلت: لا فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إليَّ بالاستغاثة هو الزاني ثم قال الرشيد: من أين قلت هذا؟ قلت: لأن النبي ﷺ قال: «**ادرءوا الحدود بالشُبُهات وهذه شُبهة يسقط الحد معها**» قال: وأيّ شُبهة مع المعاينة؟ قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحدود لا تكون بالعلم وليس لأحد أخذ حقه بعلمه فسجد مرة أخرى وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أُمه وجماعته وصار ذلك أصلًا للنعمة ولزمت الدّار فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلَّدني القضاء، قلت: وهذا يخالف ما نقلته قبل هذا من أنه وَلِيَ القضاء لثلاثة من الخلفاء والله أعلم بالصواب. وقال طلحة بن محمد بن جعفر أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل وهو صاحب أبي حنيفة وأفقه أهل عصره ولم يتقدّمه أحد في زمانه وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر وهو أول مَن وضع الكتب في أصول الفقه في مذهب أبي حنيفة وأملى المسائل ونشرها وبثّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، قال عمّار بن أبي مالك: ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى ولكنه هو الذي نشر قولهما وبثّ علمهما وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضًا خِيفَ عليه منه فعاده أبو حنيفة ونحن معه فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال: إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم مَن عليها وأومى إلى الأرض وقال أبو يوسف: سألني الأعمش عن مسألة فأجبته عنها فقال لي: من أين لك هذا؟ فقلت: من حديثك الذي حدَّثتناه أنت ثم ذكرت له الحديث فقال لي يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن، وقال هلال بن يحيىٰ: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب

....

الجليس والأنيس عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: مضى أبو يوسف ليستمع المغازي من محمد بن إسحٰق أو من غيره وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أيامًا فلما أتاه قال أبو حنيفة: يا أبا يوسف مَن كان صاحب راية جالوت؟ فقال له أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيما كان أولًا وقعة بدر أو أُحُد فإنك لا تدري أيّهما كان قبل الآخر فأمسك عنه وذكر في الكتاب المذكور أيضًا عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يومًا كتابًا وعلى يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه ففطن له أبو يوسف فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له: هل وقفت على شيء من خطأ؟ فقال: لا والله ولا حرف واحد. فقال له أبو يوسف: جزيت خيرًا حيث كفيتنا مؤنة قراءته ثم أنشد:

كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتاب سوء الأدب

وقال حماد بن أبي حنيفة: رأيت أبا حنيفة يومًا وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر وهما يتجادلان في مسألة فلا يقول أبو يوسف قولًا إلا أفسده زفر ولا يقول زفر قولًا إلا أفسده أبو يوسف إلى وقت الظهر فلما أذّن المؤذّن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر وقال: لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف وقضى لأبي يوسف على زفر ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر. وقال طاهر بن أحمد الزبيري: كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيُطيل الصمت فقال له أبو يوسف ألا تتكلم؟ فقال: بلى متى يفطر الصائم؟ فقال: إذا غابت الشمس، فقال: فإن لم تغب إلى نصف الليل؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثّل:

عجبت لإزراء الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت سترٌ للغبي وإنما صحيفة لبّ المرء أن يتكلما

ومن كلام أبي يوسف صحبة مَن لا يخشى العار عار يوم القيامة وكان يقول: رؤوس النِّعَم ثلاثة: أولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغِنى التي لا يتم العيش إلا بها. وقال علي بن الجعد سمعت أبا يوسف يقول: العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى

....

تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر. وكان أبو يوسف راكبًا وغلامه يعدو وراءه فقال له رجل: أتستحلّ أن يعدو غلامك وراءك لِمَ لا تُركِبْه؟ فقال له: أيجوز عندك أن أسلم غلامي مكاريًا؟ قال: نعم. قال أبو يوسف: فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكاريًا. وقال يحيىٰ بن عبد الصمد: خُوصِم أمير المؤمنين الهادي إلى القاضي أبو يوسف في بستان وكان الحكم في الظاهر للهادي وفي الباطن خلاف ذلك، فقال الهادي للقاضي أبي يوسف: ما صنعت في الأمر الذي نتنازع إليك فيه؟ فقال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على الحق؟ فقال له الهادي: وترى ذلك؟ قال: فقد كان ابن أبي ليلى يراه فقال: ردّوا البستان عليه وإنما احتال عليه أبو يوسف لعلمه أن الهادي لا يحلف. وقال بشر بن الوليد الكندي: قال لي القاضي أبو يوسف: بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي فإذا داقٌّ يدقّ الباب دقًّا شديدًا فأخذت عليَّ إزاري وخرجت فإذا هرثمة بن الأعين فسلّمت عليه فقال: أجِب أمير المؤمنين. فقلت: يا أبا حاتم لي بك حُرمَة وهذا وقت كما ترى ولست آمَن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور فإن أمكنك أن تدفع عني ذلك إلى غدٍ فلعله أن يحدث له رأي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، قلت: كيف كان السبب؟ قال: خرج إليَّ مسرور الخادم فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين، فقلت أتأذن لي أن أصبّ عليَّ ماء وأتحنّط فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأني وإن رزق الله العافية فلن يضرّني فأذِنَ لي فدخلت فلبست ثيابًا جديدة وتطيَّبت بما أمكَن من الطِّيب ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هارون الرشيد فإذا مسرور واقف فقال له هرثمة: قد جئت به، فقلت لمسرور: يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي وهذا وقت ضيق أفتدري لِمَ طلبني أمير المؤمنين؟ قال: لا، فقلت: فمَن عنده؟ قال: عيسى بن جعفر، قلت: ومَن قال ما عندهما ثالث ثم قال لي مر فإذا صرت في الصحن فإنه في الرّواق وهو ذاك جالس فحرِّك رِجلك في الأرض فإنه سيسألك فقل أنا قال أبو يوسف فجئت فقطعت ذلك فقال: مَن هذا؟ فقلت: يعقوب، فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلّمت فردّ السلام عليَّ وقال: أظنّنا روَّعناك؟ فقلت: أي والله وكذلك مَن خلفي، فقال:

....

اجلس، فجلست حتى سكن روعي ثم التفت إليَّ وقال: يا يعقوب أتدري لِمَ دعوتك؟ قلت: لا، قال: دعوتك لأُشهدك على هذا أن عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع وسألته أن يبيعها فأبى والله لئن لم يفعل لأقتلنّه. قال أبو يوسف: فالتفت إلى عيسى فقلت: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك في هذه المنزلة؟ فقال لي: عَجِلْتَ عليَّ في القول قبل أن تعرف ما عندي. قلت: وما هذا من الجواب؟ قال: إن عليّ يمينًا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها، فالتفت إليّ الرشيد فقال: هل له في ذلك من مخرَج؟ قلت: نعم، قال: وما هو؟ قلت يهب لك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهب ولم يبع. فقال عيسى: ويجوز ذلك. قلت: نعم. قال: فأُشهِدك أني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار. فقال له الرشيد: قَبلت الهِبَة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار ثم طلب منه الجارية، فأتى بالجارية والمال فقال: خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها. فقال الرشيد: يا يعقوب بقيت واحدة. فقلت: وما هي؟ فقال: هي مملوكة ولا بدَّ أن تستبرأ ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إني لأظن أن نفسي ستخرج. فقلت: يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فإن الحرّة لا تستبرأ، قال: فإني قد أعتقتها فمَن يزوِّجنيها؟ فقلت: أنا، فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوّجته إياها على عشرين ألف دينار ودعا بالمال فدفعه إليها ثم قال لي: يا يعقوب انصرف ورفع رأسه إلى مسرور وقال: يا مسرور فقال: لبَّيك، قال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختًا[1] ثيابًا، فحمل معي ذلك. قال بشر بن الوليد: فالتفت إليَّ أبو يوسف وقال: هل رأيت بأسًا فيما فعلت؟ فقلت: لا، قال خذ حقك من هذا المال. قلت: وما حقي؟ قال: العشر. قال بشر فشكرته ودعوت له وذهبت لأقوم فإذا بعجوز قد دخلت فقالت: يا أبا يوسف إن ابنتك تُقرئك السلام وتقول لك: والله ما وصل إليَّ في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته وقد حملت إليك النصف منه وخلفت الباقي لما احتاج إليه، فقال: ردّيه فوالله لا

---

(١) التخت: وِعاء يُصان فيه الثياب. اهـ قاموس. ١٢ منه عُفِي عنه.

قبلتها أخرجتها من الرقّ وزوَّجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا؟! قال بشر فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها وأمر لي منها بألف دينار وقال أبو عبد الله اليوسفي أن أُم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف ما ترى في كذا وأحبّ الأشياء إليّ أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما أحبّت فبعثت إليه بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات في كل واحد لون من الطيب وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير فقال له جليس له: قال رسول الله ﷺ: «مَن أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها». فقال أبو يوسف: ذلك حين كانت الهدايا اللبن والتمر. وقال يحيىٰ بن معين: كنت عند أبي يوسف القاضي وعنده جماعة من أصحاب الحديث وغيرهم فوافته هدية أُم جعفر احتوت على تخوت ديبقى ومصمت وشرب وطيب وتماثيل ند[١] وغير ذلك فذاكرني رجل بحديث رسول الله ﷺ: «مَن أتته هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاءه فيها»، فسمعه أبو يوسف فقال: أنّى تعرض ذلك؟ وإنما قاله النبي ﷺ والهدايا يومئذ الأقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا ما ترون يا غلام أشل[٢] إلى الخزائن ونقلت من كتاب اسمه اللفيف ولم يذكر فيه مَن هو مصنفه، قال: كان عبد الرحمـٰن بن مسهر أخو علي بن مسهر قاضيًا على المبارك، (قلت) المبارك بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها كاف وهي بُلَيدة بين بغداد وواسط على شاطىء دجلة قال: فبلغ القاضي خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحرّاقة[٣] فقال عبد الرحمـٰن القاضي لأهل المبارك اثنوا عليَّ عند أمير المؤمنين وعند القاضي أبي يوسف فأبوا عليه ذلك فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلسانًا أسود وجاء إلى الشريعة فلما أقبلت الحراقة رفع صوته وقال: يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضينا قاضي صدق ثم مضى إلى شريعة أخرى، وقال مثل مقالته الأولى فالتفت هارون الرشيد إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب هذا شرّ قاضٍ في

(١) الندُّ: طيب، ويكسر أو العنبر. ١٢ قاموس.

(٢) في القاموس: أشَال الحجر وشال به وشاوله رفعه. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٣) في لسان العرب: الحَرّاقة بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدوّ في البحر. اهـ منه عُفِي عنه.

الأرض قاضٍ في موضع لا يُثني عليه إلا رجل واحد، فقال له أبو يوسف: وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي يثني على نفسه قال فضحك هارون وقال: هذا أظرف الناس هذا لا يُعزَل أبدًا وكان الرشيد إذا ذكره يقول: هذا لا يُعزَل أبدًا. وقيل لأبي يوسف: أتولِّي مثل هذا القضاء؟ فقال إنه أقام ببابي مدة وشكى إليَّ الحاجة فولّيته. وقال أبو العباس أحمد بن يحيىٰ المعروف بثعلب صاحب كتاب الفصيح: أخبرني بعض أصحابنا أن الرشيد قال لأبي يوسف: بلغني أنك تقول إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنّعة، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: لأن مَن صحَّ ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه ومَن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنّعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره فتبسّم الرشيد وقال: صدقت. وقال محمد بن سماعة: سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول: اللَّهمَّ إنك تعلم أني لم أجر في حُكْم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمّدًا ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسُنَّة نبيّك ﷺ وكل ما أشكل عليَّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك وكان عندي والله ممَّن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه. قلت: وهذا الكلام مأخوذ من قول أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وقد رُؤِيَ يمسح على خُفَّيه فقيل له: أتجوِّز المسح؟ قال: نعم، قد مسح عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومَن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق ذكر هذا ابن قتيبة في ترجمة عليّ رضي الله تعالى عنه وأخبار أبي يوسف كثيرة وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه وقد نقل الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ألفاظًا عن عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون ومحمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسن الدارقطني وغيرهم ينبو السمع عنها فتركت ذِكرها والله أعلم بحاله. وكانت ولادة القاضي أبي يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد. وقيل توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة والأول أصحّ ووَلِيَ القضاء سنة ست وستين ومائة ومات وهو على القضاء رحمه الله تعالى. وأما ولده

....

يوسف فإنه كان قد نظر في الرأي وفقه وسمع الحديث من يونس بن أبي إسحٰق السبيعي والسري بن يحيىٰ وغيرهما ووَلِي القضاء بالجانب الغربي من بغداد في حياة أبيه وصلّى بالناس الجمعة في مدينة المنصور بأمر هارون الرشيد ولم يزل على القضاء إلى أن مات في رجب سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد وذكر الخطيب البغدادي أن أبا يوسف القاضي لمّا مات ولّى الرشيد مكانه أبا البختري وهب بن وهب القرشي وكان أبو يعقوب الحزيمي الشاعر المشهور صديقًا لأبي يوسف ولابنه يوسف فلما توفي أبو يوسف سمع الحزيمي رجلًا يقول: اليوم مات الفقه فأنشد الحزيمي:

يا ناعِ الفقه إلى أهله	إن مات يعقوب ولا تدري
لم يمت الفقه ولكنه	حُوِّل من صدر إلى صدر
ألقاه يعقوب إلى يوسف	فزال من صُلْبٍ إلى ظهر
فهو مقيم فإذا ما ثوى	وحلَّ حلَّ الفقه في قبر

رحمهما الله تعالى وخُنيس بضم الخاء المعجمة تصغير أخنس وهو الذي تأخر أنفه عن وجهه مع ارتفاع قليل في الأرنبة فالرجل أخنس والمرأة خنساء وهذا التصغير يسمى تصغير ترخيم وحقيقته أن تُحذَف منه الحروف الزوائد ويُصَغَّر الباقي، كما قالوا أزهر وزهير وأسود وسويد وأحمد وحميد وغير ذلك. وحبته بفتح الحاء المهملة وسكون الباء الموحدة وبعدها تاء مثناة من فوقها ثم هاء ساكنة وكشفت عن معنى هذا الاسم في عدة مواضع من كتب اللغة وغيرها فلم أجده وبحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة، وقيل: هو بضم الباء وبالجيم المفتوحة والأول أصحّ والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه وسعد ابن حبته من جملة مَن استصغر يوم أُحُد، هو والبراء بن عازب وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم فردّهم النبي ﷺ ورآه النبي ﷺ يوم الخندق وهو يقاتل قتالًا شديدًا مع حداثة سِنّه فدعاه وقال له: مَن أنت؟ فقال سعد ابن حبته: فقال: أسعد الله جدّك ومسح على رأسه رضي الله عنه وخنيس هو صاحب جهار سوج خنيس بالكوفة وهو لفظ أعجمي تفسيره بالعربي أربع طرق لأن هذا المكان رحبة مربعة تفترق إلى أربع جهات والله تعالى أعلم. انتهى ما في كتاب وفيات الأعيان

....

وأنباء أبناء الزمان للعلّامة القاضي أحمد الشهير بابن خلكان، عليه رحمة الله المنّان. وفي الجواهر المضيئة للشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفا محمد القرشي المصري الحنفي المتوفَّى سنة خمس وسبعين وسبعمائة قال ابن أبي العوام: حدّثني محمد بن أحمد بن حمّاد، حدَّثني محمد بن شجاع سمعت الحسن بن أبي مالك وعباس بن الوليد وبشر بن الوليد وأبا علي الرازي يقولون: سمعنا أبا يوسف يقول: ما قلت قولًا خالفت فيه أبا حنيفة إلا وهو قول قاله ثم رغب عنه. انتهت. وأيضًا فيها أن أبا يوسف القاضي أوصى بمائة ألف لأهل مكة ومائة ألف لأهل المدينة ومائة ألف لأهل الكوفة ومائة ألف لأهل بغداد. انتهت باختصار. وأيضًا فيها بعث معروف الكرخي وكان موصوفًا بالعبادة رجلًا من أصحابه إلى دار أبي يوسف القاضي وكان عليلًا فقال له: أظنه قد مات فإن أُخرِج ليُدفَن فأعلِمني لأحضر جنازته، قال: فذهب الرجل فاستقبله جنازة أبي يوسف على باب داره وصلَّى عليه في مسجده ودفن بقرب داره فلم يلحق الرجل أن يرجع إلى معروف قبل أن يُصَلَّى عليه فلما فرغ من دفنه صار إلى معروف فأخبره الخبر فجعل معروف يترجّع لِما فاته من الصلاة عليه ويُظهِر الغَمّ لذلك. فقال له الرجل: يا أبا محفوظ أتتأسف على رجل من أصحاب السلطان يَلِي القضاء ويرغب في الدنيا أن لم تحضر جنازته؟! قال: فقال معروف: رأيت البارحة كأني دخلت الجنة فرأيت قصرًا قد فُرِشَت مجالسه وأُرخِيَت سُتُوره وقام ولدانه فقلت: لمَن هذا القصر؟ فقالوا ليعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبي يوسف. فقلت: يا سبحان الله بمَ استحقّ هذا من الله؟! فقالوا: بتعليمه الناس العلم وصبره على أذاهم. انتهت باختصار.

وفي تهذيب الأسماء للإمام محيي الدين بن شرف النووي الشافعي المتوفَّى سنة ست وسبعين وستمائة أبو حنيفة الإمام، هو الإمام البارع أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بضم الزاي وفتح الطاء[1]، قال الشيخ أبو إسحٰق في الطبقات: هو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة. وُلد سنة ثمانين

---

(١) كموسى وفتحها كسلمى وسكرى. ١٢ منه.

....

من الهجرة، وتوفي ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة أخذ الفقه عن حمّاد بن أبي سليمان، قال: وكان في زمنه أربعة من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد وأبو الطفيل. ولم يأخذ عن أحد منهم. وقال الخطيب البغدادي في التاريخ: هو أبو حنيفة التيمي إمام أصحاب الرأي وفقيه أهل العراق، رأى أنس بن مالك وسمع عطاء بن أبي رَبَاح وأبا إسحٰق السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصرّاف وقيس بن مسلم ومحمد بن المنكدر ونافعًا مولى ابن عمر وهشام بن عروة وبريد الفقير وسماك بن حرب وعلقمة بن مرثد وعطية العوفي وعبد العزيز بن رفيع وعبد الكريم أبا أمية وغيرهم، روى عنه أبو يحيىٰ الحمّاني وهشيم بن بشير وعباد بن العوّام وعبد الله بن المبارك ووكيع بن الجرّاح ويزيد بن هارون وعلي بن عاصم ويحيىٰ بن نصر وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وعمرو بن محمد العَبقَري وهودة بن خليفة وأبو عبد الرحمٰن المقري وعبد الرزاق بن همام وآخرون. قال الخطيب: وهو من أهل الكوفة نقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد فأقام بها حتى مات ودفن بالجانب الشرقي منها في مقبرة الخيزران، وقبره هناك ظاهر معروف. ثم روى الخطيب بإسناده عن أحمد بن عبد الله بن صالح العَجَلي الإمام الحافظ قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت: كوفيٌّ تَيْميٌّ من رهط حمزة الزيّات وكان خزَّازًا يبيع الخزّ وبإسناده عن عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى: فأما زوطى فإنه من أهل كابل[1] ووُلِد ثابت على الإسلام وكان زوطى مملوكًا لبني تيم الله بن ثعلبة فأُعتق فولاؤه لبني تيم الله بن ثعلبة. وكان أبو حنيفة خزّازًا ودُكّانُهُ معروف في دار عمرو بن حريث. وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: أصل أبي حنيفة من كابل. وقال أبو عبد الرحمٰن المقري: كان أبو حنيفة من أهل بابل. وقال يحيىٰ بن النضر القرشي: كان والد أبي حنيفة من سباءٍ. وقال الحارث بن إدريس: أصل أبي حنيفة من ترمذ. وقال إسحٰق بن البهلول عن أبيه: قال ثابت والد أبي حنيفة من الأنبار وبإسناده عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: أنا إسماعيل بن حمّاد بن النعمان بن

(١) بضم الباء من إقليم المتأخر بالهند. ١٢ منه.

....

ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار والله ما وقع علينا رقٌّ قطّ. وُلِد جدّي سنة ثمانين وذهب ثابت إلى عليّ بن أبي طالب وهو صغير فدعا له بالبركة في ذرّيّته ونحن نرجو من الله أن يكون قد استجاب ذلك من عليّ بن أبي طالب فينا وبإسناده عن عبد الله بن عمرو الرقّي قال: كلّم ابن هبيرة أبا حنيفة أن يَلي له قضاءَ الكوفة فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع فلمّا رأى ذلك خلّى سبيله. وكان ابن هبيرة عامِلًا على العراق في زمن بني أُمَيَّة وعن أبي بكر بن عياش قال: ضرب أبو حنيفة على القضاء وعن الربيع بن عاصم، قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقَدِمتُ بأبي حنيفة فأراده على بيت المال فأبى فضربه أسواطًا. وعن يحيىٰ بن عبد الحميد عن أبيه قال: كان أبو حنيفة كل يوم من الأيام يضرب ليدخل في القضاء فيأبى ولقد بكى في بعض الأيام فلمّا أطلق قال لي: كان عمر[1] والدتي أشدّ عليَّ من الضرب، وعن إسماعيل بن سالم البغدادي قال: أُكرِه أبو حنيفة على الدخول في القضاء فلم يقبل. قال: وكان أحمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحّم على أبي حنيفة وبإسناده عن بشر بن الوليد الكندي قال: أشخص[2] المنصور أبو جعفر أمير المؤمنين أبا حنيفة ـ يعني من الكوفة إلى بغداد ـ فأراده على أن يولِّيه القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلنَّ فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فحلف المنصور ليفعلنَّ فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فقال الربيع الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف؟ قال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفَّارة أيمانه أقدر مني على كفَّارة أيماني فأمر به إلى السجن في الوقت والصحيح أنه توفي وهو في السجن بإسناده عن معتب، قال: قال خارجة بن يزيد دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فأبى عليه فحبسه ثم دعا به فقال: أترغب عمّا نحن فيه؟ فقال أبو حنيفة: أصْلَح الله أمير المؤمنين لا أَصْلُحُ للقضاء. فقال له: كذبت، ثم عرض عليه الثانية فقال أبو حنيفة: قد حكم عليَّ أمير المؤمنين أني لا أَصْلُحُ للقضاء لأنه نسبني إلى الكذب

---

(١) كذا بالأصل، ولعلّ صوابها: «عمى»، والله تعالى أعلم.

(٢) في المصباح: شخص يشخص بفتحتين شخوصًا خرج من موضع إلى غيره ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أشخصته. اهـ ١٢ منه عُفِي عنه.

....

فإن كنت كذابًا فلا أصلح للقضاء وإن كنت صادقًا فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح فردّه في الحبس وبإسناده عن الربيع بن يونس قال: رأيت أمير المؤمنين المنصور يُنازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله ولا تشرك في أمانتك إلا مَن يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرِّضا فكيف أكون مأمون الغضب ولا أصلح لذلك؟! فقال له: كذبت أنت تصلح، فقال: قد حكمت على نفسك فكيف يحلّ لك أن تولّي قاضيًا على أمانتك وهو كذاب؟! وقيل: إنه قعد في القضاء يومين وبعض الثالث فلما كان أبو حنيفة بعد يومين اشتكى فمرض ستة أيام ثم توفي وقال أبو نعيم: كان أبو حنيفة حَسَن الوجه حَسَن الثياب طيِّب الريح حَسَن المجلس كثير الكرم حَسَن المواساة لإخوانه. وقال أبو يوسف: كان أبو حنيفة رَبْعَة من الرجال ليس بالقصير ولا بالطويل وكان أحسن الناس منطقًا وأحلاهم نغمةً وأنبههم على ما تريد. وقال محمد بن جعفر بن إسحٰق بن عمر بن حماد بن أبي حنيفة: كان أبو حنيفة طوالًا تعلوه سُمرة، وكان لبّاسًا حسن الهيئة كثير التعطّر يُعرَف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من منزله. وقال أبو حنيفة: قَدِمت البصرة وظننت أني لا أُسأل عن شيء إلا أَجَبْتُ فيه فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي أن لا أُفارق حمادًا حتى يموت فصحبته ثماني عشرة سنة. وقال أبو حنيفة: ما صلَّيت صلاة منذ مات حمّادٌ إلا استغفرت له مع والدي وإنّي لأستغفر لمَن تعلّمت منه علمًا أو علّمته علمًا. وقال أبو حنيفة: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال لي: يا أبا حنيفة عن مَن أخذت العلم؟ فقلت: عن حمّاد يعني ابن أبي سليمان عن إبراهيم يعني النخعي عن عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس فقال أبو جعفر: بخ بخ استوفيت يا أبا حنيفة ودخل أبو حنيفة يومًا على المنصور فقال المنصور: هذا عالم أهل الدنيا اليوم. وعن هشام بن مهران قال: رُئِيَ أبو حنيفة في النوم كأنه يَنْبُشُ قبر النبي ﷺ فبعث مَن سأل محمد بن سيرين فقال محمد بن سيرين: مَن صاحب هذه الرؤيا ولم يجبه عنها ثم سأله الثانية فقال مثل ذلك ثم سأله الثالثة فقال: صاحب هذه الرؤيا يثوِّر[1] علمًا لم يسبقه إليه أحد قبله وفي حديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

(١) في القاموس ثَوَّرَ القرآن بحث عن علمه. ١٢ منه.

قال: «**إن في أمتي رجلًا يقال له أبو حنيفة هو سراج الأمة**». قال الخطيب: هذا حديث موضوع، وكذا ذكره جماعة من الأئمة أنه موضوع وعن ابن عيينة قال: ما مقلَتْ عيني مثل أبي حنيفة. وعن ابن المبارك قال: كان أبو حنيفة آيةً، قيل له: في الخير أم في الشر؟ فقال: اسكت يا هذا فإنه يقال آية في الخير وغاية في الشر ثم تلا ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: الآية ٥٠]. وعن ابن المبارك قال: ما كان أوقر مجلس أبي حنيفة كنّا يومًا في المسجد الجامع فوقعت حيّة فسقطت في حجر أبي حنيفة فهرب الناس غيره فما زاد على أن نفض الجُبّة وجلس مكانه. وعن سهل بن مزاحم قال: بذلت الدنيا لأبي حنيفة فلم يردّها وضرب عليها بالسِّياط فلم يقبلها. وعن روح بن عبادة قال: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة فأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وتوجّع. وقال: أيّ علم ذهب؟ وعن مسعر بن كدام قال: ما أحسُدُ أحدًا بالكوفة إلا رجلين: أبا حنيفة في فقهه والحسن بن صالح في زهده. وعن الفضيل بن عِياض قال: كان أبو حنيفة فقيهًا معروفًا بالفقه مشهورًا بالورع وسيع المال معروفًا بالإفضال على مَن يطيق صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار كثير الصمت قليل الكلام حتى يردّ مسألة في حلال أو حرام وكان يحسن، يدلّ على الحق، هاربًا من السلطان. وعن أبي يوسف قال: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويّ، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحمّاد مع والدي وعن أبي بكر بن عياش قال: مات أخو سفيان الثوري فاجتمع الناس إليه لعزائه فجاء أبو حنيفة فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده مكانه وقعد بين يديه ولمّا تفرّق الناس قال أصحاب سفيان: رأيناك فعَلْت شيئًا عجيبًا، قال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسِنِّه، وإن لم أقم لسِنِّه قمت لِفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه. وعن ابن المبارك قال: ما رأيت في الفقه مثل أبي حنيفة وعن ابن المبارك قال: رأيت مسعرًا في حلقة أبي حنيفة جالسًا بين يديه يسأله ويستفيد منه وما رأيت أحدًا قطّ تكلم في الفقه أحسن من أبي حنيفة. وعن أبي نعيم قال: كان أبو حنيفة صاحب غَوص في المسائل. وعن وكيع قال: ما لقيت أفقه من أبي حنيفة ولا أحسن صلاة منه.

وعن النضر بن شُمَيْل قال: كان الناس نيامًا عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبَيَّنه ولخَّصه. وعن الشافعي قال: الناس عِيالٌ على أبي حنيفة في الفقه. وعن جعفر بن الربيع قال: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صَمْتًا منه فإذا سُئِل عن الشيء من الفقه يفتح ويسال كالوادي. وعن إبراهيم بن عكرمة قال: ما رأيت أورع ولا أفقه من أبي حنيفة. وعن سفيان بن عيينة قال: ما قَدِمَ مكة في وقتنا رجل أكثر صلاة من أبي حنيفة. وعن يحيىٰ بن أيوب الزاهد قال: كان أبو حنيفة لا ينام الليل. وعن أبي عاصم النبيل قال: كان أبو حنيفة يسمّى الوتد لكثرة صلاته. وعن زفر بن سليمان قال: كان أبو حنيفة يحيي الليل بركعة يقرأ فيها القرآن. وعن أسد بن عمرو قال: صلَّى أبو حنيفة صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، وكان عامّة الليل يقرأ القرآن في ركعة وكان يسمع بكاؤه حتى ترحمه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. وعن الحسن بن عمارة أنه غسل أبا حنيفة حين توفي وقال: غفر الله لك لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسّد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، ولقد أتْعَبْتَ مَن بعدك. وعن ابن المبارك أن أبا حنيفة صلّى خمسًا وأربعين سنة الصلوات الخمس بوضوء واحد، وكان يجمع القرآن في ركعتين. وعن أبي يوسف قال: بينا أنا أمشي مع أبي حنيفة سمع رجلًا يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدّث عنِّي بما لا أفعله فكان يُحيي الليل صلاةً ودعاءً وتضرّعًا. وعن مسعر بن كدام قال: دخلت ليلة المسجد فرأيت رجلًا يصلِّي فاستَحْلَيْتُ قراءته فقرأ سبعًا، فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة فنظرت فإذا هو أبو حنيفة. وعن زائدة قال: صلّيت مع أبي حنيفة في مسجده العشاء وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد فأردت أن أسأله مسألة فقام فافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: الآية ٢٧] فلم يزل يردّدها حتى أذّن المؤذِّن للصبح وأنا أنتظره. وعن القاسم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: الآية ٤٦] يردِّدها ويبكي ويتضرّع. وعن مكي بن إبراهيم قال: جالست الكوفيين فما رأيت

....

فيهم أورع من أبي حنيفة. وعن وكيع قال: كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله تعالى في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم فحلف فتصدق به ثم جعل إن حلف أن يتصدق بدينار فكان إذا حلف صادقًا في عرض كلامه تصدق بدينار فكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وكان إذا كسا ثوبًا جديدًا كسا بقدر ثمنه الشيوخ والعلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام أخذ منه ضعف ما يأكل فجعله على الخبز ثم يعطيه الفقير. وعن وكيع قال: كان أبو حنيفة عظيم الأمانة وكان يُوثِر رِضا الله تعالى على كل شيء ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتملها. وعن ابن المبارك قال: ما رأيت أورع من أبي حنيفة قد جرّب بالسِّياط والأموال. وعن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة ورعًا فقيهًا كثير البرّ والصلة لكل مَن لجأ إليه كثير الإفضال على إخوانه. وكان يبعث البضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويجلب إلى الكوفة ويجمع الأرباح من سنة إلى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدِّثين وأثوابهم وكسوتهم وما يحتاجون إليه ثم يعطيهم باقي الدنانير من الأرباح ويقول: أنفقوها في حوائجكم فإنه هو والله ما يُجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حولٌ لغيره. وعن حفص بن حمزة القرشي قال: كان أبو حنيفة ربما مرَّ به الرجل فيجلس إليه لغير قصد ولا مُجالسة فإذا قام سأل عنه فإن كان به حاجة وصله وإن مرض عاده حتى يجرّه إلى مواصلته. وكان أكرم الناس مُجالسة. وعن أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة لا يكاد يُسأل حاجة إلا قضاها وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة أن أبا حنيفة وهب لمعلم ابنه حمّاد خمسمائة درهم حين حذق حمّاد. وعن جعفر بن عون قال: أتت امرأة إلى أبي حنيفة تشتري منه ثوب خزّ فأخرج لها ثوبًا فقالت: أنا ضعيفة وإنها أمانة فبِعْني هذا الثوب بما يقوم عليك، فقال: خذيه بأربعة دراهم، فقالت: لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة، فقال: اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي هذا بأربعة دراهم. وعن ابن المبارك قال: قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة من الغيبة ما سمعته يغتاب عدوًّا له قطّ، قال: هو والله أعقل من أن يسلّط على حسناته ما يذهب بها. وعن علي بن عاصم قال: لو وُزِنَ عقل أبي حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم. وعن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: كان عندنا طحّان رافضيٌّ له بغلان

فسمّى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه أحدهما فقتله فأخبر أبو حنيفة فقال: انظروا الذي رمحه الذي سمّاه عمر فنظروا فوجدوه كذلك. وعن عبد الواحد بن غياث قال: كان أبو العباس الطوسي يسيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك فدخل أبو حنيفة على أمير المؤمنين المنصور وكثر الناس فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة فقال لأبي حنيفة: إن أمير المؤمنين يأمرنا بضرب عنق الرجل ما ندري ما هو فهل لنا قتله؟ فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أو الباطل؟! قال: بالحق، قال: اتبع الحق حيث كان ولا تسأل عنه. ثم قال أبو حنيفة لمَن قرب منه إنَّ هذا أراد أن يوثقني فربطته. وعن وكيع قال: دخلت على أبي حنيفة فرأيته مُطرِقًا مُفَكِّرًا فرفع رأسه وأنشأ يقول:

إن يحسدوني فإني غير لايمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظًا بما يجدُ

وعاب بعض الناس عند ابن عائشة أبا حنيفة فقال ابن عائشة: قال الشاعر:

أقلوا عليكم ويحكم لا أبا لكم ... من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

وُلِد أبو حنيفة سنة ثمانين من الهجرة، وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائة هذا هو المشهور الذي قاله الجمهور. وكذا رواه الخطيب عن الجمهور. ثم رُوِيَ عن يحيىٰ بن معين رواية غريبة أنه توفي سنة إحدى وخمسين. وعن مكي بن إبراهيم أنه توفي سنة ثلاثة وخمسين والله أعلم. انتهى.

وفي الخيرات الحِسان في مناقب أبي حنيفة النعمان للشيخ الأجلّ أحمد بن حجر المكي الشافعي رحمهما الله في المقدمة الثالثة فيما ورد من تبشير النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه اعلم أن أعظم ذلك وأجلّه وأوضحه وأكمله ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبو نعيم عنه والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه. والطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «**لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس**» ولفظه الشيرازي وأبو نعيم لو كان العلم معلقًا عند الثريا ولفظ الطبراني عن قيس لا تناله العرب لناله رجال من أبناء فارس.

قال الحافظ المحقّق الجلال السيوطي: هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له نظير الحديث الذي في مالك رحمه الله وهو قوله ﷺ: «**يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**». والحديث الذي في الشافعي رضي الله عنه وهو قوله ﷺ: «**لا تسبّوا قريشًا فإن عالِمها يملأ الأرض علمًا**» وهو حديث حسن له طرق كثيرة وزعم بعضهم وضعه وزيّفوه وشنّعوا على زاعمه ومُخترعه. قال العلماء: عالِم المدينة في الحديث الأول مالك، وعالِم قريش في الحديث الثاني الشافعي. قال بعض تلامذة الجلال: وما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه لأنه لم يبلغ أحد في زمنه من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ حيث أخبر بما سيقع وليس المراد بفارس البلد المعروف بل جنس من العجم وهم الفرس وسيأتي أن جدّ الإمام أبي حنيفة منهم على ما عليه الأكثرون. وفي خبر عن الديلمي خير العجم فارس. قال الجلال: وبهذا الخبر أي المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع المروي في حق أبي حنيفة. انتهت بحروفها. وأيضًا فيها في الفصل السادس فيمن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم صحّ كما قاله الذهبي أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه وهو صغير. وفي رواية رأيته مرارًا وكان يخضب بالحمرة وأكثر المحدِّثين على أن التابعي مَن لقي الصحابي وإن لم يصحبه، وصحَّحه النووي كابن الصلاح وجاء من طرق أنه روى عن أنس أحاديث ثلاثة لكن قال أئمة الحديث: مدارها على مَن اتهمه الأئمة بوضع الأحاديث وفي فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر أنه أدرك جماعة من الصحابة كانوا بالكوفة بعد مولده بها سنة ثمانين فهو من طبقة التابعين ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المُعاصرين له كالأوزاعي بالشام والحمادَيْن بالبصرة والثوري بالكوفة ومالك بالمدينة الشريفة والليث بن سعد بمصر. انتهى. وحينئذ فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠]. انتهت بحروفها. وأيضًا فيها في الفصل الثاني عشر في

....

الصفات التي تميّز بها على مَن بعده وهي كثيرة: منها أنه رأى جماعة من الصحابة كما مرّ، وقد صحّ من طرق أنه ﷺ قال: «**طوبى لمَن رآني ولمَن رأى مَن رآني ولمَن رأى مَن رأى مَن رآني**». ومنها أنه وُلِد في قرنه ﷺ الذي صحّ عنه من طرق كثيرة أنه قال فيه: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» وفي رواية لمسلم «**خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث**». ومنها أنه اجتهد وأفْتَى في زمن التابعين بل لمّا حجّ الأعمش أرسل إليه ليكتب له المناسك، وكان يقول: اكتبوا المناسك عنه فإني لا أعلم أحدًا أعلم بفرضها ونفلها منه فانظر هذه الشهادة له من مثل الأعمش. ومنها رواية أكابر شيوخه وغيرهم عنه كعمرو بن دينار ودخل على الخليفة المنصور فقال له عيسى بن موسى: يا أمير المؤمنين هذا عالِم الدنيا اليوم، فقال له الخليفة: عمّن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عمر رضي الله عنه وعن أصحاب عليّ رضي الله عنه وعن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه فقال: بخ بخ لقد استوثقت لنفسك ما شئت ومنها ما اتفق له من الأصحاب مما لم يتفق لأحد بعده كما علم مما مرَّ. وقال رجل عند وكيع: أخطأ أبو حنيفة فزجره وكيع وقال: مَن يقول هذا ﴿كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: الآية ٤٤] كيف يخطىء وعنده أئمة الفقه كأبي يوسف ومحمد وزفر وأئمة الحديث وعدّدهم، وأئمة اللغة العربية وعدَّدهم، وأئمة الزهد والورع كالفضيل وداود الطائي ومَن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطىء لأنه إن أخطأ ردّوه للحق. ومنها أنه أول مَن دوّن كتب علم الفقه ورتّبه أبوابًا وكتبًا على نحو ما هو عليه اليوم وتبعه مالك في موطئه ومن قبله إنما كانوا يعتمدون على حفظهم وهو أول مَن وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط. ومنها انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره كالهند والسند والروم وما وراء النهر. انتهت بحروفها.

وأيضًا فيها: في الفصل التاسع تنبيـــه:

احذر أن تتوهّم من ذلك أن أبا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه حاشا لله بل كان في العلوم الشرعية من التفسير والحديث والآلة من العلوم الأدبية والمقايس الحكمية بحرًا لا يُجارَى وإمامًا لا يُمارَى. وقول بعض أعدائه

....

فيه خلاف ذلك منشؤه الحسد ومحبته الترفّع على الأقران ورميهم بالزُّور والبهتان ويأبى الله إلا أن يُتِمّ نوره. ومما يكذّب ذلك أن له مسائل فقهية بنى أقواله فيها على علم العربية بما أن وقف عليه مَن تأمّله لقضى بتمكّنه من هذا العلم بما يُبهِر العقل أن له من النظم البليغ ما يعجز عنه كثير من نظرائه. انتهت. وأيضًا فيها: وقال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح مني. انتهت. وأيضًا فيها: في الفصل الحادي عشر اعلم أنه يتعيّن عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه أنهم أصحاب الرأي أن مرادهم بذلك تنقيصهم ولا نسبتهم إلى أنهم يقدِّمون رأيهم على سُنَّة رسول الله ﷺ ولا على قول أصحابه لأنهم براء من ذلك، فقد جاء عن أبي حنيفة من طرق كثيرة ما ملخصه أنه أولًا يأخذ بما في القرآن فإن لم يجد فبالسُّنَّة فإن لم يجد فبقول الصحابة فإن اختلفوا أخذ بما كان أقرب إلى القرآن أو السُّنَّة من أقوالهم ولم يخرج عنهم فإن لم يجد لأحد منهم قولًا لم يأخذ بقول أحد من التابعين بل يجتهد كما اجتهدوا. انتهت. وأيضًا فيها: سمعه رجل يقايس في مسألة فصاح دعوا هذه المقايسة فإن أول مَن قاس إبليس فأقبل إليه أبو حنيفة فقال: يا هذا وضعت الكلام في غير موضعه، إبليس ردّ بقياسه على الله تعالى أمره كما أخبر تعالى عنه في كتابه فكفر بذلك وقياسنا اتّباع لأمر الله تعالى لأننا نردّه إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله أو أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين فنحن ندور حول الأتباع فكيف نساوي إبليس لعنه الله؟ فقال له الرجل: غلطتُ وتُبْتُ فنوَّر الله قلبك كما نوَّرت قلبي. انتهت.

وأيضًا فيها: قال ابن حزم: جميع أصحاب أبي حنيفة مُجمِعون على أن مذهبه أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس. انتهت. وأيضًا فيها: في الفصل الثالث عشر قال الأوزاعي لابن المبارك: مَن هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنّى أبا حنيفة فأراه مسائل عويصة من مسائله فلما رآها منسوبة للنعمان بن ثابت قال: من هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق، قال: هذا نبيل من المشائح اذهب فاستكثر منه. قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة حاوره في تلك المسائل فكشفها أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه فلما افترقا قال

....

الأوزاعي لابن المبارك: غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله لقد كنت في غلطٍ ظاهر الزم الرجل فإنه بخلاف ما بلغني عنه. انتهت. وأيضًا فيها: قال الحافظ عبد العزيز بن أبي روّاد: مَن أحبّ أبا حنيفة فهو سنّي ومَن أبغضه فهو مبتدع. وفي رواية بيننا وبين الناس أبو حنيفة فمَن أحبّه وتولّاه علمنا إنه من أهل السُّنَّة ومَن أبغضه علمنا إنه من أهل البدعة. انتهت. وأيضًا فيها قال أحمد بن حنبل في حقه أنه من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحلٍّ لا يدركه أحد. انتهت. وأيضًا فيها قال الحافظ محمد بن ميمون: لم يكن في زمن أبي حنيفة أعلم ولا أورع ولا أزهد ولا أعرف ولا أفقه منه تالله ما سرّني بسماع منه مائة ألف دينار. انتهت. وأيضًا فيها قال مكّي بن إبراهيم: كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه. انتهت. وأيضًا قال إبراهيم بن معاوية الضرير من تمام السُّنَّة حبّ أبي حنيفة. وقال: كان يصف العدل ويقول به، وبيّن للناس سُبُل العلم وأوضح لهم مشكلاته. وقال أسد بن حكيم: لا يقع فيه إلا جاهل أو مبتدع. انتهت. وأيضًا فيها قال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد ﷺ ثم منه إلى أصحابه، ثم منهم إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه فمَن شاء فليرضَ ومَن شاء فليسخط. انتهت. وأيضًا فيها في الفصل الثلاثون مرَّ أنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم ومن ثم ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحُفَّاظ من المحدِّثين ومَن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو إما لتساهله أو حسده إذ كيف يتأتّى لمَن هو كذلك استنباط مثل ما استنبطه من المسائل التي لا تُحصى كثرة مع أنه أول مَن استنبط من الأدلة على الوجه المخصوص المعروف في كتب أصحابه رضي الله تعالى عنهم ولأجل اشتغاله بهذا الأهم لم يظهر حديثه في الخارج كما أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لمّا اشتغلا بمصالح المسلمين العامّة لم يظهر عنهما من رواية الأحاديث مثل ما ظهر عن دونهما حتى صغار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وكذلك مالك والشافعي لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمّن تفرّغ للرواية كأبي زرعة وابن معين لاشتغالهما بذلك الاستنباط على أن كثرة الرواية بدون دراية ليس فيها كثير مدح بل عقد له ابن عبد البر بابًا في ذمّه ثم قال الذي عليه فقهاء جماعة المسلمين وعلمائهم: ذمّ الإكثار من الحديث بدون تفقّه ولا تدبّر. انتهت. وأيضًا

....

فيها ومن أعذار أبي حنيفة أيضًا ما يفيده قوله: لا ينبغي للرجل أن يحدّث من الحديث إلا بما حفظه يوم سمعه إلى يوم يحدّث به فهو لا يرى الرواية إلا لمَن حفظه. وروى الخطيب عن إسرائيل بن يونس أنه قال: نِعْمَ الرجل النعمان ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه وأشدّ فحصه عنه وأعلم بما فيه من الفقه. وعن أبي يوسف ما رأيت أحدًا أعلم بتفسير الحديث ومواضع النكت التي فيه من الفقه من أبي حنيفة. وقال أيضًا ما خالفته في شيء قطّ فتدبرته إلا رأيت مذهبه الذي ذهب إليه أنجى في الآخرة وكنت ربما مِلْتُ إلى الحديث فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني. وقال: كان إذا صمَّم على قول درت على مشائخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثًا أو أثرًا فربما وجدت الحديثين والثلاثة فأتيته بها فمنها ما يقول فيه هذا غير صحيح أو غير معروف فأقول له وما عِلْمُك بذلك مع أنه يوافق قولك؟ فيقول: أنا عالِم بعلم أهل الكوفة. انتهت. وأيضًا فيها في الفصل الثالث والثلاثون لمّا توفي رضي الله عنه أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة أنفس إلى أن أتوا به إلى مكان غسله، فغسله الحسن بن عمارة قاضي بغداد وصبّ عليه أبو رجاء عبد الله بن واقد الهروي ولما فرغ الحسن من غسله قال: رحمك الله لم تفطر منذ ثلاثين سنة ولم تتوسّد يمينك بالليل منذ أربعين سنة كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخِصال الخير وقُبِرْتَ إذ قبرت إلى خير وسنة وأتْعَبْتَ مَن بعدك وما فرغوا من غسله إلا وقد اجتمع من أهل العلم خَلْق لا يُحصيهم إلا الله تعالى كأنه نُودِي لهم بموته وحزر[1] مَن صلّى عليه فقيل بلغوا خمسين ألفًا، وقيل: أكثر وأُعيدَت الصلاة عليه ست مرات آخرها ابنه حمّاد ولم يقدر على دفنه إلا بعد العصر من شدة الزِّحام، ومكث الناس يصلّون على قبره نحو عشرين يومًا وأوصى أن يُدفَن بمقابر الخيزران بالجانب الشرقي لأن أرضها طيبة غير مغصوبة ولمّا بلغ المنصور ذلك قال: مَن يعذرني فيك حيًّا وميتًا، ولما بلغ ابن جريج فقيه مكة وشيخ شيخ الشافعي موته استرجع وقال: أيّ علم ذهب؟! ولمّا بلغ شُعبة استرجع وقال: طُفِيء عن الكوفة نور العلم، أما أنهم لا يرون مثله أبدًا. انتهت. وأيضًا

---

(١) الحَزر: التقدير والخَرْص. ١٢ قاموس.

....

فيها في الفصل الخامس والثلاثون اعلم أنه لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبره ويتوسّلون عنده في قضاء حوائجهم ويرون نجح ذلك معهم الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لمّا كان ببغداد فإنه جاء عنه أنه قال: إني لأتبرّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره فإذا عَرَضَت لي حاجة صلّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله عنده فتُقضَى سريعًا. وذكر بعض المتكلّمين على منهاج النووي أن الشافعي صلّى الصبح عند قبره فلم يقنت فقيل له: لِمَ؟ قال: تأدّبًا مع صاحب هذا القبر، وذكر ذلك غيره أيضًا وزاد أنه لم يجهر بالبسملة ولا إشكال في ذلك خلافًا لمَن ظنه لأنه قد يعرض للسُّنَّة ما يرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها ولا شك أن الإعلام برِفْعَة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد وإنه عند الاحتياج إليه لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه ولأن نفعه متعدّد ونفع دينك قاصر ولا شك أيضًا أن الإمام أبا حنيفة كان له حُسَّاد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القَتْلَة الشنيعة السابقة ـ يعني أن بعض أعداء أبي حنيفة دسَّ إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ رضي الله تعالى عنهم الخارج عليه بالبصرة فخافه خوفًا شديدًا ولم يقرّ له قرار وأنه قوّاه بمال كثير فخشي المنصور من ميله لإبراهيم لأنه أعني أبا حنيفة كان وجيهًا ذا مال واسع من التجارة فطلبه لبغداد ولم يجسر على قتله بغير سبب فطلب منه القضاء مع علمه بأنه لا يقبله ليتوصل بذلك إلى قتله ـ ولا شك أيضًا أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول لأن دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يُتَصَوَّر فيها التخلّف عن مدلولها بخلاف الدلالة الفعلية إذ الدلالة على كرم زيد بفِعله للكرم لا يشبه الدلالة على كرمه بقوله: إني كريم وإذا تمهدت هذه الدواعي اتضح أن فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر إظهارًا لمزيد التأدّب مع هذا الإمام ولمزيد شرفه وعلوّه وأنه من أئمة المسلمين الذين يُقتَدَى بهم ويجب عليهم توقيرهم وتعظيمهم وأنه ممَّن يُستحى منه ويتأدب معه من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد وفاته فكيف في حياته وأن الحاسدين له خسروا خسرانًا مُبينًا وأنهم ممَّن أضلّه الله على علم. ولما وقف ابن المبارك على قبره قال: رحمك الله مات

....

إبراهيم النخعي وحمّاد بن سليمان وتركا خَلَفًا ومُتَّ أنت ولم تترك على وجه الأرض خَلَفًا ثم بكى بكاءً شديدًا. وقال الحسن بن عمارة على قبره: كنتَ لنا خلفًا ممَّن مضى وما تركت بعدك خلفًا لو خلفوك في العلم الذي علَّمتهم لم يمكنهم أن يخلفوك بالورع إلا بتوفيق الله تعالى. انتهت.

وأيضًا فيها في الفصل السادس والثلاثون مرَّ أنه رأى كأنه ينبش قبر النبي ﷺ وأن ابن سيرين وتليمذه أوّلاها بأنه يُظهِر أخبار رسول الله ﷺ وينشر علمًا لم يسبقه إليه أحد قبله. قال هشام: فنظر أبو حنيفة وتكلم حينئذ ورأى هذه الرؤيا له بعض أصحابه أيضًا وأن الناس ينظرون إليه ولا ينكر عليه أحد منهم ثم تناول من ذلك التراب قدرًا كثيرًا فنفخه في الهواء من الجهات الأربع فهالَته، فقصَّها على ابن سيرين فقال: ويحك إن هذا الذي رأيت لرجل جليل عظيم إن كان فقيهًا أو عالِمًا، قلت: إنه فقيه، قال: فوالله ليظهرنَّ هذا الرجل من علم رسول الله ﷺ ما لم يُظهره الناس وليذهبن اسمه شرقًا وغربًا وفي جميع تلك النواحي التي ذُرَّ ذلك التراب فيها. انتهت. وأيضًا فيها وقام شخص لمقاتل بن سليمان في حلقته فقال: رأيت كأنَّ رجلًا نزل من السماء وعليه ثياب بيض فقام على أطول منارة ببغداد ونادى ماذا فَقَدَ الناسُ؟! فقال مقاتل: لئن صدقت رؤياك ليفقدنَّ أعلم أهل الدنيا فلم يمُت إلا أبو حنيفة رحمه الله. فاسترجع مقاتل ثم قال: ماتْ مَن كان يفرِّج عن أُمّة محمد ﷺ. وعن أبي معافى الفضل بن خالد قال: رأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ما تقول في علم أبي حنيفة؟ فقال: «**ذلك علم يحتاج الناس إليه**». وعن مسدّد بن عبد الرحمٰن البصري أنه نام بمكة بين الركن والمقام قبيل الفجر فرأى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما تقول في هذا الرجل الذي بالكوفة النعمان بن ثابت آخذ من علمه فقال ﷺ: «**خذ من علمه واعمل بعمله فنِعْمَ الرجل هو**». قال: فقمت وكنت أكْرَه الناس للنعمان وأنا أستغفر الله تعالى مما كان مني. ورأى بعض أئمة الحنابلة النبي ﷺ قال: فقلت له: يا رسول الله حدِّثني عن المذاهب، فقال: «**المذاهب ثلاثة**» فوقع في نفسي أنه يخرج مذهب أبي حنيفة لتمسّكه بالرأي فابتدأ وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد: ثم قال: ومالكٌ أربعةٌ أربعةٌ فقلت: أيها خير فغالب ظني أنه قال:

مذهب أحمد. انتهت. وفي الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين لمولانا أحمد المعروف بوليّ الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي رحمه الله الحديث العاشر سألته ﷺ عن هذه المذاهب وهذه الطرق أيّها أولى عنده بالأخذ وأحبّ، ففاض على قلبي منه أن المذاهب والطرق كلها سواء لا فضل لواحد على الآخر. انتهى بحروفه. وفي تبيين المحارم للعلامة سنان أفندي رحمة الله عليه قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عِمران: الآية ١٠٣] قال بعض المفسّرين: المراد من حبل الله الجماعة لأنه عقبه بقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عِمران: الآية ١٠٣] والمراد من الجماعة عند أهل العلم: أهل الفقه والعلم ومَن فارق منهم قدر شبر وقع في الضلالة وخرج عن نصرة الله تعالى ودخل في النار لأن أهل الفقه والعلم هم المهتدون المتمسكون بسُنَّة محمد عليه الصلاة والسلام وسُنَّة خلفائه الراشدين بعده ومَن شذَّ عن جمهور أهل الفقه والعلم والسواد الأعظم فقد شذَّ فيما يدخله النار فعليكم معاشر المؤمنين اتّباع الفرقة الناجية المُسمّاة بأهل السُّنَّة والجماعة فإن نصرة الله وحفظه وتوفيقه في موافقتهم وخذلانه وسخطه ومَقْته في مخالفته وهذه الطائفة الناجية قد اجتمعت اليوم في مذاهب أربعة وهم الحنفيّون والشافعيون والمالكيون والحنبليون رحمهم الله تعالى ومَن كان خارجًا عن هذه الأربعة في هذا الزمان فهو من أهل البدعة وأهل النار. انتهى بحروفه. وفي الخيرات الحِسان في مناقب أبي حنيفة النعمان في بيان المقدمة الثانية: ورأى بعض الأئمة النبي ﷺ وسأله عن اختلاف المجتهدين فقال كلٌّ في اجتهاده مُصيب فذكر له الرائي قول أبي حنيفة المجتهدان مصيبان والحق واحد وقول الشافعي المجتهدان مصيب ومخطىء معفوٌّ عنه فقال ﷺ: «هما قريبان في المعنى وإن كانا مختلفين في اللفظ» فقلت أيّهما الأولى بالأخذ من الفريقين؟ فقال ﷺ: «كلاهما على الحق». ومنها (أي من أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطالب جهلها) عليك أيضًا أن تعتقد أن اختلاف أئمة المسلمين من أهل السُّنَّة والجماعة في الفروع نعمة كبيرة ورحمة واسعة وفضيلة واضحة وله سرٌّ لطيف أدركه العلماء العامِلون وعمي عنه الجاهلون حتى قال بعضهم: إن النبي ﷺ جاء بشرع واحد فمن أين مذاهب أربعة ووجه ذلك أن الله تعالى خصَّ هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار والأثقال التي كانت على الأُمم

....

قبلها كتحتّم القصاص في شريعة موسى عليه السلام لأنه أرسل بالجلال الصرف وتحتّم الدية في شريعة عيسى عليه السلام والتخيير بينهما في شريعتنا وكقرض[(١)] محل النجاسة من البدن في شرعهم وغسلها بالماء في شرعنا وكامتناع النسخ في شريعة اليهود وجوازه في شرعنا ومن ثم استعظموا نسخ القبلة وككتبهم فإنها لا تقرأ إلا على حرف واحد وكتابنا يقرأ على حروف سبعة بل عشرة كل ذلك لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥]، وقوله عزَّ قائلًا ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨]. وقال ﷺ: «بُعِثت بالحنيفية السَّمْحة فمن سماحتها ويُسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر عليهم بالتزام شيء واحد وحتى يُثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه وحتى إن مَن رأى له فُسحة في غير مذهبه جاز له بشرط الانتقال إليه والعمل به وكل هذه نِعَم عظيمة الموقِع واسعة الرفق لا سيما وهي مؤذنة بغاية رِفعته ﷺ وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم في الأمر الواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم ومدحه وإن فرض خطؤه. وقد قرر السبكي أن جميع الشرائع السابقة شرائع له ﷺ والأنبياء صلوات الله عليهم كالنوّاب عنه لأنه نبي وآدم بين الروح والجسد فهو إذ ذاك نبي الأنبياء وهذا معنى قوله ﷺ: «بُعِثتُ إلى الناس كافّة فهو مبعوث إلى الخلق كلهم من لدن آدم إلى قيام الساعة». انتهى. وإذا تقرر أن شرائع الأنبياء شرائع له زيادة في تعظيمه فالشرائع التي استنبطها أصحابه وتابِعوهم بإحسان من أقواله وأفعاله على تنوّعها شرائع متعددة له من باب أولى خصوصًا وقد أخبر بوقوعها ووعد بالهداية على الأخذ بها ورضي بها ومدحنا عليها وجعل ذلك رحمةً أي رحمة ومِنَّة أي مِنَّة كما مرَّ بيان ذلك ومن ثَمَّة لما جعل اختلاف هذه الأمة رحمة أخبر بأن

---

(١) قوله: كقرض محل النجاسة من البدن والثوب بالمقراض. اهـ حمل من الخازن وفي منهية البيضاوي كقطع موضع النجاسة من اللباس ثوبًا أو فروة. وفي ربيع الأبرار: أنهم أمروا بقطع جلد أبدانهم إذا أصابه نجاسة. اهـ. والمراد بالجلد كالخفّ والفروة، كذا قاله العلامة النّحرير والتفتازاني في حاشية الكشاف. ١٢ منه عُفي عنه.

اختلاف الأمم السابقة هلاك وعذاب أي لأنهم لم يُوَسَّع لهم كما وسّع لهذه الأمة فكان اختلافهم محض كذب وتقول على أنبيائهم بما هم بريئون منه. ومنها (أي من أمور يعمّ نفعها ويقبح بالطالب جهلها) يتأكد عليك غاية التأكد الذي لا رخصة فيه أن لا تفضيل بعض المذاهب على بعض تفضيلًا يؤدّي إلى تنقيص المفضل عليه فإن ذلك يؤدّي إلى المَقْت والخزي في الدنيا والآخرة وسيأتي عن الله تعالى أنه قال: «مَن آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب» وعلماء المسلمين العامِلون كلهم أولياء الله تعالى من غير شك ولا ريب وكثيرًا ما يؤدّي التفضيل إلى الخِصام القبيح بين السفهاء ومَن لا خلاق لهم ولا دين ولا تقوى إلى أن يظهر من بعضهم قبيح العصبية وحمية الجاهلية ويقضي ذلك بهم إلى ترجيح مذهب إمامه وإطلاق لسانه في غيره بعدم أدب وغفلة تامة عمّا يترتب بسبب ذلك من المَقْت والخزي وإلى أن ينتصر بعض مُقَلّدي مخالفه لإمامه فيردّ على الأول ويطلق لسانه فيه ويتعدّى إلى إمامه ويطلق لسانه فيه زاعمًا أن ذلك من باب مقابلة الفاسد بالفاسد ولو عرض كلام كلٍّ منها على إمامه لزجره عنه وتبرّأ منه وهجره لأجله ولوقوعه بقبيح ما ارتكبه في شِرْك المَقْت والردى إذ ربما آيس من موته على الهدى وقد أخبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بأن سبب هلاك الأمم السابقة مراؤهم وخصوماتهم في دين الله حفظنا الله من وعير[1] هذه المسالك وحشرنا في زمرة أولئك الأئمة فإننا نحبهم ونعظّمهم بما نرجو به أن نُحشَر معهم على الأرائك، إذ مَن أحبَّ قومًا حُشِر معهم كما أخبر به مورّثهم ومشرّفهم وكفى مَن انتقص أحدًا منهم أن يُحرَم هذه الموافقة في ذلك المجمع الأكبر وأن يُنادَى عليه فيه هذا عدوّ أولياء الله فليس له إلا الخزي والعذاب في المحشر. انتهت. وفي تفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية للعلّامة مولانا أحمد المعروف بملاجين رحمه الله في تفسير سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٨] الآية، فإن قلت: إذا كان الحق في موضع الخلاف واحدًا فما معنى حقيقة المذاهب الأربعة؟ قلت: معناها أن الحق الواحد يحتمل أن يكون فيما قال الشافعي رحمه الله ويحتمل أن يكون فيما

(١) في القاموس: الوعر ضدّ السهل، كالوعر والواعر والوعير والأعور. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

قال أبو حنيفة رحمه الله فيكون كلّا من المذاهب الأربعة حقًّا بهذا المعنى فالمقلّد إذا قلّد أي مجتهد يخرج عن الوجوب ولكن ينبغي أن يقلّد واحدًا التزمه ولا يؤول إلى آخر. فإن قال قائل أيّ ضرورة في تبعية أبي حنيفة مثلًا حيث لم يأمر الله به ولا رسوله بل لم يصرِّح به أبو حنيفة رحمه الله أيضًا ولو سلّم أن تبعية المجتهد لازمة للمقلِّد فأيّ ضرورة في إلزامه مذهبًا واحدًا بعينه بل يجوز له أن يعمل بمذهب ثم ينتقل إلى آخر كما نقل عن كثير من الأولياء ويجوز له أن يعمل في مسألة على مذهب وفي أخرى على آخر كما هو مذهب الصوفية ولو سلّم فمن أين يعلم انحصار المذاهب في الأربعة مع أن المجتهدين كانوا قريبًا من المائة أو أكثر كأبي يوسف ومحمد والغزالي رحمهم الله وأمثالهم ولم يختم الاجتهاد بعد. قلت: أما الأول فلأن الإنسان لا يخلو إما أن لم يعمل شيئًا من الأشياء أو يعمل والأول باطل لقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: الآية ٣٦] ولأنه يحتاج إليه في البيع والشراء واللباس والطعام وغير ذلك وإن لم يفعل الصلاة والصوم فتعيّن أن يعمل بأعمال ويشتغل بأفعال حينئذ لا يخلو إما أن يتمسك فيه بشيء من الكتاب والسُّنَّة أو لا، والثاني باطل بإجماع المسلمين فتعيَّن أن يتمسك فيه بالكتاب والسُّنَّة وحينئذ لا يخلو إما أن يكون له قدرة على معرفة وجوهه ومعانيه وطرقه وأحكامه أو لا. والثاني لا بدّ أن يكون تابعًا لأحد من الأئمة فهو المراد والأول إما أن يكون له مع ذلك مَلَكَة الاستنباط والقدرة التامة على استخراج المسائل أو لا، والأول هو المجتهد ولا كلام فيه بل نحن أيضًا مُقِرّون بعدم اتّباعه لمجتهد آخر. والثاني إما أن يكون تابعًا لأحد من الأئمة فهو المراد أو لا يكون تابعًا لأحد بل يقول إن علمي على الأصول التي هي ثلاثة ولست بتابع لأحد فنقول له: إن كون أصول الشرع ثلاثة إنما هو أول مسألة بناه أبو حنيفة رحمه الله وأيضًا لا أقل من أن يحتاج في المسائل القياسية وفي معرفة الناسخ والمنسوخ وفي معرفة كون الإجماع قَطعيًا مقدّمًا على خبر الواحد وكون العام المخصوص البعض ظنيًا وأمثاله من جميع تقسيمات الكتاب والسُّنَّة والإجماع وأحكامها إذ ما كل ذلك إلا اصطلاحات أبي حنيفة رحمه الله فإلى أيّ شيء يهرب يلزم التبعية ضرورة. وأما الثاني وهو أنه إذا التزم التبعية يجب عليه أن يدوم على

مذهب التزمه ولا ينتقل إلى مذهب آخر فلأن الانتقال يُوجِب أن يظهر عنده بُطلان المذهب السابق والحال أن أهل كل مذهب يقولون بحقيّة المذاهب الأربعة فقد وقع فيما أبى، على أن العامّي لا وجه له إلى الانتقال والعالم غاية وجه انتقاله ترجيح الأدلة من جانب المرجوح إليه وهو موقوف على ازدياد الفضيلة ونقصانها فإن لكل واحد تُنصَب دلائل على طبق مذهبه والعالم الغير المجتهد ليس في قدرته ترجيح المذاهب بحسب الدلائل فإن ذلك موقوف على معرفة اصطلاحات كل واحد ومعرفة الكتاب بتقسيماته الأربعة وكذا السُّنَّة مع تقسيماتها المختصّة بها والإجماع بأقسامها الثلاثة والأقيسة بشروطها وأحكامها وأركانها ووقوعها وكل ذلك متعذِّر في حق المقلّد ومع كل ذلك لا يعلم ما هو الحق عند الله تعالى فالانتقال من مذهب إلى مذهب ترجيح بلا مرجح ولا يلزم علينا أن مَن بلغ أولًا واختار أيّ مذهب عَلِمه حسنًا يلزم في حقه ترجيح بلا مرجِّح لأن مرجِّحه هو قصده أو كون أهل بلاده أو أطرافه أو آبائه أو سلطانه في ذلك المذهب إذ هكذا وقع عليه التعامل وهو كالإجماع. وأما الكلام في الأولياء فخارج عن المبحث ولعلهم لاح لهم من الأسرار ما لا يلوح لغيرهم فرأوا في الانتقال مصلحة وحِكمة فلا يقاس عليهم غيرهم وكما أنه لا يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر كذلك لا يجوز أن يعمل في مسألة على مذهب وفي أخرى على آخر لأن العامّي لا وجه له في هذا الباب وأما العالم فالظاهر أن لا وجه له إليه إلا العلم بأن الإمام الفلاني قد أخطأ في المسألة الفلانية وأصاب في الفلانية والإمام الفلاني على عكس هذا كما أن يقرأ الحنفي الفاتحة عقيب الإمام فإنه لا يجوز إن اعتقد أنه قد أصاب الشافعي رحمه الله في ذلك بخلاف أبي حنيفة رحمه الله فإنه باطل بالضرورة وإن ظن أن دليل الشافعي رحمه الله وهو قوله عليه السلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» صريح في هذا المعنى فذلك موقوف على معرفة هذا الحديث ومعرفة الحجج لأبي حنيفة رحمه الله ومعرفة أنه لا حجّة أسبق من هذا وأمثاله وذلك مما هو ليس من شأن المقلّد لأن كل أحد ينصب على طبق مذاهبه دلائل وشواهد ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: الآية ١٤٨]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: الآية ٧٦] يقال إن أبا حنيفة رحمه الله سُئِل إن قولك إذا خالف

....

كتاب الله فبأي شيء أعمل؟ فقال: بكتاب الله ثم سُئِل أنه إذا خالف السُّنَّة فقال بسُنَّة رسول الله ﷺ ثم سُئِل أنه إذا خالف قول الصحابة فقال بقول الصحابة ثم سُئِل أنه إذا خالف قول التابعي، فقال التابعي رجل وأنا رجل فدلَّ هذه الحكاية على خلاف ما ذكرتم من الاستقرار على قول أبي حنيفة رحمه الله من غير عمل على الكتاب والسُّنَّة ومن غير التفاتٍ إليه لأنا نقول إن كلامنا هذا فيما إذا بلغ السُّنَّة أو قول الصحابة لأبي حنيفة رحمه الله ثم أول ذلك بنوع من التمحّل والتأويل لأنه لا يجوز لمتّبِعه أن يعمل بالسُّنَّة أو قول الصحابة إذ لا شك أن أبا حنيفة رحمه الله كان أعلم منه فالتقليد لمعنى فهمه أولى وأحْرى. وأما إذا لم يبلغ السُّنَّة أو قول الصحابة له فإنّا نقرّ أيضًا أن التقليد حينئذ بالسُّنَّة أو قول الصحابة بعد علم صحتها واجب ولم يجز العمل ح على قول أبي حنيفة رحمه الله للمخالفة وإنما يعمل بالسُّنَّة أو قول الصحابة حينئذ إذا أدّى إليه رأي مجتهد لكن لا بحيث إنه قول مجتهد بل من حيث إنه سُنَّة أو قول الصحابة. وأما إذا لم يؤدِّ إليه رأى مجتهد فلم يجز العمل به لأنه خلاف الإجماع وهو باطل لكن بقي الكلام في حق مَن يكون صاحب الإلهام من عند الله تعالى فإنه يمكن أن يقول إني أُلهَم من عند الله تعالى بالعمل على مسألة فلانية بطريقة فلانية وعلى أخرى بطريق آخر فلا تتبع لأحد. ولنا أن نقول إنه لا يخلو إما أن يكون ذلك موافقًا لأحد من المذاهب الأربعة أو لا فإن لم يوافق كان معاقبًا في عمله وكان ذلك الإلهام خطأ ومن عند الشيطان وإن وافق فعمله بأي ما أُلْهِم وإن كان معقولًا بحسب الظاهر لكن لمّا كان ذلك سببًا للفساد بأن يقول كل أحد إني أُلْهَم بكذا ينبغي أن يكون التقليد منحصرًا لمذهب معين خاصّة. غاية ما في الباب أن يعمل الصوفي بالأحوط مساغًا لدفع الحرج وذلك فيما أمكن التطبيق مثل أن لا يأكل الحنفية الأرنب احتياطًا فإنه يجوز إذ أبو حنيفة رحمه الله يُبيحها ولا يوجبها والشافعي رحمه الله ينكر إباحتها فإنه لو لم يأكل يكون عملًا على كِلا المذهبين وإن أكل يحتمل أن يقع في الحرام ويخالف مذهب الشافعي رحمه الله بخلاف ما إذا لم يمكن التطبيق كما في قراءة الفاتحة فإن الشافعي رحمه الله يوجبها وأبو حنيفة رحمه الله يحرّمها فإنه لا يجوز للحنفي العمل على مذهب الشافعي رحمه الله من حيث إنه مذهب الشافعي رحمه الله وإن كان يجوز من حيث إن محمدًا رحمه الله استحسنه لما عرفت. وأما

....

الثالث فلأن الاجتهاد وإن كان لم يختم ويحتمل أن يوجد مجتهد آخر يجتهد على خلافهم بل قد وقع كذلك وقد وجد المجتهدون قريب مائة أو أكثر لكن قد وقع الإجماع على أن الاتباع إنما يجوز للأربع فلا يجوز الاتباع لأبي يوسف ومحمد وزفر وشمس الأئمة رحمهم الله إذا كان قولهم مخالفًا للأربع. وكذا لا يجوز الاتباع لمَن حدَّث مجتهدًا مخالفًا لهم ولعل منشأه ما قالوا إن الأمة إذا اختلفوا على أقوال كان إجماعًا على أن ما عداها باطل وقيل هذا في حق الصحابة خاصة دون سائر الأمة أي الصحابة إذا اختلفوا في شيء على الحِلّ والحرمة مثلًا كان القول الثالث باطلًا. وليت شعري ما معنى الاختلاف في الأقوال أهو في زمان واحد بالمشافهة أم مطلقًا فإن كان مطلقًا فالاختلاف باقٍ إلى يوم القيامة فلم ينحصر المذاهب في الأربعة وإن كان في زمان واحد فمن المعلوم أن زمان الشافعي رحمه الله وأحمد بن حنبل غير زمان أبي حنيفة ومالك رحمه الله فإذا اختلف أبو حنيفة ومالك رحمه الله ينبغي أن يكون إجماعًا على بُطلان قول الشافعي وأحمد بن حنبل رحمه الله إلا أن يقال الاختلاف المعتَبَر هو الذي في زمان واحد، والشافعي وغيره إذا قالوا قولًا إنّما يقولون إذا جرى به رأي أبي يوسف ومحمد مع أبي حنيفة رحمه الله أو كان اختلاف بين الصحابة فأخذ أبو حنيفة بقول صحابي ومالك والشافعي رحمه الله بقول صحابي آخر والأغلب أن شيئًا من المسائل لا يكون فيه أربع أقوال للأئمة الأربعة بل يكون فيه قولان أو ثلاث وبعض من الأئمة يتبعون البعض ولا يلزم أن يكون لكل من الأئمة الأربعة قول في كل وهكذا الحال في أبي يوسف ومحمد رحمه الله وغيرهما. ولعل هذا أي اتحاد الزمان في غير المسائل القياسية. وأما المسائل القياسية فالمراد فيها على العلة فمهما وجدها المجتهد مخالفًا للأول أو موافقًا له يعمل به ويعلم من التلويح خلاف ذلك. والإنصاف أن انحصار المذاهب في الأربعة واتباعهم فضل إلٰهي وتوفيق من الله تعالى لا مجال فيه للتوجيهات والأدلة. وقالوا: هذا إذا كان الاختلاف في الشرعيات أي النقليات وأما إذا كان الاختلاف في العقليات أعني علم الكلام فالمخطىء مُعاقَب والحق واحد على اليقين ولهذا قالوا بضلالة فرق الأهواء من المعتزلة والروافض والخوارج وغيرهم ويتعين الحق في مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وهذا باب طويل الذيل فلنكتفِ بهذا القدر وهذه أبحاث شريفة وفوائد لطيفة نسجت

والضمير في «به» يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعًا لأن قوله: «هذا الذي رزقنا من قبل» **(انطوى)** تحته ذكر ما رزقوه في الدارين، وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسًا أُخر، **(لأن الإنسان بالمألوف آنس)** وإلى المعهود أميل، **(وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه)**، ولأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد **(ورأى فيه مزية)** ظاهرة وتفاوتًا بيّنًا كان استعجابه

بها عنكبوت خاطري وسمحت بها قريحة فاتري[١] لم يسبقني أحد إلى مثلها ونفس المسألة وإن كانت معروفة بين الفقهاء ولكن كانت غير مدللة بدلائل معتمد عليها وبيدك التأمّل والإنصاف والله أعلم بالصواب. انتهت بحروفها.

قوله: **(انطوى)** واندرج تحته ذكر ما رزقوه في الدارين لأن المبتدأ أعني هذا إشارة إلى المرزوق في الآخرة والخير أعني الذي رزقنا إلى المرزوق في الدنيا وهما متّحدان جنسًا فأفرد الضمير العائد إليهما نظرًا إلى الوحدة الجنسية وصحَّ جعل متشابهًا حالًا عنه نظرًا إلى التعدّد النوعي والشخصي واندفع إشكال التدافع بين إفراد الضمير وإيقاع متشابهًا حالًا عنه. **قوله**: **(لأن الإنسان بالمألوف آنس)** وهو الألفة هذا جيد لو لم يضم إليه. **قوله**: **(وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه)** وعافته نفسه فإن بُطلانه ظاهر فإن لكل جديد لذّة والحديث المُعاد مثل في الكراهة كذا في حاشية العلّامة التفتازاني رحمه الله وفي حاشية الشيخ زاده ح قيل فيه نظر لأن تجدّد الصورة أحبّ إلى النفس وألذّ لدَيها من مشاهدة معتاد. وقيل: لكل جديد لذّة والحديث المُعاد مثل في الكراهة ولا يخفى أي تجدّد صورة الشيء الذي تستلذه النفس ويميل إليه الطبع يجلب الشوق والسرور وإن تجدّد كل يوم ألف مرة بخلاف ظهور غير المألوف فإن النفس لا تميل إليه أول ما ترى وإنما تميل بعدما تعرف ما فيه من وجوه الحسن والشرف. انتهت. **وقوله**: **(بالمألوف)** في المصباح ألفته إلفًا من باب علم أنست به وأحببته. اهـ. **وقوله**: **(عافته)** أي كرهته **(نفسه)** في المصباح عاف الرجل الطعام والشراب يعافه من باب تعب عيافة بالكسر كرهه فالطعام مَعيف. اهـ. **قوله**: **(ورأى فيه مزية)** أي فضيلة في المصباح المزية فعيلة وهي التمام والفضيلة ولفلان مزية أي فضيلة يمتاز بها عن غيره قالوا: ولا يُبنَى منه

---

(١) كذا بالأصل.

به أكثر واستغرابه **(أوفر)** وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر **(وتمادي الحال)** في ظهور المزية، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم في كل أوان أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه، والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسًا في نفسه **(كما يُحكى عن الحسن)**: يؤتى أحدهم **(بالصحفة)** فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك: كُلْ، فاللون واحد والطعم مختلف. **(وعنه ﷺ)**: («**والذي نفس محمد بيده**

فعل وهو ذو مزية في الحسب والشرف أي ذو فضيلة والجمع مزايا مثل عطية وعطايا. اهـ. وفي الصحاح المزية الفضيلة يقال له عليه مزية ولا يُبنى منه فعل. اهـ. إلا أنه ذكر في حواشي الجوهري أنه يقال أمزيته عليه أي فضلته وفي الأساس تمزيت عليه وتمزيته فضّلته. انتهى. **قوله: (أوفر)** أي أكمل في المصباح وفر الشيء يفر من باب وعد وفورًا تم وكمل وفرته وفرًا من باب وعد أيضًا أتممته وأكملته يتعدّى ولا يتعدى والمصدر فارق. اهـ. **قوله: (وتمادى الحال)** عطف تفسير في مختار الصحاح المَدَى الغاية يقال قطعة أرض قدر مدى البصر وقدر مَدّ البصر ومنه التمادي في الأمر وهو بلوغ للمدى وفي الضياء وتمادى في الشيء أي بلغ فيه. انتهى بحروفه يستملي أي يستدعي. **قوله: (كما يُحكَى عن الحسن)** البصري رضي الله تعالى عنه أثر أخرجه ابن جرير عن يحيىٰ بن كثير بهذا اللفظ. **قوله: (بالصحفة)** الصحفة بفتح الصاد المهملة وسكون الحاء المهملة كالقصعة[1] اسم ما يشبع الخمسة وجمعه صِحاف فحينئذ إتيان الصحفة التي يشبع الخمسة بأحد أهل الجنة لمجرد التكريم. **قوله: (وعنه عليه السلام)**. . . الخ هذا الحديث أخرجه ابن جرير أيضًا موقوفًا. **وقوله: (والذي)** أي والله الذي **(نفس محمد)** أي روحه وذاته وصفاته وحالاته وإرادته وحركاته وسكناته **(بيده)** أي كائنة بنعمته وحاصلة بقدرته وثابتة بإرادته. ووجه استعارة اليد للقدرة أن أكثر ما يظهر سلطانها في أيدينا وهي من المتشابهات. ومذهب السلف فيها تفويض علمه إلى الله تعالى مع التنزيه عن ظاهره وهو أسلم حذرًا من أن يعين له غير مراد له تعالى ويؤيّده

---

(١) الآنية. ١٢ منه.

إن الرجل) من أهل الجنة (**ليتناول**) الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة (**إلى فيه**) حتى يبدلها الله مكانها (**مثلها**) فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك» وقوله: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ جملة (**معترضة للتقرير**) كقولك: «فلان أحسن

وقف الجمهور على الجلالة من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٧] وعدّوه وقفًا لازمًا وهو ما في وصله إيهام معنى فاسد ومن ثمة قال الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وتأويل اليد بالقدرة يؤدي إلى تعطيل ما أثبته تعالى لنفسه وإنما الذي ينبغي به الإيمان بما ذكره الله تعالى من ذلك ونحوه على ما أراده ولا يشتغل بتأويله فنقول: له يد على ما أراده لا كيد المخلوقين ومذهب الخلف فيها تأويله بما يليق بجلال الله تعالى وتنزيهه عن الجسم والجهة ولوازمهما بناء على أن الوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: الآية ٧] وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول أنا أعلم تأويله وأنا من الراسخين في العلم. قيل: وهذا أعلم وأحكم أي يحتاج إلى مزيد علم وحكمة حتى يطابق التأويل سياق ذلك النص وليس المعنى أن مذهب الخلف أكثر علمًا فالمذهبان متفقان على التنزيه وإنما الخلاف في أن الأولى ماذا هو؟ التفويض أم التأويل ويمكن حمل الخلاف على اختلاف الزمان فكان التفويض في زمان السلف أولى لسلامة صدورهم وعدم ظهور البِدع في زمانهم والتأويل في زمان الخلف أولى لكثرة العوام وأخذهم بما يتبادر إلى الأفهام وغلو المبتدعين بين الأنام والله أعلم بالمرام. كذا أفاده العلّامة علي القاري في شرح المشكاة ثم هو قسم جوابه (**إن الرجل**)... الخ وكان الأصل أن يقول: والذي نفسي لكنه جرّد من نفسه النفيسة من اسمه محمد وهو هو ليكون أبلغ وأوقع في النفس. **وقوله**: (**إن الرجل**) اللام للعهد الذهني وفي حكمه المرأة. **قوله**: (**ليتناول**) اللام للابتداء أي يأخذ. **قوله**: (**إلى فيه**) أي فمه في المصباح الفم من الإنسان والحيوان أصله فوه بفتحتين ولهذا يجمع على أفواه مثل سبب وأسباب ويثنى على لفظ الواحد فيقال فمان وهو من غريب الألفاظ التي لم يطابق مفردها جمعها وإذا أُضيف إلى الياء قيل فِيَّ وفمي وإلى غير الياء أُعْرب بالحروف فيقال فوه وفاه وفيه ويقال أيضًا فمه. انتهى. **قوله**: (**مثلها**) أي مثل الثمرة الأولى. **قوله**: (**معترضة للتقرير**) هذا مبني على تجويز الاعتراض في آخر الكلام والأكثر أن يسمّونه تذييلًا وهو أن يعقب الكلام بما يشمل على معناه تأكيدًا

بفلان (**ونعم ما فعل**)﴾ ورأى من الرأي كذا (**وكان صوابًا**، **ومنه** ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: الآية ٣٤]. ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾) «أزواج» مبتدأ و«لهم» الخبر و«فيها» ظرف للاستقرار. ﴿مُّطَهَّرَةٞ﴾ (**من مساوي الأخلاق، لا طمحات ولا مرحات**)، أو مما يختصّ بالنساء بالحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول (**والغائط وسائر الأقذار**

ولا محل له من الإعراب. **قوله**: (**ونِعْمَ ما فعل**) اعتراض وكذا **قوله**: (**وكان صوابًا**) اعتراض وقع تأكيدًا للسابق. **قوله**: (**ومنه** ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النَّمل: الآية ٣٤]) فقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النَّمل: الآية ٣٤] اعتراض وقع في آخر الكلام تأكيدًا للسابق وفي تفسير القاضي البيضاوي في سورة النمل في قصة بلقيس (﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ﴾ [الآية ٣٤]) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسْر (﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النَّمل: الآية ٣٤]) تأكيد لما وصف لها حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عزَّ وجل. انتهى.

قوله: (﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ﴾) الزوج يقال بالاشتراك اللفظي للذَّكر والأُنثى أي لكل واحد من القرينين المتزاوجين مثلًا زيد زوج وحده بسبب قرينة هند وهكذا الهند ويقال للمزدوجين معًا كما يقال لأحدهما فيستوي فيه المذكر والمؤنث وأزواج جمع زوج ذكرًا أو أنثى والمراد في النظم الأخير. **قوله**: (**من مساوىء الأخلاق**) في المحيط المحيط السوء الاسم من ساءه والبر مرد كل آفة ج أسواء ومساوىء على غير قياس كحسن ومحاسن وقيل لا مفرد لها أو مفردها مساءة والمساوىء أيضًا العيوب والنقائص ويقابلها المحاسن. انتهى. **قوله**: (**لا طمحات**) المصباح طمح ببصره نحو الشيء يطمح بضمتين طموحًا استشرف له وأصله قولهم جبل طامح أي عالٍ مُشرِف. انتهى. **قوله**: (**ولا مرحات**) في المصباح مرح مرحًا فهو مرح مثل فرح وزنًا ومعنى. وقيل: أشد من الفرح. **قوله**: (**والغائط**) في محيط المحيط الغائط اسم فاعل والمطمئن الواسع من الأرض وكناية عن العذرة وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضي الحاجة أتى الغائط أي المطمئن الواسع من الأرض فقضى حاجته فقيل لكل مَن قضى حاجته قد أتى الغائط فكنَّى به عن العذرة. انتهى. **قوله**: (**وسائر الأقذار**) في محيط المحيط السائر الباقي لا الجمع كما توهم

والأدناس). ولم تجمع الصفة كالموصوف **(لأنهما لغتان فصيحتان)**، ولم يقل طاهرة لأن ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ أبلغ لأنها تكون للتكثير، وفيها إشعار بأن مطهِّرًا طهرهن **(وما ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ)**. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الخلد والخلود البقاء الدائم الذي لا ينقطع، **(وفيه بطلان قول الجهمية)** فإنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول الآخر، وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات، وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة، ولأنه تعالى باقٍ وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال. قلنا: الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده، والآخر هو الذي لا انتهاء له، وفي حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو **(الفرد اللاحق)**، واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي **(النقيصة)** والزوال، **(وذا وافي)** في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه، وأنى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باقٍ لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود.

جماعات، وندر استعمال السائر بمعنى الجميع. انتهى بالتقاط. وأيضًا فيه القَذَر الوسخ وقد يطلق على الغائط ج أقذار. انتهى. **قوله**: **(والأدناس)** في محيط المحيط الدَّنَس الوسخ والدَّنِس المتوسِّخ يقال رجل دَنِس وقوم أدْناس ومدانيس. انتهى. وفي لسان العرب الدنس في الثياب لطخ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق والجمع أدناس. انتهى. **قوله**: **(لأنهما لغتان فصيحتان)** يعني أن كل واحد من أفراد ما أسنِد إلى ضمير الجمع وجمعه لغة فصيحة يفرد بناء على تأويل لفظ الجمع بالجماعة ويجمع رعاية للفظ الجمع. **قوله**: **(ما ذلك إلا الله عزَّ وجلّ)** وذلك يفيد فخامة أهل الثواب كأنه قيل إن الله هو الذي طهرهنّ وزيَّنهنَّ لأهل الثواب ومن المعلوم أن تطهيره تعالى أفخم وأعظم من كل طهارة. **قوله**: **(وفيه بُطلان قول الجهمية)** الذاهبين إلى أن الجنة والنار ينفيان أهلهما بعد تمتع أهل الجنة بقدر أعمالهم وعذاب أهل النار بقدر سيئاتهم. والجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان الترمذي. **قوله**: **(الفرد اللاحق)** بالسابق. **قوله**: **(النقيصة)** في لسان العرب نقصه ينقصه نقصًا وانتقصه وتنقص الرجل وانتقصه واستنقصه نسب إليه النقصان. والاسم النقيصة. انتهى. وأيضًا فيه النُّقصة النقص والنقيصة العيب. **قوله**: **(وذا)** أي الكمال. **قوله**: **(وافي)** أي كافٍ.

لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلًا ضحكت اليهود وقالوا (ما يشبه) هذا كلام الله فنزل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك مَن يستحي أن يتمثل بها لحقارتها. وأصل الحياء تغير وانكسار (**يعتري**) الإنسان من تخوّف ما يُعاب به ويذم، ولا يجوز على القديم التغير وخوف الذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبّر عنه به، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا: (**أَمَا**) يستحي رب محمد أن يضرب مثلًا بالذباب والعنكبوت، (**فجاءت على سبيل المقابلة**) وإطباق الجواب على السؤال، (**وهو فن من كلامهم بديع**) - وفيه لغتان: التعدّي بنفسه وبالجار. يقال: استحييته واستحييت منه وهما

قوله: (**ما يشبه**) ما نافية.

قوله: (**يعتري**) أي يرد في لسان العرب عراه عروًا واعتراه كلاهما غشيه طالبًا معروفه.اهـ. وأيضًا فيه اعتراني غشيني وأصابني.اهـ. **قوله**: (**أَمَا**) بالفتح والتخفيف بمعنى أَلَا. **قوله**: (**فجاءت على سبيل المقابلة**) أراد بالمقابلة معناها اللغوي وهو المُشاكلة بين الكلامين المتقابلين وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير تحقيقًا أو تقديرًا فإن الكَفَرَة لمّا قالوا: أما يستحي ربّ محمد أن يضرب مثلًا بالذُّباب والعنكبوت مع أن ملوك الأرض يأنفون من ذِكر أمثال ذلك؟! أُجيبوا بأن الله لا يستحي على سبيل المقابلة لكلامهم وتطبيق الجواب على السؤال فعبارة الاستحياء الواقع في كلام الله تعالى من قبيل المشاكلة المذكورة في علم البديع لا من قبيل المقابلة المذكورة في ذلك العلم وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: الآية ٨٢].

قوله: (**وهو**) أي مطابقة الجواب مع السؤال (**فن**) أي نوع (**من كلامهم بديع**) غريب حسن وطرز عجيب.

محتملتان هنا، وضرب المثل **(صنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم. و«ما» هذه إبهامية)** وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهامًا وزادته عمومًا كقولك: «أعطني كتابًا ما» تريد أي كتاب كان، **(أو صلة للتأكيد)** كالتي في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٥٥]، كأنه قال: لا يستحي أن يضرب **(مثلًا البتة)**. وبعوضة عطف بيان لـ «مثلًا» أو مفعول لـ «يضرب» (و«مثلًا» **حال من النكرة مقدمة عليه)**، **(أو انتصبا مفعولين)** على أن «ضرب» بمعنى «جعل» واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب. يقال: بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه **(والبعوض في أصله صفة على فعول)**

قوله: (صنعه) واتخاذه. **قوله:** (من ضَرَبَ اللَّبنَ) في محيط المحيط اللَّبِن المضروب من الطين مربّعًا للبناء واحدته لَبِنَة مثل كَلِمَ وكلمة ويقال فيه لِبْن ولِبِن كإبل. انتهى. في المصباح اللَّبِن بكسر بالباء ما يعمل من الطين ويُبنى به الواحدة لَبِنَة ويجوز التخفيف فيصير مثل حمل. انتهى. **قوله:** **(وَضَرَب الخاتَم)** ضرب الخاتم اتخاذه وصنعه، والخاتم بفتح التاء وكسرها، والكسر أشهر كذا في المصباح. وقال في الصحاح: الخاتم بكسر التاء وفتحها والخيتام والخاتام كله بمعنى الجمع الخواتيم. انتهى. **قوله:** **(وما هذه إبهامية)** أي اسم بمعنى شيء. **قوله:** **(أو صلة)** أي مزيدة **(للتأكيد)** والمراد بالزيادة أن أصل المعنى بدونها يتم ولا يختلّ لأنها لا فائدة لها فإن لها فائدة إما لفظًا فلتزيين اللفظ وإما معنى فللتأكيد وإلى هذا التفصيل أشار بقوله أو صلة للتأكيد وبقولنا أن أصل المعنى... الخ يندفع ما توهّم من أنها إذا كانت للتأكيد فكيف تكون زائدة إذ التأكيد عندهم ليس من قبيل أصل المعنى فإنه تأييد المعنى مستقل بمعنى غير مستقل. **قوله:** **(مثلًا البتَة)** في الكشاف مثلًا حقًّا أو البَتَّة. اهـ.

قوله: **(ومثلًا حال من النكرة)** وهي **(مقدمة عليه)** أي على ذي الحال وهي النكرة كما هي الأصل من أن ذا الحال إذا كان نكرة يجب تقديم الحال عليه. **قوله:** **(أو انتصبا)** أي ﴿بَعُوضَةً﴾ و﴿مَثَلًا﴾ حال كونهما **(مفعولين)** لـ ﴿يَضْرِبَ﴾. **قوله:** **(والبعوض في أصله صفة على فعول)**... الخ يعني أنه في الأصل من قبيل الفعول بمعنى الفاعل مشتق من البعض بمعنى القطع كما أن الغضب والبضع بمعنى القطع أيضًا فإن مادة الباء والعين والضاد على أي ترتيب كان للقطع ثم

كالقطوع **(فغلبت)**. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلًا وهو القلة والحقارة، أو فما زاد عليها **(في الحجم)** كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة. ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات **(وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلًا للدنيا)**.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي **(لا يسوغ إنكاره)** يقال: حق الأمر إذا ثبت ووجب ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ في موضع النصب على الحال والعامل **(معنى الحق)** وذو الحال الضمير المستتر فيه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ويوصف عليه إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك.

غلب على هذا النوع من الذُّباب لأنه يقطع بإبرته وجه الإنسان وسائر أعضائه. **قوله**: **(فغلبت)** أو صار بالغلبة اسمًا لهذا النوع من البقّ. **قوله**: **(في الحجم)** والجثة في محيط المحيط. قيل: الحجم مقدار الجسم. وقيل: الحجم يطلق على ما له مقدار ما سواءً كان جسمًا أم لا إذ الجسم لا يطلق إلا على المتصل في الجهات الثلاث أي الطول والعرض والعمق ج حجوم. انتهى. **قوله**: **(وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلًا للدنيا)** عن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري صحابيان جليلان رضي الله تعالى عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل**») بفتح التاء وكسر الدال تَزِن وتساوي («**عند الله جناح بعوضة**») أي ريشتها وهو مثل للقِلَّة والحَقَارة، والمعنى أنه لو كان لها أدنى قدر («**ما سقى كافرًا منها**») أي مياه الدنيا («**شربة ماء**») أي يمنع الكافر منها أدنى تمتّع فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئًا مما له قدر عند المعطي، رواه الترمذي وابن ماجه، وكذا الضياء وقال الترمذي: حديث صحيح مثَّل عليه السلام الدنيا في الحقارة بجناح بعوضة بل ترقى، فقال: الدنيا في الحقارة ليس مثل جناح بعوضة بل أحقر منه فلا شيء أحقر من الدنيا عنده تعالى. **قوله**: **(لا يسوَغ إنكاره)** بمعنى لا يصحّ ويجوز من ساغ الشيء إذا سهل تناوله ودخوله في الحلق فاستعير للصحة والجواز وشاع حتى صار حقيقة منه. **قوله**: **(معنى الحق)** وهو الكينونة والثبوت.

وفي قولهم: «ماذا أراد الله بهذا مثلًا» استحقار (كما قالت عائشة ﵂

قوله: **(كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها)** أم المؤمنين بنت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنهما وأُمّها أُم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: يقال بفتح الراء وضمّها بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس والخلاف في نسبها كثير وأُم رومان هي أُم عائشة وعبد الرحمٰن بن أبي بكر توفيت أُم رومان في سنة ست في ذي الحجة قاله الواقدي والزبير. وقيل: توفيت سنة أربع أو خمس. قال ابن الأثير: مَن زعم أنها توفيت سنة أربع أو خمس فقد وهم فإنه صحَّ أنها كانت في الإفك حيّة وكان الإفك في شعبان سنة ست ونزل النبي ﷺ في قبرها واستغفر لها. أسلمت قبل الهجرة رضي الله تعالى عنها، كنية عائشة أُم عبد الله، كنّاها رسول الله ﷺ أُم عبد الله بابن أُختها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وذكر أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه عن أبي إسحٰق أن عائشة أسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر إنسانًا ممّن أسلم. تزوَّجها النبي عليه السلام بمكة قبل الهجرة بسنتين في قول أبي عبيدة، وقال غيره: بثلاث سنين وقيل سنة ونصف أو نحوها وهي بنت ست سنين. وقيل: سبع، والأول أصحّ وبنى بها بعد الهجرة بالمدينة بعد مُنصَرفه من بَدْر في شوال سنة اثنتين وهي بنت تسع سنين. وقيل: بنى بها بعد الهجرة بسبعة أشهر وهو ضعيف، وقد أوضحت ضعفه في أول شرح صحيح البخاري وهي من أكثر الصحابة رواية، رُوِيَ لها عن رسول الله ﷺ ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين ومسلم بثمانية وستين. روى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين وفضائلها ومناقبها مشهورة معروفة. روينا من الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي صاحب التهذيب من أصحابنا قال: رُوِيَ أن عائشة كانت تفتخر بأشياء أُعطيتها لم تُعْطَها امرأة غيرها منها أن جبرئيل أتى بصورتها في سَرَقَة[1] من حرير وقال: هذه زوجتك. ورُوِيَ أنه أتى بصورتها في راحته وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا غيرها وقبض رسول الله ﷺ ورأسه في حِجرها ودُفِن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي

---

(١) قوله: في سَرَقَة، أي قطعة من جيّد الحرير وجمعها سَرَق، كذا في النهاية لابن الأثير رحمه الله تعالى. ١٢ منه عُفِي عنه.

في عبد الله بن عمرو):

وهو معها في لحافها، ونزلت براءتها من السماء، وأنها بنت خليفة رسول الله وصِدِّيقة وخُلِقَت طيبة ووُعِدَت مغفرة ورزقًا. وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال: حدَّثتني الصِّديقة بنت الصِّدِّيق حبيبة رسول الله ﷺ المُبَرَّأة في السماء رضي الله تعالى عنها. توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خَلَت من شهر رمضان سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ست وخمسين. وقيل: سنة ثمانٍ وخمسين، وصلّى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، وأمرت أن تُدفَن بالبقيع ليلًا فدُفِنَت من ليلتها بعد الوتر، واجتمع على جنازتها أهل المدينة وأهل العوالي وقالوا: لن تُرَى ليلة أكثر ناسًا منها، والمشهور في عائشة الذي لم يذكر الأكثرون غيره أنها عائشة بالألف. وقال أبو عمرو الزاهد في آخر شرح الفصيح عن ثعلب عن ابن الأعرابي: أفصح اللغات عائشة. قال: وقد حُكِيَت عيشة بلغة فصيحة. قال: وعائشة مأخوذة من العيش. قلت: وحكى هذه اللغة أيضًا علي بن حمزة، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام. وفي مسلم في أبواب قيام الليل عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ أحبّ الأعمال إلى الله تعالى أدْوَمها وإن قَلَّ. قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لَزِمَته. واعلم أن عائشة رضي الله تعالى عنها لم تدخل الشام قطّ، وإنما ذكرت هذا لأني رأيت مَن اشتبه عليه ذلك فتوهّم دخولها دمشق، وهذا خطأ صريح وجهل قبيح ولا خلاف بين أهل التواريخ والحديث أنها لم تدخل الشام. وممَّن نصَّ على عدم دخولها الشام الحافظ أبو القاسم بن عساكر في باب ذِكر مساجد دمشق كذا أفاده في كتاب تهذيب الأسماء. **وقوله: (في عبد الله بن عمرو)** بن العاص هو أبو محمد، وقيل: أبو عبد الرحمٰن، وقيل: أبو نُصير بضم النون عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بضم السين وفتح العين ابن سهم بن عمرو بن حصيص بن كعب بن لُؤَي بن غالب القرشي السهمي الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. كان بينه وبين أبيه في السن اثنتي عشرة سنة. وقيل: إحدى عشرة سنة وأُمه رَيْطَةُ بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعيد بن سهم. أسلمت قالوا وكان النبي ﷺ يقول: «نِعْمَ أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأُم عبد الله، أسلم عبد الله

(يا عجبًا لابن عمرو هذا) محقرة له. (و«مثلًا» نصب على التمييز أو على الحال كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣]) و«أما» حرف فيه

قبل أبيه وكان كثير العلم مجتهدًا في العبادة تَلّاءً للقرآن، وكان أكثر الناس أخذًا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ. ثبت في الصحيح عن أبي هريرة قال: ما كان أحد أكثر حديثًا عن رسول الله ﷺ منّي إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ سبعمائة حديث اتفق البخاري ومسلم على سبعة عشر منها، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بعشرين، وإنما قلت: الرواية عنه مع كثرة ما حمل لأنه سكن مصر وكان الواردون إليها قليلًا بخلاف أبي هريرة فإنه استوطن المدينة وهي مقصد المسلمين من كل جهة. روى عنه سعيد بن المسيب وعروة وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمٰن ومسروق وخلائق من كبائر التابعين ونقلوا عنه. قال: حفظت عن النبي ﷺ ألف مثل وأنه قال: لَخير أعلَمُهُ اليوم أحبّ إليّ من مثليه مع رسول الله ﷺ لأنّا كنّا مع رسول الله ﷺ تهمّنا الآخرة ولا تهمّنا الدنيا وأنّا اليوم مالت بنا الدنيا وشهد مع أبيه فتح الشام وكانت الراية مع أبيه يوم اليرموك، وتوفي عبد الله سنة ثلاث وستين، وقيل: خمس وستين بمصر، وقيل: سنة سبع وستين بمكة، وقيل: سنة خمس وخمسين بالطائف، وقيل: سنة ثمانٍ وستين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وهو ضعيف. وقيل: توفي بفلسطين سنة خمس وستين وكان عمره ثنتين وسبعين سنة كذا أفاده في تهذيب الأسماء (يا عجبًا) بالألف بدلًا من الإضافة، والمعنى يا عجبي أحضر (لابن عمرو هذا) أي لعبد الله بن عمرو بن العاص، قالت ذلك حين أفتى بوجوب نقض الضفائر في الاغتسال.

قوله: (ومثلًا نصب على التمييز) أي على تمييزه عن النسبة وهي نسبة الإنكار والتعجّب إلى المُشار إليه، ولا يصحّ أن يكون تمييزًا عن ذات مذكورة وهي نفس اسم الإشارة فإن ذلك إن كان مبهمًا لا يعرف المقصود كالضمير المبهم في نحو: يا له رجلًا، وانتفع بهذا سلاحًا. وهنا ليس كذلك لكونه إشارة إلى المثل. **قوله**: (أو على الحال، كقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣]) أي أو هو نصب على أنه حال من اسم الإشارة الذي هو معمول الفعل السابق وهو أراد فيكون ذلك الفعل عاملًا في الحال أيضًا كما في قولك: لقيت هذا فارسًا ولا يجوز إعمال اسم الإشارة فيها لاستلزامه اختلاف

معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء، وفائدته في الكلام أن (يعطيه) فضل توكيد. تقول: زيد ذاهب. فإذا قصدت توكيده وأنه (لا محالة) ذاهب قلت: أما زيد فذاهب، ولذا قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب، وهذا التفسير يفيد كونه تأكيدًا وأنه في معنى الشرط. وفي إيراد الجملتين مصدرتين به (وأن لم يقل) فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون، (إحماد) عظيم لأمر المؤمنين و(اعتداد) بليغ

العامل[1] في الحال وذي الحال لأن العامل في هذا هو الفعل السابق وهو أراد في الحال هذا وهو غير جائز، شبّه المصنّف رحمه الله تعالى «مثلًا»، الواقع في هذه الآية بـ ﴿ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] الواقعة في قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] من حيث إن كل واحد منهما اسم جامد وقع حالًا من اسم الإشارة وإن افترقا من حيث إن العامل في مثل هو الفعل السابق وفي ﴿آية﴾ هو اسم الإشارة كما في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: الآية ٧٢]. **قوله**: (يعطيه) أي يفيده. **قوله**: (لا محالة) بفتح الميم والبناء على الفتح بمعنى لا بدَّ منه ولا تحوّل عنه وهو أبلغ منه لأنه بمعنى لا حيلة فيه أصلًا. قال الإمام المرزوقي: يقولون في موضع لا بدَّ لا محالة، ويقال: حالَ حولًا وحيلة، أي احتال وما فيه حائلة أي حيلة. انتهى.

قوله: (وأن لم يقل) بفتح الهمزة. **قوله**: (إحماد) في الصحاح الحمد نقيض الذمّ وأحمد الرجل صار أمره إلى الحمد، وأحمدته أي وجدته محمودًا، تقول: أتيت موضع كذا فأحمدته، أي صادفته محمودًا موافقًا للمقصود من المنزل وذلك إذا رضيت سكناه أو مرعاه إلى هنا كلامه، والمراد بالإحماد هٰهنا إظهار كون أمر المؤمنين محمودًا وأن علمهم بكون ضرب المثل بما ذكر حقًّا كان أمرًا مُعتَدًّا به عنده سبحانه وتعالى. وفي الحواشي القطبية قوله: إحماد، أي حكم بكونه محمودًا كالإكفار الذي هو حكم بكونه كافرًا. وقال شرف الدين الطيبي رحمه الله تعالى وتجاوز عنه هو ليس من أحمدته أي صادفته محمودًا وإنما هو من أحمدت صنيعه أي رضيته، وأحمدت الأرض رضيت سكناها. **قوله**: (اعتداد) أي

---

(١) أي ما أشير إليه بلفظ هذا، والعامل فيه معنى الفعل المُستفاد من ما الاستفهامية كأنها ذكرت في موضع الإنكار والتعجّب، كأنه قيل: ما أعجب هذا المثل وما وجه التمثيل به. ١٢ منه.

بعلمهم أنه الحق، (ونعي على الكافرين) إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة (الحمقاء). و«ماذا» فيه وجهان: أن يكون «ذا» اسمًا موصولًا بمعنى الذي و«ما» استفهامًا فيكون كلمتين، وأن تكون «ذا» مركبة مع «ما» مجعولتين اسمًا واحدًا للاستفهام (فيكون كلمة) واحدة، فـ«ما» على الأول رفع بالابتداء وخبره «ذا» مع صلته أي أراد، (والعائد محذوف). وعلى الثاني منصوب المحل بـ«أراد» والتقدير: أي شيء أراد الله. والإرادة مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك، وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه، والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنّة. وقال معتزلة بغداد: إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة. فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساهٍ ولا مكره عليه، وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به. ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ جارٍ مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بـ«أما» وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة، وأن العلم بكونه حقًّا من باب الهدى، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة. (وأهل الهدى كثير في أنفسهم) وإنما يوصفون بالقلّة بالقياس إلى أهل

اعتبار. **قوله**: (نعيٌ على الكافرين) في لسان العرب نَعَى عليه الشيء يَنْعاه قَبَّحه وعابه عليه ووبّخه. اهـ. **قوله**: (الحمقاء) في محيط المحيط الحَمْقاء مؤنث الأحمق. **قوله**: (فيكون كلمة) واحدة بمعنى أيّ شيء. **قوله**: (والعائد محذوف) أي أراده.

قوله: (وأهل الهدى كثير في أنفسهم)... الخ جواب عمّا يقال: كيف وصف المهتدين هنا بالكثرة وهم قليل لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾ [صٓ: الآية ٢٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: الآية ١٣]، وأيضًا القلّة والكثرة مفهومان إضافيان فإذا وُصِف أحد الفريقين بالكثرة يكون الآخر لا محالة موصوفًا بالقلّة فكيف يصحّ أن يُوصَف كل واحد من القبيلين بالكثرة، وأجاب عنه بوجهين: الأول أن المهتدين كثير في أنفسهم بحيث لا يكاد يُحصى عددهم إلا أنهم قليلون باعتبار إضافتهم إلى أهل الضلال وتوصيف كل واحد من القبيلين بالكثرة بحسب ذواتهم وأنفسهم لا ينافي توصيفه بالقلّة عددًا بالقياس إلى مقابله كما في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾ [صٓ: الآية ٢٤]. والوجه الثاني أنهم وإن كانوا قليلًا في الصورة

الضلال، ولأن القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وإن قلّوا في الصورة.

(إن الكرام كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا)

والإضلال: خلق فعل الضلال في العبد، والهداية خلق فعل الاهتداء، هذا هو الحقيقة عند أهل السنّة، وسياق الآية لبيان أن ما استنكره (الجهلة) من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبًا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى (وإدناء) المتوهم من المشاهد. فإن كان المتمثل له عظيمًا كان المتمثل به كذلك. وإن كان حقيرًا كان المتمثل به كذلك، ألا ترى أن الحق لما كان واضحًا جليًّا تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضدّ صفة تمثل له بالظلمة، ولما (كانت) حال الآلهة التي جعلها الكفّار (أندادًا) لله

والعدد إلا أنهم كثيرون في الحقيقة. **قوله**:

(إن الكرام كثير في البلاد وإن قلّوا كما غيرهم قلَّ وإن كثروا)

هو من قصيدة طويلة لأبي تمام مدح بها عبد العزيز الطائي من أهل حمص ومعنى البيت إن الكرام كثير في الدنيا باعتبار نفعهم وقيامهم مقام الكثير في الغناء والفائدة وإن كانوا قليلًا بحسب العدد كما أن غيرهم بعكس ذلك ففيه شاهد لإطلاق الكثير على القليل لكثرتهم المعنوية وهو المراد في هذا التوجيه وقل كما في الرواية المعروفة بضم القاف وتشديد اللام اختلف فيه شُرَّاح الكشاف فقيل إنه جمع قليل ككثير، وقيل: إنه مفرد وارتضاه ابن الصائغ فهو في الأصل مصدر قلَّ يقلّ قلّة وقلا كذلّ يذلّ ذلّة وذلّا وهذا هو الظاهر بحسب العربية ولعله على الجمعية جمع أقل كأغَرَّ وغُرٌّ لا قليل على أن أصله قُلل بضمتين كنذير ونذر فخفِّف وأدغم. كما قيل لأن قواعد الصرف تأباه فإنهم قالوا: إن أول المثلين في كلمة إذا تحرك يجوز إدغامه بشروط منها أن لا يكون جمعًا على وزن فعل بضمتين كسرر وذلل لئلا يلتبس بفعل بضم فسكون كحمر جمع أحمر، كذا حقَّقه العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب. وقال العلّامة القنوي: والإدغام للوزن فلا محذور. اهـ. **قوله**: (الجهلة) جمع الجاهل. **قوله**: (إدناء) في محيط المحيط أدنى الشيء قرّبه. اهـ. **قوله**: (كانت أندادًا) في محيط المحيط الندّ المثل ولا

(لا حال أحقر منها) وأقل، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف **(والوهن)**، وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة؟ فالذي دونها مثلًا ـ **(لم يستنكر)** ولم يستبدع **(ولم يقل)** للمتمثل استَحْيِ من تمثيلها بالبعوضة لأنه مُصيب في تمثيله، محق في قوله، **(سائق)** للمثل على **(قضية مضربه)**، ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والنظر في الأمور يناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أن الحق، وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم إذا سمعوه **(كابروا وعاندوا وقضوا)** عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار، وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين. والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال **(بالبهائم والطيور وخشاش الأرض)**

يكون إلا مخالفًا، ج أنداد، يقال: ما له ندٌّ، أي ما له نظير. اهـ. **قوله: (لا حالَ أحقرَ منها)** خبر **(كانت)**. **قوله: (الوهن)** في محيط المحيط الوَهَن: الضعف في الأمر والعمل والبدن. اهـ. **قوله: (لم يستنكر)**. . . الخ جواب لما كانت. **وقوله: (ولم يقل)** على صيغة المجهول. **وقوله: (استَحْيِ)** على صيغة الأمر المخاطب. **وقوله: (سائق)** أي مُوْرِد. **قوله: (قضية مضربه)** أي مقتضى مورده. **قوله: (كابروا)** في محيط المحيط كابره مكابرة غالبه مغالبة وعانده وفي التعريفات المكابرة هي المنازعة في المسألة العلمية لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم. اهـ. **قوله: (وعاندوا)** في محيط المحيط عاند الشيء معاندة وعِنادًا لازمه وفلانًا جانَبَه.وفارقه وعارضه بالخلاف والعصيان وفعل مثل فعله. وقال الأزهري: المُعاند المُعارض بالخلاف لا بالوفاق وقد يكون مباراة بغير خلاف. اهـ.

قوله: (قضوا) أي حكموا **(بالبهائم)** في محيط المحيط البهيمة كل حيوان لا عقل له وكل ما لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام وكل ذوات أربع قوائم ولو في الماء ما عدا السِّباع والطير، ج بهائم. اهـ. **قوله: (والطيور)** في محيط المحيط الطائر: اسم فاعل، وكل ذي جناح من الحيوان ج طَيْر وطُيُور وأطيار. وقال قطرب: الطَّيْر أيضًا قد يقع على الواحد وأبو عبيدة مثله. اهـ. **قوله: (وخشاش[1] الأرض)** في محيط المحيط الخِشاش حشرات الأرض والعصافير

---

(١) مثلثة. ١٢ القاموس.

فقالوا: (**أجمع من ذرة، وأجرأ من الذباب، على جفن نِداد، وأسمع من قراد، وأضعف**

ونحوها. اهـ. وفي المصباح خشاش الأرض وزان كلام وكسر الأول لغة دوابها الواحدة خشاشة وهي الحشرة والهامة. اهـ. وفي مجمع البحار فتح خاء خشاش أشهر الثلاثة. اهـ. **قوله**: (**أجمع من ذرة**) هي من صغار النمل يجمَع ويَدَّخر قوت سنين هكذا أفاده العلّامة التفتازاني رحمه الله. وفي محيط المحيط الذر صغار النمل، الذرة واحدة الذر. اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال للعلّامة أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري **أجمع** من نَمْلة، ويقال أجمع من ذرة، قال الشاعر في الذر وجمعها، شعر:

يجمع للوارث جمعًا كما تجمع في قريتها الذر

انتهى. **قوله**: (**وأجرأ من الذباب**) في محيط المحيط جَرُؤَ الرجل يجرؤ جُرْأَةً وجُرَةً بحذف الهمزة وجَرَاءة وجرائية وجَراية بالياء وهو نادر لإبدال الهمزة ياء بعد الفتحة شَجُعَ. اهـ. وأيضًا فيه الأجْرَأ اسم تفضيل. اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال أجرأ من الذباب وذلك أنه يقع على أنف الملك وعلى **جفن** الأسد وهو مع ذلك يذاد[1] فيعود. اهـ. **وقوله**: (**على جفن**) في محيط المحيط الجفن غطاء العين من أعلى وأسفل، ج أَجْفُن وأجْفان وجُفُون. اهـ. **قوله**: (**يذاد**) أي يمنع. **قوله**: (**وأسمع من قراد**) في محيط المحيط القُراد دويبَّة تتعلق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان الواحدة قُرادة والعامّة تقول له الفاسوق أيضًا ج قِرْدان. اهـ. وفي كتاب مجمع الأمثال (**أسمع من قراد**) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرّك لها. قال أبو زياد الأعرابي: ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية وتركوها قفارًا والقردان منتشرة في أعطان الإبل وأعقار الحِياض ثم لا يعود إليها عشر سنين وعشرين سنة ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء وقد أحسّت بروائح الإبل قبل أن توافي فتحركت. اهـ. وقال العلّامة التفتازاني في شرح الكشاف: (**أسمع من قراد**) يزعم العرب أنه يسمع الهمس الخفي من دفع مناسم[2] الإبل على مسيرة سبع ليال فيشوّر في الطعن ويقصد الطريق فإذا رأته اللصوص لا يشك أن القافلة أقبلت. اهـ. **قوله**: (**وأضعف**

---

(١) أي كلما زُبّ آب. ١٢ منه.

(٢) المنسم ـ بكسر السين ـ خفّ البعير. ١٢ منه.

من فراشة، وآكل من السوس)، وأضعف من البعوضة، (وأعزّ من مخ البعوض)، ولكن (ديدن المحجوج والمبهوت) أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وإنكار اللائح. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (هو) مفعول «يضلّ» وليس بمنصوب على الاستثناء لأن «يضلّ» لم يستوف مفعوله. والفسق: الخروج عن القصد. والفاسق في الشريعة: الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله إن شاء الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ النقض: الفسخ وفكّ التركيب. و(العهد: الموثق).

من فراشة) في محيط المحيط الفَراشة حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السِّراج فيتحرّق ج فراش. اهـ. وفي مجمع الأمثال أضعف من بقّة ومن بعوضة ومن فراشة ومن قارورة. انتهى.

قوله: (وآكل من السوس) في محيط المحيط السوس دود يقع في الصوف والثياب والطعام والشجر. اهـ. **قوله**: (وأعزّ من مخ البعوض) في منتهى الأرب في لغات العرب أَعَزّكم باب. انتهى. وفي محيط المحيط المخ نِقْي العظم. اهـ. وأيضًا فيه المخ أيضًا شحمة العين. اهـ. وأيضًا فيه النِّقْي مخ العظم وشحم العين من السِّمن، ج أنقاء. اهـ. وفي مجمع الأمثال أعزّ من الترياق ومن ابن الخصي ومن مخّ البعوضْ ومن عُقاب الجوّ. اهـ. **قوله**: (ديدن المحجوج) أي عادته في لسان العرب الدين العادة والشأن تقول العرب ما زال ذلك ديني ودَيْدَنِي أي عادتي. اهـ. **وقوله**: (المحجوج) أي المغلوب في الحجة. **قوله**: (والمبهوت) في محيط المحيط بَهت الرجل يبهُت وبَهِت يبهَت وبهُت يبهُت وبُهِت يُبْهَت على المجهول بَهْتًا انقطع ودَهِش وتحيَّر فهو مبهوت لا باهت ولا بهيت. وفي مقدمة الزمخشري يقال: رجل باهِت. قيل: وصيغة المجهول أفصح وعليه في سورة البقرة ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [الآية ٢٥٨] وفي سورة الأنبياء ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ [الآية ٤٠] أي تغلبهم أو تحيّرهم. اهـ. **قوله**: (هو) أي الفاسق.

قوله: (العهد: الموثق) قال الراغب: وثقت به واعتمدت عليه وأوثقته شددته وما يشدّ به وثاق والوثاق والميثاق عقد يؤكد بيمين والموثق الاسم منه. قال

والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله (**أحبار اليهود**) المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعًا. وعهد الله ما (ركز) في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصّاهم به ووثقه عليهم، أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره، أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم (**ولا يبغي**) بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم. وقيل: (**عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود**): العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يقرّوا بربوبيته وهو قوله تعالى: (﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) الآية،

تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [يوسف: الآية ٦٦] أو هو مصدر أو اسم موضع الوثوق فالعهد للوصية واليمين لأنها تعهد وتحفظ وللمنزل كما ذكره الجوهري. **قوله**: (**أحبار اليهود**) أي علماؤهم. في المصباح الحَبْر: العالِم، والجمع أحبار، مثل حمل وأحمال. والحَبْر بالفتح لغة فيه وجمعه حبور مثل فلس وفلوس واقتصر ثعلب على الفتح وبعضهم أنكر الكسر. اهـ. **قوله**: (ركز) واستحكم. **قوله**: (**لا يبغي**) أي لا يظلم. **قوله**: (**وقيل عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود**)... الخ هذا الكلام ذكر استطرادًا لِبيان أن العهد المأخوذ بالرُّسُل كما يكون مأخوذًا على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول صدّقه الله تعالى بالمعجزات صدّقوه واتبعوه ولم يخالفوه في شيء من أحكامه يكون أيضًا مأخوذًا على النبيين بأن يبلّغوا أحكام نبوّتهم ويجتهدوا في إظهار دين الله تعالى وعلى العلماء أيضًا بأن يُبيِّنوا الحق ولا يكتموه وليس المقصود منه أن كل واحد من هذه العهود الثلاثة من العهد المنقوض المذكور في هذه الآية وهو ظاهر. ذكر في الحواشي السعدية أنه لا خفاء في أنه ليس المراد بعهد الله الذي ينقضونه هو عهد الأنبياء لأنه لا نقض منهم، ولا عهد العلماء لأنهم ليسوا الفاسقين الذين أضلّهم الله بضرب المثل إلا أن يُراد البعض منهم كعلماء اليهود فتعيَّن أن يُراد به العهد الأول العام لذريّة آدم عليه السلام فيعود إلى الوجه الأول، أعني العهد المأخوذ بالعقل أو يراد عهد علماء اليهود فيعود إلى الوجه الثاني. **قوله**: (**وهو قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الآية ١٧٢] الآية) في تفسير الجلالين في سورة الأعراف ﴿وَٱذْكُرُوا۟﴾ [الآية ١٧١] ﴿وَٱذْكُرِ﴾ [الإنسان: الآية ٢٥] إذ حين (﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار (﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) بأن أخرج من صلب

الراء المهملة الرازي نسبة إلى الري مدينة كبيرة مشهورة من بلاد ديلم بين قومس والجيال وألحقوا الزاي في النسب. انتهت. وأيضًا فيها أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام كبير الشأن المعروف بالجصّاص وهذا لقب له وكتب الأصحاب والتواريخ مشحونة بذلك ذكره صاحب الخلاصة في الدّيات والشركة بلفظ الجصّاص وذكر صاحب الهداية في القسمة بلفظ الجصَّاص وذكره صاحب الميزان من أصحابنا بلفظ الشيخ أبو بكر الجَصَّاص وذكره بعض الأصحاب بلفظ الرازي الجصَّاص وذكره في القنية عن بكر خواهرزاده في مسألة إذا وقع البيع بغبن فاحش قال ذكر الجصَّاص وهو أبو بكر الرازي في واقعاته أن للمشتري أن يردّ وللبائع أن يستردّ. وقال الشيخ جلال الدين في المُغني في أصول الفقه في الكلام في الحديث المشهور قال الجصّاص إنه أحد قسمي المتواتر وذكر شمس الأئمة السرخسي هذا القول في أصوله عن أبي بكر الرازي، وقال ابن النجار في تاريخه في ترجمته كان يقال له الجصَّاص وإنما ذكرت هذا كله لأن شخصًا من الحنفية نازعني غير مرة في ذلك وذكر أن الجصَّاص غير أبي بكر الرازي وذكر أنه رأى في بعض كتب الأصحاب وهو قول أبي بكر الرازي والجصَّاص بالواو فهذا مستنده وهو غلط من الكاتب أو منه أو من المصنِّف والصواب ما ذكرته مولده سنة خمس وثلثمائة سكن بغداد، وعنه أخذ فقهاؤها وإليه انتهت رئاسة الأصحاب. قال الخطيب إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته وكان مشهورًا بالزهد، خُوطِب في أن يَلِي القضاء فامتنع، وأُعيد عليه الخطاب فلم يقبل. تفقّه على أبي سهل الزجَّاج صاحب كتاب الرياضة وتفقّه على أبي الحسن الكرخي وبه انتفع وعليه تخرّج. قال الصَّيْمَرِي: استقر التدريس ببغداد لأبي بكر الرازي وانتهت الرحلة إليه وكان على طريقة مَن تقدّمه في الزهد والورع والصيانة ودخل بغداد سنة خمس وعشرين ودرس على الكرخي ثم خرج إلى الأهواز ثم عاد إلى بغداد ثم خرج إلى نيسابور مع الحاكم النيسابوري فرأى شيخه أبا الحسن الكرخي ومسودّته فمات الكرخي وهو بنيسابور ثم عاد إلى بغداد سنة أربع وأربعين وثلثمائة. تفقّه عليه أبو بكر أحمد بن موسى الخوارزمي وأبو عبد الله محمد بن يحيىٰ الجرجاني شيخ القدوري وأبو الفرج أحمد بن محمد بن عمر المعروف بابن المسلمة وأبو جعفر محمد بن أحمد النسفي

﴿خَلَقَ لَكُم﴾ (على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة في الأصل).

وأبو الحسين محمد بن أحمد بن أحمد الزعفراني وأبو الحسين محمد بن أحمد بن الطيب الكُماري والد إسماعيل قاضي واسط. وروى الحديث عن عبد الباقي بن القانع وأكثر عنه في أحكام القرآن. وروى عن أبي عمر غلام تغلب وله من المصنَّفات أحكام القرآن وشرح مختصر شيخه أبي الحسن الكرخي وشرح مختصر الطحاوي وشرح الجامع لمحمد بن الحسن وشرح الأسماء الحُسنى، وله كتاب مفيد في أصول الفقه، وله جوابات عن مسائل وردت عليه. قال ابن النجار: توفي يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة عن خمس وستين سنة، وصلَّى عليه أبو بكر الخوارزمي صاحبه، حكاه الخطيب. انتهت.

قوله: (على أن الأشياء التي يصحّ أن يُنتَفع بها خلِقت مُباحة في الأصل) في التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية للشيخ الأجلّ مولانا أحمد المعروف بملاجين عليه رحمة الله ذي المنن ففي مسألة أن الإباحة أصل في الأشياء، قوله تعالى: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾). هذه بيان نعمة يُخاطَب بها الكفّار أو المؤمنون أو كلاهما واللام في لكم للانتفاع. والمعنى خلق جميع ما في الأرض لانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها مصالح أبدانكم وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرّف لما يلائمها من لذّات الآخرة وآلامها، كذا قالوا فيمكن أن يستدلّ بها على أن الأصل في الأشياء الإباحة كما هو مذهب طائفة بخلاف الجمهور[1] فإن عندهم الأصل هو الحُرمة ولا يظهر ثمرته إلا في قوله عليه السلام «لا تبيعوا الطعام إلا سواء بسواء»، فإن عندنا الأصل هو إباحة الربا حتى يعفو عند عدم القدر والجنس وإنما تثبت الحُرمة إذا وجد جميع الشرائط. وعند الشافعي الأصل هو الحُرمة في كل حال والمساواة مخلص منها كما ذكر في الهداية في باب الربا لأن ذلك مبني على أصل آخر مختَلَف فيه معروف. وبالجملة ففي الآية دليل على كون الإباحة أصلًا في الأشياء صرّح به صاحب الكشاف حيث قال: قد استدلّ

---

(١) أقول: وصرّح في التحرير بأن المختار أن الأصل الإباحة عند الجمهور من الحنفية والشافعية، انتهى. فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أتمّ. ١٢ منه عُفِي عنه.

وعهد خصّ به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] وعهد خصّ به العلماء وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٧]، (﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أصله من الوثاقة) وهي إحكام الشيء، والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم، ويجوز أن يكون بمعنى توثقته

بعض من صلب آدم نسلًا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان[1] يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلًا (﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) قال: (﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) أنت ربّنا (﴿شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) بذلك، والإشهاد (أن لا يقولوا) بالياء والتاء في الموضعين أي الكفّار يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] التوحيد (﴿غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]) لا نعرفه (﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) أي قبلنا (﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) فاقتدينا بهم (﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) تعذّبنا (﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]) من آبائنا بتأسيس الشّرك، المعنى أنهم لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس. اهـ.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ أصله من الوثاقة)... الخ يعني أن الميثاق اسم آلة كالمفتاح والمهراش لآلتي الفتح والهرش وهو الدلك الشديد فإن الأصل في مفعال أن يكون اسم آلة كما ذكر أو صفة مبالغة الفاعل لمعطار ومسقام في مبالغة عطير وسقيم بمعنى كثير التعطّر وهو التطيّب وكثير السقم وهو المرض يقال عطر يعطر عطرًا فهو عطير وسقم يسقم سقمًا فهو سقيم وكلاهما من باب علم ويحتمل[2] أن يكون الميثاق اسمًا بمعنى الإيثاق كالعطاء بمعنى الإعطاء.

---

(١) بفتح النون وادٍ بين مكّة والطائف، ويخرج إلى عرفات، كذا في المصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

(٢) وإنما قال: ويحتمل... الخ. ولم يقل: أن يكون مصدرًا إذ لم ينتقل أن يكون مفعال مصدرًا ولم يعد في أبنيته. ١٢ منه.

كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو الله تعالى أي من بعد توثقته عليهم (و«من» لابتداء الغاية) ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين، أو قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق (في إيمانهم) ببعض وكفرهم ببعض. والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل (الاستعلاء)، و(«ما» نكرة موصوفة) أو بمعنى الذي و«أن يوصل» في موضع جرّ (بدل) من الهاء أي بوصله، أو في موضع رفع أي هو أن يوصل ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بقطع السبيل (والتعويق) عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ ﴿هُمُ﴾ فصل والخبر ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

(﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ معنى الهمزة التي في «كيف») مثله في قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان (وهو) الإنكار والتعجب، (ونظيره) قولك: أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح؟ والواو في (﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ نطفًا) في أصلاب آبائكم للحال و«قد» مضمرة. (والأموات)

قوله: (و«من» لابتداء الغاية) أي على كلٍّ من الوجوه المذكورة سواء كان الميثاق اسمًا أو مصدرًا وسواء كان الضمير لله أو للعهد. **قوله**: (في إيمانهم) متعلق بقطعهم. **قوله**: (الاستعلاء) وهو عدّ النفس عاليًا. **قوله**: (ما نكرة موصوفة) بمعنى شيء أو موصولة بمعنى الذي. **قوله**: (بدل) من الهاء في به. **قوله**: (والتعويق) أي المنع في محيط المحيط عاقه عن كذا يعوقه عَوْقًا حبسه وصرفه وثبّطه عنه. اهـ. وأيضًا فيه عوّقه عن كذا تعويقًا وإعاقة بمعنى عاقه. اهـ.

قوله: (معنى الهمزة التي في كيف) القياس الذي وإنما قال التي لإضافته إلى المؤنث. **قوله**: (وهو) عائد إلى مثله. **قوله**: (ونظيره) أي نظير قولك: أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر، (﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾). **قوله**: (نُطَفًا) جمع النطفة أي وعلقًا ومضغًا. **قوله**: (والأموات) جمع مَيْت مخفَّف ميِّت في المصباح الأموات جمع ميت مثل بيت وأبيات. قال تعالى:

جمع ميت (كالأقوال جمع قيل)، ويقال: لعادم الحياة أصلًا ميت أيضًا كقوله تعالى: ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٩] ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون إلى الجزاء، أو ثم يحييكم في قبوركم ثم (إليه) ترجعون للنشور. وإنما كان (العطف الأول) بالفاء والبواقي بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ، (وأما الموت) فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن أريد (النشور)، وإن أريد إحياء القبر (فمنه) يكتسب العلم بتراخيه، والرجوع إلى الجزاء أيضًا متراخ عن النشور. وإنما أنكر اجتماع الكفر (مع القصة التي ذكرها) لأنها مشتملة على آيات بيّنات تصرفهم على الكفر، ولأنها تشتمل على نعم (جسام) حقها أن تشكر ولا تكفر.

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝٢٦﴾ [المُرسَلات: الآية ٢٦]. اهـ. وفي لسان العرب قال الزجّاج: الميْت الميِّت بالتشديد إلا أنه يخفّف، يقال مَيْت وميِّت والمعنى واحد ويستوي فيه المذكَّر والمؤنث. قال تعالى: ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: الآية ٤٩] ولم يقل مَيْتَةً. وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: الآية ١٧] إنما معناه والله أعلم أسباب الموت إذ لو جاءه الموت نفسه لمات به لا محالة. اهـ. **قوله:** (كالأقوال جمع قَيْل) وهو الملك النافِذ القول والأمر، وأصله قِيْوَل من القَوْل حُذِفَت عينه، كذا في لسان العرب نقلًا عن النهاية، وقد يُجمَع على أقيال أيضًا، أما الأقوال فلاشتقاق القيل من القول كالميت من الموت، وأما الإقيال فلاشتقاقه من التقيل يائيًا وكلام الجوهري يُشعِر بأن كليهما من الواو إلا أن مَن قال الإقيال لم ينظر إلى الأصل بل إلى مجرد لفظ قيل بالتخفيف. **قوله:** (إليه) قدّم للحصر لأنه لا رجوع يومئذ إلى غير الله سبحانه وتعالى. **قوله:** (العطف الأول) وهو عطف أحياكم على ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾. **قوله:** (وأما الموت) أي بعد الحياة فقد يتراخى أي غالبًا. **قوله:** (النشور) النشور زنده كردن. **قوله:** (فمنه) أي من لفظ ثم يعلم تراخي إحياء القبر عن الموت وأما تراخي المصير إلى الجزاء عن النشور فلأنه إنما يكون في الجنة والنار. **قوله:** (مع القصة التي ذكرها) بقوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ إلى آخر الآية. **قوله:** (جسام) في لسان العرب جسُم الشيء أي عظُم فهو جسيم وجُسام بالضم والجِسام بالكسر جمع جسيم. انتهى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

(﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لأجلكم ولانتفاعكم) به في دنياكم ودينكم. (أما الأول) فظاهر، (وأما الثاني) فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالّة على صانع قادر حكيم عليم، وما فيه من التذكير بالآخرة (لأن ملاذها) تذكر ثوابها (ومكارهها) تذكر عقابها. (وقد استدلّ الكرخي وأبو بكر الرازي) والمعتزلة بقوله:

قوله: (أي لأجلكم وانتفاعكم)... الخ، يعني أن اللام للتعليل والانتفاع كما يقال دعا له وفي ضدّه دعا عليه. **قوله**: (أما الأول) أي الانتفاع الدنيوي. **قوله**: (وأما الثاني) أي الانتفاع الديني. **قوله**: (لأن ملاذَها)... الخ في محيط المحيط المَلاذّ الشهوات، مفردها مَلَذَّة. اهـ. أي نعيم الدنيا أُنموذج نعيم الآخرة. **قوله**: (ومكارهها) المكاره جمع مكرَه وهو ما يكرهه الإنسان ويشقّ عليه. في منتهى الأرب في لغات العرب مكاره بالفتح سختيها يقال لقيت دونه مكاره. انتهى. **قوله**: (وقد استدلّ الكرخي) بفتح الكاف وسكون الراء في آخرها خاء معجمة نسبة إلى الكرخ وهو عدّة مواضع منها كرخ سامراء وكرخ البصرة وإليه يُنسَب الكرخي هذا اسمه عبيد الله بن دلهم الإمام الكبير أبو الحسن رحمه الله. كذا في الجواهر المضيئة وأيضًا فيه عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي انتهبت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بعد أبي حازم وأبي سعيد البردعي وانتشرت أصحابه وعنه أخذ أبو بكر الرازي وأبو عبد الله الدّامغاني وأبو علي الشاشي وأبو القاسم علي بن محمد التنوخي وكان كثير الصوم والصلاة صبورًا على الفقر والحاجة ولمّا أصابه الفالج آخر عمره كتب أصحابه إلى سيف الدولة بن حمدان بما ينفق عليه فعلم ذلك فبكا وقال: اللّهمَّ لا تجعل رزقي إلا من حيث عوَّدتني، فمات قبل أن يصل إليه صِلَة سيف الدولة وهي عشرة آلاف درهم. وكان مَن تولّى القضاء من أصحابه هجره مولده سنة ستين ومائتين وتوفي ليلة النصف من شعبان سنة أربعين وثلثمائة. انتهت.

قوله: (وأبو بكر الرازي) أحمد بن علي الإمام المشهور صاحب أحكام القرآن وغيره كذا في الجواهر المضيئة. وأيضًا فيها في كتاب الأنساب في حرف

بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أن الأشياء التي يصلح أن ينتفع بها ولم تجرِ مجرى المحظورات في العقل خلقت في الأصل مُباحة مطلقًا لكل أحد أن يتناولها وينتفع بها، وقد صرَّح به صاحب المدارك أيضًا حيث قال: وقد استدلّ الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ على أن الأشياء التي يصلح أن ينتفع بها خُلِقَت مباحة في الأصل. وذكر الإمام فخر الإسلام في بحث المعارضة أنه إذا تعارض المُباح والمُحَرَّم ترجّح المُحَرَّم لتأخره ودلالته فإن الإباحة لمّا كانت أصلية في الأشياء كان المُحَرَّم لتأخّره ناسخًا للمُباح، وأما إذا عملنا بالمُباح وجعلناه مؤخرًا تكرّر النسخ لأن الإباحة لمّا كانت أصلية في كل شيء كان المُحَرَّم ناسخًا له، ثم كان المُباح العارضي ناسخًا للمُحَرَّم. ثم قال: وهذا بناء على قول مَن جعل الإباحة أصلًا، ولسنا نقول بهذا في أصل الوضع لأن البشر لم يُترَكوا سدى في شيء من الزمان، وإنما هذا بناء على زمان الفترة قبل شريعتنا، يعني أن جعل المُحَرَّم ناسخًا بناءً على قول مَن جعل الإباحة أصلًا في الأشياء كالكرخي وأبي بكر الرازي وطائفة من الفقهاء الحنفية والشافعية وجمهور المعتزلة ولسنا نقول بكون الإباحة أصلًا في الوضع لأن عباد الله تعالى لم يتركوا مُهمَلًا في شيء من الزمان ولو كان الإباحة أصلًا لكانوا مُهمَلين غير مُكَلَّفين، وإنما جعلنا المُباح أصلًا والمُحَرَّم ناسخًا بناءً على زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قبل شريعتنا فإنه كان الإباحة أصلًا حينئذ ثم بعث نبيّنا عليه الصلاة والسلام يبيِّن الأشياء المُحَرَّمة وبقي ما سواها حلالًا مُباحًا هكذا في حواشيه، ثم كون الأصل عندنا الإباحة لا يُنافي أن يكون الشيء حرامًا لعينه كالزِّنا والخمر أو لغيره كأكل مال الغير أو مكروهًا كراهة تنزيه أو تحريم كأكل الفرس أو سؤر الهرة لأن كل ذلك يثبت بالأدلة القاطعة أو الظنِّيَّة، وإنما الكلام فيما لم يوجد فيه دليل أصلًا. وأما ما تمسك به المُباحِيّون من أن مال المسلمين مُباح لكل واحد أن يأخذ ما شاء لا يمنع أحدٌ أحدًا، أو أن الله سبحانه وتعالى إذا أحبَّ عبدًا لم يضرّه ذنب ومباشرة حرام كما صرَّح به الإمام الزاهد فمعاذ الله منه، وأين هذا من ذلك؟! ولهذا قال القاضي البيضاوي رحمة الله عليه في جوابه وهو يقتضي إباحة الأشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لأسباب عارِضة فإنه يدلّ على أن الكل

(﴿جَمِيعًا﴾ **نصب على الحال من** «ما» ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾) الاستواء: الاعتدال والاستقامة. يقال: استوى **(العود)** أي قام واعتدل ثم قيل: استوى إليه **(كالسهم)** المرسل أي قصده قصدًا مستويًا من غير أن **(يلوي)** **على** شيء ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: الآية ١١]، أي أقبل و**(عمد)** إلى خلق

للكل لا أن كل واحد لكل واحد. انتهت بحروفها. فإن قيل هذه المسألة إن كانت مأخوذة من هذه الآية وجب أن يكون ما خلق في الأرض من الأشياء النافعة والضَّارَّة والسموم القاتلة والقاذورات كالبول والغائط مُباحة لعموم قوله: ما في الأرض للجميع، فما وجه قوله: إن الأشياء التي صحّ أن ينتفع بها خُلِقَت مُباحَة في الأصل؟! أجيب بأن كلمة ما وإن كانت عامّة إلا أن قوله ﴿لَكُم﴾ خصّها بالنافعة بناء على أن اللام في ﴿لَكُم﴾ كما تدل على الاختصاص تدلّ أيضًا على معنى النفع كما أشار إليه المصنِّف رحمه الله في قوله: ﴿لَكُم﴾ لأجلكم. ومعلوم أن الخلق للانتفاع يختصّ بخلق الأشياء النافعة في الأرض ولا يُتَصَوَّر في خلق جميع ما في الأرض.

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾ **نصب على الحال من** ﴿مَّا﴾) أي من المفعول الذي هو ﴿مَّا﴾ وهي بمعنى كل، ولا دلالة لها على الاجتماع الزماني وهذا هو الفارق بين قولنا: جاؤوا جميعًا، وجاؤوا معًا، فإن مع تقتضي المُصاحبة في الزمان بخلاف جميع. قيل: وهي هنا حال مؤكدة لأن قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ عامٌّ وإنما بيَّن إعرابه احترازًا عن كونه حالًا من ضمير ﴿لَكُم﴾ أو من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ فإنه لا مبالغة فيه. **قوله**: (العود) في محيط المحيط، العود: الخشب والغصن بعد أن يُقْطع. انتهى. **قوله**: (كالسهم) في المصباح، السهم: واحد النَّبْل، وقيل: السهم نفس النَّصْل. انتهى. وأيضًا فيه النَّبْل السِّهام العربية وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها بل الواحد سهم، فهي مفردة اللفظ مجموعة المعنى. انتهى. وفي لسان العرب، السهم: واحد النَّبْل، وهو مَركب النَّصْل، والجمع أَسْهُم وسِهام. وقال ابن شُمَيْل: السَّهم نفس النَّصْل. وفي منتهى الأرب في معرفة لغات العرب نصل بالفتح پيكان نير. انتهى. **قوله**: (يلوي[1]) أي يعطف. **قوله**: (عمد) أي قصد.

---

(١) أي يميل. ١٢ منه.

السمٰوات بعد ما خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر. والمراد بالسماء جهات العلوّ كأنه قيل: ثم استوى إلى فوق. والضمير في ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ مبهم يفسره (﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ كقولهم «ربه رجلا»). وقيل: الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها في معنى الجنس. ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه (من العوج والفطور)، أو إتمام خلقهن. «وثم» هنا لبيان فضل خلق السمٰوات على خلق الأرض، ولا يناقض هذا قوله: (﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾) [النازعات: الآية ٣٠] لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر. (وعن الحسن): خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس (كهيئة الفهر) عليها دخان (ملتزق) بها، ثم أصعد الدخان وخلق منها السمٰوات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]، (وهو) الالتزاق (﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾) فمن ثم خلقهن خلقًا مستويًا محكمًا من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض على حسب

قوله: (كقولهم ربه رجلا) وربّهنّ نساء. وفائدة إبهام الضمير وتفسيره بما بعده أن المُبهَم إذا بُيِّن كان أفخم وأعظم من أن يُبَيَّن أوّلًا لأنه إذا أُبْهِم تشوَّفت النفس إلى الاطّلاع عليه، وفي البيان بعد ذلك شفاؤها بعد التشوّف. **قوله**: (من العوج[1]) العوج بفتحتين مصدر عوج الشيء بكسر الواو فهو أعوج والاسم العِوَج بكسر العين وفتح الواو. **قوله**: (والفطور) أي الشقوق. **قوله**: (﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ [النازعات: الآية ٣٠]) أي بعد خلق السماء (﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: الآية ٣٠]) أي بسطها. **قوله**: (وعن الحسن) البصري هو الإمام المشهور المُجمَع على جلالته في كل فن أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري بفتح الباء وكسرها الأنصاري أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة، توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (كهيئة الفهر) في محيط المحيط، الفِهْر: الحجر قدر ما يُدَقّ به الجوز أو يملأ الكفّ مذكَّرٌ ويؤنَّث ج أفْهار وفهور. اهـ. وقال العلّامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف قوله: كهيئة الفهر هو حجر ملؤ الكفّ يُذَكَّر ويؤَنَّث، وجمعها أفهار. انتهى. **قوله**: (ملتزق) أي ملتصق. **قوله**: (وهو) الرتق.

---

(١) يصحّ فيه هنا الفتح والكسر كما سيأتي في الكهف. ١٢ منه.

حاجات أهلها ومنافعهم. ﴿وَهُوَ﴾ وأخواته مدني غير ورش)، «وَهُوَ» هو (وأبو عمرو

قوله: (وهو وأخواته مدني غير ورش وأبو عمرو وعلي) يعني وهو بسكون الهاء وأخواته، يعني فهو لهو ثم هو وهي فهي لهي ثم هي قراءة[1] نافع بن عبد الرحمٰن المدني غير ورش وأبو عمرو بن العلاء البصري وعلي بن حمزة الكوفي المعروف بالكسائي. وعبارة الخطيب قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وهو بسكون الهاء والباقون بضمها. انتهت. وفي حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي اعلم أنه يجوز تسكين الهاء من هو وهي إذا وقعت بعد الواو والفاء ولام الابتداء، وثم نحو: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: الآية ٧٤]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٩]، ﴿لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: الآية ٦٤]، ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٤]، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القصص: الآية ٦١] من المقبوحين تشبيهًا لهو الذي انضم إليه أحد الأحرف المذكورة بعضد ولهي بكتف، فكما يجوز تسكين عين عضد وكتف يجوز تسكين هاء هو وهي بعد الأحرف المذكورة إجراءً للمنفصل مجرى المتصل لكثرة دورها معها. انتهت. وقوله: (غير ورش) في الصّحاح، ورش لقب رجل من رواة القرّاء. اهـ. وفي وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان كان لنافع أي لنافع بن عبد الرحمٰن المدني أحد القرّاء السبعة راويان ورش وقالون. انتهت. وفي التيسير ورش هو عثمان بن سعيد المصري، يكنّى أبا سعيد، وورش لقبٌ لُقّب به فيما يقال لشدة بياضه، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة. انتهى. وأيضًا فيه قالون هو عيسى بن مينا المدني الزرقي يكنّى أبا موسى، وقالون لقب، ويُروَى أن نافعًا لقبه به لجُودة قراءته لأن قالون بلسان الروم جيّد، وتوفي بالمدينة قريبًا من سنة عشرين ومائتين. انتهى.

وقوله: (وأبو عمرو) بن العلاء بن عمّار بن عبد الله التميمي المازني البصري أحد القرّاء السبعة كان يعلّم الناس القرآن الكريم والعربية والشعر، وهو في النحو في الطبقة الرابعة من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان أبو عمرو رأسًا في حياة الحسن البصري مقدّمًا في عصره، وكانت ولادته سنة سبعين، وقيل: ثمانٍ وستين، وقيل: خمس وستين للهجرة بمكة. وتوفي سنة أربع وخمسين، وقيل:

(١) وكذا قراءة أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وليس من السبعة. وقارة موضع من المدينة. ١٢ منه عفى عنه.

وعلي)، جعلوا الواو كأنها في نفس الكلمة فصار (بمنزلة عضد) وهم يقولون في عضد عضد بالسكون.

ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفسدت الجن في الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى (جزائر البحار) ورؤوس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيّه ﷺ أن يذكر قصتهم فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ «إذ» نصب بإضمار «اذكر». (والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل) وإلحاق التاء (لتأنيث الجمع). ﴿إِنِّى جَاعِلٌ﴾ أي مصير

تسع وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وقيل: ست وخمسين ومائة بالكوفة. **وقوله**: (وعليَ) بن حمزة بن عبد الله الكوفي الكسائي أحد القرّاء السبعة كان إمامًا في النحو واللغة والقراءات، ولم يكن له في الشعر يد حتى قيل: ليس في علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر. وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالريّ. والكِسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيّات وهو مُلتَفٌّ بكِساءٍ فقال حمزة: مَن يقرأ؟ فقيل له: صاحب الكساء، فبقي عليه. وقيل: بل أحرم في كِساء فنُسِب إليه رحمه الله تعالى. **قوله**: (بمنزلة عضد) في محيط المحيط العَضْد والعُضْد والعِضْد والعَضِد والعَضُد والعُضُد غليظ الذِّراع الذي بين المِرفَق والكتف. اهـ.

قوله: (جزائر البحار) في محيط المحيط الجزيرة أرض ينجزر عنها المدُّ، أي ينكشف عنها الماء ويرجع متناقضًا، وعند أهل الجغرافية قطعة أرض يكتنفها الماء من كل الجهات فإذا أحاط بها إلا من جهة واحدة قيل لها شبه جزيرة وبحيث جزيرة، وقيل: سُمِّيت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض، ج جزائر وجُزُر. اهـ. **قوله**: (والملائكة ج ملأك) على الأصل[1] (كالشمائل جمع شمأل) وهي ريح الشمال[2]. **قوله**: (لتأنيث الجمع) لأنه بمعنى الجماعة.

---

(١) القياس في مفعل أن يجمع على مفاعل نحو مطلع ومطالع. ١٢ منه عفى عنه.
(٢) الشمال الريح تقابل الجنوب وفيها خمس لغات الأكثر بوزن سلام، وشمأل مهموز وزان=

من جعل الذي له مفعولان (وهما ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾) وهو مَن يخلف غيره «فعيلة» بمعنى «فاعلة» (وزيدت الهاء للمبالغة) والمعنى: خليفة منكم (لأنهم) كانوا (سكان) الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته. (ولم يقل خلائف أو خلفاء) لأنه أريد

قوله: (وهما ﴿فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾) فقوله خليفة هو المفعول الأول، وقوله في الأرض هو الثاني قدَّم عليه. **قوله**: (وزيدت الهاء) أي التاء عبَّر عنها بها باعتبار ما يؤول إليه (للمبالغة[1]) في اتّصاف الغائب بالنيابة عن الذاهب كما في رواية وعلّامة بمعنى كثير الرواية والعلم ولم يجعل الهاء للتأنيث لما أن الخليفة فعيل بمعنى الفاعل كما يدلّ عليه قولهم الخليفة من يخلف الذاهب أي يجيء بعده والفعيل بمعنى الفاعل يفرّق فيه بين المذكّر والمؤنّث بالتاء بناءً على ما سيصرّح به من أن المراد به آدم عليه السلام مع قطع النظر عن ذرّيّته بقرينة أن تعليم الأسماء كان له وإلزام الملائكة كان به فلا وجه لتأنيث اللفظ حينئذ. ومن ثَمَّ جمعوه على خلفاء كما يجمع على لفظها فيقال في جمعها خلائف كقبيلة وقبائل، وقد ورد التنزيل بهما، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: الآية ٦٩]، وقال تعالى: ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥]. **قوله**: (لأنهم) أي الملائكة. **قوله**: (سكان) بتشديد العين جمع ساكن. **قوله**: (ولم يقل خلائف أو خلفاء)... الخ جوابٌ عمّا يقال لو كان المراد به آدم وذرّيّته لكان المناسب أن يقال خلفاء أو خلائف فلِمَ أفرَد اللفظ وأجاب عنه بثلاثة أجوبة:

الأول: أن ذرّيّة آدم وإن كانوا خلفاء من قبلهم من سكان الأرض أو كان بعضهم خلفاء لبعض أيضًا في سكنى الأرض، أو كان المعنى على جعل آدم مع ذريته خلفاء الأرض بناء على أن الخلافة في سكنى الأرض ليست لآدم وحده بل له مع ذرّيّته إلا أنه أفرد لفظ الخليفة وأُريد به آدم استغناء بذكر مَن هو الأصل عمَّن هو متفرّع عليه ومتشعّب منه كأنه قيل خليفة وخلفاءه ذرّيّته. كما يقال الخلافة لقريش، والمعنى أنها فيه وفي أولاده إلا أنه استغنى بذِكره عن ذِكر ما يتفرّع.

= جعفر، وشأمل على القلب وشمل مثل سبب وشمل مثل فلس، كذا في المصباح. ١٢ منه عُفِي عنه.

(١) لا للتأنيث لإطلاقه على الواحد المذكر. ١٢ منه عُفِي عنه.

بالخليفة آدم. واستغنى بذكره (عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك «مضر وهاشم»)، أو أريد من يخلفكم أو خلقًا يخلفكم فوحد لذلك، أو خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبيّ، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: الآية ٢٦]، (وإنما أخبرهم بذلك) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا (بما أجيبوا) به فيعرفوا حكمته (في استخلافهم قبل كونهم)، أو ليعلِّم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها (وإن كان هو بعلمه) وحكمته البالغة غنيًا عن المشاورة. ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ تعجب من

والثاني: أن الخليفة اسم جنس لكونه في تأويل مَن يخلف فيصلح للواحد والجماعة كما يصلح للذَّكَر والأُنثى.

والثالث: أن خليفة صفة موصوف محذوف مفرد اللفظ مجموع المعنى، والتقدير خلقًا يخلفكم فيتناول آدم وذريّته. **قوله**: (عن ذكر بنيه) أي أولاده. **قوله**: (كما تستغني[1] بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم) لأن ذكر الأب في قولك بالعلم وههنا بالوصف والتمثيل باعتبار أصل الاستعمال قبل صيرورتهما علمين للقبيلة فلا يرد أنهما عَلَما قبيلة فلا اكتفاء[2]. **وقوله**: (مضر) في محيط المحيط مُضَر بن نزار أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سُمِّي به لولعه بشرب اللبن الماضر[3] أو لبياض لونه أو لشدّته. اهـ. **وقوله**: (هاشم) في محيط المحيط هاشم أبو عبد المطلب واسمه عمرو لأنه أول مَن ثَرَد الثَّريد وهشمه لأهل الحرم. انتهى. **قوله**: (وإنما أخبرهم) أي الملائكة (بذلك) أي بجعله في الأرض خليفة. **قوله**: (بما أُجيبوا) وهو قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. **قوله**: (في استخلافهم) أي آدم عليه السلام وذريته. **قوله**: (قبل كونهم[4]) أي وجودهم صيانة لهم عن اعتراض الشُّبهة في وقت استخلافهم. **قوله**: (وإن كان هو) الله سبحانه وتعالى (بعلمه) عواقب الأمور.

---

(١) أي في أصل الاستعمال قبل الغلبة يذكر مضر وهاشم ويراد هو وبنوه كذلك ما نحن فيه، فالتشبيه لشهرة ذلك. ١٢ منه.
(٢) أي فليس فيه للاكتفاء بالأب عن ذكر البنين. ١٢ منه.
(٣) وهو ظرف ليسألوا أو يجابوا أو لأخبرهم. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٤) أي الحامض. ١٢ منه عُفِي عنه.

أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل، وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى، (أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر). ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ أي يصب. والواو في ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ للحال كما تقول: أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان؟ ﴿بِحَمْدِكَ﴾ (في موضع الحال) أي نسبّح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: الآية ٦١]، أي دخلوا كافرين. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (ونطهر أنفسنا لك). وقيل: التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء (من سبّح في الأرض وقدّس فيها) إذا ذهب فيها (وأبعد). ﴿قَالَ (إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)﴾ أي علم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم

قوله: (أو من جهة اللوح) قال المصنِّف رحمة الله عليه في تفسير سورة البروج: اللوح عند الحسن ﷺ شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه. وعند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو من درّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شيء فيه مسطور مقاتل: هو على يمين العرش، وقيل: أعلاه معقود بالعرش وأسفله في حجر ملك كريم. انتهى.

قوله: (أو قاسوا أحد الثقلين) أي الإنس (على الآخر) أي الجن حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وإنما سُمّيا الثقلين لأنهما يثقلان على الأرض في محيط المحيط الثَّقَلان مثنى الثَّقَل الإنس والجن، كذلك تقول الرواة: فأما الاشتقاق والقياس فيُجيزان أن يُراد بالثقلين العرب والعجم لأنهما ثِقَلٌ على الأرض أو الإنس والحيوان غير الإنس. وقيل: إن الثقلين ليس بمثنى حقيقة إذ لا يقال للواحد منهما ثَقَل وإنما هما كالخافِقَيْن للمشرق والمغرب والرافدين لدجلة والفرات. انتهى. **قوله**: (في موضع الحال) والباء للمُلابسة. **قوله**: (ونطهر أنفسنا لك) من الذنوب لأجلك أي لأجل استحقاقك للطاعة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فتكون اللام على هذا التقدير للعلة كما أنها زائدة للتأكيد على التوجيه الأخير بأن يكون الفعل متعدّيًا بنفسه فمعناه أي ننزِّهك عمّا لا يليق. **قوله**: (من سبح في الأرض وقدس فيها) أي الأرض بتخفيف العين فيهما فبناء التفعيل للتعدية. **قوله**: (وأبعد) أي صار ذا بُعد، فالهمزة للصيرورة. **قوله**: (﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) أصل ﴿إِنِّيٓ﴾ إنني فحذفت إحداهنَّ كراهة اجتماع الأمثال وهي الوسطى، وقيل: الثانية لأنها مزيدة والأول أمتن كذا في الكتاب

يعني يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء. و«ما» بمعنى «الذي» وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أي ما لا تعلمونه (﴿إِنِّيَ﴾ **حجازي وأبو عمرو**).

الفريد في إعراب القرآن المجيد. وقال العلّامة أبو البقاء: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾ الأصل إنني فحذفت النون الوسطى لا نون الوقاية هذا هو الصحيح. انتهى. **قوله**: (﴿إِنِّيَ﴾ **حجازي، وأبو عمرو**) يعني ﴿إنيَ﴾ بفتح الياء قرأه ابن كثير يعني أبا محمد عبد الله بن كثير المكّي ونافع[(١)] بن عبد الرحمٰن المدني وأبو عمرو بن العلاء البصري رحمهم الله تعالى. وفي التيسير اعلم أن كل ياء بعدها همزة مفتوحة نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنِّيَ أَعْلَمُ﴾، و﴿أَنِّيَ أَخْلُقُ﴾ [آل عمران: الآية ٤٩]، و﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ﴾ [المائدة: الآية ١١٦] وشبهه فالحرميّان[(٢)] وأبو عمرو يفتحونها حيث وقعت وتفرَّد ابن كثير بفتح ثلاث ياءات في البقرة ﴿فَاذْكُرُونِيَ أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية ١٥٢]، وفي غافر ﴿ذَرُونِيَ أَقْتُلْ﴾ [الآية ٢٦]، وفيها ﴿ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية ٦٠]، ونقض أصله في روايتيه بعد ذلك في عشرة مواضع فسكّن الياء فيها في آل عمران ومريم ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِيَ ءَايَةً﴾ [آل عمران: الآية ٤١]، وفي هود ﴿فِي ضَيْفِيَ أَلَيْسَ﴾ [الآية ٧٨]، وفي يوسف ﴿إِنِّيَ أَرَىٰنِيَ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [الآية ٣٦]، و﴿إِنِّيَ أَرَىٰنِيَ أَحْمِلُ﴾ [الآية ٣٦] في الموضعين أعني الياء من ﴿إِنِّيَ﴾ دون ﴿أَرَىٰنِيَ﴾، و﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ أَبِيَ﴾ [الآية ٨٠] أعني الياء من ﴿لِيَ﴾ ﴿سَبِيلِيَ أَدْعُوا﴾ [الآية ١٠٨]. وفي الكهف ﴿مِن دُونِيَ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية ١٠٢]، وفي طٰه ﴿وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ [الآية ٢٦]، وفي النمل ﴿لِيَبْلُوَنِيَ ءَأَشْكُرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الآية ٤٠]. وزاد قنبل عنه سبعة مواضع فسكّن الياء فيها في هود والأحقاف ﴿وَلَٰكِنِّيَ أَرَىٰكُمْ﴾ [هود: الآية ٢٩؛ والأحقاف: الآية ٢٣]، وفيها ﴿فَطَرَنِيَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: الآية ٥١]، و﴿إِنِّيَ أَرَىٰكُم﴾ [هود: الآية ٨٤]. وفي النمل والأحقاف ﴿أَوْزِعْنِيَ أَنْ أَشْكُرَ﴾ [النمل: الآية ١٩؛ والأحقاف: الآية ١٥]، وفي الزخرف ﴿مِن تَحْتِيَ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية ٥١]. وروى أبو ربيعة عن قنبل وعن البزي جميعًا في القصص ﴿عِندِيَ أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ [الآية ٧٨] بالإسكان، وتفرَّد نافع بفتح يائين في يوسف ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيَ أَدْعُوا﴾ [الآية ١٠٨]، وفي النمل ﴿لِيَبْلُوَنِيَ ءَأَشْكُرُ﴾ [الآية ٤٠]، وروى ورش

---

(١) وكذا قرأه أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني، وليس من السبعة. وقارة موضع من المدينة. ١٢ منه.

(٢) أي نافع وابن كثير. ١٢ منه.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ (هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل) كآزر

عنه ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ [النَّمل: الآية ١٩؛ والأحقاف: الآية ١٥] في السورتين بالفتح، وروى قالون عنه الحرفين بالإسكان ونقض أبو عمرو أصله في تسعة مواضع فسكن الياء فيها في هود ﴿فَطَرَنِيٓ أَفَلَا﴾ [الآية ٥١]، وفي يوسف ﴿لَيَحْزُنُنِيٓ أَن﴾ [الآية ١٣]، و﴿سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ﴾ [الآية ١٠٨]، وفي طه ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ [الآية ١٢٥]، وفي النمل ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ﴾ [الآية ١٩]، و﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ﴾ [النَّمل: الآية ٤٠]، وفي الزمر ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الآية ٦٤]، وفي الأحقاف ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ﴾ [الآية ١٥]، ﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الآية ١٧]. وفتح ابن عامر في روايتيه ثماني ياءات ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ [يُوسُف: الآية ٤٦] حيث وقعت، وفي التوبة ﴿مَعِيَ أَبَدًا﴾ [الآية ٨٣]، وفي الملك ﴿وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ [الآية ٢٨] لا غير. وزاد ابن ذكوان عنه في هود ﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ﴾ [الآية ٩٢]، وزاد هشام عنه أيضًا في غافر ﴿مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ﴾ [الآية ٤١]، وفتح حفص ياءين في التوبة والملك ومن ﴿مَعِيَ﴾ [التوبة: الآية ٨٣؛ والملك: الآية ٢٨] لا غير والباقون يسكّنون الياء في ذلك في جميع القرآن. اهـ. **قوله: (حجازي)** إذا اجتمع أهل مكة والمدينة قيل حجازي. وفي محيط المحيط الحجاز مكة والمدينة والطائف ومخاليفها كأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة أو لأنها احتجزت بالحرار الخمس؛ وهي حرّة بني سُلَيم وواقم وليلى وشورَن والنار أو بالجبال أي أحاطت بها. وعن الأصمعي إذا عرضت لك الحرار بنجد فذلك الحجاز. اهـ. قوله: (مخاليفها) أيضًا فيه المِخلاف الرجل الكثير الإخلاف والكورة ج مخاليف ومنه مخاليف اليمن. اهـ. وقوله: (الكورة) أيضًا فيه الكَوْرَة المدينة والصقع. اهـ. وقوله: (الصقع) أيضًا فيه الصُقْع الناحية، يقال ما في هذا الصُقْع مثله أي في هذه الناحية ج أصقاع. اهـ.

قوله: (هو اسم أعجمي) إلحاقًا له بما هو الأغلب في أمثاله فإن أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا ثلاثة: محمد وشعيب وصالح، ثلاثة منها ينصرف هود ولوط ونوح والبواقي لا ينصرف. **قوله: (وأقرب أمره أن يكون على فاعل)** إشارة

(واشتقاقهم أدم من أديم الأرض أو من) الأدَمة (كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس). ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي أسماء المسميات (فحذف المضاف إليه) لكونه معلومًا مدلولًا عليه بذكر الأسماء إذ الاسم يدلّ على المسمى (وعوض منه اللام كقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤])،

إلى ردّ ما ذكره الجوهري وغيره أنه أفعل، وأصله أأدم بهمزتين قُلِبَت الثانية ألفًا[١]، ومما يرجِّح كونه على فاعل اتفاقهم على أنه لو جمع فأوادم بالواو واعتذر الجوهري بأنه لما لم يكن للهمزة أصل في الياء معروف جعلت الغالب عليها الواو وأما الآدم من الإنسان بمعنى الأسمر فأفعل جمعه أدمان. **وقوله**: (على فاعل) بفتح العين وهو وزن يكثر في الأسماء الأعجمية.

قوله: (واشتقاقهم أدم) يعني أن جعلهم هذه الأسماء الأعجمية مشتقة من المصادر والألفاظ العربية ليس بمستقيم وأما أنه يجوز أن يجري الاشتقاق في سائر اللغات وأن يوافق لغاتهم لغة العرب في مأخذ هذه الاشتقاقات أو أن آدم كان يتكلم بالعربية فذلك بحث آخر (من أديم الأرض) أي من وجهها سُمِّي آدم باسم ما خلق هو منه (أو من) الأدمة بضمّ الهمزة وسكون الدال بمعنى السُّمْرة لون الأسمر وهي حمرة تميل إلى السواد أو الوسيلة وبفتحهما بمعنى الأسوة أي القدوة، ويقال بمعنى باطن الجلد الذي يَلِي اللحم (كاشتقاقهم يعقوب من العقب)، العقب إما اسم بمعنى الولد وولد الولد، وفيه لغتان كسر القاف وسكونه فوجه المناسبة أنه عليه السلام من أعقاب إبراهيم عليه السلام. وإما مصدر بسكون القاف بمعنى أزپي درآمدن فوجه المناسبة أنه آخر التوأمين تولدًا كذا أفاده العلّامة عبد الحكيم. وقال العلّامة شيخ زاده يعقوب من العقب لمجيئه على عقب إسحٰق على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (وإدريس من الدرس) لكثرة دراسة العلوم (وإبليس من الإبلاس) وهو اليأس ليأسه من رحمة الله تعالى. **قوله**: (فحذف المضاف إليه) أي المُسَمَّيات. **قوله**: (وعوّض منه) أي من المضاف إليه (اللام) كما هو مذهب بعض البصريين ومختار الكوفيين وبعض البصريين يجعلون اللام إشارة إلى المضاف إليه لا عِوَضًا عنه. **قوله**: (كقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: الآية ٤]) فإن أصله اشتعل رأسي فحذف ضمير المتكلم وعُوِّض عنه اللام.

---

(١) لسكونها بعد فتحة. ١٢ منه عُفِي عنه.

ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى: «أنبئوني بأسماء هؤلاء» ـ و ـ «انبئهم بأسمائهم»، ولم يقل «أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم». ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه (الأجناس) التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه (فرس) وهذا اسمه (بعير) وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا.

قوله: (الأجناس) أي الأجناس اللغوية[1] لا الأجناس المنطقية. **قوله**: (فرس) في محيط المحيط الفَرَس يقع على الذَّكَر ويقال له حِصَان أيضًا، وعلى الأُنثى ويقال لها حِجرٌ أيضًا فيقال هو الفرس وهي الفرس وتصغير الذَّكر فُرَيس والأُنثى فريسة على القياس. وقال ابن الأنباري: وربما بنوا الأُنثى على الذكر فقالوا فيها فَرَسة حكاه يونس عن العرب وتقع[2] الفرس على العربي وغير العربي. وعن محمد أنه اسم للعربي لا غير، قيل: سُمِّي الفرس فرسًا لأنه يفرس الأرض، أي يدُقّها بعَدْوه ويفرِّقها، وقيل: سُمِّي بذلك من الفارس الذي يركبه لأنه يفرس قِرْنه، وجُمِعَت الفَرَس على غير لفظها، فقيل: خيل وعلى لفظها فقيل: ثلاثة أفراس للذكور، وثلاث أفراس للإناث وربما جمعت جمع كثرة على فروس. اهـ. **قوله**: (بعير) وقد تكسر الياء، الجمل البازل أو الجَذَع وقد يكون للأُنثى حُكِي عن بعض العرب صرعتني بعيري وشربت من لبن بعيري، ج أبْعِرَة وأباعر وأباعير وبُعران وبِعرانٌ والبعير أيضًا الحمار وكل ما يحمل. اهـ. كذا في محيط المحيط. وفي المصباح البعير مثل الإنسان يقع على الذَّكَر والأُنثى يقال حلبت بعيري، والجمل بمنزلة الرجل يختصّ بالذَّكَر، والناقة بمنزلة المرأة تختصّ بالأُنثى، والبكر بكرة مثل الفتى والفتاة والقلوص كالجارية هكذا حكاه جماعة منهم ابن السكِّيت والأزهري وابن جنِّي. ثم قال الأزهري: هذا كلام العرب ولكن لا يعرفه إلا خواصّ أهل

---

(١) الجنس ما يعمّ الكثيرين، وهو كل ضرب من الشيء، فالإبل جنس من البهائم، وفي اصطلاح المنطقيّين هو المقول على كثيرين مختلفين في الحقائق في جواب ما هو، وهو إمّا قريب أو بعيد؛ لأنه إن كان الجواب عن الماهية وعن جميع مشاركتها في ذلك الجنس واحدًا، فهو قريب كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان، وإن كان الجواب عنها وعن جميع مشاركتها في ذلك الجنس متعدّدًا فهو بعيد كالجسم النامي بالنسبة إلى الإنسان. ١٢ منه عمّ فيضه.

(٢) في المصباح: يقع على التركي والعربي. اهـ. ١٢ منه.

(وعن ابن عباس ﷺ): علمه اسم كل شيء حتى (القصعة والمغرفة). ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي عرض المسميات، وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء (فغلبهم). وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء (على سبيل التبكيت) ﴿فَقَالَ (أَنۢبِـُٔونِى)﴾ أخبروني (﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾) في زعمكم أني أستخلف

العلم. انتهى. قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما) الهاشمي الصحابي ابن الصحابي المكّي ابن عمّ رسول الله، كُنّي بابنه العباس وهو أكبر أولاده، وكان يقال لابن عباس حَبْر الأُمة، والبحر لكثرة علمه دعا له رسول الله ﷺ بالحِكمة وحنّكه بريقه حين وُلِد وهم في الشِّعْب قبل الهجرة بثلاث سنين. رُوِيَ لابن عباس عن النبي ﷺ ألف حديث وستمائة حديث وستون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على خمسة وتسعين، وانفرد البخاري بمائة وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين. توفي بالطائف سنة ثمانٍ وستين، وقيل: تسع، وقيل: سنة سبعين. ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنهما. قوله: (القصعة) بالفتح في محيط المحيط، القصعة: الصحفة، راجع الصحفة في باب الصاد وهي عربية. وقيل: معرَّبة، ج قَصَعات وقِصَع وقِصَاع.اهـ. وقوله: (راجع الصحفة في باب الصاد) وهو قوله الصحفة قصعة كبيرة منبسط تُشْبع الخمسة ج صِحاف وبالعكس عند العامّة فإنها لا تشبع الواحد. قال الكسائي: أعظم القِصاع الجفنة، ثم القصعة تُشْبع العشرة، ثم الصحفة تُشْبع الخمسة، ثم المَيْكَلَة تُشْبع الرجلين والثلاثة، ثم الصُّحَيفة تُشْبع الرجل. انتهى. قوله: (والمغرفة) في محيط المحيط المِغْرفَة ما يُغْرَف به الطعام والعامَّة تقدِّم الراء ج مَغَارف.اهـ. قوله: (فغلبهم) لشرافتهم فهم كثير فضلًا وإن كَثُر غيرهم عددًا فيكون ضميرهم مجازًا. قوله: (على سبيل التبكيت)، التبكيت الإلزام والإسكات فإنهم لمّا قالوا ما يتضمن استبعاد استخلاف المفسد السفاك وترجيحه على أهل التسبيح والتقديس بكتهم بإظهار فضل مَن أراد استخلافه عليهم وعجزهم عمّا قدر هو عليه وهو جواب عمّا يقال من أن الله تعالى قد علم عجزهم عن الإنباء، وأنهم سيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [البقرة: الآية ٣٢]، فلما استنبأهم بقوله: (﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾) وليس هذا إلا تكليف ما لا يُطاق وهو وإن جاز عقلًا عند الأشاعرة لكن غير واقع بالنص. والجواب أن المقصود من هذا الاستنباء ليس وجود الإنباء بل المقصود تبكيتهم وإظهار عجزهم لهم ويدلّ على ذلك قوله: (﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾)، فإن صيغة افعل تجيء لغير الإيجاب والتكليف كالتعجيز

في الأرض مفسدين سفاكين للدماء، وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه (من الفوائد العلمية) التي هي أصول الفوائد كلها (ما يستأهلون) لأجله أن يستخلفوا.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك. وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة؟! وانتصابه على المصدر تقديره سبّحت الله تسبيحًا ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا (مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ وليس فيه) علم الأسماء، و«ما» بمعنى «الذي»، والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا، إلا الذي علمتنا. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ غير المعلّم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما قضيت وقدرت. والكاف اسم «إن» و«أنت» مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر «إن»، أو «أنت» فصل والخبر «العليم». و«الحكيم» خبر ثانٍ.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ سمى كل شيء باسمه. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (أي) اعلم (ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرّون).

قيل لولا أن العلم أفضل من العمل لم يبكّت الله تعالى الملائكة بالعلم حين عرضوا العمل بقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] قال الإمام محمد فخر الدين الرازي رحمة الله عليه لمّا أراد الله تعالى إظهار فضل آدم، لم يُظهره إلا بالعلم، فلو كان في الإمكان شيء أشرف من العلم لكان إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم. **قوله**: (من الفوائد العلمية) بيان ما يستأهلون. **قوله**: (ما يستأهلون) اسم إن.

قوله: (وليس فيه) أي في (﴿مَا عَلَّمْتَنَآ﴾).

قوله: (أي ما غاب فيهما عنكم)... الخ لأن الله تعالى لا يغيب عنه شيء. **وقوله**: (مما كان) في الماضي (ومما يكون) في المستقبل فالحال بطريق الأولى. **قوله**: (﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون) يعني قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ٣٠]... الخ (﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرّون) يعني قولكم: لن يخلق الله تعالى

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ أي **(اخضعوا له)** وأقرّوا بالفضل له. **(عن أُبيّ بن كعب، وعن ابن عباس** ﵄**)**: كان ذلك **(انحناء)** ولم يكن **(خرورًا على الذقن)**.

خلقًا أكرم عليه منّا ولا أعلم لسبقنا **له** ورؤيتنا ما لم يره. **قوله: (اخضعوا له)** وتواضعوا معه.

قوله: (عن أُبَي بن كعب) السيد القاري في تهذيب الأسماء هو أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار واسم النجار تيم اللات، وقيل: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي البخاري بالنون المعاوي المدني. وقيل: أُبَيّ بن كعب المنذر بن قيس له كنيتان؛ إحداهما: أبو المنذر كنّاه بها رسول الله ﷺ، والثانية: أبو الطُّفَيْل كنّاه بها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أي بابنه الطفيل وأُمّ أُبَيّ صهيلة بضم الصاد المهملة بنت الأسود بن حرام بالراء ابن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وهي عمّة أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام والأوس والخَزْرَج هو جماع الأنصار وهما ابنا حارثة بالحاء والمثلثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن مازن بن الأسد ويقال الأزد بن الغوث بفتح الغين المعجمة وبالمثلثة ابن نبت بفتح النون وإسكان الموحدة، وأما النجار فقد قيل سُمِّي بذلك لأنه اختتن بالقدّوم، وقيل ضرب وجه رجل بالقدّوم فنجره، أي نحته. شهد أُبَيّ رضي الله عنه العقبة الثانية في السبعين من الأنصار رضي الله عنهم، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستون حديثًا. اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بسبعة، روى عنه جماعة من الصحابة؛ منهم أبو أيوب وابن عباس وأبو موسى الأشعري وآخرون من التابعين منهم ابنه الطُّفَيل وسُوَيد بن غَفَلة وزرّ بن حبيش وعبد الرحمٰن بن الأسود وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى وآخرون ثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ على أُبَيّ بن كعب سورة ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [البَيِّنَة: الآية ١] وقال: أمرني الله عزَّ وجلَّ أن أقرأ عليك وهي مَنقَبة عظيمة لأُبيّ لم يُشاركه فيها أحد من الناس.

....

وفي كتاب الترمذي وغيره أنّ رسول الله ﷺ قال: «أقرأُ أُمّتي أُبيّ بن كعب». وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالِم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب» رضي الله تعالى عنهم. وكان عمر رضي الله عنه يقول: أُبَيّ سيّد المسلمين، وقال مسروق: كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستّة: عمر، وعليّ، وعبد الله، وأُبَيّ، وزيد، وأبو موسى. قال محمد بن سعد عن الواقدي: أوّل مَنْ كتب لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة أُبَيّ بن كعب، وهو أوّل مَنْ كتب في آخر الكتاب فلان بن فلان. تُوفّي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة ودُفِن بها، قيل: سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه. قال أبو نُعَيْم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح، وقيل: سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وقيل: سنة اثنتين وعشرين، وقيل: ثنتين وثلاثين. قال ابن عبد البرّ: والأكثر أنه مات في خلافة عمر رضي الله عنه. وكان أبيض الرأس واللِّحية، لا يغيّر شيبه، قصيرًا نحيفًا رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مَثْواه، انتهى.

(وعن ابن عباس) الصحابي ابن الصحابي (رضي الله عنهما). (انحناء) في لسان العرب: حَنَى الشيء حنوًا وحنيًا وحناهُ: عَطَفه، والانحناء الفعل اللازم، وكذلك التحنّي، وانحنى الشيء انعطف، وانحنى العود وتحنّى انعطف. اهـ. وفي محيط المحيط: انحنى الشيء انحناءً انعطف، انتهى. **قوله**: (خرورا) في لسان العرب: خرّ لله ساجدًا يخرّ خُرُورًا، أي سقط، انتهى. وفي محيط المحيط: خرّ الرجل يَخِرُّ ويَخُرُّ أيضًا خرًّا وخرورًا سقط أو من علوٍّ إلى سفل، ومنه في سورة النحل: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [الآية ٢٦]، وخَرَّ لله ساجدًا انكبّ على الأرض وخَرَّ لوجهه وقع، ومنه في سورة بني إسرائيل: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الآية ١٠٧]، أي يسقطون على وجوههم تعظيمًا لأمر الله، وقيل: ذكر الذّقن لأنه أوّل ما يلْقَى الأرض من وجه الساجد، واللام فيه لاختصاص الخرور به. أقول: والصحيح أنّ اللام للانتهاء بمعنى إلى، كما ورد في غيرها من الآيات، نحو: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: الآية ٥٧]، ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرّعد: الآية ٢] وغير ذلك، والمعنى: أنّهم يخرّون إلى أن تمسّ أذقانهم الأرض، انتهى. **قوله**: (على الذّقن)

والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض. وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس. وكان سجود التحية جائزًا فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام (لسلمان) حين أراد أن يسجد له «لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى».

في المصباح: الذّقن من الإنسان مجتمع لِحْيَيْه، وجمع القلّة أذقان مثل سبب وأسباب، وجمع الكثرة ذقون مثل أسد وأسود، انتهى. **قوله: (لسلمان) الفارسي** الصحابي رضي الله تعالى عنه. في تهذيب الأسماء: هو أبو عبد الله سلمان الخير مولى رسول الله ﷺ، سُئِل عن نسبه فقال: أنا سلمان ابن الإسلام، أصله من فارس من جَيّ ـ بفتح الجيم وتشديد الياء ـ قرية من قرى أصبهان، وقيل: مِنْ رام هرمز، رَوَى ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن عباس قال: حدّثني سلمان رضي الله عنه قال: كنت من أهل أصبهان من قرية يقال لها جيّ، وكان أبي دهقانها، وسبب إسلامه مشهور وأنه هرب من أبيه، وكان مجوسيًّا، فلحق براهب ثم جماعة من الرهبان واحد بعد واحد يصحبهم إلى وفاتهم إلى أن دلّه الأخير على الذهاب إلى الحجاز، وأخبره بظهور النبيّ ﷺ، فقصده مع عرب فغدروا به وباعوه في وادي القرى ليهوديّ، ثم اشتراه منه يهودي من قُرَيْظة، فقدم به المدينة، فأقام بها مدّة حتى قَدِمَها رسول الله ﷺ، فأتاه بصدقة، فلم يأكل منها، ثم بعد مدّة أتاه بهديّة فأكل منها، ثم رأى خاتم النبوّة، وكان الراهب الأخير وصف له هذه العلامات الثلاث للنبيّ ﷺ، قال سلمان: فرأيت الخاتم فقبّلته وبكيت، فأجلسني رسول الله ﷺ بين يديه، فحدّثني بشأني كلّه، وفاتني معه بدر وأُحد بسبب الرقّ، فقال لي: «يا سلمان، كاتِبْ على نفسك»، فلم أزَلْ بصاحبي حتى كاتَبْتُه على أن أغرس له ثلاثمائة نخلة، وعلى أربعين أُوقيّة ذهب، فقال النبيّ ﷺ: «أعينوا أخاكم سلمان»، فأعانوني حتى اجتمعت لي، قال: «فقرّبها ولا تضع منها شيئًا حتى أضعه بيديّ»، ففعلت، فأعانني أصحابه حتى فرغت، فأتَيْته، فكنت آتيه بالنّخلة فيضعها ويسوّي عليها التراب، فوالذي بعثه بالحقّ نبيًّا ما فاتت منها واحدةٌ، وبقي الذهب، فجاء رجلٌ بمثل البيضة من ذهب أصابه من بعض المعادن، فقال: «ادْعُ سلمان المسكين الفارسي المكاتب»، فقال: «أدِّ هذه». ورَوَيْنا عنه، قال: تداولني بضعة عشر ربًّا من ربٍّ إلى ربٍّ، وأوّل مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، ولم يتخلّف

....ﷺ...

عن مشهد بعدها، وآخى رسول الله ﷺ بين أبي الدرداء وبين سلمان، ثبت ذلك في صحيح البخاري. وكان من فُضَلاء الصحابة وزهّادهم وعلمائهم وذوي القُرْب من رسول الله ﷺ، وهو الذي أشار على رسول الله ﷺ بحفر الخندق حتى جاءت الأحزاب، وسكن العراق، وكان يعمل الخوص بيده فيأكل منه، وكان عطاؤه خمسة آلاف، فإذا خرج فرّقه. وكان أبو الدرداء قد سكن الشام، فكتب إلى سلمان: أمّا بعد، فإنّ الله قد رزقني بعدك مالًا وولدًا ونزلت الأرض المقدّسة؛ فكتب إليه سلمان: سلامٌ عليك، أمّا بعد؛ فإنك كتبتَ إليّ أنّ الله تعالى قد رزقك مالًا وولدًا، فاعلم أنّ الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يَكْثُر حلمك وأن ينفعك عِلمك، وكتبتَ إليّ أنك بالأرض المقدّسة، وأنّ الأرض لا تقدِّس أحدًا. ونقلوا اتّفاق العلماء على أنّ سلمان الفارسي عاشَ مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: إنه أدرك وحي عيسى ابن مريم صلّى الله على نبيِّنا وعليه وسلم. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، ولمسلم ثلاثة. ورَوَى عنه ابن عباس، وأنس، وعُقْبة بن عامر، وأبو سعيد، وكعب بن عُجْرة، وأبو الطُّفَيْل رضي الله تعالى عنهم. وروى عنه جماعات من التابعين. توفّي سلمان بالمدائن في أوّل سنة ستّ وثلاثين، وقيل: سنة خمس وثلاثين، ويقال: في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وهو غلط. قال أبو بكر بن أبي داود وغيره: لسلمان ثلاث بنات بأصبهان، وزعم جماعة أنهم مِنْ ولدها، وبنتان بمصر. ورَوى الترمذي بإسناده عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الجنّة لتشتاق إلى ثلاثة: عليّ وعمّار وسلمان» رضي الله تعالى عنهم. قال الترمذي: حديث حسن. اهـ. وفي أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام العالِم الأوحد عُمدة الحفّاظ فريد دهره ووحيد عصره عزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه بمنّه وكرمه آمين، قيل: إنه لَقِيَ بعض الحواريّين. اهـ. وأيضًا فيه: قال أهل العلم: عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة، فأمّا مائتان وخمسون، فلا يشكّون فيه. قال أبو نعيم: كان سلمان من المعمّرين، يقال: إنه أدرك عيسى ابن مريم، وقرأ الكتابين. اهـ.

(﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾) الاستثناء متصل لأنه كان من الملائكة كذا قاله (علي وابن عباس وابن مسعود) ، ولأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه، ولهذا قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٢]، وقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠] معناه صار من الجن كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: الآية ٤٣].

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾) عدوّ الله، قال الجوهري وغيره: كنيته أبو مُرّة، واختلف العلماء في أنه من الملائكة من طائفة، يقال لهم الجنّ أم ليس من الملائكة، وفي أنه اسم عربيّ أم عجميّ؟ والصحيح أنه من الملائكة وأنه عجميّ. قال الإمام أبو الحسن الواحديّ: قال أكثر أهل اللغة والتفسير: يسمّى إبليس لأنه أبلس من رحمة الله، أي أيِسَ، والمبلس المكتئب الحزين الآيِس، قال: وعلى هذا هو عربيّ مشتقّ. قال: وقال ابن الأنباري: لا يجوز أن يكون مشتقًا من أبْلَسَ؛ لأنه لو كان مشتقًّا لصُرِف، كما أن إسحٰق إذا كان عربيًا مأخوذًا من أسْحَقَه الله إسْحَاقًا انصرف، فلو كان إبليس مشتقًّا لَصُرِف كإكليل وبابه، فلمّا لم يُصْرَف دلّ على أنه عجميّ، والعجميّ ليس مشتقًّا. وقال ابن جرير: إنما لم يُصْرف وإنْ كان عربيًا لقلّة نظيره في كلام العرب، فشبّهوه بالأعجميّ، وهذا الذي قاله ابن جرير يُبْطل بباب إفْعيل، فإنه مصروفٌ كلّه، إلّا إبليس. قال الواحدي: والاختيار أنه ليس بمشتقّ لإجماع النحويّين على أنه مُنِع الصرف للعجمة والمعرفة، قال: واختلفوا في أنه من الملائكة، فرُوِيَ عن طاوس ومجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه كان من الملائكة، وكان اسمه عزازيل، فلمّا عصى الله لعنه الله وجعله شيطانًا مريدًا، وسمّاه إبليس، وبهذا قال ابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج وابن جرير، واختاره الزجّاج وابن الأنباري، قالوا: وهو مُستثنى من جنس المُستثنى منه. قالوا: وقول الله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، أي طائفة من الملائكة يقال لهم الجنّ، وقال الحسن وعبد الرحمٰن بن زيد وشهر بن حَوْشَب: ما كان من الملائكة قطّ، والاستثناء منقطع، والمعنى عندهم أنّ الملائكة وإبليس أُمِرُوا بالسجود، فأطاعت الملائكة كلّهم وعصى إبليس، والصحيح أنه من الملائكة؛ لأنه لم يُنْقَل أنّ غير الملائكة أُمِر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المُستثنى منه، والله أعلم. وأمّا إنظاره إلى يوم الدّين، فزيادة في

عقوبته وتكثير معاصيه وعواتبه، نسأل الله الكريم اللّطف وخاتمة الخير؛ كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (عليّ بن أبي طالب) بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي المكيّ المدني الكوفي، أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، واسم أبي طالب عبد مناف، هذا هو المشهور. وقيل: اسمه كنيته، وأُمّ عليّ رضي الله تعالى عنه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشميّة، وهي أوّل هاشمية وَلَدَتْ هاشميًّا أسلمت وهاجرت إلى المدينة وتوفيت في حياة رسول الله ﷺ، وصلى عليها رسول الله ﷺ ونزل في قبرها. كنية عليّ أبو الحسن، وكنّاه رسول الله ﷺ أبا تُراب، فكان أحبّ ما ينادى به إليه، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيّدة نساء العالمين، وأبو السّبْطَيْن، وأوّل هاشمي وُلِد بين هاشميّيْن، وأوّل خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنّة، وأحد السّتّة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد العلماء الربانيّين والشجعان المشهورين والزهّاد المذكورين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وقد اختلف العلماء في أوّل مَنْ أسلم من الأُمّة، فقيل: خديجة، وقيل: أبو بكر، وقيل: عليّ رضي الله تعالى عنهم. والصحيح خديجة، ثم أبو بكر، ثم عليّ.

ونقل الثعلبي إجماع العلماء على أنّ أوّل مَنْ أسلم خديجة، قال: وإنما الخلاف في الأوّل بعدها. قال العلماء: والأوْرَع أن يقال: أوّل مَنْ أسلم مِنَ الرجال الأحْرار أبو بكر، ومن الصّبيان عليّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، وممّن قال بأنّ عليًا أوّلهم إسلامًا ابنُ عباس وأنس وزيد بن أرقم، رواه الترمذي عنهم. ورواه الطبراني عن سلمان الفارسي. ورَوَوْه عن محمد بن كعب القُرَظيّ. وقال بُرَيْدة: أوّلهم إسلامًا خديجة، ثم عليّ. وحُكِيَ مثله عن أبي ذرّ والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخُدري والحسن البصري وغيرهم. وقال آخرون: أوّلهم إسلامًا أبوبكر رضي الله تعالى عنه، وسنذكرهم في ترجمته إن شاء الله تعالى.

....

قالوا: وأسلم وهو ابن عشر سنين، وقيل: ابن خمس عشرة، حكَوْه عن الحسن البصري وغيره. وقال أبو الأسود يتيم عروة: أسلم عليّ والزبير وهما ابنا ثمان سنين. وقال ابن عبد البرّ: لا أعلم أحدًا قال كقوله هذا. وهاجر عليّ رضي الله عنه إلى المدينة واستخلفه النبيّ ﷺ حين هاجر من مكّة إلى المدينة أن يقيم بعده بمكّة أيّامًا حتى يؤدّي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبيّ ﷺ، ثم يلحقه بأهله؛ ففعل ذلك، وشهد مع رسول الله ﷺ بَدْرًا وأُحدًا والخندق وبيعة الرّضوان وخَيْبَر وحُنَيْنًا والطائف وسائر المشاهد، إلّا تبوك؛ فإنّ النبيّ ﷺ استخلفه على المدينة، وله في جميع المشاهد آثارٌ مشهورة، واجتمع أهل التواريخ على شهوده بدرًا وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبيّ ﷺ اللواءَ في مواطن كثيرة. وقال سعيد بن المسيّب: أصابت عليًا يوم أُحُد ستّة عشر ضربة، وثبت في الصحيحين أنّ النبيّ ﷺ أعطاه الراية يوم خيبر، وأخبر أن الفتح يكون على يديه، وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة.

وأما عِلْمه، فكان من العلوم بالمحلّ العالي. رَوَى عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وستّ وثمانين حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على عشرين، وانفرد البخاري بتسعة، ومسلم بخمسة عشر. رَوَى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين، .ومحمد ابن الحنفية، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وأبو موسى، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وأبو سعيد، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وأبو أُمامة، وصُهَيْبٌ، وأبو رافع، وأبو هريرة، وجابر بن سَمُرَة، وحُذَيْفة بن أسيد، وسفينة، وعمرو بن حريث، وأبي ليلى، والبراء بن عازب، وطارق بن شهاب، وطارق بن أشْيَم، وجرير بن عبد الله، وعُمارة بن رُوَيْبَة، وأبو الطُّفَيْل، وعبد الرحمٰن بن أبْزَى، وبِشْر بن سُحَيْم، وأبو جُحَيْفة الصحابيّون رضي الله تعالى عنهم، إلّا ابن الحنفية؛ فإنه تابعيّ.

وروى عنه من التابعين خلائق مشهورون، ونقلوا عن ابن مسعود قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليٌّ. وقال ابن المسيّب: ما كان أحد يقول سلوني غير عليّ، وقال ابن عباس: أُعْطِي عليّ تِسْعة أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في

....

العشر الباقي، قال: وإذا ثبت لنا الشيءُ عن عليّ لم نَعْدِل إلى غيره، وسؤال كبار الصحابة له ورجوعهم إلى فتاويه وأقواله في المواطن الكثيرة والمسائل المعضلات مشهور.

وأمّا زُهْده، فهو من الأُمور المشهورة التي اشترك في معرفتها الخاصُّ والعامّ، ومِنْ كلماته في الزّهد قوله: الدنيا جيفة، فمَنْ أراد منها شيئًا فليصبر على مُخالطة الكلاب. وأمّا ما رويناه عنه في مسند الإمام أحمد بن حنبل وغيره، أنه قال: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي ليبلغ في اليوم أربعة آلاف دينار، وفي رواية: أربعين ألف دينار، فقال العلماء: لم يَرِد به زكاة مال يملكه، وإنما أراد الوقوف التي يصدق بها وجعلها صدقة جارية، وكان الحاصل من غلّتها يبلغ هذا القدر، قالوا: ولم يدّخر قطّ مالًا يُقارب هذا المبلغ، ولم يترك حين توفي إلّا ستّمائة درهم. رَوَيْنا عن سفيان بن عُيَيْنة، قال: ما بنى عليّ ﷺ لبنةً على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وروينا أنه كان عليه إزارٌ غليظ اشتراه بخمسة دراهم.

وأمّا الأحاديث الواردة في الصحيح في فضله، فكثيرة. روَيْنا في صحيح البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقّاص ﷺ أنّ رسول الله ﷺ خلّف عليّ بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله، تُخلّفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أمَا تَرْضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبيّ بعدي». وفي صحيحيهما عن سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسولَه ويحبّه الله ورسوله»، فبات الناس يدولون ليلتهم أيُّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا إلى رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن يُعْطاها، فقال: «أين عليّ بن أبي طالب»؟ فقيل: يا رسول الله، هو يشتكي عينيه، فقال: فأرسلوا إليه، فأُتِيَ به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبُرِىءَ حتى كأن لم يكن فيه وجع فأعطاه الراية، فقال عليّ: يا رسول الله، أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «أنفذ على رِسْلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهم إلى الإسلام وأخْبِرْهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النِّعم».

....

قوله: (يدولون) أي يخوضون ويتحدّثون، وفي صحيحيهما عن سلمة بن الأكوع نحوه، وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقّاص في حديثٍ طويل قال في آخره: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عِمران: الآية ٦١]، دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحُسَيْنًا، فقال: «اللّهمّ هؤلاء أهلي». وفي صحيح مسلم أيضًا عن زيد بن أرقم في جملة حديث طويل قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بماءٍ يُدعى خُمًّا بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أمّا بعدُ، ألَا أيُّها الناس إنما أنا بشر يُوشك أن يأتيني رسولُ ربّي فأُجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلَيْن أوّلُهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله تعالى ورغّب فيه، وقال: «أهلُ بيتي أُذكِّركم الله في أهل بيتي»، فقيل: ومَنْ أهلُ بيته يا زيد؟ أليس نساؤه مِنْ أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَنْ حرم الصدقة بعد، قال: ومَنْ هم؟ قال: آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. وفي كتاب الترمذي عن أبي شُرَيْحة الصحابي أو زيد بن أرقم ـ شكّ شعبة ـ عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه» رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسن، والشكّ في عين الصحابي لا يقدح في صحة الحديث؛ لأنهم كلّهم عدول. وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله أمرني بحبِّ أربعة، وأخبرني أنه يحبّهم»، قيل: يا رسول الله، سَمِّهم لنا، قال: «عليٌّ منهم» ـ يقول ذلك ثلاثًا ـ «وأبو ذرّ والمقداد وسلمان، أمرني بحبِّهم وأخبرني أنه يحبّهم» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن حُبْشي بن جُنادة الصحابي، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدّى عنّي إلّا أنا أو عليٌّ» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الترمذي: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. وعن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخَيْتَ بين أصحابك في الدنيا ولم تُؤاخِ بيني وبين أحد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. وعن أُمّ عطيّة قالت: بعث النبيّ ﷺ جيشًا فيهم عليٌّ، فسمعت النبيّ ﷺ وهو رافعٌ يديه يقول: «اللّهمّ لا تُمِتْني حتى تُرِيني عليًّا» رواه

....

الترمذي، وقال: حديث حسن. وعن زِرّ بن حُبَيْش صاحب عليّ، قال: قال عليّ رضي الله تعالى عنه: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأُمّي ﷺ إليَّ أن لا يحبُّني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافق، رواه مسلم. وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري، قال: كنّا نعرف المنافقين ببغضهم عليًا. وأمّا الحديث المرويّ عن الصُّنَابحي عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابُها»، وفي رواية: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»؛ فحديث باطل رواه الترمذي وقال: هو حديث منكر، وفي بعض النسخ: غريب، قال: ولم يروه من الثقات غير شريك، ورُوِيَ مرسلًا. وأحوال عليّ رضي الله تعالى عنه وفضائله في كل شيء مشهورة غير منحصرة.

وُلِّي الخلافة خمس سنين، وقيل: خمس سنين إلا شهرًا. بُويع في الخلافة في مسجد رسول الله ﷺ بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه؛ لكونه أفضلَ الصحابة حينئذ، وذلك في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين. قال سعيد بن المسيّب: لمّا قُتِل عثمان جاءت الصحابة وغيرهم إلى دار عليّ، فقالوا: نبايعك، فأنت أحقُّ بها؛ فقال: إنما ذاك إلى أهل بَدْرٍ، فمَنْ رَضُوا به فهو الخليفة؛ فلم يَبْقَ أحدٌ إلا أتى عليًا، فلمّا رأى ذلك خرج إلى المسجد وصعد المنبر، وكان أوّل مَنْ صَعِد إليه، فبايعه طلحة، ثم بايعه الباقون، ولمّا دخل الكوفة قال له بعض حُكماء العرب: لقد زِنْت الخلافة وما زانَتْك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها، وله في قتال الخوارج عجائبُ ثابتةٌ في الصحيح مشهورة، وأخبره النبيّ ﷺ بأنّه سيُقتل، ونقلوا عنه آثارًا كثيرة تدلّ على أنه رضي الله تعالى عنه عَلِم السَّنَة والشهر واللّيلة التي يُقْتل فيها، وأنّه لمّا خرج لصلاة الصبح حين خرج صاحَتْ الأُوزّ في وجهه، فطُرِدْن عنه، فقال: دعوهن، فإنهنّ نوائح. قال محمد بن سعد: قالوا - يعني أهل السِّيَر - انتدب ثلاثة من الخوارج: عبد الرحمن بن مُلْجَم المرادي، وهو من حمير، وعداده في بني مُراد وبنو حليف بني جبلة من كندة، والبُرَك بن عبد الله التميميّ، وعمرو بن بكير التميمي؛ فاجتمعوا بمكّة وتعاقدوا ليقتلنّ عليّ بن أبي طالب ومعاوية وعمرو بن العاص، فقال ابن ملجم: أنا لعليّ، وقال البرك: أنا لمعاوية، وقال الآخر: أنا لعمرو؛ وتعاهدوا أن لا

يرجع أحد عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، وتواعدوا ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، فتوجّه كلّ واحدٍ إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يريد قتله، فضرب ابن ملجم عليًّا رضي الله تعالى عنه بسيفٍ مسمومٍ في جبهته، فأوصله دماغه في الليلة المذكورة، وهي ليلة الجمعة، ثم توفّي عليّ رضي الله تعالى عنه في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وغسّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم، وكُفِّن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة. ورُوِينا أنّه لمّا ضربه ابن ملجم، قال: فُزْتُ وربّ الكعبة، قالوا: ولمّا فرغ عليّ رضي الله تعالى عنه من وصيّته، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم لم يتكلّم إلّا بلا إلـٰه إلّا الله حتى توفّي، ودُفِن في السَّحَر، وصلّى عليه ابنه الحسن، وقيل: كان عنده فضل من حنوط رسول الله ﷺ أوصى أن يحنّط به، وتوفي ابن ثلاث وستّين سنة على الأصح وقول الأكثرين، وقيل: أربع وستّين، وقيل: خمس وستّين، وقيل: ثمان وخمسين، وقيل: سبع وخمسين، وكان آدم اللّون أصلع ربعة أبيض الرأس واللِّحية، وربما خَضَب لحيته، وكانت كثّة طويلة، حسَنَ الوجه ضحوك السنّ، ورثاه الناس فأكثروا فيه المراثي، ودُفِن بالكوفة. وقال ابن قتيبة: ولعلي رضي الله تعالى عنه من الولد الحسن والحُسَيْن ومُحسّن[1] وأمّ كلثوم وزينب الكبرى، وكلّهم من فاطمة، ومحمد ابن الحنفيّة وعبيد الله وأبو بكر وعمر ورقيّة ويحيىٰ

(١) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المشددة. اهـ زرقاني على المواهب، والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه عُفِي عنه.

في تاج العروس من جواهر القاموس: (شَبَّر كبَقَّم وشَبِّيرُ كقمِّير) أي مصغرًا وفي التكملة مثل أمير كذا وُجد مضبوطًا في نسخة صحيحة (ومُشَبِّر كمُحَدِّث) أسماء (أبناء هارون) النبيّ ﷺ، قيل بأسمائهم سمّى النبيّ ﷺ أولاده الحسن والحسين والمُحْسِن الأخير بالتشديد، كذا جاء في بعض الروايات، وقال ابن بزي: ووجدت ابن خالويه قد ذكر شرح هذه الأسماء، فقال: شبر وشبير ومشبر هم أولاد هارون عليه السلام، ومعناها بالعربية حسن وحسين ومحسن، قال: وبها سمّى علي رضي الله تعالى عنه أولاده شبرًا وشبيرًا ومشبرًا، يعني حسنًا وحسينًا ومحسنًا رضي الله تعالى عنهم. قلت: وفي مسند أحمد مرفوعًا: «إني سمّيت ابني باسم ابني هارون شبرًا وشبيرا». اهـ. ١٢ منه عمّ فيضه.

أُمّهم أسماء بنت عُمَيْس، وجعفر والعباس وعبد الله ورملة وأُمُّ الحسن وأُمّ كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجُمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأُمّ الكرام ونفيسة وأُمّ سلمة وأُمامة وأُمّ أبيها، ومِنْ ولده عليه السلام عمر ومحمد الأصغر، قاله ابن حزم في الجمهرة.

قوله: (وابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (وابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود الصحابي، هو أبو عبد الرحمٰن، عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بالغين المعجمة والفاء ـ ابن حبيب بن سمح بن فار ـ بالفاء وتخفيف الراء ـ ابن مخزوم بن صاهلة ـ بالصاد المهملة والهاء ـ ابن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُزَيْل بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار الهُزَلي حليف بني زهرة الكوفيّ، وأُمّه أُمُّ عبد بنت عبد ودّ بن سواءَ من هُزَيْل أيضًا، أسلمت وهاجرت، فهو صحابيٌّ ابن صحابيّة. أسلم عبد الله قديمًا حين أسلم سعيد بن زيد قبل عمر بن الخطاب بزمان، جاءَ عنه قال: لقد رأيتني سادس ستّة ما على الأرض مسلم غيرنا، رواه الطبراني بإسناده. وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بَدْرًا وأُحُدًا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد، وشهد اليرموك، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنّة، وهو صاحب نعل رسول الله ﷺ كان يُلْبِسه إيّاها إذا قام، فإذا خلعها وجلس جعلها ابن مسعود في ذراعه، وكان كثير الوُلوج على رسول الله ﷺ والخدمة له، وثبت في صحيح مسلم عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذنك عليّ أن ترفع الحجاب وتسمع سوادي حتى أنهاك»، والسواد ـ بكسر السين ـ السّرار، وكان يُعرف بصاحب السواد والسّواك والنعل. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على أربعةٍ وستّين، وانفرد البخاري بأحد وعشرين، ومسلم بخمسة وثلاثين. روى عنه ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وأنس، وجابر، وابن سعيد، وعمران بن الحسين، وعمرو بن حُرَيث، وأبو هريرة وغيرهم من الصحابة وخلائق لا يُحْصون من كبار التابعين. نزل الكوفة في آخر عمره، وتُوفّي بها سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: سنة

....

ثلاث وثلاثين، وقيل: عاد إلى المدينة، واتّفقوا على أنه توفي وهو ابن بضع وستّين سنة، والذين قالوا: توفي بالمدينة قالوا: دُفِن بالبقيع، قيل: وصلّى عليه عثمان، وقيل: الزُّبَيْر، وقيل: عمّار بن ياسر، وكان من كبار الصحابة وساداتهم وفُقهائهم ومقدّميهم في القرآن والفقه والفتوى وأصحاب الخلق وأصحاب الاتّباع في العلم. ثبت في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن أبي موسى، قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكَثْنا حينًا لا نرى ابن مسعود وأُمّه إلّا من أهل بيت رسول الله ﷺ، لما نرى من كثرة دخوله ودخول أُمّه على رسول الله ﷺ ولزومه له، وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمٰن بن زيد، قال: قلنا لحذيفة: أخبرنا مَنْ رجل قريب السَّمْت والدَّلِّ والهدى من رسول الله ﷺ يأخذ عنه؟ فقال: ما نعلم أحدًا أقرب سَمْتًا ودلًا وهديًا برسول الله ﷺ من ابن أُمّ عبد، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد ﷺ أن ابن أُمّ عبدٍ أقربهم إلى الله وسيلةً. وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: علّمني رسول الله ﷺ التشهّد كفّي بين كفَّيْه كما يعلّمني السورة من القرآن. وفي الصحيحين عنه، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين: فلقة[1] وراء الجبل، وفلقة دونه؛ فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا»، وفي الصحيحين عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن»، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنْزِل؟ قال: «إني أحبّ أن أسمعه من غيري»، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١]، قال: «حَسْبُكَ الآن»، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان. وفي الصحيحين عن مسروق، قال: ذكر عبدُ الله بن عمرو ـ يعني ابن العاص ـ عبدَ الله بن مسعود فقال: لا أزال أُحِبُّه مذ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: مِنْ عبد الله، وسالم مولى أبي حُذَيْفة، ومعاذ، وأُبيّ بن كعب»، وفي رواية تقديم أُبيّ على معاذ رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود، قال: والذي لا إلٰه غيره ما من كتاب الله

---

(١) في المصباح: الفلقة القطعة وزنًا ومعنًى. اهـ. ١٢ منه عُفِي عنه.

وقيل: الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص (**وهو قول الحسن وقتادة**)، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من النور، ولأنه

سورة إلّا أنا أعلم حين نزلت، وما من آية إلّا أنا أعلم فيما أُنزلت، ولو أعلم أحدًا هو أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل لركِبْتُ إليه. وفي غير الصحيحين عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تمسّكوا بعهد ابن أُمّ عبد». وبعثه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى الكوفة وكتب إليهم: بعثتُ إليكم عمّارًا أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلّمًا ووزيرًا، وهما من النُّجَباء من أصحاب رسول الله ﷺ ومِنْ أهل بدر، فاقتدوا بهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي. وقال فيه عمر: كُنَيْفٌ مُلِيءَ عِلْمًا. وكان إذا هدأت العيون قام، فيُسمع له دويّ كدويّ النَّحْل حتى يصبح، وقال أبو الدرداء: حين توفّي ابن مسعود ما ترك بعده مثله. وقال أبو طبّية: مرض ابن مسعود فعاده عثمان، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربّي، قال: ألا آمُرُ لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمُرُ لك بعطاء؟ قال: لا حاجةَ لي فيه، قال: يكون لبناتك؟ قال: أتخشى على بناتي الفقر، إني أمرتهنّ أن يقرأن في كلّ ليلة سورة الواقعة، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصِبْه فاقةٌ أبدًا». وكان لابن مسعود ثلاثة بنين: عبد الرحمٰن وبه يُكْنى، وعُتْبَة، وأبو عبيدة، واسم أبي عبيدة عامر، وقيل: اسمه كنيته. واتّفقوا على أن أبا عبيدة لم يسمع أباه، وروايته عنه كثيرة وكلّها منقطعة. وأمّا عبد الرحمٰن، فقال عليّ بن المديني والأكثرون: سمع أباه، وقال أحمد بن حنبل: توفي ابن مسعود ولابنه عبد الرحمٰن ستّ سنين، وقال يحيىٰ بن معين: لم يسمع أباه، والله أعلم.

قوله: (**وهو قول الحسن**) البصري التابعي، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، ومناقبه كثيرة مشهورة. توفي سنة عشر ومائة رضي الله تعالى عنه.
قوله: (**وقتادة**) بن دِعَامة ـ بكسر الدال المهملة ـ التابعي، هو أبو الخطاب **قتادة** بن دعامة بن قتادة بن عزيز ـ بفتح العين والزاي المكرّرة ـ ابن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن سَدُوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكاية بن صَعْب بن علي بن بكر وائل السدوسي البصري التابعي، وُلِد أعمى، سمع أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس، وأبا الطُّفيل، وابن المسيّب، وأبا عثمان النَّهْدي، والحسن، وابن

أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته.

سيرين، وعكرمة، وزرارة بن أوفى، والشعبي وخلائق غيرهم من التابعين. روى عنه جماعة من التابعين، منهم سليمان التيمي، وحُمَيْد الطويل، والأعمش، وأيوب وخلائق من تابعي التابعين، منهم مطر الورّاق، وجرير بن حازم، وشعبة، والأوزاعي وغيرهم، وأجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله. قال بكر بن عبد الله: مَنْ سرَّه أن ينظر إلى حفظ رجل أدركنا وأحرى أن يؤدّي الحديث كما سمعه، فلينظر إلى قتادة. وقال سعيد بن المسيّب: ما أتانا عراقيٌّ أحفظ من قتادة. وقال شعبة: قال لي سفيان: وكان في الدنيا مثل قتادة. رُوِينا عن معمر، قال: جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت حمامة الْتَقَمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى الْتَقَمت لؤلؤة، فخرجت أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى الْتقمت لؤلؤة فخرجت كما دخلت سواءً، فقال ابن سيرين: الحمامة الأُولى الحسن يسمع الحديث، فيُجوِّده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه. والثانية: ابن سيرين يشكّ فيه، فيُنْقِص منه. والثالثة: قتادة، فهو أحفظ الناس. وروينا عن المدائنيّ، قال: سأل أعرابيّ على باب قتادة وانصرف، ففقدوا قدحًا، فحجّ قتادة بعد عشر سنين، فوقف أعرابي فسألهم، فسمع قتادة كلامه فقال: هذا صاحب القدح، فسألوه فأقرّ. وقال ابن سعد: كان قتادة ثقة مأمونًا حُجّةً في الحديث. وقال قتادة: جالستُ الحسن ثنتي عشرة سنة، وما قلت برأي منذ أربعين سنة. وقدم قتادة على ابن المسيّب، فسأله أيّامًا فأكثر، فقال: تحفظ كلّ ما سألتني عنه؟ قال: نعم، سألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وقال فيه الحسن كذا، فذكر حديثًا كثيرًا، فقال ابن المسيّب: مّا كنت أظنّ الله خلق مثلك. وذكره أحمد بن حنبل، فأطنب في الثناء عليه ونشر منه علمه وفقهه ومعرفته في التفسير والاختلاف وغير ذلك، وقلّ مَنْ يتقدّمه، قال: وكان أحفظ أهل البصرة ولا يسمع شيئًا إلّا حفظه، وقُرِئت عليه صحيفة جابر مرّة واحدة فحفظها، وكان من العلماء. وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد. وقال أبو حاتم: أكبر أصحاب الحسن قتادة، وأثبت أصحاب أنس الزهري ثم قتادة. توفي قتادة سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمسٍ وخمسين رحمه الله.

(ولأنه قال:) ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠]،

قوله: (ولأنه قال): أي الله سبحانه وتعالى في سورة الكهف: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الآية ٥٠]، في تفسير الجلالين: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الآية ٥٠] الخطاب لآدم وذرّيته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠] تطيعونهم، انتهى. وقوله: تطيعونهم، أي بدل طاعتي، وفيه إشارة إلى أن المراد بالولاية هنا اتباع الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي؛ فالموالاة مجاز عن هذا لأنه من لوازمها، فلا يردّ كيف قال ذلك، مع أن الشيطان وذرّيته ليسوا أولياء، بل أعداء؛ لأن الأولياء هم الأصدقاء. و﴿مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠] يجوز تعلّقه بالاتخاذ أو بمحذوف على أنه صفة لـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، وإليه أشار في التقرير.اهـ كرخي. قال مجاهد: من ذرّية إبليس لاقيس وولهان، وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللّذان يوسوسان فيهما. ومن ذرّيته: مرّة، وبه يُكْنى. وزلنبور، وهو صاحب الأسواق يزيّن اللّغو والحلف الكاذب ومدح السلع. وثبر، وهو صاحب المصائب يزيّن خدش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب. والأعود وهو صاحب الزّنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة. ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يُلْقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلًا. وواسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسمّ ولم يذكر الله دخل معه.اهـ خازن. وفي القرطبي: واختلف هل لإبليس ذرّية من صلبه؟ فقال الشعبي: سألني رجل، فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عرس لم أشهده، ثم ذكرت قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، فعلمتُ أنه لا تكون ذرّية إلّا من زوجة، فقلت: نعم. وقال مجاهد: إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذه أصل ذرّيته. وقيل: إنّ الله خلق له في فخذه اليمنى ذكرًا، وفي فخذه اليسرى فرجًا، فهو ينكح هذه بهذه، فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطانًا وشيطانة، فهو يفرّخ ويطير، وأعظمهم عند أبيهم منزلةً أعظمهم في بني آدم فتنةً. وقال قوم: ليس له أولاد ولا ذرّية، وذرّيته أعوانه من الشياطين. قال القُشيريّ أبو نصر: وبالجملة، فإنّ الله تعالى أخبر بأن لإبليس أتباعًا وذرّية، وأنّهم يُوسوسون إلى بني آدم، وهم أعداؤهم ولم يثبت عندنا عِلم بكيفيّة التوالد منهم،

(ولا نسل) للملائكة. وعن **(الجاحظ)** أن الجن والملائكة جنس واحد، فمن طهر منهم فهو ملك، ومن خبث فهو شيطان، ومَن كان بين بين فهو جن. ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع

وحدوث الذرية من إبليس، فيتوقّف الأمر فيه على نقل صحيح، انتهى. وقال الكاشفي: درتبيان أورده كه ...ون حق سبحانه ابليس رابراند ازپهلوى ...پ او زوجهٔ او راكه اوه نام دارد بيافريد واورابشمار ريگهاى بيابان فرزندانند واز اولاد اويگى مرّه است كه كنيت بدودارد وديگر لاقيس وولهان است درعين المعانى اورده كه لاقيس موسوس طهارت است وولهان موسوس صلاة وبعضى برعكس اين گفته اند. انتهى. وفي تفسير روح البيان: لاقيس موسوس صلوات وولهان ـ بالتحريك ـ موسوس طهارتست، يعني الولهان شيطان يولّع الناس بكثرة استعمال الماء، ويُضحكهم عند الوضوء. وأما أحمد غزالي رحمه الله در اربعين آورده كه شيطان راچند فرزنداست، وباتفاق زلنبوراز اولاد او صاحب اسواق است كه بدروغ وكم فروشى وخيانت وسوسه ميكند واعول صاحب ابواب زنا است، يعني صاحب الزنى الذي يأمر به ويزنيه، وثبر صاحب مصائب كه بثبور ونوحه وشقّ جيوب ولطم خدود ودعوى الجاهلية ميفر مايد، وميسوط صاحب اراجيف است، يعني صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبر بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم، فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ما أدري ما اسمه حدّثني بكذا وكذا. وداسم ياخورندهٔ طعام كه بسم الله نگفته باشد شركت ميكند، وفي آكام المرجان: داسم هو الذي يدخل مع الرجل وأهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، ومدهيش موكل علما است كه ايشانرابر أهواء مختلفة ميدارد، انتهى بحروفه.

قوله: **(ولا نسل)** النَّسْل الولد والذرّية، يقال: له نَسْلٌ كثير، ج أنسال، كذا في محيط المحيط. **قوله**: **(الجاحظ)** هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثيّ المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فنّ له مقالة في أصول الدّين، وإليه تُنْسب الفرقة المعروفة بالجاحظيّة من المعتزلة، وكان تلميذ ابن إسحٰق إبراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلّم المشهور، وهو خال يموت بن المزرع، ومِنْ أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب «الحيوان»، فلقد جمع فيه كل غريبة، وكذلك كتاب «البيان والتبيين» وهي كثيرة

مما أمر به ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [تكبّر عنه. ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وصار من الكافرين) بإبائه واستكباره وردّه الأمر لا بترك العمل بالأمر، لأن ترك السجود لا يخرج من الإيمان

جدًّا، وكان مع فضائله مشوّه الخلق، وإنما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين، والجحوظ النتوء، وكان يقال له أيضًا: الحدقيّ لذلك. وكان الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج، فكان يطلي نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدّة حرارته، والنصف الأيسر لو قرض بالمقاريض لما أحسّ به من خدره وشدّة برده، وكان يقول في مرضه: اصطلحت على جسدي الأضداد، إن أكلتُ باردًا أخذ برجلي، وإن أكلتُ حارًّا أخذ برأسي، وكان يقول: أنا من جانبي الأيسر مفلوج، فلو قُرِض بالمقاريض ما علمتُ به، ومِنْ جانبي الأيمن منقرس، فلو مرّ به الذباب لألِمْتُ، وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها، وأشدّ ما عليّ ستّ وتسعون سنة، وكان ينشد:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ ... كما قد كنتَ أيّام الشباب
لقد كذَّبَتْكَ نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

وكانت وفاة الجاحظ في شهر المحرَّم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة، وقد نيّف على تسعين سنةً رحمه الله تعالى. وبحر: بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وبعدها راء. ومحبوب: بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وضمّ الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها باء موحدة. والجاحظ: بفتح الجيم وبعد الألف حاء مهملة مكسورة وبعدها ظاء معجمة. والكناني: بكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية. والليثي: بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة، هذه النسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خُزَيْمة.

قوله: (تكبّر عنه) أفاد به أن السين للمبالغة لا للطلب، وإنما قدّم الإباء عليه، وإنْ كان متأخّرًا عنه في الترتيب؛ لأنه من الأفعال الظاهرة بخلاف الاستكبار، فإنه من أفعال القلوب، واقتصر في سورة صٓ على ذِكْر الاستكبار اكتفاءً به. وفي سورة الحجر على ذِكْر الإباء، حيث قال: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية ٣١]. اهـ كرخي. **قوله**: (وصار من الكافرين)... الخ. لمّا احتمل أن يكون قوله تعالى: (﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) تعليلًا لإبائه واستكباره على معنى كيف لا يمتنع ولا يستكبر على امتثال ما أُمر به، وقد كان من الكافرين.

ولا يكون كفرًا عند أهل السنّة (خلافًا للمعتزلة والخوارج)، أو كان من الكافرين في

واستلزم هذا المعنى أن يكون كونه من الكافرين سابقًا على الإباء والاستكبار بأن يكون كافرًا من أوّل حدوثه إلى الأبد، مع أنّ المختار عند عامّة أهل السنّة وجمهور المحقّقين أنّ إبليس لم يكن كافرًا مِنْ أوّل حدوث الأمر، بل رُوِي أنّ الله تعالى أعطاه مُلْك الأرض ومُلْك السماء الدنيا وخزانة الجِنان، فكان يعبد الله تعالى تارة في الأرض، وتارة في السماء، وتارة في الجنّة. ورُوِي أيضًا أنه عَبد الله تعالى ثمانين ألف سنة، فكيف يقال: إنه كافرًا مِنْ أوّل وجوده إلى الأبد؟ بل إنه كان مؤمنًا ثم صار كافرًا بردّه أمر الله تعالى واستقباحه إيّاه، فقد صحّ أنّ قبول الأمر إيمان، والعمل به طاعة، وتركه معصية، وردّه واستقباحه كُفْر؛ ولمّا كان المختار أنه كان مؤمنًا في أوّل حاله ثم صار كافرًا بإبائه عمّا أُمِرَ به واستكباره عن التعظيم لآدم تحيّة وتواضعًا له لم يصح أن يُعلَّل إباؤه واستكباره بكونه من الكافرين؛ لأن المفرع على الشيء لا يكون علّة له، فلذلك فسّر السبق المستفاد من لفظ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بسَبْق عِلْم الله تعالى بأنه سيكفر بردّه أمر الله تعالى واستقباحه إيّاه، لا بسبق اتّصافه بالكفر على الإباء والاستكبار، فيصحّ تعليلهما بالسَّبْق بهذا المعنى؛ لأن جعله تعليلًا لهما لا يكون منافيًا لما هو المختار عند الجمهور، وإن جعل قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ استئنافًا لبيان حاله بسبب الإباء والاستكبار بكون كان بمعنى صار؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: الآية ٤٣]. **قوله: (خلافًا للمعتزلة)** في محيط المحيط: المعتزلة من القَدَرِيّة قالوا: إنّهم اعتزلوا فِئَتَيْ الضلالة عندهم، أي أهل السنّة والخوارج، أو سمّاهم به الحَسَن لما اعتزله واصل بن عطاء الغزالي وأصحابه إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، وشرع يقرّر القول بالمنزلة، أي التوسّط بين المنزلتين، أي الكفر والإيمان، وأنّ صاحب الكبيرة أي الذنب العظيم لا مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل بين المنزلتين؛ كجماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزل عنّا واصلٌ، انتهى بحروفه. **قوله:** (والخوارج) في محيط المحيط: الخوارج قومٌ من أهل الأهواء لهم مقالة على حِدَة سُمُّوا به لخروجهم على الناس، انتهى. وأيضًا فيه: الخارجيُّ خلاف الداخليُّ، ومَنْ يسود بنفسه مِنْ غير أن يكون له قِدَم في السيادة. قال أبو العلاء:

علم الله أي وكان في علم الله أي وكان في علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لأنه كان كافرًا أبدًا في علم الله **(وهي مسألة الموافاة)**.

كانوا في القديم قبل الإسلام يسمُّون مَنْ خرج شجاعًا أو كريمًا، وهو ابن جبان أو بخيل ونحو ذلك خارجيًا، وكذلك يقولون للفرس الجواد إذا برّز وأبواه ليسا كذلك، ثم صاروا في الإسلام يجعلون الخارجيّ مَنْ خالف السلطان والجماعة، ومَنْ كان معتقدًا بمذهب الخوارج وهم سبع فِرَق من كبار الفِرَق الإسلاميّة، وهي: الإباضيّة، وهم أتباع إباض التميميّ. والمحكميّة، والبيهسيّة، والأزارقة، والنَّجدات، والصفريّة، والعجاردة. ويقال لهذه الفِرَق: الخارجيّة أيضًا، ج خوارج وخارجيّة، انتهى بحروفه. وفي كتاب المِلل والنِّحَل: كلُّ مَنْ خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفق الجماعة عليه سُمّي خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيّام الصحابة على الأئمّة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمّة في كل زمان، انتهى. وأيضًا فيه: اعلم أنّ أوّل مَنْ خرج على عليّ رضي الله تعالى عنه جماعة ممّن كان معه في حرب صفّين، وأشدّهم خروجًا عليه ومروقًا من الدِّين الأشعث بن قيس، ومسعود بن فدكي التميميّ، وزيد بن حصين الطائي، انتهى. وأيضًا فيه: وكبار الفِرَق الستّة: الأزارقة[1]، والنَّجدات، والصفريّة، والعَجارِدة، والإباضيّة، والثعالبة؛ والباقون فروعهم، ويجمعهم القول بالتبرّي عن عثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهما، وعن كلّ الصحابة أجمعين، ويقدّمون ذلك على كلّ طاعة، ولا يصحّحون المناكحات إلّا على ذلك، ويكفّرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنّة حقًّا واجبًا، انتهى. وأيضًا فيه: اجتمعت الأزارقة على أنَّ مَنِ ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفرًا خرج به عن الإسلام جملةً، ويكون مخلّدًا في النار مع سائر الكفار، واستدلّوا بكفر إبليس وقالوا: ما ارتكب إلّا كبيرة حيث أُمِرَ بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع، وإلّا فهو عارف بوَحدانيّة الله، انتهى بحروفه.

قوله: **(وهي مسألة الموافاة)** معناها: أنّ العبرة بالإيمان الذي يوافى العبد عليه، أي يأتي متّصفًا به في آخر حياته، وأوّل منازل آخرته. ومِنْ فروع هذه

---

(١) أي أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق. ١٢ منه عُفِي عنه.

....

المسألة أنه يصحّ أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وحيث أطلقت مسألة الموافاة فالمراد بها ذلك، وهي ممّا اختلف فيها الشافعية والحنفيّة والأشعريّة والماتريديّة، وللسبكيّ فيها تأليفٌ مستقلّ، ويبني عليها مسألة الإحباط في الأعمال بالرِّدّة.

تنبيـه:

مسألة الموافاة من أُمّهات المسائل، وفصّلها النسفيّ في شرح التمهيد، فقال ما حاصله: إنّ الشافعي رحمه الله تعالى يقول: إنّ الشقيّ شقيٌّ في بطن أُمّه، وكذا السعيد؛ فلا تبديل في ذلك، ويظهر ذلك عند الموت ولقاء الله تعالى، وهو معنى المُوافاة. والماتريديّة رحمهم الله تعالى يقولون: يمحو الله ما يشاء ويثبت، فيصير السعيد شقيًّا والشقيّ سعيدًا، إلّا أنهم يقولون: مَنْ مات مسلمًا مخلّد في الجنّة، ومَنْ مات كافرًا مخلّد في العذاب باتّفاق الفريقين؛ فلا ثمرة للخلاف أصلًا، إلّا أن يقال: إنّ مَنْ كان مسلمًا وورث أباه المسلم إذا مات كافرًا يردّ ما أخذه على بقيّة الوَرَثة المسلمين، وكذا الكافر، وتبطل جميع أعماله، والمنقول في المذهب خلافه؛ فحينئذ لا ثمرة له، إلا أنه يصحّ منه أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله بقصد التعليق في المستقبل حتى لا يكون شكًّا في الإيمان حالًا، ولا حاجة لتأويله. والماتريديّة يمنعون ذلك مطلقًا، كذا في عناية القاضي وكفاية الراضي. وفي حاشية شيخ زاده: ومن فوائدها ـ أي الآية ـ أنّ مَنْ عَلِم الله مِنْ حاله أنه يتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة، فإنه تعالى لمّا علم مِنْ حال إبليس أنه يُختم له على الكفر، قال في حقّه: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٤]. وأمّا مَنْ ختم له على الإيمان، سواء كان إيمانه مسبوقًا بالكفر أم لا، فذلك الإيمان هو الذي كان علامة الفوز وآية النجاة، فإنّ الإيمان الطارىء على الكفر يهدم ما قبله ويجعله كأن لم يكن قطّ؛ كما ورد مِنْ أنّ التائب مِنَ الذّنب كمَنْ لا ذَنْب له.

واعلم أنه قد اختلف في أن مَنْ ثبت في علم الله أنه يموت كافرًا نعوذ بالله من ذلك، هل هو كافرٌ مِنْ أوّل زمان وجوده إلى موته، أو لا؟ وأن إبليس هل كان كافرًا أبدًا أو كان مؤمنًا حقًّا ثم كفر بعد ذلك؟ فذهب أصحاب الموافاة، وهم

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

(﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ أمر من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها ويقال: سكن المتحرك سكونا ﴿أَنتَ﴾ تأكيد) للمستكن في «اسكن» (ليصح عطف

أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري القائلون بالموافاة، أي موافاة الموت وإتيانه على المرء، وهو مؤمنٌ إلى الأوّل، وذهب آخرون إلى الثاني؛ فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عند أصحاب الموافاة على ظاهره؛ لأن إبليس قبل استكباره كافرٌ عندهم، وعند الآخرين معناه: أنه صار من الكافرين، أو كان منهم في عِلم الله تعالى على معنى أنه تعالى كان عالِمًا في الأزل بأنه سيكفر؛ فمقتضى صنيعه كان تقدّم العلم على الاستكبار لا تقدّم المعلوم، ومعنى الموافاة الإتيان والوصول إلى آخر الحياة وأوّل منازل الآخرة، يقال: وافى فلان إذا أتى؛ فعندهم لا يُوصف المَرْء إلّا بما كان عليه وقت الوفاة من إيمان أو كفر، ولا يسمّى بما كان عليه قبل ذلك، ولا يخفى أنّه إنْكار لما ثبت عيانًا وإبطال للحقائق، انتهت باختصار. وأيضًا فيها: قال إمام الحرمين: إنّ الإيمان ثابت في الحال قطعًا من غير شكٍّ فيه، لكن الإيمان الذي هو علامة الفوز وآية النجاة هو إيمان الموافاة، فاعتنى السلف به وجوّزوا تعليقه بمشيئة الله تعالى، فمَنْ قال: أنا مؤمن إن شاء الله، لم يحملوا التعليق بالمشيئة على أن القائل قصد به الشكّ في كونه مؤمنًا في الحال، فإنّ الشكّ فيه كفرٌ، بل قالوا: إنه قصد به الشكّ في إيمان الموافاة.

قوله: (﴿ٱسْكُنْ﴾ أمرٌ من سكن الدار يسكنها سُكنى إذا أقام فيها) واتّخذها منزلًا ومأوى، لا مِنْ سكَنَ المتحرّك سكونًا إذا ترك الحركة واستقرّ في مكانه ضرورة أن ليس المعنى: اسكن في الجنّة ولا تتحرّك فيها، بل اتّخذها منزلًا وموضع إقامة. **قوله:** (ويقال: سكن المتحرّك سكونًا) يعني: أن السُّكنى والسكون من أصلٍ واحد، وأن المقصود هنا الأوّل. **قوله:** (﴿أَنتَ﴾ تأكيد)... الخ. تأكيد ضمير اسكن المستتر بأنت، لئلّا يلزم العطف على الضمير المتّصل بلا فصل، وهو ممنوع في فصيح الكلام. **قوله:** (ليصح[1] عطف

---

(١) إذ شرطه الفصل سواء كان تأكيدًا أو غيره. ١٢ منه.

﴿وَزَوْجُكَ﴾ عليه ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾) هي جنة الخلد التي وعدت للمتقين (للنقل المشهور واللام للتعريف). وقالت المعتزلة: كانت بستانًا (باليمن) لأن الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها. قلنا: إنما لا يخرج منها من دخلها جزاء. وقد دخل النبيّ ﷺ ليلة المعراج ثم خرج منها، وأهل الجنة يكلّفون المعرفة والتوحيد. ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ من ثمارها فحذف المضاف. ﴿رَغَدًا﴾ وصف للمصدر (أي أكلًا رغدًا واسعًا) ﴿حَيْثُ﴾ (شِئْتُمَا﴾ شئتما وبابه بغير همز: أبو عمرو). و(﴿حَيْثُ﴾) للمكان المبهم أي

﴿وَزَوْجُكَ﴾ عليه)؛ إذ لا يجوز العطف عليه بدون فصل، سواء كان ضميرًا منفصلًا أو غيره، كما هو المشهور.

قوله: (﴿ٱلْجَنَّةَ﴾) مفعول به؛ لأن معناه: اتّخذ الجنّة مسكنًا. **قوله**: (للنقل المشهور) كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: بعث الله تعالى جندًا من الملائكة، فحملوهما على سريرٍ من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور، حتى أدخلوهما الجنّة. **قوله**: (وللام التعريف) أي: ولأن التعريف باللام فيها ليس للعموم والاستغراق؛ لأن سكون جميع الجِنان مُحال؛ فلا بدّ أن تكون الإشارة إلى المعهود، والمعهود المعلوم للمسلمين هو دار الثواب، فوجب صرف اللّفظ إليها، ولا سيّما أنّه قال تعالى لآدم في وصف الجنّة: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: الآيتان ١١٨، ١١٩]، وذلك صفة دار الخُلد والثواب. **قوله**: (باليمن) اليمن: إقليم معروف سُمّي بذلك لأنه عن يمين الشمس عند طلوعها، وقيل: لأنه عن يمين الكعبة؛ كذا في المصباح. **قوله**: (أي أكلًا رغدًا واسعًا) يقال: عيش رغد ورغيد، أي واسع. **قوله**: (﴿شِئْتُمَا﴾) أصله شيئتما، نُقِلت حركة الياء إلى الشين وحُذِفت الياء لالتقاء الساكنين. **قوله**: (﴿شِئْتُمَا﴾ وبابه بغير همز، أبو عمرو) بن العلاء البصري، توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة رضي الله عنهما. في تفسير النيسابوري: ﴿شِئْتُمَا﴾ وبابه بغير همز، أبو عمرو ويزيد والأعشى وورش عن طريق الأصفهاني، وحمزة في الوقف. اهـ. وفي تفسير الخطيب: وقرأ أبو عمرو بإدغام الثاء في الشين بخلاف عنه، وإبدال السوسي الهمزة وقفًا ووصلًا وحمزة في الوقف فقط. اهـ. وفي الإتحاف: وأدغم ثاء (﴿حَيْثُ﴾) في شين ﴿شِئْتُمَا﴾ مع إبدال الهمزة الساكنة أبو عمرو بخلف عنه من الروايتين، ويمتنع له الإدغام مع الهمزة، فالجائز حينئذ ثلاثة أوجه: الإدغام مع

أيَّ مكان من الجنة شئتما ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ (أي الحنطة). ولذا قيل: كيف لا يعصي الإنسان وقوته من شجرة العصيان، (أو الكرمة) لأنها أصل كل فتنة، (أو التينة). ﴿فَتَكُونَا﴾ جزم عطف على «تقربا» أو نصب جواب للنهي. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارّين أنفسهم.

الإبدال، والإظهار مع الهمز ومع الإبدال، وأدغم فقط يعقوب. اهـ. وفي كتاب التيسير: اعلم أنّ أبا عمرو كان إذا قرأ في الصلاة أو أدرج قراءته أو قرأ بالإدغام لم يهمز كل همزة ساكنة، سواء كانت فاء أو عينًا أو لامًا، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿تؤمنون﴾ و﴿يؤلون﴾ ﴿المؤتفكات﴾ و﴿بئس﴾ و﴿الذئب﴾ و﴿البئر﴾ و﴿الرؤيا﴾ و﴿رؤياك﴾ و﴿كدأب﴾ و﴿جئت﴾ و﴿جئتم﴾ و﴿شئت﴾ و﴿شئنا﴾ ﴿فادّارأتم﴾ و﴿اطمأننتم﴾ وشبهه، إلّا أن يكون سكون الهمزة للجزم، نحو: ﴿ننسأها﴾ و﴿تسؤهم﴾ و﴿إن يّشأ﴾ و﴿يهيّىء لكم﴾ وشبهه، وجملته تسعة عشر موضعًا. أو يكون للبناء نحوَ: ﴿أنبئهم﴾ و﴿اقرأ﴾ و﴿أرجئه﴾ و﴿هيّىء لنا﴾ وشبهه، وجملته أحد عشر موضعًا. أو يكون ترك الهمزة فيه أثقل من الهمزة، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿وتؤوي إليك﴾ و﴿تؤويه﴾. أو يكون يوقع الالتباس بما لا يهمز، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿الرُّؤيا﴾ ويكون يخرج من لغة إلى لغة، وذلك في قوله: ﴿مؤصدة﴾، فإنّ ابن مجاهد كان يختار تحقيق الهمزة في ذلك كلّه من أجل تلك المعاني، وبذلك قُرِأت وبه أُخِذ، فإذا تحرَّكت الهمزة نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿يؤلف﴾ و﴿مؤذن﴾ و﴿يؤخرهم﴾ وشبهه؛ فلا خلاف عنه في تحقيق الهمزة في ذلك كلّه، وبالله التوفيق، انتهى بحروفه.

قوله: (أي الحنطة) قدَّمها؛ لأنه قول الأكثر، وقد رُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعطاء والحسن رحمهما الله تعالى في لسان العرب: الحنطة البرّ، جمعها حِنَطٌ، والحَنّاط بائع الحنطة والحِناطة حِرْفة. اهـ. وفي المصباح: الحِنْطة والقمح والبرّ والطعام واحد. اهـ. **قوله:** (أو الكَرمة) هذا قول عليّ وابن مسعود والسّدِّي رضي الله تعالى عنهم. في لسان العرب: الكَرْم: شجرة العِنَب، واحدتها كَرْمة. اهـ. **قوله:** (أو التينة) هذا قول قتادة، والمرويّ عن ابن جريج. في لسان العرب: التين الذي يؤكل، وفي المُحكم: التين شجر البلس، وقيل: هو البلس بنفسه، واحدته تينة. اهـ. وأيضًا فيه: البَلَس التّين،

....

وقيل: البلس ثمر التين إذا أدرك، الواحدة بَلَسة، وفي الحديث: «مَنْ أحبّ أن يرقّ قلبه فليُدْمِن أكل البلَس» وهو التين، وإنْ كانت الرواية بفتح الباء واللام، فهو التين؛ وإنْ كانت البُلُس[1]، فهو العدس. اهـ. وذكر العلامة الجلال السيوطي في المبهمات ستّة أقوال، منها: اللّوز، والأُترجّ، والنَّخلة. وفي الجماليْن قال مولانا عصام الدِّين في حاشيته على البيضاوي: رأيت في بعض التفاسير أنه شجرة العلم، فكنت في التأمّل في تحقيقه برهة من الزمان حتى رأيت ليلةً أني ذُهِبَ بي إلى السماء، ثم يذهب بي إلى سماءٍ سماءٍ وأُلاقي فيه نبيًّا نبيًّا حتى انتهيتُ إلى سماءٍ هناك آدم عليه الصّلاة والسّلام، فلاقَيْته وسألْتُه عن شجرة العلم الذي نُهِيَ عن أن يقرب منه، قال: كان شأني في معرفته تعالى مشاهدته ومُنِعْتُ عن التوجّه إليه بدون المشاهدة مكتفيًا بالعلم، فمرّة اكتفيتُ بالعلم، فعُوتبت وأُخرجتُ من الجنّة، انتهى.

وفيه: أنّ هذا المعنى لا يظهر أن يصلح كونه تفسيرًا للآية، إلّا أن يقال: كان آدم على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام في مقام المشاهدة، ونُهِيَ عن قرب شجرة الحنطة المقدّر فيها أنه إذا أكل منها ينتقل من مرتبة العين إلى مرتبة العلم، فسُمِّيت تلك الشجرة شجرة العلم. هذا وسنح لي أنّه قد يقال: إنما سُمِّيَت شجرة العلم؛ لأن قُرْبَها وتركها سببٌ للعلم بحال المُبْتلى الذي كلّف بها، أو يكون أكلها علامة يُعْلم بها الخروج من الجنّة إلى دار المِحْنة، ويُعلم ح قدر النعمة أو شجرة تعلّق علم الله تعالى بها أن آدم يأكل منها، وإذا أكل ما يترتب عليه. وما الحكمة في أن أكلها يُورث البُعد من دار القرار وجوار الربّ إلى غير ذلك، والله تعالى أعلم.

ثم رأيت في حاشية الشفاء للحلبي قيل: شجرة العلم عليها معلومُ الله من كلّ لونٍ وطعم، وقيل: قال إبليس لهما: مَنْ أكل منها عَلِم الخير والشرّ، وعَلِم عِلْم الملائكة، كما قال لهما: إنها شجرة الخلد، انتهى.

---

(١) أي بضم الباء واللام. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ أي عن الشجرة، أي فحملهما الشيطان **(على الزلّة)** بسببها. وتحقيقه **(فأصدر)** الشيطان زلّتهما عنها أو (فأزلهما) عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما. **«فأزالهما» حمزة. وزلَة آدم بالخطأ في التأويل)** إما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكان الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه. **(وهذا دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلّة على الأنبياء عليهم السلام)** كما قال مشايخ

قوله: **(على الزلة)** في مُنتهى الأرب في لغات العرب: زَلَّة ـ بالفتح ـ لغزش پاى درلگل ولغز ش در سخن اسم است زَلِيل راونيكوئى وهنروكار ويضم وزن ومرديا مهمانى عروسى وگناه وخطاى بى ارادة، انتهى. وفي غياب اللّغات: زلّت ـ بالفتح وبالكسر ولام مشدّد مفتوح ـ بمعنى لغزش ولغزيدن، وبكسر ذال معجمة خوارى ازلطائف ودر خيابان نوشته كه زلت بمعنى لغزش ولغزيدن كه عبارت است ازكار ناپسنديده واين لفظ را بطريق ادب استعمال كنند چنانكه زلت أنبياء عليهم السلام، انتهى. **قوله**: **(فاصدر)**. . . الخ. فيه إشارة إلى أن (﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾) تضمّن معنى أصدر، وعن للسببية. **قوله**: **(فأزالهما، حمزة)** أي قرأ حمزة: **«فأزالهما»** بألف بعد الزاي وتخفيف اللام، أي نَحَّاهما بتشديد الحاء، أي أبْعَدَهما عنها، والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد اللام، أي أذْهَبَهما. **قوله**: **(حمزة)** هو حمزة بن الحبيب بن عُمارة بن إسماعيل الزيّات الكوفي، توفي بحُلْوان في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ستّ وخمسين ومائة رحمه الله. **قوله**: **(وزلَة آدم بالخطأ في التأويل)**. . . الخ. في تفسير الخطيب: فإن قيل: المجتهد إنْ أخطأ لا يؤاخذ. أُجيب بأنه إنما عُوتِب على ذلك تعظيمًا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده، انتهى. **قوله**: **(وهذا دليلٌ على أنه يجوز إطلاق اسم الزلّة على الأنبياء عليهم السلام)**. في شرح الفقه الأكبر للعلامة علي القاري رحمه الله: (وقد كانت منهم)، أي من بعض الأنبياء قبل ظهور مراتب النبوّة، أو بعد ثبوت مناقب الرسالة (زلّات) أي تقصيرات (وخطيئات) أي عَثَرات بالنسبة إلى ما لهم من عُلَى المقامات وسَنى الحالات، كما وقع لآدم عليه السلام في أكله مِنَ الشجرة على وجه النّسيان، أو ترك العزيمة،

(**بخارى**). فإنه اسم الفعل يقع على خلاف الأمر من غير قصد إلى الخلاف كزلّة الماشي (**في الطين**). وقال مشايخ (**سمرقند**): لا يطلق اسم الزلّة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية. وإنما يقال: فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه.

واختيار الرخصة ظنًّا منه أنّ المراد بالشجرة المنهيّة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٥] هي الشخصيّة لا الجنسيّة، فأكل من الجنس لا من الشخص، بناءً على الحِكْمة الإلـٰهيّة ليظهر ضعف القدرة البشريّة وقوّة اقتضاء مغفرة الربوبيّة، وهذا ما عليه أكثر العلماء خلافًا لجماعة من الصوفيّة وطائفة من المتكلّمين حيث منعوا السّهو والنسيان والغفلة. اهـ باختصار. **قوله**: (**بخارى**) في منتهى الأرب في لغات العرب: بُخارَاء، ويُقصر نام شهرى ازا نست ناصر احاديث نبويه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بخاري رحمه الله تعالى. اهـ. وفي غياث اللغات: بخارا نام شهرى ازتورَان. اهـ. **قوله**: (**في الطين**) في محيط المحيط: الطِّين تراب أو رمل وكلس يُجْبَل بالماء وتُطْلى به السُّطُح ونحوه. اهـ. وفي لسان العرب: الطِّين معروف الوَحَل واحدته طينة. اهـ. وأيضًا فيه: الوَحَل ـ بالتحريك ـ الطّين الرقيق الذي ترتطم فيه الدوابّ، والوَحْل ـ بالتسكين ـ لغة رديّة، والجمع أوْحال ووُحُول، والموحَل ـ بالفتح ـ المصدر ـ وبالكسر ـ المكان. اهـ. وأيضًا فيه: ارتطم في الطين وقع فيه فتخبّط. اهـ.

قوله: (**سمرقند**) في منتهى الأرب في لغات العرب: شَمَرُ بنِ افْرِيْقِيس گلتف بانى **سمرقند** است يا آنگه اول أنزا فتح كرده، كما نقل أنه غزا مدينة السَّغْد فقلعها، فقيل: شِمَركَنَدا، وبناها فقيل: شَمِرْكَنْت، وهي بالتركية القَرْيَةُ فَعرِّبت سمَرقند، وإسكان الميم وفتح الراء لحنٌ. اهـ. وفي غياث اللغات: **سمرقند** معرب سمركَنْد صاحب مؤيد وكشف نوشته اندكه در تواريخ طبرى مرقوم است كه سمرنام بادشا هى وكند بزبان تركان شهررا گويند ومعنى تركيبى أن شهر سمر است تم كلاهما، وابن خلكان در تواريخ خود وشيريشسى در شرح مقامات حريرى نوشته اندكه گند بكاف عجمى بمعنى خراب، وسمرنام بادشاه شهرى را خراب كرده بود لهذا أن شهررا سمرگند گفتندى حالا معرب كرده سمرقند گويند وصاحب رشيدى نوشته كه در اصل شمركند ـ بشين معجمة ـ زيراكه شمر بن بقيش بن أبرهه باهل مدينه سغدجنگ نموده، وبعد فتح كردن مدينة سغدرا ويران كرده شهر

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم والكرامة، أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في «عنها». وقد توصّل إلى إزلالهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم، لأنه منع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء. ورُوِيَ أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية (**حتى دخلت به**). وقيل: (**قام عند الباب فنادى**). ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ الهبوط النزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل: والحية والصحيح لآدم وحواء. والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه: الآية ١٢٣] ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ المراد به ما عليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض. والجملة في موضع الحال من الواو في «اهبطوا» أي اهبطوا متعادين. ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (**موضع استقرار أو استقرار**). ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ وتمتع بالعيش. ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ (**إلى يوم القيامة**) أو إلى الموت.

ازسرنو تعمير نموده شمركند نام نهاد وكند در لغت ما وراء النهر بمعنى شهر وقرية باشد. اهـ.

قوله: (**حتى دخلت به**) أي بالشيطان الجنّة، والباء للتعدية أو المصاحبة.

قوله: (**قام عند الباب**) أي باب الجنّة (**فنادى**) أي فناداهما، فحينئذ يُراد بقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠] مقالة تُورث في قلب السامع لمّة رَدِيَّة، ولو كان جهرًا، ويؤيّده ما في اللباب. قال الحسن: كان إبليس في الأرض، فأوْصل الوسوسة إليهما في الجنّة، ومثل هذا لا يُستبعد؛ لأنه ابتلاء من الله تعالى.

قوله: (**موضع استقرار أو استقرار**) الأول: على أن يكون مستقرّ اسم مكان؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ [الفُرقان: الآية ٢٤]، وفي قوله في صفة النار: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: الآية ٦٦]. والثاني: على أن يكون المستقرّ مصدرًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [القيامَة: الآية ١٢].

قوله: (**إلى يوم القيامة**) لأنه متعلّق بالظرف الواقع خبرًا عن مستقرّ ومتاع والاستقرار ثابت إلى يوم القيامة لمكان القبر، وقيل: إلى الموت نظرًا إلى تعلّقه بمتاع؛ إذ لا تمتع بعد الموت، ومَنْ جعله على تقدير التفسير بيوم القيامة أيضًا

قال (إبراهيم بن أدهم): أورثتنا (تلك الأكلة) حزنًا طويلًا.

متعلّقًا لمتاع جعل ابتداء يوم القيامة من الموت؛ لأن مَنْ مات فقد قامت قيامته، أو جعل مقدّمات الشيء من جُملته، ولا يخفى أنّ التفسيرين حينئذ واحد أو جعل السكنى في القبر تمتعًا في الأرض، وهذا أقرب.

قوله: (إبراهيم بن أدهم) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن أدهم بن منصور، كان من كورة بلخ من أولاد الملوك، فخرج يومًا متصدّيًا، فأثار ثعلبًا أو أرنبًا وهو في طلبه، فهتف به هاتف: يا إبراهيم، ألهذا خُلِقت، أم بهذا أُمِرْت!! ثم هتف به أيضًا من قَرَبُوس سرجه: والله ما لهذا خُلِقْت، ولا بهذا أُمِرْت؛ فنزل عن دابّته وصادف راعيًا لأبيه، فأخذ جبّة الراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية، ثم دخل مكّة المكرَّمة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام ومات بها، وكان يأكل مِنْ عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين وغير ذلك. ومِنْ كلامه رضي الله تعالى عنه: مِنْ علامة العارف بالله: أن يكون أكبر همّه الخير والعبادة، وأكثر كلامه الثناء والمدحة. وكان رضي الله تعالى عنه يقول: أثقل الأعمال في الميزان أثقله على الأبدان، ومَنْ وفى العمل وفى الأجر، ومَنْ لم يعمل رَحَل مِنَ الدنيا إلى الآخرة صِفْر اليدين. وكان يقول: إني لأتمنّى المرض حتى لا تجب عليّ الصلاة في جماعةٍ، ولا أرى الناس ولا يروني. وكان يُغلقِ بابه من خارج، فيجيء الرجل فيجده مغلقًا فيذهب، وكان رضي الله تعالى عنه يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القَصَص: الآية ٨٣] مَنْ حُبِّ العلوّ أن تستحسن شسع نعلك على شسع نعل أخيك. وكان يقول: ثلاثة لا يُلامون على ضجر: المريض والصائم والمسافر. وكان يقول: بلغني أنّ العبد يُحاسَب يوم القيامة بحضرة مَنْ يعرفه، ليكون أبلغ في فضيحته. وكان يقول: ما صدق الله عبدًا أحبَّ الشهرة بعلم أو عمل أو كرم. وكان رضي الله تعالى عنه إذا لم يجد طعامًا حلالًا يأكل التراب، ومكث شهرًا يأكل الطّين، وقال: لولا أخاف أن أُعين على نفسي ما كان لي طعام إلّا الطِّين حتى أجد الحلال، إلى أن أموت. وكان يقلّل الطعام والأكل ما استطاع، ويقول: لا يحتمل الحلال السرف، حتى كان يصلّي خمسة عشر صلاة بوضوءٍ واحد، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: اطلبوا العلم للعمل، فإنّ أكثر الناس قد

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أي استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها. وينصب «آدم» (ورفع «كلمات»: مكيّ) على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به (وهن قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ﴾) أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]). وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى (التنصل) من الذنوب. وعن (ابن مسعود) ﷺ أن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين (اقترف الخطيئة:) سبحانك اللهم (وبحمدك

غلطوا حتى صار عِلْمهم كالجبال، وعَمَلَهم كالذرّ. وكنت إذا رأيته كأنه ليس فيه روح، ولو نفخته الريح لوقع. وقال له بعض العلماء: عِظْني، فقال: كُنْ ذَنَبًا ولا تكن رأسًا، فإنّ الذَّنَب ينجو والرأس يذهب. وقيل: كان عامّة دعائه: اللّهمّ انقلني من ذلّ معصيتك إلى عزّ طاعتك.

قوله: (تلك الأكلة) في المصباح: الأكلة ـ بالفتح ـ المرّة، وبالضمّ اللّقمة. اهـ.

قوله: (ورفع ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ مكّي) أي قرأه ابن كثير المكّيّ رحمه الله. **قوله**: (وهنّ) أي الكلمات (قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]). . . الخ. قدّمه لأنه أصح الأقوال، أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فاكتفى في النَّظم الجليل بآدم عليه السلام، والمراد هو آدم وحوّاء على نبيِّنا وعليهما الصلاة والسلام. والثاني أخرجه البيهقي في الزُّهد مرفوعًا عن أنس رضي الله تعالى عنه، وابن جرير عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن معاوية موقوفًا، كما قيل.

قوله: (التنصّل) أي الخروج. في المصباح: نصل الشيء مِنْ موضعه من باب قتل خرج منه، ومنه يقال: تنصّل فلان مِنْ ذنبه. **قوله**: (ابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (اقترف الخطيئة) في محيط المحيط: اقترف الرجل اكتسب والمرأة جامعها والذنب أتاه وفَعَلَه. اهـ. **قوله**: (وبحمدك) قال الكرماني: وسبّحتك بحمدك، أي بتوفيقك وهدايتك لا بحَوْلي وقوّتي، ففيه شكرٌ لله على هذه النّعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله، والواو في وبحمدك إمّا للحال وإمّا لعطف الجملة، سواء قلنا: إضافة الحمد إلى

وتبارك اسمك وتعالى جدك) ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. (وعن ابن عباس ﵄ قال: يا رب) ألم تخلقني (بيدك)؟ قال: بلى. قال: يا ربّ ألم تنفخ فيَّ (من روحك)؟ ألم تسبق رحمتك غضبك؟ ألم تسكني جنتك؟ وهو تعالى يقول: بلى بلى. قال: فَلِمَ أخرجتني من الجنة؟ قال: بشؤم معصيتك. قال: فلو تبت (أراجعي) أنت إليها؟ قال: نعم ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فرجع عليه بالرحمة والقبول. واكتفى بذكر توبة آدم لأن حواء كانت تبعًا له، (وقد طوى) ذكر النساء (في أكثر القرآن والسنّة لذلك). ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ الكثير القبول للتوبة. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على عباده.

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ ﴿مِنْهَا جَمِيعًا﴾ حال أي مجتمعين. (وكرّر الأمر بالهبوط للتأكيد)، أو لأن الهبوط الأول (من الجنة) إلى السماء والثاني من السماء إلى

الفاعل، والمراد لازمه مجازًا، وهو ما يوجب الحمد من التوفيق والهداية أو إلى المفعول، ويكون معناه: سبّحت ملتبسًا بحمدي لك، وقيل: الواو زائدة. **قوله**: (وتبارك اسمك) أي كَثُرت بركة اسمك؛ إذ وجد كل خير مَنْ ذكر اسمك. **قوله**: (وتعالى جدك) أي عَظَمتك. **قوله**: (وعن ابن عبّاس) الصحابي ابن الصحابي (رضي الله تعالى عنهما قال: يا ربِّ)... الخ. هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك وغيره وصحّحه. **قوله**: (بيدك) بمعنى قدرتك. **قوله**: (مِنْ روحك) معناه: من روح خلقتها، والإضافة للتعظيم. **قوله**: (أراجعي) بتخفيف الياء واسم فاعل أضيف إلى المفعول، وأنت فاعل لاعتماده على الاستفهام أو مبتدأ خبره ما قبله. **قوله**: (وقد طوى) أي ترك. **قوله**: (في أكثر القرآن) أي في أكثر مواضع من القرآن. **قوله**: (والسنّة) أي الحديث. **قوله**: (لذلك) أي لكون النساء تابعة للرجال.

قوله: (وكرّر الأمر بالهبوط للتأكيد)؛ إذ التكرير للتأكيد من أنواع البلاغة، ولكونه تأكيدًا اخْتِير الفصل، يعني أن المأمور به هبوطٌ واحد، وهو الهبوط (مِنَ الجنة) إلى الأرض، فلما أمر به مرتين، فالتكرير متعلق بالمحكيّ، وهو الأمر بقوله: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٦]، فلمّا كرّر المحكيّ كرّرت الحكاية، وهي قوله

الأرض، أو (لما نيط به) من زيادة قوله. ﴿(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم) مِّنِّي هُدًى﴾ أي رسول أبعثه إليكم، أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ في مقابلة قوله: ﴿(فَمَن تَبِعَ) هُدَايَ﴾ أي بالقبول والإيمان به. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في المستقبل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلفوا. (والشرط الثاني) مع جوابه جواب (الشرط الأول) كقولك: «إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك». «فلا خوفَ» بالفتح في كل القرآن: يعقوب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ والخبر ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ أي أهلها ومستحقوها. والجملة في موضع الرفع خبر المبتدأ أعني والذين ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو (يعقوب) عليه السلام (وهو لقب له) ومعناه في لسانهم

تعالى: (﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾). **قوله**: (لما نِيط) أي علق (به) في محيط المحيط: ناطَ به يَنُوطه نَوْطًا ونِياطًا علقه.اهـ. **قوله**: (﴿فَإِمَّا﴾) فيه إدغام نون إن الشرطيّة في ما الزائدة، كذا في تفسير الجلالين. وإيضاحه أنّ إمّا هي إن الشرطية زيدت عليها ما للتأكيد، ولأجل التأكيد المذكور حَسُن تأكيد الفعل بالنون، وإنْ لم يكن فيه معنى الطلب. **قوله**: (والشرط الثاني) أي قوله: (﴿فَمَن تَبِعَ﴾)، وقوله: (الشرط الأول) أي: (﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾).

قوله: (يعقوب) أي قرأه يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة، وله ثلاث روايات: رواية رَوْح وزيد ورُوَيْس. **قوله**: (وهو لقبٌ له) لكونه عَلَمًا يُشعر بمدح بملاحظة الأصل، واللّقب في اللغة ما يُعَبَّر به عن شيء. وفي اصطلاح أهل العربية: عَلَم يُشْعر بمدح أو ذمّ باعتبار معناه الأصليّ جمع ألقاب، والألقاب ثلاثة أنواع: لقب تشريف، ولقب تعريف، ولقب تسخيف. والثالث منهيٌّ عنه. وفي المصباح: وقد يُجْعل اللّقب عَلَمًا من غير نبز، فلا يكون حرامًا، ومنه تعريفُ بعض الأئمّة المتقدّمين بالأعمش والأخفش والأعرج ونحوه؛ لأنه لا يُقصد بذلك نبز ولا تنقيص، بل محض تعريف مع رضى المسمّى به.

(صفوة) الله أو عبد الله، فإسرا هو العبد أو الصفوة، وإيل هو الله **(بالعبرية)**، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة. ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ **(ذكرهم النعمة أن لا يخلوا)** بشكرها ويطيعوا **(مانحها. وأراد بها ما أنعم به على آبائهم)** مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون **(وعذابه)** ومن الغرق **(ومن العفو)** عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد ﷺ المبشر به في التوراة والإنجيل. ﴿وَأَوْفُوا۟﴾ أدّوا وافيًا تامًّا، **(يقال: وفيت له بالعهد فأنا وافٍ به وأوفيت له بالعهد فأنا موفٍ به، والاختيار أوفيت، وعليه نزل التنزيل)**.

قوله: (صفوة) بهرسه حركت برگزيده. اهـ منتخب اللّغات. **قوله:** (بالعِبْرية) العِبْرية العِبْرانيّة، وهي لغة اليهود واليهودية، واليهوديُّ نسبة إلى جدِّهم إبراهيم الذي عَبَر الفرات وجاز مِنْ بين النهرين إلى أرض اليهوديّة، أو إلى عابر بن أرفخشاد بن سام بن نوح. **قوله:** (ذكرهم النّعمة) مِنْ إضافة المصدر إلى الفاعل مبتدأ خبره (أن لا يخلوا). . . الخ.

قوله: (مانحها) أي مُعْطيها. في محيط المحيط: منحه الشيء يمنحه إيّاه ويمنحه من باب منع وضرب، منحًا أعطاه إيّاه. اهـ. **قوله:** (وأراد بها) أي بالنّعمة (ما أنعم به على آبائهم) أي بني إسرائيل، والنّعمة على الآباء نعمة على الأبناء. **قوله:** (وعذابه) أي فرعون. **قوله:** (ومِنَ العفو) عطف على مِنَ الإنجاء. **قوله:** (يقال: وفَيْتُ له بالعهد فأنا واف به، وأوفَيْتُ له بالعهد فأنا مُوفٍ به، والاختيار أوْفَيْتُ، وعليه نزل التنزيل) في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي يقال: أوْفى ووَفَى مخففًا ومشدّدًا بمعنًى، وقيل: يقال: أوْفَيْتُ ووفيت بالعهد وأوْفَيْت الكيل لا غير، واللّغات الثلاث وردت في القرآن كما بيّنه المعرب، انتهت بحروفها. وعبارة المعرب يقال: أوْفَى ووفَى ووفّى مشدّدًا ومخففًا ثلاث لغات بمعنًى، وقيل: يقال: أوْفَيْت ووفَيْت بالعهد وأوْفَيْت الكيل لا غير. وعن بعضهم: إنّ اللغات الثلاث واردة في القرآن. أمّا أوفى، فكهذه الآية. وأمّا وفّى ـ بالتشديد ـ فكقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النّجم: الآية ٣٧]. أمّا وَفَى ـ بالتخفيف ـ فلم يصرّح به، وإنما أُخِذَ من قوله تعالى: ﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: الآية ١١١]، وذلك أنّ أفعل التفضيل لا يُبْنى إلّا من الثلاثي، كالتعجّب، هذا هو المشهور. انتهت باختصار. فافهم.

وقوله: (وعليه نزل التنزيل) أي القرآن. في البرهان في علوم القرآن للإمام العلّامة الزركشيّ الشافعي رحمه الله قال القاضي أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك رحمه الله: اعلم أنّ الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا: سمّاه (كتابًا) فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف: الآيتان ١، ٢]، وسمّاه (قرآنًا) فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: الآية ٧٧] الآية، وسمّاه (كلامًا) فقال: ﴿يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦]، وسمّاه (نورًا) فقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، وسمّاه (هدى) فقال: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢]، وسمّاه (رحمة) فقال: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: الآية ٥٨]، وسمّاه (فرقانًا) فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: الآية ١] الآية، وسمّاه (شفاء) فقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾ [الإسراء: الآية ٨٢]، وسمّاه (موعظة) فقال: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونس: الآية ٥٧]، وسمّاه (ذِكْرًا) فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ [الأنبياء: الآية ٥٠]، وسمّاه (كريمًا) فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة: الآية ٧٧]، وسمّاه (عليًا) فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: الآية ٤]، وسمّاه حكمة فقال: ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾ [القمر: الآية ٥]، وسمّاه حكيمًا فقال: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: الآية ١]، وسمّاه (مهيمنًا) فقال: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا﴾ [المائدة: الآية ٤٨]، وسمّاه (مباركًا) فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص: الآية ٢٩] الآية، وسمّاه (حبلًا) فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: الآية ١٠٣]، وسمّاه (الصراط المستقيم) فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام: الآية ١٥٣]، وسمّاه (بالقيّم) فقال: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا﴾ [الكهف: الآيتان ١، ٢] وفيه تقديم وتأخير ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف: الآية ١] أي لم يجعله مخلوقًا، وسمّاه (فصلًا) فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝١٣﴾ [الطارق: الآية ١٣]، وسمّاه نبأ عظيم فقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ [النبأ: الآية ١] ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [النبأ: الآية ٢] الآية، وسمّاه (أحسن الحديث) فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: الآية ٢٣]، وسمّاه (تنزيلًا) فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ [الشعراء: الآية ١٩٢]، وسمّاه (روحًا) فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢]،

....

وسمّاه (وحيًا) فقال: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٥]، وسمّاه (المثاني) فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: الآية ٨٧] الآية، وسمّاه (عربيًّا) فقال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: الآية ٢]. قال ابن عباس: غير مخلوق. وسمّاه (قولًا) فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القصص: الآية ٥١] الآية، وسمّاه (بصائر) فقال: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٣] الآية، وسمّاه (بيانًا) فقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٨]، وسمّاه (علمًا) فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الرعد: الآية ٣٧]، وسمّاه (حقًّا) فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: الآية ٦٢] الآية، وسمّاه (الهادي) فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي﴾ [الإسراء: الآية ٩] الآية، وسمّاه (عجبًا يهدي) فقال: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ﴾ [الجن: الآيتان ١، ٢] الآية، وسمّاه (تذكرة) فقال: ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر: الآية ٥٤]، وسمّاه (بالعروة الوثقى) فقال: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٦]، وسمّاه (متشابهًا) فقال: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: الآية ٢٣] الآية، وسمّاه (صدقًا) فقال: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: الآية ٣٣] الآية ـ أي القرآن ـ، وسمّاه (عدلًا) فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: الآية ١١٥] الآية، وسمّاه (إيمانًا) فقال: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٣]، وسمّاه (أمرًا) فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الطلاق: الآية ٥]، وسمّاه (بُشْرى) فقال: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ [النمل: الآية ٢]، وسمّاه (مجيدًا) فقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ [البروج: الآية ٢١]، وسمّاه (زبورًا) فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٥] الآية، وسمّاه (مبينًا) فقال: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: الآية ١]، وسمّاه (بشيرًا ونذيرًا) فقال: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ﴾ [فصلت: الآية ٤] الآية، وسمّاه (عزيزًا) فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: الآية ٤١] الآية، وسمّاه (بلاغًا) فقال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: الآية ٥٢] الآية، وسمّاه (قصصًا) فقال: ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: الآية ٣] الآية، وسمّاه أربعة أسامي في آيةٍ واحدة، فقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: الآيتان ١٣، ١٤] الآية، انتهى بحروفه.

وذكر مولانا نجم الدّين أبو حفص عمر بن محمد النسفي الحنفي المتوفّى بسمرقند سنة سبع وثلاثين وخمسمائة في خطبة تفسيره المسمّى بـ«تيسير في علم

﴿بِعَهْدِيٓ﴾ بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي، أو من الإيمان (بنبيّ الرحمة) والكتاب المعجز. ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم. (**والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهَد جميعًا**. **وعن قتادة: هما**: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ و﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾).

التفسير» مائة اسم من أسماء القرآن أوّله: الحمد لله الذي أنزل القرآن شفاء... الخ. مَنْ شاء فلينظر ثمّه.

قوله: (بنبيّ الرحمة) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧]، وقال عليه السّلام: «إنما أنا رحمة مُهْداة»، والرحمة العطف والرأفة والإشفاق؛ لأنه عليه السلام بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، ولذا كانت أُمّته أُمّة مرحومة؛ لأن النبيّ عليه السلام قال: «ما يُرحم إلا مَنْ رَحِمَ الله». **قوله**: (**والعهد يضاف إلى المعاهِد والمُعاهَد جميعًا**)، فإنّ العهد مصدر، والمصدر قد يُضاف إلى فاعله، وقد يُضاف إلى مفعوله؛ ففي قوله تعالى: (﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾) تكون الإضافة إلى المفعول، فلذا قال: بما عاهدتموني عليه... الخ. وبما عاهدتكم عليه... الخ. **قوله**: (وعن قتادة) بن دعامة ـ بكسر الدال المهملة ـ البصريّ التابعي، أجمعوا على جلالته وتوثيقه وحفظه وإتقانه وفضله، توفّي سنة سبع عشرة، وقيل: ثمان عشرة ومائة، وهو ابن ستّ وخمسين سنة، وقيل: خمس وخمسين رحمه الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (هما: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ [الآية ١٢] و﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ [الآية ١٢]) في تفسير الجلالين في سورة المائدة: (﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية ١٢]) بما يذكر بعد (﴿وَبَعَثْنَا﴾ [المائدة: الآية ١٢]) فيه التفات عن الغيبة أقمنا (﴿مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: الآية ١٢]) من كل سبط نقيب يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بالعهد توثقةً عليهم، (﴿وَقَالَ﴾ [المائدة: الآية ١٢]) لهم (الله إني معكم) بالعَوْن والنّصرة (﴿لَئِنْ﴾ [المائدة: الآية ١٢]) لام قسم (﴿أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٢]) نصرتموهم (﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المائدة: الآية ١٢]) بالإنفاق في سبيله (﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ [المائدة: الآية ١٢]) الميثاق (﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: الآية ١٠٨]) أخطأ طريق الحقّ.اهـ.

وقال (أهل الإشارة): أوفوا (في دار محنتي، على بساط خدمتي)، بحفظ حرمتي، أوف في دار نعمتي، على بساط كرامتي، بسرور رؤيتي. ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ فلا تنقضوا عهدي (وهو من قولك «زيد رهبته» وهو أوكد في إفادة الاختصاص من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة: الآية ٥]) «وإيَّايَ» منصوب بفعل مضمر دلّ عليه ما بعده وتقديره فارهبوا إياي فارهبون، وحذف الأول لأن الثاني يدلّ عليه. وإنما لم ينتصب بقوله: «فارهبون» لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيد في «زيدًا فاضربه» بـ«اضرب» الذي هو ظاهر.

قوله: (أهل الإشارة) أي أهل السلوك، أي الصوفية رحمة الله عليهم أجمعين. **قوله:** (في دار محنتي) أي في الدنيا. **قوله:** (على بساط خدمتي) أي على الأمر والنهي. **قوله:** (وهو من قولك: زيد رهبته) أي خوّفته، (وهو أوكد في إفادة الاختصاص من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]) صيغة أوْكد بكونها للتفضيل تدلّ على أنّ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، كما يفيد التخصيص باعتبار التقديم يفيد تأكيد التخصيص أيضًا، ووجهه كون المفعول المقدَّم ضمير الخطاب، وهو أعرف من ضمير الغائب، فيكون ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] أزيد وأقوى في إفادة التخصيص من إيّاه نعبد؛ إذ ليس في إيّاه نعبد من طُرُق التخصيص سوى تقديم المفعول، وفي ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥] طريقٌ زائد على التقديم، وهو كون المقدَّم ضمير الخطاب. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ طرق زائدة على ما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]، وهي تكرير المفعول، والفاء الجزائية الدالّة على تضمّن الكلام معنى الشرط؛ كأنه قيل: إن كنتم راهبين شيئًا فارهبون، وكون المفعول المقدَّم ضمير المتكلّم، فإنه أعرف من ضمير المخاطَب؛ لأنه ربما يُدْخِل الالتباس في المخاطب، بخلاف المتكلم. اهـ حاشية شيخ زاده بالتقاط وغيرها. وفي الفتوحات الإلٰهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة: وهو آكد في إفادة التخصيص من ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٥]؛ لأن إيّاك منصوب بنعبد، فمجموعهما جملةً واحدة، وهنا منصوب بارهبوا مقدّرًا لاستيفاء فارهبوا مفعوله، وهو الياء الثابتة في بعض القراءات، فهما جملتان، والتقدير: وإياي ارهبوا فارهبون، فيكون الأمر بالرهبة متكرّرًا. اهـ كرخي. والفاء في

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل: أنزلته مصدقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوّة وأمر محمد ﷺ ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ **(أي أول مَن كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به)**، أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به. **(وهذا تعريض بأنه كان يجب)**

﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ فيها قولان للنحويّين، أحدهما: أنّها جواب أمر مقدّر، تقديره: تنبّهوا فارهبون، وهو نظير قولهم: زيدًا فاضرب، أي تنبّه فاضرب زيدًا ثم حذف تنبّه، فصار: فاضرب زيدًا، ثم قدّم المفعول اصطلاحًا للفظ لئلّا تقع الفاء صدرًا، وإنما دخلت الفاء لتربط هاتين الجملتين. والقول الثاني في هذه الفاء أنّها زائدة.اهـ سمين. انتهت.

قوله: (أي أوّل[1] **مَنْ كفر به أو أوّل حزب أو فوج كافر به)**... الخ. إنّما أوّله؛ لأن أوّل أفعل تفضيل، وأفعل التفضيل إذا أُضيف إلى النَّكِرة كان لتفضيل الموصوف على المضاف إليه بالتفضيل إلى ما هو العدد، فيجب مطابقته له، مثل: هو أفضل رجل، وهما أفضل رجلين، وهم أفضل رجال، وهٰهنا الموصوف جمع والمضاف إليه مفرد، فيجب التأويل في المضاف إليه بحيث يصير جمعًا في المعنى أو في الموصوف بأن يجعل مفردًا ليحصل التطابق، وكلاهما ظاهر. وقوله: بالتفصيل ـ بالصاد المهملة ـ أي بتفصيل جنس المضاف إليه على ما كان الموصوف عليه من العدد، فإذا فصل جنس المضاف إليه رجلًا رجلًا، فالموصوف أفضل من كلِّ واحد واحد، وإذا فصل رجلين رجلين فهما أفضل من كلّ رجلين، وإذا فصل رجالًا رجالًا فهم أفضل من كلّ رجال؛ فيجب مطابقة المضاف إليه للموصوف. **قوله: (وهذا)** أي قوله تعالى: (﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾)، **(تعريض بأنه)** الضمير للشأن **(كان يجب)**... الخ. وجه التعريض بذلك المعنى أنّ النهي عن

---

(١) إنما قدر هذه التقادير لما أن خبر كان مفرد لفظًا، والاسم جمع أي كافر لفظه واحد وهو في معنى الجمع، أي أول الكفار أو هو نعت لمحذوف، ولذلك أتى بلفظ التوحيد والخطاب لجماعة. ١٢ منه عُفِي عنه.

أن يكونوا أول مَن يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته، والضمير في «به» يعود إلى القرآن. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا﴾ (ولا تستبدلوا). ﴿بِآيَاتِي﴾ بتغييرها وتحريفها. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال (الحسن): هو الدنيا (بحذافيرها). وقيل: و الرياسة التي كانت لهم في قومهم (خافوا عليها) الفوات لو اتبعوا رسول الله. (﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ فخافوني) «فارهبوني» «فاتقوني» بالياء (في الحالين) وكذلك كل ياء محذوفة في الخط: (يعقوب).

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (لبس الحق بالباطل خلطه).

الشيء إيجاب الضدّ. في حاشية مولانا عبد الحكيم على تفسير القاضي البيضاوي: التعريض أن تذكر شيئًا يدلّ به على أمرٍ لم تذكره، فيكون اللّفظ مستعملًا في معنى إمّا حقيقةً أو مجازًا أو كناية، ويكون الآخر المعرّض به مفهومًا سياقًا وإشارة، فهو من مستتبعات التركيب يَصْدُق عليه أنه شيءٌ لم تذكره، انتهت. وقال ابن الأثير في «المثل السائر»: التعريض هو اللّفظ الدالّ على معنًى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازيّ، بل مِنْ جهة التلويح والإشارة، فيختصّ باللفظ المركّب؛ كقول مَنْ يتوقّع صلته: والله إني لَمُحتاج، فإنه يعرض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقةً ولا مجازًا، وإنّما فُهِمَ هذا المعنى من عرض اللفظ، أي جانبه، انتهى.

قوله: (ولا تستبدلوا) دفع به ما يقال الباء في حيِّز الشراء تدخل على المأخوذ، وهنا دخلت على المتروك؛ فأجاب بأن الشراء بمعنى الاستبدال، وهي في حيِّزه تدخل على المتروك، وفي الكرخيّ: وهي في حيّزه تدخل على العِوَضين. اهـ. **قوله**: (الحسن) البصري رحمة الله عليه. **قوله**: (بحذافيرها) أي بأسرها، يعني بجميعها. **قوله**: (خافوا عليها) خبر بعد خبر لكانت، أو صلة بعد صلة. **قوله**: (﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ فخافوني) في ذلك دون غيري. **قوله**: (في الحالَين) أي الوصل والوقف. **قوله**: (يعقوب) بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة.

قوله: (لبس الحق بالباطل: خلطه) اللَّبْس ـ بالفتح ـ مصدر لَبَس ـ بفتح الباء ـ أي خلط. وأمّا اللُّبْس ـ بالضمّ ـ فمصدر لَبِس ـ بكسر الباء ـ من لَبِس الثوب. وأمّا بالكسر، فهو اللّباس، قاله الجوهري. وفي المصباح: لبس الثوب من

والباء، إن كانت (صلة) مثلها في قولك: «لبست الشيء بالشيء» خلطته به، كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها (**فيختلط**) الحق المنزّل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميّز بين (**حقها**) وباطلكم. وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك «كتبت بالقلم»، كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسًا مشتبهًا (**بباطلكم الذي تكتبونه**). ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا، أو منصوب بإضمار «أن»، (**والواو بمعنى الجمع**)، أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك: «لا تأكل السمك وتشرب اللبن». (**وهما أمران متميزان**)، لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا (**من كِتْبتهم**) في التوراة ما ليس منها، وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد (**أو حكم كذا**) ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ في حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون (**وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه**).

باب تعب لُبسًا ـ بضم اللام ـ واللّبس ـ بالكسر ـ واللّباس ما يُلْبس، ولَبِسْت عليه الأمر لَبْسًا من باب ضرب: خلطته، وفي التنزيل: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٩]، والتشديد مبالغة. وفي الأمر: لُبس ـ بالضم ـ ولبسة أيضًا، أي إشكال، والْتَبَس الأمر أشكل، ولَابَسْته بمعنى خالطته. اهـ. **قوله**: (صِلة) أي مُوصِلة ومعدّية للفعل؛ لأن الصّلة كما تُستعمل بمعنى الزّائد تُستعمل بمعنى المعدّى. **قوله**: (فيختلط) جواب لا تكتبوا. **قوله**: (حقها) أي التوراة **قوله**: (بباطلكم) أي بسبب باطلكم (الذي تكتبونه) فيه تنبيه على أنّ اللام في الباطل للعهد المعلوم. **قوله**: (والواو بمعنى الجمع) أي بمعنى مع، وهذه الواو كما تسمّى واو الجمع تسمّى أيضًا واو الصرف؛ لأنها تصرف المعطوف عن إعراب المعطوف عليه، وتصرف عن الجمع بينهما. **قوله**: (وهما أمران متميّزان). . . الخ. جواب سؤال، وهو أن يقال: كيف نهوا عن الجمع بينهما، وهما ليسا بفعلين متميّزين؟ لأنهم إذا لبسوا الحقّ بالباطل، فقد كتموا الحقّ.

قوله: (من كِتْبتهم) في المصباح: كتب كتبًا من باب قتل، وكتبته ـ بالكسر ـ وكتابًا، والاسم الكتابة؛ لأنها صناعة كالتجارة والعطارة. اهـ. **قوله**: (أو حكم كذا) وهو حكم الزاني المُحصن ورجمه، كما سيجيء حديثه. **قوله**: (وهو) أي الكتمان مع العلم (أقبح لهم) مع الجهل؛ (لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مُرتكبه)،

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **أي صلاة المسلمين وزكاتهم.** ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ **منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم)** أي أسلموا واعملوا عمل أهل

ومع العلم لا يُعْذَر، أي أن الجاهل بقُبْح ما صنعه قليلًا ما يُعْذَر، وهذا فيما لم يعلم كونه من الدِّين ضرورةً. وأمّا إذا عَلِم كونه من الدِّين ضرورةً، فالجهل ليس بعذر بخلاف العالم، فإنه لا يُعذر أصلًا، ولذلك قال عليه الصّلاة والسّلام: «للجاهل ويلٌ، وللعالم سبعين ويلًا». ومقصوده بهذا الكلام بيان إيراد أنّ الحال ليس لتقييد النهي به، بل الزيادة تقبيح حالهم.

قوله: (﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، **أي صلاة المسلمين**) أي الصلاة المفروضة على المسلمين، (**وزكاتهم** ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ **منهم**) أي المسلمين، يريد أنّ اللام في الصلاة والزكاة والراكعين للعهد الخارجي، وفيه دليل على أن الكفار مخاطَبون بالفروع، كما ذهب إليه الشافعي والعراقيون من أصحاب الحنفيّة، والمراد أنّهم مخاطَبون بوجوب الأداء في الدنيا، وهو المتنازَع فيه. وأمّا في حقِّ المؤاخذة في الآخرة، فمخاطَبون اتّفاقًا. ولا خلاف أيضًا في عدم جواز الأداء حال الكفر، ولا في عدم وجوب القضاء بعد الإسلام. وثمرة الخلاف تظهر في أنهم هل يُعاقبون في الآخرة بترك العبادات زيادةً على عقوبة الكفر، كما يُعاقَبون بترك الإيمان والاعتقاد، أو لا؟ وأمّا المؤاخذة بترك اعتقادها، فلا خلاف فيها، والتفصيل في فنّ الأُصول. وعند عامّة مشائخ ما وراء النهر من الحنفيّة لا يخاطَبون بأداء ما يحتمل السقوط من العبادات، وإليه ذهب القاضي أبو زيد والإمام شمس الأئمّة فخر الإسلام رحمه الله، واختاره صاحب التنقيح والتوضيح وسائر المتأخرين. وأقيموا: أصله أقوموا وزنه افعلوا كأكرموا، ثم أُعِلّ بالقلب بعد النقل، كما أُعِلّ الماضي بالقلب. وقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الأصل: آتيوا اسْتُثْقِلت الضمّة على الياء، فأُزيلت بأن أُلْقِيت على التاء بعد حذف حركتها، أو حُذِفت حذفًا وضُمّت التاء لتصحّ الواو، وألف صلاة وزكاة منقلبة عن واو؛ لقولهم في جمعهما: صلوات وزكوات. **قوله:** (**لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم**) تعليلٌ لاختصاص الركوع بالذِّكر، مع أنه داخل في الأمر بإقامة الصلاة، فإنهم كانوا

الإسلام. وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبّر عنها بالسجود. **(وأن يكون)** أمرًا بالصلاة مع المصلّين **(يعني في الجماعة)**، أي صلّوها مع المصلّين لا منفردين.

يصلّون ولا يركعون فيها؛ فعبَّر عن الصلاة بركنها المختصّ بصلاة المسلمين تحريضًا لهم على الإتيان بصلاة المسلمين.

قوله: (وأن يكون) عطف تفسير. **قوله**: **(يعني في الجماعة)**... الخ. مبنيّ على أن المراد بالركوع الصلاة على طريق تسمية الكلّ باسم الجزء، فإنه قد يعبّر عنها بالسجود أو القيام أو التسبيح أيضًا بهذا الطريق، ولمّا ورد أن يقال على تقدير أن يكون المراد من الركوع الصلاة يكون المعنى: صلّوا مع المصلّين، فيلزم التّكرار؛ لأنه قد أمر بالصلاة أوّلًا بقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أشار إلى جوابه بقوله: أي يعني في الجماعة... الخ. يعني أنّ الأوّل أمر بإقامة الصلاة، والثاني أمرٌ بفعلها في الجماعة، فلا تكرار. في حاشية شيخ زاده رحمه الله قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله في شرح التأويلات: في الآية دلالة على وجوب أداء الصلوات المكتوبات بالجماعة؛ لأن الركوع مع الراكعين يكون في حال المشاركة مع الراكعين في الركوع، فتكون إقامة الصلاة بالجماعة مأمورًا بها، والأمر المُطْلق للوجوب. وأجاب عنه السعد التفتازاني رحمه الله بأنهم كانوا يصلّون وحدانًا فأُمروا بأن يصلّوا مع النبيّ ﷺ وأصحابه بالجماعة للمنع مما كانوا عليه من عادة الانفراد، فيكفي في ذلك كونها سنّة مؤكّدة يمنع من الاعتياد بتركها، ويقاتَل على الإصرار عليه، انتهت.

قلت: والمشهور في مذهبنا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنّ الجماعة سنّة مؤكّدة، ورجَّح بعضهم كونها واجبة، وذهب الطحاوي والكرخي منّا إلى كونها فرض كفاية. وفي تفسيرات الأحمدية: في بيان الآيات الشرعية في مسألة فرضيّة الصلاة والزكاة والركوع ووجوب الجماعة قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ اعلم أنّ هذا خطاب لأهل الكتاب بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع في الصّلاة، فقد دلّ لكونه أمرًا على وجوبها. وحاصل الخطاب أمرهم باتّباع المسلمين بأداء صلاة المسلمين، أي إلى الكعبة، وزكاتهم وركوعهم في الصلاة كركوع المسلمين؛ لأن اليهود لم يكن لهم ركوع

....

وسجود، بل مجرّد القيام، وكان على ذلك نبيّنا عليه السلام سنين. ثم زاد الركوع والسجود بقوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ [الآية ٧٧] على ما يأتيكم في سورة المزمّل إن شاء الله تعالى.

فرضيّة الصلاة والزكاة في ديننا من أجلى البديهيّات لا يحتاج إلى دليل، وقد كرّرها الله تعالى في كتابه بغير نهاية. وأمّا الصلوات الخمس المعهودة، فقد ذكرها في عدّة مواضع يأتي عليك بيان أركانها وشرائطها. وكذا زكاة الذهب والفضّة وبيان مصارفها أيضًا يُعلم مما سيأتي. والصلاة في اللغة الدعاء، ونُقِل في الشرع إلى أركان معلومة، فهي حقيقة لغويّة في الدعاء مجاز في الأركان، وحقيقة شرعيّة في الأركان مجاز في الدعاء، كما تقرّر في كتب الأُصول. والزكاة في اللغة الطهارة أو النَّماء، ونقل في الشرع إلى إيتاء جزء مقدّر من النصاب بشرط الفراغ والحَوْل، والركوع في اللغة الانحناء؛ كما أن السجود وَضْع الجبهة على الأرض، وهذا القدر هو المفروض عندنا. وأمّا التعديل، فواجب ثبت بخبر الواحد، فيُراعى منزلته لا أن يُجْعل فرضًا، كما ذهب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره. وقيل: هذا أمر بالجماعة عبّر بالركوع عن الصلاة، أي صلّوا مع المصلّين بالجماعة، واختاره البيضاوي، ويشكل الأمر حينئذ على مذهبنا؛ لأن الجماعة عندنا سنّة مؤكّدة ليست بواجبة ولا مندوبة ولا مُباحة، إلّا أن يقال: إنّها قريبة من الواجب، كما صرّح به في الفقه. أو يقال: النّدب لا يدلّ على نفي ما فوقه، فيجعل السنّة فردًا من أفراده. أو يقال: إنّ الآية وإنْ دلّت على فرضيّة الجماعة لكنها قدرة بالغير لتوقّفها على الإمام والمقتدي والقدرة بالغير لا يعتبر ولا يكلّف بها المَرْء، فترك به ظاهر الكتاب. ولكن ينقض بالجمعة، فإنّ الجماعة فيها فريضة مع توقّفها على الغير. وأُجيب بأنّ انعقاد الجمعة بعد وجود الجماعة، وحينئذ لا قدرة بالغير، وفيه كلام ذكره ظاهر الشريعة. وقال الإمام الزاهد قيل: إنّهم كانوا يصلّون فرادى، فأُمِرُوا بأن يصلّوا مع المؤمنين بالجماعة؛ فدلّت الآية على وجوب الجماعة، حيث قال: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ دون كالراكعين، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٩]؛ فالجماعة في الصلوات الخمس واجبة بهذه الآية، وفي الجمعة فريضة بقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩] الآية، هذا ما فيه وعليك

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

(والهمزة في ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم. ﴿بِٱلْبِرِّ﴾) أي سعة الخير والمعروف ومنه **(البَر)** لسعته، **(ويتناول كل خير)**

بالتأمّل ليظهر الفرق. وقيل: معنى ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ وانقادوا معهم واخضعوا، صرّح به صاحب الكشاف والقاضي. ثم إنه تمسّك القاضي بهذه الآية على أنّ الكفار يخاطبون بالعبادات، أي بأدائها، كما هو مذهب الشافعي. ونحن نقول: إنّ الكفار يخاطَبون بالأمر بالإيمان والمعاملات والعقوبات وبالعبادات في حكم المؤاخذة في الآخرة، لا في حقّ الأداء في الدنيا. وأمّا الآية، فقد أشار إلى جوابها صاحب المدارك، حيث قال: أي أسلموا واعملوا عمل أهل الإسلام. ولا يردّ عليه أنّ الإيمان أصل العبادات، فكيف يجعل مقتضى تبعًا لها؛ لأن الإيمان مذكور صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤١]، انتهت بحروفها.

قوله: (الهمزة في ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم) في الحواشي السعدية: التقرير عندهم يقال للحمل على الإقرار والإلجاء عليه وللتحقيق والتثبيت، وكلاهما مناسب هٰهنا. وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾ [المَائدة: الآية ١١٦] تقرير بالمعنى الأوّل حيث حمله على أن يقرّ أنه لم يقل ذلك، وفي قوله: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطفّفين: الآية ٣٦] تقريرٌ بالمعنى الثاني، فإنه تحقيق للحكم وتثبيت له، أي جوّزوا على ما فعلوا؛ فقوله: (﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾) إن حُمِل على التقرير بالمعنى الأوّل يكون المقصود مِنْ حَمْلِهم على الإقرار بما فعلوا التوبيخ على ذلك الفعل والتعجّب مِنْ تجاسرهم عليه، فإنّ إهمال المَرْء نفسه مع سَعْيه في سعادة غيره أمرٌ عجيب، وكذا إنْ حُمِل على التقرير بالمعنى الثاني، فإنّ تحقيق ما فعلوه توبيخٌ لهم، بمعنى لا ينبغي لأحدٍ من العقلاء أن يفعل ذلك، وتعجيبٌ بمعنى أنه لغاية فظاعته كأنه من شأنه أن يعجب منه كل أحد.

وقوله: (تعجيب) التعجيب إيقاع السامع في العجب. **قوله: (البَر)** بفتح الباء ضدّ البحر: الفضاء الواسع. **قوله: (ويتناول كل خير)** يعني أن لفظ البر يُطلق

ومنه قولهم: («صدقت وبررت». وكان الأحبار) يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم (باتباع محمد) ﷺ (ولا يتبعونه). وقيل: (كانوا يأمرون بالصدقة) ولا يتصدقون (وإذا أتوا) بالصدقات (ليفرقوها) خانوا فيها. ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (وتتركونها من البر كالمنسيات).

على كل خير لأنهم يأمرونهم بكلّ خير ولا يفعلونه. **قوله**: (صدقت وبررت) قيل: هذه الكلمة للمؤذن إذا قال: الصلاة خيرٌ من النوم، **وقوله**: (بررت[1]) بفتح الراء الأُولى وكسرها؛ كذا في مراقي الفلاح عطف تفسير على ما قبله من برّ في كلامه إذا صَدَق وبَرَّ في يمينه إذا حَفِظها. **قوله**: (وكان الأحبار) أي علماء اليهود في حاشية مولانا عبد الحكيم على البيضاوي: الأحبار جمع حَبر ـ بالفتح ـ وهو العالم لما يبقى من أثر علمه في قلوب الناس، وآثار أفعاله الحسنة لمُقْتديها من الحبر ـ بالكسر ـ وهو الأثر المُستحسن، انتهت.

قوله: (باتّباع محمّد ﷺ)؛ فعلى هذا البرّ بمعنى الإيمان. **قوله**: (ولا يتبعونه) أي الأحبار محمّدًا ﷺ. **قوله**: (كانوا) أي أحبار اليهود (يأمرون بالصدقة). . . الخ. فعلى هذا البرّ بمعنى الإحسان. **قوله**: (وإذا أُتوا) على صيغة المجهول. **قوله**: (ليفرقوها) أي ليقسموها على الفقراء. **قوله**: (﴿وَتَنسَوْنَ﴾) أصله تنسيون، ووزنه تفعلون، وماضيه على فعل كعلم فقُلِبت الياء ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، ثم حُذِفت لسكونها وسكون واو الجمع بعدها، وبقيت فتحة السين قبلها تدلّ عليها.

قوله: (وتتركونها من البرّ كالمنسيّات) إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ استعارة[2] تبعيّة بمعنى تتركونها عن حملها على ما فيه صلاحها ونفعها، كالشيء المنسيّ بناءً على تشبيه ترك أنفسهم عن الحمل على الخير بالنسيان، من حيث إنّ كل واحدٍ منهما يستلزم إهمال متعلّقه وعدم رعاية حقّه، فاسْتُعِير له اسم النسيان ثم

---

(١) بررت بالفتح بمعنى أتيت بخير، وبالكسر ضد العقوق. ١٢ منه عم فيضه.

(٢) الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار قسمان، لأن اللفظ المستعار إن كان اسم جنس؛ فالاستعارة أصلية كأسد وقتل، أي نحو قولك: رأيت أسدًا في الحمام، أي رجلًا شجاعاً، وقولك: هذا قتل أي ضرب عظيم، وإن لم يكن اللفظ المستعار اسم جنس؛ فالاستعارة تبعية كالفعل وما يشتقّ منه والحرف. ١٢ منه.

(﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **تبكيت**) أنتم تتلون التوراة (**وفيها نعت محمد** عليه السلام **أو فيها الوعيد**) على الخيانة وترك البرّ ومخالفة القول العمل. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى (**يصدّكم**) استقباحه عن ارتكابه (**وهو توبيخ عظيم**).

اشْتُقَّ منه تنسون بمعنى تتركون، وإنما حُمِل على المجاز لتعذّر حمله على الحقيقة؛ لأن الإنسان لا ينسى نفسه من حيث إن علمه بنفسه علمٌ حضوريّ لا يغيب عنه، وفائدة الاستعارة المبالغة والإيذان بأنهم تركوا تذكير أنفسهم ترك المنسيّ الذي لا يخطر بالبال، والنسيان زوال الشيء عن الحفظ، وهو ضربان: إغفالٌ بغير قصد من صاحبه، وهو المعفوّ عنه بقوله ﷺ: «رُفِعَ عن أُمّتي الخطأ والنسيان». وإغفال بقصد من صاحبه، وهو أن يترك مراعاة المحفوظ حتى يذهب عنه، وهو المذموم بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:الآية ١٢٦]، وبقوله عليه الصّلاة والسلام: «مَنْ حَفِظ القرآن ثم نَسِيه لقي الله تعالى وهو أجذم»، ولما ورد هذا الخبر عن النبيّ ﷺ كره ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، وقال: ليقل: أُنسيت.

قوله: (**تبكيت**) أي إلزام للحجّة وإسكات، وفيه إشارة إلى أنّ قوله تعالى: (﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾) جملة اسمية في محل النصب على أنها حال من ضمير تنسون ذُكِر للتبكيت وزيادة التقبيح وإلزام الخصم لا للتقييد والاحتراز؛ كقوله[1]: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢]. **قوله**: (**وفيها نعت محمّد** ﷺ) هذا على تقدير أن يكون المراد من الآية الوجه الأوّل، وهو أن الأحبار كانوا يأمرون باتّباع محمّد ﷺ.

قوله: (**أو فيها الوعيد**)... الخ. هذا على تقدير أن يكون المراد الوجه الثاني، وهو أنهم يأمرون بالصدقة ولا يتصدّقون، وإذا أتوا بالصدقات ليفرّقوها خانوا فيها. **قوله**: (**يصدّكم**) أي يمنعكم. **قوله**: (**وهو توبيخٌ عظيم**) بعد التبكيت.

---

(١) فإن التقيد فيه للإلزام لا للاحتراز. ١٢ منه عمّ فيضهم.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ على **(حوائجكم إلى الله)** ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ أي بالجمع بينهما **(وأن تصلّوا)** صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها **(من إخلاص)** القلب ودفع الوساوس الشيطانية **(والهواجس)** النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع **(واستحضار العلم بأنه انتصاب)** بين يدي **(جبار السمٰوات والأرض، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر)** عليها والالتجاء إلى الصلاة عند **(وقوعها، وكان)** رسول الله ﷺ **(إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)**.

قوله: (إلى الله) متعلّق بقوله **(حوائجكم)**. **قوله**: **(وأن تصلّوا)** عطف تفسيريّ. **قوله**: (من إخلاص) بيان ما. **قوله**: **(والهواجس)** أي الخواطر. في المصباح: هجس الأمر بالقلب هجسًا من باب قتل وقع وخطر، فهو هاجس.اهـ. **قوله**: **(واستحضار العلم)** دلّ عليه قوله: ﴿يَظُنُّونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٦]؛ لأن الظنّ هنا بمعنى العلم. وفي مصحف عبد الله: يعلمون **(بأنه)** الضمير راجع إلى الصلاة والتذكير باعتبار[1] الخبر، لا إلى الجمع كما ظنّ **(انتصاب)** تفسير لقوله: ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٦]، وقوله: انتصاب، أي قيام. في غياث اللغات: انتصاب بر پاشدن.اهـ. **قوله**: **(جبار السمٰوات والأرض)** أي مُصْلِحهما ومُصلح أُمور أهلهما، أو مقهر كلّ مَنْ فيهما. **قوله**: **(أو استعينوا على البلايا)**... الخ. عطف على قوله: (﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾) على حوائجكم إلى الله. **قوله**: **(والنوائب)** في المصباح: النائبة النّازلة، والجمع النوائب.اهـ. وأيضًا فيه: النازلة المصيبة الشديدة تنزل بالناس.اهـ. **قوله**: **(بالصبر)** دلّ عليه الصبر مفتاح الفرج. **وقوله**: **(وقوعها)** أي البلايا. **قوله**: **(وكان)**... الخ. أخرجه أحمد وأبو داود. **وقوله**: **(إذا حزبه أمر)** بالباء الموحدة بعد الزاي المعجمة والحاء المهملة، بمعنى أهمّه ونزل به هَمٌّ وغمّ. وفي رواية: إذا حزنه ـ بالنون ـ من حزنه يُحزنه من الباب الأوّل، وهو متعدٍّ. ومن الباب الرابع لازم، ومآل الروايتين واحد. **وقوله**: **(فَزِع إلى الصلاة)** أي قام لها ملتجأً إليها، والمعنى التجأ إليها واستعان بها على دَفْع الهمّ والحزن، وهذا مراد المصنّف رحمه الله تعالى من رواية هذا الحديث الشريف.

---

(١) أعني انتصاب. ١٢ منه عم فيضهم.

(وعن ابن عباس) ﵄ أنه (نعى إليه أخوه قُثَمُ وهو) في سفر (فاسترجع) وصلّى ركعتين (ثم قال: «﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾»). وقيل: الصبر الصوم لأنه

قوله: (وعن ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما، أنه (نُعِيَ إليه أخوه) قُثَم، أي أخبر ابن عباس بموت أخيه قُثَم. في محيط المحيط: نعاه له يَنْعاه نَعْيًا ونُعِيًّا ونُعْيانًا (يائي) أخبره بموته.اهـ. **وقوله**: (قُثَم) عَلَم معدول عن قاثم، وهو كثير العطاء من قَثَم له من المال إذا أعطاه دُفعة من المال جيّدة. وفي الأساس: رجل قُثَم معطاءٌ، وقيل لقثم بن العباس: ما قيل لك قثمٌ إلّا لأنّك قثم. وفي تهذيب الأسماء: قُثَم بن العباس بن عبد المطّلب الهاشميّ ابن عمّ رسول الله ﷺ، أُمّه أُمّ الفضل (وكانت أوّل امرأة أسلمت بمكّة المكرّمة بعد خديجة رضي الله تعالى عنهما، قاله الكلبي)، وهو صحابيّ، وقد غلط بعضهم فذكره في التابعين، والصواب أنه صحابي، وكان قُثَم آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ (لأنه كان آخر مَنْ خرج من قبره ﷺ ممّن نزل فيه، قاله عليّ وابن عباس ﵃). روينا في مسند أحمد بن حنبل بإسنادٍ حسن عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فلمّا فرغ من عمرته سأله نفر من أهل العراق، فقال: أظنّ المغيرة بن شعبة يحدّثكم أنه كان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، قالوا: أجل عن هذا جِئْنا نسألك، فقال: أحدث الناس عهدًا قُثَم بن عباس، ولمّا وُلّي عليّ الخلافة ولّى قُثَم مكّة، فلم يزل عليها حتى قُتِل عليّ رضي الله عنه، قاله خليفة بن خياط. وقال الزبير: استعمله عليّ على المدينة ثم سار أيام معاوية إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان، فاستشهد بها ولم يعقب قُثم، وكان يشبه النبيّ ﷺ. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: أنّ النبيّ ﷺ حمل قُثَم بين يديه، أي على مركوبه. قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: الصحيح أنّ قُثَم توفّي بسمرقند وقبره بها، وقيل: بمَرْو، وقال: كان آخر الناس عهدًا برسول الله ﷺ، وحديث أُمّ الفضل ناطقٌ بذلك، ثم رواه بأسانيد كثيرة، وكان أخا الحسين بن عليّ من الرضاعة، انتهى بزيادة يسيرة من أسد الغابة.

قوله: (وهو) أي ابن عباس رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (فاسترجع) أي قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. **قوله**: (ثم قال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾) دلّ

حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر. وقيل: الصلاة الدعاء أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه. (﴿وَإِنَّهَا﴾) الضمير للصلاة أو (**للاستعانة**. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾) لشاقة ثقيلة من قولك («**كبر عليَّ هذا الأمر**» ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾) لأنهم يتوقعون ما (**ادخر**) للصابرين على (**متاعبها فتهون**) عليهم، (**ألا ترى**) إلى قوله:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

(﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ **أي يتوقعون لقاء ثوابه**) ونيل ما عنده

قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على أن المراد من الاستعانة بالصبر والصلاة الاستعانة على البلايا والنوائب بالصبر والالتجاء إلى الصلاة. وفي أسد الغابة: أنبأنا يحيىٰ بن محمود بن سعد إجازة بإسناده عن أبي بكر بن أبي عاصم، قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا إسمٰعيل بن عليّة، عن عُيَيْنة بن عبد الرحمٰن، عن أبيه أنّ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نُعِيَ إليه أخوه قُثَم، وهو في منزله، فاسترجع وأناخ عن الطريق، فصلّى ركعتين، فأطال فيهما الجلوس، ثم قام إلى راحلته وهو يقرأ: (﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾)، ولم يُعْقَبْ قُثَم، أخرجه الثلاثة، أعني ابن منده وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البرّ. عُيَينة: بالياء تحتها نقطتان مكرّرة ونون. اهـ. **قوله**: (**للاستعانة**) بالصبر والصلاة. **قوله**: (كَبُر[1] **عليّ هذا الأمر**) أي عَظُم، يقال: كَبُر الشيء يكبر ـ بالضم ـ فيهما إذا عَظُم، فهو كبير. **قوله**: (**ادَّخَرَ**) في المصباح: ذخرته ذخرًا من باب نفع، والاسم الذُّخر ـ بالضم ـ إذا اعتددته لوقت الحاجة إليه، وأذخرته على افتعلت مثله، وهو مذخور وذخيرة أيضًا، وجمع الذُّخر إذْخار، مثل قفل وأقفال، وجمع الذخيرة ذخائر. اهـ. **قوله**: (**متاعبها**) أي الصلاة. **قوله**: (**فتهون**) في المصباح: هانَ الشيء هَوْنًا من باب قال لانَ وسَهُل، فهو هيِّن. ويجوز التخفيف، فيقال: هَيْن لَيْن، وأكثر ما جاء المدح بالتخفيف. اهـ.

قوله: (**ألا ترى**) دليلٌ على قوله: فتهون. **قوله**: (**أي يتوقّعون لقاء ثوابه**) لا نزاع في امتناع مُلاقاة الله تعالى على الحقيقة، لكن القائلين بجواز الرؤية

---

(١) في المصباح: كبر الشيء كبرًا من باب قرب عظم. اهـ منه عُفِي عنه.

ويطمعون فيه. وفسّر «يظنون» بـ«يتيقنون» **(لقراءة عبد الله «يعلمون»)**، أي **يعلمون** أنه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون **(على حسب ذلك)**، وأما مَن لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة. والخشوع **(الإخبات والتطامن)** وأما

يجعلونها مجازًا عنها حيث لا مانع، كما في حقّ الكفار والمنافقين. وأمّا مَنْ لا يجوّز الرؤية، فيفسّرها بما يناسب المقام؛ كلقاء الثواب خاصّة، أو الجزاء مطلقًا، أو العلم المُحقق الشبيه بالمشاهدة والمعاينة، فإنْ حُمِل الظنّ على التوقع والطمع، فمعنى ملاقاته لقاء الثواب ونَيْل ما عند الله من الكرامة؛ لظهور أن لا قطع بذلك، فإنّه وإنْ علم أنّه لا بدّ من الجزاء مطلقًا، لكن مِنْ أين يعلم بما يختم به عمله حتى يعلم لقاء كرامته وثوابه؟ فلا بدّ من حمله على التوقّع، ولا بدّ على هذا التقدير مِنْ عامل ينصب قوله: (﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾)؛ لأن المراد به رجوعهم إلى المحشر بعد الموت والبعث، وهو متيقّن عند الخاشعين، وليس بمتوقّع محض؛ فلا وجه لجعله معمولًا لقوله: (﴿يَظُنُّونَ﴾) بمعنى يتوقّعون، بل يقدّر مثل يعلمون أو يتيقّنون على طريقة قوله: علفتها تبنًا وماءً باردًا، أي وسقيتها ماءً باردًا. وإنْ حُمِل على التيقّن أو قرئ يعلمون بدل يظنّون، فمعناه ملاقاة الجزاء، فإنّ هذا ينبغي أن يكون مقطوعًا به عند المؤمن؛ لأن التردّد في يوم الجزاء كفرٌ لا يصلح أن يُذكر في معرض المدح، كما في هذا المقام. **قوله: (لقراءة عبد الله)** بن مسعود رضي الله عنه: **(يعلمون)** مكان يظنّون، وهي قراءة شاذّة. **قوله: (على حسب ذلك)**، في محيط المحيط: الحَسَب المحسوب، وهو فَعَل بمعنى المفعول، مثل عدد بمعنى معدود، ونَقَض بمعنى منقوض، ومنه قولهم: ليكن عملك بحسب ذلك، أي على وفاقه وعدده. قال الكسائي: ما أدري ما حسَب حديثك، أي ما قدره، وربما يسكن في ضرورة الشعر. اهـ. وفي المصباح: وقولهم: يجزى المَرْء على حسب عمله، أي على مِقْداره. اهـ. **قوله: (الإخبات)** في المصباح: أَخْبت الرجل إخباتًا خضع لله وخشع قلبه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: الآية ٣٤]. اهـ. **قوله: (والتطامن)** وهو التسفّل الحسّي والمَيْل إلى الأرض المطمئنة، ولذلك يقال: طامن ظهره، أي أماله وسفله. **قوله: (فاللّين)** في محيط المحيط: لأن الشيء يَلِين لِينًا ولِيانًا ولِينَة ضد خَشُن، أو ضدّ صَلُب، والاسم اللّيَان فهو ليّن ولَيْن كهيّن وهَيْن، أو المخفّفة في المدح خاصّة. اهـ.

الخضوع (فاللين) والانقياد. (وفسّر اللقاء بالرؤية) وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف. ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (التكرير للتأكيد) ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ نصب عطف على «نعمتي» أي اذكروا نعمتي (وتفضيلي). ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (على الجمّ الغفير من الناس) يقال: «رأيت عالمًا من الناس» والمراد الكثرة.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ أي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف. ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ مؤمنة. ﴿عَن نَّفْسٍ﴾ كافرة ﴿شَيْـًٔا﴾ (أي لا تقضي عنها) شيئًا من الحقوق التي لزمتها. و«شيئًا» مفعول به (أو مصدر) أي قليلًا من الجزاء، والجملة منصوبة المحل صفة «يومًا» والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ («ولا تقبل» بالتاء: مكيّ وبصريّ)، والضمير في «منها» يرجع إلى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة، وقيل: كانت اليهود تزعم أن آبائهم

قوله: (وفسّر اللقاء بالرؤية) اللّقاء، وهو مقابلة الشيء ومصادمته معًا ممتنع في شأنه تعالى، فأوّل أهل السنّة بالرؤية بلا كيف. **قوله**: و(﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾) أي وفسّر ﴿مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾.

قوله: (التكرير للتأكيد) والتكرير للتأكيد حَسَن شائع في كلام العرب. **قوله**: (وتفضيلي) عطف الخاص على العام. **قوله**: (على الجمّ الغفير من الناس) يعني ليس المراد بالعالمين جميع ما سوى الله تعالى ليلزم تفضيلهم على الملائكة، ولا جميع الناس ليلزم تفضيلهم على نبيّنا ﷺ؛ فعلى هذا يكون من إطلاق الكلّ على الكَثْرة، والجمّ الكثير والغفير من الغفر، وهو التغطية والستر، يقال: جاء القوم جماءً غفيرًا، والجماء الغفير، وجَمًّا غفيرًا أي مجتمعين كثيرين.

قوله: (أي لا تقضي عنها) أي عن نفسٍ كافرة. **قوله**: (﴿ولا تقبل﴾ بالتاء، مكّي وبصري) أي: ولا تقبل بالتاء أي المنقوطة من فوق، قرأه ابن كثير المكّي،

الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، (وتشبث) المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة للعصاة مردود لأن المنفي شفاعة الكفار وقد قال ﷺ («شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها»). ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ أي فدية لأنها (معادلة) للمفدى. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يعاونون وجمع (لدلالة النفس المنكرة) على النفوس الكثيرة، (وذكر لمعنى العباد أو الأناسي).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ (أصل آل أهل) ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت

وأبو عمرو البصري. **قوله**: (أو مصدر) أي مفعول مطلق. **قوله**: (وتشبّث) أي تعلّق. **قوله**: (شفاعتي) الإضافة بمعنى أل العهديّة، أي الشفاعة التي أعطانيها الله عزّ وجلّ، ووعدني بها ادَّخرتها (لأهل الكبائر) الذين استوجبوا النار (من أُمّتي) ومَنْ شاء الله تعالى يشفع لقوم في أن لا يدخلوا النار، ولآخرين دَخلوها أن يخرجوا منها، ولا ينافيه قوله عليه السلام: «إنّ الله أبى عليَّ في مَنْ قَتل مؤمنًا»؛ لأن المراد المُستحلّ، أو للزجر أو للتنفير (من كذب بها) في الدنيا (لم ينلْها) وفي رواية: «فمَنْ لم يؤمن بها لم يكن مِنْ أهلها»، أي لم تَنلْه في ذلك الموقف الأعظم عقوبة له على إنكاره ما هو الحقّ الثابت عند أهل السنّة والجماعة. **قوله**: (معادلة) أي مُماثلة. **قوله**: (لدلالة النفس) الثانية (المنكرة) الواقعة في سياق النفي. **قوله**: (وذكر لمعنى العباد أو الأناسي) جواب عمّا يقال: لو عاد الضمير إلى النفوس المذكورة معنًى، لكان المناسب أن يقال: ولا هنّ ينصرن بتأنيث الضمير، وأجاب عنه بأنّ تذكير الضمير مبنيّ على تأويل النفوس بالعباد أو الأناسي، كما تقول: ثلاثة أنفس، بالثاء مع تأنيث النفس لتأويل الأنفس بالأشخاص، أو الرجال، أو على طريق التغليب. **قوله**: (العباد) جمع عبد. **قوله**: (الأناسي) جمع إنسان، وأصله أناسين؛ فأُبْدِلت النون ياءً وأُدْغِمت فيها الياء، وهو مذهب سيبويه، أو جمع إنسيّ، وهو مذهب الفرّاء.

قوله: (أصل آل أهل). . . الخ. فأُبْدِلت الهاء همزة لقُرْبها منها، كما أُبْدِلت في ماء؛ إذ أصله ماه بدليل جمعه على مياه، ثم أُبْدِلت الهمزة الساكنة ألفًا لفتحة

هاؤه ألفًا وخصّ استعماله (**بأولى الخطر**) كالملوك وأشباههم فلا يقال آل (**الإسكاف والحجام**، **وفرعون علم لمن ملك العمالقة**) كقيصر لملك (**الروم وكسرى**) لملك (**الفرس**).

ما قبلها، كما أُبدلت في أأدم وأأمن، ويدلّ عليه تصغيره على أُهيل. **قوله**: (**بأوْلى الخطر**) أي بأولى القدر والمنزلة، فإن خطر الرجل قَدره ومنزلته. **قوله**: (**الإسكاف**) في محيط المحيط: السِّكافة حِرْفة الإسكاف، والسَّكّاف الخفّاف، أي صانع الخِفاف السَّيْكَف الخفّاف أيضًا الأسْكَف والإسْكاف والأُسْكوف الخفاف أو الإسْكاف صانع سوى الخفاف، فإنه الأسْكَف أو الإسكاف النجّار وكل صانع بحديدة، ج أساكفة. اهـ. وفي المصباح: الإسكاف الخرّاز، والجمع أساكفة، ويقال: هو عند العرب كل صانع. اهـ. وأيضًا فيه: خرزت الجلد خرزًا من باب ضرب وقتل، وهو كالخياطة في ثياب. اهـ. **قوله**: (**والحجَام**) في محيط المحيط: الحِجامة حرفة الحجّام، الحجام المصّاص والذي يحجم. اهـ. **قوله**: (**وفرعون علم لمن ملك العمالقة**) والعمالقة قومٌ نُسِبوا إلى عمليق، وهو عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وهم أُمَمٌ تفرّقوا في البلاد وسكّان الشام منهم سمّوا بالجبابرة، ومَنْ سكن منهم بمصر فهم العمالقة، فليس المراد بالعمالقة هٰهنا جمع من نسب إلى عمليق، بل الذين كانوا بمصر منهم، وفرعون غير منصرف لوجود العلمية والعُجْمة. **قوله**: (**الروم**) في محيط المحيط: الروم طائفة من الناس يفرق واحدها بالياء، فيقال: روميّ، كما يقال في واحد الزّنج: زنجيّ. اهـ.

قوله: (**كسرى**) في محيط المحيط: كِسرى وكَسرى، والكسر أفصح، اسم كلّ مَنْ مَلَك الفُرس، كما أنّ كل مَنْ ملك الروم يسمّى قيصرًا، والتُّرك خاقانًا، واليمن تبعًا، والحبشة نجاشيًّا، والقبط فرعونًا، ومصر عزيزًا إلى غير ذلك. **قوله**: (**الفُرْس**) ـ بضم الفاء وسكون الراء ـ أهل مملكة فارس، ويقال: فارس أيضًا، وهم أُمّة عظيمة مسكنهم في شمال العراق مأخوذ من الفراسة، وهي الشجاعة لشجاعتهم، وقيل: إنّه من ولد يوسف على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وقيل: فارس بن أفريد بن إسحٰق على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، وقيل: فارس بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حال من «آل فرعون» أي (يولونكم من سامه خسفًا إذا أولاه ظلمًا)، وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنها بمعنى (يبغونكم) ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزيدة أو مطالبة، و«سوء» مفعول ثانٍ لـ «يسومونكم» (وهو) مصدر سيىء. يقال: أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما، ومعنى سوء العذاب، والعذاب كله سيىء أشده و(أفظعه. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) ولذا ترك العاطف

قوله: (يولونكم) من الإيلاء، وهو القرب. **قوله**: (مَنْ سامه خسفًا) أي بغى له ذلّاً وهوانًا، والخسف بمعنى الإهانة والذُّلّ (إذا أَوْلاه ظلمًا) أي جعل الظلم بحيث يليه ويَقْرُب منه، وأصل السَّوْم الذهاب في طلب الشيء، فهو لفظ موضوع لمعنى مركّب من الذهاب والابتغاء، فأُجْرِيَ مرة مجرى الذهاب، فقيل: سامَتِ الإبل، فهي سائمة إذا ذهبت في المرعى، فلم يتعدّ إلى المفعول. وتارة أخرى أُجْرِيَ مجرى الابتغاء، فقيل: سِمتُ الإبل في المرعى أي طلبتها فيه، وسمته كذا، كما يقال: بغيته كذا بمعنى طلبت له كذا. **قوله**: (يبغونكم) أصله يبغون لكم سوء العذاب، أي يطلبونه لكم، فحذف الجار وأَوْصل الفعل بنفسه. وفي الصِّحاح: بغيتك الشيء أي طلبتُه لك. **قوله**: (وهو) أي السوء مصدر السيّىء، كذا في الكشاف. والسيّىء خلاف الحسن، وهو اسم فاعل مِنْ ساء يسوء إذا قبح، وهو أسوأ القوم، وهي السوأى أي أقبحهم، كذا في المصباح. وقيل: السُّوء ـ بالضم ـ الاسم، وأمّا المصدر، فبالفتح. **قوله**: (أفظعه) أي أشنعه، يقال: فظع الأمر فظاعة، فهو فظيع، أي شديد شنيع جاوز المقدار في الشدَّة والشناعة. **قوله**: (﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾) فذبحوا منهم اثني عشر ألفًا، وقيل: سبعين ألفًا.اهـ من الخازن. **قوله**: (بيان لقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) إمّا بأن تكون مُسْتأنَفة لبيان كيفيّة سومهم سوء العذاب، كأنه قيل: كيف كان سَوْمَهم العذاب؟ فقيل: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، أو بأن تكون بدلًا من الجملة التي قبلها؛ كقوله:

متى تأتِنا تلمم بنا في ديارنا

فإنّ البدل فيه معنى البيان، ولذلك ترك العاطف هٰهنا، وعطف في سورة إبراهيم حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [الآية ٦]؛

(﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾) يتركون بناتكم أحياء للخدمة، وإنما فعلوا بهم ذلك لأن (**الكهنة**) أنذروا فرعون بأنه يُولد مولود يزول ملكه بسببه (**كما أنذروا نمروذ**) فلم يغنِ (**عنهما**) اجتهادهما في التحفظ (**وكان**) ما شاء الله ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ (**محنة أن أُشير**) بذلكم (**إلى صنع فرعون**)، ونعمة أن أُشير به إلى الإنجاء. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾، صفة لـ «بلاء» ﴿عَظِيمٌ﴾ صفة ثانية.

لأنه لم يقصد بقوله: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الآية ٦] بيان كيفيّة سَوْمهم العذاب حتى يجب ترك العاطف، بل جعل قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ محمولًا على سائر طرق التعذيب والتكاليف الشاقّة سوى الذبح، وجعل الذبح شيئًا آخر سوى سَوْم العذاب، فلمّا كانا أمرين متغايرين صحّ عطف أحدهما على الآخر.

قوله: (﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾) عطف على ما قبله، وأصله: يستحييون ـ بياءين ـ الأُولى عين الكلمة، والثانية لامها، فقيل: حُذِفت الأُولى فصار وزنه يستفلون، وقيل: الثانية فصار وزنه يستفعون. وطريق الحذف على الأوّل أن يقال: اسْتُثْقِلت الكسرة على الياء الأُولى فحُذِفت، فالتقى ساكنان: الياء الأُولى مع الحاء، فحُذِفت الياء. وطريق الحذف على الثاني أن يقال: حُذِفت الياء الثانية اعتباطًا وتخفيفًا ثم ضُمَّت الاولى لمناسبة الواو. والمراد بالنساء الأطفال، وإنّما عبّر عنهنّ بالنساء لمآلهنّ إلى ذلك، أي باعتبار ما يؤول إليه. والنساء جمع المرأة لا واحد لها من لفظها. **قوله**: (**الكَهَنة**) جمع كاهن، وهو الذي يُخبر عن المغيّبات. **قوله**: (**كما أنذروا**) من إبراهيم على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسلام (**نمروذ**) ـ بضمّ النون وبالذال المعجمة ـ ابن كنعان، وكان ابن زنا، وهو أوّل مَنْ وضع التاج على رأسه، وتجبّر في الأرض، وادّعى الربوبيّة، وملك الأرض كلّها. وجملة مَنْ ملَكها كلّها أربعة: اثنان مؤمنان، واثنان كافران؛ فالمؤمنان: سليمان وذو القرنين، والكافران: نمروذ وبخت نصّر. **قوله**: (**عنهما**) أي عن إبراهيم وموسى على نبيِّنا وعليهما الصّلاة والسلام. **قوله**: (**وكان**) أي حصل ووقع. **قوله**: (**محنة أن أشير**). . . الخ. يعني أنّ البلاء مطلق الاختبار، فيكون بالمحبوب والمكروه، فذلكم إن أُشير به إلى صنيع قوم فرعون من السَّوْم وما معه، فبلاء بمعنى مِحْنة، وقدّمها لقُرْبها. وإنْ أُشير به إلى الإنجاء، فنعمة، وهو حسن. **قوله**: (**إلى صنع فرعون**) من تذبيح أبنائهم واسْتِحياء نسائهم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم. (وقريء «فرّقنا») أي فصلنا يقال: فرَق بين الشيئين وفرَّق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على (**عدد الأسباط**. ﴿بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾) كانوا يسلكونه ويتفرّق الماء عند سلوكهم (**فكأنما فرق بهم**، **أو فرقناه بسببكم**، **أو فرقناه ملتبسًا بكم**) فيكون في موضع الحال. رُوِيَ أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم، فأوحى الله إليه أن (**قل بعصاك**) هكذا، (**فقال**)

قوله: (وقريء ﴿فرّقنا﴾) على بناء التكثير في الكتاب المُحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب، ومن ذلك قراءة الزهريّ أيضًا: (﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ﴾) مشدّدة، انتهى. **قوله**: (**عدد الأسباط**) الأسباط حفدة يعقوب ذراريّ أبنائه الاثني عشر. **قوله**: (﴿بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾) هو القلزم، وقيل: النيل، وكان يوم عاشوراء. وفي باء ﴿بِكُمُ﴾ أوجه:

أوّلها: الاستعانة والتشبيه بالآلة، فتكون استعارة تبعيّة في معنى باء الاستعانة، وإليه أشار المصنّف رحمه الله بقوله: (**فكأنما فرّق بهم**).

والثاني: السببية الباعثة بمنزلة اللام، وإليه أشار بقوله: (**أو فرقناه بسببكم**).

والثالث: المُصاحبة، فيكون ظرفًا مستقرًّا، وإليه أشار بقوله: (**أو فرقناه ملتبسًا بكم**)..

قوله: (**قل بعصاك**)[1] في الأساس قال: بيده أهْوى بها، وقال برأسه أشار، وقال الحائط فسقط مال، وقال برجله أي مشى، كذا أفاده العلامة التفتازاني رحمه الله. وفي النهاية لابن الأثير رحمه الله: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأقوال وتُطلقه على غير الكلام واللّسان، فتقول: قال بيده، أي أخذ، وقال برجله أي مشى، وقالت له العينان سمعًا وطاعة، أي أومأت، وقال بالماء على يده أي قلب، وقال بثوبه أي رفع، وكلّ ذلك على المجاز والاتّساع.اهـ. وأيضًا فيها: ويقال: قال بمعنى أقبل، وبمعنى مال واسْتَراح وضرب وغلب وغير ذلك.اهـ. **قوله**: (**فقال**)

---

(١) أي اضرب. ١٢ منه.

بها (**على الحيطان**) فصارت فيها (**كوى فتراءوا**) و(**تسامعوا كلامهم**). ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (**إلى ذلك وتشاهدونه**) ولا تشكّون فيه.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾

وإنما قال: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ (**لأن الله تعالى وعده**) الوحي (**ووعده هو**) المجيء للميقات إلى الطور. («**وعدنا**» **حيث كان: بصري**). لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب (**ينتهون**) إليه، وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة (**وضرب له**) ميقاتًا (**ذا القعدة**) وعشر (**ذي الحجة**)، وقال: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (**لأن الشهور**

أي فضرب. **قوله**: (**على الحيطان**) في المصباح: قيل للبناء حائط اسم فاعل من الثلاثي، والجمع حيطان. اهـ.

قوله: (**كوى**) بكسر الكاف ممدودًا ومقصورًا جمع كوّة بفتح الكاف وتشديد الواو وبضمّ الكاف مقصورًا جمع كوّة بضم الكاف، ومعناها ثقب البيت. **قوله**: (**فتراءوا**) أي رأى بعضهم بعضًا. **قوله**: (**تسامعوا كلامهم**) أي بكلامهم إذ التسامع متعدّيًا بالباء، فقول المصنّف رحمة الله عليه: وتسامعوا كلامهم من قبيل الحذف والإيصال. **قوله**: (**إلى ذلك**) أي الإنجاء والإغراق. **قوله**: (**وتشاهدونه**)، إنما قال: وتشاهدونه ليكون بيانًا؛ لكون المراد من النظر النظر بالبصر، لأن النظر نظران: نظرُ بصر، ونظر بصيرة.

قوله: (**لأن الله تعالى**)... الخ. لمّا كانت المُواعدة مفاعلة من الجانبين بيّنهما بأنّ الله تعالى وعده الوحي ووعده موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام المجيء للميقات. **قوله**: (**وعده**) أي وعد الله سبحانه موسى عليه السلام. **قوله**: (**ووعده هو**) أي وعد موسى الله سبحانه وتعالى. **قوله**: (﴿**وعدنا**﴾) بغير ألف بين الواو والعين، (**حيث كان**) يعني هٰهنا، وفي الأعراف وطٰه (**بصريّ**) أي قرأه أبو عمرو البصريّ رضي الله تعالى عنه، وقرأ الباقون بألف بين الواو والعين. **قوله**: (**ينتهون**) أي يرجعون. **قوله**: (**وضرب**) بمعنى (**له**) أي لإنزاله. **قوله**: (**ذا القعدة**) بفتح القاف والكسر لغة شهر، كذا في المصباح. **قوله**: (**ذي الحجّة**) بالكسر، وبعضهم يفتح، كذا في المصباح. **قوله**: (**لأن الشهور**) علّة لتخصيص اللّيلة

غررها بالليالي و«**أربعين**» **مفعول ثان)** لـ «واعدنا» لا ظرف لأنه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ (أي إلـهًا) فحذف المفعول الثاني لـ ﴿ٱتَّخَذۡتُمُ﴾. **وبابه بالإظهار مكيّ**) وحفص ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ (**من بعد ذهابه**) إلى

بالذِّكر (**غرّرها باللّيالي**) حين يُرى الهلال. في المصباح: الغُرّة ـ بالضمّ ـ من الشهر أوّله، والجمع غُرر، مثل غرفة وغُرَف. اهـ. **قوله**: (**وأربعين مفعول ثان**) وموسى مفعول أوّل، ولا بدّ من حذف مضاف، أي تمام أربعين، ولا يجوز أن ينتصب على الظرف لفساد المعنى، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جارٍ مجرى جمع المذكّر السالم، وهو في الأصل مفرد اسم جمع سُمّي به هذا العقد من العدد، ولذلك أعربه بعضهم بالحركات. اهـ سمين. وفي حاشيه شيخ زاده: وهٰهنا إشكال، فإن أربعين ليلة إمّا مفعول فيه، ولا يصح؛ لأن المواعدة لم تقع فيها. وإمّا مفعول به، ولا سبيل إليه. أمّا بدون تقدير مضاف، فلأنه لا معنى لمواعدة نفس الزمان. وأمّا مع تقدير المضاف، فلأنه إمّا أن يقدّر أمران، ولم يعهد في العربية تقدير مضافين محذوفين لشيءٍ واحد، نحو: لقيت زيدًا بمعنى ثوبه وفرسه، أو يقدر واحد منهما، ولا يصح تعليق المواعدة به؛ لأن الوحي موجود من الله لا من موسى، والمجيء بالعكس. وأجاب عنه العلامة التفتازاني بأنّ أربعين ليلة في موقع المفعول به باعتبار ما يتعلّق بها من الأحوال والأفعال الصالحة؛ لتعلّق الوعد به، ويكون من الطرفَيْن وعد متعلّق به، إلّا أنه من الله الوحي وتنزيل التوراة، ومن موسى المجيء والاستماع والقبول، وكذا الكلام في كل موضع تبيَّن فيه اختلاف الطرفين في باب المفاعلة، انتهت بحروفها. **قوله**: (**أي إلـهًا**)... الخ. يعني أن اتّخذ هنا بمعنى جعل، فيتعدّى إلى مفعولين، والثاني محذوف لظهوره ولشناعته. **قوله**: (**وبابه**) أي (﴿ٱتَّخَذۡتُمُ﴾) وأخذتم وما جاء منه (**بالإظهار**) أي بإظهار الذال قبل التاء (**مكّي**) أي قراءة ابن كثير[1] المكّي وحفص[2] عن عاصم، والباقون بإدغام الذال في التاء. **قوله**: (**من بعد ذهابه**) يعني أن الضمير لموسى عليه السلام والمضاف محذوف.

---

(١) هو عبد الله بن كثير الداريّ مولى عمرو بن علقمة الكتاني، والداري العطار ويكنى أبا معبد وهو من التابعين، وتوفي بمكّة المكرمة سنة عشرين ومائة. ١٢ منه.

(٢) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي البزاز الكوفي، ويكنى أبا عمرو يُعرف بحفص. قال وكيع: وكان ثقة، وقال ابن معين هو أقرأ مِن أبي بكر، يعني شعبة بن عياش بن سالم الكوفي الأسدي، وتوفي قريبًا من سنة تسعين ومائة. ١٢ منه عمّ فيضه.

الطور، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أي عبدتموه ظالمين.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ محونا ذنوبكم عنكم. ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد اتخاذكم العجل. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (لكي تشكروا) النعمة في العفو عنكم.

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني الجامع بين كونه **(كتابًا منزّلًا)** وفرقانًا **(يفرق بين الحق والباطل)** وهو التوراة ونظيره «رأيت **(الغيث والليث)**» تريد الرجل الجامع بين الجود **(والجراءة. أو التوراة والبرهان الفارق)** بين الكفر والإيمان من العصا واليد **(وغيرهما من الآيات، أو الشرع)** الفارق بين الحلال والحرام.

قوله: (لكي تشكروا). . . الخ. يعني لعلّ مجاز عن الطلب.

تنبيه:

إنما قدّرت لعلّ بكي أخذًا مما قيل: إنّ لعلّ في القرآن بمعنى كي، غير قوله تعالى في الشعراء: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الآية ١٢٩]، فإنها بمعنى كأنّ، أي كأنّكم تخلّدون.

قوله: (كتابًا منزلًا) من الله تعالى، فيه أن التعريف في الكتاب للعهد. **قوله**: (يفرق بين الحق والباطل) ويفرق بين المحقّ والمُبْطِل إشارة إلى وجه التسمية بالفرقان، أصله مصدر أطلق على الفارق للمبالغة؛ فعلى هذا العطف لتنزيل تغاير الصفات منزلة التغاير بالذات، وفائدة إدخال الواو بين الصفات لإعلام استقلال كلّ منهما في المدح. **قوله**: (الغيث) المطر. **قوله**: (اللّيث) الأسد. **قوله**: (الجراءة) الاسم الجرأة، وزان غرفة، والمصدر الجراءة مثل ضخامة. **قوله**: (أو التوراة، والبرهان الفارق). . . الخ. فالعطف حينئذ ظاهر لتغاير المعطوفين ذاتًا، يعني كما يحتمل التغاير بحسب الأوصاف يحتمل التغاير بحسب الذّات. **قوله**: (وغيرهما من الآيات) أي الطوفان والجراد والقمل، أي السّوس الذي نزل في حبوبهم والضفادع والدم والطّمس، أي مسخ أموالهم حجارة، والسّنين أي القحط. قوله: (أو الشرع). . . الخ.

وقيل: الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرّق بينه وبين عدوّه ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **(لكي تهتدوا)**.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ للذين عبدوا العجل. ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ **(معبودًا)** ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ هو الذي خلق الخلق **(بريئًا من التفاوت. وفيه تقريع)** لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي **(برأهم أبرياء)** من التفاوت إلى عبادة البقر **(الذي هو مثل في الغباوة والبلادة)** ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل: هو على الظاهر **(وهو البخع)**.

عطف على قوله: والبرهان الفارق. **قوله**: **(لكي تهتدوا)** قد مرّ وجه تعبيره بلفظ كي.

قوله: (معبودًا) مفعول ثان، والمصدر هنا مضاف للفاعل، وهو أحسن الوجهين، فإنّ المصدر إذا اجتمع فاعله ومفعوله؛ فالأَوْلى إضافته إلى الفاعل، لأن رتبته التقديم. **قوله**: (بريئًا من **التفاوت**) معنى التفاوت عدم التناسب. **قوله**: (وفيه) أي في ذكر الباري جلّ شأنه وعمّ نواله. **قوله**: (تقريع) في محيط المحيط: قرّعه عنّفه.اهـ. وأيضًا فيه: **عنّف** فلانًا لامَه بعُنْف وشدّة وعتب عليه.اهـ. **قوله**: (برأهم) بفتحتين.اهـ مصباح. أي خلقهم (أبرياء) بريء مثل نصيب وأنصباء، كذا في الصحاح.

قوله: (**الذي هو مثل في الغباوة والبَلادة**)، فإنّ في أمثال العرب: فلان أبْلَد من الثور[(١)]، وقوله: (**الغباوة**) في محيط المحيط: غَبِيَ الشيءَ وعن الشّيْء يغبى غبًا وغَبَاوَةً (واويٌّ) لم يفطن له، وغبى عليه الشيء كذلك إذا لم يعرفه، وغَبِيَ عن الخير جَهِلَه، وغَبِيَ منه الشيءُ خَفِيَ.اهـ. **قوله**: (**البلادة**) في محيط المحيط: بَلِد الرجل يبلد وبلُد يبلُد بَلادة، فَتُر طبعه من الابتهاج إلى المجالس العقلية، وضدّ ذكا وفطن.اهـ. **قوله**: (وهو **البخع**) بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة، وهو أن يقتل

---

(١) الثور أبلد من الحمار عند العرب؛ لأن الحمار يظهر التكاسل قبل أن يضعف بالكلية بخلاف الثور، فإنه يظهر الضعف بعدما ضعف بالكلّية. ١٢ منه عمّ فيضه.

(وقيل: معناه **قتل بعضهم بعضًا**. **وقيل**: **أمر مَن لم يعبد العجل**) أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفًا. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التوبة والقتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ من الإصرار على المعصية. ﴿(فَتَابَ عَلَيْكُمْ) إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ (**المفضال**) بقبول التوبة وإن كثرت ﴿الرَّحِيمُ﴾ يعفو (**الحوبة**) وإن (**كبرت**. **والفاء الأولى**) للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة، (**والثانية للتعقيب**) لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم إذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم، (**والثالثة متعلقة بشرط محذوف**) كأنه قال فإن فعلتم (**فقد تاب عليكم**).

الرجل نفسه. وأمّا حمله على قتل بعضهم بعضًا، فتجوز حيث جعل المقتول نفس القاتل، لِمَا بينهما من التعلّق والاتّحاد والاعتقاد. وقوله: قيل أمر تفسير وتفصيل لهذا، كذا أفاده العلّامة التفتازاني رحمه الله. **قوله**: (**وقيل معناه**: **قتل بعضهم بعضًا**)؛ فعلى هذا معنى قوله: (﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾) يقتل بعضكم بعضًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٨٥]، و﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: الآية ٢٩]، و﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٨٤]، وإنّما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتّصاله به نسبًا أو دينًا، فيكون مجازًا في الإسناد لأدنى ملابسة، كذا في تفسير القنوي وغيره. **قوله**: (**وقيل**: **أمر مَنْ لم يعبد العجل**)... الخ. فعلى هذا معنى قوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ استسلموا أنفسكم للقتل، كذا في حاشية مولانا عبد الحكيم رحمه الله. وفي هذا الوجه جعل استسلامهم للقتل قتلًا منهم لأنفسهم على التوسّع. **قوله**: (**المِفْضال**) - بكسر الميم - الكثير الفضل. **قوله**: (**الحَوبة**) في المصباح: الحَوبة - بالفتح - الخطيئة. اهـ. وفي لسان العرب: قال أبو عبيد: حَوْبَتي يعني المأثم، وتفتح الحاء وتُضمّ. اهـ. **قوله**: (**كَبُرت**) من باب قرب عَظُمَت. **قوله**: (**والفاء الأُولى**) أي في قوله: (﴿فَتُوبُوا﴾). **قوله**: (**والثانية**) أي في قوله: ﴿فَاقْتُلُوا﴾ (**للتعقيب**)... الخ. لأن التوبة سواء فسّرت بالعزم أو بنفسها، فالقتل متأخّر عنها، وقد يقال: الفاء للتفسير؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٦]. **قوله**: (**والثالثة**) أي في قوله: (﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ **متعلقة بشرط محذوف**)... الخ. فالفاء إذن جزائية، وتسمّى فصيحة أيضًا لإفصاحها وإنبائها عن ذلك المحذوف. **قوله**: (**فقد تاب عليكم**) قدّر كلمة قد؛ لأن الماضي الغير المصدر بقد ظاهرة أو مقدّرة لا يصح دخول الفاء الجزائية عليه.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ (لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ **عيانًا وانتصابها على المصدر**) كما تنصب (**القرفصاء**) بفعل الجلوس، (**أو على الحال من «نرى»**) أي ذوي جهرة. ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي الموت. (**قيل: هي نار جاءت من السماء**) فأحرقتهم. رُوِيَ أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له: نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة. فقال موسى: سألته ذلك فأباه عليّ. فقالوا: إنك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم. وتعلّقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية (**لأنه**) لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت. قلنا: إنما عوقبوا

قوله: (﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾) أي لن نصدق لك بأن ما نسمعه كلام الله. اهـ كرخي. وأورد عليه أنّ الإيمان إنما يُعدّى بنفسه أو بالباء لا باللام. وأُجيب بأنّ اللام للتعليل لا التعدية، أي لن نؤمن لأجل قولك أو بأن نؤمن ضمن معنى نقرّ، والمؤمن به أعطاه الله إيّاه التوراة، أو تكليمه إيّاه، أو أنه نبيّ، أو أنه تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم. اهـ من أبي السُّعود. **قوله**: (**عِياناً**) العِيان المُعاينة، وأصلها من العين. **قوله**: (**وانتصابها على المصدر**) أي من غير لفظه، والمعنى متّحد. **قوله**: (**القرفصاء**) قال السيوطي رحمه الله: هو بضمّ القاف والفاء بينهما راء ساكنة ثم صاد مهملة ومدّ: جلسة المُحتبي أن يدير ذراعيه ويديه على ساقيه، انتهى. وقوله: جلسة المُحتبي، أي بحيث يكون ركبتاه منصوبتين، وبطن قدميه على الأرض ويداه موضوعتين على ساقيه، وهو من قعدات النبيّ ﷺ. وقال الجوهري: القرفصاء ضربٌ من القعود يُمدّ ويقصر، فإذا قلت: قعد القرفصاء، فكأنّك قلت: قعودًا مخصوصًا، وهو أن يجلس على إلْيتيه ويُلصق ببطنه ويحتبي بيديه ويضعها على ساقيه، وقيل: هو أن يجلس على ركبتيه منكبًا ويُلصق بطنه بفخذيه ويتأبّط كفّيه. **قوله**: (**أو على الحال من** ﴿نَرَى﴾) أي من فاعل ﴿نَرَى﴾. **قوله**: (**قيل: هي نار جاءت من السماء**). . . الخ. حمل الصاعقة على ما يصعقون، أي يموتون بسببه. **قوله**: (**لأنه**) أي الله سبحانه وتعالى.

بكفرهم لأن قولهم: إنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم. ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز **(اقتراح الآيات)** عليهم. ولأنهم لم يسألوا سؤال **(استرشاد)** بل سؤال **(تعنت)** وعناد. ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إليها حين نزلت.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أحييناكم **(وأصله الإثارة)** ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمة البعث بعد الموت.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ جعلنا الغمام يظلّكم وذلك **(في التيه)** سخّر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل **(عمود)** من نار يسيرون في ضوئه **(وثيابهم لا تتسخ**

قوله: **(اقتراح)** أي طلب **(الآيات)**. في لسان العرب: اقترح عليه بكذا تحكّم وسأل.اهـ. **قوله**: **(استرشاد)** أي طلب الهدى. **قوله**: **(تعنّت)** التعنّت سؤال ما لا يليق.

قوله: **(وأصله الإثارة)** أي البعث إثارة الشيء عن محلّه، يقال: بعثت البعير فانبعث وبعثتَ النائم، فانبعث.

قوله: **(في التيه)** التّيه المفازة التي يُتاه فيها، أي يُسافر فيها متحيّرًا، يقال: تاه في الأرض، أي ذهب فيها متحيّرًا. **قوله**: **(عمود)** في محيط المحيط: العَمود ما يُدْعَم به البيت وغيره، وما يتّخذ من الحديد فيُضرب به، ج أعمدة وعَمَدٌ وعُمُدٌ.اهـ. أي بفتحتين وبضمّتين. **قوله**: **(وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى)**، قيل: معناه لا دخان لتلك النار، فتتّسخ الثياب بدخانها، ولا حرارة لها بحيث تَبْلى الثياب لشدَّة حرارتها. **قوله**: **(لا تتسخ)** في محيط المحيط: وَسِخ الثوب يوسخ وياسخ ويَيْسَخ وَسَخًا غلبه الوسَخ، فهو وَسِخ وسّخ الثوب توسيخًا وأوسخه إيساخًا

ولا تبلى) ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾ (الترنجبين) وكان ينزل عليهم مثل (الثلج) من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس (لكل إنسان صاع). ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ كان يبعث الله عليهم (الجنوب فتحشر) عليهم السلوى وهي (السماني) فيذبح الرجل منها ما يكفيه. وقلنا لهم ﴿كُلُواْ (مِن طَيِّبَٰتِ)﴾ لذيذات أو حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾

جعله وَسِخًا وتوسّخ الثوب توسّخًا واتّسخ اتّساخًا واستوسخ استيساخًا بمعنى وسِخ، والوسَخ ما يَعْلو الثوب وغيره من الدَّرَن من قلّة التعهّد، ج أوساخ.اهـ.

وقوله: (ولا تَبْلى) في محيط المحيط: بَلِي الثوب يَبْلَى بِلًى وبَلاءً (يائيٌّ) خَلَق ورثّ ودثر، فهو بالٍ.اهـ. **قوله**: (الترنجبين) بالتاء الفوقية المثنّاة والراء المهملة والجيم والباء الموحدة والياء والنون لفظ يونانيّ استعمله الأطبّاء وفسّروه بطل يقع على بعض النبات. وفي الدرِّ المصون: إنه يقال: طرنجبين بالطاء. وفي حاشية شيخ زاده: الشرنجبين لغة فيه. **قوله**: (الثلج) بسكون اللام. في لسان العرب: الثلجُ الذي يسقط من السماء معروف.اهـ. وفي غياث اللغات: ثلج بفتح أوّل وسكون لام وجيم عربي بمعنى برف ازكشف ومنتخب وكنز.اهـ. وأيضًا فيه: برف فرق درميان برف ويخ أنست كه برف ...ون عبيرن سفيد مثل غبار ميبارد ويخ ...ون موم گداخته قطره قطره مي...كد وانجماد مى پذيرد ومثل سنگ سفيد ميگردد.اهـ. **قوله**: (لكل إنسان) متعلق بينزل. **قوله**: (صاع) اعلم أنّ الصاع أربعة أمْداد، والمدّ رطلان، والرطل نصف منّ، والمنّ بالدراهم مائتان وستّون درهمًا، فالمدّ والمنّ سواء، كلّ منهما ربع صاع رطلان بالعراقي، والرّطل مائة وثلاثون درهمًا، والدرهم أربعة عشر قيراطًا، والقيراط خمس شعيرات، فيكون الدِّرهم الشرعي سبعين شعيرة. **قوله**: (الجنوب) ـ بفتح الجيم ـ أي الرِّيح التي تهبّ من جهة الجنوب. في محيط المحيط: الجَنوب ريح تخالف الشمال مهبُّها من مطلع سُهَيْل إلى مطلع الثريّا، ج جنائب.اهـ. **قوله**: (فتحشر) أي تجمع. **قوله**: (السُّماني) بضم السين وتخفيف الميم والنون والقصر، واحده سماناة، ويستوي فيه الواحد والجمع، طائرٌ معروف. في غياث اللغات: ويقال له بالفارسية: بودنه، وبالهندية: بثير. **قوله**: (﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾)... الخ. الطيّب الحلال، فإنه لحِلّه كان طيّبًا، كما أن الحرام لحُرْمته كان خبيثًا، وأصل الطيّب الطاهر، وسمّي الحلال طيّبًا لأنه لم يتدنّس بكونه حرامًا. وقيل: الطيّب من المباح

(يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾) ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أنفسهم مفعول «يظلمون» وهو خبر «كان».

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعدما خرجوا من التيه. ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي **(بيت المقدس)** أو **(أريحاء)**. والقرية المجتمع من **(قريت)** لأنها تجمع الخلق، أمروا بدخولها **(بعد التيه)**. ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ من طعام القرية وثمارها. ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ **(باب القرية أو باب القبة)** التي كانوا يصلون

هو الذي يَسْتَطْيبه الطبع وتتلذّذ به النفس، وما لم تتلذّذ به النفس ولم يَسْتَطِبه الطبع لا يُسمّى طيّبًا، وإن كان حلالًا مُباحًا. **قوله**: (يعني: **فظلموا بأن كفروا هذه النعم**. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾) فاختصر الكلام بحذفه لدلالة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ عليه، كذا في الكشاف. يريد أنّ المقام يستدعي ترتّب قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ على ما قبله، وليس في الواو معنى الترتيب؛ فدلّ على أنه عطف على مقدّر مرتّب بالفاء على ما تقدّم، وهو فظلموا؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: الآية ١٥] بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: الآية ١٥]، أي فشكرا وقالا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: الآية ٢].

قوله: (بيت المقدس) على وزن المسجد، على أنه مصدر ميميّ بمعنى المطهّر، أو اسم مفعول من التقديس. **قوله**: (أريحاء) بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء وبالحاء المهملة، كزليخاء. وقيل: بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الياء على وزن أصفياء، وهي قريبة من بيت المقدس، وهي قرية الجبارين، وهم قوم من بقايا عاد يقال لهم العمالقة ورئيسهم عوج بن عنق، وقد مرّ نقلًا عن الصحاح أنّ العمالقة قومٌ من أولاد عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح على نبيّنا وعليه السّلام، وهم أممٌ تفرّقوا في البلاد. **قوله**: (قريت) أي جُمِعَت. **قوله**: (بعد التّيه) أي بعد خروجهم من التّيه. **قوله**: (**باب القرية أو باب القبّة**) يعني أنّ الباب للعهد والمعهود. أمّا باب القرية التي أُمِروا بدخولها، أو باب القبّة المضروبة في التّيه التي كانوا يصلّون إليها ويصلّي فيها موسى وهارون على نبيّنا وعليهما

إليها، (**وهم لم يدخلوا بيت المقدس**) في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده. ﴿سُجَّدًا﴾ حال وهو جمع ساجد، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرًا لله تعالى وتواضعًا له. (﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ **فعلة**) من الحط كالجلسة (**وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة، والأصل النصب وقد قُرِىء به بمعنى حطّ عنّا ذنوبنا حطة**)، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات. (**وقيل: أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية**) ونستقرّ

الصّلاة والسلام. في النهاية: القبّة من الخيام بيت صغير مستدير، ولعلّها كانت منزلة المِحراب للمسجد، فإنّ صلاتهم لم تكن صحيحة إلّا في بِيَعهم وكنائسهم، على ما صرَّح به الطيبي في شرح المشكاة في باب فضائل سيّد المرسلين عليه السلام؛ إذ الصلاة في كل موضع من خصائص هذه الأُمّة. **قوله**: (**وهم لم يدخلوا بيت المقدس**)... الخ. هذا دليل على أنّ المراد باب القبّة، لا باب بيت المقدس. **قوله**: (**فُعلة**) أي مصدر للنوع. **قوله**: (**وهي خبر مبتدأ محذوف، أي مسألتنا حطّة أو أمرك حطّة**) يعني أنّ قوله: (﴿حِطَّةٌ﴾) مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف حُذِف لدلالة حال المتكلّم عليه، والتقدير: مسألتنا، أي سؤالنا يا ربّنا حطّة، أي حطّة ذنوبنا، أو لدلالة حال المخاطَب عليه، والتقدير: أمرك وشأنك يا ربّنا حطّة، أي نوع عظيم الشأن من الحطّ، وهو أن تحطّ عنّا ذنوبنا وتخفّف عنا ثِقَل أوزارنا، على أن صيغة الفعلة للنوع، وأن التنوين فيها للتعظيم. **قوله**: (**والأصل النصب**)؛ إذ النصب أصل في المصدر، والرفع عدول عنه؛ ليفيد الاستمرار كما في الحمد لله. **قوله**: (**وقد قُرِىء به**) أي قرأ إبراهيم بن أبي عَبْلَة بالنّصب. **قوله**: (**بمعنى حطّ عنّا ذنوبنا حطّة**) حطّ ماضٍ في موقع الدعاء، أو خبر تفاؤلًا، وعلى كِلَا التقديرَيْن سؤال الحطّ حاصل، فيكون في قوّة مسألتنا حِطّة، فيكون هذا أَوْلى من تقدير نسألك حطّة، أمّا أوّلًا؛ فلإبقائه المصدر على أصله، وهو كونه مفعولًا مطلقًا، ولو للنوع. وأمّا ثانيًا، فلإفادة حصولها تفاؤلًا. **قوله**: (**وقيل: أمرنا حطّة**)، فيكون المراد أمر القائلين وشأنهم لا أمر الله تعالى وشأنه، وهذا قول أبي مسلم الأصفهاني (**أي أن نحطّ في هذه القرية**) رحالنا.

قيل عليه: لو كان المراد ذلك لم يكن غفران خطاياهم متعلّقًا به، لكن قوله تعالى: (﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾) يدلّ على أن غفران الخطايا كان لأجل

فيها. (وعن عليّ) ﷺ وهو بسم الله الرحمٰن الرحيم. (وعن عكرمة): هو لا إلٰه إلا الله. ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ (خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ جمع خطيئة) وهي الذنب. (﴿يغفر﴾: مدني،

قولهم: ﴿حِطَّةٌ﴾، ولذلك ضعف المصنّف رحمة الله عليه هذا القول بقوله: وقيل. ويمكن أن يُجاب عنه بأنه يحتمل أن يكون المراد بقولهم: أُمِرْنا أن نستقرّ فيها، ويجعل الاستقرار فيها وسيلة إلى الدخول سجدًا متواضعين يكون غفران الخطايا متعلّقًا به، فيكون المعنى: وقولوا أُمِرْنا أن نستقرّ فيها حتى نسجد ونستغفر ونتواضع ليغفر الله تعالى ذنوبنا بفضله وكرمه.

قوله: (وعن عليّ) بن أبي طالب القُرَيْشيّ الهاشميّ المكّي المدني الكوفي أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، توفي بالكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر مضان سنة أربعين، ودُفِنَ بها رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (وعن عكرمة)، هو أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس ﷺ الهاشميّ المدني أصله بربريّ من أهل المغرب، وهو من كبار التابعين. توفي سنة أربع ومائة، وقيل: خمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (﴿خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ جمع خطيئة) من الخطأ ضدّ الصواب، لا ضدّ العمد، وأصل خطايا خطايئ بياء بعد الألف ثم بهمزة بعد الياء، فأُبْدِلت الياء الزّائدة همزة لوقوعها بعد الألف، فاجتمعت همزتان فأُبدلت الثانية منهما ياءً لانكسار ما قبلها، فصارت خطائي، فاسْتُثْقِلت الكسرة على الهمزة التي هي حرف ثقيل في نفسها، وبعدها ياء من جنس الكسْرة، فقَلَبوا الكسرة فتحة فتحرّك حرف العلّة وانفتح ما قبله، فقُلِبت ألفًا فصارت خطاءًا بهمزة بين ألفين، فاسْتُثْقل ذلك لأن الهمزة تشبه الألف، فصار كأنه اجتمع ثلاث ألفات، فقلبوا الهمزة ياء، فصارت خطايا؛ ففيها على قول سيبويه ﷺ خمس تغييرات: إبدال الياء المزيدة همزة، وإبدال الهمزة الأصليّة ياء، وقلب الكسرة فتحة، وقَلْب الياء الأصلية ألفًا، وقلب الهمزة المزيدة ياءً. وأصلها عند الخليل خطائي كخضائع قُدّمت الهمزة على الياء فصار خطائي، ثم قُلِبت كسرة الهمزة فتحة، فقُلِبت الياء ألفًا، فقُلِبت الهمزة ياء، فصارت خطايا كما مرّ؛ ففيها على قول الخليل أربع تغييرات: قلب المكان، وإبدال الكسرة فتحة، وقلب الياء ألفًا، وإبدال الهمزة ياءً. **قوله**: (﴿يغفر﴾ مدنيّ) أي قرأ نافع المدني بياء مضمومة على التذكير، مع فتح الفاء.

﴿تغفر﴾: **شامي**. ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ **أي مَن كان)** محسنًا منكم. كانت تلك الكلمة سببًا في زيادة ثوابه ومَن كان مسيئًا كانت له توبة ومغفرة.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولًا غير الذي قيل لهم، فـ«بدل» يتعدّى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء، فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود، يعني وضعوا مكان حطة قولًا غيرها أي أمروا **(بقول)** معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به **(ولم يمتثلوا)** أمر الله. وقيل: قالوا مكان حطة حنطة. وقيل: قالوا **(بالنبطية**

قوله: (﴿**تغفر**﴾ **شاميّ**) أي قرأ ابن عامر الشامي بتاء مضمومة على التأنيث مع فتح الفاء أيضا، وقرأ الباقون بالنون مفتوحة مع كسر الفاء. **قوله:** (﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) السين للتأكيد كسين سنكتب. **قوله:** **(أي مَنْ كان)**... الخ. يشير إلى أن قوله: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عطف على قوله. ﴿يغفر لكم﴾. ولم يجزم بوجود السين وأوثر هذا الطريق ليدلّ على أنه يفعل البتّة، وظهر من البيان أنّ في الكلام جمعًا مع التفريق، فإنّ قوله: ﴿قُولُوا۟﴾ جمع المسيء والمُحسن، وقوله: ﴿نَّغْفِرْ﴾ ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ فرّق بين الفريقين.

قوله: **(بقول)**... الخ. وهو الحطّة. **قوله:** **(ولم يمتثلوا)** في محيط المحيط: امتثل أمره احتذاه وعمل على مثاله وأطاعه.اهـ. وفي المصباح: وامتثلت أمره أطَعْته.اهـ. **قوله:** **(بالنبطية)** النَّبَط والنّبيط جيل من الناس يسكنون بين الكوفة والبصرة، لغتهم غير لغة العرب، وقيل: النّبط زرّاع العراق. في محيط المحيط: النَّبَط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين، قيل: سُمُّوا بذلك لكثرة النّبط عندهم، وهو الماء، وإنّما سُمّي أولاد شيث نباطًا لأنهم نزلوا هناك، هذا أصله ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامّهم، ومنه كلمة نَبَطِيّة، أي عامِّيّة، ويقال لهم أيضًا: نِبيط وأنْباط والواحد نَبَطيّ ونُباطي مثلّثة النون، ونَبَاط كثمان.اهـ. وفي المصباح: النبط جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق، ثم استعمل في أخلاط

حِطًا سَمقاثًا) أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولًا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا. ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾ عذابًا. وفي تكرير «الذين ظلموا» زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ صفة لرجز ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (بسبب فسقهم). رُوِيَ أنه مات منهم (في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا).

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ موضع «إذ» نصب كأنه قيل: واذكروا إذ استسقى أي استدعى (أن يسقى) قومه. ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ (عطشوا في التيه)

الناس وعوامّهم، والجمع أنباط مثل سبب وأسباب، الواحد نباطي بزيادة ألف والنون تضمّ وتُفتح. قال اللّيث: ورجل نبطيّ، ومنعه ابن الأعرابي. اهـ. وفي المحكم: ينزلون سواد العراق وهم الأنباط والنَّسب إليهم نَبَطيّ. اهـ. قوله: (حِطّا سُمقاثًا)... الخ. في القاموس قالوا: حطًّا سمهاثًّا، أي حنطة حمراء. اهـ. وفي شرحه قال الصاغاني: كذلك قال السُّدي ومجاهد، وقال ابن الأعرابي: قيل لهم: قولوا حطّة، فقالوا: حنطة شمقايا، أي حنطة جيّدة. اهـ.

قوله: (بسبب فسقهم) إشارة إلى أن الباء سببية، وما مصدريّة، ولفظ كانوا مُقْحَم. قوله: (في ساعة) واحدة، والمراد الساعة الشرعيّة. قوله: (بالطاعون) في المصباح: الطاعون الموت من الوباء، والجمع الطّواعين. اهـ. ورد الحديث الشريف: «الطاعون رجزٌ»، وبه فسّر هنا؛ لأنّ أوّل وقوع الطاعون فيهم كما قيل. قوله: (أربعة وعشرون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا) ذكر في التيسير: أنه مات به في ساعةٍ واحدة أربعة وعشرون ألف إنسان، ودامَ فيهم حتى بلغوا سبعين ألفًا، والله أعلم.

قوله: (أن يسقى) بصيغة مجهول. قوله: (عطشوا) من باب تَعِب (في التّيه) شروع في تفسير قوله: (﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾)، وكان العطش والتظليل في التيه ودخول

فدعا لهم موسى (بالسقيا فقيل له) اضرب بعصاك الحجر. (واللام للعهد) والإشارة إلى حجر معلوم، فقد رُوِيَ أنه حجر (طوري حمله) معه وكان مربعًا (له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه) ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف (وسعة المعسكر اثنا عشر ميلًا).

القرية بعده، ولم يُراعِ في الترتيب في ذكرهما قصدًا إلى تكثير النِّعم. قوله: (بالسقيا) السُّقيا ـ بالضم ـ اسم مصدر بمعنى تحصيل الماء. وفي المختار: سقاه الله الغيث وأسقاه، والاسم السُّقيا بالضم. اهـ. قوله: (فقيل له)... الخ. معلوم أنه لا قائل إلّا الله سبحانه وتعالى. قوله: (واللام) في الحجر (للعهد) أي للعهد الخارجي. قوله: (طوري) منسوب إلى الطور؛ لأنه أُخِذ منه. قوله: (حمله) أي موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام. قوله: (له أربعة أوجه) أي جوانب، وكان ذراعًا في ذراع. قوله: (كانت تنبع من كل وجه)... الخ. أي من كل طرف يواجه القوم، وهو ما سوى طرف الفوق والتحت. قوله: (تنبع) في محيط المحيط: نبع الماء ينبُعُ وينبِع وينبَع من باب نصر وضرب ومنع نبعًا ونبوعًا ونبعانًا خرج من العين. اهـ. قوله: (وسعة المعسكر) بضمّ الميم اسم مكان موضع إقامة العسكر (اثنا عشر ميلًا) في المصباح: (الميل بالكسر عند العرب) مقدار مدى[1] البصر من الأرض، قاله الأزهري. وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المُحْدِثين أربعة آلاف ذراع، والخلاف لفظي؛ لأنهم اتّفقوا على أنّ مقداره ستّ وتسعونَ ألف أصبَع، والأصبع ستّ شعيرات بطن كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون: الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا، والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا، فإذا قُسِم الميل على رأي القدماء كلّ ذراع اثنين وثلاثين أصبعًا كان المتحصّل ثلاثة آلاف ذراع، وإن قُسِم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكلّ ثلاثة أميال، وإذا قدّر الميل بالغلوات، وكانت كل غَلْوَة أربعمائة ذراع كان ثلاثين غلوة، وإنْ كانت كل غلوة مائتي ذراع كان ستّين غلوة، ويقال للأعلام المبنية في طريق مكّة: أميال؛ لأنها بُنِيَت على مقادير مَدى البصر من الميل إلى الميل، وإنما أُضيف إلى بني هاشم، فقيل: الميل الهاشمي، لأن بني هاشم حدّدوه وأعلموه، انتهى بحروفه.

(١) أي غايته. ١٢ منه.

(أو للجنس) أي اضرب الشيء الذي يُقال له الحجر، (وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة. ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ الفاء متعلقة بمحذوف) أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة، أو فإن ضربت فقد انفجرت (وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا

قوله: (أو للجنس) عطف على قوله للعهد، فإنّ اللام التي يُشار بها إلى حصّة معيّنة من الجنس يقال لها لام العهد، والتي لا تكون للإشارة إلى حصّة معيّنة يقال لها لام الجنس، سواء أُشير بها إلى نفس الحقيقة من حيث هي، أي باعتبار وجودها في ضمن جميع الأفراد أو في ضمن بعض الأفراد، ويقال لها: لام العهد الذهني، والمراد بلام الجنس هٰهنا لام العهد الذهني، والمعنى: فقلنا له اضرب الشيء الذي يقال له الحجر، أيّ حجر كان. عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه تعالى لم يَأْمُره أن يضرب حجرًا بعينه، (و) قال: (هذا) أي كون المراد جنس الحجر لا حجر بعينه (أظهر في الحجة وأَبين في القدرة)، أي أظهر في كونه معجزة لموسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام؛ إذ لا يقولون حينئذ: إنّ ذلك خاصّة بهذا الحجر المخصوص، وأيضًا هو أَبْيَن لكمال القدرة. قوله: (الفاء متعلّقة بمحذوف). إمّا على طريقة تعلّق المعطوف بالمعطوف عليه المحذوف، أو على طريقة تعلّق الجزاء بالشرط المحذوف، وتقدير الكلام على الأوّل، فضرب فانفجرت؛ وعلى الثاني: فإن ضربت فقد انفجرت، وقدّرت كلمة قد بعد الفاء الجزائية لما تقرّر أن فاء الجزاء إذا دخلت على الماضي الصريح لا بدّ من قد ظاهرة أو مقدّرة لتحقيق ما دخلت هي عليه من الفعل الماضي باقيًا على أصل معناه، فكأنه قيل: إن ضربته فقد انفجرت منه قبل ضربك، وانفجارها وإنْ كان مسبَبًا مترتّبًا على ضربه، إلّا أنه جعل متحقّق الوقوع قبل الضرب مبالغةً في ترتّبه عليه وعدم تخلّفه عنه أصلًا، ولو زمانًا يسيرًا؛ فكأنّ الانفجار أمر مستمرّ فيه وحاصل قبل الضرب، وفيه مبالغة عظيمة. **قوله**: (وهي) الفاء في (﴿فَانفَجَرَتْ﴾ على هذا) أي على تقدير فضرب فانفجرت (فاء فصيحة[1] لا تقع إلا

---

(١) وجه تسميتها بالفصيحة كونها مختصّة بكلام الفصحاء، لقوله: لا تقع إلا في كلام بليغ، ووجد في الحاشية المنسوبة إلى صاحب الكشاف أن الفاء في فتاب تسمى فصيحة يستدلّ بها على فصاحة المتكلّم، يقال: كلام فصيح وكلمة فصيحة وصفت الفاء بها على الإسناد المجازي. ١٢ منه عمّ فيضه.

في كلام بليغ). ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (على عدد الأسباط وقرىء بكسر الشين وفتحها وهما لغتان).

في كلام بليغ) بخلاف الفاء الجزائيّة، فإنّها تقع في كلام العامّي، قالوا: وجه البلاغة هٰهنا أنّ فيه فائدتين لا يهتدي إليهما غير البلغاء: أحدهما الدلالة بالحذف على أن المأمور امتثل الأمر على الفور. والثانية أنّه لمّا ذكر عقيب الأمر بالضرب الانفجار دلّ على أن المطلوب بالضرب الانفجار لا الضرب؛ فلهذا حذف الضرب وصرَّح بأثره وهو الانفجار، كذا أفاده العلّامة ابن التمجيد في حاشيته على تفسير البيضاوي، ثم لا يذهب عليك أنّ الفاء[1] فصيحة على التقديرين[2] عند الأكثرين لإفصاحها وإنبائها عن المحذوف، وعلى التقدير الأوّل عند السكاكي حيث فسّر الفاء الفصيحة بأنها التي تدلّ على محذوف غير شرط هو سبب لما بعدها. وفي الجمالين: قوله: (فضرب) إشارة إلى أن الفاء فصيحة متعلّقة بمحذوف، أي فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت. ومَنْ زعم أنّ الفاء على تقدير الشرط ليست بفصيحة، إنما هي جزائية، فقد وهم، انتهى. فافهم. **قوله:** (﴿ٱثْنَتَا﴾) فاعل انفجرت، والألف فيه علامة الرفع؛ لأنه محمول على المثنّى وليس بمثنّى حقيقة؛ إذ لا واحد له من لفظه. **قوله:** (على عدد الأسباط) أي القبائل، وإنما جُعِلَت العين على هذا العدد؛ لأن بني إسرائيل كانوا اثني عشر سبطًا، وكانوا لا يأتلفون، وكان كل سبط لا يتزوّج من سبط آخر إرادة تكثير سبط نفسه، وذلك يستلزم أن يكون بينهم نوع عصبية ومخالفة، فجعل لكل سبط مشرب على حِدَة من عينٍ على حدة، لئلا يتنازعوا. قال المفسّرون: كان في ذلك الحجر اثنتى عشرة حفرة، فكانوا إذا نزلوا وضعوا الحجر، وجاء كل سبط إلى حفرته، فحفروا الجداول إلى أهلها؛ فذلك قوله تعالى: (﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾)، أي موردهم وموضع شربهم من العين، لا يخالطهم فيها غيرهم. **قوله:** (وقُرىء بكسر الشين وفتحها، وهما لغتان) كسر الشين لغة تميم، وقرأ الأعمش (﴿عَشَرَةَ﴾) بفتح الشين، وفيه لغة ثالثة اختارها المصنف رحمة الله عليه، وهي ﴿عَشْرَةَ﴾

---

(١) وهي الفاء التي دلّت على حذف محذوف غير شرط هو سبب لما بعد الفاء سميت فصيحة لأنها تفصح أي تظهر عن محذوف. ١٢ منه عمّ فيضه.

(٢) فعلى هذا، هذا إشارة إلى التعلّق بمحذوف. ١٢ منه عمّ فيضه.

(و﴿عَيْنًا﴾ تمييز). ﴿قَدْ (عَلِمَ) كُلُّ أُنَاسٍ﴾ (كل سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾) عينهم (التي يشربون منها). وقلنا لهم: (﴿كُلُوا﴾) من المن والسلوى. (﴿وَاشْرَبُوا﴾) من ماء العيون. ﴿مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ أي الكل (مما رزقكم الله). ﴿وَلَا تَعْثَوْا) فِي الْأَرْضِ﴾ لا تفسدوا فيها. والعيث أشد الفساد ﴿مُفْسِدِينَ﴾ (حال مؤكدة) أي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم (لأنهم كانوا متمادين فيه).

بسكون الشين، وهي لغة الحجاز. وفي الكتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ولغات العرب: ومن ذلك قراءة الأعمش: ﴿اثنتا عشرة﴾ بفتح الشين. قال أبو الفتح: القراءة في ذلك عَشْرة وعشِرة، فأمّا عشَرة فشاذّ، وهي قراءة الأعمش، انتهى.

قوله: (و﴿عَيْنًا﴾ تمييز) أي منصوب على أنه مميّز للعدد، وهي مؤنّث سماعي، سُمّيت عين الماء عينًا تشبيهًا لها بالعين الباصرة من حيث أن الباصرة أشرف ما في الرأس، كما أن عين الماء أشرف ما في الأرض؛ ولأن الماء يخرج من هذه كالدمع يخرج من تلك. **قوله:** (كل سبط) السبط من بني إسرائيل كالقبيلة.

قوله: (﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾) مفعول قوله: (﴿عَلِمَ﴾) بمعنى عرف، والمشرب إمّا اسم مكان، أي محل الشراب، أو مصدر ميميّ بمعنى الشرب، وظاهر كلام المصنف رحمه الله الأوّل. **قوله:** (التي يشربون منها) إشارة إلى أن الجملة صفة عينًا، والعائد مقدّرٌ. **قوله:** (مما رزقكم الله) جعل الرزق بمعنى المرزوق وفصله إلى طعام نظرًا إلى (﴿كُلُوا﴾)، وإلى الماء نظرًا إلى (﴿وَاشْرَبُوا﴾)، والقرينة على تعيين المأكول ما تقدّم من ذكر المنّ والسلوى في القصة السابقة. **قوله:** (حال مؤكّدة) لأن (﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾) معناه لا تفسدوا، وهو فاسد؛ لأن النهي عن الفساد في حال الفساد إثبات للفساد ونفي له، وهو غير جائز؛ ولهذا حمل المصنف رحمة الله عليه معنى العثي على التمادي في الفساد حيث قال: والعثي أشدّ الفساد، فقيل لهم: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم؛ لأنهم كانوا متمادين فيه. **قوله:** (لأنهم كانوا مُتمادين فيه) يعني ورد الكلام نهيًا لهم عمّا كانوا عليه، وإلّا فالفساد منكر منهيٌّ كيف ما كان. قوله: (متمادين) في المصباح: تمادى فلان في غيِّه إذا لجّ ودام على فعله. اهـ.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ هو ما رزقوا في التيه من المنّ والسلوى. وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان (لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل، ولو كان) على (مائدة الرجل) ألوان (عدة) يداوم عليها كل يوم (لا يبدلها يقال) لا يأكل فلان إلا طعامًا واحدًا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف. (أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معًا من طعام أهل التلذذ

قوله: (لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل)... الخ. أي يريدون بوحدة الطعام نفي التبدّل والتغيّر، فكأنهم قالوا: لن نصبر على طعام غير متبدّل ولا متغيّر، فذكروا الملزوم وأرادوا اللازم؛ إذ عدم التغيّر لازم للواحد، فوحدته على نهج واحد وعدم تبدّله بحسب الأوقات، كما يقال: طعام مائدة الأمير واحد، مع أنه ألوان شتى بقرينة ذكر الأمير بمعنى أنه لا يتبدّل بحسب الأوقات. **قوله**: (ولو كان)... الخ. فيه تأييد لقوله: (أرادوا بالواحد ما لا يتبدل). **قوله**: (عدة) بكسر العين وتشديد الدال، أي متعدّدة، ويجوز أن يكون بضم العين أي مهيّأة للأكل. **قوله**: (مائدة الرجل) في محيط المحيط: المائدة الخوان عليه الطعام. اهـ. وأيضًا فيه: الخِوان والخُوان ما يُوضع عليه الطعام ليؤكل، قيل: ولا يسمّى خوانًا إلّا إذا كان عليه الطعام، وفي فقه الثعالبي: لا يقال مائدة إلّا إذا كان عليها طعام، وإلّا فهي خُوانٌ، وعليه جرى شارع المقامات، قال: الخوان ما يُوضع عليه الطعام، وبعد وضع الطعام عليه يسمّى مائدة، وهو فارسيّ معرّب، ج أخْوِنة وخُوْن. اهـ باختصار. **قوله**: (لا يبدّلها) جملة مؤكّدة لقوله: يُداوم عليها. **قوله**: (يقال) جواب لو. **قوله**: (أو أرادوا أنهما ضرب) أي نوع (واحد) أي يريدون بوحدته وحدة نوعيّة مع تعدّد شخصه. **قوله**: (لأنهما) أي المنّ والسلوى (معا من طعام أهل التلذّذ) إشارة إلى أن منشأ وحدة النّوع وصفٌ عرضيّ، لا أنهما متّحدان في

والترف) وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا (ما ألفوا) من (البقول والحبوب) وغير ذلك ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ سله وقل له أخرج لنا ﴿يُخْرِجْ لَنَا﴾ يظهر لنا (ويوجد) ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ هو ما أنبتته الأرض من (الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس

النوع كما هو المشهور؛ فالوحدة على كِلَا الوجهين مجاز، والفَرْق بين الوجهين مع أن منشأ الوحدة وصف عرضيّ فيهما هو أن الوصف في الأوّل عدمي إن عدم التغيّر، وفي الثاني وجوديّ، أي كونهما ناعمين لذيذين، وكونهما طعام أهل التنعّم. قوله: (والترف) أي التنعّم. في محيط المحيط: تَتَرَّفَ الرجلُ تَنَعَّمَ. اهـ. قوله: (ما ألفوا) من الإلفة. قوله: (البقول) البقل كل ما أنبتته الأرض واخضرّت به من النّجم، أي ممّا لا ساق له، وجمعه بقول. قوله: (والحبوب) في محيط المحيط: الحَبَّة واحدة حبّ الحنطة ونحوها من الحبوب، ج حباب وحبوب وحُبّان. اهـ.

قوله: (ويوجد) من الإيجاد عطف تفسير. قوله: (الخضر) جمع خضرة، وهي لون الأخضر. وَصَفَ النبات بالخضرة مبالغة في خضرته على طريق رجل عدل. قوله: (والمراد به) هٰهنا (أطايب البقول) التي تأكلها الناس. وقوله: (أطايب) جمع أطيب، والأطايب الخيار من كل شيء. قوله: (كالنعناع) في محيط المحيط: النَّعْنَاع والنُّعْنُع والنَّعْنَع أو الآخر وهو بقل طيّب الرائحة يؤكل ويتداوى به، الواحدة نَعْنَاعة ونعنعة. اهـ. ويقال له بالفارسية والهندية: پودينه.

قوله: (والكرفس) في محيط المحيط: الكَرَفْس بقلة كالبقدوس تؤكل. قال الأزهري: وأحسبه دخيلًا، والكُرْفُسْ بوزن قنفذ القطن. اهـ. وأيضًا فيه البَقْدُونِس والبَقْدَنوس بقل حارٌّ يؤكل بالخلّ والملح ومع غيرهما، وأصله دواء محلّل للرياح، الواحدة بقدونسة أو بقدونوسة. اهـ. وفي غياث اللّغات: كرفس ـ بفتحتين وسكون فا وسين مهملة دوائيست مانند اجوائن بوى أن ناخوش وتيزباشد وأن اجمود ولايتى است وازخواص اويكى اين است كه كُدم گزيده اگربخورد في الحال بميرد. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب: كَرَفْس بالتحريك بهندى اجمود عظيم المنافع مدر محلّل للرياح والنفخ مُنَقٍّ للكُلَى والكبد والمثانة مُفَتِّح سددَها مقوّ للباءة، لا سيما بزره مدقوقًا بالسكر والسمن عجيب إذا شُرِب ثلاثة أيام ويَضُرّ بالأجنّة

والكراث) ونحوهما مما يأكل الناس. ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾ **(يعني الخيار)** ﴿وَفُومِهَا﴾ هو الحنطة أو **(الثوم لقراءة ابن مسعود و«ثومها»)** ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ **(أقرب منزلة وأدون مقدارًا)** والدنو والقرب يعبر بهما عن قلّة المقدار ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ أرفع وأجلّ. ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ من الأمصار **(أي انحدروا إليه)** من التيه.

والحبالى والمَصْرُوعِين. اهـ. **قوله**: **(والكَرّاث)** في منتهى الأرب في لغات العرب: كرّاث كرمّان نوعي ازتره وگندنا. اهـ.

وفي محيط المحيط: الكُرّاث ويفتح بقلٌ خبيث الرائحة منه ما يَشْبه البصل، وهو الشامي، ومنه يشبه الثوم، وهو النّبطي، ومنه ما لا رؤوس له ويسمّى بمصر كرّاث المائدة، الواحدة كرّاثة. اهـ. **قوله**: **(يعني الخيار)** ككتاب، يقال بالهندية: كَلَرى، وبالفارسيّة خيار وكَلَوْنده. في منتهى الأرب خيار ككتاب خيار تره معرب است. اهـ. **قوله**: **(الثوم)** بالضم سير بستانى است وبرى وثومة يك ازثوم، كذا في منتهى الأرب. وفي غياث اللغات: ثوم بالضم سير بهندى لَهْسَنْ گويند. اهـ. **قوله**: **(لقراءة ابن مسعود)**، وكذا ابن عباس رضي الله تعالى عنهم: (﴿وثومها﴾) بالثاء، وهذه القراءة شاذّة. في كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات ولغات العرب، ومِنْ ذلك قراءة ابن مسعود وابن عباس: ﴿وثومها﴾ بالثاء. قال أبو الفتح: يقال: الثوم والفوم بمعنًى واحد؛ كقولهم: جَدَث وجَدَف، وقام زيد ثم عمرٌ، ويقال أيضًا: فم عمرو، فالثاء بدل فيهما جميعًا. ألا ترى إلى سعة تصرّف الثاء في جدث، لقولهم: أجداث، ولم يقولوا: أجداف، وإلى كثرة ثم وقلّة فم، يقال: الفوم الحنطة، قال:

قد كنتُ أحْسَبُني كأغْنى واحدٍ ... ورَد المدينة من زِراعة فومِ

أي حنطة. اهـ. **قوله**: **(أقرب منزلة)** وهذا يستلزم أخسية القدر، ولهذا عطف **(وأدون مقدارًا)** عطف تفسير. **قوله**: **(أي انحدروا إليه)** الانحدار الانهباط، كذا في مختار الصحاح. وفي حاشية شيخ زاده رحمة الله عليه: قوله: انحدروا إليه، أي انزلوا، يحتمل أن يكون التيه في صعود، ويكون المصر في هبوط. ويحتمل أن يكون الهبوط مُطلق النزول من غير أن يلاحظ كونه من أعلى إلى أسفل. اهـ.

وبلاد التيه ما بين (بيت المقدس إلى قنسرين) وهي اثنا عشر (فرسخًا) في ثمانية فراسخ، أو مصر فرعون. وإنما صرفه من وجود السببين وهما التأنيث والتعريف (لإرادة البلد، أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما) العجمة والتعريف

قوله: (بيت المقدس) على وزن المسجد على أنه مصدرٌ ميميّ بمعنى المطهر، أو اسم مفعول من التقديس. **قوله**: (قنسرين) في محيط المحيط: قِنَّسْرِيْنَ وقِنَّسْرُون وتُكسر نونهما كورة بالشام.اهـ. وأيضًا فيه: الكُوْرة المدينة والصقع.اهـ. وأيضًا فيه الصُّقْع الناحية، يقال: ما في هذا الصُّقع مثله، أي في هذه الناحية، ج أصْقاع.اهـ.

قوله: (فرسخًا) الفرسخ ثلاثة أميال. **قوله**: (لإرادة البلد) أي صرف لكون مسمّاه في تأويل البلد بدون تاء التأنيث، فلا يكون في مصر حينئذ سوى العلمية إذا لم يُطلق على مسمّاه، باعتبار كونه بلدة حتى يجتمع فيه العلمية والتأنيث. وإنْ جُعِل اسم جنس لا يكون فيه شيء من أسباب منع الصرف. **قوله**: (أو لسكون وسطه) أي أو صُرِف حيث قيل مصرًا بالتنوين لكونه ثلاثيًّا ساكن الأوسط، ومثله يجوز فيه الأمران، فلذلك مُنِع الصرف في قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرُف: الآية ٥١]. **قوله**: (كنوح) في تهذيب الأسماء: إنه اسمٌ أعجميّ، والمشهور صرفه. وقيل: يجوز صرفه وترك صرفه.اهـ. وأيضًا فيه: كان نوح أطول الأنبياء عمرًا ولم ينقص له قوّة، والناس بعده من ذرّيته، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٧٧].اهـ. وفي الخازن: اسمه عبد الغفار، وهو ابن لمك ـ بفتح الميم وسكونها ـ ابن متوسلخ بن أخنوخ، وهو إدريس، وهو أوّل نبيّ بعثه الله بعد إدريس، وسُمّي نوحًا لكثرة ما ناح على نفسه. واختلفوا في سبب نَوْحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك، وقيل: لمراجعته ربّه في شأن ولده كنعان، وقيل: لأنه مرّ بكلبٍ مجزوم، قال له: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعِبْتني أمْ عِبْت الكلب؟ انتهى باختصار. (ولوط) بن هاران بن تَارَخْ، وهو آذر، فلوط ابن أخي إبراهيم الخليل على نبيِّنا وعليهم الصلاة والسلام، وإبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام عمّه، فليس لوط من أنبياء بني إسرائيل. قال الثعلبي: كان إبراهيم يحبّه حبًّا شديدًا، وهو أحد رسل الله عزّ وجلّ الذين انتصر لهم بإهلاك مكذّبيهم. (وفيهما) أي في نوح ولوط.

﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيها ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي فإن الذي سألتم يكون في الأمصار لا في التيه. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي (الهوان) والفقر (يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه).

قوله: (الهوان) في لسان العرب: الهَوان نقيض العزّ. اهـ. قوله: (يعني: جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه) على سبيل الاستعارة بالكناية، ولا بدّ لها من قرينة تكون استعارة تخييليّة، وهي هٰهنا إثبات ما هو مِنْ لوازم المشبّه به، وهي القبّة للمشبّه الذي هو الذِّلّة، فإنّ الضرب من لوازم القبّة وأثبت للذِّلّة؛ فالكلام من قبيل الاستعارة المكنية المقرونة بالاستعارة التخييليّة. قوله: (فهم) مبتدأ (وفيها) خبره، والفاء للنتيجية. وقوله: (كما يكون)... الخ. الكاف صفة مصدر محذوف، وما مصدريّة، أي مستقرّون فيها استقرار مَنْ ضُرِبت عليه القبّة في القبّة. قوله: (أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه) عطف على قوله: جعلت الذِّلّة... الخ. يعني أن الاستعارة إمّا في الذلّة بأن شبّهت الذلّة بالقبَّة المضروبة على الشيء. وإمّا في قوله: ضُرِبت، بأنْ شبّه إلصاق الذلّة بهم ولزومها لهم بضرب الطّين على الحائط وإلصاقه به، ثم استُعير اسم الضرب المشبّه به لإلصاق الذلّة، واشتقّ من الضرب بهذا المعنى لفظ ضربت، فهو استعارة تحقيقية تبعيّة لا مكنيّة وتخييلية. قوله: (ضربة لازب) صفة مصدر محذوف. قال العلامة التفتازاني رحمه الله في حاشيته على الكشاف: لَزبَ[1] الشيء يلزب ـ بالضم ـ لَزِق، وطين لازب، واللازب الثابت، ومنه صار الشيء ضربة لازب، انتهى بحروفه. وفي لسان العرب: اللَّزْبة الشدّة، ومنه قولهم: هذا الأمر ضربة لازب، أي لازم شديد، ولزَب الشيء يلزُب ـ بالضم ـ لَزْبًا ولُزُوبًا دخل بعضه في بعض، ولَزَب الطّين يلزُب لُزُوبًا ولَزُب لَصِق وصَلُب، وفي حديث عليّ عليه السلام: ولاطَها بالبَلّة حتى لَزِبت، أي لَصِقت ولَزِمت، وطين لازب أي لازق، قال الله تعالى: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصّافات: الآية ١١]. قال

(١) من باب قعد، كذا في المصباح. ١٢ منه عمّ فيضه.

فاليهود (صاغرون أذلاء) أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية. (﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾: حمزة وعلي، وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة).

الفرّاء: اللازب واللاتب واللاصق واحد، والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازم ولازب، يُبْدِلون الياء ميمًا لتقارب المخارج. قال أبو بكر: معنى قولهم: ما هذا بضربة لازب، أي ما هذا بلازم واجب، أي ما هذا بضربة سيف لازب، وهو مثل، واللازب الثابت وصار الشيء ضربة لازب، أي لازمًا، هذه اللغة الجيّدة وقد قالوها بالميم، والأول أفصح.اهـ.

قوله: (ميلزمه) أي الطين الحائط. قوله: (صاغرون) أي أذِلَّاءُ. في محيط المحيط: الصاغر المُهان والراضي بالذلّ، ج صَغَرة وصاغرون.اهـ. قوله: (أذلاء) في محيط المحيط: ذلّ الرجل يَذِلُّ وذُلالة وذِلّة ومَذَلّة وذَلالةً هانَ ضِدُّ عزَّ، فهو ذليلٌ وذُلّانٌ، ج ذلال وأذِلّاءُ وأذِلّة. قوله: (﴿عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ حمزة وعلي، وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة) أي قرأ حمزة وعليّ ﴿عليهم﴾ بضم الهاء والميم وصلًا، وفي الوقف حمزة على أصله، وعليّ بكسر الهاء. وقوله: (حمزة) أي أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيّات، كان أحد القرّاء السبعة، وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة، وأخذ هو عن الأعمش، وإنما قيل له: الزيات؛ لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فعُرف به. وتوفي سنة ستّ وخمسين ومائة بحلوان ـ بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون ـ وهي مدينة في أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل. وقوله: (وعليّ) أي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان بن فيروز الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القرّاء السبعة.

روى الكسائي عن أبي بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم، ورَوَى عنه الفراء وأبو عُبيد القاسم بن سلام وغيرهما. وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة بالريّ، وكان قد خرج إليها صحبة هارون الرشيد. والكسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة، وإنما قيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة، وجاء إلى حمزة بن حبيب الزيّات وهو مُلتفّ بكساء، فقال حمزة: مَنْ

(وبكسر الهاء والميم: أبو عمرو. وبكسر الهاء وضم الميم: وغيرهم. ﴿وَبَآءُو﴾ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ من قولك («باء فلان بفلان») إذا كان (حقيقًا) بأن يقتل به لمساواته له. أي صاروا أحقّاء بغضبه. (وعن الكسائي رجعوا) ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلّة والمسكنة (والخلافة) بالغضب. ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (بالهمزة: نافع) وكذا بابه. أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء. وقد قتلت اليهود (شعياء وزكريا

يقرأ؟ فقيل له: صاحب الكساء، فبقي عليه، وقيل: بل أحرم في كساء، فنُسِب إليه.

قوله: (وبكسر الهاء والميم، أبو عمرو) أي قرأ أبو عمرو البصري بكسر الهاء والميم وقفًا ووصلاً. **قوله**: (وبكسر الهاء وضمّ الميم وغيرهم) وصلًا، وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم. **قوله**: (﴿وَبَآءُو﴾) الألف في باؤوا منقلبة عن واو؛ لقولك في المستقبل: يبوء. **قوله**: (باء فلان بفلان) صار كفؤًا له. **قوله**: (حقيقًا) أي خليقًا. في صحاح الجوهري: وهو حقيق أن يفعل كذا، وهوحقيق به ومحقوق به، أي خليقٌ له، والجمع أحقّاء ومحقوقون.اهـ.

قوله: (وعن الكسائي: رجعوا)، فإنّ العرب تقول لمن قَدِم من سفر التجارة: إنه باء بالربح وبالخسران، أي رجع. **قوله**: (والخلاقة) مصدر خلُق بكذا بالضم صار خليقًا به. **قوله**: (﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالهمزة نافع) أي قرأ نافع المدني ﴿النبيين﴾ بالهمزة على الأصل؛ لأنه من النبأ وهو الخبر، والباقون بغير همزة على البدل، فإن قُلِبت الهمزة ياء ثم أُدغمت الياء الزائدة فيها. وقيل: مَنْ لم يهمز أخذه من النبوّة، وهو الارتفاع؛ لأن رتبة النبيّ ارتفعت عن رُتَب سائر الخلق. **قوله**: (شَعياء) بن أمضيا ـ بفتح الشين المعجمة وسكون العين والياء التحتانية بنقطتين بالقصر ـ وكان نبيًّا قبل زكريا ويحيىٰ وعيسى، وشعيا هو الذي بشّر بيت المقدس حين شكى إليه الخراب، فقال: أبشر فإنه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير، يعني بشر بعيسى ونبيّنا ﷺ، ولمّا أرادوا قتله هرب منهم، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها، فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه، وهو في وسطها. **قوله**: (وزكريا) النبيّ صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلّم، أبو يحيىٰ وفيه خمس لغات

ويحيىٰ) صلوات الله عليهم. (والنبيّ من النبأ لأنه يخبر عن الله تعالى «فعيل» بمعنى «مفعل» أو بمعنى «مفعَل»).

أشهرها زكرياء بالمدّ، والثانية بالقصر، وقُرِىء بهما في السَّبْع، والثالثة والرابعة زكريّ وزكرى بتشديد الياء وتخفيفها، حكاهما ابن دريد، وحكاهما من المتأخّرين الجواليقيّ، والخامسة زكر كقلم، حكاها أبو البقاء. قال الجواليقي: فمَنْ مدَّ قال في التثنية: زكرياءان، وفي الجمع: زكرياؤون، ومَنْ قصر قال: زكريّيان وزكريّيو، ومَنْ قال: زكريّ قال: زكريّان كمدنيان، وزكريّون كمدنيّون، ومَنْ خفّف قال: زكريان وزكريون، وأنه اسم أعجمي. وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريّا نجارًا»، وهذه من الفضائل؛ لقوله ﷺ في صحيح البخاري: «أفضل ما أكل الرجل مِنْ عمل يده». قال أهل التواريخ: كان زكريّا من ذرّية سليمان بن داود على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام، وقُتِل[1] زكريا بعد قتل يحيىٰ ابنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. **قوله**: (**ويحيىٰ**) بن زكريا صلّى الله على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام، ولفظ يحيىٰ لفظ عجمي. وقال الواحدي: يحيىٰ لا ينصرف عربيًّا كان أو عجميًّا، امتنع لشبه الفعل مع التعريف. قال العلماء: أوّل من سُمِّي بيحيىٰ ابن زكريا صلّى الله على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية ٧]. قال الواحدي: قال المفسّرون: أوّل مَنْ آمن بعيسى يحيىٰ، وكان يحيىٰ أسنّ من عيسى على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسّلام. قال الثعلبي: كان مولد يحيىٰ قبل مولد عيسى بستّة أشهر. قال العلماء بالتاريخ: قُتِل يحيىٰ قبل أبيه زكريّا، وفضائله في القرآن والأحاديث مشهورة، واتّفقوا على أنه قُتِل ظلمًا شهيدًا، وأُخِذَ رأسه ووُضِعَ في طست وغضب الله تعالى على قاتليه وسلّط عليهم بُخت نصّر وجيوشه، فجاسوا خلال الدّيار، وكان وعدًا مفعولًا. **قوله**: (**والنبيّ**) مأخوذ عند البعض (**من النبأ**)، وهو الخبر (**لأنه يخبر عن الله تعالى**) لكنه خفّف بأن قُلِبت الهمزة ياء ثم أُدغمت الياء الزّائدة فيها، فهو (**فعيل بمعنى مُفْعِل**) بكسر العين، يعني يُنْبِىء عن الله تعالى (**أو بمعنى مفعَل**) بفتح العين، أي المُنْبَىء أنبأ الله تعالى بالإيحاء، وكِلَا المعنيَيْن صحيحان؛ لأن النبيّ مُخْبِر عن الله **تعالى** ومُخْبر؛ لأن الله **تعالى** أخبره

---

(١) كما قتل شعيا، أي بالمنشار على نبيّنا وعليهما الصلاة والسلام. ١٢ منه.

(أو من نَبا أي ارتفع)، والنبوّة المكان المرتفع. ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ عندهم أيضًا فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئًا يستحقون به القتل عندهم في التوراة. وهو في محل النصب على الحال من الضمير في «يقتلون» أي يقتلونهم مبطلين (﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة). ﴿بِمَا (عَصَوا) وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ (بسبب ارتكابهم) أنواع المعاصي

بالإيحاء (أو من نَبا، أي ارتفع) أي الأكثرون على أنه مأخوذ من النُّبُوّ بمعنى الارتفاع، فهو فعيل بمعنى مفعول غير مهموز.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾ تكرار للإشارة) أي أن ذلك الثاني إشارة إلى ما أُشير إليه بذلك الأوّل بعينه، أي ضرب الذلّة والمسكنة والخلاقة بالغضب. قوله: (﴿عَصَوا﴾) أصله عصيوا تحرَّكت الياء وانفتح ما قبلها فقُلِبت ألفًا، فالتقى ساكنان: هي والواو، فحُذِفت لكونها أوّل الساكنين، وبقيت الفتحة تدلّ عليها، والواو هنا تدغم في الواو التي بعدها؛ لأنها مفتوحٌ ما قبلها، فلم يكن فيها مدّ يمنع من الإدغام، وله في القرآن نظائر؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧]، ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٧] فإنّ انضمّ ما قبل هذه الواو نحو: آمنوا وعملوا، لم يجز إدغامها؛ لأن الواو المضموم ما قبلها يطول مدّها، فيجري مجرى الحاجز بين الحرفين.

قوله: (بسبب ارتكابهم... الخ. أي أن في الآية اسمي الإشارة وبائين، واسم الإشارة الثانية إمّا أن يكون تكرارًا للأُولى أو لا، وعلى كل من التقديرَيْن كلُّ واحدةٍ من الباءين إمّا أن تكون سببية أو بمعنى مع، وإمّا أن تكون الأُولى بمعنى مع، والثانية للسببية أو بالعكس، فإنْ كانت الإشارة الثانية تكرارًا للأُولى، فلا يجوز أن تكون الباءان سببيتين كَيْلا يتوارد سببان على مسبّب واحد بالشخص، ولا أن تكونا بمعنى مع لئلا يبقى المشار إليه بذلك في الموضعين بلا سبب، ولا يجوز أن تكون الأُولى سببية والثانية بمعنى مع؛ لأن الكفر وقتل الأنبياء تامّان في كونهما سببين للذِّلّة والمسكنة والبَواء بالغضب، فيُسْتغنى بهما في السببية عن غيرهما؛ فتعيّن أن يكون الأُولى بمعنى مع، والثانية للسببية، وتقديره: ذلك الذلّة والمسكنة والبواء بغضبٍ من الله بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حقّ، فإنّ العصيان والاعتداء في الحدود ليسا كالكفر، وقتل الأنبياء في الاستقلال بالسببية فضُمّا إليهما تكميلًا لهما في

واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء. وقيل: (هو اعتداؤهم في السبت). ويجوز أن يُشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء (على) معنى (أن ذلك) بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم (انهمكوا فيهما وغلوا) حتى قست قلوبهم (فجسروا) على (جحود) الآيات وقتلهم الأنبياء، أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (بألسنتهم من غير مواطأة القلوب) وهم المنافقون.

السببية، وإن لم يكن تكرارًا للأُولى بأن يكون إشارة إلى الكفر وقتل الأنبياء كانت الباء الأُولى للسببية لا غير، وفي الثانية جاز الأمران. ومعناه على السببية: ذلك ـ أي الكفر والقتل ـ بسبب عصيانهم واعتدائهم؛ لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قَسَتْ قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء. ومعناه على المعيّة: ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا، فذلك مبتدأ ومع ما عصوا خبره، أي كفرهم وقتلهم الأنبياء مقرون بأنواع المعاصي والاعتداء في الحدود؛ كأنه قيل: ضُرِبت عليهم الذلّة والمسكنة، لأنهم كفروا وقتلوا وما اكتفوا بهما، بل ضمّوا إليهما العصيان والاعتداء. قوله: (هو اعتداؤهم في السبت) بسبب السمك المأمورين بتركه فيه. قوله: (على أن ذلك) أي الكفر والقتل.

قوله: (انهمكوا) أي لجّوا وبالغوا. في المصباح: انهمك في الأمر انهماكًا جدّ فيه ولجّ، فهو منهمك. اهـ.

قوله: (فيهما) أي العصيان والاعتداء. قوله: (غلوا) في محيط المحيط: غلا الشيء غُلُوًّا زاد وارتفع. اهـ. قوله: (فجسروا) في محيط المحيط: جَسَر الرجل يجسر جُسُورًا وجَسَارةً مضى ونفذ، وعلى الأمر أقدم. اهـ. قوله: (جحود) أي إنكار.

قوله: (بألسنتهم من غير مواطأة القلوب) قدّر بذلك ليدخلوا في عِداد الكفرة وينتظموا معهم، فيصحّ الإبدال والإخبار بأنّ مَنْ آمن منهم إيمانًا خالصًا فله كذا،

(﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تهوّدوا، يقال: هاد يهود وتهوّد إذا دخل في اليهودية) وهو هائد والجمع هود. (﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ جمع نصران كندمان وندامى) يقال: رجل نصران وامرأة نصرانة. والياء في نصراني للمبالغة كالتي في «أحمري» (سمّوا نصارى لأنهم نصروا المسيح. ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾) الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا

وقوله: مواطأة، في المصباح: المواطأة الموافقة. اهـ. **قوله**: (تهوّدوا) أي دخلوا في دين اليهود، أي هاد بمعنى تهوّد، وكون الثلاثي بمعنى التفعّل خفيّ، (**يقال: هاد يهود وتهوّد إذا دخل في اليهوديّة**) أي في دين اليهود. **قوله**: (﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ **جمع نصران**) نُقِل عن الصحاح أنّه قال: جمع نصرانة أيضًا، وهذا قول سيبويه، فإنه قال لأنه جاء في مؤنثه نصرانة، وإذا كان المؤنث نصرانة، فالمذكّر نصران (**كندمان وندامى**)... الخ. وأمّا عند الخليل: النصارى جمع نصريّ كمهريّ ومهارى حُذِفت إحدى يائيه وقُلِبت الكسرة فتحة للتخفيف، فقُلِبت الياء ألفًا، كذا نُقِل عن السيرافي. والمصنف رحمة الله عليه اختار قول سيبويه لاستغنائه عن العمل الذي في نصرى، لكن الظاهر أن نصران بمعنى نصراني، والياء في نصراني للمبالغة... الخ. كما يقال لأحمر أحمريّ. **قوله**: (**سمّوا نصارى لأنهم نصروا المسيح**) أي نصران بمعنى ناصر، سُمّوا بذلك لأنهم نصروا المسيح عيسى ابن مريم حين قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ٥٢]، والمسيح لقب من الألقاب المشرّفة؛ كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحا بالعبرانية، ومعناه المبارك؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: الآية ٣١]، واشتقاقه من المسح لأنه مسح بالبركة أو بما طهّره من الذنوب، أو مسح الأرض ولم يقم في موضع، أو لأنه خرج من بطن أُمّه ممسوحًا بالدّهن، أو لأن جبريل مسحه بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل، أو لأنه كان مسيح القدم لا أخمص له. وقال ابن عباس: سُمّي مسيحًا لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برىء، ويسمّى الدجّال مسيحًا لأنه ممسوح إحدى العينين. قوله: (لا أخمص له) في المصباح: خمص القدم خمصًا من باب تعب ارتفعت من الأرض، فلم تمسّه، فالرجل أخمص القدم والمرأة خمصاء، والجمع خُمُص، مثل أحمر وحمراء وحُمُر؛ لأنه صفة، فإن جُمِعَت القدم نفسها قلت: الأخامص، مثل الأفضل والأفاضل إجراءً له مجرى الأسماء. اهـ. **قوله**: (﴿وَالصَّابِئِينَ﴾) قرأ نافع المدنيّ

خرج من الدين، و(هم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة. وقيل: هم يقرؤون الزبور).

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ من هؤلاء الكفرة إيمانًا خالصًا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

بترك الهمزة من الصابئين والصابئون في كل القرآن إمّا على البدل أو من صَبا يصبو إذا مال، والباقون بالهمزة على الأصل؛ لأنه من صبأ إذا خرج من الدِّين. **قوله**: (وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة، وقيل: هم يقرؤون الزبور)، في تفسير روح البيان: وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الكواكب والملائكة، فكانوا كعبدة الأصنام، وإنْ كانوا يقرؤون الزبور لا تؤكل ذبائحهم ولا تُنكح نساؤهم. اهـ. وفي تفسير المظهري: وهم خرجوا من كل دين. قال عمر وابن عباس: هم قوم من أهل الكتاب، فقال عمر: يحلّ[1] ذبائحهم، وقال ابن عباس: لا يحلّ ذبائحهم ولا مُناكحتهم. وقال مجاهد: هم قوم نحو الشام بين اليهود والمجوس من أهل الكتاب. وقال الكلبي: هم بين اليهود والنصارى. وقال قتادة: هم يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلّون إلى الكعبة أخذوا من كل دين شيئًا. اهـ.

وفي الهداية: «ويجوز تزوّج الصابئات إنْ كنّ يؤمنّ بدين ويقررن بكتاب»؛ لأنهنّ من أهل الكتاب، «وإن كنّ يعبدن الكواكب، ولا كتاب لهنّ لم تَجُز مُناكحتهن» لأنهن مشركات، والخِلاف المنقول فيه محمول على اشتباه مذهبهم، فكلٌّ أجاب على ما وقع عنده، وعلى هذا حال ذبيحتهم، انتهت. وفي العناية: قوله: والخلاف المنقول فيه، يعني من أبي حنيفة وصاحبيه رضي الله تعالى عنهم أن أنكحتهم صحيحة عنده خلافًا لهما محمول... الخ. فوقع عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنهم مِنْ أهل الكتاب يقرؤون الزبور ولا يعبدون الكواكب لكنهم يعظّمونها، كتعظيمنا القبلة في الاستقبال إليها، ووقع عندهما أنهم يعبدون الكواكب ولا كتاب لهم، فصاروا كعبدة الأوثان، فإذن لا خلاف بينهم في الحقيقة، انتهت.

---

(١) فعنده: تحل، وعندهما: لا تحل. ١٢ منه.

ومحل (﴿مَنْ ءَامَنَ﴾) الرفع إن جعلته مبتدأ خبره (﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾)، والنصب إن جعلته (بدلًا من اسم «إن» والمعطوف عليه). فخبر («إنّ») في الوجه الأول (الجملة) كما هي، (وفي الثاني) «هم» (والفاء لتضمن «من» معنى الشرط).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ بقبول ما في التوراة. (﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي الجبل) حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق. وذلك أن موسى عليه السلام (جاءهم بالألواح)

قوله: (بدلًا) أي بدل البعض (من اسم إن) أي (﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والمعطوف عليه) أي (﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾)، أي بدل البعض من الكلّ. قوله: (الجملة) أي جملة (﴿مَنْ ءَامَنَ﴾) إلى قوله: (﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾) قوله: (وفي الثاني) أي وفي الوجه الثاني، أي (إنّ) جعلت (مَنْ) بدلًا. قوله: (والفاء) أي الفاء في ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ (لتضمن (مَنْ) معنى الشرط) سواء جُعِل بدلًا أو مبتدأ؛ وذلك لأن اسم (إن) والمعطوف عليه لا يتضمّن معنى الشرط لفقد السببيّة للآخر، فاعتبر التضمّن في البدل الذي هو المقصود.

قوله: (﴿وَرَفَعْنَا﴾) أي وقد[1] رفعنا. قوله: (﴿فَوْقَكُمُ﴾) ظرف مكان ناصبه ﴿رفعنا﴾. قوله: (﴿ٱلطُّورَ﴾ أي الجبل) الطور يُطلق على أيّ جبلٍ كان؛ كما في القاموس، وصرّح به السمين، ويُطلق أيضًا على جبال مخصوصة بأعيانها، وهذا الجبل الذي رُفِع فوقهم كان مِنْ جبال فلسطين، كما في الخازن عن ابن عباس. قوله: (جاءهم بالألواح) أي ألواح التوراة وكانت من سدر الجنّة أو زبرجد أو زمرّد سبعة أو عشرة، كذا في الجلالين. وقوله: (أو زبرجد أو زمرد) في منتهى الأرب في لغات العرب: زَبَرْجَد كسفرجل گوهرى است سبز مائل بزردى ومعدن أن زمين مصر وشام است وأن تزديك فارابي وأكثر حكما معرب زمرد است نه جنس على حده وبعض برأنندكه زبرجد غير زمرد است.اهـ. وأيضًا فيه: زُمُرّد - بضمتين وتشديد الراء وقد تُفتح الميم - جوهريست معروف.اهـ. وفي غياث اللغات: زبرجد بفتح أوّل وثاني وجيم نوعي از زمرد از برهان ودر منتخب نوشته

---

(١) فيه رمز إلى أن الجملة في محل نصب على الحالية. ١٢ منه عم فيضه.

فرأوا ما فيها من (الآصار) والتكاليف الشاقّة (فكبرت) عليهم (وأبوا) قبولها، (فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع) الطور من أصله ورفعه (فظلّله) فوقهم وقال لهم موسى: (إن قبلتم) وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم. (﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾) من الكتاب أي التوراة (﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ وعزيمة) ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ واحفظوا ما في

كه جوهر يست سبزرنك بزدرى مائل وّن چيريست على حده اززمرد وينز صاحب منتخب نوشته كه صاحب صحاح وقاموس زمرد رابز برجد تفسير كرده اند.اهـ. وأيضًا فيه: زمرد بضمّتين وتشديد راء مهملة مضموم جوهريست سبزرنگ وبفتح راء مهمله نيزآمده. قوله: (الآصار) جمع أصر، وهو الثقل وكل أمر شاقّ. قوله: (فكبرت) بضمّ الباء، أي ثقُلت وشقّت. قوله: (وأبوا) أي امتنعوا. قوله: (فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام) أي بقلع الطور. قوله: (فقلع) في المصباح: قلعته من موضعه قلعًا نزعته فانقلع.اهـ.

قوله: (فظلله) بمعنى جعله فوقهم مرتفعًا منفصلًا عن الأرض كالظلّة، قيل: فكان حصل لهم بعد هذا القسر والإلجاء قبول وإذعان اختياري، أو كان يكفي في الأُمم السابقة مثل هذا الإيمان.اهـ. ويرّده ما في التيسير عن القفّال أنه ليس جبرًا على الإسلام؛ لأن الجبر يسلب الاختيار ولا يصح معه الإسلام، بل كان إكراهًا وهو جائز، ولا يسلب الاختيار كالمحاربة مع الكفار. وأمّا قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يُونس: الآية ٩٩]، فقد كان قبل الأمر بالقتال، ثم نسخ به؛ كذا في حاشيه العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب. قوله: (إن قبلتم) فبها. قوله: (﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾) مفعول (﴿خُذُوا۟﴾)، و(﴿مَآ﴾) موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف. قوله: (﴿بِقُوَّةٍ﴾) أي بجدّ وعزيمة، أي على تحمّل مشاقه من غير تكاسل وتغافل، وهو حال من فاعل ﴿خُذُوا۟﴾ أي خذوه مُجدّين في الأخذ والعمل بما فيه غير متكاسلين، أو من ذلك العائد المحذوف، أي ملابسًا بقوّة وصعوبة بحيث يصعب العمل به والاجتهاد في معرفته وحفظه. قوله: (بجدّ) في المصباح: جدّ في كلامه جدًّا من باب ضرب ضدّ هزل، والاسم منه الجدّ بالكسر أيضًا.اهـ. وقوله: (وعزيمة) في المصباح: عزم عزيمة وعزمه اجتهد وجدّ في أمره.اهـ.

الكتاب (وادرسوه) ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (رجاء منكم أن تكونوا متقين).

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ (ثم أعرضتم) عن الميثاق (والوفاء به). ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد القبول ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بتأخير العذاب عنكم (أو بتوفيقكم للتوبة). ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الهالكين في العذاب.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾

(﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم) فيتعدى إلى مفعول واحد ﴿ٱلَّذِينَ﴾ (﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ﴾) ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت). وقد اعتدوا

قوله: (وادرسوه) أي اقرؤوه. **قوله**: (رجاء منكم أن تكونوا متقين) مبنيّ على أن تكون لعلّ بمعنى الترجّي الذي هو أصل معناها، أي لعلّ للترجي من المخاطب.

قوله: (ثم أعرضتم) يُفهم منه أنهم امتثلوا الأمر ثم تركوه، وأصل الإعراض الإدبار المحسوس، ثم اسْتُعمل في المعنوي كعدم القبول والخبر عن أحوالهم، انتهى عند قوله (﴿بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾). **قوله**: (والوفاء به) أي بالميثاق عطف تفسيري. **قوله**: (أو بتوفيقكم للتوبة) على أن يكون المراد بالفضل تلطّفه بهم حين أبوا قبول التوراة، والمعنى: لولا فضل الله عليكم برفع الجبل فوقكم لدُمّتم على عدم قبول التوراة، ولكنه تفضّل عليكم ورحمكم وتلطّف بكم حتى تُبْتم.

قوله: (عرفتم)... الخ. العلم في قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾) بمعنى المعرفة، فلذلك عدّى إلى واحد، ولو كان على أصل معناه لعدّى إلى اثنين؛ لأنه يدلّ على معرفة الذّات بما عليه من الحال، وفرّق آخر بين العلم والمعرفة أنّ المعرفة يسبقها جهل والعلم قد لا يسبقه الجهل، ولذلك لا يجوز أن تسند المعرفة إليه تعالى. **قوله**: (﴿مِنكُمْ﴾) في محل النصب على أنه حال من الضمير المستتر في (﴿ٱعْتَدَوْا۟﴾)، أي كائنين منكم. **قوله**: (هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت) حمل السبت المذكور في الآية على المصدر دون الزمان المعيّن الذي

فيه أي جاوزوا ما حد لهم (فيه) من التجرّد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد. وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم (**فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه**) يوم السبت، فإذا مضى تفرّقت فحفروا حياضًا عند البحر (**وشرعوا**) إليها (**الجداول**)، فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدّون (**مشارعها**) من البحر

هو آخر أيام الأسبوع؛ لأن المنهيّ عنه هو الاعتداء فيما وجب عليهم من تعظيم يوم السبت بترك العادات والاشتغال بالعبادات، لا الاعتداء في شيءٍ آخر في يوم السبت، ولو كان المراد بالسبت اليوم المذكور لم يعلم أنهم في أيّ فعلٍ جاوزوا الحدّ الذي حُدَّ لهم، فإنّ الاعتداء هو مجاوزة الحدّ على وجه محظور. **قوله**: (فيه) أي في يوم السبت. **قوله**: (**فما كان يبقى حوت**) من باب التنازع، وجعل كان زائدة أو فيها ضمير الشأن لا يؤدّي المقصود، وقوله: (**حوت**) في المصباح: الحوت العظيم من السمك وهو مذكر، وفي التنزيل: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ [الصَّافات: الآية ١٤٢]، والجمع حيتان.اهـ. (**في البحر**) الأخضر هناك (**إلا أخرج خرطومه**)... الخ. الخرطوم كزنبور ما ضمّ عليه الحنكان، كذا في حاشيه البيضاوي للعلامة الشهاب. وفي تفسير العلامة القنوي: الخرطوم الأنف، لكن المراد به هنا أنفه ورأسه، وليس المراد أنفه فقط، وفي هذا بلاءٌ مبين لبني إسرائيل؛ فمنهم مَنْ أمسك وصبر، ومنهم من صبر فقط، ومنهم تصدّى للاصطياد.اهـ. وفي حاشية لشيخ زاده: أي أخرج أنفه ورأسه من الماء لأمنه في ذلك اليوم، فيستتر وجه الماء من كثرة الحيتان حتى لا يرى شيءٌ منه، فإذا مضى السبت تفرّقت ولزمت قعر الماء، ثم إنّ الشيطان وسوس إليهم، وقال: إنما نُهيتم عن أخذها يوم السبت، فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه إليها الأنهار والجداول، أي حفروا منه إليها طرقًا وجعلوا ما حفروه من الأنهار والجداول كالشارع المُنتهي إلى الحياض، وكانت الحيتان تدخل الحياض يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد، انتهت.

وقوله: (وشرعوا) أي أظهروا. **قوله**: (**الجداول**) جمع جدول. في المصباح: الجدول فعول هو النهر الصغير.اهـ. وفي محيط المحيط: الجَدْوَلُ والجِدْول النهر الصغير.اهـ. **قوله**: (**مشارعها**) في شرح القاموس المسمّى بتاج

(فيصطادونها) يوم الأحد، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم. (﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا﴾) بتكويننا إياكم (﴿قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾) خبر كان (أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد.

العروس من جواهر القاموس: المشرع كمقعدة المشرعة، والجمع المشارع. اهـ. وفي المصباح: المشرعة ـ بفتح الميم والراء ـ شريعة الماء. قال الأزهري: ولا يسمّيها العرب مشرعة حتى يكون الماء عدًّا لا انقطاع له كماء الأنهار، ويكون ظاهرًا معينًا ولا يستقى منه برشاء. اهـ. وأيضًا فيه الشريعة، وهي مورد الناس للاستقاء، سُمّيت بذلك لوضوحها وظهورها. اهـ.

وفي منتهى الأرب في لغات العرب: مَشْرَعة بالفتح وتضمّ الراء جاى بآب درآمدن. اهـ. وفي غياث اللغات: مشارع ـ بفتح ميم وكسر راء مهمله ـ بمعنى راهها جمع مشرع كه اسم ظرف باشد ماخوذ ازشرع كه بمعنى راه كشادن است. قوله: (فيصطادونها) أي فيأخذونها. قوله: (﴿كُونُوا﴾) بتكويننا إياكم، أي ليس أمرًا تكليفيًّا، بل أمرٌ تكويني؛ كما في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: الآية ٧٣].

قوله: (أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء) أشار به إلى أن (﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾) خبر بعد خبر؛ لقوله: ﴿كُونُوا﴾؛ كقولهم: حلو حامض، أي مزٌّ[1] جامع بين الطعمين، ويجوز أن يكون حالًا من الضمير المستكنّ في (﴿قِرَدَةً﴾)؛ لأنه في معنى المشتقّ، أي كونوا ممسوخين حال كونكم خاسئين مطرودين كالكلب إذا دنا من الناس، يقال له: اخسأ، أي تباعد وانطرد صاغرًا ذليلًا، ولا يجوز أن يكون صفة لقردة، وإلّا لقيل: خاسئة؛ لأن القردة ليست من ذوي العقول، فلا تُجمع جمع السلامة؛ لأنه يختصّ بالعُقَلاء. قوله: (الخسوء) في القاموس: خَسَأ الكلبَ كمنع طرده خَسْأً وخُسُوءًا والكلبُ بَعُد. اهـ.

قوله: (وهو الصغار) بفتح الصاد مصدر صغر بكسر الغين المعجمة الذلّة. قوله: (والطرد) بمعنى الإبعاد لكنه مبنيّ للمفعول لقرينة عطفه على الصغار، فيكون بمعنى المطرود لا بمعنى الطارد، فإنه لا يصح هنا.

(١) قوله: مزّ ـ بالضم ـ بين الحامض والحلو. اهـ قاموس. ١٢ منه عُفِي عنه.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ يعني المسخة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة تنكل من اعتبر بها أن تمنعه. (﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾) لما قبلها. (﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾) وما بعدها (من الأمم والقرون) لأن

قوله: (يعني المسخة) المفهومة من السياق، أي من قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾. قوله: (من الأمم) بيان (﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾) المفسّرين بما قبل المسخة وما بعدها بأن جعلت الجهتان المكانيتان، أعني القدّام والخلف مستعارتين للزمان، وأن يراد به أهله من العقلاء، إلّا أنه عبّر عنهم كلمة ﴿ما﴾، ومقتضى الظاهر أن يقال لمن بين يديها ومن خلفها تحقيرًا لشأنهم، فكأنهم غير عُقلاء بالنسبة إلى المتكلّم العليّ شأنه الباهر سلطانه، فالمراد بمن قبل تلك المسخة هم الذين مضوا قبل عصر هؤلاء الممسوخين، وكان في كتبهم أنّ تلك المسخة ستقع فيمن لم يحرّم ما يحرّمه الله تعالى، فاعتبروا بها وامتنعوا عمّا يؤدي إليها. فإن قيل: كيف يجوز أن يراد بما ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ الأُمم السابقة على المسخة، والحال أن الفاء في قوله: (﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾) تدلّ على تأخر الجعل عن المسخة، والقول بكونوا قردة. أُجيب بأن اللازم تأخر جعلها نكالًا وعِبْرة لمجموع الفريقين من حيث هو هو، وهو لا ينافي أن يتقدّم كونها عِبْرة لأحد الفريقين على المسخ والقول، ولم يتعرّض لكونها نكالًا وعِبْرة لأهل عصر الممسوخين مع أنّهم أحقّ بذلك لمشاهدتهم إيّاها بناءً على أنهم لحضورهم في ذلك العصر ومشاهدتهم إيّاها لم يحتج إلى بيان كونها عِبْرة لهم؛ لأنها لمّا كانت عِبْرة لمن قبلهم ولِمَنْ بعدهم، فكونها عِبْرة لهم وهم يشاهدونها أوْلى. قوله: (والقرون) جمع قرن. في مختار الصحاح: القرن في الناس أهل زمان واحد.اهـ.

قوله: (﴿وَمَوْعِظَةً﴾) معطوف على قوله نكالًا، وهو مصدر ميميّ بمعنى العِظَة والتذكير، وهو التخويف والتحذير، سواء كان بالأقوال والنصائح، أو بأن يعاقب الجاني بسبب جنايته، فإنّ البريء من الجناية يتّعظ ويخاف من أن يُعاقب بتلك العقوبة المترتّبة على تلك الجناية، فيحترز عنها؛ فلذلك كانت المسخة المتعلّقة بالمُعْتدين موعظة في حقّ المتّقين عن الاعتداء في السبت من قوم المعتدين فيه أو في حقّ جميع المؤمنين الذين يتّقون عما حرّم عليهم.

مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين. ﴿وَمَوْعِظَةً (لِّلْمُتَّقِينَ)﴾ الذين نهوهم عن الاعتداء **(من صالحي قومهم أو لكل متقٍ سمعها)**.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

(﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾) أي واذكروا إذ قال موسى، وهو معطوف على نعمتي في قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٤٠] كأنه قال: اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى. وكذلك هذا في الظروف التي مضت أي اذكروا نعمتي، **(واذكروا وقت إنجائنا)** إياكم.

قوله: **(من صالحي قومهم)** بناءً على أنّ اللام في المتّقين للعهد. **قوله**: **(أو لكلّ متقٍ سمعها)**، فتكون اللام فيه للاستغراق شاملة لقومهم وغيرهم من الأُمم الماضية والآتية والقريبة والبعيدة والحاضرة والغائبة، والمقصود من هذه القصة إظهار معجزة رسولنا ﷺ؛ لأنه خطابٌ لليهود الذين كانوا في زمانه ﷺ، فلمّا أخبرهم عن هذه القصة ـ كما هو الواقع ـ مع أنه لم يقرأ ولم يكتب ولم يُخالط القوم، دلّ ذلك على أنه عَرَفه بالوحي. وأيضًا فيه تهديد لهم بأنه ينزل بهم ما نزل بآبائهم إذا تمرّدوا وتجاوزوا الحقّ، فلا يغترّوا بالإمهال. وفي الصحيح أنهم مكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، ولم يأكلوا ولم يشربوا ولم يبق لهم نسل. قال القرطبي: وحديث الفار والضبّ، فإنما قاله حدسًا لقوله لعلّه، أي الضبّ من القرون التي مُسِخت، وهذا حدس وظنّ قبل أن يُوحى إليه أنّ الممسوخ لا يعيش ولا يُنْسل.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾) الآية، لما عدّد الله تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من فنون نعمه استمالة لقُرْبهم وبعثًا لهم على الاعتراف بنِعَمِهِ والاشتغال بشكرها، ثم خوّفهم بأن ذكّرهم ما نزل بالمُعْتدين مما عدّ لهم من المسخة والعقوبة شرع الآن في تقريعهم بذكر بعض قبائحهم، وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة إلى الامتثال وقتل النفس المحرّمة اتّباعًا للهوى، ثم نسبة قتلها إلى مَنْ هو بريء منه بهتانًا وافتراءً عليه. **قوله**: **(واذكروا وقت إنجائنا)** تقدير: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: الآية ٤٩].

(واذكروا وقت فرقنا)، واذكروا نعمتي، (واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه). والظروف التي تأتي إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: الآية ١٢٤]. (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن﴾) أي بأن (﴿تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ قال المفسّرون: أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾). وذلك أن رجلًا

قوله: (واذكروا وقت فرقنا) تقدير: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٥٠] الآية. قوله: (واذكروا وقت استسقاء موسى ربّه لقومه) تقدير: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠] الآية. قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن﴾) بأن (﴿تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾) التاء في البقرة ليست للتأنيث، وإنما هي لتدلّ على أنها فرد واحد من جنس البقر، كالبطّة والدجاجة والحمامة، ويتميّز الذّكر من الأُنثى بالصفة، يقال: بقرة ذكر وبقرة أُنثى، وقيل: البقرة اسم للأُنثى خاصّة من هذا الجنس، ويقال للذّكر منه ثور، فإنّه كثيرًا ما يفرق بين ذكور الحيوانات وإناثها بأنْ يوضع لكل واحد من الذّكر والأُنثى اسم على حِدَة، مثل رجل وامرأة، وجمل وناقة، وثور وبقرة، وحمار وأتان؛ إلّا أنّ الإمام أبا منصور رحمه الله استدلّ على أنّ البقرة المذكورة كانت ذكرًا، بقوله تعالى: (﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾) بناءً على أن إثارة الأرض وسقي الحرث من عمل الثّيران، واستدلّ بالآية على أن الذّبح فيها أحسن من النَّحر، بخلاف الإبل.

قوله: (قال المفسّرون: أول القصة مؤخر في التلاوة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ٧٢])؛ وذلك لأن قتلها والتداري فيها بأن يدفع كلّ واحد منهم القتل عن نفسه وينسبه إلى غيره، ويتخاصموا في شأنه كان مقدّمًا في الوجود على الأمر بالذبح، فكان الظاهر أن يقال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٢]، فقلنا: اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ليكون الترتيب في الذكر على حسب الترتيب في الوجود، فإنّ جميع ما ذُكِر في هذه الآيات قصّة واحدة، فكان الظاهر أن يكون نظمها في الذّكر على حسب انتظامها في الوجود؛ إلّا أنها جُعِلت قصّتين وقدَّم آخرها على أوّلها، لكون ما قُدِّم منها مستقلاًّ في إفادة نوع آخر من مساوئهم، فتقديمه وجعله قصة واحدة يفيد تقريعًا مستقلاًّ بنوعٍ من قبائح أعمالهم زائد على ما يفيده ما أُخِّر منها، فإنّ ما قُدِّم منها يفيد تقريعهم على الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المُسارعة إلى

موسرًا اسمه («عاميل») قتله بنو عمّه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة (ثم جاؤوا يطالبون بديته) فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها (ليحيا) فيخبرهم بقاتله. ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو الهزؤ نفسه) لفرط الاستهزاء. («هزأ» بسكون الزاي والهمزة: حمزة. وبضمتين والواو: حفص.

الامتثال، وما أُخّر منها ـ وهو أوّل القصة ـ يفيد تقريعهم بنوعٍ آخر، وهو قتلهم النفس المحرَّمة اتباعًا للهوى، ثم نسبة قتلها إلى مَنْ هو بريءٌ منها بهتانًا وافتراءً عليه، وما يترتّب عليه من القبائح؛ فلو رُوعِيَ ترتيب الوجود لكان المجموع قصّة واحدة ولفات الغرض الذي هو تكثير قبائحهم والاستقصاء في تقريعهم عليها.

قوله: (﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ﴾ [البقرة: الآية ٧٢]) فيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي تخاصمتم وتدافعتم (فيها) أي في شأنها إذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضًا، أو تدافعتم بأن طرح كل قتلها عن نفسه إلى صاحبه. **قوله**: (عاميل) بن شراحيل. **قوله**: (ثم جاؤوا يطالبون بديته)، وكان هذا قبل نزول القسامة؛ كذا نُقِل عن الحواشي. ولك أن تقول: ليست من شريعة موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام، كذا في حاشيه تفسير البيضاوي للعلامة إسمٰعيل القنوي رحمه الله. **قوله**: (ليحيا) المقتول. **قوله**: (﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ. أو الهزؤ نفسه) الاتخاذ كالتصيير والجعل يتعدّى إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، والهزؤ مصدر هزئت منه وهزئت به وهو الدعابة والمزاح، يقال: مزح يمزح مزحًا ومزاحًا، أي لاغ كردباوى، ولمّا كان الهزؤ مصدرًا لم يصلح أن يكون مفعولًا ثانيًا للاتّخاذ؛ لأنه في تأويل خبر المبتدأ والحدث لا يحمل على العين حمل هو هو؛ فلذلك قدّر المضاف وهو إمّا مكان أو أهل أو جعل المفعول الأوّل نفس الهزؤ للمبالغة، نحو: رجل عدل لفرط الاستهزاء علّة لقوله: أو الهزؤ نفسه. **قوله**: (﴿هُزْءًا﴾ بسكون الزاي والهمزة حمزة) أي قرأ حمزة بسكون الزاي مع الهمزة في الوصل، وإذا وقف قال: (هزًا) بنصب الزاي من غير همزة، ورُوِي عنه الإدغام وهو أن يشدّد الزاي. **قوله**: (وبضمتين والواو[1] حفص) أي وقرأ حفص ﴿هُزُوًا﴾ بضم الهاء والزاء بعدها واو مفتوحة

(١) أي مع قلب الهمزة واوًا تخفيفًا. ١٢ منه عُفِي عنه.

غيرهما) بالتثقيل (والهمزة). ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ (العياذ واللياذ) من وادٍ واحد. ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (لأن الهزؤ في مثل هذا) من باب الجهل (والسفه)، وفيه تعريض بهم أي أنتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ﴾ سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها، لأن «ما» (وإن كانت سؤالًا عن الجنس)، و«كيف» عن الوصف ولكن قد تقع «ما» موقع «كيف»، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان، و«ما هي» خبر ومبتدأ.

وقفًا ووصلًا. قوله: (غيرهما) أي غير حمزة وحفص بالتثقيل (والهمزة) أي قرأ الباقون بضمّ الزاي بعدها همزة مفتوحة، وحكم (كفؤًا) في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: الآية ٤] كحكم هزؤًا فيما ذُكِر من الإسكان والتحريك ومِنْ إبقاء الهمزة على أصلها وقلبها واوًا. قوله: (العياذ) في لسان العرب: عاذ به يعوذ عوذًا وعِياذًا ومعاذًا لَاذَ به ولجأ إليه واعتصم.اهـ.

قوله: (واللّياذ) في لسان العرب: لاذَ به يلوذ لوذًا ولواذًا ولِياذًا لجأ إليه وعاذ به. قوله: (لأن الهزؤ في مثل هذا) أي في مقام التبليغ والإرشاد والجواب عمّا رُفِع إليه من القصة من باب الجهل والسَّفه بخلاف مقام (التحكّم والتحقير مثل: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢١]، والهزؤ ليس هو المزاح والفرق بينهما) ظاهر؛ فلا ينافي وقوعه من الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام. وقوله: (والسفه) عطف تفسير؛ لأن الجهل ـ كما قال الراغب ـ له معانٍ: عدم العلم، واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما هو حقه أن يُفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا، وهو المراد هنا.

قوله: (وإن كانت سؤالًا عن الجنس) ويدخل فيه السؤال عن الماهيّة والحقيقة في الكلّيات للعلامة أبي البقاء الحُسيني الكفويّ الحنفي يسأل بما عن الجنس تقول: ما عندك؟ أي أيّ أجناس الأشياء عندك، وجوابه كتاب ونحوه، ويدخل فيه السؤال عن الماهية والحقيقة، نحو: ما الكلمة؟ أي أيّ أجناس

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ (لَّا فَارِضٌ)﴾ (مسنّة)، وسميت فارضًا لأنها (فرضت) سنّها أي قطعتها وبلغت آخرها. (وارتفع «فارض» لأنه صفة لـ «بقرة»)، وقوله: (﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ فتية) عطف عليه. (﴿عَوَانٌۢ﴾ نصف). ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ بين الفارض والبكر، ولم يقل بين ذينك مع أن «بين» يقتضي شيئين فصاعدًا لأنه أراد بين هذا المذكور، وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة (في هذا)، قال (أبو عبيدة):

الألفاظ، وجوابه لفظ مفرد موضوع. وما الاسم؟ أي أيّ أجناس الكلمات هو؟ وجوابه الكلمة الدالّة على معنى في نفسها غير مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة، أو عن الوصف، تقول: ما زيد وجوابه الكريم ونحوه، انتهت.

قوله: (﴿لَّا فَارِضٌ﴾) الفارض من الصفات المختصّة بالأُنثى؛ كالحائض، و(لا) في قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ نافية بمعنى غير. **قوله**: (مسنّة) المسنّة في اصطلاح باب الزكاة هي البقرة التي طَعُنت في الثالثة، وهذا المعنى ليس بمراد هٰهنا، بل المراد بالمسنّة هٰهنا الكبيرة الهَرِمَة من قولهم: أسنّ الرجل، أي كبر[1] وصار شَيْخًا، وسُمِّيت البقرة الهرمة فارضًا لأنها فرضت سنّها، أي قطعتها وبلغت آخرها، والفرض في الأصل القطع. **قوله**: (فرضت) بفتح الراء وضمّها. **قوله**: (وارتفع فارض، لأنه صفة لبقرة) توسّطت كلمة (لا) بين الصفة والموصوف، كما في نحو: مررت برجل لا طويل ولا قصير. **قوله**: (﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ فتية) الفتيّة الحديثة السنّ كالفتاة في النساء، وكُرِّرت الكلمة لا لأنها متى وقعت قبل خبر أو نعت أو حال وَجَب تكريرها، تقول: زيد لا قائم ولا قاعد، ومررت برجل لا طويل ولا قصير، ومررت به لا ضاحكًا ولا باكيًا. **قوله**: (﴿عَوَانٌۢ﴾) صفة لبقرة. **قوله**: (نصف[2]) ـ بفتحتين ـ وهو المتوسّط بين السنين لا صغير ولا كبير، والمتوسطة بين الصغيرة والكبيرة أحسن ما يكون من البقر وأقواه. **قوله**: (في هذا) أي في هذا الحكم. **قوله**: (أبو عُبيدة) ـ بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره ـ معمر ـ بفتح الميمين بينهما عين مهملة وفي آخره الراء ـ ابن المثنّى ـ بضم الميم وفتح الثاء المثلّثة وتشديد النون المفتوحة وفي آخره ياء مثناة من تحتها ـ البصري النحويّ

---

(١) قوله: كبر ـ بالكسر ـ أي: أسن، وأما كَبُر ـ بالضم ـ فمعناه عظم. ١٢ منه عُفِي عنه.
(٢) أي المرأة المتوسّطة السن. ١٢ منه.

قلت (لرؤبة في قوله):

(فيها) خطوط من سواد وبلق (كأنه في الجلد توليع البهق)

إن أردت الخطوط فقل كأنها. وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما، فقال: أردت كأن ذاك. ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ (أي تؤمرونه

العلَّامة يميل إلى مذهب الخوارج، وكانت ولادته في شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة في اللَّيلة التي توفي بها الحسن البصري رضي الله تعالى عنه، وتوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة عشر، وقيل: سنة ثلاث عشرة ومائتين.

قوله: (لرؤبة) هو أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب، واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي السّعدي هو وأبوه راجزان مشهوران، لكلّ منهما ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز، وهما مُجيدان في رجزهما. وكان بصيرًا باللغة قيّمًا بحوشيها وغريبها، وكان رؤبة مقيمًا بالبصرة فلمّا ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور، وجرت الواقعة المشهورة خاف على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنّب الفتنة، فلمّا وصل إلى الناحية التي قصدها أدركه أجَله بها، فتوفّيَ هناك سنة خمس وأربعين ومائة، وكان قد أسنّ رحمه الله تعالى، ورؤبة بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة، ولمّا مات قال الخليل: دفنّا الشعر واللغة والفصاحة. **قوله**: (في قوله) يصف بقرة، وقيل: فرسًا دخيلًا. **قوله**: (فيها) أي في الأفراس أو البقرة، فإنّهما مذكوران فيما سبق خطوط من سواد وبَلَقْ، والبَلق أصله بياض وسواد، لكن المراد هنا البياض فقط بقرينة عطفه على السواد، وإن عطف على الخطوط، فهو على أصله، فيكون إشارة إلى النوعين؛ (كأنّه في الجلد توليع البهق) التوليع استطالة البهق، والتلوين يقال شيء مولع إذا كان فيه ألوان مختلفة، والبهق بياض يعتري الجلد يخالف لونه لون البرص. والمعنى: كأنه ـ أي ما ذكر من السواد والبياض ـ توليع[1] البهق، أي تلوينه. **قوله**: (أي تؤمرونه) على أن تكون ما موصولة، ويكون العائد إليها

---

(١) التوليع اختلاف الألوان. ١٢ منه.

بمعنى) تؤمرون به، (أو أمركم) بمعنى (مأموركم) تسمية للمفعول بالمصدر (كضرب الأمير).

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾

قالوا ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ موضع «ما» رفع لأن معناه الاستفهام تقديره: ادع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها. ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه) يقال في التوكيد أصفر فاقع، وهو توكيد لصفراء وليس خبرًا عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل، (ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها)، وفي ذكر اللون

محذوفًا، وفعل الأمر في أصل استعماله يتعدّى إلى مفعولين إلى الأوّل بنفسه، وإلى الثاني بواسطة الباء فرقًا بين المأمور والمأمور به؛ إلّا أنه قد شاع حذف الباء الجارّة في هذا الفعل وتعديته إلى المفعولين بنفسه، نحو قوله:

أمرتك الخير فافعل ما أُمِرْت به

فلذلك جعل المصنف رحمه الله تعالى ما في الآية مبنيًا على هذا الاستعمال الشائع حيث فسّرها بقوله: أي تؤمرونه، ولم يقدّر الباء الجارّة، ثم ذكر أن تؤمرونه. **قوله**: (بمعنى) تؤمرون به. **قوله**: (أو أمركم بمعنى مأموركم) على أن تكون كلمة ما مصدريّة، ويكون الفعل المؤوّل بالمصدر بمعنى المفعول، أي المأمور بمعنى المأمور به، وهو قليل جدًا؛ فإنّ الكثير الشائع أن تكون صيغة المصدر بمعنى المفعول. وأمّا كون الفعل المؤوّل بمصدر بمعنى المفعول، فإنه قليل جدًا. **قوله**: (**كضرب الأمير**) أي مضروب به.

قوله: (**الفقوع أشدّ ما يكون من الصفرة وأنصعه**) الفقوع - بضمّ الفاء - مصدر قولك أصفر فاقع، أي شديد الصُّفرة، وقوله: (**أنصعه**) أي أخلصه. في الصحاح: الناصع الخالص من كل شيء، يقال: أبيض ناصع وأصفر ناصع. وعن الأصمعي أنه قال: كل ثوب خالص البياض أو الصفرة أو الحمرة، فهو ناصع. **قوله**: (**ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها**)، فيكون صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها سواء في كونهما من باب الوصف للتأكيد، وإنْ كان الثاني أوْكد

فائدة التوكيد (لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة) فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جدّ جدّه (﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾) لحسنها. والسرور لذّة في القلب (عند حصول نفع أو توقعه. عن عليّ) ﷺ: (من لبس) نعلًا صفراء قلّ همّه (لقوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾).

من جهته إن جعل الفقوع الذي هو مِنْ صفات الأصفر صفة اللون الذي هو الصّفرة، بناءً على أن لون الصفراء في الواقع هو الصّفرة، وإن لم يرد باللفظ إلّا مدلوله، أعني مطلق اللون، وبهذا الاعتبار صار من قبيل جدّ جدّه، وهذا معنى قوله: (لأن اللون اسم للهيئة، وهي الصّفرة)، يعني أن الهيئة التي أطلق عليها الاسم هٰهنا هي الصفرة، فصار بمعنى أنها شديد الصفرة صفرتها لما أنّ الفاقع عبارة عن شديد الصُّفرة، ووجه المبالغة أن صفة الشيء كأنها صارت من الكمال، بحيث سرت إلى صفاته التي من جُملتها ذلك، أي كأنه يقول: إن صفرتها في الكمال بحيث سرت إلى جميع صفاتها وسرت إلى الصفرة أيضًا، كما أن جدّ جدّه يفيد المبالغة بأن يقال: إنّ جدّه وسعيه بلغ في الكمال إلى حيث سرى إلى جميع صفات المجد حتى سرى الجدّ إلى نفسه، فجدّ واجتهد ذلك الجدّ. **قوله**: (عند حصول نفع) ودفع الضّرر داخل في النفع؛ إذ دفع الشرّ والضرّ نفع تامّ، فالتعريف غير ناقص. **قوله**: (أو توقعه) عطف على حصول نفع.

قوله: (عن عليّ) بن أبي طالب القريشي الهاشمي المكّي المدني الكوفي أمير المؤمنين ابن عمّ رسول الله ﷺ، توفي في الكوفة ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، ودُفِن بها رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (مَنْ لَبِس) بكسر الباء. **قوله**: (لقوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾)، قال العلامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف: الظاهر أنه ليس من كلام عليّ رضي الله تعالى عنه، بل تعليل لما رُوِي عنه. اهـ. وفي الجمالين عن ابن عباس: مَنْ لَبِس نعلًا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسًا، وذلك قوله تعالى: (﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾)، كذا في الدرّ[1]، انتهى. وفي روح البيان عن عليّ رضي الله تعالى عنه: مَنْ لَبِس نعلًا صفراء قلّ همّه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾. ونهى ابن الزبير

---

(١) وفيه أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والخطيب والديلمي عن ابن عباس، قال: مَنْ لبس... الخ. ١٢ منه عم فيضه.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ (تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد) ليزدادوا بيانًا لوصفها، **(وعن النبي** عَلَيْهِ السَّلَامُ **«لو اعترضوا)** أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم» **(والاستقصاء شؤم)** ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ

ومحمد بن كثير عن لباس النّعال السود، لأنها تهمّ، وذكر أن الخفّ الأحمر خفّ فرعون، والخفّ الأبيض خفّ وزيره هامان، والخفّ الأسود خفّ العلماء. ورُوِيَ أنّ خفّ النبيّ ﷺ كان أسود، انتهى بحروفه.

قوله: (تكرير للسؤال) الأوّل، أي تكرير له من حيث أنه سؤال **(عن حالها وصفتها)**. **قوله: (واستكشاف**[1] **زائد)**... الخ. فيه إشارة إلى أنّ غرضهم ليس ردّ الجواب الأوّل بأنه غير مُطابق، وأن السؤال باقٍ على حاله، بل لطلب الكشف الزائد على ما حصل وإظهار أنّه لم يحصل البيان التامّ. **قوله: (وعن النبي ﷺ: لو اعترضوا)**... الخ. في الدرّ المنثور أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة يرفعه: «ولو أنهم اعترضوا بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، لكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم»، انتهى. **قوله: (لو اعترضوا)** مِن اعترضت الشيء أخذت من عرضه وجانبه، وفي الحديث دلالة على مَنْع السؤال عمّا ليس محلاً للسؤال، وأنّ سؤالهم كان كذلك، وأن المأمور أوّلًا ذبح بقرة مطلقة، وإنما نسخ إلى ذبح البقرة المعيّنة لشؤم سؤالهم، وبهذا يشعر إيراد الحديث الثاني. وأمّا سؤال عمر رضي الله تعالى عنه في شأن الخمر، فإنما كان للاستكشاف والاسترشاد حيث شاهد فيها كثرة الفساد والمنع في حال السكر عن الصلاة. **قوله: (والاستقصاء شؤم)** هذا من أمثال الحرب. **قوله: (الاستقصاء)** في الصحاح: استقصى فلان في المسألة وتقصّى بمعنًى. اهـ. وفي محيط المحيط: تقصّى في المسألة تقصّيًا واستقصى استقصاءً بلغ الغاية. اهـ. وفي منتهى الأرب في لغات العرب: **استقصاء** بنهايت ...يزى رسيدن، يقال: استقصى في المسألة أي بلغ الغاية. اهـ. **قوله: (شؤم)** في النهاية لابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشؤم ضد اليُمن. اهـ.

---

(١) لأن البيان حصل في جواب السؤال الأول. ١٢ منه عم فيضه.

﴿تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ إن البقر الموصوف (بالتعوين) والصفرة كثير فاشتبه علينا ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ (لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل)، و(«إن شاء الله») اعتراض بين اسم «إن» وخبرها. (وفي الحديث «لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد» أي لو لم يقولوا إن شاء الله).

قوله: (بالتعوين) في منتهى الأرب في لغات العرب: تعوين ميانه سال شدن قال عَوّنت المرأة أي صارت عَوَانًا. اهـ. **قوله**: (﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل) لمتعلقه المحذوف والألف واللام في قوله: المراد ذبحها، بمعني التي، فلذلك أنّث ضمير ذبحها الراجع إليه، والمعنى: وإنا بمشيئة الله تعالى نهتدي إلى البقرة التي يُراد ذبحها ونجدها موصوفة بأوصافها التي ذكرت لنا، أو وإنا بمشيئة الله تعالى نهتدي إلى ما خَفِيَ علينا من أمر القاتل ونجده حيث بيّن لنا طريق الاهتداء إليه، واللام في قوله: ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ لام الابتداء دخلت على خبر إنّ. **قوله**: (﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾) شرط حذف جوابه لدلالة إن وما في حيّزها عليه، والتقدير: وإنا لمهتدون إلى البقرة أو إلى ما خَفِي علينا من أمر القاتل إن شاء الله اهتدينا، واعترض بالشرط بين اسم إن وخبرها اهتمامًا بمشيئة الله تعالى واستعانة به تعالى وتفويضًا للأُمور إليه واعترافًا بقُدرته.

قوله: (وفي الحديث: «لو لم يستثنوا[1] لما بيّنت لهم آخر الأبد») قال العراقي: لم أقف عليه، وقال السيوطي: أخرجه بهذا اللفظ ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعًا معضلًا، وأخرجه بنحوه سعيد بن منصور عن عكرمة مرفوعًا ومرسلًا، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا موصولًا. قوله: (معضلًا) قال الطيبي رحمه الله: المعضل يقال: أعضله فهو معضل - بفتح الضاد - وهو ما سقط من سنده اثنان فصاعدًا؛ كقول مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ، وقول الشافعي رضي الله عنه: قال ابن عمر كذا، ونحو قول الأعمش عن الشعبي: يقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا، جعله الحاكم نوعًا من المعضل حيث رواه الشعبي وأسقط ذكر الصحابي والرسول ﷺ، انتهى.

---

(١) قوله: لو لم يستثنوا، أي لو لم يقولوا إن شاء الله. ١٢ منه عم فيضه.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ لا ذلول صفة لبقرة (**بمعنى بقرة غير ذلول**)، يعني لم (**تذلل للكراب**) وإثارة الأرض ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ ولا هي من

وقوله: (مرسلًا) قال الطيبي: المرسل قول التابعي: قال رسول الله ﷺ كذا، وفعل كذا، انتهى.

قوله: (آخر الأبد) بالنصب كناية عن المبالغة في التأبيد، وإلّا فالأبد لا آخر له، والمعنى إلى الأبد الذي هو آخر الأوقات، والمقصود من نقل الحديث ترجيح الاحتمال الأوّل، وهو أن يكون المعنى: إنا لمهتدون إلى البقرة؛ لأن معنى الحديث لو لم يستثنوا لما بُيِّنت البقرة لهم أبدًا، ويرجّح الاحتمال الثاني ما رواه الإمام الواحدي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. قال: المعنى لمهتدون إلى القاتل، وقال: لولا أنّهم استثنوا ما اطّلعوا على القاتل، ويمكن أن يقال: الاهتداء إلى القاتل كناية عن الاهتداء إلى البقرة التي أُريد ذبحها؛ لأن الاهتداء إلى الأوّل لازم للاهتداء إلى البقرة، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم.

قوله: (**أي لو لم يقولوا إن شاء الله**) سُمّيت كلمة إن شاء الله استثناءً تشبيهًا لها بالاستثناء من حيث أن كلّ واحد منهما يصرف الحكم السابق عن ظاهره، فإنه لو لم يُورد الاستثناء لتناول الحكم السابق للمستثنى وغيره، وبإيراده صرف الكلام عن ظاهره، فكذا كلمة إن شاء الله إذا لم تورد يكون الكلام السابق دالّا على وقوع الحكم البتّة، وبإيرادها يصرف الكلام عن ظاهره ويكون وقوعه مُعلّقًا بمشيئة الله تعالى.

قوله: (**بمعنى بقرة غير ذلول**) بيَّن به أنّ لا بمعنى غير، فهي اسم لكن لكونها على صورة الحرف ظهر إعرابها فيما بعدها. **قوله**: (**تذلّل**) بمعنى تستعمل. **قوله**: (**للكراب**) من قولهم: كربت الأرض إذا قلبتها للحرث والزراعة، وفي معناه الإثارة، وهي التحريك، فإن إثارة الأرض تحريكها وبحثها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الروم: الآية ٩] أي بالحرث والزراعة.

(النواضح) التي **(يسنى)** عليها لسقي **(الحروث)**، و«لا» الأولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير الأرض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ عن العيوب وآثار العمل. ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ لا **(لمعة في نقبتها)** من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى **(قرنها وظلفها، وهي في الأصل مصدر)** وشاه **(وشيًا وشية إذا خلط بلونه لونًا آخر)**. ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ **(أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها)**، «جئت» وبابه بغير همز: أبو عمرو ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ **(فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها)** ﴿وَمَا كَادُواْ

قوله: **(النواضح)** جمع ناضح، في لسان العرب: الناضح البعير أو الثور أو الحمار الذي يُسْتسقى عليه الماء، والأُنثى بالهاء ناضحة. اهـ. **قوله**: **(يسنى)** أي يستقى. **قوله**: **(الحروث)** في المصباح: حرث الأرض حرثًا أثارها للزراعة، فهو حراث، ثم اسْتُعْمل المصدر اسمًا وجُمِع على حروث. **قوله**: **(لمعة)** أي قطعة تلمع. **قوله**: **(في نقبتها)** أي لونها. في لسان العرب: النُّقْبَة اللَّوْن. اهـ. **قوله**: **(قرنها)** في لسان العرب: القرن الثور وغيره الرَّوْق، والجمع قرون. اهـ. وأيضًا فيه الرَّوْق القَرْن من كل ذي قرن، والجمع أرْوَاق. اهـ.

قوله: **(ظلفها)** الظّلف من الشاء والبقر ونحوه كالظفر من الإنسان، والجمع أظلاف مثل حمل وأحمال، كذا في المصباح. **قوله**: **(وهي)** أي الشية **(في الأصل مصدر)** وشاه من باب وعد **(وشياً وشية إذا خلط بلونه لونًا آخر)**، والمراد هنا نفس اللّون، وأصلها وشية كحمية، فلمّا حذفوا الواو من الفعل لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ حذفوها أيضًا من المصدر بعد نقل حركتها إلى العين؛ لأنهم يُعلّون المصدر بإعلال الفعل المتشاكل، وأتوا بالتاء عِوضًا عن الواو. **قوله**: **(أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها)** يعني أنّ الحقّ هٰهنا صفة مشبهة بمعنى الثابت، وأن اللام فيه للاستغراق، والمعنى: إنك الآن جئت بجميع ما ثبت لها من أوصافها المميّزة لها عمّا عداها، وليس المراد بالحقّ هٰهنا خلاف الباطل، حتى يقال: إنهم كفروا بقولهم هذا من حيث أنه يدلّ على أنهم اعتقدوا بطلان ما جاء به قبل ذلك. **قوله**: **(فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلّها فذبحوها)** يعني أن الفاء في قوله: (﴿فَذَبَحُوهَا﴾) هي الفاء الفصيحة لكونها عاطفة لمدخولها على محذوف هو

يَفْعَلُونَ﴾ (لغلاء ثمنها) أو خوف الفضيحة في ظهور القاتل، رُوِيَ أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له (عجلة فأتى بها الغيضة وقال: اللّهمَّ إني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برًا بوالدته). فشبّت البقرة وكانت من أحسن البقر (وأسمنه، فساوموها اليتيم وأمه) حتى اشتروها

سبب ما بعدها، كما في قوله تعالى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠]، أي فضرب فانفجرت. **قوله**: (لغلاء ثمنها) في المصباح: غلا السعر يغلو، والاسم الغلاء ـ بالفتح والمدّ ـ ارتفع، ويقال للشيء إذا زاد وارتفع قد غلا، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أغلى الله السعر وغاليت اللّحم غاليت به اشتريته بثمنٍ غالٍ، أي زائد. اهـ.

قوله: (عجلة) بكسر العين وسكون الجيم الفتية من البقر. **قوله**: (فأتى) أي الشيخ (بها) أي بتلك العجلة والباء للتعدية (الغيضة) بالغين والضاد المعجمتين المفتوحتين مرعى واسع فيه أشجار، (وقال) أي الشيخ الصالح: (اللّهمّ إني استودعتكها) إني جعلت تلك العجلة وديعة وأمانة (لابني) أي لانتفاع ابني (حتى يكبر) بفتح الباء على أنه من باب علم، أي حتى يسنّ ابني. وأما كَبُر ـ بالضم ـ من باب حَسُن فهو عظم، نحو قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [غَافر: الآية ٣٥] الآية، وحتى يكبر غاية للاستيداع بملاحظة قوله بلا مدخلية ابني في الملاحظة لكونه صغيرًا، والمعنى إني استودعتكها بلا مدخلية ابني في المحافظ إلى أن يكون ابني مسنًّا قادرًا للحفظ، فإذا كان مسنًّا فاستودعتكها مع محافظة ابني، فلا إشكال بأن الاستيداع ينبغي أن يكون مستمرًا في عموم الأوقات، ومفهوم الغاية يقتضي انقطاعه حين كَبُر ابنه، (وكان برًا بوالدته) أي مُحْسِنًا لها، فشبّت ـ أي صارت ـ تلك العجلة شابّة عوانًا بين الفارض والبكر، وكانت وحيدة بتلك الصفات، أي نوعها مُنحصر في فردٍ لا يوجد مثله حينئذٍ. **قوله**: (وأسمنه) في محيط المحيط: سَمِن سَمَن سَمانةً وسِمَنًا كَثُر لحمه وشحمه، ضدّ هزل فهو سامن وسمين. اهـ.

قوله: (فساوموها) أي طلبوا شراءها (اليتيم وأُمّه) والظاهر أن اليتيم مجاز باعتبار ما كان، فلهذا طلبوا الشراء منه لكونه أهلًا للعقد، ولقول الشيخ حتى يكبر. وأمّا الطلب من أُمّه، فلاستظهارهم وتأليف قلوبهم أو لكونها شريكة لهم في

(**بملء مسكها ذهبًا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير**)، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة، وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخًا (**والنسخ قبل الفعل جائز**) وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافًا للمعتزلة.

الجملة. **قوله**: (**بملء**) في المصباح: ملأت الإناء ملأ من باب نفع فامتلأ، وملؤه بالكسر ما يملأه وجمعه إملاء مثل حِمْل وأحمال. اهـ. أي بمقدار ما يملأ (**مسكها**) بفتح الميم، أي جلدها (**ذهبًا**) تمييز.

قوله: (**وكانت البقرة**) أي قيمة نوع البقرة (**إذ ذاك**) أي في ذلك الوقت (**بثلاثة دنانير**) وهذا آثار الصلاح والتوكّل، اللّهمّ اجعلني من الصالحين المتوكّلين حتى أكون من الواصلين الفائزين، وزاد ألمًا وردى ثم فرّق ثمنها على بني إسرائيل، فأصاب كل فريق ديناران.

قوله: (**ودنانير**) في المصباح: الدينار معروف، والمشهور في الكتب أن أصله دنار بالتضعيف، فأبدل حرف علّة للتخفيف، ولهذا يرد في الجمع إلى أصله، فيقال: دنانير، وبعضهم يقول: هو فيعال، وهو مردود بأنّه لو كان كذلك لوجدت الياء في الجمع، كما ثبت في ديماس وديماميس وديباج وديابيج وشبهه، والدّينار وزان إحدى وسبعين شعيرة ونصف شعيرة تقريبًا، بناءً على أنّ الدانق ثماني حبّات وخمسا حبّة، وإن قيل: الدّانق ثماني حبّات، فالدينار ثمان وستّون وأربعة أسباع حبّة، والدينار المثقال. اهـ. وأيضًا فيه: الدّانق معرّب وهو سدس درهم وهو عند اليونان حبتا خرنوب؛ لأن الدرهم عندهم ثنتا عشرة حبّة خرنوب، والدّانق الإسلامي حبّتا خرنوب وثلثا حبة خرنوب، فإنّ الدرهم الإسلامي ستّ عشرة حبّة خرنوب، وتُفتح النون وتُكسر، وبعضهم يقول: الكسر أفصح، وجمع المكسور دوانق، وجمع المفتوح دوانيق، بزيادة ياء، قاله الأزهري. وقيل: كل جمع على فواعل ومفاعل يجوز أن يمدّ بالياء، فيقال: فواعيل ومفاعيل. اهـ.

قوله: (**والنسخ قبل الفعل جائز**) بل واقع، كما في حديث فرض الصلاة خمسين في المعراج، وقد نصّ السهيلي في الرّوض، وإنما المُمتنع النسخ قبل التمكّن من الاعتقاد بالاتّفاق، وقبل التمكّن من الفعل عند المُعتزلة.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ بتقدير «واذكروا» (خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم). ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ فاختلفتم واختصمتم في شأنها (لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم) بعضًا (أي يدفع، أو تدافعتم) بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض (فيدفع المطروح عليه) الطارح، أو (لأن الطرح في نفسه دفع)، وأصله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالًا لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الإدغام، ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكنًا وزيدت همزة الوصل لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن، «فادارأتم» بغير همز: أبو عمرو. ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مظهر لا محالة) ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتومًا،

قوله: (خُوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم) عمّا يقال: كيف خُوطِب الجمع بقوله: (﴿قَتَلْتُمْ﴾)، مع أن القتل إنما وقع من بعضهم، بل مِنْ واحدٍ منهم؟ وتقرير الجواب: أنّ الفاعل الحقيقي للقتل لمّا لم يكن معلومًا للقوم حتى يُسْند الفعل إليه أُسند إلى ملابس له، وهو جماعة بني إسرائيل، فإنّ القتل ملابس لهم لوجوده فيهم، فصاروا بذلك كأنهم قتلوه جميعًا، وإضافة فعل البعض إلى الجميع كثير في كلام العرب، يقولون: بنو فلان قتلوا زيدًا مع أنّ القاتل واحدٌ منهم. **قوله**: (لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم، أي يدفع) تعليل لتفسير التدارؤ بالاختلاف والاختصام، وجعل التدارؤ الذي هو التدافع كناية عن الاختلاف والاختصام؛ لأن الاختلاف والاختصامَ ملزوم للتدافع، فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم. **قوله**: (أو تدافعتم)... الخ. أي أو يكون المراد بالتدارؤ أصل معناه وهو التّدافع؛ لأن كل واحد من المتهمين بالقتل يطرح قتلها عن نفسه إلى صاحبه، وقدّم الوجه الأوّل لأن الكناية أبلغ. **قوله**: (فيدفع) الفاء للتفسير (المطروح عليه) أي الذي طُرِح عليه بأنك قتلت. **قوله**: (لأن الطَّرح) أي طرح القتل (في نفسه دفعٌ)، وكلّ من الطارحين دافع فتطارحهما تدافع من غير احتياج إلى أن يعتبر بعد التطارح دفع المطروح عليه الطارح. **قوله**: (مظهر لا محالة) أخذه من التعبير بالاسميّة وبناء اسم الفاعل على المبتدأ المفيد لتقوى الحكم، وفسّره بالإظهار لوقوعه في مقابلة الكتم، وقوله: (لا محالة) في الصحاح قال أبو زيد: يقال: ما له حيلة ولا محالة ولا احتيال ولا محال، بمعنًى واحد. وفي محيط المحيط يقال: لا مَحالَةَ منه أي

(واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلًا في وقت التدارؤ، وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه) وهما ادارأتم.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾

و(﴿فَقُلْنَا﴾) والضمير في (﴿اضْرِبُوهُ﴾) يرجع إلى النفس، والتذكير بتأويل الشخص والإنسان، أو إلى القتيل لما دلّ عليه ما كنتم تكتمون. (﴿بِبَعْضِهَا﴾) ببعض البقرة (وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها)، والمعنى فضربوه فحيي

لا بدّ، وهو مصدر ميمي بمعنى التحوّل أو الحيلة، يقال: الموت آتٍ لا محالة منه، ويستعملون لا محالة بمعنى لا رَيْب. اهـ. **قوله**: **(واعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلًا في وقت التدارؤ)**، فإنّ ما في قوله: (﴿مَّا كُنتُمْ﴾) موصولة منصوبة المحل باسم الفاعل، وقد تقرّر أنه لا يعمل عمل فعله إلّا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وهو هٰهنا بمعنى الماضي؛ لأن الإخراج ماضٍ بالنسبة إلى وقت نزول القرآن، فينبغي أن لا يعمل، والجواب أنه عمل؛ لأنه حكاية إخراج مستقبل بالنسبة إلى وقت التدارؤ، وإنْ كان ماضيًا بالنسبة إلى وقت نزول القرآن. **قوله**: **(وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه)**... الخ. للدلالة على أنّه تعالى عالمٌ بجميع المعلومات، وإلّا لما قدر على إظهار ما كتم العباد أيّ شيء كان، فإنّ قوله: (﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾) يتناول كل المكتومات ويدخل فيه ما كتموه من أمر القتيل دخولًا أوّليًا، وعلى أنه تعالى سيظهر ما كتمه العبد من خيرٍ وشرٍّ البتّة، وإن دام العبد على كتمه وستره. قال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ عبدًا لو أطاع الله تعالى بشيء وراء سبعين حجابًا لأظهر الله تعالى إيّاه على ألسنة الناس، وكذلك المعصية».

قوله: **(وهو لسانها)** قاله الضحاك، قال الحسين بن الفضل: لأنه آلة الكلام. **قوله**: **(أو فخذها اليمنى)** قاله عكرمة والكلبي. في المصباح: الفخذ ـ بالكسر وبالسكون للتخفيف ـ من الأعضاء مؤنّثة والجمع أفخاذ. اهـ باختصار.

قوله: **(أو عجبها)** قاله مجاهد وسعيد بن جبير. والعَجْب[1] ـ بفتح العين المهملة وسكون الجيم ـ العظم بين الإليتين، وفي الحديث: «كل ابن آدم يفنى إلا

---

(١) بالفتح والضم ثم السكون أصل الذنب، وهو أساس البدن. ١٢ منه.

(فحذف ذلك) لدلالة (﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) عَليه. رُوِيَ أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وقال: قتلني فلان وفلان **(لابْنَيْ عمه)** ثم **(سقط ميتًا فأُخذا)** وقُتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك، **(وقوله: «كذلك يحيي الله الموتى» إما أن يكون خطابًا للمنكرين في زمن النبيّ** ﷺ**، وإما أن يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة)**. ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائله

العجب»، يُقال: إنه أوّل ما يُخْلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق، قيل: العجب أمره عجب، إنه أوّل ما يُخْلق وآخر ما يخلق. **قوله**: **(فحذف ذلك)** أي قوله: فضربوه، فحيي؛ لدلالة (﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾) عليه، يعني أن فحوى الكلام إنما يتم باعتبار اشتماله على الحذف والاختصار، والتقدير: (﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾) فحيي، فحُذِفت الفاء الفصيحة مع ما عطف بها أيضًا لدلالة قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ عليه؛ لأن التشبيه يدلّ على تحقّق المشبّه به، وهو إحياء القتيل، وإحياؤه يدلّ على تحقّق ما علق هو عليه وهو ضرب، وفيه إشارة إلى أن حياة القتيل كانت بمحض خلق الله من غير تأثير للضرب بالبعض فيها، حيث أسند الإحياء إليه تعالى من غير اعتبار شيء آخر فيه، ولو كان للضرب تأثيرٌ في إحياء القتيل لما صحّ تشبيه إحياء مَنْ في القبور به. **قوله**: **(لابني عمّه)** أي يشير لهما. **قوله**: **(سقط ميتًا)** أي مات في الحال. **قوله**: **(فأخذا)** أي ابنا عمّه. **قوله**: **(وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إمّا أن يكون خطابًا للمنكرين في زمن النبيّ عليه السلام، وإمّا أن يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل، بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة)**، يعني أن قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يحتمل أن يكون خطابًا لمن يُنكر البعث والحساب والجزاء من المشركين الموجودين وقت نزول الآية؛ لأنه إن ظهر لهم بالتواتر أنّ هذا الإحياء قد وقع على هذا الوجه عَلِموا صحة الإعادة وصحّ الاحتجاج بإحياء هذا القتيل على صحتها، وإنْ لم يظهر لهم ذلك بالتواتر تكون الآية داعية لهم إلى مراجعة أهل الأخبار والتفكّر المؤدّي إلى الاطّلاع على حقيقة الحال؛ فعلى هذا لا حاجة إلى إضمار القول. ويحتمل أن يكون خطابًا للذين حضروا حياة القتيل من بني إسرائيل بمعنى: وقلنا لهم: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يوم القيامة؛ فتكون هذه الآية داخلة في حيّز القول المذكور سابقًا، أو مقولًا لقول مضمر؛ فإنّه تعالى لما أحيىٰ قتيل بني

على أنه قادر على كل شيء (﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فتعملون على قضية عقولكم) وهي أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء جميعها لعدم الاختصاص، والحكمة في ذبح البقرة (وضربه ببعضها) وإن قدر على إحيائه بلا واسطة (التقرّب به، الإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب) والتعليم لعباده ترك التشديد في الأمور والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال (وغير ذلك).

إسرائيل بمحضرهم وشاهدوا إحياءه إيّاه، قال لهم: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ جميعًا يوم القيامة إحياءً مثل إحياء هذا القتيل الذي شاهدتم إحياءه. **قوله**: (﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فتعملون[1] على قضية عقولكم)... الخ. بناءً على أنّ كونهم يعقلون أمرٌ محقَّق ليس في صورة ما يُرجى حصوله، لكنهم نزلوا منزلة مَنْ لا يعقل؛ لعدم ترتّب معظم ثمرات العقل على عقولهم، وهو التفكّر في أمر الدِّين والعمل بمقتضى العقل.

قوله: (وضربه) أي القتيل (ببعضها) أي البقرة. **قوله**: (التقرّب به) أي تقرّب العبد المحتاج إلى ربّه الكريم لِمَا يجلب رضاه ويُعين على قضاء حاجته؛ كالتقرب بذبح قربان عظيم القدر. **قوله**: (والإشعار بحُسن تقديم القُرْبة على الطلب) حيث أمر بأن يذبح البقرة ثم يشتغل بطلب القاتل، يعني أنّ من حقِّ الطالب لمقصوده من جنابه تعالى أن يطلبه بتقديم قُرْبة يتقرّب بها إليه تعالى من صدقة وإحسان إلى عباده المُحتاجين اعتقادًا بأنّ الله لا يضيع أجر المحسنين، بل يُثيبهم على إحسانهم بقضاء حوائجهم وكفاية مَهمّاتهم، وأنّ من حقِّ المتقرّب أن يتحرّى أحسن ما يتقرّب به إليه ويغالي بثمنه، فإنه أدلّ على إخلاص المتقرّب وأجلب لمرضاة المتقرّب إليه، فإنّ مَنْ تقرَّب إليه تعالى ذراعًا يتقرّب إليه باعًا، ويزيد من فضله ما شاء.

قوله: (وغير ذلك) من الحكم والفوائد الجمّة، منها نفع اليتيم البارّ بوالدته بوصول المال العظيم إليه، رُوي أنّه كان يُقسم الليل ثلاثة أثلاث: يصلّي ثلثًا، وينام ثلثًا، ويجلس عند رأس أُمّه ثلثًا؛ فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتي به السوق فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدّق بثلثه، ويأكل ثلثه، ويعطي والدته ثلثه،

---

(١) لأن العقل يوجب العمل. ١٢ منه.

....

فقالت له أُمّه يومًا: إنّ أباك ورثك عجلة استودعها الله تعالى في غيضة كذا، فانطلِق وادعُ إلٰه إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق أن يَرُدَّها عليك، وعلامتها أنّك إذا نظرت إليها يخيّل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تلك البقرة تسمّى المذهبة لحُسْنها وصُفرتها، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها، وقال: أعزم عليك بإلٰه إبراهيم وإسمٰعيل وإسحٰق ويعقوب أن تأتي، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلّمت البقرة بإذن الله تعالى، وقالت: أيّها الفتى البارّ بوالدته، اركبني فإنّ ذلك أهون عليك، فقال الفتى: إنّ أُمي لم تأمرني بذلك، ولكن قالت: خذ بعنقها، فقالت البقرة: بإلٰه بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر عليّ أبدًا، فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لفعل لبرّك بأُمك، فسار الفتى بها إلى أُمه، فقالت: إنك فقير لا مال لك ويشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق وبِعْ هذه البقرة، قال: بكم أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير، ولا تَبِعْ بغير مشورتي، وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق، فبعث الله تعالى ملكًا ليمتحن الفتى ويختبر كيف برّه بوالدته، وكان الله تعالى به خبيرًا، فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟ فقال: بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضى والدتي، فقال الملك: بِعْني بستّة دنانير ولا تستأمر والدتك، فقال الفتى: لو أعطَيْتني وزنها ذهبًا لم آخذه إلّا برضى أمّي؛ فردَّها إلى أمّه وأخبرها بالثمن، فقالت: ارجع فبِعْها بستّة دنانير على رضَى منّي؛ فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك، فقال له: استأمرتَ أُمّك؟ فقال الفتى: إنها أمَرَتْني أن لا تُنْقصها من ستّة دنانير على أن أستأمرها، فقال الملك: أُعطِيك اثني عشر دينارًا على أن لا تستأمرها؛ فأبى الفتى ورجع إلى أُمّه، فأخبرها بذلك، فقالت: إنّ الذي يأتيك ملكٌ في صورة آدميّ جاءك ليختبرك، فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أمْ لا؟ ففعل، فقال له الملك: اذهب إلى أُمّك وقل لها: أمسكي هذه البقرة، فإنّ موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منكم لقتيل يُقتل من بني إسرائيل، فلا تَبِيعوها إلّا بملء مَسْكها دنانير، فأمسكوها إلى أن أمر الله تعالى بني إسرائيل بذبح البقرة الموصوفة، ولم يجدوا بقرةً موصوفةً بتلك الصّفات غيرها، فاشتروها بملء مَسْكها دنانير.

وقيل: إنما أُمروا بذبح البقرة دون غيرها (من البهائم) لأنها أفضل (قرابينهم)، ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى أن (يهون) معبودهم عندهم، وكان ينبغي أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يُقال: وإذا قتلتم نفسًا فادرأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها، ولكنه تعالى إنما قصّ قصص بني إسرائيل تعديدًا لما وجد منهم من الجنايات (وتقريعًا) لهم عليها، وهاتان القصّتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع. فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال (وما يتبع ذلك)، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة (وما تبعه) من الآية العظيمة. (وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة) على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية التقريع، ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية

ومن فوائده التنبيه على بركة التوكّل وحُسْن عاقبته، كما مرّ من أن الشيخ الصالح توكّل على الله تعالى في حفظه عجلته وإيصالها إلى ابنه. ومنها التنبيه على بركة الشفقة على الأولاد، كما فعله الشيخ الصالح حيث اجتهد في تحصيل مصالح ابنه وكفاية مَهمّاته بحُسن التدبّر المرضيّ عند الله تعالى. ومنها التنبيه على أن المؤثر في المُمكنات هو الله تعالى، وأنّ الأسباب الظاهرة أمارات لا أثر لها حيث أحيى القتيل بضرب موات لا يُتوهّم منه التأثير بوجهٍ من الوجوه، فإنّ تولُّد الحياة من مسّ الميت بالميت وضربه به غير معقول ولا مُتوهّم.

قوله: (**من البهائم**) في المصباح: البهيمة كل ذات أربع من دوابّ البحر والبرّ، وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة، والجمع البهائم. اهـ. **قوله**: (**قرابينهم**) في المصباح: القربان ـ بالضمّ ـ مثل القربة، والجمع القرابين. اهـ. **قوله**: (**يهون**) في المصباح: هان يهون هونًا ـ بالضمّ ـ وهوانًا ذلّ وحَقُر. اهـ.

قوله: (**وتقريعًا**) أي توبيخًا. **قوله**: (**وما يتبع ذلك**) من التقرّب وغيره عطف على تقريعهم لا على الاستهزاء؛ إذ ليس سوى الاستهزاء وترك المسارعة أمر آخر يتعلق به التقريع. **قوله**: (**وما تبعه**) من الآية العظيمة عطف على التقريع لا على قتل النفس؛ إذ لا معنى للتقريع على الآية العظيمة. **قوله**: (**وإنما قدّمت قصة الأمر بذبح البقرة**). . . الخ. هذا هو الجواب، فالسابق كالمقدمة والتمهيد لئلا يلزم التكرار.

استئناف قصة برأسها (أن وصلت بالأولى) بضمير البقرة (لا باسمها الصريح) في قوله: «اضربوه ببعضها» ليعلم أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة. (وقيل: هذه القصة تشير) إلى أن مَن أراد إحياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات.

قوله: (أن) بفتح الهمزة (وُصِلَتْ) أي الثانية، وهذا بيان لنكتة. **قوله**: (بالأُولى) الباء متعلّقة بوصلت. **قوله**: (لا باسمها الصريح[1])؛ لأن المظهر مستقلّ لفظًا، وإنْ كان معهودًا، فلم يدلّ الاتّحاد والربط بالمضمر أشدّ لعدم استقلاله.

قوله: (وقيل[2]: هذه القصّة تُشير)... الخ. جعل الله تعالى إحياء المقتول في ذبح البقرة تنبيهًا لعبيده أنّ مَنْ أراد منهم إحياء قلبه لم يتأتّ له ذلك إلا بإماتة نفسه، فمَنْ أماتَها بأنواع الرياضات أحيى الله تعالى قلبه بأنوار المشاهدات، وهذا ما يشير إليه باطن النصّ مع ملاحظة المعنى، لا أنّه تفسير مستقل. وفي كتاب تفسير القرآن المسمّى بروح البيان للفاضل الكامل الشيخ إسمٰعيل حقيّ أفندي رَحِمَهُ اللهُ، وفي التأويلات النجمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧]، إشارة إلى ذبح بقرة النفس البهيميّة، فإنّ في ذبحها حياة القلب الروحانيّ، وهذا هو الجهاد الأكبر الذي كان النبيّ عليه السلام يشير إليه بقوله: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، وبقوله: «المجاهد مَنْ جاهد نفسه»، وقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا»، إشارة إلى هذا المعنى. قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧]، أي أتستهزىء بنا في ذبح النفس، وليس هذا من شأن كل ذي همّة سَنِيَّة، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٧] الذين يظنّون أن ذبح النفس أمرٌ هيِّن، ويستعدّ له كل تابع الهوى أو عابد الدنيا. قالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨]، أي يعين أيّ بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق، فأشار إلى بقرة نفس، ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨] في سنّ الشيخوخة تعجز عن سلوك الطريق لضعف المشيب وخلل القوى النفسانية، كما قال بعض المشائخ الصوفيّ: بعد الأربعين بارد. ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨] في سنّ شرخ[3] الشباب، فإنه

---

(١) بدل من نكتة. ١٢.

(٢) هذا المعنى لباطن القرآن، وما ذكر أولًا لظاهر الآية. ١٢ منه عم فيضه.

(٣) في المصباح: شَرْخُ الشباب: أوّله. انتهى. ١٢ منه عم فيضه.

....

يستهويه سكره. ﴿عَوَانٌۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨]، أي عند كمال العقل. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: الآية ١٥]، ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٨] فإنكم إن تقرّبتم إلى الله بما أُمِرْتم، فإنّ الله يتقرّب إليكم بما وعدتم، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملًا في الشَّيْب والشباب. ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩]، يعني ما لون بقرة نفس تصلح للذَّبح في الجهاد، ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩] إشارة إلى صفرة وجوه أرباب الرياضات وسيما أصحاب المجاهدات في طلب المشاهدات، ﴿فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩] يعني صفرة زين لا صفرة شَيْن، كما هي سيما الصالحين. ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٩] مَنْ نظر إليهم يشاهد في غرّتهم بهاء قد أُلْبِس من أثر الطاعات، ويطالع من طلعتهم آثار شواهد الغيب من خمود الشهوات حتى أَمِنَ مِنْ أحوال البشرية بوجدان آثار الربوبية؛ كقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفَتْح: الآية ٢٩]. ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٠] إشارة إلى كَثْرة تشبه البطالين بزيّ الطالبين وكسوتهم وهيئتهم، ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٠] إلى الصادق منهم، فالاهتداء إليهم يتعلّق بمشيئة الله وبدلالته، كما كان حال موسى والخضر على نبيّنا وعليهما الصّلاة والسلام، فلو لم يدلّ الله موسى لما وجده، وقوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] إشارة إلى نفس الطالب الصادق، وهي التي لا تحمل الذِّلة تُثير بآلة الحرص علوًّا أرض الدنيا لطلب زخارفها، وتتبع هوى النفس وشهواتها؛ كما قال عليه الصّلاة والسّلام: «عزّ مَنْ قنع، وذُلّ مَنْ طمع»، وقال: «ليس للمؤمن أن يُذِلّ نفسه». ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] أي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق وبماء وجاهته عند الحقّ، فيصرف في حرث الدنيا فيذهب ماؤه عند الخلق وعند الحقّ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشّورى: الآية ٢٠]. ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١]، أي نفس مسلمة من آفات صفاتها مستسلمة لأحكام ربّها ليس منها طلب غير الله ولا مقصد لها إلّا الله، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣]. ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] يشير إلى أن ذبح النفس

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

(ومعنى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ استبعاد القسوة) ﴿مِّنۢ بَعْدِ﴾ ما ذكر مما يوجب

ليس من الطبيعة الإنسانيّة، فمَنْ ذبحها من الصادقين بسيف الصدق كان ذلك من فضل الله تعالى وحُسْن توفيقه. فأمّا من حيث الطبيعة، فما كادوا يفعلون، انتهى بحروفه.

وأيضًا فيه: قال بعض أهل المعرفة في قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إنما جعل الله إحياء المقتول في ذبح البقرة تنبيهًا لعبيده أنّ مَنْ أراد منهم إحياء قلبه لم يتأتّ له إلّا بإماتة نفسه، فمَنْ أماتها بأنواع الرياضات أحيى الله قلبه بأنوار المشاهدات، فمَنْ مات بالطبيعة يَحْيى بالحقيقة، وكما أنّ لسان البقرة بعد ذبحها ضرب على القتيل وقام بإذن الله وقال: قتلني فلان، فكذلك مَنْ ضرب لسان النفس المذبوحة بسكّين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذّكر يُحيي الله قلبه بنوره، فيقول: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٣]، فيجب علينا غاية الوجوب أن نتقيّد بإحياء نفوسنا بالحياة الحقيقية وإصلاح قلوبنا بالإصلاح الحقيقيّ وإخلاص أعمالنا بالإخلاص الحقيقي؛ فإنّ المنظر الإلٰهيّ إنما هو القلوب والأعمال لا القصور والأموال، كما ورد في الحديث: «إنّ الله لا ينظر إلى صُوَركم وأحوالكم، بل إلى قلوبكم وأعمالكم»؛ فالمُعتبر هو الباطن والسرائر دون السير والظواهر، والعاقل مَنْ دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت، والجاهل مَنْ نَسِيَ نفسه واتّبع هواه، وما يعقل ذلك إلّا العالمون، وما يعلمه إلا الكاملون، انتهى باختصار.

قوله: (ومعنى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾[1] استبعاد القسوة)، أي ثم

---

(١) قوله: ثم قست... الخ. ثم موضوعة للتراخي يبعد في الزمان، ولا تراخي هٰهنا؛ إذ قسوة قلوبهم في الحال لا بعد زمان، فهي محمولة على الاستبعاد مجازًا، إذ من العاقل القسوة بعد تلك الآيات؛ كقولك: قد وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها. ١٢ منه.

لين القلوب ورقتها. وصفة القلوب بالقسوة مثل (لنبوّها) عن الاعتبار (والاتّعاظ). من بعد ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ فهي في قسوتها (مثل الحجارة

لاستبعادها ممّن شاهد من الآيات والدّلائل ما يقتضي لين القلوب وانقيادها للحقّ، كإحياء القتيل بضرب عضوٍ من أعضاء البقرة المذبوحة وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها من حين ما خرجوا من مصر ليلًا مع موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام، فصبّحهم فرعون وجنوده وصادَفهم على شاطىء البحر، فإنّها ممّا يُوجب لين القلب، ومع ذلك لم يخلوا عن عناد واعتراض على موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام في التّيه وغير ذلك، ولا شكّ أنّ قسوة القلب بعد مشاهدة ما يُوجب لِينه وتأثّره بقبول الحقّ مُستبعد من العاقل كلّ البُعد؛ فكلمة ﴿ثُمَّ﴾ هٰهنا مستعملة في استبعاد الوقوع مجازًا[1] مرسلًا[2]، لتعذّر حملها على معناها الحقيقيّ، وهو تراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه تراخيًا زمانيًا وقسوة قلوبهم لم تتراخ زمانًا عن مشاهدات الآيات المذكورة، بل إنها لم تزل قاسية مع رؤية الآيات وبعدها، ولمّا تعذّر حملها على معناها الحقيقي حملت على التراخي الرتبي مجازًا، فإنّ مطلق الاستبعاد لازم للبعد الزماني، فاستعمل ما هو موضوعٌ للتراخي الزماني في استبعاد الوقوع على طريق إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، والمعنى يستبعد من العاقل النبوّ عن الفكر والاعتبار بعد حصول ما يُوجبه من الآيات؛ فهو كقولك لصاحبك: وجدت مثل تلك الفرصة، ثم لم تنتهزها. **قوله**: (لنبوّها) أي لبُعْدها. **قوله**: (**الاتّعاظ**) أي: قبول الموعظة. **قوله**: (**مثل الحجارة**) أشار به إلى أنّ الكاف في (﴿كَٱلْحِجَارَةِ﴾)

---

(١) المجاز مرسل إن كانت العلاقة المصحّحة لاستعمال اللفظ في غير ما وُضع له غير المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي، كما إذا كانت مسبّبية أو سببية، وذلك بأن يكون معنى اللفظ الأصلي سببًا لشيء أو مسبّبًا عن شيء، فينقل اسمه لذلك الشيء. ١٢ منه.

(٢) سُمّي مرسلًا لأن الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيّد بادّعاء أن المشبّه من جنس المشبّه به، والمرسل مطلق عن هذا القيد، وقيل: سمّي لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة، بل ردّ بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري، فإنه مقيّد بعلاقة واحدة وهي المشابهة. ١٢ منه.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **منها)**. و«أشد» معطوف **(على الكاف)** تقديره أو مثل أشد قسوة، **(فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه. أو هي في أنفسها أشد قسوة)**. يعني أن من عرف حالها شبهها بالحجارة **(أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا)**، أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة. **(وإنما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدلّ على فرط القسوة)**. وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس

اسم بمعنى المثل ليحسن عطف أشدّ بالرفع عليه، ولا يكون مِنْ عطف المفرد على الجملة الظرفية، وإنْ كان صحيحًا، لكنّ الأصح الإعراض عنه. **قوله**: (﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ **منها)** أشار إلى أن المفضل عليه محذوف للدّلالة عليه، أي أشدّ قسوة من الحجارة، وقسوة منصوب على التمييز. **قوله**: **(على الكاف)** أي كاف التشبيه، وهو مرفوع المحل. **قوله**: **(فحذف المضاف)** وهو المثل، **(وأُقيم المضاف إليه مقامه)** وهو أشد فأعرب بإعرابه، وهو الرفع. **قوله**: **(أو هي)** أي قلوبكم **(في أنفسها أشدَ قسوة)** لا أن يكون جوهر آخر، وتكون القلوب مشبَّهة بذلك الجوهر كما في الوجه الأوّل؛ فعلى هذا لا يقدر مثل، ولا يكون حذف المضاف. **قوله**: **(أو بجوهر أقسى منها)**، وفيه إشارة إلى أن هذا الوجه على تقدير أن يكون أشدّ معطوفًا على الكاف، ولفظ مثل محذوفًا ليكون الأشد غير القلوب. **قوله**: **(وهو الحديد مثلا)**، فإنّ الحديد والحجارة إذا خليتا وطبعهما، لا رَيْب في أشدّية الحديد، ألا يرى أنه يكسر بالحديد دون العكس، ولا يقدح في ذلك كون الحديد يلين بالنار دون الحجارة؛ لأنه خاصّة أخرى، والكلام في الصلابة والشدّة، وأيضًا الحديد لعدم قبوله الانفعالات المذكورة بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾، كأن الحجارة دون الحديد في الصلابة والشدّة. وأمّا قصة داود عليه السلام من أن الحديد صار كالعجين له بإذن الله تعالى، فمعجزة لا مَساس لها بالبحث عن مقتضى الطبائع.

قوله: **(وإنما لم يقل: أقسى، لكونه أبْين وأدلّ على فَرْط القسوة)**، أي شدّتها لدلالته[1] عليها بجوهر اللفظ الموضوع لها مع هيئة موضوعة للشدّة فيها.

---

(١) وجه الدلالة هو أن أشدّ قسوة يدلّ على الزيادة بالمادة والهيئة، وأقسى يدلّ عليها بالهيئة فقط. ١٢ منه عم فيضه.

كقولك «زيد كريم **وعمرو أكرم**». ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ («ما» بمعنى «**الذي**») في موضع النصب وهو اسم «إن» واللام للتوكيد. (**والتفجر التفتح بالسعة والكثرة**).

وأمّا أقسى، فلدلالته بالهيئة فقط. وفي حاشية شيخ زاده: وإنما لم يقل أقسى... الخ. جواب عمّا يقال: إنما يحتاج في بناء أفعل التفضيل إلى نحو أشدّ وأقبح إذا لم يكن الفعل ثلاثيًا، أو كان ثلاثيًا من الألوان والعيوب، والفعل هٰهنا ليس كذلك، فأمكن بناء أقسى منه فلم عدل عن الأقصر مع إمكانه إلى الأطول، وهو أشدّ قسوة بدون الاحتياج إليه. وتقرير الجواب أن يُراد لفظ أشدّ هٰهنا ليس للتوصّل إلى بناء أفعل التفضيل من قَسا يَقْسو قسوةً حتى يكون المقصود بالتفضيل نفس القسوة بأن تكون القلوب والحجارة متشاركتين في القسوة، ويُراد تفضيل القلوب على الحجارة في القسوة، بل المقصود من إيراده الدَّلالة على المبالغة في قسوة القلوب بأن يكون المطلوب بالتفضيل شدّة القسوة لا نفس القسوة، فيكون المشترك بينهما هو شدَّة القسوة، والمراد بيان أنّ القلوب أزْيَد منها في شدّة القساوة. ولا شكّ أن هذا المعنى أبلغ في توصيف القلوب بالقسوة من أن يقال إنّها أزْيَد من الحجارة في نفس القسوة، كما هو المعنى. على تقدير أن يكون أشدّ للتوصّل إلى بناء أفعل التفضيل من قسا يقسو، فإنك إذا قلت: زيد أشدّ إكرامًا من عمرو، كان المعنى أنهما مشتركان في الإكرام، وأن أحدهما أزيد من الآخر فيه، لا أنّهما مشتركان في شدّة الإكرام، وأحدهما أزْيَد من الآخر.

قوله: (وعمرو أكرم) أي من زيد. **قوله**: (﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾) بيان وتقرير، يعني من جهة المعنى. وأمّا بحسب اللفظ، فعطف على جملة: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ﴾. **قوله**: (ما بمعنى الذي)... الخ. وضمير ﴿منه﴾ يرجع إليه حملًا على اللفظ، وإن كان عبارة عن الحجارة. **قوله**: (**التفجّر التفتّح بالسعة والكثرة**) التفتح كشاده شدن، والكثرة والسعة مستفادتان من صيغة التفعّل مع مدخليّة المادة فيها، ولذا لم يذكر في التشقّق مثل ذلك، والمراد بالأنهار الماء الكثير الذي يجري في الأنهار، فهو إمّا على حذف المضاف أو المجاز المُرسل بذكر المحلّ وإرادة الحال أو الإسناد المجازي، ولمَّا كانت الحجارة جمعًا جعل

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ أصله يتشقق (وبه قرأ الأعمش) فقلبت التاء شينًا وأدغمت ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ يعني أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة (يتدفق) منها الماء الكثير، ومنها ما ينشق انشقاقًا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضًا (وقلوبهم لا تندى). ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ (يتردى) من أعلى الجبل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ قيل: (هو مجاز عن انقيادها لأمر الله

الأنهار جمعًا أيضًا. **قوله**: (**وبه قرأ الأعمش**[1]) هو أبو محمد سليمان بن مهران المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور، كان ثقةً عالمًا فاضلًا، وكان يُقارن بالزهري في الحجاز، ورأى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وكلَّمه، لكنه لم يرزق السماع عليه وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثًا واحدًا، ولقي كبار التابعين. وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجّاج وحفص بن غياث وخلقٌ كثير من أجِلَّة العلماء، وكان لطيف الخلق مزّاحًا ومولده سنة ستّين للهجرة، وقيل: وُلِد يوم مقتل الحسين رضي الله تعالى عنه، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأوّل، وقيل: سنة سبع وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين رحمه الله تعالى.

قوله: (**يتدفّق**) معنى يتفجّر. **قوله**: (**قلوبهم لا تندَى**) في الصحاح: نَدِي الشيءُ إذا ابتلّ، فهو ندّ مثال تعب، فهو تَعِب.اهـ. أي قلوبهم لا تتأثّر فلا تنفعل عن أمره. **قوله**: (**يتردّى**) أي يسقط.

قوله: (**هو مجاز** عن **انقيادها لأمر الله**)... الخ. جواب عمّا يقال: الهبوط من خشية الله صفة للأحياء العقلاء، والحجر جماد لا حياة له فضلًا عن العقل، فلا يُوصف بالخشية. وتقرير الجواب أنّ الخشية مجاز عن الانقياد على طريق إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم، فإنّ الخَشْية ملزوم للانقياد، فأطلقه وأُريد بها لازمها الذي هو الانقياد مجازًا مرسلًا، فالظاهر على هذا أن يكون قوله: (﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾) متعلّقًا بجميع ما ذُكِر من الأفعال، وهي تشقّق بعض الحجارة تشقّقًا

---

(١) في محيط المحيط: الأعْمَش مَنْ بعينه عَمَشٌ، والأُنْثى عَمْشاء ج عُمْشٌ.اهـ. وأيضًا فيه: العمش ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الأوقات.اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

وأنها لا تمتنع) على ما يريد فيها، وقلوب **(هؤلاء)** لا تنقاد ولا تفعل ما أُمرت به. وقيل: المراد به حقيقة الخشية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتمييز. وليس شرط خلق الحياة والتمييز في الجسم أن يكون على **(بنية)** مخصوصة عند أهل السنّة وعلى هذا قوله: (﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: الآية ٢١]، **الآية.)** يعني وقلوبهم لا تخشى. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ **(وبالياء مكي وهو وعيد)**.

مؤيّدًا إلى تفجّر الأنهار وتشقّق بعضها لخروج الماء وهبوط بعضها، فإنّ كل ذلك من خشية الله تعالى بمعنى الانقياد لما أراد الله تعالى منها، وكلمة ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ للتعليل بمعنى لام الأجل. **قوله: (وأنها لا تمتنع)**... الخ. عطف تفسيري على انقيادها. **قوله: (هؤلاء)** أي اليهود.

قوله: (بنية) بكسر وبضمّ أوّل وسكون نون بمعنى بنياد ونهاد وآفرينش ووجود وسرشت؛ كذا في غياث اللّغات. **قوله:** (﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: الآية ٢١] **الآية)** في تفسير الجلالين: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: الآية ٢١] وجعل فيه تمييز كالإنسان، ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر: الآية ٢١] متشققًا ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ [الحشر: الآية ٢١] المذكورة ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: الآية ٢١] فيؤمنون، انتهى.

قوله: (وبالياء مكّي) أي قرأ ابن كثير المكّي رحمه الله بالياء المثناة التحتية، والباقون بالفوقية، ووجه الغيبة مناسبة ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧١] وهم يعلمون، ووجه الخطاب مناسبة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٢] و﴿تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٢] و﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٣]، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ لا ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٥]؛ لأنه للمؤمنين، قاله الجعبري، وكذا في التيسير وغيره.

قوله: (وهو وعيد) أي على قسوة قلوبهم من بعد ما رأوا الآيات، والمعنى أنّه تعالى حافظ لأعمالهم ومُجازيهم على حسبها في الدنيا والآخرة، و(ما) في قوله تعالى: (﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) إمّا موصولة والعائد محذوف، أي تعملونه. أو مصدرية، فلا تحتاج إلى العائد، أي عن عملكم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ (الخطاب لرسول الله والمؤمنين). ﴿أَن (يُؤْمِنُوا) لَكُمْ﴾ أن يؤمنوا (لأجل دعوتكم) ويستجيبوا لكم كقوله تعالى: (﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦]، يعني اليهود). ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ طائفة فيمن سلف منهم. ﴿يَسْمَعُونَ

قوله: (الخطاب لرسول الله وللمؤمنين)، فإنهم لمّا سمعوا الآيات الواردة في حقِّ بني إسرائيل من تعديد ما أنعم الله تعالى به عليهم؛ كإنجائهم من آل فرعون بعد ما كانوا مقهورين في أيديهم، وتمكينهم في أرض مصر والأرض المقدّسة التي كتبها الله لهم ميراثًا من أبيهم إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وهي أرض دمشق والأردنّ وفلسطين، وفلق البحر لهم وإهلاك عدوّهم إلى غير ذلك، وعدّدها عليهم استمالةً لقلوبهم وحملًا لهم على أداء شكرها بالإيمان والطاعة، طمعوا أن يؤثر ذلك في قلوبهم فيؤمنوا، فقال تعالى مخاطبًا لهم: (﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾) ذلك منهم مبالغةً في إنكار الطمع لكونه كالمستحيل منهم في العادة بإيراد الفاء بعد الهمزة، أي أبعد ما تشاهدون منهم ما يوجب اليأس من إيمانهم من قسوة القلب، فتطمعون في إيمانهم. والفاء في قوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ فصيحة تفصح عن محذوف تقديره: أتغفلون عن كون قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشدّ قسوة، فتطمعون أن يؤمنوا لكم. **قوله**: (لأجل دعوتكم) فجعل اللام للتعليل وقدّر مضافًا بينها وبين ضمير الجمع؛ لأن الإيمان لله لا لهم. **قوله**: (﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦]) أي فأحدث الإيمان لأجل دعوة إبراهيم على نبيِّنا وعليه الصّلاة والسّلام إياه إلى الإيمان استجابةً لدعوته، وجعل الإيمان مستعملًا في معناه الشرعي، وهو التصديق بجميع ما علم بالضرورة أنه من الدِّين المرضيّ المعتبر عند الله تعالى، والإيمان بهذا المعنى لا يحتاج إلى ذكر متعلق؛ لأن كلّ واحد من معنى التصديق وخصوص متعلّقه مأخوذ في مفهومه، فلا يكون حرف الجرّ المذكور بعده صلة دالّة للتعدية، فلذلك جعلت اللام في قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: الآية ٢٦] للتعليل لا للتعدية. **قوله**: (يعني اليهود[1]) الذين كانوا في زمنه ﷺ، لأنهم هم الذين يصح

---

(١) قيل: هو قوم مخصوص منهم علم الله عدم إيمانهم فأيس منه. ١٢ منه عم فيضه.

كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي التوراة. ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ (**كما حرّفوا صفة رسول الله ﷺ وآية الرجم**). ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم. ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون مفترون. والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا (**فلهم سابقة في ذلك**).

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٧٦﴾

﴿وَإِذَا (لَقُواْ)﴾ أي المنافقون (**أو اليهود**). ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي المخلصون من أصحاب محمد عليه السلام. (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي المنافقون ﴿ءَامَنَّا﴾ بأنكم على الحق وأن محمدًا هو الرسول المبشر به. ﴿وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ﴾ الذين لم ينافقوا ﴿إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ إلى الذين نافقوا ﴿قَالُوٓاْ﴾ (**عاتبين عليهم**) ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ (**بما بين الله لكم**) في التوراة (**من صفة محمد** عليه السلام

أن يطمع في إيمانهم؛ لأن مَنِ انقرض منهم لا يتصوّر منهم الإيمان، فضلًا عن أن يطمع ذلك منهم، وهذا بيان لضمير (﴿يُؤۡمِنُواْ﴾). **قوله**: (**كما حرّفوا**) أي غيّروا (**صفة رسول الله ﷺ**) من كونه أبيض ربعة، أي مربوع الخلق لا طويلًا ولا قصيرًا، إلى قولهم: أسمر طويل. **قوله**: (**وآية الرجم**) أي وحرّفوا آية الرجم أيضًا، فإنّ حكم زنى المحصن في التوراة كان الرجم، فحرّفوه إلى تسخيم[1] الوجه وشدّ يده ونحو ذلك مما يوجب هدم العِرْض. **قوله**: (**فلهم سابقة في ذلك**) أي خصلة سابقة في الكفر والتحريف.

قوله: (**أو اليهود**) أي أن ضمير (﴿لَقُواْ﴾) راجع إلى جنس اليهود باعتبار تحقّقه في إفراد المنافقين، بدلالة قوله: (﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾). **قوله**: (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي الذين لم ينافقوا (**عاتبين عليهم**) أي على المنافقين. **قوله**: (**بما بيّن الله لكم**) أي المراد بالفتح البيان؛ لكونه لازمًا له؛ إذ المعنى الحقيقي للفتح غير متصوّر هنا، فالمراد لازمه والتعبير بالفتح للمبالغة وللإشارة إلى أنه قبل البيان كالشيء المغلوق، وبعد البيان كالأمر المفتوح المكشوف حاله. **قوله**: (**من صفة محمّد عليه السلام**) بيان ما.

---

(١) أي تسويد. ١٢.

﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ (ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه، جعلوا) محاجتهم به (وقولهم هو) في كتابكم هكذا (محاجة عند الله)، ألا تراك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد؟ وقيل: هذا على إضمار المضاف أي عند كتاب ربكم. وقيل: ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم (عند ربكم في الآخرة

قوله: (ليحتجّوا[1] عليكم) تفسير لقوله: (﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾) تنبيهًا على أنه ليس لقصد المشاركة، وعليكم فيه تنبيه على أن في الكلام حذف الجار. **قوله**: (بما أنزل ربّكم) للضمير في به. **قوله**: (في كتابه) تفسير لقوله: (﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾)، وقد أوضحه بأن حاصل قولنا: هو في كتاب الله كذا، وعند الله كذا واحد؛ لأن معناه في حكم الله. ومبنى الكلام على أن المقصود التحذير على الاحتجاج عليهم في الدنيا لا في الآخرة ويوم القيامة وحال مرافعة القصة إلى الله تعالى، ويتوجّه على ما ذكر أنه لا وجه حينئذ للجمع بين قوله: به، أي (﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾)، وقوله: عند الله؛ إلّا أن يجعل الثاني بدلًا من الأوّل أو ظرفًا مستقرًّا، بمعنى ليحاجّوكم بما قلتم حال كونه في كتابكم. **قوله**: (جعلوا) أي اليهود محاجّتهم، أي محاجّة المسلمين به، (وقولهم) أي المسلمين لليهود (هو) في كتابكم هكذا (محاجّة) مفعول ثان لجعل (عند الله) يعني إذا قال المسلمون: هو في كتابكم هكذا، كأنهم قالوا: هو عند الله كذا، وهما بمعنًى واحد من حيث المؤدّى. **قوله**: (﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ في الآخرة) أي يوم تُعرض الخلائق على الخلّاق العليم بأن يُجْمَعوا في موقف الحساب ويُحاسَبوا على النقير والقطمير، وكَوْن المحاجّة عند ربّهم بالعندية المكانية مستحيل، وكونها عنده بمعنى كونها حاضرة في عِلمه، سواء وقعت المحاجّة في الدنيا أو في الآخرة؛ إلّا أن رؤساء اليهود حذّروا منافقيهم من احتجاج المسلمين عليهم يوم القيامة، لعِلْمهم أن ظهور فضيحتهم في الآخرة يكون في موقف الحساب على رؤوس الخلائق، فيكون افتضاحهم بالمحجوجية وظهور الكذب يوم القيامة أشدّ وأكمل من الاحتجاج عليهم في الدنيا؛ فلذلك حذّرهم الرؤساء من احتجاج المسلمين عليهم يوم القيامة، فكنوا بقولهم: ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٦] عن يوم القيامة، لاختصاص الملك يومئذ بالله تعالى. **قوله**:

---

(١) إشارة إلى أن المفاعلة للمبالغة لا للمشاركة. ١٢ منه عم فيضه.

يقولون كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعونه.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿(أَوَلَا يَعْلَمُونَ) أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ جميع ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ ومن اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ (لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها) ﴿لَا يَعْلَمُونَ (ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة) ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ (إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله) يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسّهم النار إلا أيامًا معدودة، (أو) إلا (الأكاذيب مختلقة) سمعوها من علمائهم فتقبلوها

(يقولون) بيان قوله: يجادلوكم (كفرتم به)، أي بمحمّد ﷺ (بعد أن وقفتم) أي اطّلعتم (على صدقه). **قوله**: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) أن هذه حجة عليكم... الخ. إشارة إلى أن مفعول الفعل محذوف لقيام القرينة على تعيين المحذوف.

قوله: (﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾) معطوف على المقدّر، أي يقولون.

قوله: (لا يحسنون الكتب) فيه إشارة إلى أن الأُمِّي ربما يقدر على كتابة ما، وقوله: الكَتب، في المصباح: كتب كتبًا من باب قتل.اهـ. **قوله**: (فيطالعوا التوراة) بإسقاط النون جوابًا للنفي؛ كقوله: ما تأتينا فتحدثنا، والمعنى جَهَلة لا يجتمع فيهم معرفة الكتابة ومطالعة التوراة بانتفاء كلّ واحدٍ منهما، (ويتحقّقوا ما فيها) عطف على فيطالعوا، أي حتى يتيقّنوا ما في التوراة فيعملوا بمقتضاه واعتبار مطالعة التوراة في هذا الوجه منفهم من سوق الكلام؛ لأنه مَسُوق لذمّ أصحاب التوراة على وجه الإتمام. **قوله**: (﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾) المعهود بينهم، وهو (التوراة). **قوله**: (إلّا ما هم عليه)... الخ. هذا قول قتادة رضي الله تعالى عنه. **قوله**: (من أمانيِّهم) بيان ما. وقوله: (وأن الله)... الخ. عطف تفسيري على قوله: أمانيِّهم. **قوله**: (أو الأكاذيب)... الخ. هذا قول ابن عباس ومجاهد ﷺ. **قوله**: (مختلقة) في المصباح: خلق الرجل القول خلقًا افتراه واخْتلقه مثله.اهـ.

(على التقليد ومنه قول عثمان رضي الله عنه): ....

قوله: (على التقليد) أي من غير دليل وتحقيق. قوله: (ومنه قول عثمان رضي الله تعالى عنه) هو أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، وأبو ليلى عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ القريشي الأُموي المكّي ثم المدني أمير المؤمنين، أُمُّه أروى بنت كُرَيْز ـ بضم الكاف وفتح الراء ـ ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف، وأُمُّها أُمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، أسلم عثمان قديمًا دعاه أبو بكر إلى الإسلام، فأسلم وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، فهاجر بزوجته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة الهجرتين الأُولى والثانية. روينا في تاريخ دمشق في أحوال بنات رسول الله ﷺ عن أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال حين هاجر عثمان برقيّة: «والذي نفسي بيده، إنّه لأوّل مَنْ هاجر بعد إبراهيم ولوط» صلّى الله على نبيّنا وعليهما وسلّم، ويقال لعثمان ذي النورَيْن؛ لأنه تزوّج بنتي رسول الله ﷺ إحداهما بعد الأخرى، قالوا: ولا يعرف أحد تزوّج بنتي نبيّ غيره، تزوّج رقيّة رضي الله تعالى عنها، وتُوُفِّيت عنده في أيَّام غزوة بَدْر في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان تأخّر عن بَدْر لتمريضها بإذن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فجاء البشير بنصر المؤمنين ببدر يوم دفنوها بالمدينة رضي الله عنها، وولدت له رقيّة ثم تزوّج بعد وفاتها أختها أُمّ كلثوم بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتوفّيت رضي الله تعالى عنها عنده سنة تسع من الهجرة ولم تَلِد له شيئًا. رُوِي لعثمان رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مائة حديث وستّة وأربعون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة. رَوى عنه يزيد بن خالد الجهني، وابن الزبير، والسّائب بن يزيد وغيرهم من الصحابة، وروى عنه خلائق من التابعين منهم ابنه أبان بن عثمان، وعبيد الله بن عدي، وحمران وغيرهم. ووُلِد عثمان في السنة السادسة بعد الفيل، وقُتل شهيدًا يوم الجمعة لثمان عشرة خلَوْن من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، وقيل: قُتِل يوم الأربعاء، وهو ابن تسعين سنة، وقيل: ثمانٍ وثمانين، وقيل: ثنتين وثمانين، وقيل غير ذلك. وبُويع له بالخلافة غرّة المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته ثنتي

....

عشرة سنة إلّا ليالي. قال ابن عبد البرّ: بُويع له يوم السبت بعد دفن عمر رضي الله تعالى عنه بثلاثة أيّام، وحجّ فيها بالناس عشر سنين متوالية، وصلّى عليه جبير بن مطعم، ودُفِن ليلًا بالبقيع، وأُخفي قبره ذلك الوقت ثم أُظهر، وقيل: دُفِن بحُشّ كَوْكَب. قال ابن قتيبة: هي أرض اشتراها عثمان وزادها في البقيع، والحُشّ البستان، وكوكب اسم رجل من الأنصار. وقيل: صلّى عليه حكيم بن حزام، وقيل: المسور بن مخرمة، وإنما دُفِن ليلًا للعجز عن إظهار دفنه بسبب غلبة قاتليه. قال ابن قتيبة: وفي زمن عثمان كانت غزوة الاسكندرية، ثم صابور، ثم أفريقية، ثم قبرس وإصطخر الآخرة وفارس الأُولى، ثم خوز وفارس الآخرة، ثم طبرستان ودار بجرد وكرمان وسجستان ثم الأساورة في البحر وغيرهنّ، ثم مرو على يد عبد الله بن عامر سنة أربع وثلاثين ثم حُصِر في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، فحصر عشرين يومًا في داره، وقُتِل فيها. قال الواقدي: حصروه تسعة وأربعين يومًا، وقال الزبير بن بكار: حصروه شهرين وعشرين يومًا، وكان حسن الوجه رقيق البشرة، كثّ اللِّحية، أسمر كثير الشعر، بين الطويل والقصير، وكان محبّبًا في قريش، واشترى بئر رومة من يهوديّ بعشرين ألف درهم، وسبّلها للمسلمين، وجهّز جيش العُسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا وبخمسين فرسًا.

روينا في صحيح البخاري ومسلم في حديث أبي موسى الأشعري الطويل أنّ النبيّ ﷺ قال له: «بشّره بالجنّة» يعني عثمان. وفي صحيحيهما عن عائشة رضي الله تعالى عنها في الحديث الطويل أنّ النبيّ ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان، وقال: «ألا أستحي من رجل يستحي منه الملائكة». وفي صحيح البخاري عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أن عثمان قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى بعث محمّدًا ﷺ بالحقّ نبيًّا، وكنت ممّن استجاب لله ولرسوله، وآمنتُ بما بُعِث به، ثم هاجرت الهجرتين، وصحبتُ رسول الله ﷺ ونِلْت صهر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتابعته، فوالله ما عصَيْته ولا غشَشْته حتى توفّاه الله تعالى، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله. وفي صحيح البخاري أيضًا عن عبيد الله بن عدي، قال: دخلت على عثمان رضي الله تعالى عنه وهو محصور، فقلت له: إنك إمام العامّة وقد نزل بك ما ترى، وهو يصلّي لنا إمام فتنة، وأنا أتحرّج من الصلاة معه، فقال عثمان:

....

إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحْسِنْ معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم. وفي صحيح البخاري عن أبي عبد الرحمٰن السلمي التابعي: أنّ عثمان حين حُوصِر أشرف عليهم، فقال: أنشدكم بالله ولا أُنشد إلّا أصحاب النبيّ ﷺ، ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جهَّز جيش العُسْرة، فله الجنّة» فجهزتهم؟ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر بئر رومة، فله الجنّة»، فحفرتها؟ قال: فصدّقوه بما قال. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: كنّا في زمن رسول الله ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ لا نُفاضل بينهم. وفي صحيح البخاري عن أنس، قال: صعد النبيّ ﷺ أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم. فرجف، فقال: «اسكن، فليس عليك إلا نبيٌّ وصدّيق وشهيدان». وفي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنّ عثمان أحد الستّة الذين توفّي رسول الله ﷺ، وهو عنهم راضٍ. وفي كتاب الترمذي عن عبد الرحمٰن بن خباب ـ بالخاء المعجمة ـ السَّلَمي الصحابي، قال: شهدتُ النبيّ ﷺ وهو يحثّ على جيش العُسْرة، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله؛ ثم حضّ على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله، عليَّ مائتا بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله؛ ثم حضّ على الجيش، فقال عثمان: يا رسول الله، عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله؛ فأنا رأيت رسول الله ﷺ ينزل من المنبر، وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه» رواه الترمذي بإسنادٍ جيّد. وعن عبد الرحمٰن بن سَمُرة قال: جاء عثمان إلى النبيّ ﷺ بألف دينار حين جهّز جيش العسرة، فنثرها في حجره وهو يقول: «ما ضرّ عثمان ما عَمِل بعد اليوم» مرّتين، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أنسٍ قال: لمّا أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسولَ رسول الله ﷺ إلى أهل مكّة، فبايع الناس، فقال النبيّ ﷺ: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أبي الأشعث الصنعاني أنّ خُطباءَ قامت بالشام فيهم رجالٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام

(ما تمنيت منذ أسلمت، أو إلا ما يقرؤون من قوله): ....

أحدهم رجل يقال له مرّة بن كعب، فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت، وذكر الفتن فقرّبها، فمرّ رجل متقنّع في ثوبٍ، فقال؛ هذا يومئذ على الهدى، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت إليه بوجهي فقلت: هذا؟ قال: نعم، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا عثمان إنّه لعل الله يقمّصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن كليب بن وائل عن ابن عمر، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقال: «يقتل فيها هذا مظلومًا» لعثمان، رواه الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أبي سلمة مولى عثمان، قال: قال عثمان يوم الدار: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ عهدًا، فأنا صابرٌ عليه؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. قال ابن قتيبة: كان لعثمان من الأولاد: عبد الله الأكبر أُمّه فاضة بنت غزوان، وعبد الله الأصغر أُمّه رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وعمر وأبان وخالد وعمرو وسعد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأُمّ سعيد وأُمّ أبان وأُمّ عمرو وأُمّ عائشة رضي الله تعالى عنهم. وعثمان بن عفان أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد السّتّة أصحاب الشورى الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد المُنفقين في سبيل الله الإنفاق العظيم، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، ولم يلبس السراويل في جاهليّة ولا إسلام إلى يوم قتله، وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر فقالوا لي: اصبر، فإنك تُفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف ففتحه، فقُتِل وهو بين يديه، وأعتق عشرين مملوكًا وهو محصور رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة أجمعين؛ كذا في تهذيب الأسماء.

(ما تمنّيت منذ أسلمت) أي ما كذبت. **قوله**: (أو إلا ما يقرؤون) فإن قلت: إلّا ما يقرؤون، كيف يناسب قوله: أُمّيون؟ قلت: إنّ الأُمّي ربما قدر على قراءةٍ ما، كما أنه يقدر على كتابةٍ ما. رُوِيَ أنّ رسول الله ﷺ يوم الصلح أخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب: «هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله». **قوله**: (من قوله) أي قول حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه أحد شعراء رسول الله ﷺ في وصف عثمان رضي الله تعالى عنه حين جرى عليه ما جرى.

(تمنى كتاب الله أول ليلة) وآخرها لاقى حمام المقادر

أي لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرؤون أشياء أخذوها (من أحبارهم. والاستثناء منقطع). ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ وما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن. ذكر العلماء الذين (عاندوا) بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلّدوهم.

(تمنّى) أي قرأ أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه (كتاب الله) أي القرآن قراءةً مقرونة بفهم المعنى واللّطائف وأنواع المزايا والمعارف (أوّل ليلة) بالإضافة إلى ضمير الغائب الراجع إليه رضي الله تعالى عنه، أي أوّل ليلة استشهد فيها، لا بتاء التأنيث للوحدة على ما في بعض النسخ، يُعرف ذلك بالتأمّل. ويؤيّده أنّ ابن الأنباريّ روى المصراع الأخير هكذا، وآخره: لاقى حمام المقادر حيث لم يرو، وآخرها بتأنيث الضمير، ولو كان أوّل ليلة بتاء الوحدة لكان ينبغي أن يقال: وآخرها والحمام ـ بكسر الحاء ـ الموت، والمقادر مخفّف المقادير، وفي الأساس: المقادر الأُمور التي تجري بقدر الله ومقدوره وتقديره وإقداره وتقاديره، والمقصود أنه قرأ كتاب الله في أوّل الليلة واستشهد في آخرها. **قوله**: (من أحبارهم) أي عُلمائهم.

قوله: (والاستثناء[1] منقطع) لأن ما هم عليه من الأباطيل، أو ما سمعوه من الأكاذيب ليس من الكتاب، فكذا ما يقرؤون تلفّقًا من علمائهم لِمَا فيه من التحريف والافتراء؛ ولأنه ليس من جنس المعلوم، والمعنى: لكنهم يعلمون ذلك ويعتقدونه جهلًا، أو يظنونه تقليدًا.

قوله: (عاندوا) في لسان العرب: عانَد مُعاندة، أي خالف وردّ الحقّ وهو يعرفه، فهو عنيد وعانِد. اهـ.

---

(١) لأن الأماني بأي معنى كان ليست من جنس المستثنى منه الذي هو الكتاب، ولا مندرجة تحت مدلوله أما على المعنى الأوّل والثاني، فظاهر. وأما على الثالث، فلأن ما يقرؤون آبائهم هم الأنبياء يشفعون لهم وهو اختلاق واختراع من عندهم بجعلهم في كتابهم ما ليس من الكتاب، أفلا يكون ما يقرؤون من الكتاب، فكأن الاستثناء منقطعاً وأداته بمعنى لكن. ١٢ منه عم فيضه.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ﴾ (في الحديث «ويل واد في جهنم») ﴿لِّلَّذِينَ (يَكْتُبُونَ) ٱلْكِتَٰبَ﴾ (المحرَف) ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ (من تلقاء) أنفسهم من غير أن يكون منزّلًا. وذكر الأيدي للتأكيد وهو (من مجازّ التأكيد)

قوله: (في الحديث[1]: «**ويلٌ وادٍ في جهنّم**»)[2] روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ويلٌ وادٍ في جهنّم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره». وقال عطاء بن يسار: الويل وادٍ في جهنم لو أُرسلت فيه الجبال لذابت من حرّه. **قوله: (المحرّف)**، والمعنى: فويلٌ للذين يكتبون التوراة محرّفًا مغيّرًا، فإنّ علماء اليهود كانوا يمحون صفة رسول الله عليه الصّلاة والسلام من التوراة ويكتبون مكانها ما يخالف نعته وصفته؛ ليظنّ سَفَلة اليهود وجَهَلتهم أنّ التوراة هكذا نزلت من عند الله تعالى، وأنّه عليه الصّلاة والسّلام كاذبٌ في دعوى الرسالة حتى لا تذهب رئاستهم ولا تنقطع مآكلهم التي يأخذونها من أتباعهم، فإنّه عليه الصّلاة والسّلام لمّا قَدِم المدينة خاف أحبار اليهود من زوال رئاستهم ومآكلهم، فاحْتالوا في تعويق اليهود عن الإيمان به، فعمدوا إلى صفاته التي وصفه الله تعالى بها في التوراة، منها أنه عليه الصّلاة والسّلام حَسَن الوجه، أكحل العين، ربعة القامة، أي لا طويل ولا قصير؛ فغيّروها وكتبوا مكانها: طويل القامة، أزرق العين، سبط الشعر، فإذا سألهم سَفَلتهم عن صفته عليه الصّلاة والسّلام قرؤوا عليهم ما كتبوه، فإذا سمعته السَّفَلة ووجدوه مخالفًا لحليته وصفته عليه الصّلاة والسّلام، كذّبوه وأبَوْا عن اتّباعه، وكذلك كانوا يحرّفونها عن معانيها وتأويلاتها ويؤوّلونها بالتأويلات الزّائغة.

قوله: (من تِلْقاء) أي قبل. **قوله: (من مجازّ التأكيد)** جمع محزّ، مِنْ قولهم: أصاب المحزّ كذا، أفاده العلامة التفتازاني في حاشيته على الكشاف. وفي شرح القاموس المسمّى تاج العروس من جواهر القاموس: المحزّ موضع الحزّ، أي

---

(١) كما رواه الترمذي. ١٢ منه.

(٢) رواه محيي السنة مرفوعًا إلى النبيّ ﷺ. ١٢ منه.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ (هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ) لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضًا (يسيرًا). ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم (مِّمَّا كَتَبَتْ) أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم (مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرشا).

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يومًا عدد أيام عبادة العجل. (وعن مجاهد) ﷺ: كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة

القطع، ومنه قولهم: قطع فأصاب المحزّ، أي من محلّ التأكيد، حيث يقرّر ما تضمّنه قوله: (﴿يَكْتُبُونَ﴾) من إسناد الكتابة إليهم. **قوله**: (يسيرًا) أي قليلًا. في الصحاح: اليسير القليل. **قوله**: (من الرُّشا) ـ بالضم ـ جمع الرشوة مثلّثة الراء، والمراد من الرّشا ما يأخذونه من أغنيائهم على تحريفهم التوراة بتغيير نعوت رسول الله ﷺ، وكَتْم بعض أحكام الله تعالى؛ كآية الرَّجم. وفي الحواشي السعدية قوله: من الرّشا إشعار بأنّ ما في قوله: (﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾) موصولة، وكذا في قوله: (﴿مِّمَّا كَتَبَتْ﴾)، لكن الأنسب كونها مصدريّة لفظًا ومعنًى، هذا كلامه. أمّا لفظًا، فلأنه لا يحتاج حينئذ إلى حذف العائد وإضماره. وأمّا معنى فلأن العبد إنما يستحق الويل والعقاب لأجل فعله وكسبه وهو الكتب، والكسب هٰهنا لا لأجل ذات المكتوب والمكسوب، ومِنْ في الموضعين للتعليل بمعنى لأجل؛ كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ [نوح: الآية ٢٥] ذكر الله من قبائحهم ثلاثة أمور: كَتْبهم ما كتبوه، وقولهم له: (﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾)، وأخذ المال بمقابلة ذلك الفعل، فإنّ كل واحدةٍ من هذه الأُمور ذنبٌ عظيم يستحقّ مَنِ ارتكبه عقوبة عظيمة، فلذلك ذكر الله تعالى لهم ثلاثة ويلات، كل ويلة بمقابلة ذنب، ولو ذكره مرّة واحدة لربما يُتوهَّم أنّ الوعيد المذكور إنما هو بمقابلة مجموع هذه الأُمور الثلاثة دون كلّ واحدٍ منها، فأُزيل هذا التوهّم بذكر الويل ثلاث مرّات.

قوله: (وعن مجاهد) هو أبو الحجاج، مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير ـ بالتصغير ـ المكّي المخزومي، وهو تابعي إمام متّفق على جلالته وإمامته. سمع ابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وابن عمرو بن العاص، وأبا سعيد، وأبا هريرة، وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وسمع مِنَ

(وإنما نعذّب مكان كل ألف سنة يومًا. ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار (﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾) متعلّق بمحذوف تقديره (إن اتخذتم) عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده (﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ «أم» إما أن تكون معادلة) أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون، أو منقطعة أي بل أتقولون على الله ما لا تعلمون.

التابعين طاوسًا، وابن أبي ليلى، ومصعب بن سعد وآخرين. روى عنه طاوس، وعكرمة، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير، والحكم، وابن عون، والأعمش، ومنصور، وحماد بن أبي سليمان، وطلحة بن مُصَرِّف، وأيوب السختياني، وعبد الله بن أبي نجيح وخلائق لا يُحصون. واتّفق العلماء على إمامته وجلالته وتوثيقه، وهو إمام في الفقه والتفسير والحديث. قال مجاهد: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة. وقال خصيف: كان أعْلمهم بالتفسير مجاهد. وقال أبو حاتم: لم يسمع مجاهد عائشة، ومناقبه كثيرة مشهورة. وقال ابن بكير: توفي مجاهد سنة إحدى ومائة، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة، وقيل: توفي سنة مائة، وقيل: سنة ثنتين ومائة، وقيل: سنة ثلاث ومائة رحمة الله تعالى عليه.

قوله: (وإنما نعذّب مكان كل ألف سنة يومًا) ثم ينقطع عنّا العذاب بعد سبعة أيّام. **قوله:** (﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾) الهمزة فيه للاستفهام، ومعناه الإنكار والتقريع حُذِفت همزة الافتعال استغناءً عنها بهمزة الاستفهام، ونظيرها قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ [سبأ: الآية ٨]، و﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ﴾ [الصّافات: الآية ١٥٣]. **قوله:** (إن اتّخذتم) أي إن كنتم اتّخذتم؛ إذ ليس المعنى على الاستقبال، لأن أخذ هذا الشرط المقدّر ماض، وهو أتّخذتم في قوله: (﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ﴾)، ولمّا كان قوله: (﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾) جواب شرط مقدّر كانت الفاء التي فيه فاء فصيحة، وهي الفاء التي تدلّ على أنّ ما بعدها متعلّق بمحذوف، وهو سبب لما بعدها، كما مرّ. والجملة الشرطية معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، والأصل: اتّخذتم عند الله عهدًا (﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾). **قوله:** (﴿أَمْ﴾ إمّا أن تكون معادلة). . . الخ. إشارة إلى ما في أم من الوجهين كونها متّصلة للمعادلة بين شيئين، بمعنى أيّ هذين واقع، وأخرجه مخرج المتردّد فيه، وإنْ كان قد علم وقوع أحدهما، وهو قوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. والاستفهام هٰهنا ليس على حقيقة العلم

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾

(﴿بَلَىٰ﴾ **إثبات لما بعد النفي**) وهو لن تمسّنا النار أي بلى تمسّكم أبدًا بدليل قوله: «هم فيها خالدون» ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ (**شركًا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما** ﷺ) ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾

المُستفهَم، وهو النبيّ ﷺ، بوقوع أحد الأمرين بعينه، وهو الافتراء والقول على الله تعالى بغير عِلم، بل هو للتقرير، أي لحمل المخاطب على أن يقرّ بأحدهما على التعيين، ويجوز أن تكون منقطعة غير عاطفة بمعنى بل، والهمزة ـ أي بل أتقولون ـ على الله ما لا تعلمون، والاستفهام للتقرير، أي للتحقيق والتثبيت، لا بمعنى حمل المخاطب على الإقرار والتقريع، أي التوبيخ، والمعنى: أنتم تقولون ذلك على التحقيق، ولكن لا ينبغي أن يقع ذلك.

قوله (﴿بَلَىٰ﴾ **إثبات لما بعد النفي**) لأنها موضوعة لإيجاب النفي، أي لنقض النفي المتقدّم، سواء كان ذلك النفي مجرّدًا عن الاستفهام نحو بل في جواب مَنْ قال: ما قام زيد، أي بلى قد قام، أو كان مقرونًا بالاستفهام، فإنّها حينئذ تنقض النفي الذي بعد ذلك الاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، أي بلى أنت ربّنا، ولو قيل: أليس زيدٌ قائمًا، فقلت: بلى، كان المعنى: بلى إنه قائم، فهي مختصّة بجواب النفي. قال الفرّاء: بلى يكون جوابًا للكلام الذي فيه الجحد، بخلاف نعم، فإنّها مقرّرة، أي مثبتة لما سبقها مطلقًا، سواء كان ما سبق عليها كلامًا خبريًّا مُوجِبًا أو منفيًا، فإذا قيل: نعم، في جواب مَنْ قال: قام زيدٌ، كان المعنى: نعم إنه قام، ولو قيل ذلك في جواب مَنْ قال: ما قام زيدٌ، كان المعنى: نعم إنه ما قام. أو كلامًا استفهاميًا، فإنها تقرّر ما بعد حرف الاستفهام مثبتًا كان، نحو: نعم في جواب مَنْ قال: أقام زيدٌ؟ أي: نعم إنه قام. أوْ منفيًا، نحو نعم في جواب مَنْ قال: ألم يقم زيد؟ أي نعم لم يقم زيد. ومِنْ ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لو قالوا في جواب ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] نعم، لكان كفرًا لإفادتها تقرير نفي الربوبية عنه تعالى. **قوله** (**شركًا، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله تعالى عنهم**)عبارة البغوي رحمه الله: قال ابن عباس وعطاء والضحاك وأبو العالية

(**وسدّت عليه مسالك**) النجاة بأن مات على شركه، فأما إذا مات مؤمنًا فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطًا به فلا يتناوله النص، (**وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج. وقيل: استولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفضّ**) عنها بالتوبة، (**خطيئاته مدنيّ**). ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ (هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

(﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾)

والربيع وجماعة: هو الشِّرك يموت عليه. **قوله**: (**وسدَّت عليه مسالك**) أي حُبِسَت عليه طُرق.

قوله: (**وبهذا التأويل يبطل تشبّث المعتزلة والخوارج**) أي تمسّكهما واستدلالهما على ما زعموا من تخليد أصحاب الكبائر في النار، فإنهم قطعوا بخلود مَنْ لم يتب منهم في النار استدلالًا بظاهر العمومات الواردة في القرآن والحديث، منها هذه الآية، وقد عرفت جوابنا لهما بالتأويل في الآية. اهـ.

قوله: (**وقيل: استولت**[1] **عليه كما يحيط العدوّ**) فيه إشارة إلى أن الاستعارة التبعيّة في أحاطت. **قوله**: (**ولم ينفصّ**) أي يتخلّص. في المصباح: تفصّى الإنسان من الشدّة تخلّص، وتفصّى من دينه خرج منه، وما كاد يتفصّى من حصنه، أي يتخلّص. اهـ.

قوله: (**«خطيئاته» مدنيّ**) أي قرأ نافع المدني وحده: «خطيئاته» بالجمع. **قوله**: (﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) أي دائمون، رُوعِيَ فيه معنى مَنْ.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾) جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده لتُرْجى

---

(١) أي غلبت. ١٢.

الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ إِلَّا اللَّهَ﴾ **(إخبار في معنى النهي)** كما تقول تذهب إلى فلان **(تقول له كذا تريد الأمر. وهو)** أبلغ **(من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سُورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه، وينصره قراءة أُبيّ «لا تعبدوا»)**.

رحمته ويُخشى عذابه. **قوله**: **(إخبار في معنى النهي)** هذا قول الفرّاء، وقوله: إخبار، أي: لا تعبدون نفي وهو خبر في الأصل يحتمل الصدق والكذب، لكنه هنا في معنى النهي، فيكون استعارة تبعيّة، وكذا الإخبار في معنى الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٣] الآية، شبّهت النسبة الإنشائيّة في لا تعبدوا بالنسبة الخبرية في (﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾) في المطابقة والحصول؛ فعبّر عنها بلا تعبدون، لِمَا فيه من إيهام أنّ المنهيّ سارع إلى الامتثال، فهو يُخبر عنه، وهذا لا يختصّ بصيغة الماضي، بل يجري في الماضي والمضارع جميعًا؛ فكما يقال في الدعاء: رحمه الله، قال أيضًا: يرحمه الله، كما قال المجنون:

فيا ربّ لا تسلبني حبّها أبدًا ويرحم الله عبدًا قال آمينا

قوله: **(تقول له كذا)** بدل من تذهب أو حال مقدّرة. **قوله**: **(تريد الأمر)** أي اذهب. **قوله**: (وهو) أي الإخبار أبلغ إمّا من البلاغة أو من المبالغة عند مَنْ جوَّز أخذ أفعل التفضيل من المزيد، وهو مذهب الكوفيّين. وجه المبالغة والبلاغة معلومٌ مِنْ قوله: **(من صريح الأمر والنهي)**... الخ. توضيحه: وقد يعدل عن الأمر والنهيْ إلى الإخبار؛ لأن المُخبر به إنْ لم يوجد يلزم كذب الشارع، وهو مُحال بخلاف الأمر، فإنه لا يلزم مِنْ عدم الإتيان بالمأمور به كذب الشارع، وكذا النهي؛ فحينئذ يتبادر المنهيّ عنه أو المأمور بالامتثال صَوْنًا لخبر الشارع عن كونه كذبًا بحسب الظاهر، فإنّ الخبر إذا أُريد به الأمر أو النهي مجازًا لا يتصوّر الكذب حقيقةً على تقدير عدم الإتيان بالفعل، والإتيان بالمنهيّ عنه في صورة النهي، وإلى هذا التفصيل أشار **(لأنه)** أي المخبِر عنه **(كأنه سورع)** أي كأنّه حصل المسارعة **(إلى الامتثال والانتهاء)** عن المنهيّ عنه، (وهو) أي فالمتكلّم **(يُخبر عنه وينصره)** أي يعضد كونه بمعنى النهي.

(قراءة أُبيّ: «لا تعبدوا») على صيغة النهي، فإذا أُريد المبالغة في الحثّ على الامتثال عبّر عن الأمر والنهي بالخبر تنبيهًا على الاعتناء بشأن المنهيّ عنه وتأكد

(وقوله: و«قولوا» والقول مضمر. «لا يعبدون»: مكيّ وحمزة وعليّ) لأن بني إسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة كلها (غيب). ومعناه أن لا يعبدوا

طلبه حتى كأنه امتثل وأخبر عنه؛ فحينئذ يتبادر المخاطَب إلى الامتثال أسرع تبادر، ثم أيّد ذلك بقراءة أُبي: «لا تعبدوا»؛ إذ الظاهر الراجح توافق القراءة معنًى، وإن تخالفت مبنًى.

قوله: (أُبيّ) بن كعب الأنصاري الخزرجي، كان يكتب للنبيّ ﷺ الوحي. قال الواقدي: وهو أوّل مَنْ كتب للنبيّ ﷺ مَقْدمه المدينة، وهو أوّل مَنْ كتب في آخر الكتاب: كتب فلان بن فلان، فإذا لم يحضر أُبيّ كتب زيد بن ثابت، وهو أحد الستّة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وأحد الفقهاء الذين كانوا يَفْتُون على عهد رسول الله ﷺ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عزّ وجلّ، وله كُنْيتان: أبو المنذر، كنّاه بها النبيّ ﷺ، وأبو الطُّفَيْل كناه بها عمر بن الخطاب بابنه الطّفَيْل، وسمّاه النبيّ ﷺ سيّد الأنصار، وعمر سيّد المسلمين. رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وأربعة وستّون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم على ثلاثة، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بسبعة. توفي أُبيّ رضي الله تعالى عنه بالمدينة ودُفِن بها قبل سنة ثلاثين في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه. قال أبو نعيم الأصبهاني: وهذا هو الصحيح، رَوَى عنه خلقٌ كثير.

قوله: (وقوله: وقولوا) أي وينصره أيضًا عطف قولوا في قوله: (﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾) على ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾؛ إذ لو لم يكن ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ في معنى النهي لزم اختلاف الجملتين خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنًى، وهو غير جائز؛ بل لا بدّ من اتّفاقهما لفظًا ومعنى أو معنًى فقط، وإنِ اختلفا لفظًا كما في هذه الآية، على تقدير أن يكون الخبر بمعنى النهي. **قوله**: (والقول مضمر)؛ إذ لا ارتباط بدونه، وتقدير الكلام: واذكر ما حدث وقت أخذنا ميثاقهم قائلين (﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾)، أو قلنا ذلك على أن يكون قلنا المقدّر بدلًا من قوله: (﴿أَخَذْنَا﴾). **قوله**: («لا يعبدون» مكّي وحمزة وعليّ) أي قرأ ابن كثير المكّي وحمزة بن حبيب الكوفي المعروف بالزيّات، وعلي الكسائي بالياء على الغيبة، والباقون بالتاء على الخطاب. **قوله**: (غُيّب) بضمّ الغين وتشديد الياء جمع غائب، ويصح تخفيفها بفتحتين؛ لأنه جمعٌ أيضًا.

(فلما حذفت «أن» رفع ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ إِحْسَانًا﴾ أي (وأحسنوا) ليلتئم عطف الأمر وهو قوله: «وقولوا» عليه. (﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ جمع يتيم) وهو الذي (فقد) أباه قبل (الحلم) إلى الحلم (لقوله ﷺ: «لا يتم بعد البلوغ»)

قوله: (فلمّا حُذِفت أن رفع) لما تقرّر من أن المضارع يرتفع عند تجرّده عن الناصب والجازم، كما في قوله:

ألا أيّهذا الزاجري أحضر الوغىٰ وأن أشهد اللذّات هل أنت مخلّدي

فإنّ تقديره: أن احضر يدلّ عليه عطف: وأن اشهد عليه، والوغى الحرب، وأصله الصوت يكتب بالياء لأن الألف يؤذن أنه مقلوب عن الواو، وليس في الأسماء اسم أوّله وآخره واو، إلّا الواو، والمعنى: ألَا أيّها الإنسان الذي يلومني على حضور الحرب وشهود اللّذات، ويمنعني عنها هل أنت تجعلني مخلّدًا في الدنيا، إن كففت نفسي عنهما؟

قوله: (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾) تثنية والد؛ لأنه يُطلق على الأب والأم أو تغليب. وقال الحلبي: إنّه لا يقال في الأم والد، فيتعيّن التغليب. **قوله**: (وأحسنوا) . . . الخ. فحينئذ يكون عطف الإنشاء على الإنشاء لفظًا ومعنًى. **قوله**: (﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة) ذي القربى غير الوالدين في أكثر الاستعمال، وإفراد ذي لكون القربى مصدرًا يُغْني عن الجمع. **قوله**: (﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾) وزنه فعالى كسكارى، وألفه للتأنيث، وهو (جمع يتيم) والحكم شامل لليتيمة أيضًا إمّا تغليبًا أو بدلالة النصّ. وقوله: جمع يتيم كنديم وندامى، هو قليل لا يُقاس عليه، واليتيم أصل معناه الانفراد، ومنه الدرّة اليتيمة. وقيل: الإبطاء لإبطاء البرّ عنه، وهو في الآدميّين من قِبَل الآباء، وفي البهائم من قِبَل الأُمّهات وفي الطيور من جهتهما، ووجهه ظاهر. وقيل: إنه يقال في الآدميين لمن فُقِدَت أُمّه أيضًا، وقد يُطلق اليتيم على البالغ باعتبار ما كان مجازًا، لكن المراد هنا الصغير والصغيرة. **قوله**: (فقَدَ) في المصباح: فقدته فَقْدًا من باب ضرب، وفُقدانًا عدمته، فهو مفقود وفقيد. اهـ. **قوله**: (الحُلُم) ـ بالضم ـ ما يراه النائم مطلقًا، لكن غلب استعماله فيما يرى من أمارة البلوغ، كذا في النهاية. **قوله**: (لقوله عليه السلام: «لا يُتْم بعد البلوغ») في التيسير بشرح الجامع الصغير: «لا يُتْم بعد احتلام»، أي لا يجري على البالغ حُكْم اليتيم، والحُلُم ما يُرى من أمارة البلوغ.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ جمع مسكين (وهو الذي أسكنته الحاجة. ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولًا هو حسن في نفسه لافراط حسنه. «حسنًا»: حمزة وعلي) ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الميثاق (ورفضتموه)﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ قيل: هم الذين أسلموا منهم (﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولية) عن المواثيق.

(وعن عليّ) بإسناد حسن.اهـ باختصار. أي رواه أبو داود في الوصايا عن عليّ أمير المؤمنين رضي الله عنه وكرَّم وجهه. وفي رواية للبزار: «بعد حلم».

قولـه (**وهو الذي أسكنته الحاجة**)أي جعلته ساكنًا، فهو مَنْ لا مال له، والفقير مَنْ له مال دون النّصاب. **قولـه** (**قولًا هو حسن في نفسه لإفراط حُسْنه**) يعني إن (﴿حُسْنًا﴾)بضم الحاء وسكون السين مصدر وقع صفة لمحذوف، والتقدير: قولوا للناس قولًا حسنًا، وصف القول بالمصدر مبالغةً في توصيفه بالحسن، فإنه يدلّ على أنّ القول بلغ في اتّصافه بالحسن إلى أن صار كأنه نفس الحسن.

قولـه (﴿**حسناً**﴾ **حمزة وعلي**)أي قرأ حمزة بن حبيب وعليّ الكسائي ﴿حسناً﴾ ـ بفتحتين ـ أي بفتح الحاء والسين، ولا مبالغة فيه؛ لأنه صفة مشبَّهة. وقيل: هو أيضًا مصدر، كحزن وحزن، لكنه ليس بمشهور. والباقون بضمّ الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغةً. **قولـه** (**ورفضتموه**)في محيط المحيط: رفضه يرفضه ويرفُضه رَفْضًا ورفَضًا تركه.اهـ.

قولـه (﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ **وأنتم**[1] **قومٌ عادتكم الإعراض**). . الخ. لمّا كان أصل إعراضهم مستفادًا من قوله تعالى: (﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾)أوّلَ قوله: (﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾)بذلك تكثيرًا للفائدة، وأنّ الجملة ليست بحال، بل اعتراض تذييلي، كما جوَّز صاحب الكشاف أن يقع الاعتراض في آخر الكلام، واختاره المصنف رحمه الله. **قولـه** (**والتَّوْلية**)مصدر وَلّى.

---

(١) يعني أن الجملة اعتراض لا حال لقلّة فائدتها، وإن جاز مثل توليتم مدبرين، كذا أفاده العلامة التفتازاني رحمه الله. ١٢ منه عم فيضه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ (لَا تَسْفِكُونَ) دِمَآءَكُمْ (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم) مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ **(أي لا يفعل ذلك)** بعضكم ببعض. **(جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلًا أو دينًا. وقيل: إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتصّ منه ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق واعترفتم)** على أنفسكم **(بلزومه ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها)** كما تقول: فلان مقر

قوله: **(أي لا يفعل ذلك)** أي السَّفك والإخراج. **قوله**: **(جُعِل[1] غير الرجل نفسَه إذا اتّصل)** أي الرجل **(به)** أي بذلك الغير، أو اتّصل الغير بذلك الرجل **(أصلًا)** أي نَسَبًا **(أو دِينًا)**، فيكون المجاز في ضميركم فذكر ضميركم فأُريد من يتّصل بهم للملابسة بينهما، كما أطلق اسم زيد وأُريد به عمرو للملابسة بينهما بالأُخوّة ونحوها، ثم نسب إلى المخاطبين وهم الأسلاف من اليهود وأخلافهم ما نسب إلى الغير، وهو القتل. **(وقيل: إذا قتل غيره، فكأنما[2] قتل نفسه؛ لأنه يُقْتَصُّ منه)**، فيكون مجازًا بطريق ذكر المسبّب وإرادة السبب، فيكون المجاز في (﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾) حيث أُريد به ما هو سبب السَّفك، أي لا تفعلوا ما هو مؤدٍّ إلى سفك دمائكم، والمعنى: لا تسفكوا دماء غيركم فتُقْتَلون بسبب ذلك قصاصًا، فجعل قتل الغير قتلًا لنفسه لتسبّبه عنه، وإنّما ترك ذكر الإخراج اعتمادًا على المقايسة. وقال العلامة التفتازاني رحمه الله: جُعِل غير الرجل نفسَه أمّا في (﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾) فصريحًا، وأمّا في ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ فدلالة، والقول بأن قتل الغير بمنزلة قتل النفس لترتّب القصاص عليه يمكن اعتبار مثله في الإخراج لِمَا يلحقه من العار والصَّغار. اهـ.

قوله: **(﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بالميثاق)** أي بإعطائكم إيّاه وقبولكم أمر الله والتزامكم الوفاء به. **قوله**: **(واعترفتم بلزومه)** عطف تفسير له؛ لأن الإقرار بالشيء في معنى الاعتراف بلزوم ذلك الشيء على المقرّ، وثبوته في ذمّته. **قوله**: **(﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ عليها)**... الخ. يريد أنه تذييل للجملة الأُولى، وهو تعقيب جملة

---

(١) من المجاز بأدنى ملابسة. ١٢ منه عم فيضه.

(٢) فهو من باب إطلاق المسبّب على السبب. ١٢ منه عم فيضه.

على نفسه بكذا شاهد عليها. (**أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسفلاكم بهذا الميثاق**).

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

بجملة تستعمل على معناها للتوكيد، والغرض من التَّوكيد دفع احتمال أنه تكلَّم بما يلزم منه الإقرار لا نفس الإقرار، فأُزيل ذلك الاحتمال بقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، أي وأنتم تشهدون على أنفسكم شهادةَ مَنْ يشهد على غيره، فيتحقّق كون المراد بالإقرار الإقرار نفسه؛ إذ الإقرار الحقيقيّ الشهادة على نفسه، وللمبالغة في ذلك زِيدَ ﴿أنتم﴾ المُوهِم للاختصاص المقوّي للحكم، واخْتيرت صيغة الاستقبال في الإشهاد؛ لأنه استقبال بالنسبة إلى الإقرار، أو لأنه قَصد به الاستمرار، أو لحكاية الحال الماضية، ولكَوْن الإقرار في الزَّمان الماضي اختير الماضي فيه، وكلمة ثمّ على بابها من حيث إنها جِيءَ بها للعطف والتراخي، والمعطوف عليه محذوف، تقديره: فقبلتم أمر الله المؤكّد ثم أقْرَرْتم بالقبول والالتزام وأنتم تشهدون، فيكون كلّ واحد من الخطابين للأسلاف الغائبين على طريق الالتفات للمبالغة في التقريع والتوبيخ، ويكون إسناد الإقرار والشهادة إليهم حقيقةً؛ لكونهما فعل الأسلاف حقيقة.

قوله: (**أو وأنتم تشهدون اليوم**) أي في عصر النبيّ ﷺ (**يا معشر اليهود**). في المصباح: المعشر الجماعة من الناس، والجمع معاشِر. اهـ.

(**على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق**)؛ فعلى هذا القول يكون خطاب تشهدون للأخلاف الحاضرين، ويكون إسناد الشهادة إليهم حقيقةً؛ لكونها فِعْلهم، بخلاف الإقرار، فإنه فِعْل أسلافهم؛ لقوله: تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم؛ إلّا أنه أسند كلّ واحد من الفعلين إلى الأخلاف الحاضرين بشهادة خطاب المشافهة، فيكون إسناد الفعل الأوّل إليهم مجازًا نظرًا إلى اتّصالهم بأسلافهم، واتّحادهم معهم نَسَبًا ودينًا.

(﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ استبعاد) لما أُسند إليهم من القتل (والإجلاء والعدوان) بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم. «أنتم» مبتدأ (و«هؤلاء» بمعنى «الذين» ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾) صلة «هؤلاء». و«هؤلاء» مع صلته خبرًا «أنتم» ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ غير مراقبين ميثاق الله (﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم﴾ بالتخفيف كوفي) أي تتعاونون. وبالتشديد غيرهم. فمن خفف فقد حذف إحدى التائين. ثم

قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ **استبعاد**[1]) . . . الخ. الخطاب في قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾) . . . الخ. للأخلاف الحاضرين، وكلمة ثمّ فيه ليست للتراخي الزماني كما هو أصل معناه، وإنْ كان ما ارتكبوه من القتل والإخراج وتظاهرهم على المُخْرجين بالإثم والعدوان متراخيًا بحسب الزمان عن الميثاق والإقرار به والشهادة عليه، بل هي للتراخي الرتبي واستبعاد آخر أحوالهم من أوّلها، فصحّ استبعاد القتل والإجلاء والتظاهر المذكورة من الأخلاف، وإنْ وقع الميثاق والإقرار والشهادة مِنْ أسلافهم لِمَا ذكرنا من الاتصال والاتّحاد؛ وإلّا فلا وجه لاستبعاد القتل والإجلاء ممّن لم يصدر عنه شيءٌ من الميثاق والإقرار به والشهادة عليه. **قوله**: **(والإجلاء)** في المصباح: جلَوْتُ عن البلد جلَاء ـ بالفتح والمدّ ـ خرجتُ، وأجْلَيْت مثله، ويُستعمل الثلاثي والرباعيّ متعدِّيَيْن أيضًا، فيقال: جلوته وأجْليته، والفاعل من الثلاثيّ جال مثل قاضٍ. اهـ.

وقوله: **(والعدوان)** التجاوز عن الحدّ في الظُّلم. **قوله**: **(وهؤلاء بمعنى**[2] **الذين)** هذا على مذهب الكوفيّين حيث يكون جمع أسماء الإشارة موصولة، سواء كانت بعد ما أوْ لا، والبصريون يخصّونه بذا إذا وقع بعد ما الاستفامية؛ كذا أفاده العلامة عبد الحكيم رحمه الله. **قوله**: (﴿**تظاهرون عليهم**﴾ **بالتخفيف كوفي**) . . . الخ. أي قرأ مشائخ الكوفة، وهم عاصم وحمزة والكسائي: ﴿تظاهرون﴾ بتخفيف الظاء، أصله تتظاهرون، فحُذِفت تاء التفاعل كراهةَ لاجتماع المثلين، والأَوْلى أن يكون المحذوف التاء الثانية لحصول الثقل بها، ولعدم دلالتها على معنى

---

(١) يعني كلمة ثم للاستبعاد في الوقوع. ١٢ منه عم فيضه.

(٢) فإن الكوفيين يجوّزون استعمال اسم الإشارة موصولًا بمعنى الذين، وقالوا: معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [طه:الآية ١٧]: ما التي بيمينك، كذا في حاشية شيخ زاده. ١٢ منه عم فيضه.

قيل: هي الثانية لأن الثقل بها. وقيل: الأولى. ومَن شدّد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم. (﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾) بالمعصية والظلم. (﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ «تفدوهم»: أبو عمرو). «أسرى تفدوهم» (مكيّ وشاميّ. «أسرى تفدوهم»: حمزة «أسارى تفادوهم»: علي. فدى وفادى) بمعنى. (و«أسارى» حال

المضارعة، وقيل: المحذوف هو الأولى، وقرأ الأربعة الباقية من القرّاء السبعة: ﴿تظاهرون﴾ بإبدال تاء التفاعل ظاء وإدغامها في الظاء، وبه يحصل الهرب من الثّقل الحاصل من اجتماع المثلين، ومعنى المظاهرة المعاونة مأخوذ من الظهر للاستناد إليه، والمعنى: تتعاونون على أهل ملّتكم ملتبسين بالإثم والعدوان. **قوله:** (﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾) بالإمالة (﴿تفدوهم﴾) بغير ألف (أبو عمرو) البصري، (﴿وأسارى﴾) بألف (﴿تفدوهم﴾) بغير ألف (مكي) أي قرأه عبد الله بن كثير المكي، (وشاميّ) أي وقرأه عبد الله بن عامر الشامي اليَحْصُبيّ (﴿أسرى﴾) بالإمالة (﴿تفدوهم﴾) بغير ألف (حمزة) ابن حبيب (﴿أسارى﴾) بالإمالة (﴿تفادوهم﴾) بالألف (عليّ) الكسائي، وقرأ نافع وعاصم[1]: ﴿أسارى تفادوهم﴾ بالألف فيهما. **قوله:** (فدى وفادى) بمعنًى؛ إذ المشاركة هنا غير متحقّق ولا مراد. في الوسيط: والقراءتان معناهما واحد؛ لأنك تقول: فدَيْته بالشيء وفاديته وافْتَدَيْته به، أي خلّصته. **قوله:** (وأسارى حال) من فاعل: ﴿يَأْتُوكُمْ﴾، وكلمة (إن) في قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ شرطيّة، و(يأتوكم) مجزوم بها بحذف نون الرفع، وضمير المخاطبين مفعوله، وتفادوهم جواب الشرط؛ فلذلك حذف منه نون الرفع، أي: وإنْ أتاكم فريقٌ من أهل ملّتكم مأسورين يطلبون منكم الفِداء، وهو ما يشرى ويخلص به الأسير من يد مَنْ أسره، فدَيْتموهم، أي اشتريتموهم وخلّصتموهم بإعطاء فدائهم. والأسير فعيل بمعنى المأمور، أي المحبوس المأخوذ قهرًا، وهو في الأصل المشدود بالإسار، وهو القَيْد الذي يُشَدّ به الأسير، ثم أُطلق على المحبوس مطلقًا، سواء كان مشدودًا بالإسار أم لا.

واعلم أنّ أهل المدينة والنازلين بها كانوا فريقَيْن: اليهود والمشركين، وكلّ واحدٍ منهما كانوا قبيلتين. أمّا اليهود، فبنو قريظة وبنو النّضير. وأمّا المشركون،

---

(١) نافع يقرأ بين بين، وعاصم بفتح. ١٢ منه عم فيضه.

وهو جمع أسير وكذلك أسرى. والضمير في ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ **للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره** ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ أَفَتُؤْمِنُونَ (بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ **بفداء الأسرى).** ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ بالقتال والإجلاء.

فالأوْس والخزرج، وكان بين الأوْس والخزرج عداوة قديمة يحاربون بسببها تارات ولا يخلون عن المقاتلات وتخريب الديار وإهلاك المواشي وأسْر بعضهم بعضًا وإجلاء الغالب المغلوب عن أوطانهم، فاستحلف الأوس بني قريظة، والخزرج بني النضير على أن ينصر كلّ واحدٍ منهما حليفه من المشركين؛ فلزم من ذلك أن يقع القتال بين اليهود مِنْ غير أن يكون بين اليهود أنفسهم مخاصمة وعداوة، وإنما يقاتلون منضمّين إلى حُلفائهم إذا حاولوا مقاتلة أعدائهم، فيقاتل كلّ فريق مع حلفائهم فريقًا آخر مع حلفائه لينصر كل فريقٍ حليفه، فإذا أُسِرَ أحد من فريقَيْ بني قريظة وبني النضير جمعوا له حتى يفدوه، أي جمع مجموع الفريقين من المال ويفدونه، أي يعطونه لِمَنْ أسره مِنَ المشركين ويجعلونه فداءً للأسير يشترونه ويخلّصونه من يد المشركين، فإنّ الفداء العِوَض الذي يُعْطى لأجل تخليص المحبوس، يقال: فدَيْت الأسير بالشيء إذا أعطيته فداءً له وخلّصته به من يد مَنْ حَبسه.

قوله: (وهو) أي أسارى (**جمع أسير، وكذلك** أسرى) في المصباح: إن كلاًّ من أسرى وأسارى جمع أسير. اهـ. وفي السمين: يحتمل أنّ أسارى جمع أسرى، وأسرى جمع أسير. **قوله**: (**والضمير في** ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ **للشأن**)، فهو في محلّ الرفع بالابتداء وإخراجهم مبتدأ ثان، و﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبر المبتدأ الثاني قدّم عليه، والجملة من المبتدأ والخبر في محلّ الرفع خبر ضمير الشأن، ولا يحتاج في مثلهما إلى العائد على المبتدأ؛ لأن الخبر نفس المبتدأ، وهذه الجملة مفسّرة لضمير الشأن، والفرق بين ضمير الشأن وضمير المبهم، مع أنّ كل واحدٍ منهما يحتاج إلى ما يفسّره. إنّ ضمير الشأن يرجع إلى الشأن المسؤول عنه الملحوظ على الإجمال، فيُجاب عنه بأنّ الشأن الذي يطلب تعيينه هو هذا، بخلاف الضمير المُبهم، فإنه لا يُعلم ما يعني به إلا بما يتلوه من المفسّر؛ كما تقول: هي العرب، تقول ما تشاء؛ فلذلك قيل: إنه نكرة، فإنْ كان الضمير في الآية مبهمًا مفسّرًا بقوله: ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾، يكون مبتدأ و﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبره،

(قال السدي): أخِذ الله عليكم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء. ﴿(فَمَا جَزَآءُ) مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ﴾ هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض ﴿مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾

و﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾ بدلًا من الضمير قبله ليفسّره. **قوله**: (**أو هو ضمير مبهم**) أي لا يُعتبر له مرجع. وأمّا ضمير الشأن، فمرجعه الشأن، فاتّضح الفرق بينهما. وأيضًا تفسير ضمير المبهم يجوز أن يكون مفردًا بخلاف ضمير الشأن، ولذا قال: (**تفسيره** ﴿إِخْرَاجُهُمْ﴾) وهو بدل منه، أو بيان له.

قوله: (﴿بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾) المراد بالكتاب التوراة، ولم ينبّه عليه لظهوره؛ فاللام للعهد. **قوله**: (**بفداء الأسرى**) الإيمان بفداء الأسرى مجاز عن العمل به؛ لأن الإيمان بالشيء يستلزم العمل به، فَذَكر الملزوم وأُريد اللازم، فينبغي أن يكون الكفر أيضًا مجازًا عن ترك العمل ببعض ما كلّفوا به.

قوله: (**قال السدِّي**) أي العلّامة إسمٰعيل السدِّيّ، وهو من المفسّرين المُعتبرين في كتاب الإتقان في تفسير القرآن. رَوَى عن السدِّيّ الأئمّة، مثل الثوري وشعبة، ولكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، وأسباط لم يتّفقوا عليه، غير أن أمثل التفاسير تفسير السُّدِّيّ.اهـ. وأيضًا فيه: تفسير إسمٰعيل السدِّي يُورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس.اهـ. وفي المصباح: السدَّة الباب، وينسب إليها على اللفظ، فيقال: السُّدّي، ومنه الإمام المشهور وهو إسمٰعيل السُّدِّي؛ لأنه كان يبيع المقانع ونحوها في سدَّة مسجد الكوفة.اهـ. وفي لسان العرب: سدَّة المسجد الأعظم ما حوله من الرواق، وسُمِّي إسمٰعيل السدّي بذلك لأنه كان تاجرًا يبيع الخُمُر والمقانع على باب مسجد الكوفة. وفي الصحاح: في سدّة مسجد الكوفة. قال أبو عبيد: وبعضهم يجعل السدّة الباب نفسه. وقال اللّيث: السدِّي رجل منسوب إلى قبيلة من اليمن. قال الأزهري: إن أراد إسمٰعيل السدِّي فقط غلط، لا يُعْرف في قبائل اليمن سُدًّا ولا سُدَّة.اهـ. وقوله: وفي الصحاح عبارة الصحاح: وسُمِّي إسمٰعيل السُّدِّي لأنه كان يبيع المقانع والخمر في سدَّة مسجد الكوفة، وهي ما يبقى من الطاق المسدود.اهـ.

قوله: (﴿فَمَا جَزَآءُ﴾) استفهام بمعنى النفي.

فضيحة و (هوان) ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾ وهو الذي (لا روح) فيه ولا فرح أو إلى أشد من عذاب الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (بالياء مكيّ ونافع وأبو بكر).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ (ٱشۡتَرَوُاْ) ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ (اختاروها على الآخرة اختيار المشتري) ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ (وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم).

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

(﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة).

قوله: (هَوان) أي ذُلّ بالضمّ. **قوله**: (لا روح) بفتح الراء، أي استراحة. **قوله**: (بالياء مكّي ونافع وأبو بكر) أي قرأ عبد الله بن كثير المكيّ، ونافع بن عبد الرحمٰن المدنيّ، وأبو بكر شعبة بن عياش بالياء على الغيبة. والباقون بالتاء على الخطاب.

قوله: (اختاروها على الآخرة اختيار المشتري) فيه إشارة إلى أن (﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾) استعارة تبعية، وأنّ الباء داخلة على المتروك، واعتبر ثمنًا. وحاصله أنّ الاشتراء استعمل هنا للرغبة عن الشيء طمعًا في غيره. **قوله**: (ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم) إشارة إلى أن تقديم[١] الضمير في (﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾) ليس للحصر، بل للتقوّي[٢] ورعاية الفاصلة.

قوله: (التوراة) فسّر الكتاب بالتوراة حملًا لِلَامِهِ على العهد، وقرينته ذِكر موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. وأمّا فيما سيأتي، فالمراد به القرآن، لقرينة

---

(١) أي تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي. ١٢ منه عم فيضه.
(٢) أي لتقوية الحكم. ١٢ منه عم فيضه.

أتاه(**جملة**) ﴿**وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ**﴾(**يقال: قفاه إذا اتبعه من القفا**) نحو ذنبه من الذنب(**وقفاه به إذا أتبعه إياه**) . يعني(**وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم: يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيىٰ**) وغيرهم.

دلَّت عليه كما ستطّلع عليه، ولذا ذُكِر منكرًا. **قوله** :(**جملة**) واحدة. **قوله** : (**يقال: قفاه**) من الثلاثي أو من التفعيل، كما هو الظاهر؛(**إذا اتّبعه**) من الافتعال، أي إذا تبعه. **قوله** :(**من القفا**[1]) أي هذا الفعل مأخوذ من القفا؛ إذ الاشتقاق من الجوامد صحيح، وإن أبَيْت عنه فاعتبر الأخذ، فإنه عامّ، وهو الأخذ من أصل بنوع من التصرّف، وكذا الكلام نحو: ذَنَّبه من الذنب ـ بفتحتيه. قوله: (كذنبت الرطَبة). **قوله** :(**وقفاه به إذا أتبعه إياه**) من التفعيل، وأتبعه من الأفعال أشار به إلى أن أصل الكلام: وقفينا موسى بالرُّسل على أن يجعل مدخول الباء تابعًا فحُذِف المفعول وأُقيم من بعده مقامه، ليفيد أنهم جاؤوا بعد انتقال موسى على نبيّنا وعليهم الصّلاة والسّلام. **قوله** :(**وأرسلنا على أثره**) أي موسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام(**الكثير من الرُسل**) هذا حاصل معنى:(﴿**وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ**﴾) ؛ إذ معناه: وأتبعنا الرسل إيّاه في الإرسال إلى القوم للتبليغ، وحاصله ما ذكره. وقوله:(**على أثره**) في المصباح: جئت في أثره ـ بفتحتين ـ وفي إثره ـ بكسر الهمزة وسكون المثلثة ـ أي تبعته عن قُرب. اهـ. **وقوله** :(**الكثير من الرسل**) بدلالة الجمع المعرّف مع القطع بعدم الاستغراق. قيل: كانوا أربعة آلاف، وقيل: سبعون ألفًا، إلّا أنهم كانوا على دين موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام، فجاء عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام ناسخًا لشريعته؛ فلذا خُصّ بالذِّكر. **قوله** :(**وهم**) أي الرُسل الذين بعد موسى على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام:

(**يوشع**) هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف الصدِّيق عليه السلام، هو فتى موسى المذكور في قصة الخضر، بَعَثَه الله نبيًّا بعد موسى إلى مدينة أريحا. قال ابن إسحٰق: حوّلت النبوّة إلى يوشع بن نون في حياة موسى وهارون، فلمّا انقضت لبني إسرائيل الأربعون سنة في التّيه بعث الله تعالى يوشع بن نون، فسار

---

(١) القفا مؤخّر العنق. ١٢ منه عم فيضه.

....

ببني إسرائيل إلى أريحا، فلمّا وصلوا إلى نهر الشريعة بالغور، واسمه نهر الأردنّ، وكان عاشر نيسان من السنة التي تُوُفّي فيها موسى عليه السلام، فلم يجد للعبور سبيلًا، فأمر يوشع حامل صندوق الشهادة الذي فيه الألواح بأن ينزلوا به إلى حافّة النهر، فلمّا وضعوه زال الماء حتى انكشفت أرضه، فلمّا عبر بنو إسرائيل عادت الشريعة إلى ما كانت عليه، ونزل يوشع بني إسرائيل أريحا محاصرًا لها، وصار كلّ يوم يدور حولها، ولم يجد للدخول إليها سبيلًا إلى ستّة أيّام، وفي اليوم السابع أمر بني إسرائيل أن يطوفوا حول أريحا سبع مرّات وأن يكبّروا؛ فعند ذلك هبطت أسوار المدينة وانطمّت الخنادق وتساوَتْ الأرض، كذا نقله صاحب المختصر في أخبار البشر. وقيل: أقام يُحاصرها ستّة أشهر، فلمّا كان الشهر السابع تلجوا تَلجةً واحدة، فسقط سور المدينة، فدخلوا وقتلوا الجبّارين قتلًا ذريعًا، فكان الجماعة من بني إسرائيل يجتمعون على الرجل منهم حتى يطرحوه على الأرض ويضربوا عنقه، وكان القتال يوم الجمعة، وقد بقي من الجبّارين بقيّة، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فدعا الله تعالى يوشع عليه السلام، فقال: اللّهمّ ارْدُد عليَّ الشمس حتى أنتقم من أعدائك؛ فاستجاب الله تعالى دعاءه، ورجعت الشمس مقدار ساعة، وقيل: اثني عشر درجة، فقتلهم أجمعين، وكان ذلك في سادس جمادى الأُولى، وما أحسن قول أبي تمام حبيب بن أوس في ردِّ الشمس ليوشع حيث قال:

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى ... قلوبًا عهدنا طيرها وهي وقع
فرُدَّت علينا الشمس والليل راغمٌ ... بشمسٍ بدَتْ من جانبِ الخُدْر تطلع
فوالله ما أدري أحلامُ نائمٍ ... ألمّت بنا أمْ كان في الرَّكب يوشع

ثم تبع ملوك الشام، فاستباح منهم واحدًا وثلاثين ملكًا حتى غلب على ملوك الشام، وصارت الشام كلّها لبني إسرائيل، وفرّق عمّاله في نواحيها، فسار إلى نابلس إلى المكان الذي أوْدَع فيه يوسف عليه السلام، وكان أوْدَعه موسى هناك لمّا استخرج يوسف من نيل مصر، فاستمرّ مودعًا أربعين سنة وهم في التيه، فلمّا فرغ يوشع من أريحا سار به ودفنه عند أجداده بحبرون، فلمّا استولت بنو إسرائيل على الأرض المقدّسة وصَفَتْ لهم أقام يوشع عليه السلام يدبّر أمرهم ثمانية وعشرين

....

سنة، وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة، ودُفِن في جبل إفرائيم، وقيل: بقرية قدس من أعمال صَفَد[١]، وله قبر هناك يُزار ويُتبرّك به. وقيل: بمدينة معرّة النّعمان، كذا ذكره العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي الشهير بالقرماني تغمّده الله وجميع المسلمين برحمته في كتابه المسمّى أخبار الدُّول وآثار الأُوَل.

(وأشمويل) في كتاب أخبار الدُّول وآثار الأُوَل في الفصل الخامس والعشرون في ذكر شمويل عليه السلام: وقيل: اسمه اشماويل، وهو بالعربيّة[٢] إسمٰعيل، وهو ابن ملقا من ولد فاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، بعثه الله تعالى نبيًّا إلى العمالقة، وهم قومٌ كانوا يسكنون غزّة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين، فمكث فيهم عشرين سنة. اهـ. وأيضًا فيه: أمّا شمويل، فعاش اثنين وخمسين سنة، وقبره بأميال عن بيت المقدس. اهـ.

(وشمعون) وهو من نسل هارون، وهو الذي تولّى رئاسة بني إسرائيل ببيت المقدس بعد عزير، كذا في كتاب أخبار الدُّول وآثار الأُوَل.

(وداود) هو أبو سليمان داود بن إيشا ـ بهمزة مكسورة ثم مثنّاة من تحت ساكنة ثم شين معجمة ـ قال أبو إسحٰق الثعلبي في كتابه العرائس: هو داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن بخشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وقد تظاهرت الآيات والأحاديث الصحيحة على عظم فضل الله تعالى عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النّمل: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: الآية ٧٨] الآيات، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: الآية ١٠] الآية،

---

(١) د بالشام. اهـ قاموس. ١٢ منه.

(٢) في تفسير أبي السعود وهو بالعبرانية: إسماعيل من نسل هارون عليه السلام. اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

وقال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: الآية ٢٥]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: الآية ٢٦] الآية، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: الآية ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥١]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: الآيات ١٧ - ٢٠].

ورُوينا في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود. كان ينام نصفَ الليل ويقوم ثُلثَه، وينام سُدْسَه، وكان يصوم يومًا ويُفْطِر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى»، وفي رواية في الصحيحين: «كان يصوم نصفَ الدهر»، وفي رواية في الصحيحين: «صُمْ صيام داود، فإنه كان أعبد الناس».
ورُوِينا في صحيحيهما عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»، وليس في رواية البخاري: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة».
ورُوِينا في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لقد خفّف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه أن تُسْرج فيقرأ قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلّا مِنْ عمل يديه»، المراد بالقرآن الزبور. وفي صحيح البخاري عن المِقْدام بن معديكرب رضي الله تعالى عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعامًا قطّ خيرًا من أن يأكل مِنْ عمل يده، وإن نبيّ الله داود كان يأكل من عمل يده». ورُوِينا في كتاب الترمذي عن أبي الدّرداء رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان من دعاء داود عليه السلام: اللّهمّ إني أسألك حُبّك وحُبَّ مَنْ يُحبّك، والعمل الذي يُبلّغني حبك، اللّهمّ اجعل حبّك أحبَّ إليّ من نفسي وأهلي ومِنَ الماء البارد»، قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود قال: «كان أعبد البشر»، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وروينا في حِلْية الأولياء عن

الفُضَيل بن عياض رضي الله تعالى عنه قال: قال داود: «إلهي كُنْ لابني سليمان كما كنتَ لي، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود قل لابْنك سليمان أن يكون لي كما كنتَ لي حتى أكون له كما كنتُ لك». قال الثعلبي: قال العلماء: لمّا استشهد طالوت أعطت بنو إسرائيل داود خزائن طالوت وملّكوه على أنفسهم، وذلك بعد قتل طالوت سبع سنين، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملكٍ إلّا داود، قال: وقال كعب ووهب بن منبّه: كان داود أحمر الوجه، سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللّحية فيها جعودة، حسن الصوت والخلق، طاهر القلب. قال: وممّا أعطاه الله من الفضائل الزّبور وحُسن الصوت، فلم يُعْطَ أحدًا مثل صوته. وحُكِي مِنْ آثار صوته أشياء عجيبة، منها تسخير الجبال والطَّيْر للتسبيح معه، ومنها الحكمة وفصل الخطاب؛ فالحكمة الإصابة في الأُمور، وفصل الخطاب قيل: معرفة الأحكام وإتقانها وتسهيلها، وقيل: بيان الكلام، وقيل: قوله: أمّا بعد، وقيل: الشهود والإيمان، ومنها السلسلة المشهورة، ومنها القوّة في العبادة والمجاهدة، ومنها قوّة الملك وتمكينه، ومنها قوّة بدنه، ومنها إلانة الحديد له. قال أهل التواريخ: كان عمر داود عليه السلام مائة سنة، مدّة ملكه أربعون سنة صلّى الله على نبيّنا وعليه وسلم؛ كذا في تهذيب الأسماء. وفي كتاب أخبار الدول وآثار الأُوَل: توفي داود عليه السلام وعمره مائة سنة وستّة أشهر، ودُفِن في كنيسة صهيون ببيت المقدس، وكان مدّة خلافته أربعين سنة. وعن وهب أنّه قال: شيّع جنازة داود عليه السلام أربعون ألف راهب سوى سائر الناس، وكان في يوم صَايف فآذاهم حرّ الشمس، فنادى سليمان عليه السلام الطير وأمرها أن تُظِلّ الناس، فتراصّ بعضها إلى بعض من كلِّ جهة حتى أعتمت ومنعت الريح، وكاد الناس أن يهلكوا، فخرج سليمان فنادى الطَّيْر: أظلّي مِنْ ناحية الشمس، وتنحّي عن ناحية الرِّيح؛ ففعلت ذلك بإذن الله تعالى. اهـ.

(وسليمان) بن داود النبي ابن النبيّ وسبق بيان نسبه في ترجمة أبيه، قال الله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٤] الآيات، وقال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: الآيتان ٧٨، ٧٩]

....

الآيات، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النَّمل: الآيات ١٥ - ١٧] الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النَّمل: الآية ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: الآية ٣٠] الآيات.

وثبت في صحيحَيْ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ عفريتًا من الجنّ تَفَلَّتَ البارحة ليقطع عليّ صلاتي، فأمْكَنَني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى ساريةٍ من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ﴾ [ص: الآية ٣٥]، فرددته خاسئًا»، ورُوينا من طُرُقٍ بألفاظٍ متقاربة وفي الصحيحين عن أبي هريرة أيضًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كانت امرأتان معهما ابناهما، فجاء الذئب فذهب بابنِ إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكّين أشُقَّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله، هو ابنها؛ فقضى به للصغرى». وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عزّ وجلّ ثلاثًا: سأل الله تعالى حكمًا يُصادف حكمه؛ فأُوتيه، وسأل الله تعالى مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده؛ فأُوتيه، وسأل الله عزّ وجلّ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلّا للصلاة فيه أن يُخرجه من ذنوبه وخطيئته كيوم ولدَتْه أُمُّه» رواه النسائي في سننه بإسنادٍ صحيح. قال أبو إسحٰق الثعلبي في كتابه العرائس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾

....

[النَّمل: الآية ١٦]: أي نبوّته وعِلْمه وحكمته دون سائر أولاد داود، وقال: وكان لداود اثنا عشر ابنًا، قال: وكان سليمان ملك الشام إلى إصطخر، قال: وقيل ملك الأرض. وقد رُوِيَ عن ابن عباس قال: ملك الأرض مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: نمروذ وبخت نصّر. قال كعب الأحبار ووهب بن منبّه: كان سليمان أبيض جسيمًا وسيمًا وضيئًا جميلًا خاشعًا متواضعًا يلبس الثياب البيض ويجالس المساكين، ويقول: مسكين جالس مسكينًا، وكان أبوه يُشاوره في كثيرٍ من أُموره مع صغر سنِّه لوفور عقله وعِلْمه، وكان سليمان حين ملك كثير الغزو لا يكاد يتركه، فتحمله الريح هو وعسكره ودوابّهم حيث أراد، وتمرّ به ويعسكره الريح على المزرعة، فلا يتحرَّك الزَّرع. قال: وقال محمد بن كعب القُرَظي: بَلَغنا أنّ عسكر سليمان مكان مائة فرسخ خمسة وعشرون للإنس، ومثلها للجنّ، ومثلها للطَّيْر، ومثلها للوحش. قال: وقال أهل التاريخ: كان عُمر سليمان ثلاثًا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ بناءَ بيت المقدس بعد ابتداء مُلكه بأربع سنين؛ كذا في تهذيب الأسماء. وفي كتاب أخبار الدُّول وآثار الأُوَل: ودُفِن عند قبر إبراهيم على نبيِّنا وعليهم الصّلاة والسّلام.اهـ.

(وشعياء) بفتح الشين المعجمة وسكون العين والياء التحتية بنقطتين بالقصر، وهو شعيا بن أمضيا وهو الذي بشّر بنبيّنا محمّد ﷺ وبعيسى ابن مريم عليه السلام، قال: رأيت راكبين أضاءت لهما الأرض أحدهما على حمار والآخر على جمل؛ فراكب الحمار عيسى عليه السلام، وراكب الجمل نبيّنا محمّد ﷺ.

(وأرمياء) بفتح الهمزة وبكسرها، وقيل: بضمّها وأشبعها بعضهم واوًا، ابن حلقيا، وكان من سبط هارون بن عمران. قال صاحب العرائس: استخلف الله بعد شعيا أرميا عليهما السلام، وزعم ابن إسحٰق أنه الخضر عليه السلام، وعاش أرميا ثلاثمائة سنة.

(وعزير) بن شرحيا من ولد هارون عليه السلام، وتوفي عزير عليه السلام ودُفِن في جبل الطور شرقي بيت المقدس.

قوله: (وحزقيل) بن بوزى، ويُلقب بابن العجوز، وإنّما لُقِّب بابن العجوز لأن أُمّه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز، وقد كَبُرت وعقمت عن الولد، فوهبه

....

الله تعالى لها، وهو الذي أحيا الله له الموتى، وهم القوم الذين خرجوا من ديارهم، وهم أُلوف.

(وإلياس) بن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، أخي موسى عليه السلام.

(واليسع) بن أخطوب، ويقال فيه: **(الليسع)** بسكون اللام وفتحتين بعدها، ويقال: اللّيسع بشدّ اللام وسكون الياء وفتح السين، وهو يُعرف بابن العجوز؛ لأن أُمّه ولدته وهي عجوزٌ عقيم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل بعد أن رفع إلياس عليه السلام، فآمنوا به وحكم فيهم بما أمره الله تعالى إلى أن قُبِض وعاش أربعمائة وسنتين، ودُفِن بقرية تستر من أعمال أذرع.

(ويونس) بن متّى ـ بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مقصورًا ـ وفي يونس ستّ لغات أو أوجه: ضمّ النون وكسرها وفتحها مع الهمز وتركه، والفصيح ضمّها بلا همز، وبه جاء القرآن والآيات في رسالته وفُضَلُه معلومة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الصّافات: الآية ١٣٩] الآيات، وقال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] الآيتين، وذو النون هو يونس. وقال الله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يُونس: الآية ٩٨]، وقال الله تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القَلَم: الآية ٥٠].

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس بن متّى»، ونسبه إلى أبيه، وسقط في بعض رواياتهما قوله: «ونسبه إلى أبيه». وفي رواية البخاري: «ولا أقول أن أحدًا أفضل من يونس بن متّى». وفي الصحيحين أيضًا عن ابن عباس قال: سِرْنا مع رسول الله ﷺ بين مكّة والمدينة حتى أتينا على ثنية، فقال: «أيّ ثنية هذه»؟ قالوا: هرشى أو لفت، فقال: «كأني أنظر إلى يونس بن متّى على ناقةٍ حمراءَ عليه جُبَّةٌ خطام ناقته ليف مارًّا بهذا الوادي مُلَبّيًا»؛ كذا في تهذيب الأسماء.

(وزكريا) أبو يحيىٰ، وفيه خمس لغات أشهرها زكرياء ـ بالمدّ ـ والثانية بالقصر، وقُرِىء بهما في السبع، والثالثة والرابعة زكريّ وزكرى بتشديد الياء

....

وتخفيفها، حكاهما ابن دريد، وحكاهما من المتأخرين الجواليقي، والخامسة زَكَر كقلم، حكاهما أبو البقاء. قال الجواليقي: فمن مدّ قال في التثنية: زكرياءان، وفي الجمع زكرياؤون، ومَنْ قصر قال: زكريّيان وزكريّيون، ومَنْ قال: زكريّ قال: زكريان لمدنيّان وزكريّون كمدنيّون، ومَنْ خفّف قال: زكريان وزكوريون، وقد سبق أنه اسمٌ أعجمي، قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: الآيتان ٣٨، ٣٩] الآيات، وقال الله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: الآيات ١ - ٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: الآيتان ٨٩، ٩٠] هل هو مختصّ بزكريا وأهله، أم هو عائد إليه وإلى جميع الأنبياء المذكورين في السورة من موسى وهارون؟ وعلى التقديرين فيه فضل لزكريّا. وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٥] الآيات. وثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا نجّارًا»، وهذه من الفضائل؛ لقوله ﷺ في صحيح البخاري: «أفضل ما أكل الرجل من عمل يده». قال أهل التواريخ: كان زكريا من ذرّية سليمان بن داود عليهما السلام، وقُتِل زكريا بعد قتل يحيىٰ ابنه صلوات الله وسلامه عليهما، والله أعلم. كذا في تهذيب الأسماء.

(**ويحيىٰ**) بن زكرياء، ولفظ يحيىٰ عجميّ، وقال الواحدي: يحيىٰ لا ينصرف عربيًا كان أو عجميًا؛ لأنه لو كان عربيًا امتنع لشبه الفعل مع التعريف. قال العلماء: أوّل مَنْ سُمّي بيحيى ابن زكريا صلّى الله على نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: الآية ٧]. قال الواحدي: قال المفسّرون: أوّل من آمن بعيسى يحيىٰ، وكان يحيىٰ أسنّ من عيسى. قال العلماء بالتاريخ: قُتل يحيىٰ قبل أبيه زكريا، وفضائله في القرآن مشهورة. قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ

بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ٣٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: الآية ٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم: الآيات ١٢-١٥]، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٨٩] الآيتين. وثبت في الصحيحين في حديث الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ قال: «ثم عرج بي إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل ففُتِح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا، فرحّبا ودعوا لي بخير». وأمّا ما روينا في مسند أبي يعلى الموصلي عنه، قال: حدّثنا زهير بن حرب، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ قال: «ما أحد من ولد آدم إلّا قد أخطأ أو همّ بخطيئة، ليس يحيىٰ بن زكريا» فهو حديث ضعيف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ويوسف بن مهران مختلَفٌ في جرحه. قال الثعلبي: كان مولد يحيىٰ قبل عيسى بستة أشهر. وقال الكلبي: كان زكريا يوم بشّر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة، وقيل: تسع وتسعين سنة. وعن الضحاك عن ابن عباس: كان ابن عشرين ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمانٍ وتسعين سنة، قال: وقال كعب الأحبار: كان يحيىٰ حسن الصورة والوجه، ليّن الجناح، قليل الشعر، قصير الأصابع، طويل الأنف، أقرن الحاجبين، رقيق الصوت، كثير العبادة، قويًا على طاعة الله تعالى، وسادَ الناس في عبادة الله تعالى وطاعته. وقال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: الآية ١٢]، قيل: إنّ يحيىٰ قال له أقرانه من الصبيان: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للّعب خُلِقْنا. قال: وقيل إنه بنى صغيرًا، فكان يَعِظُ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجُمَعهم ويدعوهم إلى الله تعالى، ثم ساح يدعو الناس لما بعثه الله إلى بني إسرائيل، وأمره أن يأمرهم بخمس خصال، وهي: عبادة الله، ولا يشركون به شيئًا، والصلاة، والصدقة، وذكر الله والصيام. واتّفقوا على أنه قُتِل ظلمًا شهيدًا وأُخذ رأسه ووُضِع في طست، وغضب الله تعالى على قاتليه وسلّط عليهم بُخْت

(﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ هي بمعنى الخادم).

نصّر وجيوشه، فجاسوا خلال الديار، وكان وعدًا مفعولًا؛ كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ﴾) بإثبات الألف وإنْ كان واقعًا بين العلمين لندرة الإضافة إلى الأم (مريم) بنت عمران الصدِّيقة. ذكر الإمام الحافظ أبوالقاسم في تاريخ دمشق أنّها كانت بالرّبوة، قال: ويقال: إنّ قبرها بالنّيرب، ولم يصح، وذكر نسبها، وأنّها مِنْ أولاد سليمان بن داود بينها وبينه أربعة وعشرون أبًا. ثم روى أقوال المفسّرين في قول الله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: الآية ٥٠]، قالوا: أرض دمشق، واسم أمّ مريم حَنَّة ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد النون ـ. وعن مجاهد قال: لما قيل: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٣] كانت تقوم حتى تورّم قدماها، وفي رواية: تصلّي حتى ترم قدماها. قال الحافظ: وبلغني أنّ مريم بقيت بعد رفع عيسى خمس سنين، وكان عمرها ثلاثًا وخمسين سنة. وعن أبي أُمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمت أن الله عزّ وجلّ زوّجني في الجنّة مريم ابنة عمران، وكلثوم[1] أخت موسى، وآسية امرأة فرعون»، فقلت: هنيئًا لك يا رسول الله. وفي الصحيح: «ما من مولود يولد إلا ويمسّه الشيطان، إلا عيسى وأُمّه». وفي الحديث الصحيح: «كَمُل من النساء أربع: مريم ابنة عمران» الحديث، وفي الصحيح: «خير نسائها مريم»؛ كذا في تهذيب الأسماء.

قوله: (هي) أي مريم (بمعنى الخادم)، فقد جعلتها أُمّها محرّرة لخدمة المسجد، فلذلك سمّيت مريم، فأصله في لغة السريان: صفة ثم سمّي به،

---

(١) قال السهيلي كلثوم: جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار أنّ رسول الله ﷺ قال لخديجة: «لشعرت أن الله زوّجني معك في الجنّة مريم بنت عمران، وكلثوم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون»، فقالت: آلله أخبرك بذلك؟ فقال: «نعم»، فقالت: بالرفاء والبنين. اهـ. وفي النهاية: نهي أن يقال للمتزوّج بالرفاء والبنين، الرفاء الوئام والاتفاق والبركة والنّماء وإنما نهى عنه كراهية لأنه كان من عادتهم، ولذا سنّ فيه غيره، ومنه الحديث: كان إذا رَفّاء الإنسان، قال: بارك الله لك وعليك وجمع بينكما على خير، انتهت باختصار. ١٢ منه عم فيضه.

(ووزن مريم عند النحويين «مفعل» لأن «فعيلًا» لم يثبت في الأبنية) البينات المعجزات الواضحات (كإحياء الموتى)وإبراء (الأكمه والأبرص والإخبار

وقوله: بمعنى الخادم، في المصباح: خدمه يخدمه خدمة فهو خادم، غلامًا كان أو جارية، والخادمة ـ بالهاء في المؤنث ـ قليل، والجمع خَدَم وخدّام. اهـ. **قوله** (**ووزن مريم عند النحويين: مَفْعَل**) فإنه مشتقّ من رام يريم إذا فارق وبرح، ولا يُستعمل إلّا في النفي، فيكون مفعلًا لا فعيلًا؛ (**لأن فعيلًا**)بالفتح (**لم يثبت في الأبنية**)لا صيغته ولا مادته، وهي م ر م. **قوله** (**كإحياء الموتى**)قال ابن عباس: قد أحيا أربعة أنفس: عازر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام بن نوح عليه السلام. فأمّا عازر، فكان صديقًا له، فأرسلت أخته إلى عيسى عليه السلام أن أخاك عازر يموت، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتى هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة يام، فقال لأخته: انطلقي بنا إلى قبره، فانطلقت معهم إلى قبره، فدعا الله سبحانه وتعالى، فقام وخرج من قبره وبَقِيَ ووُلِد له. وأمّا ابن العجوز، فمرّ به ميتًا على عيسى يحمل على سرير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سريره ونزل عن أعناق الرجال ولَبِس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله، فبقي ووُلِد له. وأمّا ابنة العاشر، فكان رجلًا يأخذ العشور ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله تعالى فأحياها، فبقيت ووُلِد لها. وأمّا سام بن نوح، فإنّ عيسى عليه السلام جاء إلى قبره ودعا، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفًا من قيام الساعة، وما كانوا يشيبون في ذلك الزمان، فقال: قد قامت القيامة، فقال: لا، ولكن قد دعوت الله تعالى، فأحياك ثم قال له: مت، فقال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت؛ فدعا الله تعالى، ففعل به ما قال؛ كذا في تفسير الخطيب.

قوله (**الأكمه**)وهو الذي وُلد أعمى أو ممسوح العينين، (**والأبرص**)وهو الذي به برصٌ، وهو بياضٌ شديد يبقع الجلد ويذهب دمويّته، وإنما خصّ هذين المرضين بالذِّكر لأنهما أعْيا الأطباء، وكان الغالب في زمن عيسى الطبّ، فأراهم المعجزة من جنس ذلك. قال وهب: ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفًا مَنْ أطاق منهم أن يبلغه أتاه، ومَنْ لم يُطِقْ أتاه عيسى، وما كانت مداواته إلّا بالدُّعاء وحده، على شرط الإيمان. **قوله** (**والإخبار**

بالمغيبات. ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾) أي الطهارة (وبالسكون حيث كان: مكيّ)، أي (بالروح المقدسة كما يقال: «حاتم الجود» ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب).

بالمغيّبات) كإخبار ما يدّخرون في بيوتهم، قال السدّي: كان عيسى في الكتاب يحدّث الغلمان بما تصنع آباؤهم، ويقول للغلام: انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا، ورفعوا لك كذا وكذا، قال: فينطلق الصبي إلى أهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء، فيقولون: مَنْ أخبرك بهذا؟ فيقول: عيسى، فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر، فجمعوهم في بيتٍ، فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا: ليسوا هٰهنا، قال: فما في هذا البيت؟ قالوا: خنازير، قال عيسى: كذلك يكونون، ففتحوا عنهم فإذا هم خنازير.

قوله: **(وبالسكون حيث كان مكّي)** يعني قرأ ابن كثير المكّي: ﴿ٱلْقُدْسِ﴾ بالإسكان في جميع القرآن. **قوله**: **(بالروح المقدّسة)** إشارة إلى أن التركيب الإضافي في قوله تعالى: (﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾) من قبيل إضافة الموصوف إلى الوصف القائم به، **(كما يقال: حاتم الجود)**، فإنّ الأصل بالروح المقدّسة، أي المطهّرة على طريق المدح للروح باتّصافها بصفة القدس والطهارة وثبوت هذه الصفة لها، ثم أُضيف الموصوف وهو الروح إلى القدس الذي أخذ اشتقاق لفظ المقدسة منه للمبالغة في ثبوت القدس له واتّصافه به، فإنّ قولك: بالروح المقدّسة إنما يدلّ على ثبوت القدس للروح واتّصافها به، فإذا أُضيفت الروح إلى القدس إضافة لاميّة دالّة على اختصاص المضاف بالمضاف إليه حصلت المبالغة في ثبوت القدس لها؛ لأن اختصاص الروح بالطهارة أبلغ في الدّلالة على اتّصافها بالطهارة بالنسبة إلى أن يقال: الروح المقدسة؛ لأنه إنما يدلّ على مجرد ثبوت القدس للروح واتّصافها به.

قوله: **(وصفها)** أي وصف روح عيسى عليه السلام **(بالقدس للاختصاص)**... الخ. أي لاختصاص روح عيسى بالقدس لطهارته عن مسّ الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى وقُرْبه منه تعالى. **قوله**: **(والتقريب)** للكرامة.

(أو بجبريل عليه السلام **لأنه)** يأتي بما فيه حياة القلوب، **(وذلك)** لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله.

قوله: (أو بجبريل عليه السلام) عطف على قوله: بالروح المقدّسة، وهو الملك الكريم رسول ربّ العالمين، وفيه تسع لغات حكاهنّ ابن الأنباري وابن الجواليقي: جبريل وجَبْريل ـ بكسر الجيم وفتحها ـ وجبرئل ـ بفتح الجيم وهمزة مكسورة وتشديد اللام ـ وجبرائيل ـ بألف وهمزة بعدها ياء ـ وجبراييل ـ بيائَيْن بعد الألف ـ وجبرءيل ـ بهمزة بعد الراء وياء ـ وجبرئل ـ بكسر الهمزة وتخفيف اللام مع فتح الجيم والراء ـ وجبرين وجَبرين ـ بفتح الجيم وكسرها ـ. قال جماعات من المفسّرين وصاحب المحكم والجوهري وغيرهما من أهل اللغة: في جبريل وميكائيل إن جبر وميك اسمان أُضيفا إلى إيلَ وإلَ، قالوا: وإيل وإل اسمان لله تعالى، وجبر وميك معناه بالسريانية عبد، فتقديره: عبد الله. قال أبو علي الفارسي: هذا الذي قالوه خطأ من وجهين: أحدهما أن إيل وإل لا يعرفان في أسماء الله تعالى. والثاني: أنه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم في وجوه العربية، ولكان آخره مجرورًا أبدًا كعبد الله، وهذا الذي قاله أبو علي هو الصواب، فإنّ ما زعموه باطل لا أصل له.

واعلم أن جبريل يقال له: الناموس ـ بالنون ـ كما ثبت في الصحيحين في حديث المبعث. قال أهل اللغة: الناموس صاحبُ سرّ الرجل الذي يطلعه على باطن أمره. وقيل: الناموس صاحب خبر الخير، والجاسوس صاحب خبر الشرّ، وقد تظاهرت الدلائل على عظم مرتبة جبريل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البَقَرَة: الآيتان ٩٧، ٩٨]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: الآيات ١٩٢ - ١٩٤] الآية، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النّجم: الآية ٥] الآيات، المراد بشديد القوى جبريل عليه السلام. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النّجم: الآيتان ١٣، ١٤] الآية، المراد رأى جبريل، هذا قول الجمهور؛ فرآه النبيّ ﷺ على صورته ستمائة جناح مرّتين. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

....

ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: الآيات ١٩ - ٢٤]. وثبت في صحيحي البخاري ومسلم في حديث المبعث عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ النبيّ ﷺ جاءه جبريل وهو يتعبّد بغار حراء، فأخذه فغطّه ثم أرسله فقال: اقرأ، ثم غطّه ثانية وثالثة يقول له مثل ذلك، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: الآيات ١ - ٥]. وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: الآية ١٣] رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح. وعن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: الآية ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: الآية ١٣]؟ فقالت: أنا أوّل هذه الأُمّة يسأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خُلِق عليها غير هاتين المرّتين: رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عظم خلقته ما بين السماء إلى الأرض». وفي صحيح مسلم عن مسروق أيضًا قال: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها: وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: الآيتان ٨، ٩]، فقالت: إنما ذلك جبريل كانت وسيلة في صورة الرجال، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسدّ أفق السماء. وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوَحْيُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجَرَس، وهو أشدُّ عليَّ فيفصم عنّي وقد وعِيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثّل لي الملك رجلًا فيكلّمني فأعِي ما يقول»، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقًا. قال أهل اللغة: الفَصَم القطع بغير إبانة، ومعناه يفارقني على أنه يعود. وفي صحيحهما عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ أجْوَد الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلّ ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن؛ فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما

أو بالإنجيل (كما قال في القرآن ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾) [الشورى: الآية ٥٢]، أو (باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره).

تزورنا»؟ فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: الآية ٦٤]. وفي البخاري عن البراء قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لحسّان: «اهْجُهُمْ» أو «هاجِهِم وجبريل معك». وفي الصحيحين في حديث الإسراء صعود رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وجبريل عليه السلام إلى السمٰوات السبع، وأنّ جبريل ليستفتح في باب كل سماء، فيُقال: مَنْ هذا؟ فيقول: جبريل، فيقال: ومَنْ معك؟ فيقول: محمّد، فيُفتح. وفي الصحيح «أنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبدًا نادى: يا جْبريل إني أُحبّ فلانًا فأحبّه، فيحبُّه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إنّ الله يحبّ فلانًا فأحِبُّوه، فيحبّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض». والأحاديث الصحيحة المتعلقة بعظم فضل جبريل كثيرة مشهورة، وكان يأتي النبيّ ﷺ في صورة دحية الكلبي، ورأته الصحابة حين جاء في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفه أحد؛ فسأل النبيّ ﷺ وهم يرونه ويسمعونه عن الإيمان والإسلام والإحسان والساعة وأمارتها، ثم خرج، فطلبوه في الحال فلم يجدوه، فقال النبيّ ﷺ: «هذا جبريل، أتاكم يعلّمكم دينكم»، وهذا الحديث في الصحيحين. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنّ النبيّ ﷺ، قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب». وفي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لمّا رجع النبيّ ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل، فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: «فإلى أين»؟ قال: هٰهنا، وأشار بيده إلى بني قُرَيْظة، فخرج النبيّ ﷺ إليهم. وفي البخاري عن أنس بن مالك، قال: كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار النبيّ ﷺ إلى بني قُرَيظة؛ كذا في تهذيب الأسماء. **قوله**: (لأنه) أي جبريل على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام. **قوله**: (وذلك) أي التأييد.

قوله: (كما قال في القرآن) أي في شأن القرآن (﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾) قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: الآية ٥٢]. **قوله**: (بسم الله الأعظم الذي) استأثره الله تعالى به، فلا يعلم إلا من علّمه الله تعالى؛ فإطلاق

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ﴾ (بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ) تحب ﴿أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تعظمتم عن قبوله ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ (كعيسى ومحمد)عليهما السلام ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيىٰ عليهما السلام.

الروح عليه استعارة لأنه كالروح في إحياء الموتى، ولذا قال: (كان)أي عيسى على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام (يحيي الموتى بذكره) **قوله** (بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ)تحبّ من الحقّ. **قوله** (كعيسى)ابن مريم، هو عبد الله ورسوله وكلمته وروح منه، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عِمرَان: الآيتان ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: الآيات ٤٨ - ٥٠] الآية، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عِمرَان: الآية ٥٥] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [آل عمران: الآيتان ٥٩، ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النّساء: الآيتان ١٧١، ١٧٢] الآية، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ﴾ [المائدة: الآية ١١٠] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريَم: الآية ١٩] إلى آخر الآيات، والآيات في فضله كثيرة مشهورة.

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبيّ ﷺ قال: «ما من بني آدم من مولود إلّا نخسه الشيطان حين يُولد، فيستهلّ صارخًا مِنْ نخسه إيّاه، إلّا مريم وابنها»، ورويناه من طرق بألفاظ متقاربة وفي بعضها: ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عِمرَان:

....

الآية ٣٦]. وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أَوْلى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبيّ الأنبياء إخوة أبناءُ عَلّات أُمّهاتهم شتّى ودينهم واحد» رواه البخاري ومسلم. وفي الصحيحين في حديث الإسراء عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله ﷺ رأى في السماء الثانية ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا. وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ حين أُسْرِيَ به قال: «ولقيت عيسى»، فنعته النبيّ ﷺ «فإذا ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس» يعني حمامًا. وفي الصحيحين عنه عن النبيّ ﷺ قال: «رأى عيسى ابن مريم رجلًا يسرق، فقال: أسرقت؟ فقال: كلّا والذي لا إلٰه إلّا هو، فقال عيسى: آمنت بالله وكذّبت عيني». وفي الصحيحين عنه قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٥٩]. وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت أنّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ شهد أن لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنّة حقّ، والنار حقّ أدخله الجنّة على ما كان من العمل». وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء شرقي دمشق». قال الإمام أبو إسحٰق الثعلبي في كتابه العرائس: اختلف العلماء في مدّة حمل مريم بعيسى، فقيل: سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، وقيل: ستّة، وقيل: ساعة، وقيل: ثلاث ساعات، ووضعته عند الزوال وهي بنت عشر سنين، وكانت حاضت قبله حيضتين، وقيل: كانت بنت خمس عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة، وأنه كلّم الناس وهو ابن أربعين يومًا ثم لم يتكلّم بعدها حتى بلغ زمن كلام الصبيان، وكان زاهدًا لم يتّخذ بيتًا ولا مَتاعًا، وكان قُوته يومًا بيوم، وكان سيّاحًا في الأرض، وكان يمشي على الماء ويُبْرِىء الأكمه والأبرص ويُحْيي الموتى بإذن الله ويخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، وكان له الحواريّون الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في كتابه وهم الأنصار، وكانوا اثني عشر

....

رجلًا، وكانوا أصفياءه وأنصاره ووزراءه. قيل: كانوا أولًا صيّادين، وقيل: قصّارين، وقيل: ملّاحين. وممّا كرَّمه الله تعالى به تأييده بروح القدس، قال الله تعالى: (﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾)، قيل: هو الروح الذي نفخ فيه، وقيل: جبريل كان يأتيه[١] ويسير معه، وقيل: هو اسم الله الأعظم وبه كان يُحيي الموتى ويُرِي الناس تلك العجائب، ومنها عِلمه التوراة والإنجيل، فكان يقرأهما حفظًا، ومنها أنه كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله. قال الثعلبي: قالوا: إنّما كان يخلق الخُفّاش خاصّةً لأنه أكمل الطير خلقة له ثَدْيٌ وأسنان، ويَلِد ويحيض ويطير. قال: قال وهب بن منبّه: كان يطير حتى يغيب عن الناس ثم يقع ميتًا ليتميّز خلق الله تعالى من فِعْل غيره. ومنها إبراؤه الأكمه والأبرص، والأكمه الذي وُلد أعمى، وإنما خُصَّ هذين لأنهما لا يُرْجى زوالهما ولا حيلة للمخلوقين فيهما، وكان زمن الأطبّاء فظهرت بها المعجزة، ومنها إحياؤه الموتى قالوا: فأحيا جماعة منهم العازَر أحياه بعد موته ودفنه بثلاثة أيام، فقام وعاش مدة طويلة ووُلِد له بعد ذلك. ومنهم ابن العجوز وقصّته مشهورة أحياه وهو محمول على نعشه في أكفانه، فعاش ووُلد له. ومنهم بنت العاشر أحياها وولدتِ بعد ذلك. ومنهم سام بن نوح على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام، وعزير وقصّتهما مشهورة. ومنها إخباره بالمغيّبات، قال الله تعالى إخبارًا عنه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٩]. ومنها مَشْيه على الماء، ومنها نزول المائدة عليه من السماء بنصّ القرآن، ومنها رفعه إلى السماء، هذا مختصر ما ذكره الثعلبي. وثبت في الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال: «ينزل عيسى ابن مريم من السماء ويقتل الدجّال بباب لُدّ»، وأحاديثه في قصة الدجّال مشهورة في الصحيح: «وينزل عيسى حكمًا عدلًا» كما سبق في الحديث الصحيح لا رسولًا، وأنه يصلّي وراء الإمام منّا تكرّمًا من الله تعالى لهذه الأُمّة، وجاء أنه يتزوّج بعد نزوله ويُولد ويُدفن عند النبيّ ﷺ، كذا في تهذيب الأسماء.

---

(١) كذا في تهذيب الأسماء المطبوع، وفي حاشية البيضاوي للعلامة شيخ زاده رحمة الله عليه: كان قرينه يسير معه حيث سار. اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

قوله: (ومحمد) بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان، إلى هنا إجماع الأُمّة. وأمّا ما بعده إلى آدم، فيُخْتَلف فيه أشدّ اختلاف، قال العلماء: ولا يصحّ فيه شيء يُعْتَمد. وقُصَيّ بضم القاف ولوي بالهمز وتركه، وإلياس بهمزة وَصْل، وقيل: بهمزة قَطْع، وكنية النبيّ المشهورة أبو القاسم، وكنّاه جبريلُ صلّى الله عليهما وسلّم أبا إبراهيم، ولرسول الله ﷺ أسماء كثيرة أفرد فيها الإمام الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر رحمه الله بابًا في تاريخ دمشق ذكر فيه أسماء كثيرة جاء بعضُها في الصحيحين، وباقيها في غيرهما، منها محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفّي والماحي وخاتم الأنبياء ونبيّ الرحمة ونبيّ الملحمة، وفي رواية: نبيّ الملاحم، ونبيّ التوبة والفاتح وطٰه ويٰس وعبد الله. قال الإمام الحافظ: أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البَيْهقي رحمه الله، زاد بعض العلماء، فقال: سمّاه الله عزّ وجلّ في القرآن رسولًا نبيًا أُمّيًا شاهدًا مبشّرًا نذيرًا داعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ورؤوفًا رحيمًا ومذكّرًا وجعله رحمة ونِعمة وهاديًا ﷺ. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمي في القرآن محمّد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سُمّيت أحيد لأني أحيد أُمّتي عن نار جهنّم». قلت: وبعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز. قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الأحْوَذي في شرح الترمذي: قال بعض الصوفية: لله عزّ وجلّ ألف اسم، وللنبيّ ﷺ ألف اسم. قال ابن العربي: فأمّا أسماء الله عزّ وجلّ، فهذا العدد حقيرٌ فيها. وأمّا أسماء النبيّ ﷺ، فلم أُحْصِها إلّا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء النبيّة، فوَعَيْت منها أربعة وستّين اسمًا، ثم ذكرها مفصّلة مشروحةً، فاستوعب وأجاد، ثم قال: وراء هذه أسماء. وأُمّ النبيّ ﷺ آمِنَةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب. ووُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، وقيل: بعده بثلاثين سنة. قال الحاكم أبو أحمد: وقيل بعده بأربعين سنة، وقيل: بعده بعشر سنين،

رواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق، والصحيح المشهور أنه عام الفيل، ونقل إبراهيم بن المنذر الخرامي شيخ البخاري وخليفة بن خيّاط وآخرون الإجماع عليه. واتّفقوا على أنه وُلِد يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّل، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر؟ فهذه أربعة أقوال مشهورة. وتوفي ﷺ ضحًى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة، ومنها ابتداءُ التأريخ. ودُفِن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس، وقيل: ليلة الأربعاء. وتوفي عليه السلام وله ثلاث وستّون سنة، وقيل: خمس وستّون سنة، وقيل: ستّون، والأوّل أصح وأشهر، وقد جاءت الأقوالُ الثلاثة في الصحيح. قال العلماء: الجمع بين الروايات أنّ مَنْ روى ستّين سنة لم يعتبر هذه الكُسُور، ومَنْ روى خمسًا وستّين عد سنتي المولد والوفاة، ومَنْ روى ثلاثًا وستّين لم يعدّهما، والصحيح ثلاث وستّون، وكذا الصحيح في سنّ أبي بكر وعمر وعليّ وعائشة رضي الله تعالى عنهم ثلاث وستّون سنة.

قال الحاكم أبو أحمد، وهو شيخ الحاكم أبي عبد الله: يقال: وُلِد النبيّ ﷺ يوم الاثنين، ونَبّى يوم الاثنين، وهاجر من مكّة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. ورُوِي أنّه عليه السلام وُلِد مختونًا مسرورًا. وكُفِّن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميصٌ ولا عمامة، ثبت ذلك في الصحيحين. قال الحاكم أبو أحمد: ولمّا أُدرج النبيّ ﷺ في أكفانه وُضِع على سريره على شفير القبر، ثم دخل الناس أرسالًا[1] يصلّون عليه فوجًا فوجًا لا يؤمّهم أحد؛ فأوّلهم صلاةً عليه العباس، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر الناس؛ فلما فرغ الرجال دخل الصبيان ثم النساء. ثم دُفِن عليه السلام ونزل في حفرته العباس وعليّ والفضل وقُثَم ابنا العباس وشُقران. قال: ويقال: كان أُسامة بن زيد وأوس بن خولى معهم، ودُفِن في اللّحد وبُني عليه ﷺ في لحده اللبنُ، يُقال: إنها تسع لبناتٍ، ثم أهالوا التراب وجُعِل قبره ﷺ مسطّحًا، ورشَّ عليه الماء رشًا. قال: ويقال: نزل المغيرة في قبره ولا يصح.

(١) في المصباح: الرسل ـ بفتحتين ـ القطيع من الإبل، والجمع أرسال مثل سببٍ وأسباب، وشبه به الناس فقيل: جاءوا أرسالًا، أي جماعات متتابعين.اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

قال الحاكم أبو أحمد: يقال: مات عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: تسعة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: شهران، وقيل: مات وهو حمل، وتوفي بالمدينة. قال الواقدي: وكاتبه محمد بن سعد: لا يثبت أنه توفي وهو حمل، ومات جدُّه عبد المطّلب وله ثمان سنين، وقيل: ستّ سنين وأوْصى به إلى أبي طالب.

وماتت أُمّ رسول الله ﷺ وله ستّ سنين، وقيل: أربع، ماتت بالأبْواء مكان بين مكّة والمدينة.

وبُعِثَ ﷺ رسولًا إلى الناس كافّة، وهو ابن أربعين سنة، وقيل: أربعين ويوم. وأقام بمكّة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة، وقيل: عشرًا، وقيل: خمس عشرة. ثم هاجر إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين بلا خلاف، وقَدِم المدينة يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل. قال الحاكم: وبدأ الوجع برسول الله ﷺ في بيت ميمونة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صَفَر.

فصل

أرضعته ﷺ ثُوَيْبة ـ بضم المثلّثة ـ مولاة أبي لهب أيّامًا، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذُؤَيْب عبد الله بن الحارث السعديّة، ورُوِيَ عنها أنّها قالت: يشبّ في اليوم شباب الصبيّ في شهر. ونشأ ﷺ يتيمًا فكفله جدّه عبد المطلب، ثم عمّه أبو طالب وطهّره الله عزّ وجلّ من دَنَس الجاهلية، فلم يُعَظّم صنمًا لهم في عمره قطّ، ولم يحضر مشهدًا من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع ويعصمه الله من ذلك.

وفي الحديث عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «ما عبدت صنمًا قطّ، وما شربت خمرًا قطّ، وما زلت أعرف أنّ الذي هم عليه كفر»، وهذا من لطف الله تعالى به أن برَّأه من دَنَس الجاهلية ومن كل عَيْب ومَنَحه كلَّ خُلُق جميل حتى كان يُعرف في قومه بالأمين لما شاهدوا من أمانته وصدقه وطهارته؛ فلمّا بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بُصْرَى، فرآه

بُحَيْرَا الراهب فعرفه بصفته، فجاء وأخذ بيده وقال: هذا سيّد العالمين، هذا رسول ربّ العالمين، هذا يبعثه الله حجّةً للعالمين، قالوا: فمِنْ أين عَلِمْت ذلك؟ قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خرّ ساجدًا، ولا يسجد إلّا لنبيّ، وإنا نجده في كتبنا؛ وسأل أبا طالب أن يردَّه خوفًا من اليهود فردَّه. ثم خرج ﷺ ثانيًا إلى الشام مع مَيْسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها في تجارةٍ لها قبل أن يتزوّجها حتى بلغ سوق بُصْرى؛ فلمّا بلغ خمسًا وعشرين سنة تزوّج خديجة، ولمّا خرج إلى المدينة مهاجرًا خرج معه أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، ومولى أبي بكر عامر بن فُهَيْرة ـ بضم الفاء ـ ودليلهم عبد الله بن الأُرَيْقط اللَّيْثيّ، وهو كافر، ولا يُعْلم له إسلام.

فصل في صفته ﷺ

كان ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا الأبيض الأمهق ولا الآدم، ولا الجعد القَطط ولا السَّبط. وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء. وكان حسن الجسم بعيد ما بين المنكبين، له شعرٌ إلى منكبه، وفي وقت إلى شحمتي أُذنيه، وفي وقت إلى نصف أُذنيه، كثّ اللّحية شثن الكفَّيْن، أي غليظ الأصابع، ضخم الرأس والكراديس، في وجهه تدويرٌ أدعج العينين طويل أهدابهما، أحمر المآقيّ ذا مَسْرُبة، وهي الشعر الرقيق من الصدر إلى السرّة، كالقضيب إذا مشى تقلع كأنما ينحطّ في صَبَب، أي يمشي بقوّة، والصبّ الحدور. يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، كأنّ وجهه كالقمر، حَسَن الصوت سهل الخدَّين ضليع الفم سواء البطن والصدر أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر طويل الزّندين رحب الراحة أشكل العينين، أي طويل شقّهما، منهوس العقبين، أي قليل لحم العقب. بين كتفيه خاتم النبوّة كزرّ الحَجَلة وكبيضة الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تُطْوى له الأرض، ويجدّون في لحاقه وهو غير مُكترث. وكان يُسدل شعر رأسه ثم فرقه وكان يرجِّله، ويُسرِّح لحيته ويكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم. وكان أحبّ الثياب إليه القميص والبياض والحبرة، وهي ضربٌ من البُرود فيه حُمْرةٌ، وكان كمّ قميص

....

رسول الله ﷺ إلى الرّسغ، ولبس في وقت حُلةً حمراء وإزارًا ورداءً، وفي وقت ثوبين أعفرين، وفي وقت جُبّة ضَيّقَةَ الكمّين، وفي وقت قباء، وفي وقت عمامة سوداء وأرخى طرفها بين كتفيه، وفي وقت مِرْطًا أسود من شعر، أي كساء، ولبس الخاتم والخفّ والنعل.

فصل

له ﷺ ثلاثة بنين: القاسم، وبه كان يُكنى، وُلِد قبل النبوّة، وتوفي وهو ابن سنتين. وعبد الله، وسُمّي الطَّيّب والطاهر؛ لأنه وُلِد بعد النبوّة. وقيل: الطيّب والطاهر غير عبد الله، والصحيح الأوّل. والثالث إبراهيم وُلِد بالمدينة سنة ثمان ومات بها سنة عشر، وهو ابن سبعة عشر شهرًا أو ثمانية عشر، وكان له ﷺ أربع بنات: زينب، تزوّجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها، وأُمّه هالة بنت خويلد. وفاطمة، تزوّجها عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. ورقيّة، وأُمّ كلثوم تزوّجهما عثمان بن عفّان تزوّج رقيّة ثم أُمّ كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سُمِّي ذا النورين. توفيت رقيّة يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أُمّ كلثوم في شعبان سنة تسع من الهجرة؛ فالبنات أربع بلا خلاف، والبنون ثلاثة على الصحيح، وأوّل مَنْ وُلد له القاسم، ثم زينب، ثم رقيّة، ثم أُمّ كلثوم، ثم فاطمة. وجاء أن فاطمة عليها السلام أسنّ من أُمّ كلثوم، ذَكَر ذلك عليّ بن أحمد بن سعيد بن محرم أبو محمد الحافظ.

ثم في الإسلام عبد الله بمكّة، ثم إبراهيم بالمدينة، وكلّهم من خديجة إلا إبراهيم، فإنّه من مارية القبطيّة، وكلّهم توفُّوا قبله إلّا فاطمة، فإنّها عاشت بعده ستّة أشهر على الأصح الأشهر.

فصـــل

أعمامه ﷺ: أحد عشر، أحدهم: الحارث، وهو أكبر أولاد عبد المطلب ـ وبه كان يُكْنى ـ وقُثَم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحَجْل ـ بحاء مهملة مفتوحة ثم جيم ساكنة ـ وضِرار، والغَيْداق.

أسلم منهم حمزة والعباس، وكان حمزة أصغرهم سنًّا؛ لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريبٌ منه في السنّ، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطّلب، وكان أكبر سنًّا من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

وعمّاته ﷺ: صفيّة أسلمت وهاجرت، وهي أُمّ الزبير بن العوام، توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي أخت حمزة لأُمّه. وعاتكة، قيل: إنها أسلمت، وهي التي رأت رؤيا غزوة بدر وقصّتها مشهورة. وبرّة، وأروى، وأُميمة، وأُمّ حكيم وهي البيضاء.

فصل في أزواجه ﷺ

أوّلهنّ خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، وأُمّ حبيبة، وأُمّ سلمة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وجُوَيْرية، وصفيّة؛ فهؤلاء التّسع بعد خديجة توفي عنهنّ ولم يتزوّج في حياة خديجة غيرها، ولا تزوّج بكرًا غير عائشة. وأمّا اللاتي فارقهنّ ﷺ في حياته، فتركناهنّ لكثرة الاختلاف فيهنّ، وكان له سُرِّيَّتان: مارية وريحانة بنت زيد، وقيل: بنت سمعون، ثم أعتقها. روينا عن قتادة قال: تزوّج النبيّ ﷺ خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي عن تسع.

فصل في مواليه ﷺ

منهم زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أُسامَة، وثوبان بن بُجْدد ـ بضم الموحدة والدال وإسكان الجيم ـ وأبو كبشة، واسمه سليم شهد بدرًا وباذام، ورُوَيْفع، وقصير، وميمون، وأبو بكرة، وهرمز، وأبو صفية عبيد، وأبو سلمى، وأَنَسَة ـ بفتح الهمزة والنون ـ وصالح، وشقران، ورباح ـ بالموحدة ـ وأسود، وساربوي، وأبو رافع واسمه أسلم وقيل غير ذلك، وأبو لهثة، وفُضالة اليماني، ورافع، ومِدْعَم ـ بكسر الميم وإسكان الدال وفتح العين المهملتين ـ أسود، وهو الذي قُتل بوادي القرى، وكركرة ـ بكسر الكافين، وقيل بفتحهما ـ كان على ثقل رسول الله ﷺ، وزيد جدّ هلال بن يسار بن زيد، وعبيدة، وطهمان أو كيسان أو

....

مهران أو ذكوان أو مروان، ومابور القبطي، وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبو ضميرة، وحنين، وأبو عسيب، واسمه أحمر، وأبو عبيدة، وسفينة، وسلمان الفارسي، وأيمن ابن أُمّ أيمن، وأفلح، وسابق، وسالم، وزيد بن بولا، وسعيد، وضميرة بن أبي ضميرة، وعبيد الله بن أسْلم، ونافع، ونبيل، ووردان، وأبو أثلة، وأبو الحَمْراء.

ومن الإماء: سلمى ـ بفتح السين ـ أُمّ رافع، وأُمّ أيمن بركة ـ بفتح الباء ـ وهي أُمّ أُسامة بن زيد، وميمونة بنت سعيد، وخضرة ورضوى وأُميمة ورَيْحانة، وأُمّ ضميرة، ومارية، وشيرين وهي أختها، وأُمّ عباس.

واعلم أنّ هؤلاء الموالي لم يكونوا موجودين في وقتٍ واحد للنبيّ ﷺ، بل كان كل بعضٍ منهم في وقتٍ، والله أعلم.

فصل في خدمه ﷺ

منهم: أنس بن مالك، وهند وأسْماء ابنا حارثة الأسْلميّان، وربيعة بن كعب الأسلميّ، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعلَيْه إذا قام ألْبَسه إيّاهما، وإذا جلس حطّهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم. وكان عقبة بن عامر الجهنيُّ صاحب بغْلته ﷺ يقود به في الأسفار، وبلال المؤذّن، وسعد مولى أبي بكر الصدِّيق، وذو مِخْمَر، ويقال: مخبر ـ بالباء الموحدة ـ ابن أخي النجاشي، ويقال ابن أخته، وبكير بن سراج الليثي، ويقال: بكر، وأبو ذرّ الغفاري، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر مولى أُمّ سلمة، وأبو السّمح رضي الله تعالى عنهم.

فصل في كُتّابه ﷺ

ذكرهم الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق أنهم ثلاثة وعشرون، وروى ذلك كلّه بأسانيده، وهم: أبو بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعليّ، والزُّبَيْر، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان،

ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد بن سعيد، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن زيد بن عبد ربّه، والعلا بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، والسجل، وزاد غيره: شرحبيل بن حسنة، قالوا: وكان أكثرهم كتابةً زيد بن ثابت ومعاوية رضي الله تعالى عنهم.

فصل في رسله

أرسل ﷺ عمرو بن أُميّة الضمري إلى النجاشيّ، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ ووضعه على عينيه ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبي طالب، وحَسُن إسلامه. وأرسل ﷺ دِحْيَة بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم، وعبد الله بن حذافة السّهمي إلى كسرى ملك فارس، وحاطب بن أبي بَلْتعة اللخمي إلى المُقَوْقَس ملك الاسكندرية ومصر، فقال خيرًا وقارب أن يُسلم وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القِبْطيّة وأختها شيرين، فوهبها رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت. وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان، فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله ﷺ. وأرسل سُلَيْط بن عمرو العلويّ إلى اليمامة إلى هوذة بنْ علي الحنفي. وأرسل شُجَاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك البلقاء من أرض الشام. وأرسل المهاجر بن أبي أُميّة المخزومي إلى الحارث الحِمْيري. وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، فصدّق وأسلم. وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعيَيْن إلى الإسلام، فأسلم عامّة أهل اليمن ملوكهم وسوقتهم.

فصل

له ﷺ أربعة من المؤذنين: بلال، وابن أُمّ مكتوم بالمدينة، وأبو محذورة بمكّة، وسعد القرظ بقُبا.

....

فصل

ثبت في الصحيحين أنّ النبيّ ﷺ اعتمر أربع عمر بعد الهجرة، ولم يحجّ إلّا حجّة الوداع، ودّع الناس فيها سنة عشر من الهجرة. وغزا بنفسه ﷺ خمسًا وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، وهو قول موسى بن عقبة ومحمد بن إسحٰق وأبي معشر وغيرهم من أئمّة السِّيَر والمغازي، وقيل: سبعًا وعشرين، ونقل أبو عبد الله محمد بن سعد في الطبقات الاتفاق على أن غزواته ﷺ بنفسه سبع وعشرون غزوة، وسراياه ستّ وخمسون، وعدَّدَها واحدةً مرتّبة على سبق وقوعها. قالوا: ولم يقاتل إلّا في تسع: بدر، وأُحُد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكّة، وحُنين والطائف؛ وهذا على قول مَنْ قال: فُتِحَت مكّةُ عنوةً، وقيل: قاتل بوادي القرى،وفي الغابة: وبني النضير، والله أعلم.

فصل في أخلاقه

كان ﷺ أجْوَدَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا وألْيَنهم كفًّا وأطيبهم ريحًا، وأكملهم رَجحًا وأحسنهم عِشْرةً وأشجعهم وأعلمهم بالله وأشدّهم لله خشيَةً، ولا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انْتُهِكَت حُرُمات الله عزّ وجلّ؛ فحينئذ يغضب، ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحقّ. وإذا غضب أعرض وأشاح، وكان خُلُقه القرآن، وكان أكثر الناس تواضعًا يقضي حاجةَ أهله ويخفض جناحه للضَّعَفة وما سُئِل شيئًا قطّ، فقال: لا، وكان أحْلَم الناس، وكان أشدّ الناس حياءً أشدّ حياءً من العذراء في خُدرها، والقريب والبعيد والقويّ والضعيف عنده في الحقّ سواء. وما عاب طعامًا قطّ، إنِ اشْتهاه أكله وإلّا تركه، ولا يأكل متّكئًا ولا على خوان، ويأكل ما تيسّر ولا يمتنع من مُباح، وكان يحبّ الحلواء والعسل، ويُعجبه الدباء - وهو اليقطين - وقال: «نِعْم الإدام الخلّ، وفَضْل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، وكان أحبُّ الشاة إليه الذراع. وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير - يعني للعدم - وكان يأتي الشهر

....

والشهران لا يوقد في بيتٍ من بيوته نارٌ، وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، ويكافىء على الهدية، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويعود المريض، ويُجيب مَنْ دعاه من غني أو فقير أو دنيّ أو شريف، ولا يحتقر أحدًا، وكان يقعد تارةً القُرْفُصاء، وتارة متربّعًا، واتّكأ في أوقاتٍ وفي كثيرٍ من الأوقات أو في أكثرها مُحْتبيًا بيديه، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهنّ ويتنفس في الشراب بالإناء ثلاثًا خارج الإناء، ويتكلّم بجوامع الكلم، ويعيد الكلمة ثلاثًا لتُفْهَمَ، وكلامه بيِّن يفهمه مَنْ سمعه، ولا يتكلّم في غير حاجة، ولا يقعد ولا يقوم إلّا على ذكر الله تعالى. وركب الفرس والبعير والحمار والبغلة، وأردف معه خلفه على ناقة وعلى حمار، ولا يدع أحدًا يمشي خلفه، وعصب على بطنه الحجر من الجوع، وكان يبيت هو وأهله الليالي طاويين. وفراشه من أُدم حَشْوه ليف، وكان متقلّلًا من أمتعة الدنيا كلّها، وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح خزائن الأرض كلّها، فأبَى أن يأخذها واختار الآخرة عليها، وكان كثير الذِّكر دائم الفِكْر، جُلّ ضحكه التبسّم، وضحك في أوقات حتى بدَتْ نواجذُهُ، وهي الأنياب. ويحب الطِّيب ويكره الريح الكريهة ويمزح ولا يقول إلّا حقًّا، ويقبل عذر المعتذر إليه. وكان كما وصفه الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١٠٣]. وكانت معاتبته تعريضًا: «ما بال قوم يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله تعالى؟» ونحو ذلك، ويأمر بالرِّفق ويحثّ عليه، وينتهي عن العنف ويحثّ على العفو والصفح ومكارم الأخلاق، ويحبّ التيمّن في طهوره وترجّله وتنعّله وفي شأنه كلّه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى. وإذا نام واضطجع اضطجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة، وكان مجلسه مجلس حلم وحياء وأمانة وصيانة وصبر وسكينة، ولا ترفع فيه الأصواتُ ولا يؤذين فيه الحُرم، أي لا يذكر فيه النساء. يتعاطفون فيه بالتقوى ويتواضعون، ويوقّر الكبار ويرحم الصغار، ويؤثرون المحتاج ويحفظون الغريب، ويخرجون أدلّة على الخير. وكان يتألّف أصحابه، ويُكرم كريم كلّ قوم ويولّيه أمرهم، ويتفقّد أصحابه، ولم يكن فاحشًا ولا متفحّشًا، ولا يجزي بالسيّئة السيّئة، بل يعفو ويصفح، ولم

....

يضرب خادمًا ولا امرأة ولا شيئًا قطّ؛ إلّا أن يجاهد في سبيل الله، وما خُيِّر بين أمرين إلّا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

ودلائل كلّ ما ذكرته في الصحيح مشهورة، وقد جمع الله سبحانه وتعالى له ﷺ كمال الأخلاق، ومحاسن الشِّيَم، وآتاه عِلْم الأوّلين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز، وهو أُمِّيّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلّم له من البَشَر، وآتاه ما لم يُؤْتَ أحدًا من العالمين، واختاره على جميع الأوّلين والآخرين صلوات الله عليه دائمة إلى يوم الدين.

ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: ما مَسِسْتُ دِيباجًا ولا حريرًا ألْيَنَ من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شَمِمْتُ رائحةً قطّ أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قطّ: أُفّ، ولا قال لشيءٍ فعلتُه: لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألّا فعلت كذا.

فصـــل

لرسول الله ﷺ معجزات ظاهرات وأعلام متظاهرات يبلغ ألوفًا، وهي مشهورات؛ فمنها القرآن المعجزة الظاهرة والدلالة الباهرة، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصّلت: الآية ٤٢]، الذي أعجز البلغاءِ في أفصح الأعصار وأعْياهم أن يأتوا بسورة مثله، ولو استعانوا بجميع الخلق، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]، فتحدَّاهم ﷺ بذلك مع تكاثرهم وفصاحتهم وشدَّة عداوتهم إلى يومنا هذا.

وأمّا المعجزات غيره، فلا يمكن حصرها أبدًا، لأنها كثيرةٌ جدًا ومتجدِّدة متزايدة، ولكن أذكر منها أمثلةً: كانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الماء والطعام، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع، وتسليم الحجر، وتكليم الذراع المسموم، ومشي الشجرة إليه، واجتماع الشجرتين المتباعدتين ورجوعهما إلى مكانهما، ودرور الشاة الحائل، وردّ عين قتادة بن النعمان بعد أن ندرَتْ

....

وصارَتْ في يده إلى مكانها، فلم تكن تعرف بعد ذلك، وتَفْله في عينَيْ عليّ وكان أرمد، فبرىء من ساعته، ومَسْحُه رِجْل عبد الله بن عتيك فبرأتْ في الحال، وإخباره بمصارع المشركين يوم بدر: «هذا مصرع فلان»، فلم يعدوا مصارعهم، وإخباره بقتلة أُبيّ بن خَلَف، وإخباره بأن طائفة من أُمّته يغزون البحر، وأنّ أُمّ حرام منهم؛ فكان كذلك، وبأنه يفتح على أُمّته ما زُوِيَ له من مشارق الأرض ومغاربها، وبأن كنوز كسرى ينفقها أُمّته في سبيل الله عزّ وجلّ، وبأنه يخاف على أُمّته ما يفتح عليهم من زهرة الدنيا، وبأن خزائن فارس والروم تفتح لنا، وبأن سُراقة بن مالك يُسوَّر بسواري كسرى، وبأن حسن بن عليّ يُصْلِح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وبأنّ سعد بن أبي وقّاص يعيش حتى ينتفع به أقوامٌ ويضربه آخرون، وبأن النجاشي مات يومكم هذا، وهو بالحبشة، وبأن الأسود العَنْسي قتل ليلتكم هذه، وهو باليمن، وبأن المسلمين يقاتلون التُّرك صغار الأعين عِراض الوجوه ذلف الأُنوف، وبأن اليَمَن تُفتح عليكم والشام والعراق، وبأن المسلمين يجنّدون ثلاثة أجناد: جندًا بالشام، وجندًا باليمن، وجندًا بالعراق، وبأنهم «يفتحون مصر أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإنّ لهم ذمّة ورَحِمًا»، وبأن أُويسًا القرني يقدم عليكم في أمداد أهل اليمن كأنّ به برص فبرىء منه إلّا قدر درهم، فقَدِم كذلك على عُمَر؛ وبأنّ طائفةً من أُمّته على الحقّ، وبأنّ الناس يكثرون، وبأنّ الأنصار يُقتلون، وبأنّ الأنصار يلقون بعده أثَرة، وبأنّ الناس لا يزالون يسألون حتى يقولوا: «هذا خلق الله فمن خَلَق الله» الحديث، وبأنّ رُوَيْفع بن ثابت تَطُولُ به الحياة، وبأنّ عمّار بن ياسر يقتله الفئة الباغية، وبأنّ هذه الأُمّة ستفترق، وبأنه سيكون بينهم قتال، وبأنه ستخرج نارٌ بأرض الحجاز وأشباه هذا، فوقعت كلّها كما ذكر ﷺ واضحةً جليَّة، وقال لثابت بن قيس: «تعيش حميدًا وتُقتل شهيدًا»، فعاش حميدًا واستشهد باليمامة، وقال لعثمان: «تصيبه بلوى شديدة»، وقال في رجلٍ من المسلمين يقاتل قتالًا شديدًا وأنه من أهل النار، فقتل نفسَه. وجاءه وابصة بن مَعْبد يسأله عن البرّ والإثم، فقال: «جئتَ تسأل عن البرّ والإثم». وقال لعليّ والزبير والمقداد: «اذهبوا إلى روضة خاخ، فإنّ هناك ظعينة معها كتاب»، فوجدوها فأنكرته ثم

....

أخرجته من عقاصها. وقال لأبي هريرة حين سرق الشيطان التمر: «إنه سيعود»، فعاد. وقال لأزواجه: «أطولكنّ يدًا أسرعكن لحاقًا بي»، فكان كذلك. وقال لعبد الله بن سلام: «أنت على الإسلام حتى تموت». ودعا ﷺ لأنس بأن يكثُر ماله وولده ويطول عمره، فكان كذلك؛ عاش فوق مائة سنة، ولم يكن أحدٌ من الأنصار أكثر مالًا منه، ودَفَن مِنْ أولاده الذكور لصلبه مائةً وعشرين ابنًا قبل قدوم الحجّاج سوى غيرهم، وهذا مصرّح به في صحيح البخاري وغيره. ودعا ﷺ أن يعزّ الله الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل، فأعزَّه الله بعمر رضي الله تعالى عنه. ودعا على سُراقة بن مالك فارتطمت به فَرَسُه في جَلَدٍ[1] من الأرض وساخَتْ قوائمها فيها، فناداه بالأمان وسأله الدعاء له. ودعا لعليّ أن يُذهب الله عنه الحرّ والبرد، فلم يكن يجد حرًّا ولا بردًا. ودعا لحُذيفة ليلة بعثه يأتي بخبر الأحزاب أن لا يجد بردًا، فلم يجده حتى رجع. ودعا لابن عباس أن يُفَقِّهَه الله في الدِّين، فكان كذلك. ودعا على عُتبة بن أبي لهب أن يسلّط الله عليه كلبًا من كلابه، فقتله الأسد بالزرقا. ودعا بنزول المطر حين سألوه ذلك لقحوط المطر، ولم يكن في السماء فزعة، فثار سحاب أمثال الجبال ومُطِروا إلى الجمعة الأخرى حتى سألوه أن يدعو برفعه، فدعا برفعه فارتفع وخرجوا يمشون في الشمس. ودعا لأبي طلحة ولامرأته أُمّ سُلَيْم أن يبارك الله لهما في ليلتهما، فكان كذلك؛ فحملت فولَدَتْ عبد الله، فكان من أولاده تسعة كلّهم عُلماء. ودعا لأُمّ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بالهداية، فذهب أبو هريرة فوجدها تغتسل وقد أسلمت. ودعا لأُمّ قَيْس بنت محصن أخت عُكاشة بطول العمر، لا تُعْلم امرأة عمّرت ما عمّرت، رواه النسائي في أبواب غسل الميت. ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب، وقال: «شاهت الوجوه»، فهزمهم الله تعالى وامتلأت أعينهم ترابًا. وخرج على مائةٍ من قريش ينتظرونه ليفعلوا به مكروهًا، فوضع التراب على رؤوسهم ومضى ولم يَرَوْه.

---

(١) في القاموس: الجلد الصخرة.اهـ. وأيضًا فيه: أرض جلدة حجرة.اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

فصــل

كان له ﷺ أفراس، فأوّل فرس ملكه السَّكْب - بفتح السين المهملة وإسكان الكاف وبالباء الموحدة - وكان أغرّ محجّلًا، طلق اليمنى، وهو أوّل فرس غزا عليه. وفرسٌ آخر يقال له: شنجة، وهو الذي سابق عليه، فسبق. وفرسٌ آخر يقال له: المُرْتَجز، وهو الذي اشتراه من الأعرابيّ الذي شهد له خزيمة بن ثابت. وقال سهل بن سعد: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس: لزاز - بكسر اللام وبزائين - والظَّرب - بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء - واللّحيف - بضم اللام وفتح الحاء المهملة، وقيل: بالمعجمة - وقيل: النحيف - بالنون -. فأمّا لِزاز، فأهداه له المقوقس، واللُّحيف أهداه له ربيعة بن أبي البراء، فأثابه عليه فرائض. والظرب أهداه له فروة بن عمرو الجذامي، وكان له فرسٌ يقال له الورد أهداه له تميم الداري، ثم وهبه لعمر ثم وهبه عمر لرجل ثم وجده يُباع. وكان له ﷺ بغلة دلدل - بضم الدالين المهملتين - يركبها في الأسفار وعاشت بعده ﷺ حتى كبرت وذهبت أسنانها، وكان يحشّ[1] لها الشعير، وماتت بينبع. وروينا في تاريخ دمشق من طُرُق أنها بقيت حتى قاتل عليها عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في خلافته الخوارج. وكان له ﷺ ناقة العضباء، ويقال لها أيضًا: الجَدْعاء والقصواء، هكذا روينا عن محمد بن إبراهيم التيمي: أن هذه الأسماء الثلاثة لناقةٍ واحدة، وكذا قاله غيره. وقيل: هنّ ثلاث. وكان له حمار يقال له: عُفَيْر - بضم العين المهملة وفتح الفاء - وذكره القاضي عياض بالغين المعجمة، واتّفقوا على تغليط في ذلك مات عفير في حجّة الوداع. وكان له في وقت عشرون لقحة ومائة شاة وثلاثة أرماح وثلاثة أقواس وستّة أسياف، منها ذو الفقار تنفله يوم بدر، وهو الذي رأى فيها الرؤيا يوم أُحد، ودِرْعان وترس وقدح غليظ من خشب وراية سوداء مربعة من نمرة، ولواء أبيض، ورُوِيَ أسود؛ كذا في تهذيب الأسماء.

(١) في المصباح: حششته حشًا من باب قتل قطعته. اهـ. ١٢ منه عم فيضه.

....

فصل في خصائص رسول الله ﷺ

في الأحكام وغيرها: وهذا فصلٌ نفيس، فخصائصه ﷺ أربعة أضرب:

الأول: ما اختصّ به ﷺ من الواجبات، قالوا: والحكمة فيه زيادة الزُّلفى والدرجات العُلى، فلم يتقرّب المتقرّبون إلى الله تعالى بمثل أداء ما افْتُرِض عليهم كما صرّح به الحديث الصحيح، وأن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين درجة، واستأنسوا فيه بحديث؛ فمن هذا الضرب صلاة الضحى، ومنه الأضحية، والوتر، والتهجّد، والسِّواك، والمشاورة، ومنه وجوب مصابرته العدوّ، وإن كثروا أو زادوا على الضعف، وقيل: يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئًا يعجبه أن يقول: «لبّيك إنّ العيش عَيْش الآخرة».

الضرب الثاني: ما اختصّ به من المحرمات عليه، ليكون الأجر في اجتنابه أكثر؛ فمنه الشِّعر، والخطّ ومنه الزكاة، وصدقة التطوّع.

الضرب الثالث: التخفيفات والمباحات وما أُبيح له ﷺ دون غيره نوعان: أحدهما لا يتعلّق بالنكاح، فمنه الوصال في الصوم، واصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، ويقال لذلك المختار: الصفي والصفيّة، وجمعها صفايا.

النوع الثاني متعلّق بالنكاح، فمنه إباحة تسعة نسوة، والصحيح جواز الزيادة له ﷺ، ومنه انعقاد نكاحه بلا وليّ ولا شهود.

الضرب الرابع: ما اختصّ به ﷺ من الفضائل والإكرام، فمنه أن أزواجه اللاتي توفي عنهنّ محرَّمات على غيره أبدًا، وفي مَنْ فارقها في الحياة أوجه أصحها تحريمها. ومنه أن أزواجه أُمّهات المؤمنين، سواء مَنْ توفِّيت تحته ومَنْ توفّي عنها، وذلك في تحريم نكاحهنّ ووجوب احترامهنّ وطاعتهنّ وتحريم عقوقهنّ. ومنه تفضيل نسائه على سائر النساء، وجعل ثوابهنّ وعقابهنّ ضعفين، وتحريم سؤالهنّ إلّا مِنْ وراء حجاب. ومنه في غير النكاح أنه ﷺ خاتم النبيّين، وخير الخلائق أجمعين، وأُمّته أفضل الأُمم، وأصحابه خير القرون، وأُمّته

....

معصومة من الاجتماع على ضلالة، وشريعته مؤبّدة وناسخة لجميع الشرائع، وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل، وهو حجّة على الناس بعد وفاته، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت، ونُصِر بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُحِلّت له الغنائم، وأُعْطِيَ الشفاعة والمقام المحمود، وأُرسل إلى الناس كافّة، وهو سيّد ولد آدم، وأوّل مَنْ تنشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع، وأوّل مشفَّع، وأول مَنْ يقرع باب الجنّة، وهو أكثر الأنبياء تَبَعًا، وأُعْطِيَ جوامع الكلم، وصفوف أُمّته في الصلاة كصفوف الملائكة، وكان لا ينام قلبه، ويَرَى مِنْ وراء ظهره كما يرى من قدّامه، ولا يحلّ لأحدٍ أن يرفع صوته فوق صوته، ولا يناديه من وراء الحجرات، ولا أن يناديه باسمه، فيقول: يا محمّد، بل يقول: يا نبيّ الله، يا رسول الله؛ ويخاطبه المصلّي بقوله: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، ولو خاطب آدميًا غيره بطلت صلاته، ويلزم المصلّي إذا دعاه أن يجيبه وهو في الصلاة، ولا يبطل صلاته، وكان بوله ودمه يُتبرَّك بهما، وكانت الهدية حلالًا له، ولا يجوز الجنون على الأنبياء، ويجوز عليهم الإغماء؛ لأنه مرض بخلاف الجنون. واختلفوا في جواز الاحتلام، والأشهر امتناعه.

ومن الخصائص: أنه ﷺ يؤخذ عن الدنيا عند تلقّي الوحي ولا يسقط عنه الصلاة ولا غيرها، ومنها أنّ مَنْ رآه في المنام فقد رآه حقًّا، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بصورته، ولكن لا يعمل بما يسمع الرّائي منه في المنام، فيما يتعلّق بالأحكام إنْ خالف ما استقرّ في الشرع؛ لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤية؛ لأن الخبر لا يُقبل إلّا مِنْ ضابط مكلّف، والنائم بخلافه. ومنها أنّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور، ومنها قوله ﷺ: «إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد»، فتعمّد الكذب عليه من الكبائر، فإن استحلّه المتعمّد كفر، وإلّا فهو كسائر الكبائر لا يكفر بها. اهـ في تهذيب الأسماء باختصار والتقاط.

واعلم أنّ أحوال رسول الله ﷺ وسِيَره وما أكرمه الله به وما أفاضه على العالمين من آثاره ﷺ غير محصورة، ولا يمكن استقصاؤها؛ لا سيّما في هذا

ولم يقل قتلتم **(لوفاق الفواصل)**، أو لأن المراد وفريقًا تقتلونه **(بعد)** لأنكم **(تحومون)** حول قتل محمد عليه السلام **(لولا أني)** أعصمه منكم **(ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة)**.

الكتاب، وفيما ذكرته تنبيه على ما تركته، ولأن مقصودي تشريف الكتاب بذكر بعض أحوال رسول الله ﷺ، وقد حصل ذلك ولله الحمد؛ وكيف لا يشرف كتاب ذكر فيه أحوال الرسول المصطفى والحبيب المُجْتبى خِيرَة العالم وخاتم النبيّين وإمام المتّقين وسيّد المرسلين هادي الأُمّة ونبيّ الرَّحمة صلّى الله عليه وآله وسلّم وزاده فضلًا وشرفًا لديه، والحمد لله ربّ العالمين.

قوله : **(لوفاق الفواصل**[1]**)** من جهة أن المضارع لكون آخره نونًا يحصل به المراعاة للفواصل دون الماضي. **قوله** : **(بعد)** أي بعد ما مضى، والمراد الآن. **قوله** : **(تحومون)** في المصباح: حامَ الطائر حول الماء حَوَمانًا، دار به. اهـ.

قوله : **(لولا أني)**... الخ. جوابه محذوف، أي لقتلتم. **قوله** : **(ولذلك)** أي لأجل أنكم تحومون حول قتله. **قوله** : **(سحرتموه وسممتم له الشاة)**... الخ. فإنه عليه الصّلاة والسلام سُحِر حتى أنه ليخيّل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، سحره لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة وجفّ طلع نخلة ذكر ووضعه في بئر ذروان تحت حجرٍ عظيم في قعر البئر، فأنزل الله تعالى المعوّذتين، فلما قرأهما انحلّ السحر، فصار كأنما نشط من عقال. والمشاطة هو الشعر الذي يسقط من المشط وقت الامتشاط، والجفّ وعاء الطلع، والطلع بالفارسية شگوفه خرما. وأما تسميمهم الشاة، فقد رُوِيَ أنه لما فتحت خيبر أُهديت إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة، فعلم عليه الصّلاة والسلام ذلك بطريق الوحي بعدما أكل منها لقمة، فقال لهم: «إني أسألكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه»؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم: «مَنْ أبوكم»؟ قالوا: فلان، قال: «كذبتم بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقْتَ وبررت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيءٍ إن سألتكم عنه»؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفتَ كما عرفت في أبينا... وساق الحديث إلى أن قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا»؟ قالوا:

---

(١) أي رؤوس الآي، ولذا قدم مفعوله. ١٢ منه عم فيضه.

(والمعنى) ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به، (فوسط) ما (بين الفاء وما تعلّقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم).

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

(﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾ جمع أغلف أي هي خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لا يختن) ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فردّ الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على

نعم، قال: «وما حملكم عليه»؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريح منك، وإن كنتَ صادقًا، فلم يضرّك.

قوله: (والمعنى) أي معنى الآية. قوله: (فوَسّط بين الفاء) المراد بالفاء مدخول الفاء بواسطتها، (وما تعلّقت به) أي الفاء المراد به قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾) الآية. (همزة التوبيخ) ومدخول الفاء المعطوف عليه والهمزة توسّطت بين المتعاطفين لصدارته، وتقدير الكلام: (﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾). قوله: (والتعجيب من شأنهم) بيان حاصل المعنى، فإنّ كل شيء يقع التوبيخ عليه مما يتعجّب منه.

قوله: (﴿وَقَالُواْ﴾) أي اليهود (﴿قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾) بسكون اللام (جمع أغلف) كأحمر وحُمْر، وهو كل شيء مُحاط بغلاف، (أي هي خلقةً مغشّاة) خبر المبتدأ، أعني هي وخلقة تمييز مقدَّم أو حال (بأغطية لا يتوصّل) صفة مغشاة (إليها) أي إلى قلوبنا (ما جاء به محمد ﷺ) ومقابلة الجمع بالجمع تُفيد انقسام الآحاد إلى الآحاد، أي ليس منّا أحد يصل إلى قلبه شيء مما جاء به محمد ﷺ، (ولا تفقهه) أي قلوبنا، أي ولا تعلمه لعدم وصوله، فهو من عطف المعلول. قوله: (مستعار[1] من الأغلف الذي لا يختن) والجامع بينهما المستورية مطلقًا، فكما أن

---

(١) قوله: مستعار من الأغلف الذي لم يختن حيث شبّه قلوبهم في عدم نفوذ الحق فيها بشيء مغلّف بغلاف بحيث يمنع غلافه من أن يصل إلى جوفه شيء من خارج، فاستُعير للمشبه ما هو موضوع للمشبّه به، وهو لفظ غلف. كذا في حاشية العلامة شيخ زاده رحمه الله. ١٢ منه عم فيضه.

الفطرة والتمكن من قبول الحق، وإنما (**طردهم**) بكفرهم (**وزيغهم**). ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (**فـ «قليلًا» صفة مصدر محذوف**) أي فإيمانًا قليلًا (**يؤمنون**). (**و«ما» مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب**. وقيل: **القلّة بمعنى العدم**. **غلف تخفيف غلف وقُرئ به جمع غلاف**) أي قلوبنا (**أوعية**) للعلوم

الأغلف مستور موضع ختانه بالجلد، كذلك هؤلاء مستور قلوبهم بهيئة مانعة عن وصول ما جاء به الرسول عليه السلام، وحمل الأغطية على الخلقة لتفيد المبالغة في عدم وصول ما جاء به في قلوبهم، وهذا كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٥]، ولأن الاستعارة من الأغلف الذي لم يختن؛ فالأَوْلى أن يكون المستعار له مناسبًا للمستعار منه، وذلك بأن يكون كلّ منهما خلقيين، وكَوْن كل مولود يُولد على فطرة التمكّن من النظر الصحيح المؤدّي إلى الحقّ لا ينافي ذلك؛ لأن ذلك دعاء منهم على ما فُهِم من كلامهم حيث قالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، وقد عرفتَ أن المستعار والمستعار منه متناسبان في وجه الشَّبه بأن يكون كلّ منهما خلقيين. **قوله**: (**طردهم**). . . الخ. أي خذلهم ولعنهم بسبب اعتقادهم الفاسد وعملهم الكاسد، فبَطُل استعدادهم الخلقي للنظر الصحيح. **قوله**: (**وزيغهم**) أي مَيْلهم عن الحقّ. **قوله**: (﴿فَقَلِيلًا﴾ **صفة مصدر محذوف**) أي أن قليلًا مفعول مطلق لـ (﴿يُؤْمِنُونَ﴾) بتقدير موصوف قدّم على عامله لرعاية الفاصلة. **قوله**: (**و**﴿مَّا﴾ **مزيدة**) لتأكيد معنى القلّة لا نافية. **قوله**: (**وهو إيمانهم ببعض الكتاب**)، وذلك لا يعتدّ به؛ لأن الإيمان هو التصديق المخصوص، ولم يحصل بكماله ولم يعتدّ به، ولذلك عظم عقوبة مَنْ لم يأتِ بذلك التصديق المخصوص بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [البقرة: الآية ٨٥] الآية. **قوله**: (**وقيل**: **القلّة بمعنى العدم**)، فمعناه: فلا يؤمنون، كما جاء في الحديث إنه كان يقلّ اللغو، أي لا يلغو أصلًا. **قوله**: (**غُلْف تخفيف غُلُف**) بضمتين لا جمع أغلف، (**وقرئ به**) أي على الأصل في الشواذ. قال في الكشاف: ورُوِي عن أبي عمرو: ﴿قلوبنا غلف﴾ بضمتين. اهـ. (**جمع غلاف**) بكسر الغين ككتاب وكتب، فسُكِّن للتخفيف. **قوله**: (**أوعية**) جمع الوعاء، وهو الإناء.

(فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره)، أو أوعية للعلوم **(فلو كان ما جئت به حقًا)** لقبلنا.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

(﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾) أي اليهود (﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ **أي القرآن** ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ **من كتابهم لا يخالفه** ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ **يعني القرآن**) ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ **(يستنصرون على)** المشركين **(إذا قاتلوهم)** قالوا: اللهم انصرنا بالنبيّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة، ويقولون لأعدائهم المشركين:

قوله: **(فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره)** أي كما أن الغلاف مُستغنٍ عن غير ما حلّ فيه من المظروف، كذلك القلوب مستغنية عن غير ما تحقّق فيها من العلوم. **قوله**: **(فلو كان ما جئت به حقًا)** لقبلنا، لكن التالي مُنتفٍ وكذا المقدّم، فيكون قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ إشارة إلى دليل على عدم حقّية ما جاء به على زعمهم، فالقائلون حينئذ أحبارهم وأشرارهم، وكذا الكلام أيضًا استعارة شبه قلوبهم بالغلاف في مطلق الظرفية، فذكر اسم المشبّه به وأُريد المشبّه.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) بيان لنوع آخر من قبائحهم وتركهم الاهتداء بهداية الله تعالى. **وقوله**: (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) في محل الرفع على أنه صفة الكتاب متعلّق بمحذوف، أي كتاب كائن أو نازل من عند الله. **قوله**: **(أي القرآن)** لا التوراة، كما في قوله تعالى: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، ومن هذا نكر كتاب هنا لعدم كونه معلومًا عندهم، والتنوين في ﴿كِتَٰبٌ﴾ للتعظيم. **قوله**: **(من كتابهم)** أي التوراة **(لا يخالفه)** يعني فيما يتعلّق بالنبوّة وما يدلّ عليها من العلامات، ونحو ذلك مما يوافق فيه القرآن التوراة. **قوله**: (﴿وَكَانُوا۟﴾) أي اليهود (﴿مِن قَبْلُ﴾ **يعني القرآن**) أي من قبل مجيئه. **(يستنصرون)** الله سبحانه وتعالى، أي يطلبون الفتح والنصرة؛ فالسين مجرى على الحقيقة، والفتح متضمّن معنى النصرة بواسطة (﴿عَلَى﴾). **قوله**: **(إذا قاتلوهم)**... الخ. الجملة الشرطية مبنيّة لجملة يستنصرون، فإن قيل: لا بدّ من المناسبة بين الحال وصاحبها، والحال هٰهنا ليس مناسبًا لما قبله؛ لأن الاستفتاح كان بالنبيّ ﷺ، وهو لا يناسب الكتاب،

(قد أظلّ) زمان نبيّ (يخرج) بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه (قتل عاد وإرم). ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ «مَا» موصولة (أي ما عرفوه) وهو فاعل «جاء». ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بغيًا وحسدًا وحرصًا على الرياسة. ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (أي عليهم وضعًا للظاهر موضع المضمر) للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم. (واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولًا أوليًا، وجواب «لما» الأولى مضمر) وهو نحو كذبوا به أو أنكروه، أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد.

وكفرهم به. أُجيب بأنهما مناسبة لما بين الكتاب والنبيّ المستفتح به من الاتّصال، حتى أن الاستفتاح به استفتاحٌ به.

قوله: (قد أظلّ) في المصباح: أظلّ الشيء إظلالًا إذا أقبل، أو قَرُب. اهـ. **قوله:** (يخرج) صفة نبيّ. **قوله:** (قتل) أي مثل قتل (عادٍ وإرمَ) مجرورٌ بالفتحة لمنعه من الصّرف للعلمية والتأنيث، وهو في الأصل اسم جدّ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ثم جُعِل لفظ عاد اسمًا للقبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم، ولبني تميم تميم، ثم قيل للأوّلين منهم عاد الأُولى وعاد إرم تسميةً لهم باسم جدّهم، ولمن بعدهم عاد الأخيرة. **قوله:** (أي ما عرفوه) من الحقّ، أي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، لا الكتاب. **قوله:** (﴿بَغۡيًا﴾ [البقرة: الآية ٩٠]) أي ظلمًا. **قوله:** (أي عليهم وضعًا للظاهر موضع المضمر)... الخ. ولو أضمر لا يُفهم ذلك، فإنّ الضمير يدلّ على الذّات فقط بلا تعرض للصفة، هذا إذا حمل اللام في الكافرين على العهد، وإلى ذلك أشار بقوله: (واللام للعهد) والمعهودون هم المذكورون من أهل الكتاب. **قوله:** (أو للجنس)، فلا يكون من باب وضع المظهر موضع المضمر، بل يكون على مقتضى الظاهر، (ودخلوا) أي اليهود (فيه دخولًا أوّليًا)[1] أي قصديًا؛ لأن لفظ الكافرين يعمّ اليهود وغيرهم، لكن لما كان سوق الكلام لليهود دخلوا فيهم أوّلًا لسبق ذكرهم وأصالتهم وتسبّبهم لاستجلاب هذا القول في غيرهم، ونظيره ما إذا ظلمك إنسان فتقول لعنة الله على الظالمين، فيدخل فيه هذا الظالم دخولًا أوّليًا؛ لأنه المقصود بالذات، والباقون تبعًا، لأن الكلام سِيق له بالأصالة. **قوله:** (وجواب لما الأولى مُضمر)... الخ. إشارة إلى

---

(١) أي أصالة لا تبعًا، لأنهم هم المقصودون بالذات، وأن غيرهم يدخلون دخولًا ثانيًا. ١٢ منه عم فيضه.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

و«ما» في ﴿بِئْسَمَا﴾ نكرة موصوفة مفسّرة (**لفاعل بئس**) أي بئس شيئًا ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ (**أي باعوه والمخصوص بالذمّ**. ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾) يعني القرآن. (﴿بَغْيًا﴾) مفعول له (**أي حسدًا**) وطلبًا لما ليس لهم،

ضعف ما يُقال أنّ قوله: (﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾) جواب لما؛ إذ لم يجيء في فصيح الكلام جواب لما إلا فعلًا ماضيًا بدون الفاء.

قوله: (**لفاعل بئس**) المستكنّ فيه، تقديره: بئس شيء شيئًا. **قوله**: (**أي باعوه**) الاشتراء من الأضداد، وإنما فسّره بالبيع لأنهم لما اختاروا الكفر وبذلوا أنفسهم فيه جعلوا كأنهم بذلوا سلعتهم التي هي أنفسهم لإصابة ما يكون عِوضًا عنها، وهو الكفر الذي يؤدّيهم إلى الخلود في النار مع تمكّنهم من اختيار الإيمان وصالحات الأعمال المؤدّية إلى سعادة الأبد، ويؤيّد هذا المعنى ما ورد في الحديث: «كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فإمّا أن يُعتقها أو يُوبقها»، فإن أخذ بدل نفسه التي بدلها الإيمان والطاعة أعتقها، وإن أخذ بدلها الكفر والمعصية فقد أَوْبَقها وضيّعها. شبّه مرور الأزمان وانقضاء الأنفاس في اكتساب الطاعة والمعصية ببيع النفس بمقابلة ما كسبه واستفاده من الخير والشرّ، فأطلق على المشبّه به ما وُضِع بإزاء المشبّه، وهو لفظ البيع استعارة أصليّة، ثم اسْتُعِير منه إلى المشتقّ فصارت تبعيّة. **قوله**: (**والمخصوص بالذمّ** ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾)، فيكون إما مبتدأ وخبره الجملة قبله، ولا حاجة إلى الرّابط؛ لأن العموم قائمٌ مقام الضمير الرابط، كأنه قيل: كفرهم بئس هو شيئًا اشتروا به أنفسهم. أمّا خبر المبتدأ محذوف. وفي الحواشي السعدية: إنما يصح أن يكون الكفر مخصوصًا بالذمّ، أن لو قال: إن كفروا بلفظ الماضي، لظهور أنّ ما باعوا به أنفسهم واستبدلوا به في الماضي ليس هو أن يكفروا في المستقبل.اهـ. وأُجيب بأن المعنى على المضي والعدول إلى المضارع على طريق حكاية الحال الماضية استحضارًا للصورة البديعة للكفر بعد ذلك الاستقباح، مع أن في العدول عن الماضي الدالّ على التحقّق دلالة على أنّ الكفر مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل على سبيل التحقّق. **قوله**: (**أي حسدًا**) تفسير لقوله: (﴿بَغْيًا﴾)؛ لأن

(وهو) علّة اشتروا (﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾) لأن ينزل. أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله. (﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الذي هو الوحي) ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وهو محمد عليه السلام. ﴿(فَبَآءُو بِغَضَبٍ) عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ **(فصاروا أحقاء)** بغضب **(مترادف)** لأنهم كفروا بنبيّ الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام، **(أو بعد قولهم:** ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ **وقولهم:** ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ **وغير ذلك)**.

البغي الذي هو الظلم أعمّ من الحسد، ففُسّر بالحسد لاقتضاء المقام. **قوله:** **(وهو)** أي بغيًا علّة اشتروا، أي علّة[1] حصولية. **قوله:** **(من فضله الذي هو الوحي)** يعني أن الفضل عبارة عن الوحي، و(من) لابتداء الغاية[2]، ومفعول (﴿أَن يُنَزِّلَ﴾) محذوف للتعظيم، أي ينزل شيئًا عظيمًا لا يكتنه كنهه، وفيه إشارة إلى أن النبوّة غير مكتسبة، بل بفضل الله تعالى. **قوله:** (﴿بِغَضَبٍ﴾) الباء فيه للحال، أي رجعوا ملتبسين بغضب أو مغضوبًا عليهم، وقوله: (﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾) في محل الجرّ على أنه صفة لقوله: ﴿بِغَضَبٍ﴾، أي بغضب كائن على غضب، أي بغضب مترادف، والفاء في قوله: (﴿فَبَآءُو﴾) سببية عطفت بها جملة ﴿باؤوا﴾ على جملة ﴿اشتروا﴾، فصاروا بذلك أحقّاء بغضبٍ مترادف واستحقّوا نوعًا من العذاب بعد نوع بسبب عصيان وذنب على إثر ذنب. **قوله:** **(فصاروا أحقّاء)** جمع حقيق دلّ على الاستحقاق، العطف بالفاء على ﴿اشتروا﴾. **قوله:** **(مترادف)** دلّ عليه قوله: ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾. **قوله:** **(أو بعد قولهم)** أي اليهود (﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾)، اختلفوا في قائل هذه المقالة على أقوال، أحدها: قال عبيد بن عمير: إنما قال هذا القول رجلٌ واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء، وهو الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨١]. وثانيها: قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير وعكرمة: أتى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبع دينك، وقد تركتَ قبلتنا وأنت لا تزعم أنّ عزير ابن الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٣٠] الآية. وعلى هذين القولين، القائل إنما هو بعض اليهود، إلّا أنه نُسِب ذلك إلى اليهود بناءً على عادةِ العرب في إيقاع اسم الجماعة على اسم

---

(١) أي علة الغائية. ١٢ منه.

(٢) ويحتمل البيانية، ويحتمل التبعيض؛ إذ الوحي بعض من فضله تعالى. ١٢ منه عم فيضه.

الواحد، يقال: فلان ركب الخيول، ولعلّه لم يركب إلّا واحدًا منها، وفلان يُجالس السلاطين ولعلّه لم يجالس إلّا واحدًا. وثالثها: أنّ هذا المذهب لعلّه كان ثابتًا فيهم ثم انقطع، فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عِبْرة بإنكار اليهود لذلك، فإنّ الآية تُلِيت عليهم، فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب.

واختلف في السبب الذي قالوا ذلك لأجله، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن اليهود أضاعوا التوراة وعَمِلوا بغير الحقّ، فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم، فتضرّع عزير إلى الله تعالى وابتهل إليه أن يردّ إليه الذي نسخ من صدورهم، فبينما هو يصلّي مبتهلًا إلى الله تعالى نزل نورٌ من السماء، فدخل جوفه فعادت إليه التوراة فأذّن في قومه، وقال: يا قوم قد آتاني الله تعالى التوراة وردّها إليّ، فعلقوا به يعلّمهم ثم مكثوا ما شاء الله تعالى، ثم إن التابوت أُنزل بعد ذهابه عنهم، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير، فوجدوه مثله، فقالوا: ما أُوتي عزير هذا إلّا أنه ابن الله. وقيل: لمّا رفع الله تعالى عنهم التوراة أخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال له: إلى أين تذهب؟ قال: أطلب العلم، فحفظه التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لا يخرم منها حرفًا، فقالوا: ما جمع الله التوراة في قلبه وهو غلام إلّا أنه ابنه. وقال الكلبي: إن بخت نصّر لما ظهر على بني إسرائيل وقتل مَنْ قرأ التوراة، وكان عزير إذ ذاك صغيرًا، فاستَصْغره فلم يقتله، فلمّا رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم مَنْ يقرأ التوراة، فبعث الله تعالى عزيرًا ليجدّدَ لهم التوراة، ويكون لهم آية بعدما أماته الله تعالى مائة سنة، وأرسل إليه ملكًا بإناءٍ فيه ماء، فسقاه، فمثلت التوراة في صدره، فلمّا أتاهم وقال لهم: أنا عزير، كذّبوه وقالوا: إن كنت كما تزعم فَاتْلُ علينا التوراة، فكتبها لهم من صدره، ثم إنّ رجلًا منهم قال: إنّ أبي حدّثني أنّ التوراة جُعِلت في خابية ودُفِنت في كرم، فانطلَقُوا معه حتى أخرجوها فعارضوا بها ما كتبه عزير، فلم يجدوه غادر حرفًا، فقالوا: إنّ الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب عزير إلّا أنه ابنه؛ فعند ذلك قالت اليهود: ﴿عُـزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٣٠]. وقرأ عاصم والكسائي: عزير بالتنوين، والباقون بغير تنوين.

(﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ مذل). «بئسما» وبابه غير مهموز: **(أبو عمرو)**. و («ينزل» **بالتخفيف: مكيّ وبصريّ**).

قوله: (وقولهم) أي اليهود (﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾) في تفسير الجلالين في سورة المائدة: (﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾) لمّا ضيّق عليهم بتكذيبهم النبيّ ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالًا (﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾) مقبوضة من إدرار الرزق علينا كنّوا به عن البخل تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: (﴿غُلَّتْ﴾) أمسكت (﴿أَيْدِيهِمْ﴾) عن فعل الخيرات دعاءً عليهم (﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾) مبالغةً في الوصف بالجود، وثنّى اليد لإفادة الكثرة؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه (﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾) من توسيعٍ وتضييق لا اعتراض عليه. اهـ. **قوله:** (وغير ذلك) من أنواع كفرهم.

قوله: (﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾) من قبيل وضع الظاهر موضع الضمير تنبيهًا على العلّة المقتضية لعذابهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٩]، فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس، ويدخل فيه هؤلاء الكفار دخولًا أوّليًا، والمهين صفة العذاب، أي ولهم عذاب يُهانون فيه، فلا يعزّون أبدًا. وأصله مَهُون من الهون، وهو الذِّلة، وهو اسم فاعل من أهان يُهين إهانةً مثل أقام يقيم إقامةً، فنُقِلت كسرة الواو إلى الساكن قبلها، فسكنت الواو بعد كسرة فقُلِبت ياء، فصار مهين والإهانة الإذلال والخزي، والحصر اللازم من تقديم الخبر معناه انحصار العذاب الذي يُراد به الإذلال في الكفار، فلا يلزم أن لا يعذّب عُصاة المؤمنين أصلًا؛ لأن ما أصابهم من العذاب إنما يُراد به الطهرة لا الإذلال، وإسناده الإهانة إلى العذاب مع أن المهين في الحقيقة إنما هو الله من قبيل إسناد الفعل إلى السبب المُفضي إليه. **قوله:** (مذِلّ) اسم فاعل من الإذلال. **قوله:** (أبو عمرو) بن العلاء البصري.

قوله: (﴿يُنزِلَ﴾ بالتخفيف) أي من الإنزال (مكّي وبصري) أي قرأ ابن كثير المكّيّ وأبو عمرو البصري بسكون نون ينزل وتخفيف الزاي، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لهؤلاء اليهود. ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني القرآن، أو مطلق يتناول كل كتاب ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ **أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة.** ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾) غير مخالف له (وفيه) رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا (بها، و«مصدقًا» **حال مؤكدة.** ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ) أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أي فلم

قوله: (أي قالوا ذلك) أي نؤمن بما أنزل علينا. **قوله**: (والحال أنهم يكفرون) يعني أن قوله: (﴿وَيَكْفُرُونَ﴾) حال من الضمير في قالوا. **قوله**: (بما وراء التوراة) يعني أن الضمير المجرور في قوله تعالى: (﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾) راجع إلى التوراة، وتذكيره لكون التوراة معبّرًا عنها بما في قولهم: (﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾)، والوراء في الآية بمعنى القدام؛ لأن القرآن الذي كفروا به قدّام التوراة، فالإضافة فيه من قبيل إضافة المصدر إلى المفعول، كأنه قيل: ويكفرون بالذي يواري التوراة ويسترها لكونه متقدّمًا عليها. **قوله**: (﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾) حال من (﴿وَرَآءَهُۥ﴾)، والعامل فيها ﴿يَكْفُرُونَ﴾. **قوله**: (وفيه) أي في قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾). **قوله**: (بها) أي بالتوراة. **قوله**: (و﴿مُصَدِّقًا﴾ **حال مؤكّدة**) من الحق؛ لأن قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ قد تضمّن معناها، والحال المؤكّدة إمّا أن تؤكّد عاملها نحو: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٠]. وإمّا أن تؤكّد مضمون جملة، فإنْ كان الثاني التزم إضمار عاملها وتأخيرها عن الجملة، والتقدير ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أحقّه مصدّقًا. قوله: (﴿قل لهم﴾) إلزامًا وبيانًا لكفرهم بالتوراة التي ادّعوا الإيمان بها. **قوله:** (﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾) الفاء جواب شرط مقدّر تقديره: إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم فلم قتلتموهم، وهذا تكذيبٌ لهم؛ لأنّ الإيمان بالتوراة مُنافٍ لقتل أشرف خلقه، ولم جارّ ومجرور، اللام حرف جرّ، وما استفهامية في محلّ جرّ، أي لأيّ شيءٍ، ولكن حُذِفت ألفها فرقًا بينها وبين ما الخبريّة، وقد تُحمل الاستفهامية على الخبريّة، فتثبت ألفها. وقد تحمل الخبرية على الاستفهامية، فتُحذف ألفها. فإن قيل: كيف قال: تقتلون من قبل ولا يجوز أن يقال خرج أمس؟ أُجيب بأنّ عادة العرب إذا أرادوا أن يُخبروا عن تعاطي فعل مداوم عليه

قتلتم فوضع المستقبل موضع الماضي ويدلّ عليه قوله: ﴿مِن قَبْلُ (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)﴾ أي من قبل محمد ﷺ، اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة **(لا تسوغ)** قتل الأنبياء. قيل: قتلوا في يوم واحد ثلاثمائة نبيّ في بيت المقدس.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ **(بالآيات التسع وأدغم الدال في الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلي)**.

بدّلوا لفظ الماضي بالمستقبل تنبيهًا على المداومة عليه؛ نحو قول الشاعر:

ولقد أمرّ على اللّئيم يسبّني فمضيت ثمّة قلت لا يعنيني

وعلى ذلك يقال: فعلت كذا قبل وبعد، فيجيء تارة بلفظ الماضي وتارة بلفظ المستقبل، والظاهر أنّ محصول الجواب أنّ لفظ المضارع في هذه يراد به الاستمرار التجدّدي، كما في نحو ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥]، بمعنى أن شأنه تعالى استهزاؤهم وإهانتهم. وقد يُجاب عنه بأنه من قبيل حكاية الحال الماضية؛ كأنه قيل: فلِمَ كنتم تقتلون مِنْ قبل.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) في (إن) قولان، أحدهما: أنها شرطية، وجوابها محذوف تقديره: إن كنتم مؤمنين فلِمَ فعلتم ذلك، ويكون الشرط وجوابه قد ذُكِرَ مرّتين فحُذِف الشرط من الجملة الأُولى وبَقِيَ جوابه، وهو: فلِمَ تقتلون، وحُذِف الجواب من الثانية وبقيَ شرطه فقد حذف من كلّ واحدةٍ ما أثبت في الأخرى. وقال ابن عطية: جوابها متقدّم وهو قوله: فلِمَ، وهذا إنما يتأتّى على قول الكوفيين وأبي زيد، والثاني أنّ إنْ نافية بمعنى ما، أي ما كنتم مؤمنين لمنافاة ما صدر منكم للإيمان. **قوله**: **(لا تسوغ)** في منتهى الأرب في لغات العرب: سوّغه تسويغًا واداشت أنرا. اهـ.

قوله: **(بالآيات التّسع)** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور، كذا قال المصنّف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (إلـٰهًا) ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد خروج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الطور. ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (هو حال) أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها، (أو اعتراض) أي (وأنتم قوم عادتكم الظلم).

بَيِّنَٰتٍۢ﴾ [الإسرَاء: الآية ١٠١]، وقوله: والقمل السوس الذي نزل في حبوبهم، وقوله: الحجر، أي انفجار الماء الكثير من الحجر الصغير، وقوله: والبحر، أي انفلاق البحر. وعبارة تفسير الجلالين: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ﴾ [الإسرَاء: الآية ١٠١] واضحات وهي اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص من الثمرات.اهـ. قوله: والطمس، أي مسخ أموالهم حجارة. وفي الجمالين: قوله: والطمس، أي طمس أموالهم، والأظهر الفلق بدله قوله: والسنين، أي القحط ونقص الثمرات عدّهما واحدة؛ لأنهما في المعنى واحد، وكان حقّه أن يذكرهما قبل الطوفان.اهـ.

قوله: **(وأدغم الدال في الجيم حيث كان، أبو عمرو وحمزة وعلي)** أي أبو عمرو البصريّ وحمزة بن حبيب الزيّات الكوفي وعليّ بن حمزة الكسائي الكوفي. **قوله**: **(إلـٰهًا)** مفعول ثانٍ لاتّخذتم العجل؛ لأنه بمعنى صيّرتم حُذِف للاختصار ولتوحّش إطلاق الإلـٰه عليه، وقد يتعدّى اتّخذ لواحد لكونه بمعنى صنع، ولو حمل هنا عليه لم يبعد لكن تفوت المبالغة في الذمّ. وقيل: لفظة ثم أبلغ من الواو في التقريع لأنها تدلّ على أنهم فعلوا ذلك بعد مهلة من النظر في الآيات، وذلك أعظم ذنبًا، وهذا إنما يتمّ لو كانت للتراخي مع أنها للاستبعاد، إلّا أن يقال: إنه باعتبار أصل معناها. **قوله**: **(هو حال)** من ضمير ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٥١] مؤكدة لمزيد التوبيخ والتبكيت، وأنتم واضعون العبادة غير موضعها؛ إذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

قوله: **(أو اعتراض)** أي جملة تذييليّة، وهي تعقيب جملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، فإنّ اتّخاذ العجل إلـٰهًا ظلمٌ عظيم وشركٌ جسيم، والتعبير بالاعتراض بناءً على مذهب مَنْ جوّز الاعتراض في آخر الجملة، كما اختاره صاحب الكشاف، ورَضِيَ به المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: **(وأنتم قوم عادتكم الظلم)** إشارة إلى الفرق بين كونه حالًا وكونه اعتراضًا، فإنّ المراد بالظلم في الحالية الظلم الحاصل بعبادة العجل، وفي الاعتراض الظلم الذي كان عادتهم قبل اتّخاذ العجل

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ (**كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى**. ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾) ما أمرتم به في التوراة. (﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ **قولك** ﴿وَعَصَيْنَا﴾ **أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث إنه قال لهم**) اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا: سمعنا ولكن لا سماع طاعة.

إلـٰهًا، ومَنْ كان حاله كذلك، فلا يبعد أن يقع الظلم منه بعبادة غيره تعالى مثل العجل.

قوله: (كرّر ذكر رفع الطور لما نِيطَ) أي علق (به من زيادة ليست مع الأُولى) أي الآية الأُولى، حيث قال أوّلًا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: الآية ٦٣] . . . الخ. وهـٰهنا مكان اذكروا ما فيه (﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾)، ومكان ثم توليتم ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، والزيادة التي ليست في الآية الأُولى هي قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾. **قوله**: (﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ **قولك** ﴿وَعَصَيْنَا﴾ **أمرك**) في تفسير المظهري، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكن لما تلقّوه بالعصيان نُسِب ذلك إلى القول. قلت: وهو الظاهر، فإنهم لو قالوا ذلك لم يرفع عنهم الطور. اهـ.

قوله: (**وطابق قولَه**) تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ (**جوابُهم**) وهو ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (**من حيث إنه قال لهم**) . . . الخ. إشارة إلى جواب ما يقال: كيف طابق الجواب بقولهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ لما قيل لهم: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾؟ فإن جواب اسمعوا ما سمعنا، وأمّا لا نسمع من غير ذِكْر شيء آخر، فلم زادوا وعصينا وما هو إلّا مستدرك لا مدخل له في الجواب؟ وتقرير الجواب أنّ الاستدراك إنما يلزم إذا أُمروا بمطلق السماع، وهم قد أُمروا بسماع مقيّد، وهو سماع القبول والطاعة، فأجابوا بنفي المقيّد باعتبار انتفاء قَيْده، وقالوا: سمعنا سماع معصية، فهو جواب مطابق للأمر بسماع القبول والطاعة لا استدراك فيه.

﴿ (وَأُشْرِبُوا) فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (أي تداخلهم حبه) والحرص على عبادته (كما يتداخل الثوب الصبغ).

قوله: (﴿وَأُشْرِبُوا﴾) يجوز أن يكون معطوفًا على قوله: ﴿سَمِعْنَا﴾، ويجوز أن يكون حالًا من فاعل، ﴿قَالُوا﴾ أي قالوا ذلك وقد أُشربوا، والضمير المرفوع في ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ مفعوله الأوّل أُقيم مقام الفاعل، والثاني هو العجل؛ لأن شرب يتعدّى بنفسه وبالهمزة يتعدّى إلى مفعولٍ آخر.

قوله: (أي تداخلهم حبّه) صيغة التفاعل للمبالغة لما كان العجل ممّا لا يشرب، وليس من شأنه التداخل أشار إلى أن المضاف وهو الحبّ محذوف حُذِف لدلالة العادة عليه ولأمرٍ ما لم يقل تداخلهم عبادته مع أنه المقصود، فإنّ العبادة ليست من شأنها التداخل والإشراب، فكنى عنها بالحبّ. اهـ قنوي. وقال العلامة شيخ زاده رحمة الله عليه قوله: تداخلهم حبّه، يعني أن حقيقة أُشربوا العجل جعلوا شاربين للعجل، وأنّ حقيقة الشرب تناول الماء بالفم وإدخاله الجوف ولا ماء هنا فضلًا عن تناوله بالفم، وإنْ أُريد بالشرب مجرّد إدخال شيء وإيصاله إلى الجوف؛ فنفس العجل وجسده وجسمه لا يدخل الجوف، فأوّل الشرب بالنّفوذ والحلول والدخول وحمل الكلام على حمل المضاف؛ كقوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يُوسُف: الآية ٨٢]، فمعنى الآية وتقديرها: وسقوا حبّ العجل وخلطوا به حتى اختلط بهم، كما يقال: أبيض مشرّب حمرة إذا كان مخالطه حمرة، والحبّ واللّون ونحوهما، وإنْ كانت مما لا يتعلّق بالشرب حقيقةً، إلّا أنه شاع واشتهر بين الأنام استعارة اسم الشرب لكل ما ينفذ في الشيء ويختلط به نفوذ المشروب في أمعاء الشارب واستعارة اسم الشرب لنفوذه فيه؛ كقول مَنْ قال:

شربت الحبّ كأسًا بعد كأسٍ وما نفد الشراب ولا رُويتُ

ويقال: أُشرب قلبه حبًّا أو بغضًا، وأُشرب الثوب الصبغ، أي تداخل ونفذ كنفوذ الماء في أعماق الجسد. قوله: (كما يتداخل الثوب الصّبغ) بكسر الصاد وسكون الباء، يعني أن (أُشربوا) استعارة تبعيّة إمّا من أُشرب الثوب الصبغ أو من أُشرب الماء، والجامع السراية في كل جزء. وقوله: الصبغ، في المصباح: الصبغ ـ بكسر الصاد ـ والصبغة والصباغ أيضًا كلّه بمعنًى، وهو ما يُصْبَغ به. اهـ.

(وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾، بيان لمكان الإشراب) والمضاف وهو الحب محذوف. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ (بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه. ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾) بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجل، (وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان لهم).

قوله: (وقوله[1]: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾ بيان لمكان الإشراب) جواب عمّا يقال: يكفي أن يقال: وأُشربوا العجل، أي حبّه، وعلى تقدير أن يذكر، فما الحاجة إلى كلمة في، ونظيره من بعض الوجوه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النّساء: الآية ١٠]؛ إذ يكفي فيه أن يقال: يأكلون نارًا، إلا أن الأكل لمّا لم يكن في جميع الأجزاء ذكر قوله: ﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ [النّساء: الآية ١٠] بيانًا للمكان وإيذانًا بأنّ المقام يقتضي مزيد التقرير وإن لم يصح أن يقال: تأكل بطونهم نارًا بدون كلمة في، كما يصح أن يقال: أُشرب قلوبهم العجل، أي حبّه، وعدَل عنه بإسناد الإشراب إلى أنفسهم للمبالغة كأنهم أُشربوا بجملتهم العجل نفسه. رُوِيَ أنّ موسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام لمّا رجع إلى قومه حرق العجل الذي عبدوه، أي برده بالمبرد وقد رماه في اليمّ، أي نسفه في البحر، فجعلوا يشربون منه بحبّهم العجل، وقيل: لمّا حرقه ونسفه في اليمّ جعلوا يشربون الماء حتى اصفرَّت وجوههم، وقيل: إنهم لما رأوا التوراة وما فيها من الشدائد، قالوا عند ذلك: عبادة العجل علينا أهْوَن مما فيها من الشرائع، فلذلك كلّه آثار حبّ العجل. **قوله**: (بسبب كفرهم) السابق على ذلك الإشراب. **قوله**: (واعتقادهم التشبيه) أي اعتقادهم أنه تعالى كالأجسام، فإنّهم لمّا رأوه أعجب الأجسام وأحسنها زعموا أنه ألْيَق بكونه إلـٰهًا تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. **قوله**: (وإضافة الأمر إلى إيمانهم) يعني أنّ الإسناد إليه (تهكّم، وكذا إضافة الإيمان لهم). أمّا الثاني فظاهر، كما في قولهم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢٧] تحقيرًا واسترذالًا ودلالةً على أن مثل هذا لا يليق أن يُسمّى إيمانًا إلا بالإضافة إليكم، وليس المراد

---

(١) دفع لما يتوهم على تقدير المضاف أنه لا حاجة إلى ذكر القلوب؛ إذ الحب لا يكون إلّا فيها بأنه لما أسند إلى الجميع أشير إلى بيان محلّه، وذكر المحل المتعيّن يفيد مبالغة في الإثبات، لا أن القلوب هي المشربة، كما أن البطون ليست هي الآكلة، كذا في الشبهات، والله أعلم بالصواب. ١٢ منه عم فيضه.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (تشكيك في إيمانهم) وقدح في صحة دعواه (له).

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿قُلْ إِن (كَانَتْ) لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي الجنة. (﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ظرف)، و«لكم» خبر «كان» (﴿خَالِصَةً﴾ حال من ﴿ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾) أي سالمة

أنه استعارة تهكّمية، فليتأمّل. وأمّا الأوّل، فلأنّ الإيمان إنما يأمر ويدعو إلى عبادة مَنْ هو غاية في العِلم والحكمة؛ فالإخبار بأنّ إيمانهم يأمر بعبادة ما هو غاية في البلادة غاية التهكّم والاستهزاء، سواء جعل يأمر به بمعنى يدعو إليه أو لا، وسواء قصد الإسناد إلى السبب الباعث مجازًا كما قد يتوهّم أو لا، كما هو الحقّ؛ كذا أفاده العلامة التفتازاني رحمه الله. وقال العلامة شيخ زاده: وأُضيف الإيمان إليهم في قوله تعالى: (﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾)، مع أنهم بمعزل عن الإيمان، وليسوا من الإيمان بها في شيء تهكّمًا بهم واستهزاءً، فإنّ تسمية دعواهم الإيمان إيمانًا وتسليم تلك الدعوى منهم تهكّم بهم، والظاهر أنّ قوله: ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ﴾ المراد معناه المجازي، والمعنى: بِئْس ما يدعوكم إليه إيمانكم ويقتضيه، وفيه تشبيه لاستدعاء الشيء واقتضائه بالأمر به، وإطلاق اسم المشبّه به على المشبّه، وليس المراد حقيقة الأمر لأنها لا تتصوّر إلّا من العُقلاء، والإيمان والكفر من قبيل الإعراض. **قوله**: (**تشكيك في إيمانهم**) لاستحالة الشكّ على المتكلِّم على ما هو أصل ﴿إن﴾، والأَوْلى أن تُحْمل على الفرض والتقدير كما ذكر في مواضع؛ إذ لم يعهد استعمال إن تشكيك السامعين؛ كذا أفاده العلامة التفتازاني. **قوله**: (**له**) أي للإيمان.

قوله: (**﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾**[1] **ظرف**) متعلّق بـ (﴿كَانَتْ﴾). **قوله**: (**﴿خَالِصَةً﴾ حال من ﴿ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾**)، فإنّها اسم كان وخبره لكم قدّم عليه للاهتمام أو لإفادة الحصر، واختصار المصنف رحمه الله مذهب مَنْ يجوّز انتصاب الحال من اسم كان وهو الأصحّ، ومَنْ لم يُجِز الحال مِن اسم كان بناءً على أنه ليس بفاعل جعل

---

(١) أي في القيامة. ١٢ منه عم فيضه.

(﴿لَكُمُ﴾) ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صحّ قولكم لن يدخل الجنة إلا مَن كان (هودًا ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ هو للجنس). ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون لأن مَن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها تخلصًا من الدار (ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة) أن كل واحد منهم كان يحب الموت (**ويحنّ إليه**. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾) هو نصب على الظرف أي لن يتمنوه (**ما عاشوا**) ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (**بما أسلفوا من الكفر بمحمد** ﷺ **وتحريف كتاب الله**) وغير ذلك (**وهو**) من المعجزات لأنه إخبار بالغيب (**وكان**) كما أخبر به

﴿خَالِصَةً﴾ حالًا من الضمير المستكنّ في (﴿لَكُمُ﴾)، وجعل عاملها الاستقرار والكلام فيه مبسوط في شروح الكشاف. **قوله**: (هودًا) جمع هائد كعائد وعود. **قوله**: (﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ هو للجنس) أي سائرهم، أي باقيهم ممّن عداهم، فأُطلق الجنس وأُريد بعضهم. **قوله**: (ذات الشوائب) أي ذات الأقذار والأدناس جمع شائبة، كذا في الصحاح.

قوله: (كما نقل عن العشرة المبشّرين بالجنّة)، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقّاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجرّاح. أخرج الترمذي عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «أبو بكر في الجنّة، وعمر في الجنّة، وعثمان في الجنّة، وعليّ في الجنّة، وطلحة في الجنّة، والزبير في الجنّة، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّة، وسعد بن أبي وقاص في الجنّة، وسعيد بن زيد في الجنّة، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّة». اهـ. رواه ابن ماجة وأحمد والضياء والدارقطني عن سعيد بن زيد. **قوله**: (ويحنّ) أي يشتاق (إليه) في المصباح: حنّت المرأة حنينًا اشتاقت إلى ولدها. اهـ. وفي الصّحاح: الحنين الشوق وتَوَقان النّفس، تقول منه: حنّ إليه يحنّ حنينًا، فهو حانٌ. اهـ.

قوله: (ما عاشوا) أي مدّة حياتهم. **قوله**: (بما أسلفوا من الكفر بمحمّد ﷺ)، فإنّهم كفروا به بعد عرفانهم أنّه حقٌّ، والتعبير عن الأنفس بالأيدي لأنها محلّ ظهور القدرة، وهي آلة عامّة صنائعه. **قوله**: (وتحريف كتاب الله) عطف على الكفر. **قوله**: (وهو) أي قوله: (﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾). **قوله**: (وكان) تامّة أي وقع.

كقوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: الآية ٢٤]، (ولو تمنوه) لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (تهديد لهم).

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾

(﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ﴾ مفعولا وجد ـ «هم» ـ و«أحرص») ـ (﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ التنكير) يدل على أن المراد حياة مخصوصة وعلى الحياة المتطاولة (ولذا كانت) القراءة (بها أوقع من قراءة «أبي» على الحياة).

قوله: (ولو تمنوه)... الخ. جواب سؤال، وهو من أين علمت أنهم لن يتمنّوه، وعن النبيّ ﷺ: «لو تمنّوا الموت لغصّ كل إنسان بريقه فمات مكانه» (أي لامتلأ بريقه فمات من ساعته)، وما بَقِيَ على وجه الأرض يهودي (أي في عصر النبيّ عليه السلام)، لكن هذا لو تمنّوا كلّهم أو بعضهم[1]، وقوله: «الغصّ بريقه» كنايةً عن الموت؛ لأن الغصّة وقوف الطعام والشراب في الحلق بحيث لا يجري، وعند الموت لا يجري للإنسان ريق، فجعل عبارة عنه. **قوله**: (تهديد لهم) من حيث إنه في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٢]، وبيان كون علمه محيطًا بوجوه عصيانهم أنّه عبارة عن مُجازاتهم عليها، ووضع الظاهر موضع المضمر حيث لم يقل: والله عليم بهم للتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى أنّ الجنّة سالمة خاصّة بهم ليس لأحدٍ سواهم فيها حقّ، فإنّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، فقد ادّعوا لأنفسهم ما ليس لهم ونفوه عمّن هو لهم، وهم المؤمنون.

قوله: (مفعولا وجد هم وأحرص) الناس هم في (﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ﴾) حكاية للضمير المتّصل المنصوب بالضمير المرفوع المنفصل. **قوله**: (التنكير)... الخ. أي تنكير (﴿حَيَوٰةٖ﴾) للنوعية؛ لأنه أُريد فرد نوعي من أفرادها، وهي الحياة المتطاولة، كما نطق به قوله: (﴿يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾)، وقوله: حياة مخصوصة، أي نوعًا من الحياة غير معيّن. **قوله**: (ولذا كانت) القراءة (بها) أي بحياة (أوقع) في البلاغة (من قراءة أُبيّ على الحياة)؛ لأن اللام فيها للجنس والحرص على جنس

---

(١) لو تمنى بعضهم لهلك كلّهم بشؤم تمني بعضهم. ١٢ منه.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ **هو محمول على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس، نعم)** قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة، **(أو أريد وأحرص من الذين أشركوا)** فحذف لدلالة أحرص الناس عليه، وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقًا بأعظم التوبيخ، وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك. وقوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بيان لزيادة حرصهم على

الحياة ومطلقها قل ما يسلم منه المؤمن، هكذا قالوا. **قوله**: (**هو محمول على المعنى**) لا على اللفظ؛ لأن أفعل التفضيل استعمل هنا بالإضافة لا بلفظة مَنْ، فعطف (﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾) بمن على الناس محمول على المعنى، ومن هذا قال (**لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس**)؛ لأن معنى إضافة أفعل التفضيل كمعنى استعماله بمن، والمراد بالناس ما عدا اليهود.

قوله: (**نعم**). . . الخ، جواب عمّا يقال: لم أفرد المشركون بالذكر مع أنه قد عَلِم كون اليهود أحرص الناس على الحياة من المشركين أيضًا بقوله: (﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾) من حيث إن ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ داخل تحت الناس. وتقرير الجواب أنّهم مع دخولهم تحت الناس أُفردوا بالذِّكر للمبالغة في بيان شدّة حرصهم كأنهم لتوغّلهم في الحرص على الحياة جنسٌ خارج من الناس، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على خصوصية فيه استحقّ بها لأن يخرج من عِداد العامّ؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٨]. **قوله**: (**أو أُريد: وأحرص من الذين أُشركوا**). . . الخ. والفرق بين الوجهين أنّ المعطوف في الوجه الثاني هو أحرص المحذوف، والمعطوف عليه أحرص المذكور، وفي الوجه الأوّل المعطوف هو الجار والمجرور المذكور والمعطوف عليه هو الجار والمجرور المدلول عليه بالإضافة، والثاني أبلغ في بيان زيادة الحرص لزيادة تكرير أحرص.

طريق الاستئناف. وقيل: أراد بالذين أشركوا (**المجوس**) لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف (**نيروز**). وعن (**ابن عباس**) ﷺ يقول: هو قول (**الأعاجم زي هزارسال**). وقيل: («**ومن الذين أشركوا**» **كلام مبتدأ**) أي ومنهم ناسٌ (**يود أحدهم**) على حذف الموصوف، والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله. (**والضمير في** ﴿وَمَا هُوَ﴾ بِمُزَحْزِحِهِۦ (مِنَ ٱلْعَذَابِ)﴾ لأحدهم. وقوله: (﴿أَن يُعَمَّرَ﴾) فاعل «بمزحزحه» أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره، ويجوز أن يكون «هو» مبهمًا و«أن يعمر» موضحه. والزحزحة

قوله: (**المجوس**) الذين يعبدون النار أي أتش پرست. **قوله**: (**نيروز**) أصله نوروز عرّب، وقد تكلّم به عمر رضي الله تعالى عنه فقال: كل يوم لنا نوروز، حين كان الكفّار يبتهجون به. اهـ فتح القدير للعلامة ابن الهمام رحمه الله. ونَيروز المجوس يومٌ تحلّ فيه الشمس في الحوت. اهـ الدر المختار في كتاب البيوع.

قوله: (**ابن عباس**) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما. **قوله**: (**الأعاجم**) جمع عجم، وهو الذي غير العرب، والمراد هٰهنا أهل فارس، يقال لهم فارسى زبان. **قوله**: (**زِيْ هزارسال**) أي عِشْ ألف سنة.

قوله: (**وقيل**: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ **كلام مبتدأ**)... الخ. أي ويجوز أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ كلامًا مستأنفًا غير معطوف على ما قبله بأن يكون خبر مبتدأ محذوف، ويكون قوله: (﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾) صفة لذلك المحذوف، فلمّا حذف المبتدأ أُقيمت صفته مقامه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٦٤]، أي وما أحدٌ منا. وتقدير الآية: ومن اليهود ناسٌ يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة، عبّر عن اليهود بالذين أشركوا بناءً على قولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: الآية ٣٠]، والكلام رابط لما قبله، ويكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر تقريعًا لهم بشنعة الشِّرك أيضًا، ويكون هذا الكلام مبتدأ مسوقًا لبيان شدَّة حرصهم على الحياة. **قوله**: (﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾) ﴿مِنْ﴾ بمعنى عن. **قوله**: (**والضمير في** ﴿وَمَا هُوَ﴾)... الخ. يعني ضمير ﴿هو﴾ راجع لأحدهم وبمزحزحه خبره في محل نصب إن كانت ما حجازية، وفي محل رفع إن كانت تميمية، والباء زائدة في الخبر، و(﴿أَن يُعَمَّرَ﴾) فاعل اسم الفاعل.

التبعيد والإنحاء. قال في جامع العلوم وغيره: «لو يعمر» بمعنى «أن يعمر»، فـ«لو» هنا نائبة عن «أن» و«أن» مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول «يود» أي يود أحدهم تعمير ألف سنة. (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾) أي بعمل هؤلاء الكفار (فيجازيهم) عليه. (وبالتاء): يعقوب.

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ (بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز: مكي. وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعًا: كوفيّ غير حفص. وبكسر الراء والجيم بلا همز: غيرهم). ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لأن «جبر» هو العبد (بالسريانية) و«إيل» اسم الله.

قوله: (فيجازيهم) يعني أن قوله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ وارد على طريق الوعيد. قال الإمام الرازي ﷺ: واعلم أنّ البصر قد يُراد به العلم، يقال: إن لفلان بصرًا بهذا الأمر، أي معرفة. وقد يُراد به أنه على صفة لو وُجدت المبصرات لأبصرها، وكلا الوصفيْن يصحّان عليه تعالى، إلى أن قال: وحيث كان في الأعمال ما لا يصح أن يُرى حُمِل هذا البصر على العلم لا محالة، والله أعلم. **قوله**: (وبالتاء) على الالتفات يعقوب بن إسحٰق الحضرمي البصري، وليس من السبعة. والباقون بالغيب.

قوله: (بفتح الجيم وكسر الراء) وياء ساكنة (بلا همز، مكّي) أي ابن كثير المكّي، (وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعا) أي همزة مكسورة وياء ساكنة، (كوفي غير حفص) أي حمزة الكسائي، وكذا خلف واختلف عن أبي بكر، فالعليمي عنه كحمزة ومَنْ معه ويحيىٰ بن آدم عنه كذلك إلّا أنه حذف الياء بعد الهمزة، (وبكسر الراء والجيم) وإثبات الياء (بلا همز غيرهم) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة. وأبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، وابن عامر وحفص ﷺ. قوله: (بالسريانية) أخرج ابن عساكر في التاريخ عن ابن عباس: أن آدم عليه السلام كان لغته في الجنّة العربية، فلما عصى سلبه الله العربية، فتكلّم بالسريانيّة، فلمّا تاب ردَّ الله عليه العربية. قال عبد الملك بن حبيب: كان اللّسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنّة عربيًا إلى أن بَعُد العهد وطال

رُوِيَ أن **(ابن صوريا من أحبار اليهود)** حاجَّ النبيّ ﷺ وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال: جبريل. فقال: ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارًا، وأشدها أنه أنزل على نبيّنا أن بيت المقدس سيخربه **(بختنصر)** فبعثنا مَن يقتله فلقيه ببابل **(غلامًا مسكينًا)** فدفع عنه جبريل وقال: إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه، وإن لم يكن إياه **(فعلى أي ذنب)** تقتلونه. (﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾) فإن جبريل نزل القرآن، ونحو هذا الإضمار ـ أعني إضمار ما لم يسبق ذكره ـ فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدلّ على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح **(بذكر شيء من صفاته)**. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي حفظه إياك. وخصّ القلب لأنه محل الحفظ

حُرِّف وصار سريانيًا، وهو منسوب إلى أرض سورنه، وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق. قال: وكان يشاكل اللّسان العربي إلّا أنه محرّف، وهو كان لسان جميع مَنْ في سفينة نوح إلّا رجلًا واحدًا يقال له جرهم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل، فلما خرجوا من السفينة تزوّج إرم بن سام بعض بناته، فمنهم صار اللّسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعبيل وجاثر أبي ثمود وجديس، وسُمِّيت عاد باسم جُرْهم لأنه كان جدّهم من الأمّ، وبقي اللّسان السرياني في ولد أرفحشد بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن فنزل هناك بنو إسماعيل، فتعلم منهم بنو قحطان اللّسان العربي. اهـ المزهر في اللغة.

قوله: (ابن صوريا) أي عبد الله بن صوريا كبوريا **(من أحبار اليهود)** قيل: إنه أسلم ثم كفر والعياذ بالله تعالى. **قوله**: **(بخت نصّر)** بضمّ الباء وتسكين الخاء والمثناة الفوقية المفتوحة للتركيب المزجي، وأصله بوخت بمعنى ابن فخفّف بحذف الواو فصار بخت ونصر كبقّم مشدّدًا اسم صنم وُجِدَ عنده فنُسِب إليه، وهو الذي خرّب بيت المقدس وقتل بني إسرائيل. **قوله**: **(غلامًا مسكينًا)** حال من ضمير لقيه. **قوله**: **(فعلى أي ذنب)**. . . الخ. فصدّقه الرجل المبعوث ورجع إلينا وكبر بخت نصّر وقَوِيَ علينا وخرّب بيت المقدس. **قوله**: **(بذكر شيء من صفاته)** وهو التنزيل في قوله تعالى: (﴿نَزَّلَهُ﴾)، ونظيره في إضمار ما كان كالمعلوم لفرط شهرته، قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: الآية ٤٥]، فإنه أضمر الأرض من غير سبق ذكرها لذلك.

كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ١٩٤]، وكان حق الكلام أن يُقال على قلبي ولكن جاء على حكاية كلام الله كما تكلّم به، وإنما استقام أن يقع «فإنه نزله» جزاء للشرط لأن تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابًا مصدقًا للكتب بين يديه، فلو أنصفوا لأحبّوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزّل عليهم. وقيل: جواب الشرط محذوف تقديره مَن كان عدوًّا لجبريل فليمت غيظًا فإنه نزل الوحي على قلبك ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ردّ على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل: فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضًا.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

(﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ **بصري وحفص**. و«**ميكائل**») باختلاف الهمزة كـ («ميكاءل»: **مدني**. و«**ميكائيل**» **بالمدّ وكسر الهمزة مشبعة**: **غيرهم**). وخصّ الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي لهم فجاء بالظاهر ليدلّ على أن الله إنما عاداهم لكفرهم، وأن عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومَن عاداهم عاداه الله ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ المتمردون من الكفرة واللام (**للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب**).

قوله: (﴿وَمِيكَىٰلَ﴾) بحذف الهمزة والياء بعدها كمثقال (**بصريّ**) أي أبو عمرو البصري، وكذا يعقوب البصري. (**وحفص**) عن عاصم (﴿**وميكائل**﴾ **باختلاس الهمزة**) أي بهمزة مكسورة من غير ياء (**كميكاءل مدني**) أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني (﴿**وميكائيل**﴾ **بالمدّ وكسر الهمزة مشبعة**) أي بياء بعد الهمزة (**غيرهم**) أي ابن كثير المكّي وابن عامر الشامي وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي، وكذا خلف رحمه الله. **قوله**: (**للجنس**) أي لجنس الكَفَرة. **قوله**: (**والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب**)؛ لأن الآية نزلت فيهم، وطرفيها كلام في شأنهم، والوصف بالتمرّد أَلْيَق بحالهم.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

وعن (ابن عباس) ﵄ قال ابن صوريا رسول الله ﷺ: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت ـ الواو في (﴿أَوَكُلَّمَا﴾) الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البيّنات. وكلما ﴿عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ﴾ نقضه ورفضه وقال: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ لأن منهم مَن لم ينقض ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبًا ولا يبالون به.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله ﷺ المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها، أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول. ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ مثل لتركهم وإعراضهم عنه (مثل) بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلّة التفات إليه ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه كتاب الله.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ

قوله: (ابن عباس) أي عبد الله بن عباس الصحابي ابن الصحابي رضي الله تعالى عنهما. **قوله**: (﴿أَوَكُلَّمَا﴾) على الظرفية والعامل فيه دلّ عليه نبذه.

قوله: (مُثّل) بالتشديد على صيغة المجهول بخلاف الأوّل، فإنه بالحركات مع التنوين.

عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر (**والشعوذة**) التي كانت تقرؤها ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ (**أي على عهد ملكه**) في زمانه، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب (**يلفقونها**) ويلقونها إلى الكهنة وقد دوّنوها في كتاب يقرؤونها ويعلّمونها الناس، (**وفشا**) ذلك في زمن سليمان عليه السلام (**حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب**) وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ تكذيب للشياطين ودفع (**لما بهتت به**)

قوله: (﴿تَتْلُوا۟﴾) حكاية حال ماضية بأن يقدر الفعل الماضي المستغرب واقعًا في الحال لتعجّب المخاطب منه، وإلّا فالمقام يقتضي أن يقال: ما تلت الشياطين. **قوله**: (**الشَّعْوَذة**) خِفّة اليد وأخْذٌ كالسحر يُرَى الشيء بغير ما عليه أصله في رأي العين. اهـ قاموس.

قوله: (**أي على عهد ملكه**) وفي زمانه. قال النِّحرير التفتازاني نوّر الله مرقده، يعني أن الكلام على حذف المضاف، وأنّ كلمة (﴿عَلَىٰ﴾) ليست صلة للتلاوة، بل هي من قولهم: كان هذا على عهد فلان، أي في وقته وزمانه، انتهى كلامه. يريد أنّ كلمة ﴿على﴾ في الآية بمعنى في، بناءً على أنّ الملك ليس مما يصح أن يُقرأ عليه شيءٌ، وكذا العهد المقدّر لا يقرأ عليه، كما يقرأ على الأستاذ؛ فلذلك جعل على بمعنى في الداخلة على الزَّمان، كما تكون بمعنى في الداخلة على المكان في قولهم: قرأت على المنبر، فيكون المعنى: فاتّبعوا ما تتلوا الشياطين على الناس في عهد ملك سليمان وفي زمانه.

قوله: (**يُلَفِّقونها**) أي يزخرفونها. **قوله**: (**وفشا**) أي اشتهر. **قوله**: (**حتى قالوا: إن الجنَّ تعلم الغيب**) بناءً على أن ما استرقوه من الملأ الأعلى وألْقوه إلى الكَهَنة غيبٌ في حقِّ البشر من حيث إنه لا يدرك بالحسّ ولا يقتضيه بديهة العقل ولم ينصب دليل يدلّ عليه، فيكون غيبًا بالنسبة إلى البشر، وإنْ كان من قبيل المسموع في حقِّ الجنّ. **قوله**: (**لما بهتت به**) في المصباح: بهتها بهتًا من باب

سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُواْ﴾ باستعمال السحر وتدوينه. (و﴿وَلَٰكِنِ﴾ بالتخفيف ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ بالرفع: شامي وحمزة وعليّ).

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ الجمهور على أن «ما» بمعنى «الذي» هو نصب عطف على «السحر» أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على «ما تتلو» أي واتبعوا ما أنزل على الملكين ﴿(بِبَابِلَ) هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ علمان لهما وهما عطف بيان للملكين، والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرًا إن كان فيه رد ما لزم في شرط الإيمان، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه لئلّا يغترّ به كان مؤمنًا، قال (الشيخ أبو منصور الماتريدي) رحمه الله: (القول بأن السحر) على الاطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته، فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا. ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث، وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع

نفع قذفها بالباطل وافترى عليها الكذب، والاسم البهتان. **قوله**: (﴿وَلَٰكِنِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢] **بالتخفيف**) أي بتخفيف النّون وكسرها وصلًا، (﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ **بالرفع**) على الابتداء (**شاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وحمزة وعليّ**) الكسائي، وكذا خلف. والباقون بالتشديد ونصب ما بعدها بها. **قوله**: (﴿بِبَابِلَ﴾) الباء في ببابل بمعنى في. **قوله**: (**الشيخ أبو منصور**) هو محمد بن محمود أبو منصور (**الماتريدي**) إمام المتكلّمين ومصحّح عقائد المسلمين، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، والماتريدي نسبةً إلى ماتريد محلّة بسمرقند رحمه الله تعالى. **قوله**: (**القول بأن السحر**)... الخ.

فائــدة:

واعلم أنه مَنْ قتل إنسانًا لا يحلّ قتله أو أضرّه بسلب نعمه البدنية أو المالية أو غير ذلك بالسيف والدعاء، وإن كان ذلك بأسماء الله تعالى الجلالية، وإن لم يكن ذلك كفرًا فهو فاسق البتّة، وحكمه حكم قطاع الطريق. قال الله تعالى:

الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث، وتقبل توبته إذا تاب. ومَن قال لا تقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم. وقيل: أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل. (قيل: إنهما ملكان اختارتهما الملائكة)

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٨]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «المسلم مَنْ سَلِم المسلمون مِنْ لسانه ويده» متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.اهـ تفسير المظهري.

قوله: (قيل: إنهما ملكان اختارتهما الملائكة). . . الخ. في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر للعلامة ابن حجر المكّي رحمة الله عليه: اعلم أنّ المفسّرين ذكروا لهذين الملكين قصّة عظيمة طويلة، حاصلها أن الملائكة لما اعترضوا بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، ومدحوا أنفسهم بقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] أراهم الله تعالى ما يدفع دعواهم، فركّب في هاروت وماروت منهم شهوة وأنزلهما حاكمَيْن في الأرض، فافتتنا بالزهرة مثلت لهما من أجمل النساء، فلما وقعا بها خيّرا بين عذابي الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذّبان إلى يوم القيامة، ونازع جماعة في أصل ثبوت هذه القصة، وليس كما زعموا لورود الحديث، بل صحته بها، وسيأتي لفظه في مبحث الخمر، ومن جملة أنها لما مثلت لهما وراوداها عن نفسها أمرتهما بالشِّرْك فامتنعا، ثم بالقتل فامتنعا، ثم بشرب الخمر فشرباها، ثم وقعا بها وقتلا ثم أخبرتهما بما فعلاه، فخُيِّرا ـ كما ذكر ـ ومن النازعين الفخر قال: هذه القصة رواية فاسدة مردودة ليس في كتاب الله ما يدلّ عليها، بل فيه ما يُبطلها من وجوه:

الأول: عصمة الملائكة من كل ذنب، ويجاب بأنّ محل العصمة ما داموا بوصف الملائكة. أمّا إذا انتقلوا إلى وصف الإنسان، فلا. على أنه يُعلم من الحديث المذكور أنّ ما وقع لهما إنما هو مِنْ باب التمثيل لا الحقيقة؛ لأن الزهرة تمثّلت لهما امرأة وفعلت بهما ما مرّ دفعًا لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، كما يأتي ذكر ذلك في الحديث المذكور.

لتركب فيهما الشهوة حين عيّرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض

الثاني: زعم أنهما خيّرا بين العذابين فاسد، بل كان الأَوْلى أن يخيّرا بين التوبة والعذاب؛ لأن الله خيّر بينهما مَنْ أشرك طول عمره، فهذان أولى. ويجاب بأنّ ذلك إنما فُعِل تغليظًا في العقوبة عليهما، ولا يقاسان بمن أشرك؛ لأن الأُمور التوقيفية لا مجال للرأي فيها.

الثالث: من أعجب الأُمور أنّهما يعلمان السحر في حال كونهما يعذّبان ويدعوان إليه، وهما يعاقبان. ويجاب بأنه لا عجب في ذلك؛ إذ لا مانع أنّ العذاب يفتر عنهما في ساعات، فيعلمان فيها، لأنهما أُنزلا فتنةً عليهما لما دفع لهما مما ذكر وعلى الناس لتعلّمهم منهما السِّحر.

قال بعضهم: والحكمة في إنزالهما أُمور:

أحدها: أنّ السَّحرة كَثُرت في ذلك الزَّمن واستنبطت أنواعًا عجيبة غريبة في النبوّة، وكانوا يدَّعونها ويتحدَّوْن الناسَ بها؛ فأنزل الله الملكين ليعلِّما الناس السِّحر حتى يتمكّنوا من معارضة أُولئك السَّحرة المدَّعين للنبوّة كذبًا، وهذا غرضٌ ظاهر.

ثانيها: أن العلم بأن المعجز مخالف للسحر يتوقّف على علم ماهيّتهما، والناس كانوا جاهلين ماهية السحر، فتعذّرت عليهم معرفة حقيقة المعجز، فبعث الله هذين المَلكين لتعريف ماهية السِّحر لأجل هذا الغرض.

ثالثها: لا يمتنع أنّ السِّحر الذي يُوقِع الفرقة بين أعداء الله والإلفة بين أولياء الله كان مباحًا عندهم أو مندوبًا، فبعثهما الله لتعليمه لهذا الغرض، فتعلّم القوم ذلك منهما، واستعملوه في الشرّ وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والإلفة بين أعداء الله.

رابعها: تحصيل العلم بكل شيء حسن، ولمّا كان السِّحر منهيًا عنه وجب أن يكون معلومًا متصوّرًا، وإلّا لم يُنْهَ عنه.

خامسها: لعلّ الجنّ كان عندهم أنواع من السِّحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها، فبعثهما الله تعالى ليعلّما البشر أُمورًا يقدرون بها على معارضة الجنّ.

(ويصعدان) بالليل، (فهويا زهرة فحملتهما) على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فهما يعذبان منكوسين (في جب)

سادسها: أن يكون ذلك تشديدًا في التكاليف من حيث إنه إذا عَلِم ما يمكنه أن يتوصّل به إلى اللذّات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك في نهاية المشقّة يستوجب به الثواب الزّائد؛ فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السِّحر. اهـ.

وقوله: (وسيأتي في لفظه في مبحث الخمر) لفظه هكذا أخرج أحمد وابن حبان في صحيحه، وقيل: الصحيح وقفه على كعب عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن آدم لما هبط إلى الأرض قالت الملائكة: أي ربّي أتجعل فيها مَنْ يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك؟ قال: إنّي أعلم ما لا تعلمون، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بني آدم، قال الله تعالى لملائكته: هلمّوا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان، قالوا: ربنا هاروت وماروت، قال: فاهبطا إلى الأرض، فتمثّلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءاها فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تتكلّما بهذه الكلمة من الإشراك، قالا: والله لا نُشرك بالله أبدًا، فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعها صبي تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبيّ، فقالا: والله لا نقتله أبدًا، فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذه الخمرة، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي، فلمّا أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما من شيءٍ أبَيْتماه عليّ إلّا فعلتماه حين سكرتما، فخيّرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا». اهـ. وقال العلامة الشهاب عليه رحمة الله الوهاب: قال خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر: أخرجه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، وأن له طرقًا كثيرة جمعتها في جزءٍ مفرد يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها لكثرتها وقوّة مخارجها، وقال بعضهم: بلغت طرقه نيّفًا وعشرين. اهـ.

قوله: (يصعدان) أي يرتفعان. **قوله:** (فهَوِيَا) من باب تعب، أي مالا وعَشقا. **قوله:** (زهرة) بضم الزاي وفتح الهاء وهو نجم معروف أبيض مضيء في السماء الثالثة. **قوله:** (فحملتهما) أي بعثتهما. **قوله:** (في جبّ) في المصباح:

ببابل (**وسميت ببابل لتبليل الألسن بها**. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾) وما يعلم الملكان أحدًا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ (**حتى ينبهاه وينصحاه**) ويقولا له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (**ابتلاء**) واختبار من الله. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفرًا ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ الفاء عطف على قوله: «يعلمون الناس السحر» أي يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دلّ عليهما قوله: «كفروا» ـ و ـ «يعلمون الناس السحر» أو على مضمر والتقدير: (**فيأتون**) فيتعلمون. والضمير لما دلّ عليه «من أحد» أي

الجبّ بئر لم تُطو، وهو مذكر وقال الفراء: يُذكَّر ويؤنّث. اهـ. **قوله**: (﴿بِبَابِلَ﴾) الباء بمعنى في. **قوله**: (**وسمّيت ببابل لتبلبل الألسن بها**) لأن الله تعالى أمر ريحًا فحشرتهم بهذه الأرض، فلم يَدْرِ أحدهم ما يقول الآخر ثم فرّقتهم الرّيح في البلاد يتكلّم كلّ واحد بلغة، والبَلْبلة التفرقة، وقيل: لما أرست سفينة نوح بالجودي نزل فبنى قرية وسمّاها ثمانين باسم أصحاب السفينة، فأصبح ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، وقيل: لتبلبل ألسنة الخلق عند سقوط صرح نمروذ، وهي ببابل العراق، وقال ابن مسعود: بابل أرض الكوفة. **قوله**: (﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾) صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية، قنوي رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله**: (﴿مِنْ أَحَدٍ﴾) من مزيدة للمفعول به وهمزته أصلية غير مبدلة من الواو، ولا يقع في الإيجاب أصلًا، كما في التلويح، أو بدون كل كما في المطول، ومعناه ما يصلح لأن يخاطب مذكرًا أو مؤنثًا مفردًا أو غيره؛ فلوقوعه في سياق النفي يفيد الاستغراق، فزيادة من لتأكيد ذلك الاستغزاق. اهـ قنوي.

قوله: (**حتى ينبّهاه وينصحاه**) قبل التعليم، ويقولا له هذا القول منهما هو النصح له لا شيء مغايرٌ له كما يُوهمه العطف، بل عطف تفسير له، فعدم تعليمهما إيّاه للنصح، فإذا تحقّق النصح المذكور يوجد التعليم منهما، فمفهوم الغاية مُعتبر اتّفاقًا، لكن عندنا بطريق إشارة النص، وعند الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بطريق مفهوم المخالفة صرّح به في النحرير في التلويح في بحث التعارض والترجيح، والمعنى: فيتعلمانه بعد النصح والإيقاظ، فيتعلمون منهما الآية. اهـ قنوي. **قوله**: (**ابتلاءً**) أشار إلى أن الفتنة الامتحان والاختبار ولكونها في الأصل مصدرًا جُعِلت مفردة مع أن المحكوم عليه مثنّى، وحمله عليهما مواطأةً للمبالغة، كرجل عدل. اهـ قنوي. **قوله**: (**فيأتون**) كذا في بعض النسخ، والصحيح: فيأبون، كما في أكثر النسخ، أي

فيتعلم الناس من الملكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ﴾ أي علم السحر الذي يكون سببًا في التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عند (النشوز) والخلاف ابتلاء منه. **(وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه)**.

يمنعون عن قبول النصيحة. **قوله**: **(النشوز)** الامتناع عن طاعة الزَّوج. **قوله**: **(وللسحر حقيقة عند أهل السنّة كثرهم الله تعالى)** أي أنه أمر ممكن متحقّق حتى جوّزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارًا أو الحمار إنسانًا بأن يخلق الله تعالى هذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معيّنة. **(وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه)** أي تلبيس في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر. اختلف العلماء في أن السِّحر له حقيقة أم لا؟ فقال بعض العلماء: إنه تخييل لا حقيقة له؛ لقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: الآية ٦٦]. وقال الأكثرون: وهو الأصح الذي دلّت عليه **السنّة** له حقيقة؛ لأن اللّعين لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر سَحَر رسول الله ﷺ، وأمر ﷺ بإخراج سحره من بئر ذي أروان بدلالة الوحي له على ذلك، فأُخرج منها، فكان ذا عقد فحُلّت عُقده، فكان كلّما حُلّت منه عقدة خفّ عنه ﷺ إلى أن فرغت، فصار ﷺ كأنما نشط من عقال.

وذهب ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إلى خيبر ليخرص ثمرها فسَحره اليهود، فانكتفت يده، فأجلاهم عمر.

وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت: يا أُمّ المؤمنين، ما على المرأة إذا عقلت بعيرها؟ فقالت عائشة، ولم تفهم مرادها: ليس عليها شيء، فقالت: إني عقلت زوجي عن النساء، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: أخرجوا عني هذه الساحرة.

والجواب عن الآية أنّا لا نمنع أنّ من السِّحر ما هو تخييل، بل منه ذلك وما له حقيقة، وإنما أثر السِّحر في رسول الله ﷺ مع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المَائدة: الآية ٦٧] إمّا لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد عما يرد عليه الحوادث الدنيوية، ومن ثم سُحِر وشُجَّ وجهه وكُسِرت رباعيّته ورُمِيَ عليه الكرش والثرب وأذاه جماعة من قريش، وإمّا لأن المراد عصمة النفس عن الافتلات دون العوارض التي تعرض للبدن مع سلامة

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بعلمه ومشيئته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ في الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم **(الفلسفة)** التي تجر إلى **(الغواية)**. ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ **(أي استبدل)** ما تتلو الشياطين من كتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ من نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ باعوها **(وإنما نفى العلم عنهم بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾)** مع إثباته لهم بقوله: «ولقد علموا» **(على سبيل التوكيد القسمي)** لأن معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون.

النفس، وهذا أوْلى بل هو الصواب؛ لأنه ﷺ كان يحرس، فلمّا نزلت الآية أمر بترك الحرس. اهـ.

تنبيـــه:

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل يسأل الساحر حلّ السحر عن المسحور؟ قال البخاري عن سعيد بن المسيّب رضي الله تعالى عنه: يجوز، وإليه مال المازري وكرهه الحسن البصري، وقال الشعبي: لا بأس بالنشرة. قال ابن بطال: وفي كتاب وهب بن منبّه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقّه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ عليه آية الكرسي ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به، فإنه يذهب عنه.كلّ ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيّد لأجل إذا حُبِس عن أهله.اهـ كتاب الزّواجر عن اقتراف الكبائر. وقال في نصاب الاحتساب: أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن **(المبتلى بذلك يأخذ حزمة)** قصبات ويطلب فأسًا ذا قفارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا حمي الفأس استخرجه من النار وبال على حدّه يبرأ بإذن الله تعالى.اهـ.

قوله: **(الفلسفة)** هي الحكمة. **قوله**: **(الغواية)** الضلالة. **قوله**: **(أي استبدل)** إشارة إلى أن اشترى استعارة. **قوله**: **(وإنما نفى العلم عنهم بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾)**، فإنّ كلمة لو لانتفاء الشيء لانتفاء غيره، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله يعني ما شروه. **قوله**: **(على سبيل التوكيد القسمي)**؛ لأن اللام وقد للتأكيد بمنزلة القسم، أو القسم مقدّر.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

(﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ برسول الله والقرآن) ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ (يَعْلَمُونَ﴾ **إن ثواب الله خير**) مما هم فيه وقد علموا، لكنه (**جهلهم لما تركوا العمل**) بالعلم والمعنى: لأثيبوا من عند الله ما هو خير، (**وأوثرت**) الجملة الاسمية على الفعلية في جواب «لو» لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها. (**ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم**).

قوله: (﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ **برسول الله والقرآن**) خصّ الرسول والقرآن بالذّكر من بين ما يجب الإيمان به تنبيهًا على اتّصال هذه الآية بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البقرة: الآيتان ١٠١، ١٠٢]، ولما بيّن الله تعالى وعيد من كفر وعصى ممّن اتّبع كتب السحر وباع نفسه بما كسب به ببيان أن لا خلاق لهم في الآخرة ولبئس ما شروا به أنفسهم أتبعه بالوعيد في حقّ مَنْ آمن واتّقى، أي احترز عن فعل المنهيّات وترك المأمورات جمعًا بين الترهيب والترغيب؛ لأن الجمع بينهما أدعى إلى الطاعة والإعراض عن المعصية.

قوله: .(**إن ثواب الله خير**) إشارة إلى أن (يعلمون) غير منزل منزلة اللازم، بل مفعوله محذوف. **قوله**: (**جهلهم**) بالتشديد، أي نسب الجهل إليهم (**لما تركوا العمل**) أي لترك العمل. **قوله**: (**أوثرت**) أي اختيرت الجملة الاسمية، وهي قوله: لمثوبة، مع أن جواب لو إنما يكون فعلية ماضية حقيقةً أو تأويلًا، ولذا قال المصنّف رحمه الله: **والمعنى**... الخ.

قوله: (**ولم يقل لمثوبة الله خير؛ لأن المعنى لشيء من الثواب خيرٌ لهم**)، يعني أن التنوين للتقليل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: الآية ٧٢]؛ لأن المقام يقتضي الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي، فنكّر المثوبة ليكون المعنى لشيءٍ قليل من ثواب الله خير مما شروا به أنفسهم، والحال أن ثوابه لمن آمن واتّقى كثيرٌ دائم. والحاصل أن اسمية الجملة تدلّ على دوام

وقيل: «لو» بمعنى التمني (كأنه قيل: وليتهم آمنوا) ثم ابتدأ «لمثوبة من عند الله خير».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ كان المسلمون يقولون لرسول الله ﷺ إذا ألقي عليهم شيئًا من العلم: راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها (عبرانية أو سريانية) وهي «راعنا»، فلما سمعوا بقول المؤمنين «راعنا» (افترصوه) وخاطبوا به الرسول (وهم يعنون به تلك المسبة) فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو «انظرنا»

المثوبة وثباتها وتنكير المثوبة يدلّ على قلّتها، فكان المعنى أن قدرًا يسيرًا من ثواب الآخرة مع دوامه خيرٌ كثير من ثواب الدنيا مع زواله، فكيف وثواب الآخرة كثيرٌ دائم، وثواب الدنيا قليلٌ زائل؟

قوله: (كأنه قيل: وليتهم آمنوا)، ولمّا امتنع التمنّي على الله تعالى حقيقةً بالاتّفاق جعله المعتزلة مجازًا عن إرادة ما لا يقع بطريق إطلاق لفظ الملزوم وإرادة لازمه؛ لأن تمنّي الشيء ملزوم لإرادته، وتخلف مراد الله تعالى عن إرادته جائز عند المعتزلة. وأمّا عند أهل الحقّ، فلا يجوز ذلك، فلا يجوز حملها على التمني عندهم إلّا حكايةً من قبل من عرف بحالهم على معنى أنّهم بحال يتمنّى العارف بها إيمانهم واتّقاءهم تلهّفًا عليهم.

قوله: (عِبْرانية) وهو لغة اليهود. **قوله**: (أو سريانية) وهو منسوب إلى أرض سورنه، وهي أرض الجزيرة بها كان نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق، وكان يشاكل اللّسان العربي إلّا أنه محرّف، وهو كان لسان جميع مَنْ في سفينة نوح عليه السلام إلّا رجلًا واحدًا يقال له: جُرْهُم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل.اهـ. المزهر في علوم اللغة. **قوله**: (افترصُوه) أي عدا اليهود قول المسلمين له عليه السلام: راعنا فرصة وغنيمة. **قوله**: (وهم يعنون به تلك المسبّة) قيل: كلمة (﴿رَٰعِنَا﴾) كانت بلسان اليهود سبًّا، وكأن معناها عندهم اسمع لا سمعت، وقيل: من الرعونة، وهي الحمق. وكانوا إذا أرادوا أن يحمّقوا إنسانًا

من نظره إذا انتظره. ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾ وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ﷺ ويلقي عليكم من المسائل بآذان **(واعية)** وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا. ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولليهود الذين سبّوا رسول الله ﷺ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ **(مؤلم)**.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾

﴿مَّا (يَوَدُّ) ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ (أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم﴾ **وبالتخفيف: مكي وأبو عمرو)**. ﴿مِّنۡ (خَيۡرٖ) مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ **(«من» الأولى للبيان)**

قالوا: راعِنا، يعني: يا أحمق، يا جاهل؛ فيكون وزنه فاعلًا المبنى للنسبة نحو تامر؛ لأن النسبة كما تكون بالياء تكون بالصفة أيضًا؛ كأنه قيل: يا رجلًا ذا رعن، وقيل: هو من الرعي، فكأنهم قالوا: أنت راعينا، إلّا أنهم اختلسوا الياء، أي استلبوها لتخفيف اللفظ، وقد شاع فيما بينهم أن يقولوا للعرب إنهم عالة رعاة غنم، ولا شكّ أن عدّ المخاطب من الرعاة شتم له وهدم لعرضه. **قوله: (واعية)** حافظة لما تسمع. **قوله: (مؤلم)** بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة إنما يُسند إلى الشخص المعذّب، يقال: ألم من باب طرب، فهو أليم، كوجع فهو وجيع، أي متألم ومتوجّع، ولا يقال: إنه بكسر اللام اسم فاعل على طريق الإسناد الحقيقي كسميع بمعنى مسمع لخلوّه عن دعوى المبالغة الحاصلة على كونه بفتح اللام، حيث يقتضي أنّ العذاب لشدّة إيلامه للمعذّبين صار كأنه مؤلم، أي معذّب فهو على حدِّ جدّ جدّه.

قوله: (﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم﴾ وبالتخفيف) أي بإسكان النون وتخفيف الزاي **(مكّي)** أي ابن كثير المكّي، **(وأبو عمرو)** البصري. والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. **قوله: ((من) الأولى للبيان)**؛ لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، بدليل ما ذكره من الآية؛ فكأنه قيل: ما يودّ الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون، فبيَّن أن الذين كفروا باقٍ على عمومه، وأن المراد كِلَا نوعيه جميعًا، والمعنى أن الكفّار أجمعين لم يحبّوا ذلك.

لأن (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، **(والثانية مزيدة لاستغراق الخير)**، والثالثة لابتداء الغاية. والخير الوحي وكذلك الرحمة.

أمّا أهل الكتاب، فلفوات العزّة والرئاسة في الدِّين وما يتّصل به من منافع الدنيا عنهم بسببه لو آمنوا بكونها لقريش، ولما في ذلك من هَتْك أسرارهم وإظهار خياناتهم في الدِّين بإخباره أنهم يحرّفون الكلم عن مواضعه، وأنّهم كانوا كتموا ما في كتبهم وبدّلوا كثيرًا، حيث قال: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٩].

وأمّا المشركون، فإنهم لم يحبّوا ذلك لتضمّنه الخروج عن الأمر المعتاد وترك ما مضى عليه توارث سلفهم مع حبِّهم تقليد آبائهم واتّباع آثارهم، فكانوا يكرهون مخالفة السلف، ولما في ذلك من فتح باب الطعن على أسلافهم بالضلالة والعمى وتسفيه أحلامهم؛ إذ متى تبيّن لهم أنه على الحقّ ظهر كونهم على الباطل، فماذا بعد الحقّ إلا الضلال؛ ولأنهم جُبِلوا على الكبر والعتوّ والعناد والاتباع للحمية الجاهلية، حيث قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٢١]، فلذلك ظنّوا بأنفسهم أنهم المستحقّون للرئاسة؛ كما قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزّخرُف: الآية ٣١] أحدهما نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف، وثانيهما الوليد بن المغيرة بمكّة لعنة الله عليهما؛ فظهر بما قرّرنا أنّ قوله: (﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) معطوف على (﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾)، فلذلك جرّ، ولو كان على قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) لقيل: المشركون بالرفع، ولو كان ﴿من﴾ لتبعيض مدخوله لاستلزم أن يكون المشركون ضربين: كافرًا وغير كافر؛ كما أنّ أهل الكتاب ضربان، وليس كذلك. اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: (نعيم بن مسعود) الصواب عروة بن مسعود، وقد أسلم. وقوله: لعنة الله عليهما، الصواب: لعنة الله عليه، أي على الوليد بن المغيرة، لأنه ما أسلم.

قوله: (والثانية مزيدة لاستغراق الخير) أي لتأكيد العموم، والاستغراق المستفاد من كون (﴿خَيْرٍ﴾) نكرة واقعة في سياق النفي بواسطة وقوع عامله في

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزلَ عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوّة مَن يشاء ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فيه إشعار بأن إيتاء النبوّة من الفضل العظيم. ولما طعنوا في النسخ (فقالوا: ألا ترون) إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا نزل.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ تفسير النسخ لغة التبديل، (وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق) الذي تقرر في أوهامنا استمراره

سياق النفي؛ لأن خيرًا فاعل (﴿أَن يُنَزَّلَ﴾) وهو في محل النصب على أنه مفعول (﴿يَوَدُّ﴾) الداخل عليه ﴿ما﴾ النافية، وبواسطته يكون خيرًا أيضًا واقعًا في سياق النفي فيعمّ، فتفيد ﴿من﴾ الاستغراقية زيادة الاستغراق، فليست زائدة زيادة محضة، بل إنما يؤتى بها لفائدة زائدة على أصل المعنى؛ وذلك لا ينافي كونها زائدة بالنسبة إلى أصل المعنى. **قوله: (فقالوا: ألا ترون)**... الخ. يريدون الطعن في الإسلام وتوهين عزيمة مَنْ أراد الدخول فيه، يقولون: إنّ محمدًا يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه؛ كما أمر في حدِّ الزنا بإيذائهما باللّسان، حيث قال: ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: الآية ١٦]، ثم جعله منسوخًا، وأمر بإمساكهنّ في البيوت ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: الآية ١٥]، ثم جعله منسوخًا بقوله: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: الآية ٢]، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا ناقض بعضه بعضًا، كما أخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: الآية ١٠١].

قوله: (وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق)[1]... الخ. ذكر صاحب الميزان: أنّ الحد الصحيح أن يقال: هو بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق

---

(١) الغير المقيد بالوقت والتأبيد. ١٢ منه.

بطريق التراخي فكان تبديلًا في حقنا بيانًا محضًا في حق صاحب الشرع. **(وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه ـ أعني اليهود ـ**

الذي في تقدير أوهامنا استمراره بطريق التراخي، فتقييد الحكم بالمطلق احتراز عن الحكم المقيّد بتأبيد أو توقيت، فإنه لا يصح نسخه، والشارع لمّا أطلق الحكم المنسوخ، أي بأن لم يبيّن توقيته وانتهاءه في وقت كذا حين شرع كان ظاهره البقاء والاستمرار بالنسبة إلى البشر؛ لأن إطلاق الأمر شيء يُوهمنا بقاء ذلك على التأبيد، فكان نسخه بالنسبة إلى العباد إزالة ورفعًا لما كان ظاهر الثبوت؛ إلّا أنه بالنسبة إلى صاحب الشرع بيان محض لانتهاء الحكم الأوّل ليس فيه معنى الرفع؛ لأنه كان معلومًا عند الله تعالى أنه ينتهي في وقت كذا بالناسخ، فكان الناسخ بالنسبة إليه تعالى بيانًا لانتهاء الحكم. وأمّا نحن، فلما توهمنا الثبوت والاستمرار كان نسخه بالنسبة إلينا رفعًا وتبديلًا وتوصيف صاحب الميزان هذا الحدّ بالصحة إشارة منه إلى أن تعريفه بالرفع غير صحيح بناءً على أنّ ما ثبت من الحكم في الماضي لا يُتصوّر إزالته ورفعه، وما في المستقبل لم يثبت بعد، فكيف يُرفع ويبطل؟ ولذلك اختار المصنف[١] رحمة الله تعالى عليه تعريف صاحب الميزان، حيث قال: وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المُطلق... الخ. فإنْ مَنْ قال لعبده: اعمل كذا، ثم منعه عنه نصف النهار كمَنْ قال له بكرة: اعمل كذا إلى نصف النهار. **قوله: (وفيه جواب عن البداء)** في المصباح: بدا يبدو بُدُوًّا ظهر فهو بادٍ، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أبْدَيْته وبدا له في الأمر ظهر له ما لم يظهر أوّلًا، والاسم البداء مثل سلام. اهـ باختصار.

وفي تاج العروس: البداء استصواب شيء عُلِم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله غير جائز. وقال السهيلي في الرَّوْض: والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهّمه الجَهَلة من الرافضة واليهود، وإنما هو تبديل حكم يحكم بقدر قدره، وعلم قد تمّ علمه. اهـ. **(الذي يدّعيه منكروه أعني اليهود)** اعلم أنّ اليهود أنكروا النسخ زاعمين أنّ ذلك هو البداء ولا يفعله إلّا مَنْ يجهل العواقب ويتجدّد له رأي بعد رأي، فكان القول بجواز النسخ مؤدّيًا إلى القول بجواز البداء على الله عزّ وجلّ وذلك كفر؛

---

(١) وفاته سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة. ١٢ منه عم فيضه.

ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد، ثبت نصًا أو دلالة. وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافًا للمعتزلة. وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنّة متفقًا ومختلفًا

لأن البداء ينشأ عن الجهل بعواقب الأُمور، فإنّه عبارة عن الظهور بعد الخفاء من قولهم: بدا له الأمر الفلاني إذا ظهر له ذلك بعد خفائه. قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧]، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٨]، أي ظهر لهم بعد الخفاء تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهذه الشبهة إنما نشأت عن عدم الفرق بين النسخ والبداء، وبينهما فرقٌ واضح بناءً على أن النسخ في الحقيقة ليس إلّا انتهاء مدَّة الحكم السابق التي هي غَيْب عن العبادة قبله، ولو وقّت الشارع حكمًا في ابتداء شرعه بأنْ قال: شرعت الحكم الفلاني إلى الوقت الفلاني، لصحّ ذلك من غير لزوم بداء، فكذا إذا بيّن أمرًا متراخيًا عن زمان شرعه بإنزال ناسخه بعده مع علمه في الأزل بأنّ تكليف العباد بذلك الحكم ينتهي في ذلك الوقت، وأنهم مكلّفون بعده بحكم آخر، وليس يلزم على هذا شيء من البداء؛ إذ لم يظهر للشارع رأي متجدّد.

قوله: (ومحلّه) أي محلّ النسخ **(حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه)** لا يكون واجبًا لذاته كوجوب الإيمان، ولا ممتنعًا لذاته، كحرمة الكفر **(لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصًا أو دلالة)**؛ فالتوقيت لا نظير له في الشرع والتأبيد الذي ثبت نصًا، مثل قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [النّساء: الآية ٥٧]، والتأبيد الذي ثبت دلالةً مثل سائر الشرائع التي قبض عليها رسول الله ﷺ، **(وشرطه التمكّن من عقد القلب دون التمكّن من الفعل خلافًا للمعتزلة)**، يعني يكون زمان الفصل بين المنسوخ والناسخ قدر ما يتمكّن فيه من الاعتقاد على المنسوخ ثم ينزل الناسخ، ولا يشترط زمان التمكّن من فعل المنسوخ خلافًا للمعتزلة، **(وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنّة متّفقًا ومختلفًا)**، أي يجوز نسخ الكتاب بالكتاب وبالسنّة، وكذا يجوز نسخ السنّة بالسنّة وبالكتاب عندنا، وعند الشافعي رحمه الله: لا يجوز نسخ الكتاب إلّا بالكتاب، ولا السنّة إلّا بالسنّة تمسّكًا بأنه لو جاز نسخ الكتاب بالسنّة ليقول المنكرون المجادلون أنّ الرسول أوّل من كذّب الله تعالى، فكيف نؤمن بالله بسبب تبليغه، وكذا لو جاز نسخ السنّة بالكتاب ليقول الطاعنون

ويجوز نسخ التلاوة والحكم)، والحكم (دون التلاوة، والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافًا للشافعي رحمه الله).

إنّ الله كذب رسوله أوّلًا، فكيف نؤمن به في دعوى النبوّة، ونحن نقول: إنّ النسخ ليس بتبديل في الواقع، بل هو بيان محض، فجاز أن يبيّن الله مدّة انتهاء كلام رسوله أو رسوله مدّة انتهاء كلام ربّه.

وأمّا الطعن، فلا مفرّ عنه في المتّفق أيضًا على ما عرفت، هكذا في الأصول. ولا يقال: إنّ قوله: (﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾) يقتضي عدم جواز النسخ الكتاب بالسنّة؛ إذ السنّة ليس بمثل الكتاب ولا بخيرٍ منه، لأنّا نقول: ليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللّفظ، بل في النفع والثواب، ويجوز أن يكون السنّة خيرًا من الكتاب أو مثلًا له فيهما، وهو مما يأتي به الله بدلًا من الكتاب، وعلى هذا يبطل أيضًا ما يتمسّك بالآية من أنّه لا يجوز النسخ بلا بدل وببدل أثقل إذا النص يقتضي أن يأتي ببدل هو ساواه أو أخفّ منه؛ وذلك لأنّه يجوز أن يكون عدم الحكم أو الحكم الأثقل خيرًا وأصلح في النفع والثواب والنسخ قد يُعرف بغير الناسخ أيضًا، كذا ذكره القاضي البيضاوي. ولكن يناقض ما نقلنا من مذهب الشافعي رحمه الله والناسخ الخير كنسخ الصلوات الخمسين بالخمس ونسخ الميراث بالهجرة بالميراث بالقرابة ونسخ الصوم من اللّيل بالصوم من اليوم ونسخ قتل الواحد للعشر في الجهاد بقتل الواحد للاثنين والناسخ المثل كنسخ بيت المقدس بالكعبة، صرّح به الإمام الزّاهد، والنسخ بلا بدل كما في سورة المجادلة من قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [الآية ١٢]، وفي سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ [الآية ١٨٧] الآية، صرّح بذلك عضد الملّة والدِّين والناسخ الأثقل كنسخ التخيير في شهر رمضان بعزيمة الصيام، ونسخ الصفح والعفو بقتال الذين يقاتلونكم، ثم نسخه بقتالهم كافّة، صرّح به فخر الإسلام.

قوله: (ويجوز نسخ التلاوة والحكم) جميعًا؛ كقول عائشة رضي الله تعالى عنها: كان مما يُتلى عليكم في كتاب الله عشر رضعات تحرّمن، ثم نسخ بخمس رضعات تحرّمن. ورُوِيَ عن أنس رضي الله تعالى عنه أنّه قال: كنّا نقرأ سورة

....

تعدل سورة التوبة ما أحفظ منها إلّا هذه الآية: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولو أن له ثالثاً لابتغى إليه رابعًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب فيتوب الله على من تاب). ورُوِي أن سورة الأحزاب كانت مائتي آية أو ثلاثمائة والآن بقي على ما في المصاحف وهو ثلاثة وسبعون آية، وكذا سورة الطلاق كانت أطول من سورة البقرة.

ونسخ الحكم **(دون التلاوة)** وهو المعروف من النسخ في القرآن، فتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة إلّا أنّ المنسوخة لا يعمل بها مثل عدّة المتوفى عنها زوجها كانت سنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٠]، ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر لقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٣٤]؛ وكمصابرة الواحد لعشرة في القتال نُسخت مصابرة الواحد للاثنين، قال تعالى أوّلًا: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] الآية، ثم قال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] الآية، ثم قال: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦]، وكآية الإيذاء والإمساك ونحوها.

ونسخ **(التلاوة دون الحكم)** كآية الرجم، كما رُوي: «مما يُتلى عليكم في كتاب الله الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة»، ورُوِيَ عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: كنّا نقرأ سورة تعدل سورة الأحزاب بسورة البقرة حتى رفع منها آيات منها: «الشيخ والشيخ إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم». ورُوِيَ عنه أيضًا أنّه قال: كنّا نقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم فإن ذلك كفر بكم»، (ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص. فإنه نسخ عندنا خلافًا للشافعي رحمه الله)، أي نسخ الوصف الذي في الحكم، وذلك كالمطلق إذا قيّد، كما أن النصّ يقتضي غسل الرّجلين مطلقًا، والحديث المشهور في باب المسح على الخفّين يقتضي مسحهما حين لبس الخفّين، وذلك تقييد للمطلق وزيادة على النصّ، وهو نسخٌ عندنا خلافًا للشافعي رحمه الله تعالى، فإنّه عنده بيان.

(والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب «أو ننسأها») مكي (وأبو عمرو أي نؤخرها من نسأت أي أخرت ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي نأت بآية خير منها للعباد) أي بآية العمل بها أكثر للثواب. ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض.

قوله: (والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب) بأن لا تبقى في حفظهم، وقد وقع هذا؛ فإنّ بعض الصحابة أراد قراءة بعض ما حفظه فلم يجده في صدره، فسأل النبيّ ﷺ فقال: «نُسِخ بالبارحة من الصدور».اهـ شهاب رحمه الله. وهكذا قال القاضي البيضاوي.

ويُفهم منهما[١] أنّ الإنساء يشترط فيه نسيان المنسوخ والنسخ لم يشترط فيه ذلك، وبعضهم حملوا النسخ على إزالة الحكم من غير اللّفظ أو الحكم مع اللفظ، والإنساء إزالة اللفظ فقط ثبت الحكم أو لم يثبت، وبعضهم على أنّ النسخ لا يكون إلّا في الأمر والنهي دون الخبر، والإنساء يكون في الإخبار وفي الأمر، والنهي جميعًا لكن معناه في الخبر لا يزول، وإن زال اللفظ؛ هكذا أفاده بعض محشي البيضاوي. وقد أجمل في ذلك صاحب الكشاف، حيث قال أوّلًا: ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها، ثم قال: والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب، والمعنى أنّ كل آية نذهب بها على ما تُوجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معًا، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل نأتِ بآيةٍ خير منها للعباد، أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك؛ هذا كلامه. ونحن نقول: إنّ أهل الأُصول لم يذكروا المنسي أصلًا، وأنّ منسوخ التلاوة والحكم جميعًا لم نجد له مثالًا ولم نذكره، فيمكن أن يكون ذلك مما يذهب من القلوب، فيدخل في المنسيّ، فيكون المراد من قوله: (﴿نَنسَخْ﴾) منسوخ أحدهما فقط، ومن قوله: (﴿أَوْ نُنسِهَا﴾) منسوخ التلاوة والحكم جميعًا، وإنما أعادها مع دخوله في المنسوخ إظهارًا لكماله في النسخ، حيث لا يبقى منه أثر لا في اللفظ ولا في المعنى، وهذا مما تفرّد به خاطري ولله الحمد على أن جعله موافقًا لكلام الإمام الزّاهد في ترجمة الآية. ثم إنّه لا يتعلّق لنا غرض بتفاصيل

---

(١) أي من كلام المصنف وكلام القاضي البيضاوي رحمة الله عليهما. ١٢ منه عم فيضه.

....

القسمين، أعني منسوخ التلاوة والحكم جميعًا، ومنسوخ التلاوة دون الحكم؛ إذ ليس من ذلك في القرآن شيء، وإنما يتعلّق ذلك بمنسوخ الحكم دون التلاوة؛ إذ لا بدّ من العلم به لكل مَنْ يعمل بالقرآن ويستنبط منه مسائل ليعمل عند التعارض بالآخر دون الأوّل، وهذا موقوف على معرفة أنّ أيّ سورةٍ ـ أي آية ـ من القرآن نزل أوّلًا، وأيًّا منها نزل ثانيًا، وأن أيًّا منها مكّي، وأيًّا منها مدني حتى يكون المقدَّم منسوخًا والمؤخر ناسخًا، وأن أي سورة تشتمل المنسوخ والناسخ جميعًا، وأيُّها تشتمل المنسوخ أو الناسخ فقط، وأيّها تخلو عنهما جميعًا، وأن أي فرق بين التخصيص والنسخ، وأي آية تحتمل النسخ أوّلًا، وقد بيَّن كل ذلك صاحب الإتقان بما لا يُتصوّر المزيد عليه، وها أنا أعد عليك تفصيل آيات منسوخة الحكم دون التلاوة وقفتُ عليها باستقراء الكتب.

فاعلم أوّلًا أن الآيات التي ذكر فيها العفو والصفح، مثل قوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: الآية ٤٨]، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: الآية ٦]، أو النهي عن القتال ابتداءً، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٠]، أي لا تبدؤوا بالقتال كلّها منسوخة بالآيات التي أُمِرْنا فيها بالقتال، مثل قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: الآية ٣٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥]، وكلاهما غير مقصور في القرآن. وقال الإمام الزّاهد: إنّ قريبًا من سبعين آية نُسِخت بآيات القتال. وقال صاحب الإتقان: مائة وأربعة وعشرين آية نُسِخت بقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥]، ثم إنّ هذه الآية تدلّ على حُرْمة القتال في الشهر الحرام، ومثلها قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢١٧]، وقوله: ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: الآية ٢]، وكل ذلك منسوخ بالآيات المطلقة، وكذا تدلّ هذه الآية على جوازه في المسجد الحرام ابتداءً وانتهاءً، وليس كذلك، فهي مخصوصة بقوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٩١]، صرّح به صاحب المدارك، وإن قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: الآية ٣٦] وأمثاله

....

يدلّ على وجوب القتال للذميّ أيضًا كالحربي، فهو منسوخ بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة: الآية ٢٩]، وهذه واحدة في القرآن؛ وكذا يدلّ أمثاله على وجوب القتال على المعذورين أيضًا، سيّما قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: الآية ٤١]، فإنّه قيل: معناه انفروا إلى القتال صحاحًا ومراضًا، فهو منسوخ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة: الآية ١٢٢]، وقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ [التوبة: الآية ٩١]، وقوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ [النور: الآية ٦١].

والحاصل أنّ القتال يجب ابتداءً في غير المسجد الحرام، وانتهاءً فيه على المؤمنين الغير المعذورين للحربي دون الذميّ، سواء كان في الشهر الحرام أو في غيره. وإذا علِمْت هذا، فاعلم أنّ ما سواها من المنسوخات معدودة:

فمن سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية ١١٥]، قال ابن عباس: إنها تدلّ على أنّ التوجّه إلى الكعبة ليس بشرط، فهي منسوخة بآية القبلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: الآية ١٤٤]. وقيل: إنها محمولة على ما إذا كانت القبلة غير معلومة في ليلةٍ مظلمة، وهي مسألة التحرّي أو على صلاة النفل على الرّاحلة حيث تجوز الصلاة إلى أيِّ جهةٍ توجّهت الراحلة، وفي الآية توجيهات أُخر أيضًا كما سيجيء.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ [البقرة: الآية ١٧٨]، قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: إنها تدلّ على أنه لا يجوز قتل الحرّ بالعبد، ولا الذكر بالأنثى؛ فهي منسوخة بآية المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [الآية ٤٥]، وعند الشافعي رحمه الله تعالى: لا يجوز قتل الحرّ بالعبد ولا الذّكر بالأُنثى، فهي منسوخة عنده.

....

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٠]، وقال أكثر الفقهاء: إنه يدلّ على فرضية الوصية للوالدين والأقربين، والحال أنه لا يجوز لهم سوى الميراث، فهو منسوخ بآية الميراث، أو بحديث: «ألَا لا وصية لوارث»، أو بالإجماع. وقال بعضهم: إنّه ليس بمنسوخ، ولكنه مجمل، وآية الميراث بيان له. وأمّا ما قيل إنه محمول على ما إذا كان الوالدان كتابيين أو عبدين أو كان الأقرب محجوبًا بغيره، فيكونوا غير وارثين، فيجوز لهم الوصيّة على ما قال الإمام الزاهد فضعيف؛ إذ لا يلزم حينئذ من جواز الوصية فرضيّتها إلّا أن يكون معناه كتب على سبيل الاستحباب، كما هو رأي صاحب الهداية والمدارك.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣]، قال صاحب الإتقان: إنها تدلّ على تشبيه صيامنا بصيامهم، والحال أنّ صومنا من الصبح إلى المغرب، وصومهم من العشاء إلى المغرب، فهي منسوخة بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] الآية، وقيل: إنّ هذا التشبيه في حقّ وجوب الصوم فقط. وأنّ قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧] الآية ناسخٌ لما كان في السنّة، لا لقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣]، فهي باقية.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٤]، قالوا: إنها تدلّ على أنّ مَنْ أطاق أداء الصوم يجوز له أن يفطر ويطعم لكل يوم مسكينًا، وليس كذلك؛ فهي منسوخة بالآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٥]، فإنه أمرٌ بوجوب الصوم لكلّ مَنْ شهد الشهر. وقيل: إنّ هذه الآية محكمة وكلمة لا مقدّرة، يعني مَنْ لم يُطِق أداء الصوم يفطر ويطعم لكل يوم مسكينًا، فحينئذٍ يثبت منه مسألة الشيخ الفاني.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٩]، قال صاحب الحسيني والمدارك والإمام الزاهد: العفو هو الفضل، فهو يدلّ على

....

وجوب صرف كل المال الفاضل عن الحاجة ولا يفرض الصرف إلّا بمقدار ربع العشر، فهو منسوخ بآية الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٠]، قالوا: إنّ هذه الآية تدلّ على وجوب الوصية للمنكوحات حين الموت والسكنى، ووجوب العدّة حولًا كاملًا؛ فوجوب الوصية منسوخ بآية الميراث الذي هو الربع والثُّمن والسكنى منسوخ عندنا بحديث: «لا سكنى»، وثابت عند الشافعي رحمه الله: ووجوب العدّة إلى الحول منسوخ بآية قبله، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٣٤]. وما من ناسخ في القرآن إلّا وهو متأخر عن منسوخه تلاوةً، كما أنه مؤخّر عنه نزولًا، إلّا في موضعين: أحدهما هو هذا، والثاني هو ما سيأتي في الأحزاب، صرّح به في الإتقان. وعندي أنه في أكثر من موضعين كما ينكشف عليك. ثم هذه الآية الناسخة تدلّ على أنّ عدَّة متوفّى الزوج أربعة أشهر وعشرًا، سواء كانت حاملًا أو لا، وليس كذلك؛ بل عدَّة الحامل وضع الحمل فهي فيما اجتمع متوفّى الزوج والحاملة منسوخة بآية الطلاق، وهي قوله: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: الآية ٤]، وهذا عندنا وعند الشافعي رحمه الله. وقيل: هذه الآية الناسخة غير منسوخة، بل تعتدّ الحاملة المتوفّى عنها زوجها بأبعد الأجلَيْن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢]؛ فالأوّل يدلّ على أن الكاتب يجب عليه كتاب الدَّيْن في بيع السَّلم. والثاني على وجوب تحمّل الشهادة على الشاهد، فقيل: هما منسوخان بقوله فيما بعد: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢]، على أن يكون ﴿وَلَا يُضَآرَّ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢] مبنيًّا للمفعول. وقيل: إنهما محمولان على النّدب أو باقيان على وجوبهما، أو أنّ الثاني محمول على أداء الشهادة بعد التحمّل، والأوّل على وقت الضّيق فقط.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤]، قيل: إنه يدلّ على أن المرء مؤاخذ بكلّ ما خطر به قلبه من

....

الذنوب، وليس كذلك؛ إذ هو تكليفٌ بما لا يطاق، فنسخ الآية التي بعد، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]، والمحقِّقون على أنه غير منسوخ؛ إذ النسخ إنما يكون في الأحكام دون الإخبار، فيحمل على كسب النفس دون الخطور المحض، أو على خطرة الكفر دون سائر الذنوب.

ومن سورة آل عمران أنّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [الآية ١٠٢] يدلّ على وجوب حق التقوى، وهو خارج عن طوق البشر والتكليف به محال، فهو منسوخ بآية التغابن، وهي قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [الآية ١٦]، والأكثرون على أنه مجمل، والثاني بيان له.

ومن سورة النساء، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [الآية ٨]، قيل: يدلّ على وجوب إعطاء شيء من التّركة للمذكورين حين القسمة، فهو منسوخ بآية الميراث. وقيل: إنه ليس بمنسوخ تهاون الناس في العمل به كما في الاستئذان والتقوى، وقيل: إنه أمر ندب، فهو باقٍ البتّة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النّساء: الآيتان ١٥، ١٦]، هاتان الآيتان في باب حدّ الزنا، الأُولى تدلّ على أنّ حدَّ الزنا الحبس في البيت إلى حين الموت أو جعل سبيل آخر، وأن شهداء الزّنا لا بدّ أن تكون أربعة. والثانية تدلّ على أنّ حدّه الأذى فقط، فقالوا: كان في بدء الإسلام العمل بالثانية، ثم نسخ بالآية الأُولى، فيكون حدّه الحبس، ثم الآية الأُولى في حقّ الحبس منسوخة بآية النور، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النّور: الآية ٢]، وفي حقّ وجوب الشهداء الأربعة باقية. وقيل: إنّ الأُولى في باب السحاقات، والثانية في باب اللّواطين، فكلّ منهما باقٍ على حاله.

....

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: الآية ٢٤]، قيل: إنه كان في شأن المتعة، وكان مشروعًا في أوّل الإسلام ثم نُسِخ بالسنّة. وقيل: إنّ المراد من استمتعتم نكحتم، ومن أجورهنّ مهورهنّ، فهو باقٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء: الآية ٣٣]، هذه الآية في وراثة الموالاة منسوخة عند الشافعي خاصّة، وباقية عندنا؛ إذ عقد الولاء ثابتٌ عندنا، وغير ثابت عنده.

ومن سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية ٤٢]، قالوا: إنه يدلّ على أنّ رسول الله ﷺ كان مخيّرًا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم فهو باقٍ على حاله، كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله، أو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: الآية ٤٩]، وهو قول ابن عباس، وإليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله على ما في الكشاف.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٥]، قال صاحب الإتقان: إنّ أوّله يدلّ على ترك الأمر بالمعروف، فهو منسوخ بآخره، وهو قوله: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٥]؛ لأن معناه إذا اهتديتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦]، هذه الآية مع الآية التي بعدها طويلة تدلّ على أنّ شهادة الذميّ جائزة؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦]، فهو منسوخ بآية الطلاق، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: الآية ٢]، وعلى أنّ تحليف الشاهد جائز بقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦]، فهو منسوخ بالسنّة، وإنْ كان المراد بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٦] مِنْ أجانبكم وبالشاهدين الوصيّين لم يكن منسوخًا.

ومن سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية ٦٨]، أي ينسينك الشيطان النهي عن مجالستهم، فلا تقعد معهم بعد أن تذكر النهي، فهو يدلّ على حرمة القعود مع الكافرين، ثم نُسِخ بالآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٩]؛ فأوجب الذِّكر ورخّص في القعود، على ما في الزاهدي. ويُفهم من الهداية أنه محكم والظالمين المبتدعين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٨]، قال الإمام الزاهد: إنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: الآية ٢١]، وبقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: الآية ٧٣]، وفي الحسيني والكشاف عكس ذلك، وهو أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨] الآية، قالوا: أتهجون آلهتكم كما تسبّون آلهتنا؟ فنزل قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٨] الآية.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٤١]، قيل: إنّ المراد بالحقّ ما كان إيتاؤه واجبًا في أوّل الإسلام، ثم نُسِخ بالزكاة. والأصح أنّ المراد زكاة الثمار، وهو العشر أو نصفه، فهو غير منسوخ.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٥]، فإنّه يدلّ على عدم حرمة أشياء أُخر، مع أنها حرام. وقال عضد الملّة والدِّين: إنه قيل: هو منسوخ بما رُوِيَ أنه عليه السلام نهى عن أكل كل ذي نابٍ من السِّباع وهو خبر واحد، ثم أطال الكلام في جوابه على ما يأتي.

ومن سورة الأعراف، قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الآية ١٩٩]، قال صاحب الإتقان: قيل: إنه من عجيب الآية؛

....

إذ أوّله منسوخ وآخره منسوخ وأوسطه مُحكم، يعني: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الآية ١٩٩] فإنه يدلّ على فرضية الأمر بالمعروف وأخذ الفضل من المال، والإعراض عن الكفار.

ومن سورة الأنفال، قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الآية ١]، فإنّه إنْ كان المراد بالأنفال الغنائم، ويكون اللام في ﴿لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ [الأنفال: الآية ١] للملك فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: الآية ٤١] على ما نصّ به الإمام الزّاهد إن كان المراد بالأنفال ما يشترط الإمام زيادة على سهم، أو يكون معنى لله والرسول أن قسمته لهما، فهو باقٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٦٥]، فإنه يدلّ على أنّ الكفار إنْ كانوا مضاعفين من المسلمين عشر درجات يحرم الفرار، وإنما يحرم إذا كانوا مضاعفين عنهم بدرجة واحدة، فهو منسوخ بالآية المتصلة به، وهي قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: الآية ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ۚ﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]، فإنّه يدلّ على أنّ الميراث بالهجرة دون القرابة، فهو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: الآية ٧٥].

ومن سورة النور، قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الآية ٣]، الأكثرون على أنه نهي عن نكاح الزاني مع الصالحة وبالعكس، وليس كذلك فهو منسوخ بقوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ [النور: الآية ٣٢]، فإنه أمرٌ

....

للأولياء بنكاح الصالحين من العبيد والإماء، سواء كان مع الصالحين منهما أو لا، وقيل: إنه نفي وإخبار عمّا كان باقٍ.

وآيات الاستئذان، وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النُّور: الآية ٢٧] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النُّور: الآية ٥٨] الآية، فإنّ الأُولى تدلّ على أنه لا يجوز دخول الأجنبي في بيت الغير بلا إذنه أبدًا، والثانية تدلّ على أنه لا يجوز دخول المماليك والأطفال في الأوقات الثلاثة، فقيل: إنّهما منسوختان، والصحيح من مذهبنا ومذهب الشافعي أنّهما باقيتان، ولكن تهاون الناس في العمل بهما.

ومن سورة القصص، قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [الآية ٢٧]، فإنه في قصة النكاح شعيب على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام بنته موسى على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام على أن يرعى غنمه ثمان أو عشر سنين، فيدلّ على أنّ مهور البنات يأخذها الآباء دون أنفسهن؛ فنُسِخ بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النِّساء: الآية ٤]، لأنه يدلّ على إيتاء المهور للنساء دون الأولياء، نصّ به في الحسيني.

ومن سورة الأحزاب، قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الآية ٥٢]، فإنه ذكر في كتب التفاسير أنه يدلّ على عدم جواز النساء للنبيّ ﷺ بعد التسع، وليس كذلك؛ لقول عائشة رضي الله تعالى عنها: لا تحرم امرأة على النبيّ عليه السلام حتى قبض، فهو منسوخ بالآية التي قبلها، وهي قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: الآية ٥١] الآية، وهذا أيضًا مما ناسخه مقدّم تلاوةً مؤخّر نزولًا.

ومن سورة الأحقاف، قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الآية ٩]، أي من المغفرة والعذاب. قال صاحب الإتقان: إنه

....

مكث ستة عشر سنة ثم نسخ يوم الفتح عام الحُدَيْبِية، يعني بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: الآية ٢]، على ما نصّ به في الكشاف.

ومن سورة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [الآية ٤]، قالت الحنفية: إنه لا يجوز المنّ والفداء عندنا، وإنما يجوز القتل والاسترقاق فقط، وهو منسوخ بآية البراءة. وعند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه باقٍ؛ إذ الإمام مخيَّر بين القتل والاسترقاق والمنّ بالإطلاق والفداء بالمال أو بأسارى المسلمين.

ومن سورة الحجرات، قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الآية ١٣]، قيل: إنه منسوخ، والصحيح أنه باقٍ، لكن تهاون الناس بالعمل به.

ومن سورة المجادلة، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً﴾ [الآية ١٢]، فإنه يدلّ على أنه يجب الصدقة حين سؤال النجوى من رسول الله ﷺ، فهو منسوخ بالآية المتّصلة به، وهي قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية ١٢].

ومن سورة الممتحنة، قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ﴾ [الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ [المُمتحَنة: الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [المُمتحَنة: الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ﴾ [المُمتحَنة: الآية ١١]؛ هذه الأقوال في آيتين متصلتين مفهومهما أنه إذا ذهبت امرأة الكافر إلى المؤمنين يجب عليهم امتحان إيمانها، وأن يعطى زوجها القديم الكافر قدر ما أنفق عليها من المهر وفي عكسه يجب عليهم طلبه من الكفار، وإلّا فلهم قدر ذلك من الغنيمة، ثم نُسِخ بآية السيف والغنيمة أو بالسنّة والأمر الأخير للنّدب.

ومن سورة المزمل، قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [الآية ٢]، الآية تدلّ على فرضيّة القيام والقراءة في أكثر اللّيل، ثم نُسِخ بآخر السورة، وهو قوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمّل: الآية ٢٠]؛ ففرض ذلك قدر ما تيسّر، ثم نُسِخ الآخر أيضًا بالصلاة الخمس.

....

ومن سورة الدهر، قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الآية ٨]، قيل: المراد بالأسير الأسير المشرك، ولا يجوز الإحسان إليه الآن، فهو منسوخ على ما في الإتقان. وعند عامّة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام، ولا يصرف إليهم الواجب؛ كذا في الكشاف.

هذه آيات منسوخة وناسخة أوردتهما هٰهنا مجملًا وسنبيّن كثيرًا منهما في محالهما مفصّلًا إن شاء الله تعالى، وإن عدت الآيات التي ترفع ما كان في الجاهلية أو في أوّل الإسلام أو في شرائع مَنْ قبلنا، ولم يكن في القرآن شيء يوافقه ناسخه؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٩] ونحوه، لزاد تعداد الناسخ منه على المنسوخ منه، ويكون أكثره ناسخًا. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: («أو ننسأها») بفتح النون والسين وبالهمزة المجزومة (مكي) أي ابن كثير المكّي، (وأبو عمرو) البصري، (أي نؤخرها من نسأت أي أخرت) في الصّحاح: نسأت الشيء نسأ أخّرته، وكذا أنسأته فعلت وأفعلت بمعنى، الأصمعي: أنسأ الله أجله ونسأ في أجله بمعنى، ولعلّ المراد من تأخير الآية تأخير إنزالها بأن يتركها في اللّوح المحفوظ، أو مع الملائكة في السماء ولا ينزلها إلى الوقت المقدّر لإنزالها، وإن كانت للخلق منافع متعلّقة بها، وقد تقرّر في الأُصول أنّ المجمل وإن لم يجز أن يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إلى الفعل إلّا أنه يجوز أن يؤخر عن وقت الخطاب، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القِيَامَة: الآية ١٩]، أمره أوّلًا بأن يتبع قراءة ما قرأه عليه بلسان جبريل عليه الصّلاة والسّلام، ويكرّرها إلى وقت ترسخ في ذهنه، ثم ذكر بيان ما أشكل عليه من معانيه بكلمة ثم، فعلم أنّ البيان يجوز كونه متراخيًا عن وقت الخطاب إلى الوقت المقدّر له، إلّا أنه تعالى لا يترك العباد قبل ذلك الوقت سُدى، بل يأتي بما هو خيرٌ لهم بالنسبة إلى الآية التي أخّر إنزالها أو يأتي بمثلها في النفع به، فمعنى «أو ننسأها» أو نؤخر إنزالها إلى وقتٍ ثان، فنأتِ بدلًا منها في الوقت المتقدّم ما يقوم مقامها. اهـ شيخ زاده رحمه الله.
وقرأ الباقون: (﴿نُنسِهَا﴾) بضم النون وكسر السين من الإنساء والنسيان ضدّ الحفظ، أي نُمحها عن قلبك. رُوِي عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف أنّ قومًا من

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ناصر يمنعكم من العذاب.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ «أم» منقطعة وتقديره بل أتريدون ﴿أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ رُوِيَ أن قريشًا قالوا: يا محمد اجعل لنا **(الصفا)** ذهبًا ووسع

الصحابة رضي الله تعالى عنهم قاموا ليلة ليقرأوا سورة، فلم يذكروا منها بسم الله الرحمٰن الرحيم، فغدوا إلى النبيّ ﷺ فأخبروه، فقال رسول الله ﷺ: «تلك السورة رُفِعت تلاوتها وأحكامها». اهـ مظهري. وفي الإتحاف: والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز من الترك، أي نترك إنزالها، قاله الضحاك. اهـ. وقيل: معناه نتركها، أي لا ننسخها؛ كما قال الله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، يعني تركوه فتركهم، وهذا غير مستقيم؛ لقوله تعالى: (﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾)، فإنها تدلّ على إزالتها. اهـ مظهري.

قوله: **(أي نأت بآية خير منها للعباد)**... الخ. يعني أن تفضيل الآيات بعضها على بعض ليس بحسب أنفسها وألفاظها؛ لأن الآيات كلّها كلام الله تعالى، فلا يتفاضل بعضها على بعض في أنفسها، من حيث إنها كلام الله ووحيه وكتابه، بل التفاضل فيها إنما هو بحسب ما يحصل منها للعباد في الآخرة أو في الدنيا أو فيهما.

قوله: (الصفا) موضع بمكّة. اهـ مصباح. ومختار الصحاح وفي القاموس: الصفا من مشاعر مكّة بلحف أبي قُبَيْس. اهـ. وفي لسان العرب: الصّفا والمروة جبلان وبينهما بطحاء مكّة والمسجد، وفي الحديث ذكرهما، والصفا اسم أحد جبلي المسعى، والصفا موضع بمكّة، والصفا صخرة ملساء. اهـ.

لنا أرض مكة فنهوا (أن يقترحوا) عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا إلـٰهًا. ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ (ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها) واقترح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصده ووسطه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ أن يردوكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ حال من «كم» أي يردونكم عن دينكم كافرين، نزلت حين قالت اليهود للمسلمين (بعد وقعة أُحُد): ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما (هزمتم) فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم. ﴿حَسَدًا﴾ مفعول له أي لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (يتعلق بـ ﴿وَدَّ﴾) أي ودّوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودّوا ذلك ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي من بعد علمهم بأنكم على الحق، (أو بـ ﴿حَسَدًا﴾) أي (حسدًا بالغًا منبعثًا) من أصل نفوسهم. ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾

قوله: (أن يقترحوا) اقتراح الطلب تحكّمًا. **قوله**: (ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة)... الخ. فسّره بترك الثقة إلى الاقتراح ليربطه بما قبله؛ لأنه تذييل له على سبيل التهديد والتذييل ما يؤتى به في آخر الكلام بما يشتمل على المعنى السابق توكيدًا له. **قوله**: (وشكّ فيها) عطف تفسيري؛ لأن ترك الثقة بالآيات شكّ فيها.

قوله: (بعد وقعة أُحُد) وكانت غزوة أُحُد في السنة الثالثة في شوّال. **قوله**: (هزمتم) من باب ضرب. **قوله**: (يتعلق بـ ﴿وَدَّ﴾) فهو ظرف لغو. **قوله**: (أو يتعلق (بـ ﴿حَسَدًا﴾) لكونه مصدرًا، والمعنى أي (حسدًا بالغًا) إلى أقصى مراتبه لكونه منبعثًا من أصل نفوسهم، أي من أصل ذواتهم، كأنهم مجبولون عليه كالأمر الجبلي، ولا يكون منبعثًا بسبب الخارج العارض، فإنّ زواله مرجوّ دون ما هو ذاتي له وفيه من المبالغة في التشنيع ما لا يخفى. وفي قوله: (منبعثًا) إشارة إلى أن الظرف مستقرّ، أي متعلّق بمحذوف هو صفة لـ ﴿حَسَدًا﴾.

فاسلك بهم سبيل (العفو) والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بالقتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فهو يقدر على الانتقام منهم.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تجدوا ثوابه عنده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضيع عنده عمل عامل. والضمير في (﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى أي وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا مَن كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا مَن كان نصارى، (فَلفَّ بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله)، وأمنًا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه، ألا

قوله: (العفو) ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه، التثريب التعيير والاستقصاء في اللَّوم، وهو أبلغ من العفو؛ إذ قد يعفو الإنسان ولا يصفح. نُقِل عن الراغب أنه قال: الصفح ترك التثريب، فثبت أن هذا معناه لغةً، والظاهر أن بين العفو والصفح عمومًا وخصوصًا من وجه، وأن ذكر الصفح بعده من باب الترقّي.

قوله: (فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله)... الخ. اللفّ والنشر من المحسنات المعنوية البديعية، وهو ذكر متعدّد على التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل من آحاد هذا المتعدّد من غير تعيّن ثقة بأنّ السامع يردّ ما لكل من آحاد هذا المتعدّد إلى ما هو له مثال ما ذكر فيه المتعدد على سبيل الإجمال، قوله تعالى: (﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾)، والمراد بالمتعدّد الذي لفّ بينهما في الذِّكر هو قول الفريقين، فإنه قد لفّ بين القولين في (قالوا) على سبيل الإجمال، أي قالت اليهود وقالت النصارى، ثم ذكر مقول كل واحد من القولين من غير تعيين لعدم الالتباس والثقة بأنّ السامع يردّ إلى كل ذي قول مقوله، وأن المعنى قالت اليهود لن يدخل الجنّة إلا مَنْ كان هودًا،

ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؟ **(وهود جمع هائد كعائذ وعوذ ووحد اسم «كان» للفظ «من»، وجمع الخبر لمعناه)**. ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ **(أشير بها إلى الأماني المذكورة)** وهي أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارًا، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم. **(والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة)**. ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ **(هلمّوا)** حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة. وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم: «لن يدخل

وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ويحتمل أن يكون المراد بالمتعدّد المذكور إجمالًا هو نفس الفريقين لا قولهما، فإنّ الضمير في قالوا لليهود والنصارى، فقد ذكر الفريقان على طريق الإجمال دون التفصيل، ثم ذكر مقول كل فريق من غير تعيين لعدم الالتباس. **قوله**: **(وهود جمع هائد كعائذ وعوذ)** بمعنى تائب، يقال: هاد إذا تاب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]، سمُّوا بذلك لما تابوا من عبادة العجل، قيل: وكأنه كان في الأصل اسم مدح لمن تاب منهم، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازمًا لجماعتهم، كالعلم لهم؛ كذا قال الراغب: أورد النظير بعائذ وعوذ؛ لأن جمع فاعل على فعل بضم الفاء وسكون العين نادر، والعوذ بالذال المعجمة حديثات النّتاج من الظّباء والإبل والخيل، واحدها عائذ. **قوله**: (﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾) في المختار: النصارى جمع نصران ونصرانة كالندامى جمع ندمان وندمانة، ولم يستعمل نصران إلا بياء النسب. اهـ. وفي المصباح: النصارى جمع نصريّ كمهريّ ومهارى. اهـ. فتخلص أن النصارى له مفردان نصريّ ونصران. **قوله**: **(ووحّد اسم كان للفظ (من) وجمع الخبر لمعناه)** أي إفراد اسم كان المضمر فيه حملًا على لفظ (من)، وجمع خبرها حملًا على معناه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ﴾ [الطّلاق: الآية ١١]، ثم قال: والذين بناء على أن كلمة مَنْ مفردة اللفظ مجموعة المعنى، فأعطى لكل اعتبار حقّه. **قوله**: **(أُشير بها إلى الأماني المذكورة)**... الخ. لمّا كان تلك راجعًا إلى قوله: (﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ﴾)... الخ، وهي أمنية واحدة أجاب عنه بأن المشار إليه متعدّد، وهو ما ذكره. **قوله**: **(والأمنية أُفعولة من التمنّي)** فأصله أُمنوية **(مثل الأُضحوكة)** ما يضحك به وضحكت به ومنه بمعنى. **قوله**: **(هلمّوا)**

الجنة إلا مَن كان هودًا أو نصارى» و(﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ اعتراض). ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

(﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما نفوه) من دخول غيرهم الجنة. ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مصدق بالقرآن. ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ جواب «من أسلم». و«هو» كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط و«بلى» رد لقولهم. ﴿عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ

أي احضروا. **قوله**: (﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ **اعتراض**) أي جملة (﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾) معترضة.

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾ **بلى إثبات لما نفوه**)، كأنّ قائلًا قال: ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما بعد النفي، وهٰهنا ما سبق إلا قولهم: (﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾)، وهي جملة إيجابية؛ لأن الاستثناء بعد النفي إيجاب، فما الوجه في إيراد بلى هٰهنا؟ فأجاب عنه بأنّ قولهم ذلك يشتمل على إيجاب ونفي. أمّا الإيجاب، فهو أن يدخل الجنّة اليهود والنصارى. وأمّا النفي، فهو أن لا يدخل الجنّة غيرهم، فبلى إثبات لما نفوه في كلامهم، فكأنهم قالوا: لن يدخل الجنّة غيرنا، فأُجيبوا بقوله: بلى يدخل الجنّة غيركم، فهو ردٌّ لما نفَوْه.

قوله: (﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) في الآخرة. اهـ. بيضاوي. وأمّا في الدنيا، فإنّهم يخافون من أن يصيبوا الشدائد والأهوال العِظام، قدّامهم ويحزنون على ما فات عنهم من الأعمال الصالحة والطاعات المؤدّية إلى الفوز بأنواع السعادات، فإن المؤمن كما لا يقنط من رحمة الله تعالى لا يأمن من غضبه وعقابه، كما قيل: لا يجتمع خوفان ولا أمنان، فمن خاف في الدنيا أمِنَ في الآخرة حين يخاف الكفّار من العقاب ويحزن المقصّرون على تضييع العمر وتفويت الثواب، فإنّ الخوف إنّما يكون على ما وقع سابقًا، ومَنْ أمِنَ في الدنيا خاف في

عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ **(أي على شيء يصح ويعتد به)**. والواو في ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ للحال **(والكتاب للجنس)** أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحق من حمل التوراة والإنجيل وآمن به ألا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للآخر. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ **(مثل ذلك القول)** الذي **(سمعت)** به ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي **(الجهلة)** الذين **(لا علم عندهم)** ولا كتاب **(كعبدة)** الأصنام **(والمعطلة، قالوا لأهل)** كل دين ليسوا

الآخرة، ولذا لا ينتفي عنهم الخوف والحزن في الآخرة في جميع الأوقات؛ لأنّ كل مؤمن يحصل له الخوف والفزع حين البعث حتى الرُّسل عليهم الصّلاة والسّلام، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: الآية ١٠٩]، فيقول: ماذا أجبتم، قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: الآية ١٠٩] لشدّة فزعهم من هَوْل ذلك اليوم، فوجب أن يكون المراد انتفاءهما عنهم في الآخرة في بعض المواضع وفي بعض الأوقات، بل عند دخول الجنّة؛ كما قال تعالى خبرًا عن أهل الجنّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية ٣٤]. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (أي على شيء يصح ويعتد به)، أي: في الدين وفيه تلويح إلى أنه على حذف الصفة؛ كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: الآية ٤٦]، أي: أهلك الناجين. **قوله: (والكتاب للجنس)**، أي من حيث وجوده في ضمن بعض الأفراد من غير تعيين، فكان المعنى: وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب، وحقّ من تلا كتابًا من كتب الله تعالى وآمن به أن يصدّق ما عداه ولم يحمله على الكتابين المعهودين، وهما التوراة والإنجيل؛ لأن المقصود بالتقييد من الحال توصيفهم بالعلم والتمييز حتى يتفرّع عليه التوبيخ بتسويتهم بالجهّال الذين لا يعلمون الدين ولا يعلمون شرائع الله تعالى وأحكامه، ولا مدخل لحمل الكتاب على المعهود المعيّن في هذه التوبيخ فلذلك حمله على الجنس.

قوله: (مثل ذلك القول)، يريد أن كذلك مفعول، قال: ومثل قولهم مفعول مطلق. **قوله: (سمعت)** بتاء الخطاب. **قوله: (الجهلة)** جمع جاهل، **قوله: (كعبدة)** جمع عابد، **قوله: (لا علم عندهم)** إشارة إلى أن لا يعلمون متروك المفعول. **قوله: (والمعطلة)** بكسر الطاء المشدّدة، طائفة نفوا الصانع. **قوله: (قالوا لأهل)** كل دين بيان وتفسير، لقوله: قال الجهلة.

على شيء، وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك مَن لا يعلم ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي بين اليهود والنصارى (**بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به**).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

(﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾) موضع «من» رفع على

قوله: (**بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به**) بيان للمحكوم به، فإن فعل الحكم يتعدّى بجارَّيْن الباء وفي؛ كما يقال: حكم الحاكم في هذه القضية بكذا، وفي هذا الآية قد ذكر المحكوم فيه بقوله: ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ولم يذكر المحكوم به، فقدّره المصنف رحمة الله عليه بقوله: بما يقسم. . . الخ.

قوله: (﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾). . . الخ. إن هذه الآية تدلّ على أن هدم المساجد وتخريبها ممنوع، وكذا المنع عن الصلاة والعبادة، وإن كان مملوكًا للمانع، وقد أوعد الله تعالى عليه وشنّع عليه الفقهاء، وتمسّكوا بهذه الآية حتى قال في الفتاوى الحمادية من التفسير البستي: احتجّ بعض أصحابنا بهذه الآية في مسألة غصب الساجة، وذلك أنه إذا غصب الرجل ساجة وأدخلها في بنائه ينقطع حقّ صاحبها عنها، ويضمن قيمة الساجة لصاحبها، وعند زفَر رحمه الله لا ينقطع، وله أن يهدم بناؤه ويأخذ ساجته، ولا فَرْق بين أن يكون البناء في مسجد أو دار، فإنه لا يخرب المسجد عندنا وعنده يخربُ، وهو قول الشافعي، فيفرض الكلام فيما لو بنى على الساجة مسجدًا، فإن الله تعالى ذمّ من سعى في خراب المسجد. وعن الحاوي: وسُئِل أبو القاسم عمّن أراد أن ينقض مسجد أو يبنيه أحكم من بناءه؟ قال: لا سبيل له إلى ذلك، إلّا أن يخاف هدمه. وفي الميداني: وتأويل هذه المسألة إذا لم يكن هذا الرجل من أهل هذه المحلة. ومن جامع الفتاوى: مسجد ضاق بأهله ولا يمكنهم أن يزيدوا، فقال رجل: أعطوني المسجد حتى أدخل في داري وأعطي مكانًا من داري في الجانب الآخر يسعكم وهو خير لكم، لا ينبغي أن يعطوه حتى يبنوا مسجدًا، فيستغنوا عن هذا المسجد، فحينئذ لا بأس به. ومن القنية والمسجد إذا استغنى عنه المسلمون ولا

الابتداء وهو استفهام و«أظلم» خبره (**والمعنى: أي أحد أظلم؟** و«أن يذكر» **ثاني مفعولي** «منع») لأنك تقول منعته كذا ومثله ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الإسراء: الآية ٥٩]. ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الإسراء: الآية ٩٤]. ويجوز أن يحذف حرف الجر مع «أن» أي من أن يذكر وأن تنصبه مفعولًا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم. (**والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الأذى**)، ومنعهم الناس أن يصلوا

يصلّون فيه وخُرّب ما حوله يعود إلى صاحبه كما كان إن كان حيًّا، وإلى وارثه إنْ كان ميتًا، وهذا قول أبو حنيفة ومحمّد رحمهما الله. وقال أبو يوسف: يبقى مسجدًا أبدًا، ثم إن تمسّك الإمام الزاهد بقوله: ﴿أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ على أن الاسم والمسمّى واحد؛ لأنه لو كان مغايرًا له لحصل الذِّكر بغير الله تعالى، فيبطل ما زعم المعتزلة من عدم اتحاد الاسم والمسمّى. ونُقِل أيضًا عن الشيخ أبي منصور الماتريدي: أن الآية في حقّ جميع الكفّار؛ لأنهم المانعون عن العبادة والصلاة بالاشتغال بالقتال، وأن المراد بالمساجد الأرض كلّها، وأنّ معنى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ ما كان لهم أن يدخلوا دار الإسلام إلّا بأمان، وأن الخِزْي هو الأمان أو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. اهـ. التفسيرات الأحمدية باختصار. ومن الإشارات قول القشيري: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن﴾ خرب بالشهوات أوطان العبادات، وهي نفوس العابدين أو خرّب بالاشتغال بالغير أوطان المشاهدات. اهـ.

قوله: (**والمعنى أيّ أحد أظلم؟**) أي ليس أحد أظلم. **قوله:** (**وأن يذكر ثاني مفعولي منع**)... الخ. فإنه يقتضي ممنوعًا وممنوعًا عنه، فتارة يتعدّى إليهما بنفسه، كما في قولك: منعته إلّا من، وعليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الإسراء: الآية ٥٩]، ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الإسراء: الآية ٩٤]. وتارة يتعدّى إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجرّ، وهو كلمة عن مذكورة كانت، كما في قولك: منعته عن الأمر، أو محذوفة إذا كانت مع أن، فإن حذف حرف الجر وإيصال الفعل بنفسه جائز، مع أن قياسًا مطّردًا، ويجوز أن تكون الآية من هذا القبيل.

قوله: (**والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الأذى**) الذين غزوا بني إسرائيل مع بعض ملوكهم، فظهروا عليهم وقاتلوا مقاتلهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا

فيه، (**أو منع المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية. وإنما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد**) وهو بيت المقدس (﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) لأن الحكم ورد عامًّا وإن كان السبب خاصًّا كقوله تعالى:

التوراة وهدموا بيت المقدس، وألقوا فيه: الجيف، وجعلوا فيه مزبلة، فلم يزل خرابًا حتى بناه أهل الإسلام في زمان عمر رضي الله تعالى عنه. قيل: لمّا استولى عمر على ولاية كسرى وغنم أموالهم عمّر بها بيت المقدس، فعلى هذا يكون المسجد الذي نزلت الآية فيه هو بيت المقدس، ووجه انتظامها بما قبلها حينئذ أن ما قبلها في ذكر قبح مقالهم، وهذه الآية في تخريب المسجد الذي هو ذكر قبح أفعالهم، فكأنه قيل: كيف تدَّعون أيُّها النصارى أنكم من أهل الجنّة وقد خرَّبتم بيت المقدس ومنعتم المصلّين من الصلاة فيه، مع أنكم تعتقدون في تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود أو أكثر وحملكم على ذلك معاداتكم اليهود وبغضكم إيَّاهم.

قوله: (أو منع المشركين رسول الله) ﷺ **(أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية)** أي سنة ستّ في ذي القعدة، قال الله تعالى في حقّهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح: الآية ٢٥]؛ فعلى هذا وجه اتّصال هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لمّا وصف مشركي العرب بالجهل وسوء القول، حيث قال كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم شرع في ذمّهم وتوبيخهم بقُبْح ما فعلوه في حقّ المسجد الحرام والعابدين فيه، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ﴾... الخ. والحديبية اسم بئر وسمّي بها مكانها، وهي مخفّفة كدويبية على الأفصح، ويجوز تشديدها. **قوله: (وإنما قيل: مساجد الله، وكان المنع على مسجد واحد)**،... الخ. أو جمعها تعظيمًا، أو لأن كل موضع منه مسجد، أي موضع سجود. اهـ. التفسيرات الأحمدية. **وقوله:** (﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) جمعها لما مرّ، وقال العلّامة علي القاري في الفضل المعوّل في الصف الأول سمّاه الله تعالى مساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: الآية ١٨] بصيغة الجمع:

إمّا للتعظيم وإما لكونه قُبلة للعالم ومحراب مساجد بني آدم، وإما لأن جهاته الأربع المكرمة بمنزلة مساجد حول الكعبة المُعظّمة. اهـ.

(﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: الآية ١]) والمنزول فيه (**الأخنس بن شريق**). ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ بانقطاع الذكر والمراد بـ«من» العموم كما أريد العموم بمساجد الله. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ﴾ أي (ما كان **ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله**) ﴿إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ حال من الضمير في «يدخلوها» أي على حال (**التهيب وارتعاد**) الفرائص من المؤمنين

قوله: (﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: الآية ١]) في تفسير الجلالين: (﴿وَيْلٌ﴾ [الهُمَزة: الآية ١]) كلمة عذاب أو وادٍ في جهنّم، (﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: الآية ١]) أي كثير الهمز واللَّمز، أي الغيبة. اهـ. قال القاضي: الهمز الكسر واللّمز الطعن، فشاعا في الكسر من عروض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدلّ على الاعتياد، فلا يقال: ضحكة إلّا للمتكثّر المتعوّد، انتهى. وعن مقاتل: الأول العيب بالغيب والثاني في الوجه، وقيل: باللّسان وبالعين وبالحاجب. وعن الحسن على عكسه. اهـ. كمالين.

قوله: (**الأخنس**) بخاء معجمة ونون وسين مهملة (**ابن شريق**) بفتح الشين المعجمة والقاف في آخره فعيل من شرق، ابن عمرو بن وهب الثقفيّ أبو ثعلبة حليف بني زهرة، اسمه أُبيّ، وإنما لقّب أخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لمّا جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقال: خنس[1] الأخنس ببني زهرة، فسمّي بذلك. ثم أسلم[2] الأخنس، وكان من المؤلفة وشهد حُنينًا ومات في أوّل خلافة عمر رضي الله تعالى عنهما. اهـ. الإصابة.

قوله: (**ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله**)... الخ. دفع لما يتوهّم من أن الله تعالى أخبر بأنهم لا يدخلونها إلّا خائفين، وقد دخلوها آمنين، وقد بقي في أيديهم أكثر من مائة سنة لا يدخله مسلم إلّا خائفًا حتى استخلصه السلطان صلاح الدين. **قوله:** (**التهيّب**) أي المخافة. في القاموس: تَهَيَّبْتُهُ: خِفْتُهُ. اهـ. **قوله:** (**ارتعاد**) الفرائص. في مختار الصّحاح: الارتعاد: الاضطراب، تقول: أرعده فارتعد، والاسم الرعدة بالكسر. اهـ. وأيضًا فيه الفريصة لحمة بين الجنب والكتف

---

(١) في مختار الصحاح: خَنَس عنه: تأخر، وبابه قتل، وأخنسه غيره أي خلفه ومضى عنه. اهـ. ١٢ منه عمّ فيضه.

(٢) عام الفتح وحسن إسلامه. ١٢ منه عم فيضه.

(أن) يبطشوا بهم فضلًا أن يستولوا عليها (ويلوها) ويمنعوا المؤمنين منها. والمعنى: ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم (الكفرة) وعتوهم. رُوِيَ أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكرًا خيفة أن يقتل. وقال (قتادة): لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا بولغ ضربًا. ونادى رسول الله ﷺ ألا لا يحجن بعد هذا العام مشرك. وقيل: معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله (تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]) ﴿لَهُمْ

لا تزال ترعد من الدابّة، وجمعها فريص وفرائص. اهـ. وفي القاموس: الفريص أوداج العنق، والفريصة واحدته، واللَّحمةُ بين الجنب والكَتِف لا تزال تُرْعَد. اهـ. وفي لسان العرب: الفريصة لحمة عند نُغَضِ الكَتِف في وسط الجنب عند منبض القلب، وهما فريصتان تَرْتَعِدان عند الفزع، وفي الحديث: أن النبيّ ﷺ قال: «**إنّي لأكره أن أرى الرجل ثائرًا فريص رقبته قائمًا على مُريته**[1] **يضربها**»، قال أبو عُبيدة: الفريصة المضغة القليلة تكون في الجنب تُرْعَدُ من الدابّة إذا فَزِعَتْ وجمعها فَرِيصٌ بغير ألف، وقال أيضًا: هي اللّحمة التي بين الجنب والكتف التي لا تزال تُرْعَدُ من الدابَّة، وقيل: جمعها فريص وفرائص. قال الأزهري: وأحسب الذي في الحديث غير هذا، وإنما أراد عَصَبَ الرقبة وعروقها؛ لأنها هي التي تثور عند الغضب. وقيل: أراد شعر الفريصة، كما يقال: فلان ثائر الرأس أي ثائر شعر الرأس، فاستعارها للرقبة وإن لم يكن لها فرائص؛ لأن الغضب يثير عُروقَها، والفريصة اللحمُ الذي بين الكتف والصدر، ومنه الحديث: «**فجيء بهما تُرْعَد فرائِصُهما**» أي ترجف، والفريصة المضغة التي بين الثدي ومرجع الكتف من الرجلِ والدابّة. وقيل: الفريصة أصل مرجع المرفقين. اهـ.

قوله: (أن) يبطشوا بهم، أي يحمل المؤمنون عليهم. **قوله:** (ويلوها) أي يتصرّفوا فيها. **قوله:** (الكَفرة) جمع كافر. **قوله:** (قتادة) بن دعامة بكسر الدال المهملة، التابعي البصري رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (كقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٥٣])، فإنه خبر لفظًا والمراد به النهي.

---

(١) مريته تصغير المرأة، استضعاف لها واستصغار ليرى أن الباطش بها في ضعفها مذموم لئيم. اهـ من هامش النهاية. ١٢ منه عم فيضه.

فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ قتل وسبي للحربي وذلّة بضرب الجزية للذمي ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أي النار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ أي بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها ﴿فَأَيۡنَمَا﴾ شرط ﴿تُوَلُّواْ﴾ مجزوم به (أي ففي أي مكان فعلتم التولية) يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: الآية ١٤٤]، والجواب ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ أي جهته التي أمر بها ورضيها.

قوله: (أي، ففي أي مكان فعلتم التولية). . . الخ. أي صرفتم وجوهكم نحو القبلة إشارة إلى أينما ظرف، تولوا لا مفعول به، وأن الفعل المذكور منزل منزلة اللازم، وليس تعلّقه بشيء من مفعوليه مرادًا، بل هما محذوفان نسيًا منسيًا، وكان أصل المعنى: ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة المأمور بها وترك المفعولان لفظًا ونيّته بناء على أنه ليس المقصود بيان الحكم المتفرّع على تعلّقه بالمفعول، وإنّما المقصد بيان عدم اختصاص إمكان فعل التولّي ببعض الأماكن دون بعض، ولو كان أين مفعولًا به لدلّ الكلام على جواز التوجه إلى أيِّ جهةٍ كانت، كما رُوِيَ أنه كان يجوز في الابتداء أن يتوجّه المصلّي في صلاته أي أيّ جهة شاء بهذه الآية، ثم نُسِخت بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٤]، ولم يعتمد المصنّف على صحة هذه الرواية، ولم يجعل الآية لتوسعة جهات التوجه، بل جعلها لتوسعة أماكن التوجّه على معنى أن التوجّه إلى القبلة في أيِّ موضع كان جائز، وجعل الوجه بمعنى الجهة كالوزن، والوعد بمعنى الزنة والعدة، فكأنه قيل: ففي أيّ بقعة من بقاع الأرض صلّيتم وفعلتم التولية، فهناك قبلة الله وجهة أمره، ولمّا كان ظاهره يُوهم اتّحاد الشرط والجزاء أشار إلى دفعه بقوله: التي أمر بها. . . الخ. والمعنى: أن الجهة التي توجّهتم إليها في ذلك المكان هي الجهة التي أمر الله تعالى بالتوجّه إليها ورضيها، وأن التولية المُعتبرة ممكنة في كلِّ مكان لا يختصّ إمكانها في مكان دون مكان. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

(والمعنى أنكم إذا منعتم) أن تصلّوا في المسجد الحرام أو في البيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلّوا في أي (بقعة) شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها، فإن التولية ممكنة في كل مكان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم. (وعن ابن عمر) ﷺ: نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت.

قوله: (والمعنى أنكم إذا منعتم)... الخ. إشارة إلى أن هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ الآية، والمعنى: أن بلاد الله أيّها المؤمنون تسعكم فلا يمنعكم تخريب مَن خرّب مساجد الله أن تولّوا وجوهكم نحو قبلة الله أينما كنتم من أرضه. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (بقعة) في المصباح: البقعة من الأرض القطعة منها، وتُضمّ الباء في الأكثر، فتجمع على بُقَع، مثل غرفة وغرف، وتفتح فتُجمع على بقاع مثل كلبة وكلاب. اهـ.

قوله: (وعن ابن عمر) أي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة، وهي المركب من الإبل ذكرًا كان أو أنثى، والمراد بالصلاة النّافلة. قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: كان رسول الله ﷺ يصلّي وهو مُقبل من مكّة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، لا خلاف بين العلماء في جواز النافلة على الراحلة بهذا الحديث، وما كان مثله، وأجمعوا على أنه لا يجوز لأحد صحيح أن يصلّي فريضة إلّا بالأرض إلّا في الخوف الشديد خاصّة، واختلف الفقهاء في المسافر سفرًا لا يقصر في مثله الصلاة، فقال مالك وأصحابه والثوريّ: لا يتطوّع على الراحلة إلّا في سفرٍ يقصر في مثله الصلاة. وقال الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي وأصحابهما: يجوز التطوّع على الراحلة خارج المصر في كل سفر، سواء كان ممّا تقصر فيه الصلاة أم لا، فعلى تقدير كون الآية نازلة في حقّ المسافر لبيان أنه يصلّي التطوّع حيثما توجّهت به راحلته يكون معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ فإلى أيّ جهة تولوا وتوجّهوا وجوهكم، فتكون أينما مفعولًا به لا ظرف مكان، كما إذا كان خطابًا للمسلمين، بمعنى: لا يمنعكم تخريب مَنْ خرّب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من أرضه. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

(وقيل: عميت القبلة على قوم) فصلّوا إلى **(أنحاء)** مختلفة، فلما أصبحوا **(تبينوا)** خطأهم فعذروا. هو حجة على الشافعي رحمه الله فيما إذا استدبر. وقيل: فأنما تولوا للدعاء والذكر.

قوله: (وقيل: عميت القبلة على قوم)... الخ. أي التبست، يقال: عُمّي عليه الأمر إذا التبس. رُوِي عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أنّه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في غزاة في ليلة سوداء مظلمة، فلم ندرِ أين القبلة، فتحرّينا فصلّى كل واحد منّا إلى جهة تحرّيه، فلمّا أصبحنا تبيّن لنا أنّا قد صلّينا إلى جهات مختلفة، منّا مَنْ صلّى إلى المشرق ومنّا مَنْ صلّى إلى المغرب وإلى غيرهما، فقدِمْنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك، فنزل: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، فحينئذ لا يكون أينما ظرفًا، بل يكون مفعولًا به بمعنى الجهة المتوجّه إليها، أي إلى أيّ جهة تولوا وجوهكم: حال اشتباه جهة الكعبة عليكم بعدما بذلتم نهاية ما في وسعكم من الاجتهاد في إصابتها، فثمّ وجه الله، وقد ذهب أكثر المجتهدين إلى هذا كأبي حنيفة ومالك وسفيان وأحمد رضي الله تعالى عنهم، وقالوا: إذا صلّى في الغَيْم لغير القبلة ثمّ استبان له بعد ذلك أنه صلّى لغير القبلة، فإنّ صلاته جائزة؛ لأن التوجّه إلى عين الكعبة إنما يجب على مَنْ حضرها وشاهدها. وأمّا مَنْ كان غائبًا عنها، فليس له سبيل إلى أصابة عينها مع البُعْد عنها، بل الواجب عليه التوجّه إلى جهة الكعبة، وإنما طريق معرفتها الاجتهاد والاستدلال بالنجوم وغيرها، فإذا فات هذا الطريق الخاص للاجتهاد بسبب الغيم والظلمة، أو بالجهل انحصر طريق معرفتها في الاجتهاد بالتحرّي، فإذا أخطأ الجهة لا يجب عليه الإعادة؛ إذ هو حُكْمٌ مضى بالاجتهاد، فلا ينقض باجتهاد مثله؛ لأنّ الاجتهاد لا يفيد اليقين، فلا ينقض الاجتهاد الأول بالشكّ. وكذا الكلام في كل مسألة اجتهادية، فإنّه إذا ظهر عند المجتهد أنه أخطأ في اجتهاده باجتهاد آخر لا ينقض ما مضى ويعتبر الاجتهاد الحادث في المستقبل، لا في نسخ ما مضى. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

فائـدة:

في التفسيرات الأحمدية في مسألة ما نسخت من القبلة قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: قد ذكرت فيما سبق أن هذه الآية منسوخة أو مؤوّلة، والجمهور على أنه باقية، والوجه فيه أنّ أينما إن

....

كان مفعولًا به لتولّوا، وكأن المعنى: ولله بلاد المشرق والمغرب فإلى أيّ مكان وجهة تولّوا وجوهكم فثمّ وجه الله، فلا بأس به عليكم، فلا شكّ أنها منسوخة أو محمولة على صلاة النفل على الراحلة أو اشتباه القبلة أو غير ذلك، وإن كان أينما على أصله، أعني مفعولًا فيه لتولّوا، وكان المعنى: في أيّ مكان تولّوا وجوهكم نحو القبلة، فثمّ وجه الله، فلا شكّ أنها حينئذ غير منسوخة ولا مؤوّلة، بل تأييد في باب القبلة. وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نزلت الآية في باب تحويل القبلة من الكعبة إلى بيت المقدس حيث كان النبيّ ﷺ يصلّي إلى الكعبة في مكّة، ثم أُمِر بالتوجّه إلى بيت المقدس، فهناك طعن الكفار، فنزل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، يعني: لا يختصّ القبلة بالكعبة، بل إلى حيث توجّهتم، فثمّ وجه الله، ثم نسخ بالكعبة لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٤]، وهذه أوّل آية نسخت في القرآن، ذكره الإمام الزاهد وإليه مال صاحب الإتقان وبه أشار القاضي البيضاوي، حيث قال هو توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون كذلك في حيّز وجهة. والجمهور على أن المعنى: ولله بلاد المشرق والمغرب، فإن مُنِعْتم أن تصلّوا في المسجد الحرام وبيت المقدس، ففي أيّ مكان صلّيتم نحو القبلة فثمّ جهة التي أمرتم بها. وعن ابن عمر: نزلت في صلاة المسافر على الراحلة، وقيل: عُمِيت القبلة على قوم، فصلّوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبيّنوا أخطائهم فعذروا، وهو حجّة على الشافعي فيما استدبر، وقيل: معناه: فأينما تولّوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة هذه عبارة المدارك أخذ ذلك من الكشاف، ثم إنه ذكر الإمام الزاهد وجهًا آخر، حيث قال: قيل: نزلت في النجاشي حين أسلم وتوجّه إلى المدينة، فمات في الطريق، فجاء جبريل عليه السلام بأن يصلّي على النجاشي، فقال النبيّ ﷺ لأصحابه: «**صلّوا على صاحبكم**»، فقالوا: كيف نصلّي عليه وهو لم يصلِّ إلى قبلتنا؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، يعني حيث ما صلّى لا جناح عليه؛ لأن الشرع لا يلزمه إلا بالسماع، وهو لم يسمع. ثم الوجه إمّا بمعنى الجهة أو القبلة أو الرضاء أو هو ومثله متشابهات لا نعلم كيفيّته ونؤمن بأصله، والواسع هو الجوّاد والغنيّ، هذا حاصل ما فيه.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾
(﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾).

قوله: (أنحاء) جمع نحو، والنحو الجهة. **قوله:** (تبينوا) أي علموا في المصباح بأن الأمر يبين، فهو بين وجاء بائن على الأصل، وأبان إبانة وبيَّن وتبيّن واستبان كلها بمعنى الوضوح والانكشاف، والاسم البيان، وجميعها يستعمل لازمًا ومتعدّيًا إلّا الثلاثي، فلا يكون إلا لازمًا.اهـ. وفي تاج العروس: بأن بيانًا اتّضح فهو بين كسيد ج أبيناء كهين وأهيناء، وبيّنته بالكسر وبيّنته وتبيَّنته وأبنته واستبَنْتَه أوضحته وعرفته، فبان وبيَّن وتبيَّن وأبان واستبان كلّها لازمة متعدّية، وهي خمسة أوزان.اهـ. باختصار.

قوله: (﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾)... الخ. هذه الآية ردٌّ لمّا قالت اليهود: عزير ابن الله، والنصارى: المسيح ابن الله، ومشركوا العرب: الملائكة بنات الله، وسبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيدٌ له، وفي قوله: ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ استدلال على فساده، يعني أنه خالق ما في السمٰوات والأرض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾، أي كل واحد مما في العالم منقادون لا يمنعون من مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس تكوينه الواجب لذاته وكل مَنْ جعلوا ولدًا له يطيعون ويقرّون بالعبودية، وإنما جاء بكلمة ما الذي هو لغير أولى العلم مع صيغة الجمع الذي هو لأُولي العلم أعني قانتون تحقيرًا لشأنهم هكذا ذكروا، وقد أطال الإمام الزاهد الكلام في إثبات تشبيه الولد لوالده، ونفى مماثلة الله تعالى للعالم بوجه، وقال: إن سبحان كلمتان جُمِعتا والعرب متى تعجّبوا من شيء، قالوا: سب والعجم متى تعجّبوا، قالوا: حان، جَمَعهما الله تعالى للمبالغة، وقال: إن القنوت تارة يُستعمل بمعنى الدعاء، وتارة بمعنى الطاعة، وتارة بمعنى القيام، فإنْ حملته على القيام، فظاهر أنّ الكل قائمون بالعبودية دائمون على حالة واحدة، وإن حملته على الدعاء والطاعة، فإمّا أن يُراد بالكلّ هم المؤمنون على الخصوص طَوْعًا، أو الكافرون كرهًا، وإمّا أنْ يراد أعمّ من أن يكون طوعًا أو كرهًا، والمسلمون داعون الله مطيعون له طوعًا والكافرون كرهًا، وعند الاضطرار، وفي القيمة هذا حاصل ما فيه.

(يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله). «قالوا»: (شامي) فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها، وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى. ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيه له عن ذلك وتبعيد ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي هو خالقه ومالكه (ومن جملته المسيح وعزير) والولادة تنافي الملك. ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره. والتنوين في «كل» عوض عن المضاف إليه (أي كل ما في السمٰوات) والأرض، أو كل مَن جعلوا

والمقصود من ذكر الآية أنها تدلّ على أنّ المملوكية تنافي الولادة للمالك، وهي بهذا المضمون كثيرة في القرآن. وقال القاضي البيضاوي: واحتجّ بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه؛ لأنه تعالى نفى الولد بإثبات الملك، وذلك يقتضي تنافيهما، هذا لفظه. والمشهور في ذلك بين الفقهاء قوله عليه السلام: «**من ملك ذا رحم محرم عتق عليه**». واختلف في ذلك، فعندنا علّة العتق هي المُلْك مع القرابة المحرّمة للنكاح، وإنما أُضيف العتق إلى الملك؛ لأنه آخرهما وجودًا، والحكم يُدار على آخر جزء من أجزاء العلّة، ولهذا إذا كان القرابة مؤخّرة يضاف إليهما، كما إذا اشتريا عبدًا مجهول النسب، ثم ادّعى أحدهما أنه ابنه يُعتق ويغرم لشريكه قيمة نصيبه. وبالجملة فيخرج المحرم الغير القريب كالرّضاعى والقريب الغير المحرم كابن العم، وبقي قرابة الولادة والأخوة والعمومة على حالها، وعند الشافعي رحمه الله: العلّة هي الجزئية، فيعتق الولد على والده وبالعكس، ولا يعتق الأخ على أخيه؛ إذ لا جزئية ثمّة، وتفاصيل هذه الأحكام في الكتب المبسوطة.اهـ. التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله**) والملائكة بنات الله.اهـ. كشاف. يعني: أن الضمير لمن سبق ذكرهم من النّصارى واليهود والمشركين الذين لا يعلمون. **قوله:** (﴿قَالُوا۟﴾) بغير واو على الاستئناف[١]، (**شامي**) أي ابن عامر (**الشامي**). والباقون بالواو. **قوله:** (**ومن جملته المسيح وعزير**) والملائكة. **قوله:** (**أي كل ما في السمٰوات**)، يعني: ليس المضاف إليه

(١) الاستئناف بياني، كأنه قيل بعد ما عدّد من قبائحهم: هل انقطع أسبابهم في الافتراء على الله، أم امتدّ؟ فقيل: بل امتدّ، فإنهم قالوا ما هو أشنع من ذلك.اهـ شهاب رحمه الله. ١٢ منه عم فيضهم.

لله ولدًا له قانتون مطيعون عابدون مقرّون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم. **(وجاء بـ «ما» الذي لغير أولي العلم مع قوله: «قانتون»)** كقوله: «سبحان ما سخركن لنا».

المحذوف هو واحد، أي كل واحد على ما هو الشائع في كل إذا كان منوّنًا؛ لأنه لا يناسبه قانتون بلفظ الجمع، بل ما في السمٰوات والأرض جميعًا بقرينة سبق الذِّكر أو البعض منه خصوصًا، أي من جعلوه ولدًا له بقرينة المقام، فحاصل القنوت على الأوّل الانقياد لأمر التكوين، وعلى الثاني الانقياد لأمر التكليف. اهـ. تفتازاني.

قوله: (وجاء بِمَا الذي لغير أولي العلم) بحسب أصل الوضع. اهـ. عصام رحمه الله. **(مع قوله: قانتون)**، فإن الجمع بالواو والنون يُطلق على العقلاء خاصّة؛ كقوله: سبحان ما سخر لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده. اهـ. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، أي عبّر عن العقلاء وغيرهم بلفظ ما تحقيرًا لشأن العقلاء الذين جعلوا ولدًا لله تعالى، فكان هذا من قبيل سبحان ما سخركنّ لنا حيث عبّر عن ذوي العلم خاصّة بلفظه الدّال على إبهام الوصف تعظيمًا لشأنه. اهـ. تفتازاني.

وقوله: جاء بما الذي لغير أُولي العلم استئناف وجواب عمّا يقال: كيف غلب غير العقلاء حيث أتى بلفظ ما مع تغليب العقلاء في قانتون، وحاصله أن تغليب غير العقلاء لإرادة التحقير زعمًا للعباد وإظهار الفساد، فإنهم في نفس الأمر معظم موقّر مقرّب عند الله تعالى، لكن بالنسبة إلى كبريائه تعالى وكمال عظمته وسِعة قدرته متساوية للجمادات في عدم الصلاحية للأُلوهية واستحقاق العبادة المقتضي ذلك اتخاذهم ولدًا. اهـ. قنوى رحمه الله. وفي السمين قال الزمخشري: فإن قلت: كيف **جاء** بما الذي **لغير** أُولي العلم، مع قوله: ﴿قَانِتُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٦]، قلت: هو كقوله: سبحان ما سخركن لنا، وكأنه جاء بما دون مِنْ تحقيرًا لهم وتصغيرًا لشأنهم، وهذا جُنُوحٌ منه إلى أن ما قد يقع على أُولي العلم، ولكن المشهور خلافه. وأمّا قوله: سبحان من سخر لنا، فسبحان غير مضاف، بل هو كقوله: سبحان من علقمة، وما مصدرية ظرفية. اهـ. بحروفه.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ **(أي مخترعهما ومبدعهما)** لا على مثال سبق. وكل مَن فعل ما لم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنّة والجماعة مبتدع لأنه يأتي في دين الإسلام ما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون ﷺ ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي حكم أو قدر ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هو من

فائـــدة:

قد يستعمل سبحان علمًا للتسبيح، فإن العلمية كما تجري في الأعيان تجري في المعاني أيضًا، فتقطع عن الإضافة؛ لأن الأعلام لا تضاف فتُمْنع من الصرف للعلمية، والألف والنون المزيدتين كما في بيت الأعشى:

قد قلت لما جاء في فخره   سبحان من علقمة الفاخر

والعرب تقول: سبحان مِنْ كذا إذا تعجّب منه، فقوله: سبحان من علقمة، أي أتعجّب منه إذا فخر، وكيف يفخر والحال أن كل ما به من النِّعَم والفضائل، فهو من عند الله تعالى، فحقّه أن يستغرق أوقاته في شكر المُنْعم والدليل على كون سبحان علمًا في بيت الأعشى أنه ذكر غير منصرف، ولولا أنه علم لوجب صرفه؛ لأنّ الألف والنون في غير الصفات إنما تمنع مع العلمية، فعدم انصرافه إنما هو للعلمية والألف والنون المزيدتَيْن. قال ابن الحاجب في الإيضاح: ولا يستعمل سبحان علمًا إلّا شاذًا؛ إذ كَثُر استعماله مضافًا، وإذا كان مضافًا، فليس بعلم لأن الأعلام لا تضاف، وهي أعلام لأنها معارف، والمعرفة لا تُضاف.

قوله: **(أي: مخترعهما ومُبدعهما)**، يعني: أن البديع فعيْل بمعنى المُبدع، وهو الذي يُبدع الأشياء، أي يحدثها ويُنْشئها على غير مثال سبق، كالأليم بمعنى المؤلم، والحكيم بمعنى المحكم، والسميع بمعنى المُسمع، والبصير بمعنى المُبْصر، والإبداع إيجاد فعل ابتداعًا واختراعًا على غير مثال. وقيل: البديع والمبتدع في اللغة واحد، وهو الذي لم يسبقه أحد في إنشاء مثل فعله، ولذلك سمّي صاحب الهوى مبتدعًا لما لم يسبقه أحد من أرباب الشرع في إنشاء مثل فعله، وفي مختار الصحاح: اخترع كذا أي اشتقّه، وقيل: أنشأه وابتدعه. اهـ.

«كان» التامة أي (**أحدث**) فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين (**وتمثيل**) ولا قول ثُمَّ. وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه إباء. وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن مَن كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الأجسام (**فأنى**) يتصوّر التوالد ثَمَّ. والوجه الرفع في «فيكونُ» وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون، أو على العطف على «يقول». (**ونصبه ابن عامر على لفظ «كن» لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب**). وقلنا: إن «كن» ليس بأمر حقيقة إذ لا فرق بين أن يقال وإذ قضى أمرًا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون، وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب. (**وهذا لأنه لو كان أمرًا**) فإما

قوله: (أحدث) بضمّ العين أمر (**وتمثيل**) أي تمثيل حصول ما تعلّقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع، بلا توقّف. **قوله**: (فأنى، أي: فكيف). **قوله**: (ونصبه ابن عامر) الشامي (**على لفظ كُن؛ لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء ونصب**)، أي: على أنه جواب الأمر، فإن قوله: كُنْ أمر بحسب اللفظ والصورة، فجاز انتصابه المضارع بعده بإضمار أن نظرًا إلى ظاهر اللفظ، وإن لم يكن أمرًا بحسب المعنى والحقيقة، بل هو مجاز عن سرعة التكوين، كما مرّ. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قراءة النصب قراءة ابن عامر رحمه الله، وقد أشكلت على النحاة حتى تجرأ بعضهم عليه، وقال: إنها خطأ وهو سوء أدب. اهـ. وقرأ الباقون بالرفع.

قوله: (وهذا لأنه لو كان أمرا)... الخ. قال النّحرير التفتازاني رحمة الله عليه: ما ذكر من حمل الكلام على التمثيل هو المعوّل عليه عند الجمهور، وذهب بعضهم إلى أنه حقيقة، وقد جرت السُّنَّة الإلـٰهيّة بأن تكوّن الأشياء بكلمة كُنْ، ويكون المأمور هو الحاضر في العلم والمأمور به الدخول في الوجود. اهـ. وقوله: ويكون المأمور هو الحاضر في العلم جواب عمّا يقال كلمة كن لفظ أمر يقتضي مخاطبًا مأمورًا بالوجود والحدوث والأمر والخطاب يقتضي أمرًا موجودًا، فالشيء لا يقال له كُن حال عدمه، وكذا لا يقال له حال وجوده؛ لأن الشيء لا يؤمر بالوجود حال وجوده.

أن يخاطب به الموجود (والموجود لا يخاطب) بـ «كن» أو المعدوم (**والمعدوم لا يخاطب**).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ١١٨﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من المشركين أو من أهل الكتاب، ونفى عنهم العلم لأنهم لو يعملوا به ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ (هلا يكلمنا) كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارًا منهم وعتوًا ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ جحودًا لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾ أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في (العمى) ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي لقوم ينصفون فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها (والإذعان) لها والاكتفاء بها عن غيرها.

وقوله: (**والموجود لا يخاطب**)؛ لأنه تحصيل الحاصل. **وقوله**: (**والمعدوم لا يخاطب**)، وهو ظاهر؛ لأنه يلزم اجتماع النقيضين.

قوله: (**هلا يكلمنا**) إشارة إلى أنّ لولا هنا للتحضيض، وحروف التحضيض إذا دخلت على الماضي كان معناها التوبيخ واللّوم على ترك الفعل، بمعنى: لِمَ لَمْ يفعله، ومعناها في المضارع تحضيض الفاعل على الفعل والطلب له، فهي في المضارع بمعنى الأمر، وليست لولا هذه هي التي تُفيد امتناع الشيء لوجود غيره، والفرق بينهما أن لولا التي للتحضيض لا يليها إلا الفعل لفظًا، نحو: لولا أرسلت إلينا رسولًا، ولولا يكلّمنا الله، أو تقديرًا، والتي للامتناع يليها المبتدأ، أو قد جرت العادة بحذف خبره، نحو: لولا زيد لهلك عمرو، أي: لولا زيد موجود. **قوله**: (﴿وَعَتَوْا﴾ [الأعراف: الآية ٧٧]) أي استكبارًا. **قوله**: (**العَمَى**)، في المصباح: عَمِيَ عَمًى فَقَدَ بصره، فهو أعمى، والمرأة عَمْياء، والجمع عُمْيٌ من باب أحمر وعُمْيان أيضًا، ويعدّى بالهمزة، فيقال: أعميته ولا يقع العَمَى إلّا على العينين جميعًا، ويستعار العَمَى للقلب كناية عن الضلالة، والعلاقة عدم الاهتداء فهو عَمٍ وأعمى القلب. **قوله**: (الإذعان) في المصباح: أذعن إذعانًا انقاد، ولمّ يستعصِ. اهـ.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ (بِٱلۡحَقِّ) بَشِيرٗا﴾ للمؤمنين بالثواب ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ للكافرين بالعقاب ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ولا نسألك فيهم ما لهم لم يؤمنوا بعد **(أن بلغت)** وبلّغت جهدك في دعوتهم وهو حال كـ«نذيرًا» وبشيرًا و«بالحق» أي وغير مسؤول أو مستأنف. **(قراءة نافع** و«**لا تسأل**» **على النهي)** ومعناه ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان سائلًا عن الواقع في بلية فيقال لك: لا تسأل عنه. **(وقيل: نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري)** ما فعل أبواي.

قوله: (﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾) أي ملتبسًا مؤيّدًا به. **قوله: (أن بلَّغت)** بالتشديد بتاء الخطاب، وبلغت بالتخفيف جهدك، أي صرفت طاقتك في دعوتهم. **قوله: (قراءة نافع)** المدني، وكذا يعقوب البصري، وليس من السبعة، **(ولا تسأل عن النهي)** أي بفتح التاء وحزم اللام بلاء الناهية بالبناء للفاعل، والباقون بضمّ التاء ورفع اللام على البناء للمفعول بعد لا النافية. **(وقيل: نهى الله نبيّه عن السؤال عن أحوال الكَفَرة، حين قال: ليت شِعْري)** أي ليتني شَعَرْتُ ما فعل أبواي، قال الطيبي: أي فعل بهما. وفي الحديث: «**يا أبا عمير، ما فعل النُّغير؟**» أي إلى أيّ شيء انتهى عاقبة أمره، فلو قيل: ما فعلت بالنغير، لم يكفِ في الاهتمام بذلك، والنغير تصغير نغر، وهي طير كالعصافير حُمُر المناقير في كتاب إتحاف فضلاء البشر.

في القراءات الأربعة عشر: النهي هنا جارٍ على سبيل المجاز لتفخيم ما وقع فيه أهل الكفر من العذاب؛ كقولك لمن قال لك: كيف حال فلان؟ أي لا تسأل عمّا وقع له، أي حلّ به أمرٌ عظيم غير محصور. وأمّا جعله على حقيقته جوابًا لقوله ﷺ: «**ما فعل أبواي**»، فغير مرضيّ واستبعده في المنتخب؛ لأنه ﷺ عالم بما آل إليه أمرهما من الإيمان الصحيح. قال العلّامة ابن حجر الهيتمي في شرح المشكاة: وحديث إحيائهما له ﷺ حتى آمنا به ثم توفّيا حديث صحيح، وممّن صححه القرطبي والحافظ ابن ناصر الدين حافظ الشام والطعن فيه ليس في محلّه؛ إذ الكرامات والخصوصيات من شأنهما أن تخرق القواعد والعوائد كنفع الإيمان هنا

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا **(إقناطًا)** منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام، فذكر الله عز وجل كلامهم. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي رضى لعباده ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي الإسلام. وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذي تدعون إلى اتباعه ما هو هدى إنما هو هوى. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي من العلم بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج **(اللائحة)** ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله (﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾) ناصر.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والإنجيل، أو أصحاب النبيّ عليه السلام والكتاب القرآن. ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ حال مقدرة من «هم» لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه، ونصب على المصدر. ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبير والتفكر، أو يعملون به ويؤمنون بما فيه مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبيّ ﷺ. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ

بعد الموت لمزيد كمالهما، وأطال في ذلك. وأمّا الحديث المذكور وهو: «**ما فعل أبواي**»، ففي الدرّ المنثور للسيوطي: أنه حديث مرسل ضعيف الإسناد، وقد ألّف كتابًا في صحة إحيائهما ﷺ، فليراجع. اهـ.

قوله: (إقناطًا) في المصباح: القنوط بالضم الإياس من رحمة الله تعالى، قَنَط يقنط من باب ضرب وتَعِب، وهو قانط وقنوط. وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قعد ويعدّى بالهمزة. اهـ.

قوله: (اللائحة) أي الظاهرة. **قوله:** (﴿مِن وَلِىٍّ﴾) يلي أمرك عمومًا (﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾) ناصر يدفع عنك عقابه.

خبره ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ والجملة خبر «الذين» (ويجوز أن يكون «يتلونه» خبرًا)، والجملة خبر آخر. ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي أنعمتها عليكم ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا (عَدۡلٞ) وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ «هم» رفع بالابتداء والخبر «ينصرون». والجمل الأربع وصف لـ«يومًا» أي واتقوا يومًا لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه. وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم، وختم قصة بني إسرائيل بما بدأ به.

﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾

﴿وَإِذِ﴾ أي واذكر إذ ﴿ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ اختبره بأوامر ونواه. والاختبار منا لظهور ما لم نعلم، ومن الله لإظهار ما قد علم، وعاقبة الابتلاء ظهور

قوله: (ويجوز أن يكون يتلونه خبرًا للاسم) الموصول، على تقدير: أن يحمل الموصول على الصنف الخاص على العهد الخارجي، وفي الوجه الأوّل استفيد الخصوص من التقييد بالحال.

قوله: (عدل) بالفتح بمعنى الفدية، وهي ما يماثل الشيء قيمة، وإنْ لم يكن من جنسه، والمعنى لا يؤخذ منها فدية تنجو بها من النار، ولا تجد ذلك لتفدي به. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧] من سوء العذاب يوم القيامة، وقال: ﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ﴾ [الأنعَام: الآية ٧٠]، وسمّيت الفدية عدلًا لأنها تعادل ما يقصد إنقاذه وتخليصه، يقال: فداه إذا أعطى فداءه، فأنقذه.

الأمر الخفي في الشاهد والغائب جميعًا فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى. وقيل: اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك. وقرأ أبو حنيفة ﷺ: «إبراهيمُ ربه»، برفع إبراهيم وهي قراءة ابن عباس ﷺ، أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا. ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي قام بهن حق القيام وأدّاهن أحسن التأدية من غير تفريط (وتوانٍ) ونحوه ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧] ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئًا. والكلمات على هذا ما سأل إبراهيم ربه في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: الآية ١٢٦]. ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: الآية ١٢٨]. ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٢٩]. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: الآية ١٢٧]. والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الرأس: (الفرق وقصّ الشارب) والسواك والمضمضة والاستنشاق. وخمس في الجسد: (الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء). وعن ابن عباس ﷺ: (هي ثلاثون سهمًا من الشرائع: عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾) [الآية ١٢]، (الآية، وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾) [الآية ٣٥] (الآية، وعشر في المؤمنين والمعارج إلى قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾) [الآية ٩].

قوله: (توانٍ) أي تقصير. قوله: (الفرق) أي تفريق شعر الرأس في الجانبين. قوله: (وقص الشارب) أي قطعه بالمقصّ، وهو المقراض. **قوله: (الختان)** وهو قطع الجلدة الزائدة من الذّكر. قوله: (وتقليم الأظفار) أي قصّها. **قوله: (نتف الإبط)** بالسكون ويُكسر، أي قلع شعره بحذف المضاف، وعلم منه أن حلقه ليس بسنّة، وقيل: النّتف أفضل لمن قَوِيَ عليه. **قوله: (وحلق العانة)**، قال الأبهري: ولا يترك حلق العانة ونَتْف الإبط وقصّ الشارب والأظفار أكثر من أربعين يومًا؛ لِمَا روى مسلم من حديث أنس: وقّت لنا في قصّ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة. **قوله: (الاستنجاء)** أي غسل مكان الغائط والبول. قوله: (هي ثلاثون سهمًا من الشرائع: عشر في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١٢] الآية، وعشر في الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية، وعشر في المؤمنين والمعارج إلى قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية ٩]) **عبارة الكشاف**: قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشرٌ في براءة التائبون

....

العابدون، وعشرٌ في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]، وعشرٌ في المؤمنون: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. اهـ. قال العلّامة التفتازاني: قوله: عشرٌ في براءة بأن يضم إلى التّسعة المذكورة الإيمان المشار إليه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية ١١٢]، أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، وعشرٌ في الأحزاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥]، وعشرٌ في المؤمنين: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج: الآية ١] من قوله في المؤمنون: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٢] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآية ٣٤]، فإن قيل: المذكور في السورتين أربعة عشر ستّ في المؤمنون، وثمانية في سأل سائل وإذا أسقط المكرّر وجعل الدائمون على الصلاة هم المحافظين عليها، والذين في أموالهم حقٌّ معلوم غير الفاعلين للزكاة لشموله ما يوصل به الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقّق في كل من براءة والأحزاب عشر لتكرار المؤمنين. قلنا: يجوز أن يجعل الدائمون أيضًا غير المحافظين، أو يجعل الدائمون للأمانات والعهد اثنين ليتحقّق في السورتين أحد عشر، وفي براءة والأحزاب تسعة عشر، فيصير المجموع ثلاثين، لكن لا يبقى حينئذ في كلٍّ من البراءة والأحزاب عشر. اهـ. بحروفه.

وعبارة تفسير البيضاوي: والكلمات قد تُطلق على المعاني، فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]. اهـ. قال العلّامة عصام رحمه الله: قوله: والكلمات قد تطلق على المعاني لشدّة اتصال بين اللّفظ والمعنى، فلذلك فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في التائبون... الخ. قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية في براءة من الله، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية ٣٥] الآية في الأحزاب، ويريد بقوله: إلى آخر الآيتين آية التائبون وآية إن المسلمين، وههنا بحث، وهو أن المذكور في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] تسع يجعل عشرًا بضمّ الإيمان المستفاد من

....

قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٣]، أو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] عشرٌ، وفي قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] ستّة، والإيمان مكرّر، ولو كان الإسلام عين الإيمان فهو أيضًا مكرّر، وحفظ الفرج مكرّر، والمحافظة على الصلاة مكرّرة، فكيف تكون الخصال المذكورة في هذه الآية ثلاثين؟ ولعلّه أسقط الناسخ سهوًا ذكر سأل سائل حيث جعل الكشّاف الثلاثين في الآيات المذكورة مع سأل سائل إلى أنه يصير المذكورة فيها ثلاثين وأربعة وبإسقاط المكرّرات تبقى تسعة وعشرون، فيتكلّف لتقدير الثلاثين باعتبار المحافظة على الصلاة، حيث جعل عشرًا في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، وعشرًا في الأحزاب، وعشرًا في ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: الآية ١] و﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١]، فتأمّل. اهـ. بحروفه. فقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: قوله: فسّرت بالخصال الثلاثين... الخ. هذه الثلاثين جعلها في الكشاف عشرًا منها في سورة براءة، وعشرًا في سورة الأحزاب، وعشرًا في سورة المؤمنون وسأل سائل وآية براءة التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله، وآية المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [الآيات ١ ـ ٨]، وآية الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]، وآية: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج: الآية ١]، ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠

....

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآيات ٢٢ - ٣٤]، والمذكور في السور الثلاث ستّ وثلاثون، وهي التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللّغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصّبر والخشوع والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلاة، وأنت إذا أسقطت المكرّر حصل منه ثلاثون كما في الكشاف والمصنف رحمه الله ما نظر إلى المكرّر، وكان لاحظ فيه مغايرات اعتبارية بقيود خارجية، فأسقط السورة الثالثة وخالف ما صنعه الزمخشري، ولا يخفى أنه إن كان هذا مأثورًا في أحدهما فلا وجه للآخر، وإن لم يكن كذلك فالأَوْلى ترك هذه التكلّفات. اهـ. بحروفه.

وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى في سورة براءة: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الآية ١١٢]، وقوله في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الآية ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ - ١١]، والظاهر أن طريق توزيع الخصال الثلاثين على السور

....

الثلاث اشتمال كل واحدة من تلك السورة على عشر خصال، فإنّ سورة براءة مشتملة عليها بأربعة الإيمان المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، خصلة مستقلّة، واشتمال سورة الأحزاب عليها ظاهر. وأمّا اشتمال سورة المؤمنين عليها، فبأن يعتبر كل واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللّغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة، وكون الإيمان معدودًا في السورتين المعدودتين الأخيرتين لا ينافي كون مجموع الخصال ثلاثين؛ لأنه لمّا كان المذكور في كل سورة عشرًا كاملة بناءً على أن شيئًا من الخصال لم يُذكر مكرّرًا في شيء من السور كان المذكور في مجموع السور الثلاث ثلاثين خصلة والتكلّف اللازم لمّا اختاره المصنّف أهون مما لزم لمّا اختاره صاحب الكشاف، فلذا عدل عنه المصنف.اهـ.

وقال العلاّمة إسمٰعيل القنوي رحمه الله: قوله: فسّرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥] إلى آخر الآيتين، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]، قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] الآية في سورة براءة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] الآية في سورة الأحزاب، وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]، ولمّا كان الآيات متعدّدة هنا احتاج إلى بيان غايتها بخلاف الأُوليين والمذكورة في السور المذكورة ستّ وثلاثون خصلة، وهي: التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وحفظ حدود الله والصلاة والخشوع وترك اللّغو والزكاة وحفظ الفرج وحفظ الأمانة وحفظ العهد والمحافظة على الصلاة والإيمان والقنوت والصدقة والصوم وحفظ الفرج وكثرة ذكر الله ومُداومة الصلاة وإعطاء السائل والمحروم والتصديق بيوم الدين والإشفاق من العذاب وحفظ الفرج وحفظ العهد وحفظ الأمانة والقيام بالشهادة والمحافظة على الصلوات، وأنت إذا أسقطت المكرّر حصل منه ثلاثون بين كلام المصنف وبين بيان الزمخشري نوع مخالفة، حيث قال الزمخشري: وقيل

....

ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين سهمًا عشرٌ في براءة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢]، وعشرٌ في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥]، وعشرٌ في المؤمنون و﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ [المعَارج: الآيات ١ ـ ٣٤]. والمصنّف لما نظر أن المذكور في السورتين الأخيرتين أربعة عشر ستّ من المؤمنون، وثمانٌ في سأل سائل، وإذا أسقط المكرّر وجعل الدّائمون على الصلاة هم المحافظون عليها، والذين في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم وغير الفاعلين للزكاة؛ لشموله ما يوصل به الأقارب والأبعاض ليرجع ما في السورتين إلى عشر لم يتحقّق في كلٍّ من البراءة والأحزاب عشر لتكرّر المؤمنين، وإن جعل الدَّاعون أيضًا غير الحافظين، أو جعل الرّاعون للأمانات اثنين لتحقّق في السورتين أحد عشر، وفي براءة والأحزاب تسعة عشر، فيصير المجموع ثلاثين لم يبقَ ح في كلٍّ من براءة والأحزاب عشر، كما هو مدعاه لم يتعرض لسأل سائل، بل أخذ الثلاثين من ثلث، لكنه لم يسقط المكرّر، بل أخذ العشرين من الآيتين، والعشر من قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ [المؤمنون: الآية ١] إلى آخر ما ذكر حيث اعتبر كلاً من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللّغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلة، فخصلة الإيمان قد تكرّرت، كذا قيل. وفي اللّباب: وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يبتل أحد بهذا الدين، فأقامه كلّه إلّا إبراهيم عليه السلام ابتلاه بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشرٌ منها في سورة براءة التائبون إلى آخرها، وعشرٌ في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها، وعشرٌ في المؤمنين: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠]، وكذا التفسير الكبير، لكن لم يذكر عكرمة حيث قال: أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمصنف ﷺ اختار ذلك بناءً على هذه الرواية.

وأمّا ما اختاره الزمخشري من ضمّ سأل سائل، فمقتضاه كون الخصال أربعين.

وفي اللّباب: ورُوِي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أربعون، فزادها عشر في ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [المعَارج: الآيات ١ ـ ٣٤]، لا كلام في

....

أن الخصال المذكورة في سورة الأحزاب عشرة. وأمّا في سورة التوبة، فكونها عشرة بناءً على أن الإيمان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢] معتبرٌ فيها لكونه آخر الآية، والقول الإيمان المأخوذ من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبَة: الآية ١١١] الآية، ضعيف؛ لأنه ليس من آية التائبون، وكذا القول بأنّ الجهاد معدود منها؛ لأن التائبون مرفوع على المدح، أي هم التائبون، والمراد بهم المؤمنون المذكورون؛ لأنه خارج عن آية التائبون، ولو كان التائبون خبرًا للمبتدأ إذ مقدرات القرآن كونها من القرآن مقالات بين الثقات على أنه يحتمل أن يكون مبتدأ خبره محذوف، تقديره التائبون من أهل الجنّة وإن لم يجاهدوا، وخبره ما بعده، أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال، كذا قال المصنّف رحمه الله هناك. وأما في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ [المؤمنون: الآية ١] فبناء على أنه لم يسقط المكرّر واعتبر كلّ واحد من الإيمان والخشوع في الصلاة والإعراض عن اللّغو وفعل الزكاة وحفظ الفرج عن الحرام وقربان الأزواج وقربان المملوكات ورعاية الأمانة ورعاية العهد ومحافظة الصلاة خصلة مستقلّة، وتكرّر خصلة الإيمان لكونه موقوفًا عليه على أنه في الحقيقة ليس بمتكرّر؛ لأنّ المذكور الأمر بتبشير المؤمنين في البراءة وإخبار الفلاح في المؤمنون، وفي الأحزاب بإعداد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، وبهذا الاعتبار لم يتمحض في التكرار، ثم المراد بالتوبة المعدودة من الخصال التوبة عن الزلّات، وما ذكره المصنف رحمه الله في تفسير الآية المذكورة من قوله: أي التائبون عن الكفر، فهو بالنسبة إلى آحاد المؤمنين، وكذا المراد بالصلاة والصوم والزكاة ما شرع له في شرعه لا ما شرّع في هذه الأُمّة، والقول بأنه يجوز توافق الشرعين في تلك الفروع غير ظاهر؛ إذ الظاهر أن صوم رمضان مختصّ بهذه الأمّة، وإن قيل بعدم اختصاصه وصلاة العشاء الأخيرة مختصّة بهذه الأُمّة على ما ورد في الحديث، والأسلم أن يقال: إن الخصال التي كُلّف بها إبراهيم عليه السلام نوع ما ذكرت في هذه الآيات الثلاث لا خصوصها في الجميع، وإن صحّ الخصوص في بعضها. اهـ. بحروفه. وقال العلّامة عبد الحكيم السيلكوتي رحمه الله: قوله: بالثلاثين المحمودة المذكورة أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس

....

رضي الله تعالى عنهما عشرٌ منها في سورة براءة من قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية ١١٢] إلى آخر الآية، وعشرٌ منها في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الآية ٣٥] إلى آخرها، وعشرٌ منها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون: الآيات ١ ـ ١٠] كذا في تفسير الكبير، فالعشرة المكذورة في سورة براءة التوبة والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله والإيمان المُستفاد من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١٢]، أو من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: الآية ١١١]، والعشرة المذكورة في سورة الأحزاب: الإسلام والإيمان والقنوت والصدق والصبر والخشوع والتصدّق والقيام والحفظ للفروج والذِّكر، والعشرة المذكورة في المؤمنين: الإيمان والخشوع والتصدّق والقيام والحفظ في الصلاة والإعراض عن اللّغو والزكاة والحفظ للفروج إلّا على الأزواج والإماء ثلاثة، والرعاية للعهد والأمانة اثنين، والمحافظة على الصلاة ولزوم التكرار في بعض الخصال بعد جمع العشرات المذكورة كالإيمان والحفظ للفروج لا ينافي كونها ثلاثين تعدادًا، إنما ينافي تغايرها ذاتًا. ألا يرى أنه روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها أربعون بيَّنها بضمّ ما وقع في سأل سائل، كما في التفسير الكبير، وإن التسمية عدَّت مائة وثلاثة عشر آيات عند الشافعية، باعتبار تكرارها في كل سورة. وأمّا ما وقع في الكشاف قيل: ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين منها، عشرة في براءة التائبون العابدون، وعشرة في الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥]. اهـ. وعشرة في المؤمنين، وسأل سائل إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: الآية ٣٤]، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على ما في المعنى، فمبنيٌّ على اعتبار التغاير بالذات وإسقاط المكرّرات وعدّة العاشرة البشارة للمؤمنين في سورة براءة، وجعل الدوام على الصلاة والمحافظة عليها واحد، والذين في أموالهم حقٌّ معلوم للسائل والمحروم غير الفاعلين للزكاة لشموله صدقة التطوّع وصلة الأقارب، وبما ذكرنا ظهر لك اندفاع الشكوك التي عرضت للناظرين في هذا الكتاب وتوهمهم مخالفة لما في الكشاف. اهـ.

(وقيل: هي مناسك) الحج ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ هو اسم من يؤتم به أي يأتمون بك في دينهم. ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعل من ذريتي إمامًا يقتدى به. ذرية الرجل أولاده ذكورهم وإناثهم فيه سواء. **(فعيلة من الذرء أي الخلق فأبدلت الهمزة ياء)**. ﴿قَالَ (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ **بسكون الياء: حمزة وحفص)** أي لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر.

قوله: (وقيل: هي مناسك) الحجّ، فالمعنى وإذ كلّف إبراهيم عليه السلام ربّه بمناسك الحجّ، أي بمواضع العبادة المتعلقة بالحجّ وإقامة ما يليق بكل موضع من العبادة؛ كالطواف والسعي ورمي الجمار والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة وغير ذلك، فإذا هنّ تامّات كاملات من غير نقصان. **قوله: (فُعِّيلَة من الذرء، أي الخلق)** فاصلها ذرّيئة **(فأُبدلت الهمزة ياء)**، فأدغمت الياء في الياء الثانية. **قوله:** (﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾)، هو الذي تمسّك به المعتزلة أن إمامة الفاسق لا يجوز؛ لأنه ظالم، والظالم ممنوع إمامته بهذا النصّ، والمراد بالإمامة الإمامة الكبرى دلّ عليه ما قاله في الكشاف، وقالوا: في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة، وكيف يصلح لها مَنْ لا يجوز حكمه وشهادته ولا يجوز طاعته ولا يُقبل خبره ولا يقدّم للصلاة، وهكذا ذكروا الكلام إلى آخره، وحاصل ما أجابه أهل السنّة أن الإمام إن كان على معناه المتعارف كان المراد بالظالم الكافر؛ إذ هو الظالم المطلق، وإن أُيد به ذو النبوّة كان الظالم على معناه، كما نُقِل أن إبراهيم عليه السلام إنما سأل أن يكون بعض أولاده نبيًا كما كان هو، فأُخْبِر أنّ الظالم لا يكون نبيًا، هكذا في المدارك. وأقول: فعلى التقدير الأوّل يكون المراد بالظالم الكافر وهو لا يصلح لإمامة المسلم على ما في الزاهدي، وعلى التقدير الثاني يكون الآية بحيث يستدلّ بها على أن الأنبياء معصومون عن الذنوب والكذب؛ إذ يُفهم عصمتهم عن الظلم ح، وكل ذنب ظلم لأنه تجاوُزٌ عن الحقّ وتعدٍّ عليه وكثير من الذنوب يسمّى ظلمًا في القرآن كما يدلّ عليه قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٥]، وهذا الذي نسجه عنكبوت خاطري، ولله الحمد على أن جعله مناسبًا لما ذكره القاضي البيضاوي حيث قال: وفي الآية دليل على عصمة الأنبياء عن تعمّد الكبائر قبل البعث، وأن الفاسق لا يصلح للإمامة، تمّ لفظه.

....

ولكن لقائلٍ أن يقول: لا وجه لجعل الظالم بمعنى الكافر حين يُراد بالإمامة المتعارف وجعله على معناه حين يُراد بها النبوّة حتى جوّز إمامة الفاسق والظالم، ولم يجوّز صدور الذنوب عن الأنبياء، بل إن كنت قائلًا بأن الظالم على معناه، وأن منع الإمامة بمعنى النبوّة عن الظالم يُوجب عصمة الإمام، فكن قائلًا بأن الإمامة للفاسق لا يجوز، كما قاله القاضي، وبأن الإمامة يُشترط فيها العصمة، كما ذهب إليه الشيعة من أن الإمام يجب أن يكون معصومًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، إذ كل ذنب ظلم بعين الدّليل الذي ذكرت في عصمة الأنبياء على ما نقل به التفتازاني في شرح العقائد، وأيضًا قد ذكر التفتازاني في جوابه بأنّا لا نسلم إن عدم كون الإمام ظالمًا يوجب عصمته، وهذا يخالف ما ذكرت من المقدّمات في عصمة الأنبياء، وأيضًا قد ذكر التفتازاني في عصمة الأنبياء. وأمّا ما قبل الوحي، فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة. وذهب المعتزلة إلى امتناعها إلى آخره، فجعل هذا الاعتقاد للمعتزلة دون اعتقادنا، فيخالف ما نقلت من البيضاوي صريحًا، فكيف التوفيق بينهما، ويمكن أن يُجاب عنه بأنّ كلام كل مبنيّ على طبق مذهبه، فإنّ مذهبنا أن الفاسق وكذا الظالم الجائر يجوز إمامته للسلطنة، ويجوز تقليد القضاء منه إذا كان يمكنه الحكم بحقّ، وكذا يجوز قضاؤه وشهادته وإمامته للصلاة مع الكراهة، كما صرَّح به في الهداية، وأن لا يشترط في الإمام أن يكون معصومًا لعدمْ قطعية عصمة أبي بكر رضي الله تعالى عنه، مع الإجماع على حقّية خلافته، وأن الأنبياء يجب أن يكونوا معصومين عن الذنوب والكذب بكمال مرتبتهم وجلال شأنهم، وإنما جئنا بكلام صاحب البيضاوي تمسّكًا على مجرّد أن عصمة الأنبياء يمكن أن يثبت من القرآن مع قطع النظر عن قبل الوحي وبعده، وهو إنّما أجرى هذا الكلام على طبق مذهبه ومذهبنا ما ذكره التفتازاني على أن عدم وجدانه الدّليل على عصمتهم قبل الوحي لا يوجب عدم الدليل في الواقع، ثم في هذا الشأن تفاصيل وأقوال ذكرها التفتازاني في شرح العقائد تحت قوله: وكلهم كانوا مخبرين مبلّغين من الله تعالى صادقين ناصحين، حيث قال: وفي هذا إشارة إلى أن الأنبياء معصومين عن الكذب خصوصًا فيما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام إمّا عَمْدًا فبالإجماع، وإمّا سهوًا فعند الأكثرين وفي عصمتهم

....

عن سائر الذنوب تفصيل، وهو أنهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع، وكذا عن تعمّد الكبائر عند الجمهور خلافًا للحشوية، وإنما الخلاف في أن امتناعه بدليل السمع أو العقل. وأمّا سهوًا، فجوّزه الأكثرون. وأمّا الصغائر، فيجوز عمدًا عند الجمهور خلافًا للجبائي وأتباعه، ويجوز سهوًا بالاتفاق إلّا ما يدلّ على خسّة، كسرقة لقمة والتطفيف بحبّة، لكن المحقّقين اشترطوا أن نبّهوا عليه، فيتنبهوا عنه هذا كلّه بعد الوحي. وأمّا قبله، فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة، وذهبت المعتزلة إلى امتناعها؛ لأنها تُوجب النفرة المانعة عن اتباعهم، فيفوت مصلحة البعثة. والحقّ مَنْع ما يوجب النفرة، كعهر الأُمّهات والفجور والصغائر الدالّة على الخسّة. ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحي وبعده، لكنهم جوّزوا إظهار الكفر تقية، وإذا تقرّر هذا فما نُقِل عن الأنبياء مما يُشعر بكذب أو معصية، فما كان منقولًا بطريق الآحاد فمردود، وما كان منقولًا بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن، وإلّا فمحمول على ترك الأوْلى، أو كونه قبل البعثة وتفصيل ذلك في الكتب المبسوطة هذا كلامه، وفيه إشارة إلى ما صحّ عن آدم عليه السلام من قرب الشجرة المنهيّ عنها، وعن إبراهيم عليه السلام من صدور الكذب، حيث قال: هذا ربّي، وقال: بل فعله كبيرهم، وقال: إنّي سقيم، بالتواتر وحين قال لزوجته أنها أخته بالآحاد، وعن موسى عليه السلام من قتل القبطي بغيرْ حقّ، وعن داود عليه السلام من النظر بامرأة أوريا الواحدة، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة، وعن سليمان عليه السلام من الاشتغال بالصافنات الجياد وفوّت الصلاة بسببه، وعن يونس من الإباق إلى الفلك والمغاضبة على الله، وعن نبيّنا عليه السلام من قصة زيد وزينب وأمثاله، وإشارة إلى جواباتها وهي عن آدم بأنه فهم النهي نهي شفقة، لا نهي تحريم، أو يكون سهوًا وقبل البعثة، وعن إبراهيم بمنع القصة المرويّة بالآحاد وصرف قوله هذا ربّي، وقوله: كبيرهم وإني سقيم عن ظاهره، أو حمله على كونه قبل البعثة، كما يُجاب عن موسى بكونه قبل البعثة، وعن داود بكونه إقدامًا على الفعل المشروع، وهو نكاح المخطوبة لأوريا لا نظر منكوحته، وعن سليمان بعدم فوت الصلاة أو عدم كونه ذنبًا للنسيان، وعن يونس بكون المغاضبة على قومه أو نفسه، وعن نبيّنا عليه السلام بما سيأتي أنّ مَيْل

أخبر أن إمامة المسلمين لا تثبت لأهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: الآية ١١٣]. والمحسن المؤمن والظالم الكافر. قالت المعتزلة: هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للإمامة قالوا: وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكفّ الظلم فإذا نصب مَن كان ظالمًا في نفسه فقد جاء (**المثل السائر** «**مَن استرعى الذئب ظلم**). ولكنا نقول: المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق. وقيل: إنه سأل أن يكون ولده نبيًا كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيًا.

القلب غير مقدور، وقد ذكر في شرح المواقف في حقّ نبيّنا وسائر الأنبياء تمسّكات المخالفين بأجوبتها بوجوه شتّى وطرق كثيرة، فليطالع ثمة.

فالحقّ أنه لا خلاف لأحد في أن نبيّنا عليه السلام لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة طرفة عين قبل الوحي وبعده، كما ذكره أبو حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الأكبر، وفي أن الأنبياء كلّهم ليسوا بمعصومين عن الزلّة، وهي ما يقع من بني آدم من غير أن يكون قصده على ذلك، وبعد الوقوع لم يكن مستقرًا على ذلك كمثل من اختبى في طريق فخرّ فقام لم يكن من قصده أن يخرّ وبعد ما خرّ ما استقرّ كما صرّح به أهل الأصول، وهذا باب طويل مذكور في المطوّلات.اهـ. التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**بسكون الياء**) وتحذف لفظًا لالتقاء الساكنين، (**حمزة وحفص**) وفتحها الباقون. **قوله:** (**المثل السائر**) أي الجاري بين الناس. **قوله:** (**من استرعى الذئب ظلم**)، أي ظلم الغنم، ويجوز أن يُراد ظلم الذئب حيث كلّفه ما ليس في طبعه يُضرب لمن يولّي غير الأمين، قالوا: إنّ أوّل مَنْ قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أنّ عامر بن عبيد بن وهيب تزوّج صعبة بنت صيفيّ أخت أكثم، فولدت له بنين ذئبًا وكلبًا وسبعًا، فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حُبَيْب، وأغار على الأقياس وهم قيس بن نوفل وقيس بن وهبان وقيس بن جابر، فأخذ أموالهم وأغار بنو أسد على بني كلب وهم بنو أختهم فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالهم حتى أَفْتَدِيَ بهم بنيّ من بني أسد، فأراد أكثم أن يفعل ذلك، فقال أبوه صيفيّ:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ أي الكعبة وهو اسم غالب لها (**كالنجم للثريا**) ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ (مباءة) ومرجعًا (**للحجاج والعمار**) يتفرقون عنه (**ثم يتوبون**) إليه ﴿وَأَمْنًا﴾ وموضع أمن (**فإن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج**) وهو دليل لنا في الملتجىء إلى الحرم.

يا بني لا تفعل، فإن الكلب إنسان زهيد إن دفعت إليه أموالهم أمسكها، وإن دفعت إليه الأقياس أخذ منهم الفداء ولكن تجعل الأموال في يد الذئب، فإنه أمثل إخوته وأنبلهم وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم، فمُرْ الذئب أن يدفع إليهم أموالهم، فجعل أكثم الأموال على يدي الذئب، والأقياس على يدي الكلب، فخدع الكلب أخاه الذئب، فأخذ منه أموالهم، ثم قال لهم: إن شئت جززت نواصيكم وخلّيت سبيلكم وذهبت بأموالكم وخلّيتم سبيل أولادي وذهبتم بأموالهم، وبلغ ذلك أكثم، فقال: مَن استرعى الذئب ظلم، وأطمع الكلب في الفداء؛ فطوّل على الأقياس فأتاه أكثم، فقال: إنك لفي أموال بني أسد وأهلك في الهَوَان، ثم قال: نَعِيم كَلْب في بؤس أهله، فأرسلها مثلًا. اهـ. مجمع الأمثال.

قوله: (**كالنَّجم للثريا**)، العرب تسمّي الثريا نجمًا، وإن كانت في العدد نجومًا يقال: إنها سبعة أنجم، ستّة ظاهرة وواحدة خفيّة يمتحن الناس بها أبصارهم، وفي الشفا للقاضي عياض: أن النبيّ ﷺ كان يرى في الثريّا أحد عشر نجمًا. **قوله:** (مباءة) في المصباح: باء يبوء رجع. اهـ. **قوله:** (**للحُجّاج**) جمع الحاجّ. **قوله:** (**والعمار**) أي المعتمرين. **قوله:** (**ثم يتوبون**) أي يرجعون إليه بأعيانهم، أي أنفسهم أو بأمثالهم وأشباههم ومن يقوم مقام أنفسهم لظهور أن الزّائر بما لا يثوب، بل قلما يثوب، لكن صح إسناده إلى الكلّ لاتّحادهم في القصد والناس للجنس، ولا دلالة على أن كل فرد يزور فضلًا عن الثوب. **قوله:** (**فإن الجاني يأوي إليه فلا يتعرّض له حتى يخرج**)... الخ. لأن المشركين كانوا لا يتعرّضون لسكان الحرم، ويقولون: البيت بيت الله وسكانه أهل الله، بمعنى

....

أهل بيت الله، وكان الرجل يرى قاتل أبيه في الحرم ولا يتعرّض له، ويتعرّضون لمن حوله، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العَنكبوت: الآية ٦٧]، وهذا الشيء توارثوه من دين إسمٰعيل عليه السلام، فبقوا عليه إلى أيام النبيّ عليه السلام، فأجمعوا على أنّ مَنْ قُتِل في الحرم قُتِل به، ومَنْ أحدث فيه ما يُوجب الحدّ أُقيم الحدّ فيه، ومَنْ حارب فيه حُورِب وقُتل هنالك؛ لأنه صار منتهكًا لحُرمة الحرم بالجناية فيه، والقتل قصاصًا أو حدًّا شرع زجرًا عمّا يرتكب مثله في المستقبل، وكفارة عمّا ارتكبه ليجعل كالمعدوم، فيكون فيه صيانة حرمة الحرم وتحقّق تعظيمه بزجره وزجر غيره عن انتهاك حرمة الحرم، ورفع ما انتهك منها بقدر ما أمكن. وأمّا إذا جنى خارج الحرم جناية تُوجب القتل ثم التجأ إلى الحرم، فقد اختلف فيه فذهب الإمام الشافعي رحمه الله إلى أنه لا يأمنّ بالتجاء إليه ويستوفى منه في الحرم ما وجب عليه على ما رُوِي في الخبر من أن الحرم لا يفيد عاصيًا، وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: مَنْ لجأ إلى الحرم كان آمنًا من القتل ومن الأسباب الموجبة للقتل، فمن جنى خارج الحرم كما لا يقتل في الحرم لا يُخرج ليُقتل خارج الحرم عنده، لكن يمنع من الطعام والشراب ولا يبلغ منه، بل يضيّق عليه حتى يموت أو يضطرّ فيخرج بنفسه، فيُقتل. وقال أبو يوسف: للسلطان أن يخرجه من الحرم فيُقتل في الحدود، وللوليّ في القصاص، وأجمعوا على أن إقامة الحدود فيما دون النفس جائزة في الحرم، وإن لم يكن أسبابها في الحرم، والآية حجّة لنا على الإمام الشافعي رحمه الله في الملتجيء إلى الحرم إذا كان مباح الدم من حيث إنها تدلّ على أنه يصير آمنًا ما دام فيه، ومع ثبوت وصف الأمن لا يتحقّق إباحة القتل فلا يباح قتله في الحرم، ويؤيّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٧]، كأنه قال: من دخل البيت أمّنوه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩١]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إنَّ مكّة حرام بتحريم الله تعالى إيّاها يوم خلق السمٰوات والأرض، لم تحلّ لأحد قبلي ولا تحلّ لأحدٍ بعدي، وإنما حُلّت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر**

....

صيدها». اهـ. شيخ زاده رحمه الله. وقيل: أمنًا من الجنون والجذام والبرص، وقيل: آمنًا من أيدي الجبابرة، فإنه ما قصد قومٌ تخريبه إلّا وقد هلكوا؛ كأصحاب الفيل. وقيل: آمنًا للصيود حتى أن الأسود والذئب يتبع الظبي فيدخل الظبي الحرم فيرجع الذئب والأسد عن أثره، نصّ بكلّه الإمام الزاهد. وقيل: أمنًا لداخله من عذاب الله تعالى في النار، كما ذكره القاضي البيضاوي وصاحب الحسيني، وينبغي أن يعلم أنّ الله تعالى قد ذكر هذه العبارات تارة بلفظ البيت والكعبة، وتارة بلفظ المسجد الحرام، وتارة بلفظ البلد، وتارة بلفظ الحرم، والمراد من الكلّ واحد وهو حرمة الحرم، وإنّما يسمّى حرمًا لحُرْمة القتل والظلم والصيد وقطع الشوك والشجر وغير ذلك مما عُرِف في كتب الفقه، وقد ذكر في كتب المحدثين باب حرم مكّة وباب حرم مدينة، وفي الأحاديث دلالة على حرمة الحرمين جميعًا على السواء، ولم يعهد في كتب الفقه ذلك، ولكن قد ذكر سيد الشريف في شرح المشكاة أنه قال الشيخ التوربشتي: أراد بذلك التحريم والتعظيم دون ما عداه من الأحكام، وأن عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لا ضمان في صيد المدينة وقطع شجرها، بل هو حرام بلا ضمان. وقيل: مع ضمان.

وأمّا حدود الحرمين، فقد قال رسول الله ﷺ في حقّ المدينة: «**حُرِّم ما بين عير إلى ثوز**» الحديث، وفي شرح السيد الشريف: أن عير وثور جبلان بالمدينة كلّ منهما في طرف منها، وقيل: جبلان بمكّة، والمراد أن حرم مدينة قدر ما بين عير وثور من مكّة.

وأما حدود حرم مكّة، فلم يذكر في كتب المشاهير إلّا أنه قد نقل في بعض حواشي كتب الفقه أن الحرم حوالي مكّة، فمن قِبَل المشرق ستّة أميال، ومِنْ قِبَل المغرب أربعة وعشرون ميلًا، وقيل: ثلاثة أميال وهو الأصح، ومِنْ قِبل الشمال ثمانية عشر ميلًا، ومن قِبَل الجنوب أربعة وعشرون ميلًا. اهـ. التفسيرات الأحمدية. وفي شرح الإمام العالم العلّامة الحبر البحر الفهّامة وحيد دهره وفريد عصره ملا علي القاري المسمّى **المسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط على لباب المناسك** للعلامة الشيخ رحمة الله السندي رحمه الله.

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وقلنا اتخذوا منه (موضع صلاة تصلون فيه).

فصل في حدود الحَرَم زاده الله شرفًا وأمنًا وتعظيمًا

اعلم أنهم قد اختلفوا في ذلك، فقال الهندواني: مقدار الحرم من المشرق قدر ستة أميال، ومن الجانب الثاني عشرة أميال[١]، ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلًا، ومن الجانب الرابع أربعة وعشرون ميلًا، وهذا شيء لا يُعرف إلّا نقلًا، ولكن قال صدر الشهيد: فيه نظر، فإن مِنَ الجانب الثاني التنعيم، وهو قريب من ثلاثة أميال، كذا في الفتاوى الظهيرية، وفي السراجية من الجانب الثاني قيل: ثلاثة أميال، وهو الأصح. قلت: ومن رأى التنعيم، فلا يشكّ في أنه ثلاثة أميال، وإنّما الكلام على مرام الهندواني، فإنّ مراده من الجانب الثاني هو المغرب المقابل للمشرق، وهو لا يكون إلا نحو الحديبية قرب جدّة على طريق جدة، وهو على عشرة أميال بلا خلاف، (حدّه) أي حدّ الحرم (من **طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال من مكّة**) أي بلا شبهة، (**ومن طريق الجعرانة**[٢] **على سبعة أميال**) وهو قريب من قول الهندواني: قدر ستة أميال، (**ومن طريق جدة**) بضم جيم وتشديد دال مهملة وهي مكان معروف بقرب مكّة (**على عشرة أميال، ومن طريق الطائف على سبعة أميال**[٣]، **ومن طريق العراق على سبعة أميال**)، أي أيضًا على ما ذكر جماعة كثيرة كالأزرقي والنوويّ وغيرهما هذه الحدود، إلّا أن الأزرقي انفرد بقوله: إن حدّه من طريق الطائف أحد عشر ميلًا، ويمكن الجمع بأنه أراد غير طريق الجبل، وأراد غيره من الجمهور غيره. اهـ. بحروفه.

قوله: (**موضع صلاة تصلون فيه**)، وهذا الأمر للاستحباب لا للوجوب؛ لأن الصلاة في حوالي الكعبة جائزة في أية جهة من الجهات الأربعة شاء لا تخصيص

---

(١) وفي المنسك الكبير: ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلًا. اهـ. وقال في تاريخ الخميس عن الهندواني: ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلًا. اهـ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٢) وفي البحر العميق: ومن طريق الجعرانة في شعب آل عبد الله بن خالد على تسعة أميال بتقديم التاء على السين. اهـ. وهكذا في المنسك الكبير، والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(٣) قال في البحر العميق: ومن طريق اليمن طرف أضاة لبن على سبعة أميال من مكّة، وأضاة وزن قناة، ولبن بكسر اللام والباء الموحدة الساكنة والنون. اهـ. وفيه: وقيل: من طريق اليمن ستة أميال. اهـ. ١٢ منه عم فيوضهم.

(**وعنه ﷺ أنه أخذ بيد عمر فقال: «هذا مقام إبراهيم»**) فقال عمر: أفلا نتخذه مصلّى فقال ﷺ: «لم أومر بذلك». فلم تغب الشمس حتى نزلت.

له بمقام إبراهيم. اهـ. التفسيرات الأحمدية. **قوله: (وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر، فقال: «هذا مقام إبراهيم»)**... الخ، هكذا ذكر جمهور المفسّرين، وقد اختاره صاحب الكشاف والبيضاوي أيضًا، ثم قالا: وقيل: هو أمر بركعتي الطواف لما روى جابر بن عبد الله أنه عليه السلام عمد إلى مقام إبراهيم، فصلّى خلفه ركعتين، وقرأ واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى. وأقول: لا يخفى أن الأمر ح أيضًا للاستحباب، وأمّا ما يتوهّم من أن المراد بهذا الأمر لو كان ركعتين بعد الطواف، وهما واجبتان عند أبي حنيفة رحمه الله، فيكون الأمر للوجوب عنده فغير مرضيّ؛ لأن الركعتين المذكورتين وإنْ كانتا واجبتين عندنا بعد كل أسبوع، لكنهما غيرُ واجبتين في مقام إبراهيم خاصّة غاية الأمر أنّهما تُستحبّان ثمّة، فليس هذا الأمر المقيّد إلا للاستحباب، ولعلّه بهذا المعنى يستدلّ صاحب الهداية لوجوب هاتين الركعتين بهذه الآية، بل الحديث وهو قوله عليه الصّلاة والسّلام: «**وليصلّ الطائف بعد كل أسبوع ركعتين**»، حيث قال: «**ثم يأتي المقام فيصلّي ركعتين عنده أو حيث شاء من المسجد**»، وهي واجبة عندنا، وقال الشافعي رحمه الله: سنّة لانعدام دليل الوجوب، ولنا قوله عليه السلام: «**وليصلّ الطائف**»... الخ. هذا كلامه، فاستدلال صاحب الهداية بالحديث وترك الآية دليل على ما قلنا اهـ التفسيرات الأحمدية. في المسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط: (وهي) أي صلاة الطواف واجبة أي مستقلّة لا سنّة، كما قال الشافعي رحمه الله في قولٍ (بعد كل طواف)، أي ولو أدّى ناقصًا (فرضًا كان)، أي الطواف كركني الحجّ والعمرة (أو واجبًا) كالصدر والنذر (أو سنّة) كالقدوم، وكذا إذا كان مستحبًّا كتحية المسجد أو نفلًا كالتطوّع، بلا فرق بين الأطوفة خلافًا لرشيد الدين حيث قال: ينبغي أن يكونا واجبتين على إثر الطواف الواجب. قال ابن الهمام: وهو ليس بشيء لإطلاق الأدلّة، وفيه أن إطلاق الأدلّة لا ينفي قبول التقييد في المسألة إنْ صحّ فيها وجه من وجوه المقايسة، (ولا تختصّ) أي هذه الصلاة (بزمان ولا مكان)، أي باعتبار الجواز والصحة، وإلا فباعتبار الفضيلة تختصّ بوقوعها عقيب الطواف إنْ لم يكن وقت كراهة وتختصّ بإيقاعها خلف المقام ونحوه من أرض الحرم، (ولا تفوت) أي إلّا بأن يموت،

....

(فلو تركها لم تجبر بدم)، وفيه أنه لم يتصوّر تركها، فكيف يتصوّر الجبر؟ اللّهمّ إلّا أن يقال: المراد منه أنه لا يجب عليه الإيصاء بالكفّارة للإسقاط بخلاف الصوم والصلاة، حتى الوتر الواجب، ولعلّ الفرق ما قدَّمناه هذا، والمسألة خلافية؛ ففي البحر العميق: وحكم الواجبات أنه يلزمه دم مع تركها إلّا ركعتي الطواف، انتهى. ووجهه أنه واجب مستقلّ ليس له تعلّق بواجبات الحجّ أو لعدم تصوّر تركهما كما في بعض المناسك، ولا تُجبران بالدم، فإنّهما في ذمّته ما لم يصلهما؛ إذ لا يختصّان بزمان ولا مكان، ولكن ذكر الحدادي في شرح القدوري أنه إنْ تركهما ذكر في بعض المناسك أنّ عليه دمًا، ويؤيّده ما في البحر الزاهر، وهما واجبتان، فإن تركهما فعليه دم، وفي منسك: الأكثر على أنه لو تركهما لا يلزمه دم، وبه قالت الشافعية، وقيل: يلزم، انتهى. ولعلّه محمول تركه على الفوت بالموت، فيجب عليه الإيصاء، ويستحب للورثة أداء الجزاء، (ولو صلّاها خارج الحرم ولو بعد الرجوع إلى وطنه جاز، ويكره) أي كراهة تنزيه، لتركه الاستحباب كما سيأتي، أو تحريم لمخالفة الموالاة، أو لهما جميعًا. (والسنّة الموالاة بينهما وبين الطواف)، أي فراغه إن لم يكن وقت الكراهة، وإلّا فيصلّي بعد فرض المغرب قبل السنّة إنْ كان في الوقت سعة، (وتستحبّ مؤكدًا)، أي استحبابًا مؤكّدًا، فيفيد أن مراتب الاستحباب مختلفة كمراتب السنن المؤكدة، (خلف المقام) لموافقة فعله ﷺ على وفق الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، لا سيّما وقد قيل في الآية أن الأمر للوجوب، وهذا يقتضي أن تكون الصلاة خلفه من السنّة ويخلفه ما حوله، وسائر أماكن الفضيلة من الحرم؛ لأن فيه قولًا لبعض المفسّرين من أن المراد بمقام إبراهيم هو الحرم جميعه، ولذا قال: (وأفضل الأماكن لأدائها خلف المقام)، وفي معناه ما حوله من قرب المقام، كما يشير إليه من التبعيضية في الآية الشريفة، وكون الخلف أفضل لاختياره الحضرة المنيفة. (ثم في الكعبة)، أي داخلها، (ثم في الحجر تحت الميزاب)، أي خصوصًا، (ثم كل ما قَرُب من الحجر إلى البيت)، أي من قدر سبعة أذرع وما دونها، (ثم باقي الحجر ثم ما قرب من البيت)، أي في حواليه وجوانبه خصوصًا محاذاة الأركان ومقابلة الملتزم والباب ومقام جبريل عليه الصّلاة والسلام، (ثم المسجد) أي جميعه لكن المطاف

....

الذي محل المسجد في زمنه ﷺ أفضل، إلّا أنه لا يصلّي بحيث يشوّش على الطائفين ويُحرجهم إلى المرور بين يد المصلّي، (ثم الحرم) أي مكّة وما حولها من أعلام الحرم والمحترم، (ثم الأفضلية بعد الحرم)، أي بالنسبة إلى هذه الصلاة من حيثيّة اختصاصهما بالحرم، وهو لا ينافي أنه لو صلّاها في المسجد النبويّ أو المسجد الأقصى لأفضلية لها بالإضافة إلى ما عداهما، بل الإساءة، أي حاصلة لمجاوزته عن حدّ أدائها من المكان الذي هو المستحبّ والزمان الذي من السنّة إلى غيرهما من الأمكنة والأزمنة، (والمراد بما خلف المقام)، أي بالموضع الذي يسمّى خلف المقام، (قيل: ما يصدق عليه ذلك)، أي خلف المقام أو المقام (عادة وعرفًا مع القرب)، وهذا القيل متعيّن، فإنّ مَنْ صلّى آخر المسجد وراء المقام لا يُدرك فضيلة خلف المقام باتّفاق علماء الأنام، فإن العرف خصّه بما هو مفروش بحجارة الرخام، (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أنه إذا أراد أن يركع خلف المقام جعل بينه وبين المقام صفًا أو صفّين)، أي مقدارهما وأو للشكّ أو للتنويع المفيد للتخيير (أو رجلًا أو رجلين) يحتمل الشكّ والتنويع كذلك، ثم يحتمل أن المراد قدر ما يقف رجل أو رجلان، فيوافق ما قبله أو كأن يتأخّر عنهما بالفعل متحرّيًا إلى مقامه ﷺ إنْ صحّ مرفوعًا، ولعلّ وجه تأخّره عليه الصّلاة والسلام على تقدير صحته عن قرب المقام التنزّه عن مشابهة عبدة الأصنام في تلك الأيام، أو كان وقت الزحام وعدم التفات العوام لخير الأنام، (رواه عبد الرزّاق). وأمّا في رواية الشيخين عن عائشة رضي الله تعالى عنها: فركع عند المقام ركعتين، وفي روايتهما عن جابر: ثم تقدّم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، فجعل المقام بينه وبين البيت، هذا وقال الكرماني: وحيث ما صلّى من الحرم يجوز، وقال[1] مالك والثوري إن لم يصلّهما خلف المقام لم يجز وعليه دم، ولنا أن المراد بمقام إبراهيم في الآية الحرم كلّه؛ لأن أكثر الصحابة صلّوا ركعتي الطواف في المسجد دون المقام، وكذا في الحرم بذي طوى وغيره، فحملنا فعله عليه الصّلاة والسّلام على بيان الأفضل في المقام، انتهى. وفيه بحث لا

---

(١) وقوله: وقال مالك... الخ. في المنسك الكبير: وما ذكر الكرماني من اختصاصهما بالمقام عن مالك رحمه الله فغير مشهور عنه، انتهى. والله أعلم. ١٢ منه عم فيوضهم.

....

يخفى لأن الإمام مالكًا إنْ صحّ عنه ما نُسِب إليه يتمسّك بأنّ الأمر للوجوب في حقِّ المقام، وفعله عليه الصلاة والسلام مبيّن للمرام وغاية احتجاجنا عليه بفعل الصحابة الكرام، وهو لا ينافي كون الأمر للوجوب غاية الخلاف في أن المراد بالمقام عموم الحرم أو خصوص المقام، مع أن أحدًا من علمائنا لم يقل بالوجوب في هذا المقام، ويستحب أي عند الأربعة (أن يقرأ في الأولى بسورة الكافرون)، القراءة تتعدّى بالباء وغيرها الكافرون بالرفع على الحكاية، (وفي الثانية الإخلاص)، أي سورتها، (ويستحبّ أن يدعو بعدها)، أي بعد صلاة الطواف (لنفسه ولمن أحبَّ) أي من أقاربه ومشائخه وأصحابه (والمسلمين)، أي ولعمومهم ويدعو بدعاء آدم عليه السلام، وقد قدمناه[1]. (ولو صلّى أكثر من ركعتين)، أي الطواف واحد جاز إلّا أن الزائد على الركعتين يكون تطوّعًا.

(ولا تُجزىء المكتوبة)، أي المفروضة إلـهيّة (والمنذورة)، أي المفروضة الإنسانية (عنها)، أي عن صلاة الطواف، لكونها واجبة مستقلة، (ولا يجوز اقتداء مصلّي ركعتي الطواف) بمثله؛ لأن طواف (هذا) الأولى أن يقول: لأن (طواف كل غير طواف الآخر)، أي لاختلاف السبب كصلاتي الظهر والعصر، وإن كان الطوافان من نوع واحد، والصلاتان من جنس متّحد، (ولو طاف) بصبي، أي غير مميّز (لا يصلّي عنه) أي ركعتي الطواف، لأنه لا تصحّ النيابة عندنا في العبادة من الصوم والصلاة، كما حقّق في إسقاطهما، (ويكره تأخيرها عن الطواف)؛ لأن

---

(١) أي ومن المأثور دعاء آدم عليه السلام: اللّهمّ إنك تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتَعْلم حاجتي فأعطني سُؤْلي، وتَعْلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي. اللّهمّ إنّي أسألك إيمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلّا ما كتبتَ لي، ورضًا بما قسمت لي يا أرحم الراحمين. رُوِي أنه أوحى الله تعالى إلى آدم: إنك دعوتني دعاء استجبت لك منه وغفرت ذنوبك وفرّجت همومك وغمومك، وما يدعو به أحد من ذرّيتك مِنْ بعدك إلّا فعلت ذلك به ونزعت فقره من بين عينيه واتّجرت له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي كارهة وإنْ لم يُرِدها، على ما رواه الأزرقي والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدعوات، وابن عساكر. وورد أن آدم عليه السلام دعا به خلف المقام، وفي رواية: عند الملتزم، وفي رواية: عند الركن اليماني، ولا مُنافاة بين الروايات لاحتمال أنه دعا في المقامات. اهـ المسلك المتقسّط في المنسك المتوسّط. ١ منه عمّ فيوضهم.

....

الموالاة بينه وبينهما سنّة (إلّا في وقت مكروه)، فلذا قال كما قيل، (ولو طاف بعد العصر يصلّي المغرب ثم ركعتي الطواف)؛ لكونهما واجبتين ولسبق تعلّقهما بالذمّة من قبل السنّة، (ثم سنّة المغرب)، ويؤيّده ما قالوا في صلاة الجنازة إذا حضرت يصلّي المغرب، ثم الجنازة، ثم سنّة المغرب، ولا شكّ أنّ هذا مثله؛ لأن حكم الواجب والفرض سواء في العمل، وإنْ كان بينهما فرق في الاعتقاد، (ولا تصلّى) بصيغة المجهول، أي لا تصلّى هذه الصّلاة (إلّا في وقتٍ مباح)، أي لسعة زمانه، (فإن صلّاها في وقت مكروه كما سيأتي) بيانه، (قيل: صحت مع الكراهة)، أي إن أدّاها، (ويجب عليه قطعها) أي في أثنائها، (فإن مضى فيها)، أي بأن كملها، (فالأحب أن يعيدها) لعموم القاعدة: أن كلّ صلاة أُدّيت مع الكراهة التنزيهية يستحبّ إعادتها، ومع الكراهة التحريمية يجب إعادتها، (وأوقات الكراهة)، أي لهذه الصلاة، وهي أعمّ من التحريميّة والتنزيهيّة (بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قدر رمح)[1]، لكن عند الطلوع حرام كما هو عند العرب، وكذا ما خصّه بقوله: (ووقت الاستواء)، أي قرب أوانه لعدم إدراك حقيقة زمانه، (وبعد العصر) أي بعد أدائه (إلى أداء المغرب)، أي حتى بعد الغروب قبل أداء الفرض، (وعند الخطبة)، أي الخطب كلّها، إلّا أن عند خطبة الجمعة أشدّ كراهة، (وشروع الإمام) أي إمام مذهبه (في المكتوبة) لما ورد: «**إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة**»، وفي سنّة الصبح تفصيل طويل متعلّق بالمسألة، (وبين صلاتي الجمع بعرفات)، أي في جمع التقديم، (ومزدلفة)، أي في جمع التأخير لمن يجمع بينهما، كما يُستفاد من قيد الجمع.

واعلم أنه صرّح الطحاوي رحمه الله وغيره بكراهة أداء ركعتي الطواف في الأوقات الخمسة المنهيّ عن الصلاة فيها عند أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله، ونقل عن مجاهد والنخعي وعطاء جواز أدائها بعد العصر قبل اصفرار الشمس، وبعد الصبح قبل طلوع الشمس، أي قبل احمرار آثارها، قال الطحاوي: وإليه نذهب.

---

(١) وهو اثنا عشر شبرًا، والله سبحانه وتعالى أعلم. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

وقيل: (**مصلى مَدْعَى**)، ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه. وقيل: الحرم كله مقام إبراهيم. («**واتخذوا**» **شامي ونافع بلفظ الماضي**) عطفًا على «**جعلنا**» أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي (**وسم به**) لاهتمامه به وإسكان ذرّيته عنده قبلة يصلّون إليها ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ (**أمرناهما**) ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ (**بفتح الياء: مدني وحفص أي بأن طهّرا أو أي طهّرا**

والحاصل أنهم فرّقوا في المسألة حيث جوّزوها وقت الكراهة التنزيهية دون زمان الكراهة التحريمية إلحاقًا لصلاة الطواف من حيث إنه واجب بالفرائض وسائر الواجبات، والمحقّقون فرّقوا بين قضاء الوتر وأداء ركعتي الطواف، ولو كانا واجبتين بأن الأول واجب بإيجاب الله تعالى عليه، والآخر بإيجاب العبد على نفسه بالتزامه لفعل الطواف، ولو كان واجبًا عليه، وهذا تحقيق وتدقيق ويؤيّد ما ذكرناه ما علّله الطحاوي فيما اختاره بقوله: ولما كانت الصلاة على الجنائز كالصلاة الفائتة كانت صلاة الطواف مثله يجوز أداؤها في هذين الوقتين؛ لأنّ وجوبها كوجوب صلاة الجنازة، انتهى. وفيه مباحث لا تخفى تظهر في المطالعة بين كلامه وبين ما ذكرنا فيما تقدم، والله أعلم. اهـ. بحروفه.

قوله: (**وقيل: مصلى مَدْعَى**) أي موضع الدعاء. **قوله:** (**واتّخذوا**) بفتح الخاء (**شامي**) أي ابن عامر الشامي، (**ونافع**) المدني (**بلفظ الماضي**). والباقون بكسرها على الأمر. **قوله:** (**وسم به**) في المصباح: وسَمْتُ الشيء وَسْمًا من باب وعد، والاسم السمة وهي العلَامة. اهـ. وفي مختار الصحاح: وسمه من باب وعد وسمة أيضًا أثّر فيه بسمة وكيّ. اهـ. أي سمّي بمقام إبراهيم لاختصاصه به من حيث إنه بناه بنفسه باستعانة ابنه، واختار فنائه مسكنًا لذرّيته، فالمراد بالمصلّى المكان الذي يصلّي إليه، وهو الكعبة. **قوله:** (**أمرناهما**)، فإن العهد قد يكون بمعنى الأمر والوصية، يقال: عهد إليه، أي أمره وأوصاه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: الآية ٦٠]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: الآية ١١٥].

قوله: (**بفتح الياء مدنيّ**)، أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني، وليس من السبعة و(**حفص**) وكذا هشام عن ابن عامر. والباقون بالإسكان. **قوله:** (**أي بأن طهّرا أو أي طهّرا**) أي الأمر لا بدّ له من المأمور به، وهو في

والمعنى طهراه من الأوثان) والخبائث والأنجاس كلها ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ للدائرين حوله ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا (لا يبرحون) أو المعتكفين. وقيل: للطائفين (للنزاع إليه) من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة. ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ والمصلين (جمعًا راكع وساجد).

الآية تطهيرهما البيت، فلذلك قدّر الباء بقوله: بأن طهرا، وحذف الجار من أن وإن شائع كثير مدخول الجار بعد حذفه. أمّا في موضع النصب إنْ حذف الجار منسيًا وأوصل الفعل إليه بنفسه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥]، أو في موضع الجرّ على إرادة الجار وعدم كونه منسيًا، كما في قولك: والله لأفعلنّ، بالجرّ، ويحتمل أن لا يكون له محلّ من الإعراب على أن تكون أن مفسّرة بمعنى أي، كالتي في قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ [صٓ: الآية ٦] أن امشوا، وأن المفسّرة لا تصحب من الألفاظ إلّا ما يتضمّن معنى القول كالعهد في هذه الآية، ولا تصاحب صريح القول، فلا يقال: قلت لزيد أن افعل كذا.

قوله: (والمعنى طهراه من الأوثان)[1]، أي احفظاه من أن ينصب حوله شيء من الأوثان ونحوها لا بمعنى أزيلا وأخرجا عنه ذلك؛ كقولك لحافر البئر: ضيّق فم الركبة، وللخياط: وسّع كمّ القميص، فإنك لا تريد أن تقول: أزِلْ ما فيهما من الوسعة والضّيق، بل المراد صنعهما ابتداءً ضيقة الفم وأوسع الكمّ اهـ شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (لا يبرحون) في المصباح ما برح مكانه لم يفارقه، وما برح يفعل كذا بمعنى المُواظبة والملازمة. **قوله:** (للنزاع إليه)، في المصباح: نزع إلى الشيء نزاعًا ذهب إليه واشتاق أيضًا. اهـ. **قوله:** (جمعًا راكع وساجد) عبارة البيضاوي وغيره: جمع راكع وساجد.

---

(١) قوله: من الأوثان، فيه أنه لم يكن هناك إذ ذاك أوثان عند البيت حتى يطَّهر منها إلّا أن يقال: المراد أدِيمَا طهارته منها، أي امنعا أن تُعبد هي عنده لو طلب بعض المشركين أن يفعل ذلك. اهـ جمل. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ (ذا أمن كعيشة راضية أو آمنًا من فيه كقولك «ليل نائم») فهذا مفعول أول. و«بلدًا» مفعول ثانٍ و«آمنًا» صفة له. ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لأنه لم يكن لهم ثمرة. ثم أبدل ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ من «أهله» بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة. قاس الرزق على الإمامة فخصّ المؤمنين به. قال الله تعالى جوابًا له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ (أي وارزق) من كفر ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ تمتيعًا قليلًا أو زمانًا قليلًا إلى حين أجله. («فأمْتعه»: شامي) ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع الذي يصير إليه النار فالمخصوص بالذمّ محذوف.

قوله: (ذا أمن كعيشة راضية، أو آمنًا من فيه؛ كقولك: ليل نائم) لمّا لم يصح أن يوصف البلد بالأمن حقيقة ذكر له وجهين: الأول: أن يكون أمنًا من باب النسب كلابن وتامر، فإنهما لنسبة موصوفهما إلى مأخذهما كأنه قيل لبنيّ وتمريّ، فالمعنى بلد منسوب إلى الأمن، ومثله عيشة راضية عند مَنْ جعلها بمعنى ذات رضى، لا بمعنى مرضية على طريق إسناد المبنيّ للفاعل إلى المفعول إسنادًا مجازيًّا عقليًّا، وإن جعل من باب النّسب يكون الإسناد حقيقيًّا. والثاني ما أشار إليه بقوله: (أو آمنًا مَنْ فيه)، فيكون من قبيل الإسناد المجازي؛ لأن الأمن الذي هو صفة لأهل البلد حقيقة قد أسند إلى مكانهم للملابسة بينهما، كما أسند صفة النائم إلى زمان (كقولك: ليلٌ نائم).

قوله: (أي وارزق[1]) بلفظ المتكلّم. **قوله:** (فأمتعه) بضم الهمزة وسكون الميم وتخفيف التاء وضمّ العين مضارع أمتع المتعدّي بالهمزة، (شامي) أي ابن عامر الشامي، والباقون بضمّ الهمزة وفتح الميم وشدّ التاء مضارع متّع المُعدّى بالتضعيف.

---

(١) بصيغة المتكلم، ١٢ منه فيوضهم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾ **(حكاية حال ماضية)** ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ هي جمع قاعدة وهي الأساس **(والأصل)** لما فوقه **(وهي صفة غالبة)** ومعناها الثابتة. **(ورفع الأساس البناء عليها)** لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر. ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ بيت الله وهو الكعبة ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ هو عطف على إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ﴿رَبَّنَا﴾ أي يقولان ربنا. وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره **(عبد الله)** في قراءته ومعناه يرفعانها

قوله: (حكاية حال ماضية) حيث عبّر بلفظ المضارع عن الرفع الواقع في الماضي، أي في الزمان المتقدم على متعلق نزول الوحي بأن تقدّر ذلك الرفع السابق واقعًا في الحال، كأنّك تصوّره للمخاطب وتريه على وجه المشاهدة والعيان اهـ شيخ زاده رحمه الله.

وقال العلّامة عبد الحكيم رحمه الله: قوله: حكاية حال ماضية لمضيّ هذه القصة؛ ولأن إذ للماضي والنكتة استحضاره حالة البناء، ومع تضرّعهما في الدعاء ليقتدي الناس به عليه السلام في إتيان الطاعات الشاقّة، مع الابتهال إلى الله تعالى في قبولهما ويعلموا عظمة البيت، فيُعظّموه.اهـ. **قوله: (والأصل)** عطف تفسير. **قوله: (وهي صفة غالبة)** يعني أن القاعدة في الأصل صفة بمعنى الثابتة، ثم صارت بالغلبة من قبيل الأسماء، بحيث لا يذكر لها موصوف ولا يقدّر. **قوله: (ورفع الأساس البناء عليها)**... الخ. أنّث الضمير الأساس لكونه في معنى القاعدة وهو جواب عن سؤال مقدّر، وهو أن يقال: رفع الشيء أن يفصل عن الأرض، ويُجعل عاليًا مرتفعًا، والأساس أبدًا ثابت على الأرض، فما معنى رفعه؟

وأجاب عنه بأن المراد برفع الأساس البناء عليه، وعبّر عن البناء على الأساس برفعها؛ لأن البناء ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع، فيوجد الرفع حقيقة، إلّا أن أساس البيت واحد وعبّر عنه بلفظ القواعد باعتبار أجزائه كأنّ كل جزء من الأساس أساسٌ لما فوقه. **قوله: (عبد الله)** بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه.

قائلين ربنا ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ تقربنا إليك ببناء هذا البيت ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضمائرنا ونياتنا. (**وفي إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين**).

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ (**مخلصين لك**) أوجهنا من قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٢] أو مستسلمين يقال: أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن، والمعنى زدنا إخلاصًا وإذعانًا لك. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ واجعل من ذريتنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (و«من» **للتبعيض أو للتبيين. وقيل: أراد بالإمامة أمة محمد** عليه السلام) وإنما

قوله: (وفي إبهام القواعد وتبيينهما بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين) حيث لم يقل قواعد البيت بالإضافة، مع أنه أخصّ، بل ذكر القواعد مبهمة ثم بينهما أي قيّدها بمضمون الحال، فإنّ قوله: من البيت في موضع النصب على أنه حال من القواعد، وكلمة مَن ابتدائية لا بيانية لعدم صحة أن يقال التي هي البيت، وطريق الإيضاح بعد الإبهام إنما يُسلك إذا قصد تفخيم شأن المبين.

قوله: (مخلصين لك). . . الخ. أسلم يكون بمعنى أخلص وانقاد، ولمّا كانا مخلصين مُنقادين أوّلهما بأنّ المراد الزيادة في ذلك والإذعان في اللغة بمعنى الانقياد. **قوله: (ومن للتبعيض)**، ومحل الجار والمجرور النصب على أنه مفعول أوّل لجعل بمعنى صيّر، وأمّة ثانيهما، ومسلمة صفة لأُمّة. **قوله: (أو للتبيين)** والجار والمجرور في محل النصب على الحال لتقدّمه على الموصوف، وهو أُمّة، وأُمّة مفعول أوّل لجعل، ومسلمة مفعول ثان، ولك متعلق بمسلمة، والتقدير: واجعل أمّة من ذرّيتنا مسلمة لك قُدِّم البيان على المبين، وفَصَل به بين العاطف وهو الواو والمعطوف وهو أمّة مسلمة، كما قدّم من الأرض على مثلهن، وفصل به بين الواو ومثلهنّ. **قوله: (وقيل: أراد بالأُمّة أمّة محمّد عليه السلام)** أن أُريد أُمّة محمّد ﷺ إلى يوم القيامة أو أُمّته في جميع الأقطار، فلا رَيْب في عدم كونهم من ذرّيتهما، وإن أُريد العرب خاصّة، فلا قرينة للتخصيص مع أن الأصل في العام الإبقاء على عمومه، ولعلّ لهذا مرضه اهـ قنوي رحمه الله.

خصًا بالدعاء ذريتهما لأنهم أولى بالشفقة (**كقوله تعالى**: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: الآية ٦]). ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ (**منقول من «رأى» بمعنى أبصر**) أو عرف (**ولذا لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا**) في الحج أو عرفناها. وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك. («وأرنا»: مكيّ) قاسه على فخذ (**في فخذ، وأبو عمرو يشم الكسرة**). ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ (**ما فرط منا من التقصير أو استتابًا لذريتهما**) ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله: كقوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [الآية ٦]) بالحمل على طاعة الله (﴿نَارًا﴾ [الآية ٦])، **قوله: (منقول**[1] **مَنْ رأى بمعنى أبصر)**، فيكون من الرؤية البصرية، أو عرف أي أو بمعنى عرف من الرؤية العلمية إلى باب الأفعال، فقوله: أرِنا أمر مخاطب أصله: أرئنا نُقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة تخفيفًا، (**ولذا**) أي لكونه من رأى المتعدّي إلى مفعول واحد، (**لم يتجاوز**) بعد زيادة همزة الأفعال عن (**مفعولين**) إلى الثالث، ولو كان من رأى بمعنى علم لتعدّى بعد زيادة الهمزة إلى ثلاثة مفاعيل، (**أي وبصرنا متعبّداتنا**) على صيغة الظرف، أي المواضعة التي يتعلّق بها النسك، أي أفعال الحجّ التي تحرم منها، والمواضع التي يوقف فيها بعرفة ومزدلفة وموضع الطواف والصفا والمروة وما بينهما من المسعى، وموضع رمي الجمار وكل متعبّد فهو منسك، ومنسك بالفتح والكسر. **قوله: (وأرنا بسكون الراء مكّي)** أي ابن كثير المكي، قاسه على فخِذ بسكون الخاء (**في فخذ، وأبو عمرو**) البصري (**يشمّ الكسرة**) عبارة الكشاف: وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة. اهـ. وعبارة تفسير المظهري وغيره من التفاسير وكتب القراءة: وقرأ أبو عمرو باختلاس. اهـ. أي اختلاس الكسرة. واختلاس الكسرة أن يتلفّظ بها بحيث تكون بين الكسرة والسكون، أي تكون كسرة ناقصة. اهـ. شيخ زاده رحمه الله. والباقون بكسرة كاملة على الأصل.

قوله: (ما فرط منا من التقصير أو استتابا لذرّيتهما) كان سائلًا، قال: التوبة هي الرجوع عن الذنب، فتقتضي أن يتقدم الذنب عليها وهما من الأنبياء

---

(١) قوله: منقول من رأى، بمعنى أبصر أو عرف فيتعدّى بالهمزة إلى مفعولين بعد تعديه واحد. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾ في الأمة المسلمة ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ من أنفسهم فبعث الله فيهم محمدًا عليه السلام، قال (عليه السلام «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي**»).

المعصومين، فما معنى استتابتهما منه تعالى؟ فأجاب عنه بوجهين تقرير الأول: أن الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام معصومون من الكبائر بالاتّفاق. وأمّا الصغائر، فإنها تجوز أن تصدر عنهم عند المعتزلة مطلقًا، أي سهوًا كانت أو عمدًا، وعند أهل السنّة يجوز صدورها عنهم سهوًا لا عمدًا، كما يجوز عليهم ترك الأوْلى، فإن الإنسان وإن اجتهد في طاعة ربّه فإنه لا ينفكّ عن التقصير من بعض الوجوه إمّا على سبيل السّهو أو على سبيل ترك الأوْلى، ومثل هذه الزلّة وإنْ رُفِعَت عن الأمّة إلّا أن هذه الآية دلّت على أن الأنبياء يجوز أن يؤاخذوا بها وإلّا لما سألا التوبة عنها. قال الشيخ أبو منصور الماتريدي: في الآية دلالة على أن الأنبياء عليهم السّلام قد يكون منهم الزلّات والعثرات على غير قصدٍ منهم، فإنهما سألا التوبة من الله تعالى، ولن تكون إلّا عن زلّة وتقرير الوجه الثاني من الجواب أنّ الله تعالى لمّا أعلم إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام أن في ذرّيته مَنْ يكون ظالمًا عاصيًا طلب من الله تعالى أن يوفّق أولئك المؤمنين العصاة للتوبة، فقال: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ أي على المذنبين من ذرّيتنا، فقولهما علينا إمّا محمول على حذف المضاف، والتقدير: على ذرّيتنا، أو محمول على أن ينسب الأب المشفق زلّات أولاده وفروعه إلى نفسه عند اعتذاره عنهم وشفاعته في حقّهم، فيقول: أجرمت وأذنبت فاقبل عذري وتجاوز عنّي، ومراده أن يقول: أذنب ولدي، فإن أولاد الإنسان تجري مجرى نفسه.

قوله: (عليه السلام: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أُمّي**»)، أي أثر دعوته أو مدعوّه أو عين دعوته على المبالغة، ولمّا كان إسمٰعيل شريكًا في دعوته كان رسول الله ﷺ دعوة إسمٰعيل أيضًا، إلّا أنه خصّ إبراهيم لشرافته وكونه أصلًا في الدعاء. اهـ. عبد الحكيم. وهذا الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل وشارح السنّة عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ، أنّه قال: «**سأخبركم بأوّل**

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنّة وفهم القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب الذي **(لا يغلب)** ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما **(أوليت)**.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ استفهام بمعنى الجحد وإنكار أن يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملّة إبراهيم. والملّة السنّة والطريقة كذا عن **(الزجاج)** ﴿إِلَّا مَن﴾ في محل الرفع على البدل من الضمير في «يرغب»، وصح البدل لأن مَن يرغب غير موجب كقولك: «هل جاءك أحد إلا زيد» والمعنى وما يرغب عن ملّة إبراهيم إلا من ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي جهل نفسه أي لم يفكر في

أمري، أنا دعوة إبراهيم عليه السلام، وبشارة عيسى عليه السلام، ورؤيا أُمي التي رأت حين وضعتني»، فدعوة إبراهيم عليه السلام في هذه الآية وبشارة عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: الآية ٦]، ورؤيا أُمّه كما رواه الدارمي هي **التي** رأت حين وضعته وقد خرج لها نورًا أضاءت له قصور الشام، وأُمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف من بني زهرة، وفي الاستدلال برؤياها يرشح إسلامها. اهـ. شهاب رحمه الله.

قوله: (لا يغلب) على صيغة المجهول. **قوله: (أوليت)** بالخطاب، أي أنعمت.

قوله: (الزجاج) هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن السرّي بن سهل النحويّ، كان من أهل العلم بالأدب والدِّين المتين، وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم وله كتاب الأمالي وكتاب ما قصر من جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب شرح أبيات سيبويه، وكتاب النوادر، وكتاب الأنواء وغير ذلك، وأخذ الأدب عن المبرّد وثعلب رحمهما الله تعالى، وكان

نفسه. فوضع «سفه» موضع جهل وعدّي كما عدّي، أو معناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف «من» في قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٥] أي من قومه، وعلى في قوله: (﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾) [البقرة: الآية ٢٣٥]. أي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج. وقال (الفراء): هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة. ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بيان لخطأ رأي من يرغب عن ملّته لأن من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة من طريقته منه.

﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١﴾

﴿إِذۡ قَالَ﴾ ظرف لاصطفيناه، أو انتصب بإضمار «اذكر» كأنه قيل: اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملّة مثله. ﴿لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ﴾ أذعن أو أطع أو أخلص دينك لله ﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي أخلصت أو انقدت.

يخرط الزجاج ثم تركه واشتغل بالأدب، فنُسِب إليه واختصّ بصحبة الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب، وعلّم ولده القاسم الأدب توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة عشرة، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ستّ عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله تعالى، وقد أناف على ثمانين سنة، وإليه ينسب أبو القاسم عبد الرحمٰن ابن الزجّاج صاحب كتاب الجمل في النحو؛ لأنه كان تلميذه وعنه أخذ أبو علي الفارسي أيضًا رحمه الله.

قوله: (﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾)، المقصود النهي عن تزوّج المعتدّة في زمان عدتها، إلا أنه نهى عن العزم على عقدة النكاح للمبالغة في النهي عن النكاح في زمان العدّة، فإن العزم على الشيء متقدّم عليه، والنهي عن مقدمات الشيء يستلزم النهي عن ذلك الشيء بطريق الأَوْلى. **قوله: (الفرّاء)** هو أبو زكريا يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي الديلمي الكوفي كان أبرع الكوفيّين وأعلمهم بالنّحو واللغة وفنون الأدب، وإنما قيل له الفرّاء ولم يكن يعمل الفراء ولا يبيعها؛ لأنه كان يفري الكلام، توفي سنة سبع ومائتين في طريق مكّة وعمره ثلاث وستّون سنة رحمه الله.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَوَصَّىٰ﴾ («**وأوصى**» **مدني وشامي**). ﴿بِهَآ﴾ بالملّة أو بالكلمة وهي «أسلمت لرب العالمين» (﴿إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾) هو معطوف على إبراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها (**يعقوب بنيه**) أيضًا (﴿يَٰبَنِيَّ﴾ على **إضمار القول**) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي أعطاكم الدين الذي هو (**صفوة**) الأديان (**وهو دين الإسلام**) ووفقكم للأخذ به ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال

قوله: (وأوصى) بهمزة مفتوحة بين الواوين وإسكان الثاني وتخفيف الصاد، **(مدني)** أي نافع المدني، وكذا أبو جعفر المدني وليس من السبعة، **(وشامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بالتشديد من غير همز معدّى بالتضعيف.

قوله: (إبراهيم بنيه) وبنو إبراهيم كانوا أربعة: إسمٰعيل وإسحٰق ومدين ومدان، وقيل: ثمانية، وقيل: أربعة عشر اهـ بيضاوي. **قوله: (يعقوب بنيه)** وبنو يعقوب اثنا عشر روبين بضم الراء وكسر الباء وياء ونون، وقال النيسابوري: الصحيح روبيل باللام، وشمعون[1] ولاوىٰ ويَهُودا وبَشْسُوْخور وزَبُولون وزواني وتفتوني وكودا ولوشير وبنيامين بوزن إسرافيل ويوسف. **قوله: (يا بني)** أصله يا بنين لي، فأُضيف إلى ياء المتكلم فحُذفت نون الجمع بالإضافة إلى المتكلّم، فاجتمعت ياء الجمع وياء المتكلّم، فأُدغمت الأُولى في الثانية، فصار: يا بنيّ. **(على إضمار القول)** عند البصريّين، تقديره: وصّى، وقال: يا بنيّ؛ وذلك لأن يا بني جملة، والجملة لا تقع مفعولًا إلّا لأفعال القلوب أو لفعل القول عند البصريّين. وقال الكوفيون: الجملة تقع في حيِّز كل فعل بمعنى القول أيضًا، كالوصية والدعوة والوعد والرسالة والإبلاغ والإنذار والوحي، وهذا خلافٌ شائع بينهم، فإنّ الوصية من حيث إنها لا تكون إلّا بالقول كانت بمعنى القول ونوعًا منه. **قوله: (صفوة)** مثلّثة الصاد أي خالص. **قوله: (وهو دين الإسلام)** والمراد

---

(١) بكسر الشين، فتوى نقلًا عن مولانا خسرو رحمه الله. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

الإسلام إذا ماتوا كقولك: «لا تصلّ إلا وأنت خاشع» فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في صلاته.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ («أم» **منقطعة**) ومعنى الهمزة فيها الإنكار. والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أي حين احتضر، والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي. (**أو متصلة**) ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبيّ إلا على اليهودية كأنه قيل: أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من «إذ» الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لـ«حضر» ﴿لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ «ما» استفهام في محل النصب بـ«تعبدون» أي أيّ شيء تبعدون؟ (و«ما» **عام في كل شيء**

بدين الإسلام الدِّين الذي به الإخلاص[1] لله والانقياد له وبه يعلم أن الإسلام يُطلق على غير ديننا، لكن العرف خصّصه به اهـ شهاب رحمه الله.

قوله: (أم منقطعة) بمعنى بل، والهمزة ومعنى بل الإضراب عن الكلام الأوّل، وهو بيان توصية إبراهيم عليه السلام إلى توبيخ اليهود على ادّعائهم اليهودية على يعقوب وأبنائه، ففائدتها الانتقال من جملة إلى أخرى أهمّ من الأُولى اهـ عبد الحكيم رحمه الله. وقال العلّامة شيخ زاده: قوله: أم منقطعة قد تقرّر أنها بمعنى الهمزة لتضمّنها معنى بل الإضرابية، ويكون ما بعدها كلامًا مستأنفًا منقطعًا عمّا قبلها حيث وقع الإضراب عنه بخلاف أم المتّصلة في نحو قولك: أزيد عندك أم عمرو؟ فإنّ ما بعدها لا يكون منقطعًا عمّا قبلها، وكفى دليلًا على ذلك أنك تعبّر عنها باسم مفرد، فتقول معناه: أيّهما عندك؟ **قوله: (أو متّصلة)** وهي التي تذكر بعد همزة الاستفهام طلبًا للتعيين، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ **قوله: (وما عام في كل شيء)**، أي يصح إطلاقه على ذي العقل وغيره عند الإبهام سواء كان للاستفهام أو

---

(١) الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام، وفقكم الله للأخذ به.

أو هو **سؤال عن صفة المعبود)** كما تقول «ما زيد» تريد أفقيه أم طبيب. ﴿مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾ من بعد موتي ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ أعيد ذكر الإلـٰه لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار. ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ عطف بيان لآبائك، وجعل إسماعيل من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب **(قال** عليه السلام **في العباس)** «هذا بقية آبائي». ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ بدل من «إلـٰه آبائك» **(كقوله:)** ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ

غيره، وإذا عُلِم أنّ الشيء من ذوي العقل والعلم فرّق بين مَنْ وما، فيخصّ مَنْ بذوي العلم وما بغيره، ولهذا الاعتبار يقال: إن ما لغير العقلاء. **قوله: (أو هو سؤال عن صفة المعبود)**، كأنه قيل: أمعبودًا عظيمًا حقيقًا بالعبادة تعبدونه أم غيره، ممّا لا يستحقّها. **قوله: (قال عليه السلام في العبّاس)** أي في حقّه رضي الله تعالى عنه هذا بقيّة آبائي، أي قال عليه السلام لعمر رضي الله تعالى عنه في شأن العباس رضي الله تعالى عنه حين طلب عمر من العباس رضي الله تعالى عنهما من زكاة الإبل وغيرها ما لا يرضى به نفسه، فاعتذر إليه النبيّ عليه السلام، فقال: «**هذا بقيّة آبائي**» أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه وغيره بلفظ: «**احفظوني في العباس، فإنه بقيّة آبائي**» تمثيل لإطلاق لفظ الأب على العمّ بطريق الاستعارة المبنيّة على المشابهة؛ إذ لا وجه لاعتبار التغليب فيه، لأن التغليب لا يكون إلّا بين شيئين، ووجه كونه مثالًا لإطلاق الأب على العمّ أنه عليه الصّلاة والسّلام، لما قال في حقّ عمّه: «**إنه بقيّة آبائي**»، فقد أطلق عليه اسم الأب معنًى؛ لأن بقيّة الشيء لا تكون إلّا من جنسه، فلا يقال للأخ إنه بقية الأب ويقال بقية القوم لواحد بقي منهم، فكأنه عليه الصّلاة والسلام قال: إنه الذي بقي من جملة آبائي. والعباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ خرج مع المشركين إلى بدر مُكرهًا وأسر وفدا نفسه وابني أخويه عقيلًا ونوفل بن الحارث، وأسلم عقيب ذلك، وقيل: أسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه مقيمًا بمكّة يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله ﷺ، وكان عونًا للمسلمين المستضعفين بمكّة، قالوا: وأراد القدوم إلى المدينة، فقال له النبيّ ﷺ: «**مقامك بمكّة خير**»، وكان رسول الله ﷺ يعظّمه ويُكرمه ويبجّله، وكانت الصحابة تكرمه وتعظّمه وتقدمه وتشاوره وتأخذ برأيه، توفي بالمدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: من رمضان سنة ثنتين وثلاثين، وقيل: أربع وثلاثين وهو ابن نحو ثمان وثمانين سنة، وهو معتدل القامة وقبره

بِنَتِهِ لَنَسْفَعًا (بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ) خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: الآيتان ١٥، ١٦] أو نصب على الاختصاص أي نريد بإلٰه آبائك إلٰهًا واحدًا. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ **(حال من فاعل «نعبد»)** أو جملة معطوفة على «نعبد» **(أو جملة اعتراضية مؤكدة)**.

مشهور بالبقيع، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسة وثلاثون حديثًا اتّفقا على حديث وانفرد البخاري بحديث ومسلم بثلاثة، ومناقبه كثيرة مشهورة رضي الله تعالى عنه.

قوله: (كقوله: ﴿(بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ﴾) وجه التشبيه كون البدل في كلّ واحد من الموضعين نكرة مبدلة من المعرفة بإعادة لفظ المبدل منه، فلذلك أُبدلت موصوفة فيهما ذكر في المفصل: أنه لا يجب تطابق البدل والمبدل منه تعريفًا وتنكيرًا، بل لك أن تبدل أي النوعين شئت من الآخر، قال الله تعالى إلى صراط مستقيم: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: الآية ٥٣]، وقال: ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: الآيتان ١٥، ١٦] دلّ أنه لا يحسن إبدال النّكرة من المعرفة إلّا موصوفة كناصية، إلى هنا كلامه. فإنّ قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ [العَلق: الآية ١٦] وصفت بقوله كاذبة لتكون الصفة **جابرة** لما في المبدل من النقصان الحاصل بالنكارة. **قوله: (حال من فاعل نعبد)**، فيكون بيانًا لهيئة الفاعل حالة صدور العبادة عنه. **قوله: (أو جملة اعتراضية مؤكّدة)** بناء على أن صاحب الكشاف والمصنّف رحمة الله عليهما لا يشترطان أن تكون الجملة المعترضة في أثناء كلام أو بين كلامين متّصلين معنًى بأن يكون الكلام الثاني بيانًا للأوّل أو تأكيدًا له أو بدلًا منه، بل يجوز أن وقوعها في آخر جملةٌ لا يليها جملة متّصلة بها، بأن لا يليها جملة أصلًا، فيكون الاعتراض في آخر الكلام أو يليها جملة غير متّصلة بها معنًى بأن لا تكون بيانًا للأُولى، ولا تأكيدًا لها، ولا بدلًا منها، فلا تكون الواو في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ حينئذ عاطفة ولا حالية، بل هي واو اعتراضية، ومثل هذا الاعتراض كثيرًا ما يلتبس بالحال والفرق دقيق أشار إليه صاحب الكشاف حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٥١]، أن قوله: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٥١] حال، أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة في غير موضعها، أو اعتراض، أي وأنتم عادتكم الظلم، وقال هٰهنا: ويجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكّدة، أي: ومن حالنا أنّا له مسلمون، أي: ومن شأننا وعادتنا الثّبات على الإسلام له تعالى، وحاصل ما أُشير إليه من الفرق أنّ هذه

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي إن أحدًا لا ينفعه كسب غيره متقدمًا كان أو متأخرًا، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (ولا تؤاخذون بسيئاتهم).

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ أي قالت اليهود كونوا هودًا وقالت النصارى كونوا نصارى. وجزم ﴿تَهْتَدُوا﴾ لأنه جواب الأمر. ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بل نتبع

الجملة إن جُعِلت حالًا يكون حصول مضمونها مقارنًا لحصول عاملها، أعني الفعل المقيّد بها، وذلك الفعل في الآية هو قولهم: نعبد إلٰهك، والفعل المضارع وإنْ كان يصلح للحال والاستقبال إمّا على أن يكون مشتركًا بينهما، أو يكون حقيقةً في الحال مجازًا في الاستقبال، إلّا أن المراد في الآية الاستقبال بقرينة وقوعه في جواب قول يعقوب: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾، فيكون مضمون الجملة الحالية واقعًا في المستقبل أيضًا، فكأنهم قالوا: نعبد بعد موتك إلٰهك وإلٰه آبائك مخلصين لهْ أنفسنا في ذلك الوقت، وإن جُعِلت اعتراضية لا يكون لها محلّ من الإعراب، ولا يُعتبر لها عامل فضلًا عن أن يكون مضمونها مقارنًا لمضمون عاملها في الحصول، فلا يكون حصول مضمونها مقيّدًا بزمان التكلّم، ولا بالزمان الماضي ولا المستقبل، بل المراد: إنّا نعبد بعدك معبودك، ونحن شأننا أو عادتنا ذلك في جميع الأزمان.

قوله: (ولا تؤاخذون بسيئاتهم)، يعني: ليس المراد بقوله: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مجرّد السؤال؛ إذ لا وجه لنفيه؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: الآية ٥٠]، و﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلك: الآية ٨] ونحو ذلك، بل المراد نفي مؤاخذتهم بسيّئات الأمم الماضية؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ [سبأ: الآية ٢٥].

ملّة إبراهيم ﴿حَنِيفًا﴾ (حال من المضاف إليه) نحو «رأيت وجه هند قائمة». والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلّا منهم يدعي اتباع ملّة إبراهيم وهو على الشرك.

﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿قُولُوٓا۟﴾ هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل (﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾) السبط

قوله: (حال من المضاف إليه) انتصاب الحال من المضاف إليه قليل نادر؛ لأن عامل الحال هو العامل في صاحبها، ولا يصح أن يعمل المضاف في مثل هذا الحال، فلذلك اشترط في صحة انتصاب الحال أن يكون المضاف جزءًا متّصلًا بالمضاف إليه، كما في قولك: رأيت وجه هند قائمة، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] إخوانًا، و﴿أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: الآية ١٢]، أو بمنزلة الجزء منه بناء على شدّة الملابسة بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: الآية ١٣٥]، وقولك: سمعت كلام زيد قائمًا، فإنه إذا كان بينهما مثل هذا الارتباط والملابسة صحّ إقامة المضاف مقامه، وكونه فاعلًا أو مفعولًا مثله، فإنك إذا قلت: رأيت وجه هند قائمة واتّبعت ملّة إبراهيم يصح أن يقول: رأيت هندًا واتّبعت إبراهيم، بخلاف قولك: رأيت غلام هند قائمة، فإنه لا يجوز؛ لأن ملابسة الغلام بهند ليس بحيث يصح إقامتها مقامه، واختلفوا في عامل مثل هذا الحال، فقيل: هو معنى الإضافة كما في معنى الفعل المُشْعِر به حرف الجرّ، كأنه قيل: ملّة تثبت لإبراهيم حنيفًا، والصحيح أن عامله عامل المضاف لِمَا بينهما من الاتّحاد بالوجه المذكور.

[illegible] قدّم؛ لأنه سبب لنا للإيمان بغيره. اهـ. مظهري. [illegible]

(الحافد) وكان **(الحسن والحسين)** سبطي رسول الله ﷺ، والأسباط **(حفدة)** يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر. ويعدى «أنزل» بـ«إلى» و«على» فلذا ورد هنا بـ«إلى» وفي

وهو عشر صحف أُنزلت على إبراهيم، فتعبّد بها هو وبنوه وأحفاده، ولذا نسب إنزالها إليهم، كما نُسِب إنزال القرآن إلينا بمتابعة محمّد ﷺ اهـ مظهري.

قوله: (الحافد) ولد الولد. **قوله: (الحسن)** بن علي بن أبي طالب، هو أبو محمد سبط رسول الله ﷺ وريحانته روى عن النبيّ ﷺ أحاديث، وروت عنه عائشة رضي الله تعالى عنها، وروى عنه جماعات من التابعين منهم الحسن بن الحسن وأبو الحَوَاري ـ بالحاء المهملة ـ ربيعة بن سنان والشعبي وأبو وائل وابن سيرين وآخرون، توفي بالمدينة مسمومًا سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، ودُفِن بالبقيع وقبره فيه مشهور، وإن الحسن رضي الله تعالى عنه حجّ حجّات ماشيًا، وكان يقول: إني أستحي من الله تعالى أن ألقاه ولم أمْشِ إلى بيته، وقاسَمَ الله تعالى ماله ثلاث مرات، فتصدّق بنصفه حتى كان يتصدّق بنعل ويمسك نعلًا، وخرج من ماله كلّه مرتين ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة مشهورة.

قوله: (والحسين) ـ بضمّ الحاء ـ ابن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ أبو عبد الله سبط رسول الله ﷺ وريحانته وهو وأخوه الحسن سيّدا شباب أهل الجنّة، أخرج الترمذي عن يعلى بن مُرّة قال: قال رسول الله ﷺ: **«حُسَيْنٌ منّي وأنا مِنْ حُسين، أحبَّ الله مَنْ أحبَّ حُسينًا، حسين سبط من الأسباط»**، قال الترمذي: حديث حسن. وأخرج أيضًا عن عليّ بن أبي طالب قال: **الحسن** أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصّدر إلى الرّأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك، قال الترمذي: حديث حسن.

وحجّ الحسين خمسًا وعشرين حجّة ماشيًا، وكان رضي الله تعالى عنه فاضلًا كثير الصلاة والصّوم والحجّ والصدقة وأفعال الخير جميعها، قُتِل رضي الله تعالى عنه يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين بكربلاء من أرض العراق، وقبره مشهور يُزار ويُتبرّك به، وحَزِن الناس عليه كثيرًا، وأكثروا فيه المراثي رضي الله تعالى عنه. قوله: (حفدة) جمع حافد.

آل عمران بـ«على» ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى. (واحد في معنى **الجماعة**) ولذا صحّ دخول بين عليه. ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ لله مخلصون.

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك. فقيل: الباء زائدة و«مثل» صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيمانًا مثل إيمانكم والهاء يعود إلى الله عز وجل، وزيادة الباء غير (عزيز) قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾ [يونس: الآية

قوله: (واحد في مَعْنى الجماعة)؛ لكونه اسمًا موضوعًا لمن يصلح أن يُخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكّر والمؤنّث، ويشترط أن يكون استعماله مع كلمة كل أو في كلام غير مُوجب نصّ على ذلك أبو عليّ وغيره من أئمّة العربية، وهذا غير الأحد الذي هو أوّل العدد في مثل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: الآية ١]. وقال صاحب الكشاف في سورة الأحزاب: أحد في الأصل بمعنى واحد، وهو الواحد ثم وُضِع في النفي العام مستويًا فيه المذكر والمؤنّث والواحد وما وراءه، ومعنى قوله تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢] لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء، أي إذا انقضت أُمّة النساء جماعة جماعة لم توجد منهنّ جماعة واحدة تساويكنّ في الفضل والسابقة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [النساء: الآية ١٥٢] تسوية بين جمعهم في أنهم على الحقّ المُبين، انتهى كلامه. وقال الجوهري: الأحد بمعنى الواحد، وهو أوّل العدد، تقول: أحد واثنان واحد عشر، وأمّا قولهم: ما في الدار أحد، فهو اسم لمن يَصْلُح أن يُخاطَب يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، قال تعالى: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٢]، وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾ [الحاقّة: الآية ٤٧]، انتهى كلامه.

قوله: (عزيز)، أي نادر.

٢٧] والتقدير جزاء سيئة مِثلها كقوله في الآية الأخرى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: الآية ٤٠] وقيل: المثل زيادة أي فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة (ابن مسعود) ﷺ «بما آمنتم به». و«ما» بمعنى «الذي» بدليل قراءة (أبي) «بالذي آمنتم به». وقيل: (الباء للاستعانة) كقولك: «كتبت بالقلم» أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾ أي فما هم إلا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل بعضهم وإجلاء بعضهم، ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما ينطقون به ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما يضمرون من الحسد (والغلّ) وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم، أو وعد لرسول الله ﷺ أي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ دين الله (وهو مصدر مؤكد) منتصب عن قوله: «آمنا بالله».

قوله: (ابن مسعود) أي عبد الله بن مسعود الصحابي رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (أُبيّ) بن كعب الصحابي السيد القارىء الأنصاري الخزرجي النجاري ـ بالنون ـ رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (وقيل: الباء للاستعانة) أي ليست صلة، بل هي للاستعانة وآمنوا بمعنى وجدوا الإيمان الشرعي ودخلوا فيه من غير احتياج إلى تقدير صلة، أي: فإن دخلوا في الإيمان بواسطة شهادة مثل شهادتكم قولًا واعتقادًا، وذلك طريق للإيمان ولا مانع من تعدّده؛ كما قيل: الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق اهـ شهاب رحمه الله. **قوله:** (الغل) ـ بالكسر ـ الحِقد.

قوله: (وهو مصدر مؤكّد) لنفسه منتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، تقدير الكلام: صبغنا الله صبغته، أي فطرنا وخلقنا على استعداد قبول الحقّ والإيمان فطرته، وأمّا أنه مؤكّد لنفسه فلأن هذا المصدر مع عامله المقدّر بعينه هو مضمون الجملة المتقدّمة، وهو قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ لا محتمل لها من المصادر إلّا ذلك المصدر؛ لأن إيمانهم بالله إنما يحصل بخلق الله تعالى إيّاهم على استعداد اتّباع

(وهي فعلة من صبغ) كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس. والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه **(المعمودية)** ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيًا حقًّا، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم: آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم. **(وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة**

الحقّ والتحلّي بحِلْية الإيمان، فلما دلَّت الجملة السابقة على المصدر المذكور نصًّا وقطعًا كان ذلك المصدر مؤكّدًا لمضمونها الذي هو مضمون المصدر وعامله المحذوف، فلذلك سمّي مثل هذا المصدر مؤكّدًا لنفسه ومثاله المشهور في قولك: له عليّ ألف درهم اعترافًا، فإنّ الجملة السابقة تدلّ على الاعتراف قطعًا بحيث لا محتمل لها غيره، فكأنه مؤكّد لمضمونها الذي هو نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: الآية ٦]؛ لأن ما قبله وهو ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الرُّوم: الآيتان ٤، ٥] يدلّ عليه؛ إذ الوعد هو الإخبار بإيقاع شيء نافع قبل وقوعه، وقوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الرُّوم: الآية ٤] من هذا القبيل، ومثل هذا المصدر يجب حذف عامله قياسًا. قال الرضي الاسترآبادي: ولا يمتنع في كل ما هو تأكيد لنفسه من المصادر أن يقال: الجملة المتقدمة عاملة فيه لنيابتها عن الأفعال الناصبة له وتأديتها معناها، فلذلك قال المصنّف رحمة الله عليه: وهو مصدر مؤكّد منتصب عن قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

قوله: (وهي فعلة من صبغ)... الخ. الصبغ ما يلوّن به الثياب والصبغ المصدر الصبغة الهيئة التي تُبنى للنوع والحالة من صبغ؛ كالجلسة من جلس، وهي الحالة التي يقع الصبغ عليها. **قوله: (المعمودية)** ـ بفتح الميم وسكون العين المهملة وضمّ الميم الثانية وكسر الدال المهملة وبالياء المثنّاة التحتية المخفّفة ـ الماء الذي وُلد فيه عيسى عليه السلام، أي الماء الذي غُسّل به عيسى عليه السلام في اليوم الثالث لميلاده، أو كانوا كلّما انتقص ذلك الماء خلطوا به ماءًا آخر. **قوله: (وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة)**، المشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوع ذلك الشيء في صحبة ذلك الغير إمّا بحسب المقال المحقّق أو المقدّر بأن لا يكون ذلك الغير مذكورًا حقيقةً، ويكون في حكم المذكور لكونه مدلولًا عليه بقرينة

كقولك لمن يغرس) الأشجار **(اغرس كما يغرس فلان تريد رجلًا يصطنع الكرام)**. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز أي لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير. ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ عطف على «آمنا بالله» وهذا العطف يدل على أن قوله: «صبغة الله» داخل في مفعول «قولوا آمنا» أي قولوا هذا وهذا «ونحن له

الحال، فهي كما تجري بين قولين كما في: «**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**»، فإنه عبّر عن ذات الله تعالى بلفظ النفس لوقوعه في صحبة الغير، وكما في قوله:

قالوا اقترح شيئًا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبّة وقميصا

أي خيطوا ذكر خياطة الجبّة بلفظ الطبخ لوقوعها في صحبة ذكر طبخ الطعام وقوعًا محققًا تجري أيضًا بين قول وفعل، كما في هذه الآية، فإنه عبّر فيها عن تطهير الله تعالى المؤمنين بالإيمان بصبغة الله لوقوعها في صحبة صبغة النصارى أولادهم، فإنّ النصارى كانوا يشتغلون بصبغ أولادهم بغمسهم في الماء الأصفر على زعم أنّ ذلك الغمس والصبغ تطهيرٌ لهم، وذلك الغمس والصبغ وإنْ لم يكن مذكورًا حقيقةً لكنه واقعٌ فعلًا من حيث إنهم يشتغلون به، فكان في حكم المذكور بدلالة قرينة الحال عليه من حيث اشتغالهم به، ومن حيث إنّ الآية نزلت ردًّا لزعمهم ببيان أن التطهير المُعتبر هو تطهير الله عباده لا تطهيركم أولادكم بغمسها في المعمودية، وهي اسم ماء غسل به عيسى عليه الصلاة والسلام، فمزجوه بماء آخر، وكلّما استعملوا منه جعلوا مكانه ماء آخر، وكون التسمية مبنيّة على المشاكلة لا ينافي كون المصدر مؤكّدًا لنفسه، بل هو كذلك، واختصاص الغمس في المعمودية بالنصارى لا ينافي صحة اعتبار المشاكلة في قول المؤمنين للفريقين ردًّا عليهما: صبغنا الله صبغته، بمعنى طهّر قلوبنا بالإيمان تطهيره، ولم نصبغ صبغتكم الكائنة بالانغماس في الماء الأصفر يكفي في صحة ذلك وقوع الصبغ فيما بين الفريقين في الجملة. قوله: (كقولك لمن يغرس) من باب ضرب الأشجار (اغرس كما يغرس فلان تريد رجلًا يصطنع الكرام)، أي إلى الكرام ويحسن إليهم، فتعبّر عن الاصطناع بلفظ الغرس للمشاكلة بقرينة الحال، وإنْ لم يكن له ذكر في المقال أشار به إلى أن المشاكلة كما تجري بين القولين تجري بين قولٍ وفعل أيضًا؛ لأن قولك لمن يغرس الأشجار: اغرس كما يغرس فلان، تعني: كن كريمًا تصطنع

عابدون» ويريد قول مَن زعم أن «صبغة الله» بدل من «ملّة إبراهيم» أو نصب **(على الإغراء)** بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فكّ النظم وإخراج الكلام عن التئامه. وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره **(سيبويه والقول ما قالت حذام)**.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ أي **(أتجادلوننا)** في شأن الله واصطفائه النبيّ من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحقّ بالنبوّة منا

الناس تريد حثّه على الكرم والخير وإن لم يجر ذلك الغرس؛ لأنه مشغول. **قوله: (على الإغراء)**، قال الواحدي: وهو إلزام المخاطب العكوف على ما يحمله عليه ووجوب إضمار العامل مختصّ بصورتي التكرار أو العطف نحو العهد العهد، ونحو الأهل الأهل، ويضمرا الزم أو شبهه، ويجوز الإظهار فيما عداهما، نحو: العهد، فيجوز أن يقول: الزم العهد، كذا في شرح الألفية للسيوطي والرضى وغيرهما.

قوله: (سيبويه)، هو أبو بشر عمرو بن عثمان، كان أعلم المتقدّمين والمتأخرين بالنَّحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، توفي سنة ثمانين ومائة، وقيل: سنة سبع وسبعين وعمره نيّف وأربعين سنة، وقيل غير ذلك. **قوله: (والقول ما قالت حذام[1])**، وهو اقتباس من قوله:

إذا قالت حذام فصدّقوها … فإنّ القول ما قالت حذامُ

وحذام امرأة حذّرت قومها من الغارة، فأنكروا عليها، فلما وقعت الغارة قالوا: صدقت حذام، فضُرِب بها المثل حتى قال النِّحرير المحقّق: هذا البيت من الأبيات الجارية مجرى الأمثال، ومراد المصنّف رحمه الله تعالى من إيراده هٰهنا أنّ قول سيبويه هٰهنا حقّ.

قوله: (أتجادلوننا) المحاجّة مفاعلة بين اثنين في إيراد الحجّة على ما يدّعي ومقاومة كل واحد منهما صاحبه فيما أظهره من الحجّة، فإن رسول الله ﷺ لمّا

---

(١) كقطام وسحاب، امرأة كذا في القاموس، ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نشترك جميعًا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته مَن يشاء من عباده ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالاً فلنا كذلك ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ أي نحن له موحدون

ادّعى الرسالة واحتجّ عليها بما أظهره من الحُجج الباهرة خاصَمَتْه وجادلَتْه يهود المدينة ونصارى نجران في شأن الله وأمره، أي في اصطفائه نبيًّا من العرب دونهم بأنّ أنبياء الله تعالى كانوا منّا وديننا هو الأقدم وكتابنا هو الأسبق، ولو كنت نبيًّا لكنت منّا؛ إذ نحن الأحقّاء بالنبوّة منك ومن سائر العرب، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يقول لهم: أتحاجّوننا على سبيل التوبيخ والإنكار، وقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الجملة اسمية في موضع النّصب على الحال والعامل فيها تحاجوننا، وقوله: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ جملتان في موضع الحال عطفًا على الحال الأولى، والمعنى: أنّكم كيف تحاجوننا وتزعمون أنكم أحقّ بالنبوّة مع أنه لا نسبة لكم بالعبودية والربوبية، وهذه النسبة سواء بيننا وبينكم؛ إذ هو ربّ العالمين جميعًا، ومن عداه كلّهم عبيد له لا اختصاص له بقوم دون قوم حتى يتعيّن لرحمته وكرامته قوم دون قوم والأمر منوط بمشيئته يفعل ما يشاء، فَبِمَ ترجحون أنفسكم علينا؟ بل الترجيح يكون من جانبنا لأنّا مخلصون له في العبودية، ولستم كذلك، فإن قلتم: إنه إنما يشاء ما تقتضي الحكمة مشيئته ومقتضى الحكمة أن يخصّ الكرامة بمن يستعدّ لها بالمواظبة على الطاعة والأعمال الصالحة، فإنّ استعداد الكرامة يدوز عليها واستعداد الكرامة من جانبنا أيضًا. قلنا: لا نسلم اختصاصكم باستعداد الكرامة، فإنّه كما أنّ لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله تعالى في إعطاء الكرامة، فلنا أيضًا أعمال، فلا رجحان لكم علينا بحسب الاستعداد، فبِمَ ترجحون أنفسكم علينا، ثم بيّن بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ معطوفًا على الأحوال المتقدمة أنّ سبب استحقاق الكرامة إنما هو في جانبهم لا في جانب أهل الكتاب وهو الإخلاص، أي تصفية العمل عن الشِّرك والرّياء وحقيقته تصفية الفعل من ملاحظة المخلوقين، قال ﷺ: «**إنّ الله يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي شريكًا في عمله فهو لشريكي. يا أيها الناس، أخلصوا أعمالكم لله تعالى، فإنّ الله تعالى لا يقبل إلّا مَنْ أخلص له، ولا تقولوا هذه لله وللرَّحم، فإنها للرَّحم وليس لله منها شيء. ولا تقولوا: هذه لله ولوجوهكم، فإنها لوجوهكم، وليس لله تعالى منها**

نخصّه بالإيمان وأنتم به مشركون، والمخلص **(أحرى)** بالكرامة وأولى بالنبوّة من غيره.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ **(بالتاء شاميّ)** وكوفيّ غير أبي بكر. و«أَمْ» على هذا معادلة للهمزة في «أتحاجوننا» يعني أي الأمرين تأتون: المحاجة في حكم الله أم إدعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ أو منقطعة **(أي بل أتقولون**. «يقولون»: **غيرهم بالياء، وعلى هذا)** لا تكون الهمزة إلا منقطعة. ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهمًا رادًا عليهم بقوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ يعني أن الله شهد لهم بملّة الإسلام في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: الآية ٦٧].

شيء». قال الجُنيد رحمه الله: الإخلاص سرٌّ بين العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيُفسده ولا هوًى فيقتله، وذكر أبو القاسم القشيري وغيره عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**سألت جبريل عن الإخلاص، ما هو؟ فقال: سألت ربَّ العزَّة عن الإخلاص ما هو؟ فقال: هو سرٌّ من سرّي استودعته قلبُ مَنْ أحببته من عبادي**».
قوله: (أحرىٰ)، أي أَلْيَق.

قوله: (بالتاء) أي بتاء الخطاب، (**شامي**) أي ابن عامر الشامي وكوفي غير أبي بكر شعبة بن عياش عن عاصم، أي حفص وحمزة والكسائي وخلف. **قوله:** (**أي بل أتقولون**) بكلمة الإضراب وهمزة الإنكار. **قوله:** (**يقولون غيرهم بالياء**) أي بياء الغيبة. **قوله:** (**وعلى هذا**) أي على قراءة من قرأ بالياء لا تكون، أي كلمة أم إلا منقطعة لانعدام ما يعادلها حينئذ، فإنّه لما عدل عن الخطاب في أتحاجّوننا إلى الغيبة صرف الكلام إلى غير ما توجّه إليه سابقًا، وذا لا يحسن[1] في المتّصلة.

---

(١) أي: لا يحسن في المتّصلة أن يختلف الخطاب من المخاطب إلى غيره. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية. والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها، أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها. (**وفيه تعريض**) بكتمانهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوّة في كتبهم (**وسائر شهاداته**). و«من» في قوله: «من الله» مثلها في قولك: «هذه شهادة مني لفلان» إذا شهدت له في أنها صفة لها. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ كررت للتأكيد أو لأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الخفاف (**الأحلام**) فأصل السفه الخفّة، وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة (**وأنهم لا يرون النسخ**)، أو المنافقون لحرصهم

قوله: (وفيه تعريض) أي في الوجه الثاني تعريض لمن تحقّق منه كتمان شهادة الله تعالى أيّ شهادة كانت، وليس في الوجه الأوّل تعريض؛ لأن الآية حينئذ تصريح بتوغل كاتم شهادة الله تعالى في الظّلم. **قوله: (وسائر شهاداته)** كآية الرجم وصفة عيسى على نبيّنا وعليه الصّلاة والسلام.

قوله: (الأحلام) أي العقول. **قوله: (وأنهم لا يرون النسخ)** أي نسخ الشرائع والأحكام، ولمّا زعموا، أي نسخها بمعنى البداء والرجوع عنها بداء، وذلك مُحال في حقّ الله تعالى لعلمه بعواقب الأشياء أجمع، والبداء والرجوع في الشاهد مبنيّ على الجهل بالعواقب كمن بنى بناءً ثم نقضه بما يبدو ويظهر له أنه مخطىء وغالط في الغرض الذي بنى بناءه عليه، واليهود إنّما قالوا ذلك وذهبوا إلى امتناع أن ينسخ الله تعالى حكمًا ممّا شرعه أوّلًا لجهلهم بتفسير النسخ وحدّه، ولو عرفوا ما النسخ لما نفوا ذلك، وما قالوا باستحالته على الله تعالى، فإن النسخ عبارة عن انتهاء الحكم إلى وقت معيّن لانتهاء المصلحة التي شرع الحكم لها، وبيان حكم جديد لمصلحة أخرى في وقت آخر مع بقاء الحكم الأوّل مشروعًا ومصلحة وقت كونه

على الطعن والاستهزاء، أو المشركون لقولهم: «رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم». (وفائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد، وإعداد الجواب) قبل الحاجة إليه أقطع للخصم (فقبل الرمي يراش السهم). ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ ما صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعنون بيت المقدس. والقبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة لأن المصلّي يقابلها (﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾) أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له ﴿يَهْدِى

مشروعًا وليس فيه ما فهمته اليهود من البناء والنّقض لما مضى كالبناء الذي وصفوه، بل نظير النسخ في الشاهد أمر الطبيب مريضًا غلبت الصفراء والحرارة عليه بشرب المبرّدات القاطعة للصفراء، ثم إنه متى عَلِم بسكون الصفراء والحرارة واعتدال طبعه نهاه عن ذلك وأمره بالمعتدل من الشراب، فإنّ ذلك لم يكن منه بداء عمّا أمره في الوقت الأوّل وإبطالًا ونقضًا له، بل بيان أن المصلحة في ذلك الوقت ذاك وفي الحالة الثانية هذا مع بقاء المبرّد مصلحة له في تلك الحالة.

قوله: (وفائدة الأخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس؛ إذ المفاجأة بالمكروه أشدّ وإعداد الجواب)... الخ. يريد أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾... الخ. إخبار بقولهم ذلك قبل أن يقولوه، وأنّ الإخبار به قُدّم على وقوعه لفائدتين: الأولى: أن يكون توطينًا للنفس، فإنه تعالى إذا أخبر أنهم سيذكرون هذا القول المكروه قبل صدوره منهم، ثم سمع ذلك منهم يكون تأذّي النفس وتأثّرها من ذلك الكلام المكروه أقلّ مما إذا سمع ذلك منهم ابتداء، فإنّ مفاجأة المكروه أشدّ على النفس من ورده على التدريج. والثانية: إعداد الجواب قبل الحاجة إليه، فإنه أقطع لكلام الخصم وأدخل في إسكاته وردّ جداله، فلمّا أخبر الله تعالى أوّلًا بأنهم سيقولونه وبين جواب ذلك مع ذلك الإخبار كان الجواب حاضرًا عند النبيّ ﷺ، فيجيب به عندما سمع ذلك القول المُنكر منهم، وهذا دفع لكلامهم ممّا إذا سمعه، ولا يكون الجواب حاضرًا عنده. **قوله:** (فقبل الرمي يراش السهم)، من أمثال العرب يضربونه في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها. في المصباح: رِشْت السهم رَيْشًا أصلحتُ رِيشَه، فهو مَريش.اهـ. **قوله:** (﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾)، ليس معناه أن المشرق والمغرب بخصوصهما له تعالى حتى يقال إن جميع الأعيان والأعراض والجنوب والشمال له تعالى مُلْكًا ومَلِكًا، فما وجه تخصيصهما بالذّكر؟ ولعلّ الوجه

مَن يَشَآءُ﴾ من أهلها ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ طريق مستوٍ. أي يرشد مَن يشاء إلى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمرنا بالتوجه إليها، أو الأماكن كلها لله فيأمر بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة (وطورًا) إلى بيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه و«ذا» جرّ بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب. ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ (خيارًا). وقيل: للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط (محمية) أي كما جعلت

في التعبير عن جميع النواحي والأطراف بالمشرق والمغرب أن الشمس بحسب اختلاف حركاتها وتبدّل مطالعها ومغاربها متناولة لأكثر النَّواحي والجهات، فأُقيم الأكثر مقام الكلّ. **قوله:** (وطورًا)، في المصباح: الطور ـ بالفتح ـ التارة. اهـ.

قوله: (خيارًا) جمع خير وهو ضدّ الشرّ. وفي الصحاح: الخيار خلاف الأشرار، والخيار الاسم من الاختيار، يعني أنه قد يكون جمع خير الذي هو أفعل التفضيل، وقد يكون اسمًا مفردًا للمصدر، ولمّا كان الوسط في الأصل اسمًا لمكان معيّن تستوي إليه المساحة من جميع الجوانب في المدوّر كالنقطة من الدائرة أو من الطرفين في المستطيل، كلسان الميزان من عموده بخلاف الوسط بالسكون، فإنه اسم لداخل الدائرة أو الدار مثلًا، والوسط في الآية لما وقع صفة لأُمّة، ولم يكن مستعملًا في أصل معناه، لا جرم فسّره بما يصحّ أن يُوصف فقال خيارًا؛ لأنه تعالى جعل هذه الأُمّة خيرًا في قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١١٠]، ثم قال: أو عدولًا لما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ أنّه فسّر وسطًا في هذه الآية بقوله: عدلًا، وقال الراوي: هذا حديث حسن صحيح. **قوله:** (محمية) من باب رمى، أي ممنوعة.

قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم، أو عدولًا لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. **(أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب) جعلناكم** أمة وسطًا بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلوّ النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا. ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾ غير منصرف لمكان ألف التأنيث ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ صلة شهداء ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ عطف على «لتكونوا». رُوِيَ أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأُمة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيّه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أُمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم. والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الأشياء المعروفة. **(ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء)** كقوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:

قوله: (أي كما جعلنا قبلتكم متوسّطة بين المشرق والمغرب). . . الخ. روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**»، قلت: أراد بالمشرق مشرق أقصر أيّام السنّة، وبالمغرب مغرب أقصر الأيام، وذلك جهة الجنوب، وهي قبلة أهل المدينة. **قوله: (ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء)**، يعني: أن الشاهد إذا أضر بشهادته عُدِّيت الشهادة بكلمة على، وإذا نفع بها تعدّى باللام، فيقال في الأولى: شهد عليه، وفي الثانية: شهد له، والرّسول ﷺ لما زكّى أُمّته وعدلهم بشهادته فقد انتفعوا بها، فالظاهر أن يقال: ويكون الرّسول لكم شهيدًا بخلاف شهادة هذه الأُمّة على الناس المنكرين للتبليغ، فإنّها شهادة عليهم حيث استضرّوا بها، فكلمة على فيها واقعة في موضعها، فلا تحتاج إلى التأويل بخلاف قوله: ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، فإنه يحتاج إلى التأويل، وتأويله أن كلمة على فيه ليست صلة للشهادة، كما في قولهم: شهد على المنكر، بل هي مبنية على تضمين الشهيد معنى الرّقيب والمطّلع، فعدّى تعديته، والوجه في اعتبار التضمين الإشارة إلى أن التحويل والتزكية إنّما يكون عن خبرة ومراقبة بحال الشاهد، فإذا شهد منه الرّشد والصلاح في الخلوات عدله وزكّاه وأثنى عليه، وإلّا سكت عنه.

الآية ١٧]. وقيل: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار، ويكون الرسول عليكم شهيدًا يزكيكم ويعلم بعدالتكم. واستدلّ الشيخ أبو منصور رَحِمَهُ اللهُ بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة، والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله. (**وأخرت صلة الشهادة أولًا وقدمت آخرًا**) لأن المراد في الأول إثبات شهادتهم على الأُمم، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدًا عليهم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي ما جعلنا القبلة (**الجهة**) التي كنت

قوله: (**وأخّرت صلة الشهادة أوّلًا وقدّمت آخرًا**). . . الخ. جواب عمّا يقال: لِمَ قدمت الصلة على الشهادة، مع أن حق المعمول أن يؤخّر عن عامله كما أخّر في قوله: ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وأجاب عنه بأنها قدّمت للدلالة على اختصاصهم بكون الرّسول شهيدًا عليهم، وليس المراد باختصاص هذه الأُمّة بشهادة الرّسول ﷺ أنه عليه الصّلاة والسّلام لا يشهد في حقّ غيرهم أصلًا ضرورة أنه عليه الصّلاة والسّلام يشهد على الأُمم المكذّبين بتكذيبهم ويشهد لأنبيائهم بالتبليغ؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النّساء: الآية ٤١]، بل اختصاصهم بشهادته عليه الصّلاة والسّلام على سبيل التزكية والتعديل، وهو لا ينافي شهادته عليه الصّلاة والسّلام بالتبليغ، وعلى منكري التبليغ بالتكذيب.

قوله: (**الجهة**)، يريد أن القبلة مفعول أوّل لجعلنا، وأن ثاني مفعولي جعلنا محذوف، والتي صفة لذلك المحذوف الذي هو الجهة وليست بصفة للقبلة؛ لأن حذف أحد مفعولي باب علمت من غير أن يقوم مقامه شيء قليل جدًّا؛ لأن المفعولين معًا كإسم واحد ومضمونهما هو المفعول. على الحقيقة فإذا قلت: علمت زيدًا قائمًا، فكأنّك قلت: علمت قيام زيد، فحذف أحدهما بمنزلة حذف بعض أجزاء الكلمة الواحدة، ولا يصار إليه من غير ضرورة، ولا ضرورة في الآية لصحة أن يجعل الموصول مع صلته مفعولًا ثانيًا لجعل بتقدير موصوف حذف وأُقيم الموصول مقامه مع صحة المعنى حينئذ، لما ذكره من أنه ﷺ كان مأمورًا بأن يصلّي إلى الكعبة وهو بمكّة، ثمّ لما هاجر أُمِر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس التي منها تصعد الملائكة إلى السماء، ثم أُعيد إلى ما كان عليه أوّلًا؛ فبيّن

عليها وهي الكعبة، فالتي كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل. (**رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفًا لليهود ثم حوّل إلى الكعبة**).

الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ﴾ الآية، أن الحكمة في جعل الكعبة قبلة هي امتحان الناس وابتلاؤهم.

قوله: (رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يصلّي بمكّة إلى الكعبة ثم أُمِر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفًا لليهود، ثمّ حُوِّل إلى الكعبة). في التفسيرات الأحمدية: اعلم أن القبلة قبلتان: إحداهما بيت المقدس الذي يسمّى بالمسجد الأقصى، وثانيهما الكعبة التي تسمّى بالمسجد الحرام، وكان إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة ويصلّي إلى جهتها، ولما مات أمر الله تعالى موسى وداود وغيرهما عليهم الصّلاة والسّلام أن يصلّوا إلى بيت المقدس، فلما أن بُعِث نبيّنا عليه الصلاة والسلام بالوحي وقام بعد الوحي بمكّة ثلاث عشر سنة كان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا هاجر إلى المدينة وأُمِر بالتوجّه إلى بيت المقدس كان أهل الكتاب يبدون الضحك والطّعن، ويقولون: إنّ قبلتنا لم تُنسخ، بل يتبعها محمّد عليه السلام، وكان رسول الله ﷺ بسماع هذا الكلام ذا غمّ وكربة ويتوجّه إلى الله تعالى أن يكتب علينا قبلة كنت[1] عليها وانتظر[1] إلى السماء ليأتي الحكم به، وهذا معنى قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وقيل: كانت قبلته بمكّة أيضًا بيت المقدس إلّا أنه يجعل الكعبة بينه وبينه كما رُوِي عن ابن عباس وهو ضعيف.اهـ. بحروفه. وقال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: اختلفوا في الجهة التي كان ﷺ يتوجّه إليها بمكّة، فقال ابن عباس وجماعة: كان يصلّي إلى بيت المقدس، لكنه لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس، وأطلق آخرون أنه ﷺ كان يصلّي إلى بيت المقدس. وقال آخرون: كان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا تحوّل إلى المدينة استقبل بيت المقدس وضعّف هذا لما فيه من النسخ مرتين، والأصح الأوّل.اهـ. وفي التفسير المظهري: واختلف العلماء في كيفية قبلته ﷺ قبل الهجرة بمكّة، فقال قوم: إنه ﷺ كان يصلّي وهو بمكّة نحو

---

(١) كذا بالأصل.

....

بيت المقدس والكعبة بين يديه، رواه أحمد عن ابن عباس، ورواه ابن سعد أيضًا وسنده جيّد. وأطلق آخرون وقالوا: إنه كان يصلّي إلى بيت المقدس. وقال البغوي: كان يصلّي إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة استقبل بيت المقدس. روى ابن جرير وغيره بسند جيّد قويّ عن ابن عباس، قال: لمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس. وقال ابن جُرَيْج: إنه ﷺ أوّل ما صلّى إلى الكعبة ثم صُرِف إلى بيت المقدس وهو بمكّة، فصلّى ثلاث حجج، ثمّ هاجر إلى المدينة، والأوّل أصح وأقوى، وعند الجمع يؤول إليه الأحاديث اهـ بحروفه. وفي شرح العلّامة محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي على المواهب اللّدنيّة للعلامة القسطلاني رحمه الله: (حُوّلت القبلة) أي الاستقبال لا ما يستقبله المصلّي؛ إذ لا يتعلّق به تحويل أو حوّل أي غير وجوب استقبال بيت المقدس (إلى الكعبة، وكان ﷺ يصلّي إلى) صخرة (بيت المقدس) التي كان موسى يصلّي إليها بحذاء الكعبة، وهي قُبلة الأنبياء كلّهم، نقله القرطبي عن بعضهم. وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظيّ، قال: ما خالف نبيّ نبيًّا في قبلة ولا سنّة، إلّا أنه ﷺ استقبل بيت المقدس ثم تحوّل إلى الكعبة. وروى أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٩٦] الآية، قال: أعلم قبلته فلم يبعث نبيّ إلّا وقبلته البيت، وهذا قول الحافظ العلّائيّ. فقال في تذكرته: الراجح عند العلماء أن الكعبة قبلة الأنبياء كلّهم، كما دلّت عليه الآثار. قال بعضهم: وهو الأصح، انتهى. واختار ابن العربي وتلميذه السهيلي: أن قبلة الأنبياء بيت المقدس. قال بعض: وهو الصحيح المعروف، فعدّ صاحب الأُنموذج من خصائص المصطفى وأُمّته استقبال الكعبة إنما هو على أحد القولين المرجحين نعم ذكر فيما اختصّ به على جميع الأنبياء والمرسلين أنّ الله جمع له بين القبلتين ﷺ (بالمدينة حال ستة عشر) شهرًا، كما رواه مسلم عن أبي الأحوص والنسائي عن زكريا بن أبي زائدة وشريك وأبو عوانة عن عمار بن رُزَيْق ـ بتقديم الراء مصغر ـ أربعتهم عن أبي إسحٰق عن البراء بن عازب جزمًا، ورواه أحمد بسندٍ صحيح عن ابن عباس، ورجّحه النووي في شرح مسلم في رواية زهير عند البخاري وإسرائيل عنده وعند الترمذي عن أبي إسحٰق عن البراء: ستّة عشر

....

شهرًا أو سبعة عشر شهرًا بالشكّ، (وقيل: سبعة عشر شهرًا)، رواه البزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف والطبراني أيضًا من حديث ابن عباس، وهو قول ابن المسيّب ومالك وابن إسحٰق. قال القرطبي: وهو الصحيح، قال الحافظ: والجمع بينهما سهل بأنّ من جزم بستّة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا وألغى الأيام الزّائدة، ومن جزم بسبعة عشر عدّهما معًا، ومن شكّ تردَّد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسندٍ صحيح عن ابن عباس، وقال ابن حبان: سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيّام، وهو مبنيٌّ على أن القدوم كان في ثاني ربيع الأول، انتهى. قال البرهان: ويمكن أن هذا مراد من قال سبعة عشر بإلغاء الكسر، (وقيل: ثمانية عشر شهرًا) رواه ابن ماجة من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحٰق عن البراء، قال الحافظ: وهو شاذّ، وأبو بكر سيىء الحفظ، وقد اضطرب فيه؛ فعند ابن جرير من طريقه في رواية: سبعة عشر، وفي أخرى: ستة عشر، قال: ومن الشذوذ أيضًا رواية ثلاثة عشر شهرًا، ورواية تسعة أشهر أو عشرة أشهر، ورواية شهرين، ورواية سنتين، ويمكن حمل الأخيرة على الصواب وأسانيد الجميع ضعيفة، والاعتماد على الثلاثة الأُول؛ فجملة ما حكى تسع روايات، انتهى. وكأنه لم يعدّ رواية الشك وإلّا كانت عشرة، وكذا لم يعدّها البرهان، وعدّ الأقوال عشرة؛ فزاد القول بأنه بضعة عشر شهرًا، ولم يعدّه الحافظ لأنه يمكن تفسيره بكلّ ما زاد على العشرة. (وقال) إبراهيم (الحربيّ: قَدِم عليه الصّلاة والسّلام المدينة في ربيع الأوّل، فصلّى إلى بيت المقدس تمام السنة، وصلّى من سنة اثنتين ستّة أشهر ثمّ حُوِّلت القبلة)، وهذا محتمل؛ لكون المراد أن مدّة الصلاة لبيت المقدس دون ستة عشر، ولذا قال في النور: هذا كاد أن يكون قولًا، انتهى. ومحتمل لأن يكون مراده ستّة عشر بشهر القدوم، (وقيل: كان تحويلها في جمادى) الآخرة، وبه جزم ابن عقبة، (وقيل: كان يوم الثلاثاء في نصف شعبان)، قاله محمد بن حبيب وجزم به في الروضة مع ترجيحه في شرح مسلم رواية ستّة عشر شهرًا للجزم بها في مسلم، كما مرّ. قال الحافظ: ولا يستقيم أنه في شعبان إلّا بإلغاء شهري القدوم والتحويل، انتهى. نعم

....

هو يوافق رواية سبعة عشر بتلفيق واحد من شهري القدوم والتحويل، والقول الشاذّ بأنه ثمانية عشر بإلغاء الكسر واعتبار شهري التحويل والقدوم. (وقيل: يوم الاثنين نصف رجب)، رواه أحمد عن ابن عباس بإسنادٍ صحيح. قال الواقدي: وهذا أثبت. قال الحافظ: وهو الصحيح، وبه جزم الجمهور كما مرّ، وهو صالح لروايتي ستة عشر وسبعة عشر والشكّ، فالحاصل في الشهر ثلاثة أقوال، وفي اليوم قولان.

(وظاهر حديث البراء) ـ بتخفيف الراء والمدّ على الأشهر ـ ابن عازب الأنصاري الأوسي الصحابيّ ابن الصحابي (في البخاري أنّها) ـ أي الصلاة ـ التي وقع فيها التحويل (كانت صلاة العصر)، لقوله: وإنه ـ أي النبيّ ﷺ ـ صلّى أوّل صلاة صلّاها صلاة العصر، أي متوجّهًا إلى الكعبة، (ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن المعلّى) ـ بضمّ الميم وفتح المهملة وشدّ اللام ـ صحابيٌّ جليل اسمه سعيد، وقيل: رافع، ووهّاه ابن عبد البرّ، وقوّى الأول (أنها الظهر)، وكذا عند الطبراني والبزار من حديث أنس، وعند ابن سعد: حُوِّلت الكعبة في صلاة الظهر والعصر، وجمع الحافظ فقال في كتاب الإيمان: التحقيق أن أوّل صلاة صلّاها في بني سلمة لما مات بشر بن البراء بن معرور الظهر، وأوّل صلاة صلّاها بالمسجد النبوي العصر. (وأما أهل قُباء، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر)، أي الصبح (من اليوم الثاني)، وقال في كتاب الصلاة: لا منافاة بين الخبرين؛ لأن الخبر وصل وقت العصر إلى مَنْ هو داخل المدينة، وهم بنو حارثة، ووصل وقت الصبح إلى مَنْ هو خارجها، وهم أقبل قباء (كما في الصحيحين) البخاري في الصلاة والتفسير، ومسلم في الصلاة، وكذا النسائي.

(عن ابن عمر) بن الخطّاب (أنّه قال: بَيْنا الناس) المعهودون في الذهن (بقباء) ـ بالمدّ والتذكير والصرف على الأشهر، ويجوز القصر وعدم الصرف ويؤنّث ـ موضع معروف ظاهر المدينة، وفيه مجاز الحذف، أي بمسجد قباء (في صلاة الصبح)، ولمسلم: في صلاة الغداة، وهو أحد أسمائها، ونقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك؛ (إذ جاءهم آت) قال الحافظ: لم يسمّ، وإنْ كان ابن طاهر وغيره نقلوا أنّه عبّاد بن بشر ففيه نظر؛ لأن ذلك إنما ورد في بني حارثة في صلاة العصر، فإن كان ما نقلوه محفوظًا، فيحتمل أن عبادًا أتى بني حارثة أولًا وقت

....

العصر، ثم توجّه إلى أهل قباء فأعلمهم بذلك في الصبح، ومما يدلّ على تعدّدهما أن مسلمًا روى عن أنس: أن رجلًا من بني سلمة مرّ وهم ركوع في صلاة الفجر، فهذا موافق لرواية ابن عمر في تعين الصلاة، وبنو سلمة غير بني حارثة، انتهى. وكون مُخْبِر بني حارثة عبّاد بن بشر رواه ابن منده وابن أبي خيثمة، وقيل: عبّاد بن نَهيك ـ بفتح النون وكسر الهاء ـ ورجّح أبو عمر الأوّل، وقيل: عباد بن نصر الأنصاري. قال الحافظ: والمحفوظ عباد بن بشر، انتهى. وقيل: عباد بن وهب. قال البرهان: ولا أعرفه في الصحابة إلّا أن يكون نُسِب إلى جدّه أو جدّ له أعلى أو إلى خلاف الظاهر، انتهى. (فقال: إنّ رسول الله ﷺ) أسقط من الحديث ما لفظه: قد أُنزل عليه الليلة قرآن، قال الحافظ: فيه إطلاق اللّيلة على بعض اليوم الماضي وما يليه مجازًا، والتنكير لإرادة البعضية، والمراد قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، وقد أُمِر ـ بضم الهمزة مبنيا للمفعول ـ (أن) أي بأن (يستقبل) بكسر الموحدة، أي باستقبال (الكعبة، فاستقبلوها) بفتح الموحدة عند أكثر رواة الصحيحين على أنه فعل ماضٍ، أي تحوّل أهل قباء إلى جهة الكعبة، (وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة)، وضمير استقبلوها ووجوههم لأهل قباء، ويحتمل أنه للنبيّ ﷺ ومَنْ معه، وفي رواية الأصيليّ للبخاريّ والعذريّ لمسلم: فاستقبِلوها ـ بكسر الموحدة ـ بصيغة الأمر. قال الحافظ: وفي ضمير وجوههم الاحتمالان المذكوران وعوده إلى أهل قباء أظهر، وترجح رواية الكسر رواية البخاري في التفسير، بلفظ: وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة فاستَقْبِلوها، فدخول حرف الاستفتاح يُشعر بأن الذي بعده أمر، لا أنه بقيّة الخبر الذي قبله، انتهى. وفي النور أن بعض الحفّاظ قال: الكسر أفصح وأشهر، وهو يقتضيه تمام الكلام بعده، (وفي هذا الحديث) من الفوائد (أن الناسخ لا يلزم حكمه إلّا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء)، زاد الحافظ: واستنبط منه الطحاوي أنّ مَنْ لم تبلغه الدَّعوة ولم يمكنه استعلام، فالفرض غير لازم له، وفيه جواز الاجتهاد في زمنه ﷺ؛ لأنهم لما تمادوا في الصلاة ولم يقطعوها دلّ على أنه رجح عندهم التمادي والتحوّل على القطع والاستئناف ولا يكون ذلك إلّا عن اجتهاد، كذا قيل، وفيه نظر؛ لاحتمال أن عندهم في ذلك يقينًا

....

سابقًا لأنه عليه السلام كان مترقّبًا للتحويل، فلا مانع من تعليمهم ما صنعوا من التمادي والتحوّل، وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ونسخ ما تقرّر بطريق العلم به؛ لأن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاته ﷺ إليه، وتحوّلوا إلى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد، وأُجيب بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم عندهم بصدق المُخبر، فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم إلّا بما يفيد العلم. وقيل: كان النسخ بخبر الواحد جائزًا في زمنه ﷺ مطلقًا، وإنما مُنِع بعده ويحتاج إلى دليل، انتهى.

(وروى الطبري) محمد بن جرير من طريق عليّ بن أبي طلحة، (عن ابن عباس) قال: (لمّا هاجر ﷺ إلى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون)، خبر ثان لليهود أو لمبتدأ محذوف، أي: وهم يستقبلون (بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس) ليجمع له بين القبلتين، كما عدّه السيوطي من خصائصه على الأنبياء والمرسلين، وتأليفًا لليهود، كما قال أبو العالية، (ففرحت اليهود)؛ لظنّهم أنه استقبله اقتداءً بهم، مع أنه إنما كان لأمر ربّه، (فاستقبلها سبعة عشر شهرًا، وكان ﷺ يحبّ أن يستقبل قبلة إبراهيم)، وعند الطبري أيضًا من طريق مجاهد عن ابن عباس، قال: إنما أحبّ أن يتحوّل إلى الكعبة؛ لأن اليهود قالوا: يخالفنا محمّد ويتبع قبلتنا. وعند ابن سعد: أنه ﷺ قال: **«يا جبريل، وددتُ أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود»**، فقال جبريل: إنما أنا عبدٌ، فادْعُ ربّك وسَلْه. وعند السديّ في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس: كان ﷺ يعجبه أن يصلّي قبل الكعبة، لأنها قبلة آبائه إبراهيم وإسمٰعيل، فقال لجبريل: **«وددتُ أنك سألت الله أن يصرفني إلى الكعبة»**، فقال جبريل: لست أستطيع أن أبتدىء الله عزّ وجلّ بالمسألة، ولكن إن سألني أخبرته، (فكان يدعو) دعاء محبّة لذلك بالحال لا بالقال، ففي الفتح: فيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربّه لإعطائه له ما أحبّ من غير تصريح بالسؤال، وعليه فالعطف تفسيري في قوله: وينظر إلى السماء ينتظر جبريل ينزل عليه، كما عند السدّي وغيره، ولأنها قبلة الداعي؛ (فنزلت الآية) يعني قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وبقية حديث ابن عباس هذا عند ابن جرير: فارتاب في ذلك

....

اليهود وقالوا: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: الآية ١١٥].

(قال في فتح الباري) في كتاب الصلاة: (وظاهر حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا أنّ استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة، لكن أخرج أحمد من وجهٍ آخر عن ابن) عبّاس، قال: (كان النبيّ ﷺ يصلّي بمكّة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه)، فحصل تخالف بين حديثيه؛ إذ مقتضى الأول أنه إنما أُمِر به في المدينة، وهذا صريح في أنه كان بمكّة، (قال) يعني في الفتح: (والجمع بينهما مُمكن بأن يكون أُمِر) ﷺ (لمّا هاجر أن يستمرّ على الصلاة لبيت المقدس)؛ فالأمر بابتداء استقباله كان بمكّة، والذي بالمدينة باستمراره، ثم نُسِخ باستقبال الكعبة، فلم يقع نسخ بيت المقدس إلّا مرّة واحدة.

(وأخرج الطبريّ) محمد بن جرير (أيضًا من طريق ابن جريج) ـ بجيمين مصغّر ـ عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج الأُمويّ مولاهم المكي الثقة الفقيه الحافظ أحد الأعلام، مات سنة خمسين ومائة، (قال: صلّى النبيّ ﷺ أوّل ما صلّى إلى الكعبة ثم صُرِف إلى بيت المقدس وهو بمكّة، فصلّى ثلاث حجج) ـ بكسر المهملة وفتح الجيم الأُولى وكسر الثانية منوّن ـ أي سنين، بناء على أن الإسراء قبل الهجرة بخمس سنين إمّا على أنه قبلها بسنة أو نحوها، فالمراد ما كان يصلّيه فرض الخمس، (ثم هاجر فصلّى إليه بعد قدومه المدينة ستّة عشر شهرًا، ثم وجّهه الله إلى الكعبة)، فهذا الأثر صريح في الجمع المذكور؛ فلا بأس به. وقوله في حديث ابن عباس الثاني: والكعبة بين يديه، يخالف قول البراء عند ابن ماجة: صلّينا مع رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرًا، وصُرِفت القبلة إلى الكعبة بعد دخول المدينة، فإنّ ظاهره أنّه كان يصلّي بمكّة إلى بيت المقدس محضًا.

وحكى الزهري خلافًا في أنه كان بمكّة يجعل الكعبة خلف ظهره أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس، قال الحافظ: فعلى الأول كان يجعل الميزاب خلفه، وعلى الثاني: كان يصلّي بين الركنين اليمانيين، وزعم ناس أنه لم يزل يستقبل

....

الكعبة بمكّة، فلمّا قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نسخ، وحمل ابن عبد البرّ هذا القول الثاني ويؤيّد حمله على ظاهره إمامة جبريل عليه السلام، ففي بعض طرقه: أن ذلك كان عند البيت، وفي الفتح أيضًا اختلفوا في الجهة التي كان يصلّي إليها بمكّة، فقال ابن عباس وغيره: كان يصلّي إلى بيت المقدس، لكنّه كان لا يستدبر الكعبة، بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس.

وأطلق آخرون أنه كان يصلّي إلى بيت المقدس، وقال آخرون: كان يصلّي إلى الكعبة، فلمّا هاجر استقبل المقدس، وهذا ضعيف، ويلزمه من دعوى النسخ مرّتين، والأول أصح؛ لأنه يجمع به بين القولين، وقد صحّحه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، انتهى. ولا يخالفه قول ابن العربي: نسخ الله القبلة ونكاح المتعة ولحوم الحُمُر الأهلية مرّتين مرّتين، ولا أحفظ رابعًا. قال أبو العباس العَزفي ـ بفتح المهملة والزاي وبالفاء رابعها ـ: الوضوء ممّا مسّت النار ونظم ذلك السيوطي؛ لأن مراد الحافظ أن خصوص نسخ البيت المقدّس لم يتكرّر، وما أثبته ابن العربي النسخ للقبلة في الجملة، بمعنى أنه أُمر باستقبال الكعبة، ثم نُسِخ باستقبال بيت المقدس، ثم نُسِخ بالكعبة كما هو مدلول كلاميهما، ودلّ عليه أثر ابن جريج.

(وقوله في حديث ابن عباس الأوّل: أمره الله تعالى يردّ قول مَنْ قال)، وهو الحسن البصري (أنه صلّى إلى بيت المقدس باجتهاد)، وكذا قول الطبري: كان مخيّرًا بينه وبين الكعبة، فاختاره طمعًا في إيمان اليهود، ويردّه أيضًا سؤاله لجبريل؛ إذ لو كان مخيّرًا لاختار الكعبة لما أحبّها من غير سؤال. قال شيخنا: إلّا أن يقال بعد اختياره وجب عليه لكنه استبعد هذا بمجلسه؛ لأن فيه تضييقًا عليه، ولو خُيِّر كان كتخييره بين المسح على الخفّين وغسل الرِّجلين، والذي عليه الجمهور ـ كما قال القرطبي ـ أنه إنما كان بأمر الله ووحيه.

قوله: (وعن أبي العالية) رفيع ـ بضم الراء مصغّر ـ ابن مهران ـ بكسر الميم ـ الرماح ـ بكسر الراء وتحتية ـ مولاهم البصري التابعي الكبير أخرج له الجميع، (أنه صلّى إلى البيت المقدّس يتآلف أهل الكتاب). وعن الزجاج: امتحانًا للمشركين

....

لأنهم أَلِفُوا الكعبة، (وهذا لا ينفي أن يكون بتوقيف)، فقد يكون الأمر به لتأليفهم. (واختلفوا في المسجد الذي كان يصلّي فيه) حين حُوّلت القبلة؛ (فعند ابن سعد في الطبقات: أنّه) ﷺ (صلّى ركعتين من الظهر في مسجده) النبويّ (بالمسلمين، ثم أُمِرَ أن يتوجّه إلى المسجد الحرام)، أي الكعبة، وعبّر به كالآية دون الكعبة؛ لأنه كما قال البيضاوي: كان عليه السلام بالمدينة، والبعيد يكفيه مُراعاة الجهة، فإنّ استقبال عينها، أي للبعيد، حرج عليه بخلاف القريب، (فاستدار إليه ودار معه المسلمون)، فصلّى بهم ركعتين أُخريين؛ لأن الظهر كانت يومئذ أربعًا: فثنتان منها لبيت المقدس، وثنتان للكعبة، ووقع التحويل في ركوع الثالثة كما في النور، فجعلت كلّها ركعة للكعبة مع أن قيامها وقراءتها وابتداء ركوعها للقدس، لأنه لا اعتداد بالركعة إلّا بعد الرفع من الركوع، ولذا يدركها المسبوق قبله. (ويقال: إنه عليه السلام زار أُمّ بشر بن البراء بن معرور) ـ بمهملات ـ ويقال: اسمها خليدة، كما في التجريد، (في بني سلمة) ـ بكسر اللام ـ والنسبة إليها بفتحها على المشهور، وفي الألفية والسلميّ افتحه في الأنصار، وفي اللبّ كسره المحدّثون في النسبة أيضًا، فصنعت (له طعامًا وكانت) أي وجدت (الظهر) أي دخل وقتها، فكان تامّة، لكن المذكور في الفتح الذي هو ناقل عنه، وكذا العيون والسيل عن ابن سعد بلفظ: وحانت الظهر ـ بمهملة ـ أي دنا وقتها، (فصلّى عليه السلام بأصحابه ركعتين، ثم أُمر) باستقبال الكعبة في الركوع الثالث، (فاستداروا إلى الكعبة) بأن تحوّل الإمام من مكانه الذي كان يصلّي فيه إلى مؤخّره، فتحوّلت الرجال حتى صاروا خلفه، وتحوّلت النساء حتى صرن خلف الرجال، ولا يشكل بأنه عملٌ كثير؛ لاحتمال أنه قبل تحريمه فيها، كالكلام أو اغتفر هذا العمل للمصلحة أو لم تتوال الخطا عند التحويل، بل وقعت متفرّقة فسُمّي (مسجد القبلتين) لنزول النسخ وتحويله عليه السلام فيه ابتداء، فلا يردّ أن التحويل وقع في مسجد قباء وبني حارثة، ولم يسمّيا بذلك، وأيضًا فحكمة التسمية لا يلزم اطّرادها.

(قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا عندنا أثبت) من القول الأوّل أن التحويل وقع في المسجد النبويّ، (ولمّا حوّل الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفّار) المشركين من قريش (واليهود ارتياب) شكّ (وزَيْغ) مَيْل (عن الهدى

....

وشكّ) فيه، (وقالوا: ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) على استقبالها في الصلاة، (أي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا)، وصريحه أن هذا قول الطوائف الثلاث، وبه صرّح البيضاويّ، وسيذكر المصنف مقابله أخيرًا؛ (فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ﴾)، أي الجهات كلّها؛ لأنهما ناحيتا الأمر، فيأمر بالتوجّه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه، كما في الجلال، فحمله على الحقيقة، وحمله المصنف على المجاز، فقال: (أي الحكم والتصرّف والأمر كلّه لله) لا يُسْأل عمّا يفعل، (فحيثما وجّهنا توجّهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجّهنا كل يوم مرات إلى جهات متعدّدة فنحن عبيده وفي تصريفه)، ونحن (خدّامه حيثما وجّهنا توجّهنا)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥].

تقدّم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ سبب نزولها إنكار اليهود، قال السيوطي: وإسناده قويّ، فلْيُعتمد. وفي سببها روايات أُخر ضعيفة، (ولله تعالى بنبيِّنا عليه الصّلاة والسلام وبأُمّته عناية) أي رعاية (عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة خليله إبراهيم) وألقى حبّها في قلب حبيبه عليه السلام، ولم يفعل ذلك بغير أُمّته، بل تُركوا على ضلالهم الذي وقعوا فيه، مع أنها قبلة الأنبياء كلّهم على أحد القولين، كما مرّ، ويؤيّده الحديث الذي ذكره بقوله: (قال عليه الصّلاة والسّلام فيما رواه أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «إن اليهود لا يحسدونا على شيءٍ كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله إليها»)، قال الحافظ: يحتمل بأن نصّ لنا عليه، ويحتمل بالاجتهاد، ويشهد له أثر ابن سيرين في جمع أهل المدينة قبل قدوم المصطفى، فإنه يدلّ على أنّ أُولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد، ولا يمنع ذلك أنّ النبيّ ﷺ علمه بالوحي وهو بمكّة، فلم يتمكّن من إقامتها، ثم قد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطني، ولذا جمع بهم أوّل ما قدم المدينة، كما حكاه ابن إسحٰق وغيره. وعلى هذا، فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق، انتهى ملخصًا. وضلّوا عنها، لأنه فرض عليهم يوم من الجمعة وكّل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أيِّ الأيام هو،

....

ولم يهتدوا ليوم الجمعة، قاله ابن بطال، ومال إليه عياض وقوّاه. وقال النووي: يمكن أنهم أُمروا به صريحًا، فاختلفوا هل يلزمه بعينه أم يسوغ إبداله بيوم آخر، فاجتهدوا فأخطؤوا. قال الحافظ: ويشهد له ما للطبري عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ [النحل: الآية ١٢٤]، قال: أرادوا الجمعة فأخطؤوا وأخذوا السبت مكانه، وقد روى ابن أبي حاتم عن السدّي التصريح بأنه فُرِض عليهم يوم الجمعة بعينه، ولفظه: «**إنّ الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا، وقالوا: يا موسى إنّ الله لم يخلق يوم السبت شيئًا، فاجعله لنا، فجُعِل عليهم**»، وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم؛ كما وقع لهم في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٥٨]، وغير ذلك، وكيف لا وهم القائلون: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٩٣]، انتهى.

«**وعلى القبلة التي هدانا الله إليها**»، بصريح البيان بالأمر المكرّر أوّلًا لبيان تساوي حكم السفر وغيره، وثانيًا للتأكيد. (وضلّوا عنها) لأنهم لم يُؤْمَروا باستقبال الصخرة، كما دلّ عليه هذا الحديث، وهو يؤيّد ما رواه أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن خالد بن يزيد بن معاوية، قال: لم تجد اليهود في التوراة القبلة، ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة، فلمّا غَضِب الله على بني إسرائيل رفعه، وكانت صلاتهم إلى الصخرة عن مشورتهم منهم. وروى أبو داود أيضًا: أن يهوديًا خاصم أبا العالية في القبلة، فقال أبو العالية: كان موسى يصلّي عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام، فكانت الكعبة قبلته، وكانت الصخرة بين يديه، وقال اليهودي: بيني وبينك مسجد صالح النبيّ عليه السلام، فقال أبو العالية: فإني صلّيت في مسجد صالح وقبلته إلى الكعبة، وفي مسجد ذي القرنين وقبلته إليها. وفي البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يُونس: الآية ٨٧] روى ابن جريج عن ابن عباس، قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومَنْ معه، انتهى. وبه قطع الزمخشريّ والبيضاوي.

(«وعلى قولنا خلف الإمام آمين»)، فإنها لم يُعْطَها أحدٌ ممّن كان قبلكم إلّا هارون، فإنّه كان يؤمّن على دعاء موسى، كما قال ﷺ في حديث أنس عند ابن

....

مردويه وغيره، انتهى بحروفه. وقال العلّامة شيخ زاده رحمه الله: قيل: كان موسى عليه الصلاة والسلام يصلّي إلى الصخرة نحو الكعبة، فهي قبلة الأنبياء كلّهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، واليهود استقبلوا جهة المغرب واتّخذوها قبلة اتّباعًا لهوى أنفسهم حيث زعموا أن موسى عليه الصّلاة والسلام كان في المغرب حين ما أكرمه الله تعالى بوحيه وكلامه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القَصَص: الآية ٤٤]، والنصارى أيضًا اتّخذوا جهة المشرق قبلة اتّباعًا لهم حيث زعموا أنّ مريم عليها السلام حين خرجت من بلدها مالت إلى الشرق؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: الآية ١٦]، والمؤمنون استقبلوا الكعبة طاعةً لله تعالى وامتثالًا لأمره لا ترجيحًا لبعض الجهات المتساوية على البعض الآخر بمجرّد رأيهم واجتهادهم، مع أنها قبلة خليل الرحمٰن تعالى ورسوله ومولد حبيبه صلوات الله وسلامه عليهما، وقيل: استقبلت النصارى مطلع الأنوار، وقد استقبلنا مطلع سيّد الأنوار وهو محمّد ﷺ الذي من نوره خُلِقت الأنوار جميعًا. اهـ.

وفي بدائع الفوائد لابن القيّم رحمه الله: قبلة أهل الكتاب ليست بوحي وتوقيف من الله تعالى، بل بمشورة واجتهاد منهم. وأمّا النصارى، فلا رَيْب أن الله تعالى لم يأمرهم في الإنجيل ولا في غيره باستقبال الشرق، وهم مُقِرّون بأن قبلة المسيح عليه الصلاة والسلام قبلة بني إسرائيل وهي الصخرة، وإنما وضع لهم أشياخهم هذه القبلة وهم يعتذرون عنهم بأنّ المسيح عليه الصّلاة والسلام فوّض إليهم التحليل والتحريم وشرّع الأحكام، وأن ما حلّلوه وحرّموه فقد حلّله هو وحرّمه في السماء، فهم مع اليهود متّفقون على أن الله لم يشرع استقبال بيت المقدس على رسوله أبدًا، والمسلمون شاهدون عليهم بذلك. وأمّا قبلة اليهود، فليس في التوراة الأمر باستقبال الصخرة البتّة، وإنّما كانوا ينصبون التابوت ويصلّون إليه من حيث خرجوا، فإذا قَدِمُوا نصبوه على الصخرة وصلّوا إليه، فلمّا رُفِع صلّوا إلى موضعه وهو الصخرة. وأمّا السامرّة، فإنهم يصلّون إلى طورهم بالشام يعظّمونه ويحجّون إليه، وهو في بلدة نابلس، وهي قبلة باطلة مبتدعة، انتهى.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولًا بمكة إلا امتحانًا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه (ممن هو على حرف ينكص) على عقبيه لقلقه يرجع فيرتدّ عن الإسلام عند تحويل القبلة. قال الشيخ أبو منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى قوله: «لنعلم» أي لنعلم كائنًا أو موجودًا ما قد علمناه أنه يكون ويوجد، فالله تعالى عالم في الأزل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم في الأزل بأنه موجود كائن لأنه ليس بموجود في الأزل فكيف يعلمه موجودًا، فإذا صار موجودًا يدخل تحت علمه الأزلي فيصير معلومًا له موجودًا كائنًا، والتغير على المعلوم لا على العلم. أو لنميّز التابع من الناكص كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٧] فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز، أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون، وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر (ذوب) الذهب «فلنلقه في النار لنعلم أيذوب».

﴿وَإِن كَانَتْ﴾ أي التحويلة أو الجعلة أو القبلة. و«إن» هي المخففة، واللام في ﴿لَكَبِيرَةً﴾ أي ثقيلة شاقة وهي خبر «كان» واللام (فارقة) ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي هداهم الله فحذف العائد أي إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول.

قوله: (ممن هو على حرف) أي شكّ أو على غير طمأنينة على أمره، أي لا يدخل في الدِّين متمكّنًا. **قوله:** («ينكص») في مختار الصحاح: النّكوص الإحجام عن الشيء، يقال: نكص على عقبيه أي رجع، وبابه دخل وجلس.اهـ. **قوله:** (ذوب) في مختار الصِّحاح: ذاب ضدّ جمد، وبابه قال: وذوبانًا أيضًا.اهـ. بفتح الواو.اهـ. **قوله:** (فارقة) بين أن المخفّفة والنافية لا بينها وبين المشدّدة على ما وقع في التفسير الكواشي.اهـ. تفتازاني. وكلمة إن ـ بكسر الهمزة وسكون النون ـ على أربعة أوجه: شرطية، نحو: إنْ جئتني أكرمتك. ومخفّفة من الثقيلة، نحو: إن كل نفس لما عليها حافظ، وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها، وفائدة الأولى بيان أن الجملة مستلزمة للثانية. والوجه الثالث أن تكون للجحد والنفي؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [المُلك: الآية

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس؛ سمى الصلاة إيمانًا لأن وجوبها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها في الجماعة دليل الإيمان. ولما توجّه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا: (كيف بمن مات) قبل التحويل من إخواننا؟ فنزلت. ثم علّل ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ (لَرَءُوفٌ)﴾

٢٠]، وقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: الآية ٥٠]، وقوله: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ [فاطر: الآية ٤١] أي ما يمسكهما، والمخفّفة من الثقيلة يلزمها اللام في خبرها، نحو: إن زيد لأخوك، ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [يوسف: الآية ٣]، ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢] لتكون عِوَضًا عمّا حذف منها، وللفرق بينهما وبين التي للجحد. والوجه الرابع كونها زائدة، نحو: ما إن يقوم زيد وما إن رأيت زيدًا، أو التي في الآية مخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وإن التحويلة أو الجعلة أو القبلة كانت كبيرة، أي صعبة ثقيلة، فإذا خفّفت المكسورة بَطُل اختصاصها بالأسماء، فتدخل الفعل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢]، ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [يوسف: الآية ٣]، ويغلب عليها الإلغاء وجاء إعمالها على قلّة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [هود: الآية ١١١]. والكوفيّون لا يجوّزون إعمالها والآية حجّة عليهم، وفرّق الكسائي بين إن مع اللام في الأسماء، وبينها مع اللام في الأفعال، فجعلها في الأسماء مخفّفة من الثقيلة، وفي الأفعال جعلها نافية، وجعل اللام بمعنى إلا بناءً على أنّ إنْ المخفّفة بالاسم أولى نظرًا إلى أصلها، والنافية بالفعل أولى؛ لأن معنى النفي راجع إلى الفعل وغيره من الكوفيين، قالوا: إنها نافية مطلقًا دخلت في الفعل أو في الاسم، واللام بمعنى إلا.

وقال البصريون: كون اللام بمعنى إلا خلاف الظاهر، ولو كانت بمعناها لجاز أن يقال: جاء القوم لزيدًا، بمعنى إلا زيدًا، ولا يلزم ما قالوا؛ إذ ربما اختصّ ببعض المواضع كاختصاص لما بالاستثناء بعد النفي.

قوله: (كيف بمن مات) أي كيف يصنع، وهذا حديث صحيح أخرجه الشيخان والترمذي والحاكم وأحمد عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما.
قوله: ﴿لَرَءُوفٌ﴾) بالمدّ، أي زيادة واو بعد الهمزة على وزن شكور

مهموز مشبع: **حجازي وشامي وحفص**. «رؤف» **غيرهم بوزن «فَعُل»**) وهما للمبالغة. ﴿رَّحِيمٌ﴾ لا يضيع أجورهم، (**والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمـٰن الرحيم**).

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

(﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾) تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء. وكان رسول الله ﷺ يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة موافقة

(**مهموز مشبع حجازي**) إذا اجتمع أهل مكّة والمدينة، قيل: حجازي أي نافع المدني، وابن كثير المكّي، (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي (**وحفص**) عن عاصم (**رؤف**) بحذف الواو بعد الهمزة (**غيرهم بوزن فَعُلَ**). **قوله: (والرأفة أشدّ من الرّحمة)** وقدَّم الأبلغ للفاصلة.اهـ. جلالين. قوله: وقدّم الأبلغ، أي مع أن العادة العكس ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة، فيقال: عالم نحرير، ولا يقال: نحرير عالم.اهـ. شيخنا. وقوله: للفاصلة، أي لأنها على الميم، والفاصلة هي الكلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وإنما عبّر بالفاصلة دون السجع أخذًا من قوله تعالى: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ [فصّلت: الآية ٣]، وهي هنا قوله سابقًا: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرُف: الآية ٤٣]، وهنا: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨].اهـ. كرخي.اهـ. جمل. **قوله: (وجمع بينهما كما في الرحمـٰن الرحيم)**، قال المصنف رحمة الله عليه: وفي الرحمـٰن من المبالغة ما ليس في الرحيم؛ لأنّ في الرّحيم زيادة واحدة، وفي الرحمـٰن زيادتين، وزيادة اللفظ تدلّ على زيادة المعنى، ولذا جاء في الدعاء: يا رحمـٰن الدنيا؛ لأنه يعمّ المؤمن والكافر، ورحيم الآخرة لأنه يخصّ المؤمن، وقالوا: الرحمـٰن خاصّ تسمية؛ لأنه لا يوصف به غيره، وعامّ معنى لما بيّنا، والرحيم بعكسه؛ لأنه يوصف به غيره ويخصّ المؤمنين، ولذا قدّم الرحمـٰن وإنْ كان أبلغ، والقياس الترقّي من الأدنى إلى الأعلى، يقال: فلان عالم ذو فنون نحرير؛ لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله، انتهى بحروفه.

قوله: (﴿قَدْ نَرَىٰ﴾) ربما نرى.اهـ بيضاوي. يريد أن لفظة قد في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ للتكثير، ومعناها كثرة الرؤية، فإنّ كلمة قد تكون في المضارع

لإبراهيم ومخالفة لليهود، ولأنها ادعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم. ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فلنعطينك ولنمكننك من اسقبالها

للتقليل، إلا أنها قد تُستعار للتكثير للمناسبة بين الضدَّيْن في الضدِّية، كما أن ربّ للتقليل، ثمّ إنه قد يُستعمل في ضدّ أصل معناه وهو التكثير، لمناسبة التضادّ. ونظير الآية في كون قد للتكثير قول الشاعر:

قد أترك القرن مصفرًّا أنامله كأن أثوابه مجّت بفرصاد

القرن: الكفؤ الذي يماثلك في الشجاعة ويقابلك في الحرب، ومصفرًّا أنامله: أي أتركه في المعركة قتيلًا اصفرَّت أصابعه لخروج ما فيها من الدم، ومجّت بفرصاد: أي صُبِغت بماء الفرصاد، وهو التوت الأسود، يقال: مجّ الرجل الماء والريق من فيه، أي رمى به، قاله الشاعر في مقام التمدّح بالشجاعة والغَلَبة على الأقران، ومقام التمدّح قرينة دالَّة على أن كلمة قد مستعارة للتكثير، ومعنى ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ تحوّل وجهك إلى السماء، كذا نُقِل عن الطبري؛ فيكون قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلّقًا بقوله: ﴿تَقَلُّبَ﴾ بتقدير في النظر إلى السماء، وكأن الظاهر أن يقال: تقلّب عينيك في النظر إلى السماء، إلّا أن تقلّب الوجه لمّا كان أبلغ في انتظار الوحي كان ما عليه النظم أبلغ. ذكر الإمام القرطبي أنّ العلماء قالوا: هذه الآية متقدّمة في النزول على قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٢]، وفي الكواشي: إن قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ مستقبل لفظًا ماضٍ معنًى ومتأخر تلاوةً، متقدّم معنًى لأنها رأس القصة، والمعنى شاهدنا وعَلِمْنا تردّد وجهك وتصرّف نظرك في السماء، أي في جهتها، وكلمة قد سواء دخلت على الماضي أو المضارع لا بدّ فيها من معنى التحقيق، ثم إنه قد يضاف إلى هذا المعنى في بعض المواضع مع الماضي للتقريب من الحال في التوقّع، أي قد يكون مصدرًا متوقّعًا لما يخاطبه واقعًا عن قرب، كما تقول لمن يتوقّع ركوب الأمير: قد ركب أي حصل عن قُرب ما كنت تتوقّعه، وقد يضاف معنى التقريب فقط كما إذا قلت: قد ركب زيد، لمن لم يتوقع ركوبه، وإذا دخلت على المضارع المجرّد من ناصب وجازم وحرف تنفيس يضاف إلى التحقيق في الأغلب التقليل، نحو: إن الكذوب قد يصدق، أي بالحقيقة يصدر منه الصدق، وإنْ كان قليلًا، وقد يُستعمل للتحقيق مجرّدًا عن معنى التقليل؛ كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

(من قولك وليته كذا إذا جعلته واليًا له، أو فلنجعلنّك تلي سمتها) دون سمت بيت

ويُستعمل أيضًا للتكثير في موضع التمدّح، كما ذكرنا في ربّما، قال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ [الأحزاب: الآية ١٨]، وقال الشاعر:

قد أترك القرن مصفرًّا أنامله

كذا في شرح الرضي.

قوله: (﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾) قال الإمام الزاهد: إن تقلّب الوجه من رسول الله ﷺ كان في عين الصلاة، وكان ذلك جائزًا فيها ولم يتعرّضه غيره، وفي هذا المقام فائدة، وهي أنه قال صاحب الهداية: وإن عَلِم ذلك في الصلاة استدار إلى القبلة؛ لأن أهل قباء لمّا سمعوا بتحوّل القبلة استداروا كهيئتهم، واستحسن النبيّ ﷺ ذلك منهم، يعني أن تحرّى فصلّى إلى غير القبلة، ثم علم خطأه في الصلاة استدار إلى القبلة بقصّة أهل قباء، وإنّما استدلّ بتحويل أهل قباء، ولم يستدلّ بتحويل النبيّ ﷺ في صلاته؛ لأنه في حقّه عليه السلام نزل الخطاب بتحويل القبلة وقبل نزوله لم يكن القبلة الأُولى خطأ أصلًا، وفي حقّهم ظهر الخطاب، فكان ابتداء صلاتهم خطأ في الواقع، وإنْ كان صوابًا بحسب رأيهم فصَلُح تمسّكًا على أنّ مَنْ علم خطأه في الصلاة استدار إلى القبلة تأمّل وأنْصِفْ. ثم إنّ بهذه الآية تمسّك الإمام فخر الإسلام البزدوي أن نسخ الكتاب بالسنّة وعكسه جائز؛ لأن التوجّه إلى الكعبة في الابتداء، وإن ثبت بالكتاب فقد نسخ بالسنّة المُوجبة للتوجّه إلى بيت المقدس ثم الثابت بالسنّة، وهو التوجّه إلى بيت المقدس نسخ بالكتاب، وهو قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، هذا حاصل كلامه.

وقال صاحب الإتقان وغيره: إنّ هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥]، على قول ابن عباس. وأمّا على قول غيره، فهو باقٍ على ما مرّ. اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (من قولك: ولّيته كذا إذا جعلته واليًا له، أو فلنجعلنّك تلي سمتها)، يعني: أن قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فعل مضارع من باب التفعيل، ثم إنه إمّا منقول من نحو: ولّى الرجل ولاية، أي تمكّن منه، وولّيته كذا إذا جعلته واليًا له،

المقدس. ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ **(تحبها)** وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي نحوه. و«شطر» نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة متعسّر على **(النائي. وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين)**. رُوِيَ أنه عليه السلام قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا ثم وجّه إلى الكعبة. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض وأردتم الصلاة ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله ﷺ أنه يصلّي إلى القبلتين.

أو من وليه وليًا، أي قَرُب ودنا منه، وأوليته إيّاه وولّيته، أي أدنيته منه، فهو على الأوّل من الولاية، وعلى الثاني من الوليّ، وهو القرب. **قوله: (تحبها)**... الخ. لمّا كان توصيف القبلة المحوّل إليها بقوله: ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ مُشعِرًا بأنه عليه الصّلاة والسّلام كان ساخطًا بالتوجّه إلى بيت المقدس كارهًا غير راضٍ مع كونه مأمورًا بالتوجّه إليه، وهو غير متصوّر في حقّه عليه الصّلاة والسّلام ولا في حقّ أحد من المسلمين جعل الرضى مجازًا عن المحبّة والاشتياق، ثم أشار بقوله: لأغراضك الصحيحة إلى أن تلك المحبّة لم تكن ناشئة من هوى النفس والشهوة الطبيعية، بل ممّا رأى فيما أحبّه من المقاصد الدينية، وأنّه تعالى إنما أجابه فيما أحبّه من حيث كون ما رأى فيه من المقاصد والمصالح موافقًا لمشيئة الله تعالى وحكمته، لا لمجرّد ميله ومحبّته إليه. **قوله: (النائي)** أي البعيد. **قوله: (وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليلٌ على أنّ الواجب مراعاة الجهة دون العين)**، لا خلاف في أن حاضر الكعبة إنّما يتوجّه إلى عينها، وإنما الخلاف في البعيد، هل يلزمه التوجّه إلى عينها؟ أو يكفي التوجّه إلى جهتها؟ وهو المختار للفتوى، وأدلّة كلّ من الفريقين مبسوطة في الفروع. اهـ شهاب.

وفي التفسيرات الأحمدية: قال المفسّرون: ذكر المسجد الحرام ولم يذكر الكعبة ليكون دليلًا على أنّ المصلّي إن كان غائبًا عن الكعبة يكفيه مجرّد التوجّه إلى جانب الكعبة لا إلى عينها؛ لأن نزول الآية في المدينة، فخوطب بحسبها هذا إذا كان المراد من المسجد الحرام هو الحرم.

....

وقد صرّح في الزاهدي: أن الصحيح أن المراد منه الكعبة، ولكن للشاهدين عينها وللغائبين جهتها، ثم القبلة عند الفقهاء هي هواء الكعبة المخصوصة وعرصتها لا جدرانها، بدليل أنه إذا انهدمت الكعبة والعياذ بالله يجوز الصلاة إلى جانبها، ويدلّ عليه ما قال صاحب الهداية: ومن صلّى على ظهر الكعبة جازت صلاته، خلافًا للشافعي رحمه الله؛ لأن الكعبة هي العرصة والهواء إلى عنان السماء عندنا دون البناء؛ لأنه يُنقل: ألا ترى أنّه لو صلّى على جبل أبي قبيس جاز ولا بناء بين يديه، إلا أنه يكره لما فيه من ترك التعظيم، هذا لفظه. وجهة تلك الهواء في بلاد الهند ما بين المغربين، أي ما بين مغربي الشمس من الشتاء والصيف، هكذا قرّره شهاب الملّة والدِّين في بعض رسائله. اهـ.

وقال العلَّامة شيخ زاده رحمه الله: قال الإمام الرازي: اختلفوا في أن المراد من المسجد الحرام أي شيء هو؟ فحكم في كتاب السنّة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل المشرق والمغرب، وهذا قول مالك. وآخرون قالوا: القبلة هي الكعبة، والدليل عليه ما خُرِّج في الصحيحين عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أخبرني أُسامة بن زيد قال: إنه عليه الصّلاة والسلام لمّا دَخل البيت دعا في نواحيه كلّها، ولم يصلِّ حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قُبل الكعبة، وقال: «**هذه القبلة**»، ورووا أخبارًا كثيرة كلّها تدلّ على أن القبلة هي الكعبة. ثم قال آخرون: بل المراد به المسجد الحرام كلّه، لأن الكلام يجب أن يُحمل على ظاهر لفظه، إلّا إذا منع منه مانع. وقال آخرون: بل المراد من المسجد الحرام الحرم كلّه، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: الآية ١]، وهو ﷺ إنما أُسْرِي به من خارج المسجد؛ فدلّ هذا على أن الحَرَم كلّه يسمّى بالمسجد الحرام، إلى هنا كلامه. ثم ذكر أنّ فرض مَنْ يريد الصلاة عند الإمام الشافعي أن يستقبل عين الكعبة، والجهة غير كافية في صحة الصلاة، ونُقِل عن صاحب التهذيب أنّ الجماعة إذا صلّوا في المسجد الحرام يستحبّ أن يقف الإمام خلف المقام والقوم يقفون مستديرين بالبيت، فلو امتدّ الصفّ في المسجد بحيث ازداد طوله على عرض البيت، فإنّه لا

....

يصحّ صلاة مَنْ خرج عن مُحاذاة الكعبة. وعند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه: تصحّ؛ لأن إصابة الجهة عنده كافية، وأورد حجج الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه من الكتاب والسنّة المعقول، ومن جهة الأدلّة العقلية أن كون الكعبة قبلة أمرٌ معلوم، وكون غيرها قبلة أمرٌ مشكوك، وقد أوجب الله تعالى على كافّة المكلّفين استقبال القبلة، والمكلّف لا يخرج عن عهدة ما كُلّف به بالشك، ثم قال: احتجّ أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه بأُمور، الأوّل: ظاهر هذه الآية؛ وذلك لأنه تعالى أوْجب على المكلّف أن يولّ وجهه إلى جانبه، ومن ولّى وجهه إلى الجانب الذي حصلت الكعبة فيه، فقد أتى بما أُمر به سواء كان مستقبلًا للكعبة أو لا، فوجب أن يخرج عن العهدة بإصابة جهة الكعبة. وأمّا الخبر، فما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه عليه الصّلاة والسّلام، قال: «**ما بين المشرق والمغرب قبلة**»، ولو كان الغرض إصابة عين الكعبة لما كان بينهما قبلة. وذُكِر في كتب الفقه أنّ استقبال القبلة واستدبارها مكروهان، سواء كان في البنيان أو الصحراء؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إذا أتيتم الغائط فعظّموا قبلة الله تعالى، لا تستقبلوها ولا تستدبروها، ولكن شرّقوا أو غرّبوا**»، فإنّ هذا الحديث أيضًا يدلّ على أن من لم يشرّق أو يغرّب في الخلاء، فهو مستقبل للقبلة أو مُستدبرها، وهو يستلزم أن يكون ما بينهما قبلة، ويدلّ عليه أيضًا أنّ الناس من عهد رسول الله ﷺ بنوا المساجد في جميع بلاد الإسلام ولم يحضروا قطّ مهندسًا عند تعيين جهة القبلة فيها، مع أن إصابة عين الكعبة لا تُدْرَك إلّا بدقيق نظر الهندسة، وحيث اجتمعت الأُمّة من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم على صحة ما وقع فيها من الصلاة عَلِمْنا أنّ محاذاة عين الكعبة ليست بشرط، وأيضًا لو كان استقبال عين الكعبة واجبًا لكان تعلّم الدلائل الهندسية واجبًا على كلّ أحد؛ لأن استقبال العين لا سبيل إليه إلا بتلك الدّلائل، ولمّا كان غيرُ واجب عَلِمْنا أنّ استقبال العين غيرُ واجب، فإنْ قيل: الدائرة وإنْ كانت عظيمة يكون جميع القطع المفروضة مُحاذية لمركز الدّائرة، والصفوف الواقعة في العالم بأسرها كأنّها دائرة محيطة بالكعبة، والكعبة كأنها نقطة لتلك الدائرة، إلّا أنّ الدائرة إذا صغّرت ظهر التقوّس والانحناء في كلّ واحدةٍ من القطع المفروضة فيها، بل يرى كل قطعة منها شبيهة بالخطّ المستقيم؛ فلا جرم صحت الجماعة

....

بصفٍّ مستطيل ممتدّ إلى جانبي المشرق والمغرب يزيد طوله على أضعاف مقدار البيت، لكون كل واحد ممّا فيه متوجّهًا إلى عين الكعبة. وأمّا النقطة المفروضة فيها إنما تكون مُحاذية لمركزها إذا كان الخط الخارج من كلّ واحدة منها واقعًا على المركز محاذيًا لها، ومجرّد كونها من أجزاء الدائرة لا يستلزم ذلك، وهو ظاهر في أن استقبال العين ليس بواجب، وإنّما الواجب هو استقبال السَّمْت والجهة، ومعنى استقبال السَّمت أنّا لو فرضنا خطًّا مستقيمًا من نقطةٍ مِنَ النقطة المفروضة في دائرة الأفق مارًّا على الكعبة واصلًا إلى النقطة المقابلة على الاستقامة لكان الخطّ الخارج من جبين المصلّي إلى ذلك الخطّ المارّ بالكعبة على استقامة من غير أن تكون إحدى الزاويتين الحادّتين في الملتقى حادّة والأخرى منفرجة، بل يحصل هناك قائمان، أو تقول: هو أن تقع الكعبة فيما بين خطّين يلتقيان في الدماغ ليخرجا إلى العينين كما في المثلّث المذكور في كتب الفقه؛ كالذخيرة والنهاية والكافي أنّ مَنْ كان بمكّة ففرضه إصابة عينها إجماعًا، حتى لو صلّى مكّي في بيته ينبغي أن يصلّي بحيث لو أُزيلت الجدران يقع الاستقبال على عين الكعبة، بخلاف الآفاق، فإن فرضه إصابة جهتها لا عينها في الصحيح، وهذا قول الشيخ أبي الحسن الكرخي والشيخ أبي بكر الرازي رحمهما الله تعالى؛ وذلك لأنه ليس في وِسْع المصلّي سوى هذا والتكليف بحسب الوسع، وقوله في الصحيح احتراز عن قول أبي عبد الله الجرجاني، فإنّه قال: مَنْ كان غائبًا عنها ففرضه إصابة عينها؛ لأنه لا فَصْل في النصّ، وثمرة الخلاف تظهر في اشتراط نيّته عين الكعبة، فعلى قول الجرجاني يُشترط، وعلى قول الكرخي والرازي لا يشترط؛ وهذا لأن إصابة عينها لمّا كانت فرضًا عند الجرجاني، ولا يمكن إصابة عينها حال غيبة عينها إلّا من حيث النيّة عينها، وعندهما لمّا كان الشرط في حقّ مَنْ غاب عنها إصابة جهتها وإصابة الجهة لا تتوقّف على نيّة العين، قالا: لا حاجة إلى اشتراط نيّة العين، وذكر الرندوستي في نظمه أن الكعبة قبلة مَنْ يصلّي في المسجد الحرام، والحرم قبلة العالم. وقيل: مكّة وسط الدنيا، فقبلة أهل المشرق إلى المغرب عندنا، وقبلة أهل المغرب إلى المشرق، وقبلة أهل المدينة إلى يمين مَنْ توجّه إلى المغرب، وقبلة أهل الحجاز إلى يسار مَنْ توجّه إلى المغرب، كذا في الذخيرة والنهاية.

....

والمقصود من نقل هذه المقالات بيان أن الأئمّة الحنفية والشافعية متّفقون على أن القبلة في حقِّ مَنْ عاين البيت هي عين البيت، وفي حقِّ مَنْ غاب عنه وبَعُد هي سمت البيت، ولا يُخالف الجمهور في هذه المسألة إلّا أبو عبد الله الجرجاني، ويؤيّده قول المصنّف ـ يعني البيضاوي ـ والبعيد يكفيه مُراعاة الجهة بخلاف القريب، فإنه من العلماء الشافعية، وقد صرَّح بالوفاق؛ فقول الإمام الرازي لا شاهد له. اهـ.

وفي الدرّ المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النّعمان رضي الله عنه: فللمكيّ وكذا المدني لثبوت قبلتها بالوحي إصابة عينها يعمّ المعاين وغيره، لكن في البحر أنه ضعيف، والأصحّ أنّ مَنْ بينه وبينها حائل كالغائب، وأقرّه المصنف قائلًا: والمراد بقولي: فللمكيّ: مكيّ يعاين الكعبة، ولغيره أي غير معاينها إصابة جهتها بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتًا للكعبة أو لهوائها بأن يفرض من تلقاء وجه مستقبلها حقيقة في بعض البلاد خطّ على زاوية قائمة إلى الأفق مارًا على الكعبة، وخطٌّ آخر يقطعه على زاويتين قائمتين يمنةً ويُسرة منح. قلت: فهذا معنى التيامن والتياسر في عبارة الدرر، فتبصّر وتعرّف بالدليل، وهو في القرى والأمصار محاريب الصحابة والتابعين، وفي المفاوز والبحار النجوم كالقطب، وإلّا فمن الأهل العالم بها ممّن لو صاح به سمعه، (والمُعتبر) في القبلة (العرصة لا البناء)، فهي من الأرض السابعة إلى العرش، (وقبلة العاجز عنها) لمرض وإن وجد موجّهًا عند الإمام أو خوف مالَ، وكذا كلّ من سقط عنه الأركان (جهة قدرته)، ولو مضطجعًا بإيماء، لخوف رؤية عدوّ، ولم يعد لأن الطاعة بحسب الطاقة، ويتحرّى هو بذل المجهود لِنَيْل المقصود، (عاجز عن معرفة القبلة) بما مرّ (فإنْ ظهر خطأه لم يعد) لما مرّ، (وإنْ عَلِم به في صلاته أو تحوّل رأيه) ولو في سجود سهو (استدار وبنى) حتى لو صلّى كل ركعة لجهة جاز، ولو بمكّة أو مسجد مظلم، ولا يلزمه قرع أبواب ومسّ جدران، ولو أعمى فسوّاه رجل بنى، ولم يقتدِ الرجل به ولا بمتحرٍّ تحوّل، ولو ائتم بمتحرٍّ بلا تحرٍّ لم يجز إن أخطأ الإمام، ولو سلّم فتحوّل رأى مسبوق ولاحق استدار المسبوق واستأنف اللاحق، ومن لم يقع تحرّيه على شيءٍ صلّى لكل جهة مرّة احتياطًا،

....

ومَنْ تحوّل رأيه لجهته الأُولى استدار، ومن تذكّر ترك سجدة من الأُولى استأنف، (وإن شرع بلا تحرٍّ لم يجز، وإن أصاب) لتركه فرض التحرّي إلا إذا علم إصابته بعد فراغه، فلا يُعيد اتّفاقًا بخلاف جهة تحرّيه، فإنه يستأنف مطلقًا كمصلٍّ على أنه محدث، أو ثوبه نَجِس، أو الوقت لم يدخل، فبان بخلافه لم يجز (صلّى جماعة عند اشتباه القبلة)، فلو لم تشبه إن أصاب (جاز بالتحرّي) مع إمام (وتبيّن أنهم صلّوا إلى جهات مختلفة، فمن تيقّن منهم مخالفة إمامه في الجهة أو تقدَّم عليه حالة الأداء) أما بعده، فلا يضرّه (لم تجز صلاته)؛ لاعتقاد خطأ إمامه، ولتركه فرض المقام، ومن يعلم ذلك، فصلاته (صحيحة)، كما لو لم يتعيّن الإمام بأن رأى رجلين يصلّيان فائتمّ لواحد لا بعينه. اهـ.

وفي حاشية المسمّاة ردّ المحتار: قوله: (فللمكيّ)، أي فالشرط له، أي لصلاته وكذا قوله: (ولغيره)، أو اللام فيهما بمعنى على، أي فالواجب عليه. قوله: (لثبوت قبلتها) أي قبلة المدينة المنوّرة المفهومة من قوله: وكذا المدني، وأورد أنه لا يلزم من ثبوتها بالوحي أنْ تكون على عين الكعبة؛ لاحتمال كونها على الجهة.

قوله: (يعمّ المعاين وغيره)، أي المكي المشاهد للكعبة، والذي بينه وبينه حائل؛ كجدار ونحوه، فيشترط إصابة العين بحيث لو رفع الحائل وقع استقباله على عين الكعبة. قوله: (وأقرّه المصنف) أي في المُنَح، لكن قال في شرحه على زاد الفقير: إطلاق المنون والشرح والفتاوى يدلّ على أن المذهب الراجح عدم الفرق بين ما إذا كان بينهما حائل أو لا. اهـ.

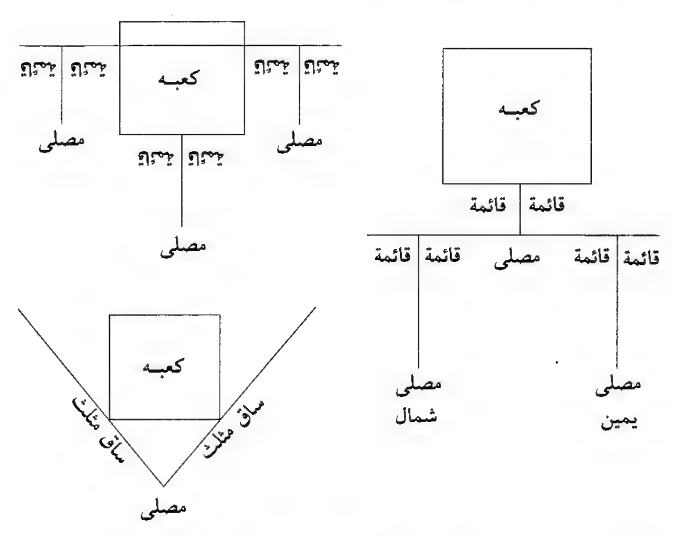
وفي الفتح: وعندي في جواز التحرّي مع إمكان صعوده إشكال؛ لأن المصير إلى الدليل الظنّي وترك القاطع مع إمكانه لا يجوز، وقد قال في الهداية: والاستخبار فوق التحرّي، فإذا امتنع المصير إلى ظنّي؛ لإمكان ظني أقوى منه، فكيف يترك اليقين مع الظن؟. اهـ.

قوله: (بأن يبقى)... الخ. في كلامه إيجاز لا يُفهم منه المراد، فاعلم أوّلًا أن السطح في اصطلاح علماء الهندسة ما له طول وعرض لا عمق، والزاوية

....

القائمة هي إحدى الزاويتين المتساويتين الحادثتين عن جنبي خطّ مستقيم قام على خطٍّ مستقيم، هكذا قائمة|قائمة، وكلتاهما قائمتان، ويسمّى الخطّ القائم على الآخر عمودًا، فإن لم تتساويا، فما كانت أصغر من القائمة (تسمّى) زاوية حادّة، وما كانت أكبر تسمّى منفرجة هكذا: حادة / منفرجة. ثم اعلم أنه ذكر في المعراج عن شيخه: أن جهة الكعبة هي الجانب الذي إذا توجّه إليه الإنسان (يكون مُسامِتًا للكعبة) أو هوائها تحقيقًا أو تقريبًا، ومعنى التحقيق أنه لو فرض خطّ من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون مارًّا على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أنه لو فَرَض خطّ من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون مارًّا على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أن يكون منحرفًا عنها أو عن هوائها بما لا تزول به المقابلة بالكلّية بأن يبقى شيء من سطح الوجه مُسامِتًا لها أو لهواها، وبيانه أن المقابلة في مسافة قريبة تزول بانتقال قليل من اليمين أو الشمال مناسبٍ لها، وفي البعيدة لا تزول، الانتقال كثير مناسب لها، فإنه لو قابل إنسان آخر في مسافة ذراع مثلًا تزول تلك المقابلة بانتقال أحدهما يمينًا بذراع، وإذا وقعت بقدر مِيل أو فرسخ لا تزول إلّا بمائة ذراع أو نحوها، ولمّا بَعُدَت مكّة عن ديارنا بُعْدًا مفرطًا تتحقّق المقابلة إليها في مواضع كثيرة في مسافة بعيدة، فلو فرضنا خطًّا من تلقاء وجه مستقبل الكعبة على التحقيق في هذه البلاد، ثم فرضنا خطًّا آخر يقطعه على زاويتين قائمتين من جانب يمين المستقبل وشماله لا تزول تلك المقابلة والتوجّه بالانتقال إلى اليمين والشمال على ذلك الخطّ بفراسخ كثيرة، فلذا وضع العلماء القبلة في بلادٍ قريبة على سَمْتٍ واحد. اهـ. ونقله في الفتح والبحر وغيرهما وشروح المنية وغيرها، وذكره ابن الهُمام في زاد الفقير، وعبارة الدّرر: هكذا وجهتها أن يصل الخطّ الخارج من جبين المصلّي إلى الخطّ المارّ بالكعبة على استقامة بحيث يحصل قائمتان، أو نقول: هو أن تقع الكعبة فيما بين خطّيْن يلتقيان في الدّماغ فيخرجان إلى العينين كساقي مثلث، كذا قال النحرير التفتازاني في شرح الكشاف. فيُعْلم منه أنه لو انحرف عن العين انحرافًا لا تزول منه المقابلة بالكلّية جاز، ويؤيّده ما قال في الظهيرية إذا تيامن أو تياسر تجوز؛ لأن وجه الإنسان مقوّس، لأن عند التيامن أو

التياسر يكون أحد جوانبه إلى القبلة. اهـ. كلام الدرر. وقوله في الدرر: على استقامته متعلّق بقوله: يَصِل؛ لأنه لو وصل إليه معوجًّا لم تحصل قائمتان، بل تكون إحداهما حادَّة والأخرى منفرجة كما بيَّنَا، ثم إن الطريقة التي في المعراج هي الطريقة الأُولى التي في الدُّرر، إلا أنه في المعراج جعل الخطّ الثاني مارًّا على المصلّي على ما هو المتبادر من عبارته، وفي الدرر جعله مارًّا على الكعبة، وتصوير الكيفيّات الثلاث على الترتيب هكذا:

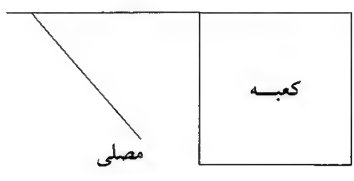


قوله: (منح) فيه أن عبارة المنح هي حاصل ما قدَّماه عن المعراج، وليس فيها قوله: مارًّا على الكعبة، بل هو المذكور في صورة الدرر، ويمكن أن يُراد أنه مارًّا عليها طولًا لا عرضًا، فيكون هو الخطّ الخارج من جبين المصلّي والخطّ الآخر الذي يقطعه هو المارّ عرضًا على المصلّي أو على الكعبة، فيصدق بما صوّرناه أولًا وثانيًا. ثم إنّ اقتصاره على بعض عبارة المنح أدّى إلى قصر بيانه على

....

المسامتة تحقيقًا، وهي استقبال العين دون المسامتة تقديرًا، وهي استقبال الجهة. مع أن المقصود الثانية، فكان عليه أن يحذف قوله: من تلقاء وجه مستقبلها حقيقةً في بعض البلاد.

قوله: (قلت)... الخ. قد علمت أنه لو فرض شخص مستقبلًا من بلده لعين الكعبة حقيقة بأن يفرض الخطّ الخارج من جبينه واقعًا على عين الكعبة، فهذا مُسامِت لها تحقيقًا، ولو أنه انتقل إلى جهة يمينه وشماله بفراسخ كثيرة وفرضنا خطًّا مارًّا على الكعبة من المشرق إلى المغرب، وكان الخطّ الخارج من جبين المصلّي يصل على استقامته إلى هذا الخطّ المارّ على الكعبة، فإنّه بهذا الانتقال لا تزول المقابلة بالكلّية؛ لأن وجه الإنسان مقوّس، فمهما تأخّر يمينًا أو يسارًا عن عين الكعبة يبقى شيء من جوانب وجهه مقابلًا لها، ولا شكّ أن هذا عند زيادة البعد. أما عند القُرْب، فلا يعتبر كما مرّ؛ فقول الشارح ﷺ: هذا معنى التيامن والتياسر، أي أن ما ذكره من قوله: بأن يبقى شيء من سطح الوجه... الخ. مع فرض الخطّ على الوجه الذي قرّرناه هو المراد بما في الدار عن الظهيرية من التيامن والتياسر، أي ليس المراد منه أن يجعل الكعبة عن يمينه أو يساره؛ إذ لا شكّ حينئذ في خروجه عن الجهة بالكلّية، بل المفهوم مما قدَّمناه عن المعراج والدُّرر من التقييد بحصول زاويتين قائمتين عند انتقال المستقبل لعين الكعبة يمينًا أو يسارًا أنه لا يصحّ لو كانت إحداهما حادّة والأخرى منفرجة بهذه الصورة:



والحاصل أن المراد بالتيامن والتياسر الانتقال عن عين الكعبة إلى جهة اليمين أو اليسار، لا الانحراف، لكن وقع في كلامهم ما يدلّ على أن الانحراف لا يضرّ؛ ففي القهستاني: ولا بأس بالانحراف انحرافًا لا تزول به المقابلة بالكلّية بأن يبقى شيء من سطح الوجه مُسامتًا للكعبة. اهـ. وقال في شرح زاد الفقير وفي بعض الكتب المعتمدة:

....

في استقبال القبلة إلى الجهة أقاويل كثيرة، وأقربها إلى الصواب قولان، الأوّل: أن ينظر في مغرب الصيف في أطول أيّامه ومغرب الشتاء في أقصر أيّامه، فليدع الثلثين في الجانب الأيمن، والثلث في الأيسر، والقبلة عند ذلك، ولو لم يفعل هكذا وصلّى فيما بين المغربين يجوز، وإذا وقع خارجًا منها لا يجوز بالاتّفاق. اهـ ملخصًا. وفي منية المصلّي عن أمالي الفتاوى: حدّ القبلة في بلادنا - يعني سمرقند - ما بين المغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف، فإن صلّى إلى جهة خرجت من المغربين فسدت صلاته. اهـ. وسيأتي في المتن في مفسدات الصلاة أنها تفسد بتحويل صدره عن القبلة بغير عذر، فَعُلِم أنّ الانحراف اليسير لا يضرّ، وهو الذي يبقى معه الوجه أو شيء من جوانبه مسامتًا لعين الكعبة أو لهوائها بأن يخرج الخطّ من الوجه أو من بعض جوانبه، ويمرّ على الكعبة أو هوائها مستقيمًا، ولا يلزم أن يكون الخطّ الخارج على استقامة خارجًا من جبهة المصلّي، بل منها أو من جوانبها؛ كما دلّ عليه قول الدرر: من جبين المصلّي، فإنّ الجبين طرف الجبهة، وهما جبينان، وعلى ما قرَّرناه يُحمل ما في الفتح والبحر عن الفتاوى من أن الانحراف المفسد أن يجاوز المشارق إلى المغرب. اهـ. فهذا غاية ما ظهر في هذا المحل، والله تعالى أعلم.

قوله: (فتبصّر) إشارة إلى دقّة ملاحظة الذي قرّرناه وإلى عدم الاستعجال بالاعتراض، ومع هذا نسبوه إلى عدم الفهم، فافهم.

قوله: (محاريب الصحابة والتابعين)، فلا يجوز التحرّي معها. زيلعي: بل علينا اتّباعهم (خانية) ولا يعتمد على قول الفلكي العالم البصير الثقة أن فيها انحرافًا خلافًا للشافعية في جميع ذلك، كما بسّطه في الفتاوى الخيرية، فإياك أن تنظر إلى ما يقال أن قبلة أمويّ دمشق وأكثر مساجدها المبنية على سمت قبلته فيها بعض انحراف، وإنّ أصح قبلة فيها قبلة جامع الحنابلة الذي في سفح الجبل؛ إذ لا شكّ أن قبلة الأُموي من حين فتح الصحابة ومَنْ صلّى منهم إليها، وكذا مَنْ بعدهم أعلم وأوثق وأقوى من فلكيّ لا ندري هل أصاب أم أخطأ، بل ذلك يرجح خطأه وكل خير في اتّباع مَنْ سلف.

....

قوله: (كالقطب)، هو أقوى الأدلّة وهم نجم صغير في بنات نعش الصغرى بين الفرقدين والجدي إذا جعله الواقف خلف أُذنه اليمنى كان مستقبلًا القبلة إنْ كان بناحية الكوفة وبغداد وهمدان، ويجعله مَنْ بمصر على عاتقه الأيسر، ومَنْ بالعراق على كتفه الأيمن، ومَنْ باليمين قبالته مما يلي جانبه الأيسر، ومَنْ بالشام وراءه بحر. قال ابن حجر: وقيل: ينحرف بدمشق وما قاربها إلى الشرق قليلًا.اهـ. وذكر الشراح للقبلة علامات أُخر غالبها مبنية على سمت بلادهم منها ما قدَّمناه عن شرح زاد الفقير والمنية، فإنّها علامة لقبلة سمرقند، وما كان على سمتها. وفي حاشية الفتّال: قال البرجنديّ: ولا يخفى أن القبلة تختلف باختلاف البقاع، وما ذكروه يصح بالنسبة إلى بقعة معيّنة، وأمر القبلة إنما يتحقّق بقواعد الهندسة والحساب بأن يعرف بُعْد مكّة عن خطّ الاستواء، وعن طرف المغرب، ثم بُعد البلد المفروض كذلك، ثم يُقاس بتلك القواعد ليتحقّق سمت القبلة.اهـ. لكن قال القهستاني: ومنهم مَنْ بناه على بعض العلوم الحكمية إلّا أنّ العلّامة البخاري قال في الكشف: إنّ أصحابنا لم يعتبروه.اهـ. وأفاد في النهر أن دلائل النجوم معتبرة عند قوم وعند آخرين ليست بمعتبرة، قال: وعليه إطلاق عامّة المتون.اهـ. أقول: لم أرَ في المتون ما يدلّ على عدم اعتبارها، ولنا تعلّم ما نهتدي به على القبلة من النجوم، وقال تعالى: ﴿ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا﴾ [الأنعام: الآية ٩٧]، على أن محاريب الدنيا كلّها نُصِبت بالتحرّي حتى مُنَى، كما نقله في البحر، ولا يخفى أن أقوى الأدلّة النجوم، والظاهر أن الخلاف في عدم اعتبارها إنّما هو عند وجود المحاريب القديمة؛ إذ لا يجوز التحرّي معها كما قدَّمناه لئلا يلزم تخطئة السلف الصالح، وجماهير المسلمين بخلاف ما إذا كان في المفازة فينبغي وجوب اعتبار النجوم ونحوها في المفازة لتصريح علمائنا وغيرهم بكونها علامة معتبرة، فينبغي الاعتماد في أوقات الصلاة وفي القبلة على ما ذكره العلماء الثقات في كتب المواقيت وعلى ما وضعوه لها من الآلات؛ كالرُّبع والاصطرلاب، فإنها إن لم تفد اليقين تفيد غلبة الظنّ للعالم بها، وغلبة الظنّ كافية في ذلك، ولا يرد على ذلك ما صرّح به علماؤنا من عدم الاعتماد على قول أهل النجوم في دخول رمضان؛ لأن ذاك مبنيّ على أن وجوب الصوم مُعلّق برؤية الهلال؛ لحديث: «**صوموا لرؤيته**»، وتوليد

....

الهلال ليس مبنيًا على الرؤية، بل على قواعد فلكية، وهي وإنْ كانت صحيحة في نفسها لكن إذا كانت ولادته في ليلة كذا، فقد يُرى فيها الهلال وقد لا يُرى، والشارع علّق الوجوب على الرؤية لا على الولادة، هذا أظهر لي والله أعلم.

قوله: (وإلا فمن الأهل)، أي وإن لم يكن ثمّة محاريب قديمة فيسأل مَنْ يعلم بالقبلة ممّن تُقبل شهادته من أهل ذلك المكان ممّن يكون بحضرته بأن يكون بحيث لو صاح به سمعه. أمّا غير العالم بها، فلا فائدة في سؤاله. وأمّا غير مقبول الشهادة؛ كالكافر والفاسق والصبيّ، فلعدم الاعتداد بإخباره فيما هو من أُمور الدّيانات ما لم يغلب على الظنّ صدقه، كما في القهستاني، ويُقبل فيها قول الواحد العدل، كما في النهاية. وأمّا إذا لم يكن من أهل ذلك المكان، فلأنه يُخبر عن اجتهاد فلا يترك اجتهاده باجتهاد غيره. وأمّا إذا لم يكن بحضرته من أهل المسجد أحد، فإنه يتحرّى ولا يجب عليه قرع الأبواب كما سيأتي، وظاهر التقييد بالأهل أنّ وجوب السؤال خاصّ بالحضر، فلو في مفازة لا يجب. وفي البدائع ما يخالفه، حيث قال: فإن كان عاجزًا بالاشتباه وهو أن يكون في المفازة في ليلة مظلمة ولا علم له بالأمارات الدالّة على القبلة، فإنْ كان بحضرته مَنْ يسأله عنها لا يجوز له أن يتحرّى، بل يجب أن يسأل لما قلنا، أي من أن السؤال أقوى من التحرّي.اهـ. وشرط في الذخيرة كون المُخبر في المفازة عالمًا حيث نُقِل عن الفقيه أبو بكر: أنه سُئِل عمّن في المفازة فأخبره رجلان أنّ القبلة في جانب ووقع تحرّيه إلى جانبٍ آخر، فقال: إنْ كان في رأيه أنهما يعلمان ذلك يأخذ بقولهما لا محالة، وإلّا فلا.اهـ. وشرط في الخانية والتجنيس كونهما من أهل ذلك الموضع، حيث قال: فإن لم يكونا من أهل ذلك الموضع وهما مسافران مثله لا يلتفت إلى قولهما؛ لأنهما يقولان بالاجتهاد، فلا يُترك اجتهاده باجتهاد غيره.اهـ. والظاهر أن المراد من اشتراط كونهما من أهل ذلك الموضع كونهما عالمين بالقبلة؛ لأن الكلام في المفازة ولا أهل لها إلا أن يراد كونهما من أهل الأخبية، فهما من أهله، والأهل له علم أكثر من غيره، فلا ينافي ما مرّ. عن الذخيرة: حتى لو كانا من أهله ولا علم لهما لا يلتفت إلى قولهما؛ فالمناط إنما هو العلم، فقد يكونان مسافرين مثله، ولكن لهما معرفة بالقبلة في ذلك المكان بكثرة التّكرار أو

....

بطريق آخر من طرق العلم مما يفوق على تحرّي المتحرّي. ثم اعلم أنّ ما نقلناه آنفًا عن البدائع من قوله: في ليلة مظلمة... الخ. يقتضي أن الاستدلال بالنجوم في المفازة مقدَّم على السؤال المقدّم على التحرّي، فصار الحاصل أنّ الاستدلال على القبلة في الحصر إنّما يكون بالمحاريب القديم، فإن لم توجد فبالسؤال من أهل ذلك المكان، وفي المفازة بالنجوم، فإن لم يمكن لوجود غيم أو لعدم معرفته بها، فبالسؤال من العالم بها، فإن لم يكن فيتحرّى، وكذا يتحرّى لو سأله عنها، فلم يُخبره حتى لو أخبره بعدما صلّى لا يعيد كما في المنية، وفيها لو لم يسأله وتحرّى إن أصاب جاز وإلّا لا، وكذا الأعمى.اهـ. ومسائل التحرّي ستأتي، ورجّح في البحر ما في الظهيرية من أنه لو صلّى في المفازة بالتحرّي والسماء مصحية لكنه لا يعرف النجوم فتبيّن أنه أخطأ لا يجوز؛ لأنه لا عذر لأحد في الجهل بالأدلّة الظاهرة كالشمس والقمر وغيرهما. أمّا دقائق علم الهيئة وصور النجوم الثوابت، فهو معذور في الجهل بها.اهـ.

قوله: (والمعتبر في القبلة)... الخ. أي أنّ الذي يجب استقباله أو استقبال جهته هو العرصة، وهي لغة كل بقعة بين الدور واسعة لا بناء فيها كما في الصحاح وغيره، والمراد بها هنا تلك البقعة الشريفة. قوله: (لا البناء)، أي ليس المراد بالقبلة الكعبة التي هي البناء المرتفع على الأرض، ولذا لو نُقِل البناء إلى موضع آخر وصلّى إليه لم يَجُز، بل تجب الصلاة إلى أرضها كما في الفتاوى الصوفية عن الجامع الصغير، وفي البحر عن عدّة الفتاوى: الكعبة إذا رُفِعت عن مكانها لزيادة أصحاب الكرامة؛ ففي تلك الحالة جازت الصلاة إلى أرضها.اهـ. وفي المجتبي: وقد رُفِع البناء في عهد ابن الزبير على قواعد الخليل، وفي عهد الحجّاج ليُعيدها على الحالة الأُولى، والناس يصلّون.اهـ فتّال. وما ذكره في البحر نقله في التاتارخانية عن الفتاوى العتابية، قال الخير الرملي: وهذا صريح في كرامات الأولياء، فيردّ به على مَنْ نَسَب إمامنا إلى القول بعدمها، وسيأتي تمام الكلام على ذلك في باب ثبوت النّسب.

قوله: (فهي من الأرض السابعة إلى العرش)، صرّح بذلك في الفتاوى الصوفية معزّيًا للحجّة، ثم قال: فلو صلّى في الجبال العالية والآبار العميقة السافلة

....

جاز كما جاز على سطحها وفي جوفها، فقال: فلو كان المعتبر البناء لا العرصة لم يَجُز ذلك، فالتفريع صحيح، فافهم. قوله: (عند الإمام) لأنّ القادر بقدرة الغير عاجز عنده؛ لأن العبد يُكلَّف بقدرة نفسه لا بقدرة غيره، خلافًا لهما، فيلزمه عندهما التوجّه إن وجد موجّهًا وبقولهما جزم في المنية والمُنَح والدُّرر والفتح بلا حكاية خلاف، وهذا بخلاف ما لو عجز عن الوضوء ووجد من يوضؤه حيث يلزمه ولا يجوز له التيمّم اتّفاقًا في طلب المذهب، وقيل على الخلاف أيضًا، وقدَّمنا الفرق في باب التيمّم، فراجعه. وإذا كان له مال ووجد أجيرًا بأجرة مثله، هل يلزمه أن يستأجره عندهما كما قالوه في التيمّم، أم لا؟ لم أرَ مَنْ ذكره، وينبغي اللزوم. ثم رأيته في شرح الشيخ إسمٰعيل عن الروضة، لكن يتقيّد كون الأجرة دون نصف درهم، فلو طلب نصف درهم أو أكثر لا يلزمه، والظاهر أنّ المراد به أجر المثل كما فسّروه بذلك في التيمّم، كما قدَّمناه هناك.

قوله: (أو خوف مال)، أي خوف ذهابه بسرقة أو غيرها إن استقبل، وسواء كان المال ملكًا له أو أمانة قليلًا أو كثيرًا، ولم يعزه إلى أحد، فليراجع. نعم سيأتي في مفسدات الصّلاة أنه يجوز قطع الصلاة لضياع ما قيمته درهم له أو لغيره. قوله: (وكذا كل من أسقط عنه الأركان)، أي تكون قبلة جهته قدرته أيضًا. قال في البحر: ويشمل أي العذر ما إذا كان على لوح في السفينة يخاف الغرق إذا انحرف إليها، وما إذا كان في طين وردغة لا يجد على الأرض مكانًا يابسًا، أو كانت الدابّة جموحًا لو نزل لا يمكنه الركوب إلّا بمعين أو كان شيخًا كبيرًا لا يمكنه أن يركب إلّا بمُعِين ولا يجده، فكما تجوز له الصلاة على الدابّة ولو كانت فرضًا وتسقط عنه الأركان، كذلك يسقط عنه التوجّه إلى القبلة إذا لم يمكنه ولا إعادة عليه إذا قدر. اهـ. فيشترط في جميع ذلك عدم إمكان الاستقبال، ويشترط في الصلاة على الدابّة إيقافها إن قدر، وإلّا بأن خاف الضّرر كأن تذهب القافلة وينقطع، فلا يلزمه إيقافها ولا استقبال القبلة، كما في الخلاصة. وأوضحه في شرح المنية الكبير والحلية وقيّد في الحلية مسألة الصلاة على الدابّة للطِّين بما إذا عجز عن النزول، فإن قدر نزل وصلّى واقفًا بالإيماء، زاد الزيلعي: وإن قدر على القعود دون السجود أومأ قاعدًا، وأنه لو كانت الأرض نَدِيَّة مبتلّة بحيث لا يغيب

....

وجهه في الطين صلّى على الأرض وسجد، وسيأتي تمام الكلام على الصلاة على الدابّة في باب الوتر والنوافل إن شاء الله تعالى. قوله: (ولو مضطجعًا)... الخ تعميم للقدرة، أي يتوجّه العاجز إلى أي جهة قدر، ولو كان مضطجعًا. قال الزيلعي: ويستوي فيه، أي في العجز الخوف من عدوّ أو سبع أو لصّ حتى إذا خاف أن يراه إن توجّه إلى القبلة جاز له أن يتوجّه إلى أيّ جهة قدر، ولو خاف أن يراه العدوّ إن قعد صلّى مضطجعًا بالإيماء، وكذا الهارب من العدوّ راكبًا يصلّي على دابّته. اهـ. قوله: (ولم يعد)؛ لأن هذه الأعذار سماويّة حتى الخوف من عدوّ؛ لأن الخوف لم يحصل بمباشرة أحد بخلاف المقيّد إذا صلّى قاعدًا، فإنه يعيد عندهما لا عند أبي يوسف، كما في شرح المنية. ومن تحقيق ذلك في التيمّم: أن يعيد هنا أيضًا؛ إذ لا فرق بين صلاته قاعدًا أو إلى غير القبلة، لأن القيد عذر من جهة العبد لأنه بمباشرة المخلوق تأمّل. قوله: (هو)، أي التحرّي المفهوم من فعله.

قوله: (بما مرّ) متعلّق بمعرفة والذي مرّ هو الاستدلال بالمحاريب والنجوم والسؤال من العالم بها، فأفاد أنه لا يتحرّى مع القدرة على أحد هذه حتى لو كان بحضرته من يسأله فتحرّى، ولم يسأله إن أصاب القبلة جاز لحصول المقصود وإلّا فلا؛ لأن قبلة التحرّي مبنية على مجرّد شهادة القلب من غير إمارة، وأهل البلد لهم علم بجهة القبلة المبنيّة على الأمارات الدالّة عليها من النجوم وغيرها، فكان فوق الثابت بالتحرّي، وكذا إذا وجد المحاريب المنصوبة في البلدة، أو كان في المفازة والسماء مصحية وله عِلْم بالاستدلال بالنجوم لا يجوز له التحرّي؛ لأن ذلك فوقه، وتمامه في الحلية وغيرها، واسْتُفِيد مما ذكر أنه بعد العجز عن الأدلّة المارّة عليه أن يتحرّى لا يقلّد مثله؛ لأن المجتهد لا يقلّد مجتهدًا، وإذا لم يقع تحرّيه على شيء، فهل له أن يقلّد؟ لم أرَه.

قوله: (فإن ظهر خطأه إن) بعد ما صلّى. قوله: (لما مرّ)، وهو كون الطاعة بحسب الطاقة. قوله: (وإن علم به) أي بخطأه، فافهم. قوله: (أو تحوّل رأيه)، أي بأن غلب على ظنّه أن الصواب في جهةٍ أخرى، فلا بدّ أن يكون اجتهاده في الثاني أرجح؛ إذ الأضعف كالعدم، وكذا المساوي فيما يظهر ترجيحًا للأول بالعمل

....

عليه، تأمّل. قوله: (استدار وبنى)، أي على ما بقي من صلاته لما رُوِي أنّ أهل قُباء كانوا متوجّهين إلى بيت المقدس في صلاة الفجر، فأخبروا بتحويل القبلة فاستداروا إلى القبلة وأقرّهم النبيّ ﷺ على ذلك. وأمّا إذا تحوّل رأيه، فلأن الاجتهاد المتجدّد لا ينسخ حكم ما قبله في حقِّ ما مضى، شرح المنية. وينبغي لزوم الاستدارة على الفور حتى لو مكث قدر ركن فسدت. قوله: (ولو بمكّة) بأنْ كان محبوسًا، ولم يكن بحضرته مَنْ يسأله فصلّى بالتحرّي، ثم تبيّن أنه أخطأ، بحر. وهذا هو الأوجه، وعليه اقتصر في الخانية حلية. قوله: (ولا يلزمه قرع أبواب)، في الخلاصة: إذا لم يكن في المسجد قوم والمسجد في مصر في ليلة مظلمة. قال الإمام النسفي في فتاواه: جاز. اهـ.

وفي الكافي: ولا يستخرجهم من منازلهم. قال ابن الهُمام: والأوجه أنه إذا علم أنّ للمسجد قومًا من أهله مقيمين غير أنهم ليسوا حاضرين فيه وقت دخوله وهم حوله في القرية وجب طلبهم ليسألهم قبل التحرّي؛ لأن التحرّي مُعلّق بالعجز عن تعرّف القبلة بغيره. اهـ. ولا مُنافاة بين هذا وبين ما مرّ عن الخلاصة والكافي؛ لأن المراد إذا لم يكونوا داخل المنازل، ولم يلزم الحرج من طلبهم بتعسّف الظلمة والمطر ونحوه، شرح المنية. قوله: (ومسّ جدران)؛ لأن الحائط لو كانت منقوشة لا يمكنه تمييز المِحْراب من غيره، وعسى أن يكون ثم هامّة مُؤذية، فجاز له التحرّي، بحر عن الخانية. وهذا إنما يصح في بعض المساجد. فأمّا في الأكثر، فيمكن تمييز المحراب من غيره في الظلمة بلا إيذاء، فلا يجوز التحرّي، إسمٰعيل عن المفتاح.

قوله: (ولو أعمى)... الخ. قال في شرح المنية: ولو صلّى الأعمى ركعة إلى غير القبلة، فجاء رجل فسوّاه إلى القبلة واقتدى به إن وجد الأعمى وقت الشروع مَنْ يسأله فلم يسأله لم تَجز صلاتهما، وإلّا جازت صلاة الأعمى دون المقتدي؛ لأنّ عنده أن إمامه بان صلاته على الفاسد وهو الركعة الأُولى. اهـ. ومثله في الفيض والسراج، ومفاده أن الأعمى لا يلزم إمساس المحراب إذا لم يجد مَنْ يسأله، وأنه لو ترك السؤال مع إمكانه وأصاب القبلة جازت صلاته، وإلّا فلا، كما قدّمناه عن المنية. قوله: (ولا بمتحرٍّ تحوّل)، أي إلى القبلة مع علم المقتدي بحالة

....

الأولى، وعبارته في الخزائن: كمن تحرّى فأخطأ ثم علم، فتحوّل لم يقتدِ به مَنْ علم بحاله.اهـ. أي لعلمه بأن الإمام كان على الخطأ في أوّل الصلاة، بحر. ومفاده أنه لو تحوّل بالتحرّي أيضًا إلى جهة ظنّها القبلة جاز للآخر الاقتداء به إن تحرّى مثله، وإلّا فهي المسألة الآتي، تأمّل. قوله: (بمتحرٍّ) متعلّق بائتَمّ. وقوله: (بلا تحرٍّ) متعلق بمحذوف حال من فاعل ائتمّ. قوله: (لم يجز) أي اقتداءه إن ظهر أن الإمام مخطىء؛ لأن الصلاة عند الاشتباه من غير تحرٍّ إنما تجوز عند ظهور الإصابة كما مرّ ويأتي. وأمّا صلاة الإمام، فهي صحيحة لتحرِّيه، وإن أصاب الإمام جازت صلاتهما كما في شرح المنية.

قوله: (استدار المسبوق)... الخ. لأنه منفرد فيما يقضيه بخلاف اللاحق؛ لأنه مقتدٍ فيما يقضيه، والمقتدي إذا ظهر له وهو وراء الإمام أن القبلة غير الجهة التي يصلّي إليها الإمام لا يمكنه إصلاح صلاته؛ لأنه إن استدار خالف إمامه في الجهة قصدًا وهو مفسد، وإنْ كان متمًّا صلاته إلى ما هو غير القبلة عنده وهو مفسدٌ أيضًا، فكذلك اللاحق، شرح المنية. بَقِيَ ما إذا كان لاحقًا ومسبوقًا، وحكمه أنه إن قضى ما لَحِق به أوّلًا ثم ما سبق به، فإن تحوّل رأيه في قضاء ما لحق به استأنف، وإن تحوّل في قضاء ما سبق به استدار. وأمّا إن قضى ما سبق به أوّلًا ثم ما لحق به، فإن تحوّل رأيه فيما لحق به استأنف، وإن تحوّل فيما سبق به، فإن استمرّ على رأيه إلى شروعه فيما لحق به استأنف، وهذا كلّه ظاهر. وأمّا إن لم يستمر إلى شروعه فيما لحق به بأن تحوّل رأيه قبل قضاء ما لحق به إلى جهة إمامه، ففيه تردّد، والظاهر أنه يستدير تأمل ح، وأقرّه ط والرحمتي.

قوله: (ومن لم يقع تحرِّيه)... الخ. في البحر والحلية وغيرهما عن فتاوى العتّابيّ: تحرّى فلم يقع تحرِّيه على شيء، قيل: يؤخّر، وقيل: يصلّي إلى أربع جهات، وقيل: يخيَّر.اهـ. ورجّح في زاد الفقير الأوّل حيث جزم به، وعبّر عن الأخيرين بقيل، واختار في شرح المنية الوسط، وقال: إنه الأحوط، ونقل رحمه الله عن الهندية عن المضمرات أنه الأصوب، فلهذا اختاره الشارح رحمه الله، وظاهر كلام القهستاني ترجيح الأخير، وهو الذي يظهر لي، فإنه قال: لو تحرّى ولم يتيقّن بشيء فصلّى إلى أيّ جهة شاء كانت جائزة ولو أخطأ فيه، وقيل: إنْ لم يقع تحرّيه

....

على شيء أخّر الصّلاة، وقيل: يصلّي إلى الجهات الأربع كما في الظهيرية. اهـ. ومفاده أن معنى التخيير أنه يصلّي مرّة واحدة إلى أيِّ جهة أراد من الجهات الأربع، وبه صرّح الشافعية والحنابلة. وأمّا ما في شرح المنية الكبير من تفسيره بقوله: وقيل: يخيّر إن شاء أخّر وإن شاء صلّى الصلاة أربع مرّات إلى أربع جهات، فالظاهر أنه من عنده؛ لأن عبارة فتاوى العتابي السابقة ليس فيها هذه الزيادة، ويردّ عليه أنه إذا صلّى إلى الجهات الأربع يلزم عليه الصلاة ثلاث مرّات إلى غير القبلة يقينًا، وهو منهيٌّ عنه، وترك المنهيّ مُقدَّم على فعل المأمور، ولذا يصلّي بالنجاسة إذا لزم من غسلها كشف العورة عند الأجانب، على أن المأمور به هنا ساقط؛ لأن التوجّه إلى القبلة إنما يؤمر به عند القدرة عليه، وقبلة المتحرّي هي جهة تحرّيه ولمّا لم يقع تحرّيه على شيء استوت في حقّه الجهات الأربع، فيختار واحدة منها ويصلّي إليها وتصحّ صلاته وإن ظهر خطأه فيها؛ لأنه أتى بما في وسعه، وهذا الوجه يقوّي القول الأخير وهو التخيير على المعنى الذي ذكرناه عن القهستاني ويضعف ما اختاره الشارح وادعى أنه الاحتياط، فتدبّر ذلك بإنصاف، وللقول الأوّل الذي اختاره الكمال في زاد الفقير وجه ظاهر أيضًا، وهو أنه لمّا كانت القبلة عند عدم الدّليل عليها هي جهة التحرّي ولم يقع تحرّيه على شيء صار فاقدًا لشرط صحة الصلاة فيؤخّرها كفاقد الطهورين، لكن القول الأخير وهو وجوب الصلاة في الوقت مع التخيير إلى أيِّ جهة شاء أحوط، كما لو وجد ثوبًا أقلّ من ربعه طاهر؛ ولعموم قوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٥]، فإنه قيل: نزل في مسألة اشتباه القبلة وظاهر ما قدّمناه عن القهستاني في اختياره، وبه يُشعر كلام البحر، وهو مذهب الشافعية والحنابلة كما مرّ. وقدّمنا أول الكتاب عن المستصفى أنه إذا ذكر في مسألة ثلاثة أقوال، فالأرجح الأول أو الثالث لا الوسط، والله أعلم.

قوله: (استدار)، قال في شرح المنية: واختلف المتأخّرون فيما إذا تحوّل رأيه في الثالثة أو الرابعة إلى الجهة الأُولى، قيل: يتمّ الصلاة، وقيل: يستقبل؛ كذا في الخلاصة، والأوّل أوجه. اهـ. ولذا قدّمه في الخانية لأنه يقدّم الأشهر، وجزم به القهستاني وتبعه الشارح ﷺ. قوله: (استأنف)؛ لأنه إن سجدها إلى الجهة

....

الثانية، فقد سجدها إلى غير قبلة لأنها جزء من الركعة الأُولى، والجهة الثانية ليست قبلة للركعة الأُولى بجميع أجزائها، وإن سجدها إلى الجهة الأُولى فقد انحرف عمّا هو قبلته الآن.اهـ. قوله: (وإن شرع) الضمير راجع إلى العاجز، أي إذا اشتبهت عليه القبلة وعجز عن معرفتها بالأدلّة المارّة فقبلته جهة تحرّيه، فلو شرع بلا تحرٍّ لم تجز صلاته ما لم يتيقن بعد فراغه أنه أصاب القبلة؛ لأن الأصل عدم الاستقبال استصحابًا للحال، فإذا تبيّن يقينًا أنه أصاب ثبت الجواز من الابتداء وبَطُل الاستصحاب حتى لو كان أكبر رأيه أنه أصاب، فالصحيح أنه لا يجوز كما في الحلية عن الخانية، ولو تيقّن في أثناء صلاته لا يجوز خلافًا لأبي يوسف؛ لأن حاله بعد العلم أقوى وبناء القويّ على الضعيف لا يجوز.

قوله: (بخلاف)... الخ. أي لو وقع تحرّيه على جهة وصلّى إلى غيرها، فإنه يستأنف مطلقًا، أي سواء عَلِم أنه أصاب أو أخطأ في الصلاة أو بعدها أو لم يظهر شيء. وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أنه يخشى الكفر، وعن الثاني يجزئه إن أصاب، وبالأول يفتي فيض، والفرق لهما أن ما فرض لغيره يشترط حصوله لا تحصيله، لكن مع عدم اعتقاد الفساد، وعدم الدّليل عليه ومخالفة جهة تحرِّيه اقتضت اعتقاد فساد صلاته، فصار كما لو صلّى وعنده أنه محدث لو أن ثوبه نجس، أو أن الوقت لم يدخل فبان بخلاف ذلك لا يجزيه في ذلك كلّه؛ لأن عنده أنّ ما فعله غير جائز بخلاف صورة عدم التحرّي، فإنه لم يعتقد الفساد، بل هو شاكٌّ فيه وفي عدمه، فإذا ظهرت إصابته بعدم التمام زاد أحد الاحتمالين، وتقرّر الآخر بلا لزوم بناء القويّ على الضعيف، بخلاف ما إذا عَلِم الإصابة قبل التمام، كما في شرح المنية.

قوله: (أو ثوبه) بالنصب عطفًا على اسم أن، ومثله الوقت ح. قوله: (فلو لم تشتبه)... الخ. ذكره هنا استطراد، وكان ينبغي ذكره عند قول المصنف رحمه الله، وإن شرع بلا تحرٍّ؛ لأنه مفروض فيما إذا اشتبهت عليه القبلة كما قدَّمناه، فيكون قوله: فلو لم تشتبه بيانًا لمفهومه. ثم إن مسائل التحرّي تنقسم باعتبار القسمة العقلية إلى عشرين قسمًا، لأنه إمّا أن لا يشكّ ولا يتحرّى أو شكّ وتحرّى أو لم يتحرَّ، أو تحرّى بلا شكّ وكل وجه على خمسة؛ لأنه إما أن يظهر صوابه أو خطأه

....

في الصلاة أو خارجها أو لا يظهر. أمّا الأوّل، فإن ظهر خطأه فَسُدت مطلقًا أو صوابه قبل الفراغ، قيل: هو كذلك؛ لأنه قوّى حاله والأصح لا، ولو بعده أو لم يظهر أو كان أكبر رأيه الإصابة، فكذلك لا تفسد. وحكم الثاني الصحة في الوجوه كلّها. وحكم الثالث الفساد في الوجوه كلّها أو لو أكبر رأيه أنه أصاب على الأصح إلّا إذا علم يقينًا بالإصابة بعد الفراغ. والرابع: لا وجود له خارجًا، كذا في النهر. وقد ذكر المصنّف رحمه الله الثاني بقوله: ويتحرّى عاجز، والثالث بقوله: وإن شرع بلا تحرٍّ، وذكر الشارح رحمه الله الأوّل بقوله: فلو لم تشتبه الخ، لكن كان عليه أن يقول: إن ظهر خطؤه فسدت وإلّا فلا، وقد حذف الرابع لعدم وجوده، هذا هو الصواب في تقرير هذا المحل، فافهم.

قوله: (مع إمام) أمّا لو صلّوا منفردين صحّت صلاة الكل، ولا يتأتّى فيه التفصيل. قوله: (فمن تيقّن منهم) التيقّن غير قيد، بل غلبة الظنّ كافية يدلّ عليه ما في الفيض، حيث قال: وإن صلّوا بجماعة تجزئهم إلّا صلاة مَنْ تقدَّم على إمامه أو عَلِم بمخالفة إمامه في صلاته، وكذا لو كان عنده أنه تقدّم على الإمام أو صلّى إلى جانب آخر غير ما صلّى إليه إمامه. اهـ. قوله: (حالة الأداء) ظرف لقوله: تيقّن مخالفة إمامه في الجهة مع قطع النظر عن قوله: أو تقدّمه عليه؛ لأنه إذا تقدّم على إمامه لم يَجُز سواء عَلِم بذلك حالة الأداء أو بعده بخلاف مخالفته لإمامه في الجهة، فإنه لا يضرّ إلّا إذا علم بها حالة الأداء كما دلّت عليه عبارة الفيض التي ذكرناها آنفًا، ومثلها قوله في الملتقى: جازت صلاة مَنْ لم يتقدّم بخلاف مَنْ تقدَّمه أو علم حاله وخالفه. اهـ. وفي متن الغور: إن لم يعلم مخالفة إمامه ولم يتقدّمه جاز، وإلّا فلا.

قوله: (لاعتقاده)... الخ. نشر مرتب ح. قوله: (كما لو لم يتعيّن الإمام)... الخ. تبع في ذلك النهي عن المعراج، ونصّ عبارة المعراج: وقال بعض أصحابه ـ أي الشافعي رضي الله تعالى عنه ـ: عليهم الإعادة؛ لأن فعل الإمام في اعتقادهم متردّد بين الخطأ والصواب، ولو لم يتعيّن الإمام بأن رأى رجلين يصلّيان فنوى الاقتداء بواحد لا بعينه لا يجوز، فكذا إذا لم يتعيّن فعل

﴿مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (بالياء مكيّ) وأبو عمرو (ونافع وعاصم، وبالتاء غيرهم). فالأول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإباء، والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أراد ذوي العناد منهم ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كُتبهم من نعتك أنك على الحق. (وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط). ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ (حسم) لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا في ذلك وقالوا: لو ثبت على قبلتنا كنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم (ووحدت القبلة)، وإن كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم في

الإمام.اهـ. وبه ظهر أن المناسب حذف هذه المسألة بالكلّية؛ إذ لا مدخل لها هنا إلّا على قول بعض الشافعية القائلين بأنه لا تصحّ صلاة مَنْ جهل حال إمامه قياسًا على ما لو جهل عينه، فافهم. انتهت بحروفها.

قوله: (بالياء) على الغيبة (مكيّ) أي ابن كثير المكي، (ونافع) المدني (وعاصم وبالتاء) الفوقية على الخطاب (غيرهم).

قوله: (وجواب القسم المحذوف سدّ مسدّ جواب الشرط) لمّا اجتمع القسم والشرط مع تقدّم القسم جعل الكلام الذي بعدهما جواب القسم لتقدّمه، وأضمر جزاء الشرط لدلالة جواب القسم عليه وقيامه مقامه. **قوله:** (حسم) أي قطع. **قوله:** (ووحدت القبلة)... الخ. جواب عمّا يقال: كيف قيل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ بتوحيد القبلة مع أن لكل طائفة قبلة على حِدَة، ومحصول الجواب أنّ التعدد الذاتي لا ينافي الوحدة الفرضية، فَرُوعِيَت هنا جهة الوحدة الفرضية، فوحّد لفظ القبلة لذلك، ورُوعيت جهة التعدد الذاتي في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾، والأهواء جمع هوى وهو الإرادة والمحبّة، أي ولئن وافقتهم في

البطلان. ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك، فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى مطلع الشمس. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هي الكعبة وأن دين الله هو الإسلام ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لمن المرتكبين الظلم الفاحش. وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى. وقيل: الخطاب في الظاهر للنبيّ عليه السلام والمراد أمته، ولزم الوقف على «الظالمين» إذ لو وصل لصار.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ صفة للظالمين. وهو مبتدأ والخبر (﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي **محمدًا** عليه السلام) أو القرآن أو تحويل القبلة. والأول أظهر لقوله: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ

مراداتهم بأن صلَّيْت إلى قبلتهم مداراة لهم وحرصًا على إيمانهم من بعد ما عَلِمْتَ من القاطع أنّ قبلة الله هي الكعبة ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لمن المرتكبين الظلم الفاحش مثلهم.

قوله: (﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمدًا عليه السلام) بأوصافه من كونه نبيًّا حقًّا، وكونه هو الموعود ببعثته في كتبهم، وكونه صادقًا في جميع ما ادّعى أنه جاء به من عند الله، فإنهم كانوا يعرفونه ﷺ بهذه الأوصاف بأن شاهدوا ما خلق الله في يده من المعجزات معرفة لا يشوبها شيء من الاشتباه والالتباس، كما يعرفون أبناءهم بذواتها وأشخاصها مُميزين عن سائر الغلمان إذ رأوهم فيما بينهم، فالمعرفة المشبّهة قطعيّة نظرية والمشبّه بها قطعيّة ضرورية مستندة إلى المشاهدة والإحساس والمعرفة الضرورية أقوى من المعرفة النظرية البرهانية، وإنْ كانت كل واحدة منهما قطعية، فلذلك جُعِلت الأُولى مشبّهًا بها للثانية، وإن أُريد بكل واحدة من المعرفتين المعرفة بحسب الوصف؛ كما قال الإمام النسفي من أن المعنى حينئذ يعرفونه بالرسالة والنبوّة، كما يعرفون أبناءهم بالنسب والبنوّة، ويدلّ عليه أيضًا قول عبد الله بن سلام لعمر رضي الله تعالى عنهما: يا عمر، لقد عرفته حين رأيته كما

﴿أَبْنَآءَهُمْۖ﴾ قال عبد الله بن سلام: أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبيّ فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبّل عمر رأسه. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ أي الذين لم يسلموا ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ حسدًا وعنادًا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الله تعالى بينه في كتابهم.

عرفت ابني، ومعرفتي بمحمّد ﷺ أشدّ من معرفتي بابني، فقال عمر: كيف ذلك؟ فقال: لأني لست أشكّ في محمّد ﷺ أنه هو النبيّ الموعود من حيث إن نعوته مبيّنة في كتابنا. وأمّا ولدي، فلا أدري ما صنعت والدته، فلعلّها خانت؛ فقبّل عمر رأسه فقال: رفعك الله يا ابن سلام، فقد صدقت، فإنه يدلّ على أن المراد بمعرفة الأبناء معرفتهم بالنّسب والبنوّة، فيرد حينئذ أن يقال: قاعدة التشبيه أن يكون وجه الشّبه في المشبَّه به أقوى بالنسبة إلى المشبَّه، فتستلزم الآية أن يكون معرفتهم بأبنائهم أقوى لوقوعها مشبّهًا بها، وليس كذلك لأنها معرفة ظنّيّة مستندة إلى ظاهر الفراش، ومعرفة أمر النبوّة قطعية مستندة إلى برهان قاطع، إلّا أن يقال: معرفة الأبناء أقوى بالنسبة إليهم؛ لأنهم يقطعون بنسب أبناءهم قطعًا وجدانيًا ولا يلتفتون إلى احتمال الخيانة بخلاف معرفة أمر النبوّة، فإنها معرفة نظريّة موقوفة على النظر في الدلائل والتفكّر فيها حقّ التفكر، فلعلّهم يقصرون في النظر والتأمّل، فيتطرّق إليهم شيء من الشبهة في أمر النبوّة، مثل أن تشتبه عليهم المعجزة بالسِّحر ونحو ذلك مما يُنبِىء على القصور في الفكر، هذا على تقدير أن يكون مستند معرفتهم النظر إلى المعجزات، وإن استفادوها مما وجدوه في كتبهم من اسمه وحلاه ونعوته؛ كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧]، وحكي قول عيسى عليه الصّلاة والسّلام لأُمّته: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ﴾ [الصّف: الآية ٦]، فظاهر أن ذلك لا يوجب المعرفة القطعية بحقّية أمر النبوّة؛ لأن الظاهر أن الموجود في كتبهم ليس جميع أوصافه المتّصلة المُوجبة للتعيين كزمان بعثته ﷺ ومكانه ونسبه وقبيلته واسمه واسم أبيه وأمّه وأوصافه الخلقية، مثل أن يقال: إني سأبعث نبيًّا من العرب في وقت كذا في بلدة كذا من قبيلة كذا في يوم كذا له من الأوصاف والحلى كذا وكذا وإلّا لم يكن لأحد من اليهود والنصارى إنكار نبوّته عليه الصّلاة والسّلام؛ لأن التوراة والإنجيل كانا مشهورين بين أهل الأوقات، فإذا

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ خبره ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ (واللام للجنس) أي الحق من الله لا من غيره. يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه، وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل، أو للعهد (والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله ﷺ،

عيناه عليه الصلاة والسلام بجميع أوصافه المعيّنة، وبيّنا أنه ﷺ سيبعث نبيًّا داعيًا إلى الله تعالى كيف يمكن لأحد إنكار نبوّته، وإنْ كان الموجود في كتبهم بعض أوصافه ﷺ، فذلك لا يُوجب القطع بأمر نبوّته، فتكون معرفتهم ببنوّة أبنائهم أقوى عندهم من معرفتهم بأمر النبوّة، فصح جعل الأُولى مشبّهًا بها للثانية. اهـ. شيخ زاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (واللام للجنس[1])، فيكون اللام للإشارة إلى حقيقة الحقّ وماهيّته مع قطع النظر عن تحقّقها في ضمن الفرد، وكون المحكوم عليه نفس الجنس مع انتفاء قرينة البعضية من إرادة الحصر، كما في نحو الكرم التقى والحسب المال، أي لا كرم إلّا التقى، ولا حسب إلّا المال؛ فكذا هنا. **قوله:** (والإشارة إلى الحقّ الذي عليه رسول الله ﷺ)، وهو معهود سبق ذكره كناية في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، فإنّ معرفته ﷺ وإنْ كانت متناولة لمعرفته بذاته وبأوصافه، إلّا أن المراد كما مرّ معرفته التي هي حقّية أمر نبوّته وحقّية ما هو عليه، وما جاء به فيكون ما هو عليه مذكورًا كناية في ذلك القول، فصحّ أن يُشار إليه بلام العهد المذكورة في قوله الحقّ، فإنّ الحقّية المعهودة بين المتكلم والمخاطب قد تكون معهوديتها لتقدّم ذكرها صريحًا، وقد تكون لتقدّم ذكرها كناية؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٦]، فالأنثى إشارة إلى ما سبق ذكرها صريحًا في قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٦]، والذكر إشارة إلى ما سبق ذكره كناية في قوله: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٥]، فإن لفظ ما كناية عن الذّكر؛ لأن التحرير إنما يكون للذكر، وقد تكون

---

(١) هو يفيد الحصر حينئذ كما في قوله الحمد لله والكرم في العرب والنسب إلى الآباء لوقوع المحكوم عليه نفس الجنس من غير قرينة البعضية، ١٢ منه عمّ فيوضهم.

أو خبر مبتدأ محذوف) أي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر **(أو حال)**. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين في أنه من ربك.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من أهل الأديان المختلفة. ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة. **(وقرىء بها)**. والضمير في ﴿هُوَ﴾ «لكل». وفي ﴿مُوَلِّيهَا﴾ للوجهة. أي هو موليها وجهة **(فحذف أحد المفعولين)** أو هو لله تعالى. أي الله موليها إياه. **(«هو مولاها»: شاميّ)** أي هو

معهوديّتها لمجرد معرفة المخاطب بها بالقرائن من غير أن يتقدم ذكرها لا صريحًا ولا كناية كما في نحو: خرج الأمير إذا لم يكن أي يوجد في البلد إلا أمير واحد، وما عليه الرسول ﷺ معهود بهذا الوجه، فإن أذهان المؤمنين مملوءة بالاعتقاد بمضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: الآية ٧٩]، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣]. **قوله: (أو خبر مبتدأ محذوف)**، وعلى هذا التقدير يتعيّن أن تكون اللام فيه للجنس، ولا وجه لأن تكون للعهد؛ إذ لا معنى لأن يقال: الحقّ المعهود هو الحقّ.اهـ. شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (أو حال)** مؤكّدة مقرّرة لمضمون الجملة الاسمية؛ لأن مضمونها لازم لمضمون ما قبلها، كما في قولك: هو الحقّ بيّنًا.

قوله: (وقرىء بها[1]) عبارة الكشاف، وفي قراءة أُبَيّ: ولكل قبلة.اهـ. **قوله: (فحذف أحد المفعولين)** فإنّ ولّى يتعدّى إلى مفعولين تارة بنفسه وأخرى يتعدّى إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بكلمة إلى، يقال: ولّيته وجهي، وولّيت إليه وجهي، أي حوّلت إليه وجهي، وأقبلت إليه، ويقال: ولّيت عنه إذا أدبرت عنه؛ وذلك لأن ولّى مشدّد العين تضعيف وليه بمعنى قربه ودنا منه، وبالتضعيف يتعدّى إلى اثنين. **قوله: (هو مولاها)** بفتح اللام وألف بعدها اسم مفعول. **(شامي)** أي ابن عامر الشامي. والباقون بكسر اللام وياء بعدها على أنه اسم فاعل. وعلى قراءة ابن عامر يكون ضمير هو راجعًا إلى كل، ولا يجوز رجوعه إليه تعالى؛ لأنه تعالى هو المولي ـ بالكسر ـ ويستحيل كونه مولى ـ بالفتح ـ والضمير البارز في موليها

---

(١) شاذًا، ١٢ منه.

مولى تلك الجهة (**قد وليها**). والمعنى ولكل أُمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم. ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟﴾ أنتم ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ فاستبقوا إليها غيركم (**من أمر القبلة وغيره**). ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ أنتم وأعداؤكم ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة فيفصل بين المحق والمبطل، أو ولكل منكم يا أُمة محمد وجهة يصلّي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية، فاستقبلوا الفاضلات من الجهات (**وهي الجهة المسامتة**) للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعًا ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلّون حاضري المسجد الحرام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ومن أي بلد خرجت للسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إذا صلّيت. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن هذا المأمور به ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (**وبالياء: أبو عمرو**).

ضمير الوجهة، وهو مفعول ثان له ومفعوله الأوّل أُقيم مقام الفاعل، وهو الضمير المرفوع المستتر في موليها الراجع إلى كلّ. **قوله:** (قد وُليها) على صيغة المجهول تفسير لقوله: هو مولى تلك الجهة، ولذلك لم يعطف عليه بالواو، وترك ذكر الفاعل، أعني المولي بالكسر؛ لأنه معلوم. والكلام إنما هو في بيان أحوال الكل لا في بيان موليهم مَنْ هو.

قوله: (من أمر القبلة وغيره)، يعني أن لفظ الخيرات عام يتناول كل عمل صالح بيِّن في الشرع حسنه وفضله. **قوله:** (وهي الجهة المُسامتة) على صيغة اسم الفاعل للكعبة، فإنّ القبلة في حقّ مَنْ كان في غرب الكعبة مثلًا هي جهة المشرق، ولا شكّ أن في جهة المشرق جهات مختلفة، وأنّ بعضها مسامتها، فينبغي أن يتحرّى الجهة المُوازية لعين الكعبة، وسمتها حسب ما يمكن.

قوله: (وبالياء) على الغيبة (أبو عمرو) البصري. والباقون بالتاء الفوقية على الخطاب.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ **(وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة)** وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي قد عرّفكم الله جلّ ذكره أمر الاحتجاج في القبلة بما قد بيّن في قوله: «ولكل وجهة هو موليها»، لئلّا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القبلة. **(وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين)** لأنهم يسوقونه سياق الحجة. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ استثناء من

قوله: (وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة). . . الخ. يعني تكرير الأمر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام حيث ذكر ثلاث مرات للتأكيد الذي يقتضيه المقام، ولإفادة ما رتّب على كل مرّة؛ فعلى الأول تكريم النبيّ ﷺ بإجابته دعائه وإعطاء متمنّاه وما كان يرضاه ويراه، ثم أمر الكلّ باتّباعه وإظهار عناد أعدائه وخيبة رجائهم فيما كانوا يتمنّون من اتّباع أهوائهم. وعلى الثانية عدم تفاوت الحال بحسب السفر والحضر والتصريح لحقّية المأمور به والوعيد على من تركه. وفي تفسيره الضمير بهذا المأمور به تنبيه على جهة تذكيره مع عوده إلى التولية التي يدلّ عليها: ﴿فَوَلِّ﴾، وعلى الثانية تشريف أُمته بإفراد الخطاب وتعليل الحكم بما رتّب عليه من الحكم والمصالح. اهـ تفتازاني رحمه الله.

قوله: (وأُطْلِقَ اسم الحجّة على قول المعاندين). . . الخ. جواب عمّا يقال: الاستثناء من النفي إثبات، فيكون المعنى: لئلّا يكون لعامّة الناس حجّة عليكم ويكون حجّة للظالمين والظالم المعاند لا شبهة له، فضلًا عن الحجّة والبرهان، فكيف جاز أن يسمّي قوله حجّة وأن يستثني منه؟ وتقرير الجواب أنّ ما قاله المعاندون وإنْ كان شبهة زائغة وسفسطة باطلة إلّا أنه شبهة بالحجّة من حيث إنهم يسوقونه مساقها ويوردونه موقعها فسمّى حجّة مجازًا، ويرد عليه أن الحجّة المُستثنى منها إن تناولت شبهة المعاندين لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز،

«الناس» أي لئلّا يكون حجة لأحد من اليهود إلا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلًا إلى دين قومه وحبًّا لبلده، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء عليهم السلام. أو معناه لئلّا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه، (ويوشك) أن يرجع إلى دينهم.

(ثم استأنف) منبهًا بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ فلا تخالفوا أمري ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ أي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى الكعبة. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولكي تهتدوا إلى قبلة إبراهيم.

وإن لم تتناول إيّاها لا يصح استثناؤها منها إلّا أن يقال: الاستثناء منقطع، كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النّساء: الآية ١٥٧]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦)﴾ [الواقِعَة: الآيتان ٢٥، ٢٦]. ومعنى الآية على هذا القول: لكن الذين ظلموا منهم يتعلّقون بالشبهة الظاهرة البطلان في موضع الاحتجاج بالحجّة والبرهان، فيتمّ الكلام عند قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ويكون قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾، ابتداء لكلام مقطوع عمّا سبق، ويؤيّده تفريع قوله: فلا تخشوهم واخشوني عليه، فإنّ إفراد المستثنى وتخصيصه بما يتفرّع عليه علامة كون الاستثناء منقطعًا.

قوله: (يوشك)، في المصباح: يوشك أن يكون كذا من أفعال المقاربة، والمعنى الدنوّ من الشيء. قال الفارابي: الإيشاك الإسراع، وفي التهذيب قال قتادة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنّ لنا يومًا أوشك أن نستريح فيه ونعم، لكن قال النحاة: استعمال المضارع أكثر من الماضي واستعمال اسم الفاعل منها أقل، وقال بعضهم: وقد استعملوا ماضيًا ثلاثيًا، فقالوا: وَشُكَ مثل قرب وَشْكًا. اهـ. **قوله: (ثم استأنف)**، يعني يكون الذين ظلموا مبتدأ خبره: فلا تخشوهم.

﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾

(**الكاف في** ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ **إما أن يتعلّق بما قبله) أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول، أو بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، فعلى هذا يوقف على «تهتدون» وعلى الأول لا. ﴿رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ من العرب ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ يقرأ عليكم ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿(وَيُزَكِّيكُمۡ) وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ السنة والفقه ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ (ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي)**.

قوله: (الكاف في ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ **إمّا أن يتعلق بما قبله)**. . . الخ. يعني: أن ما في قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ مصدرية، وأن الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف، إلّا أنّ ذلك المصدر يجوز أن يكون مدلولًا عليه بما قبله، والتقدير: ولأتمّها إتمامًا مثل إتمامي بإرسال رسول منكم، ويجوز أن يكون مدلولًا عليه بما بعده، والتقدير: فاذكروني ذكرًا مثل ذكركم بالإرسال، ويجوز أن يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها، وأن يتخلّل بين العاملين معمول؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾ [المدّثّر: الآية ٣]. **قوله:** (﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾) ليس تكرارًا؛ لأن المراد بتعليمه تعليم ما فيه من المعاني والأسرار والشرائع والأحكام التي باعتبارها وصف القرآن بكونه هدًى ونورًا، فإنه ﷺ كان يتلوه عليهم ليحفظوا نظمه ولفظه، فيبقى على ألْسِنَةِ أهل التواتر مَصُونًا عن التحريف والتصحيف، ويكون معجزة باقية إلى يوم القيامة، وليكون تلاوته في الصلاة وخارجها نوعًا من نسك العبادة والقربة، ومع ذلك كان يعلمهم ما فيه من الحقائق والأسرار ليهتدوا بهداه ونوره. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله: (ما لا سبيل إلى معرفته إلّا بالوحي)** مأخوذ من تفسير الراغب حيث قيل: ما معنى ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾، وهل ذلك إلّا الكتاب والحكمة؟ قيل: عنى بذلك العلوم التي لا طريق إلى تحصيلها إلّا من جهة الوحي على ألسنة الأنبياء، ولا سبيل إلى إدراك جزئيّاتها ولا كلّياتها إلّا به، وعنى بالحكمة والكتاب ما كان للعقل مجال في معرفة شيء منه، وأعاد ذكر يعلمكم في قوله: ﴿مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ تنبيهًا على أنه عِلْمٌ مفرد عن العلم المتقدم

....

ذكره، إلى هنا كلام الراغب. فكأنّه جعله من عطف الخاص على العام تنبيهًا على علوّ شأنه وعظم قدره؛ كعطف جبريل على الملائكة. وفي التفسير المظهري: تكرار الفعل يدلّ على أن هذا التعليم من جنسٍ آخر، ولعلّ المراد به العلم اللَّدنيّ المأخوذ من بطون القرآن، ومن مشكاة صدر النبيّ ﷺ الذي لا سبيل إلى دَرْكه إلّا الانعكاس. وأمّا دَرْك دَرْكه، فبعيدٌ عن القياس. قال رئيس الصدِّيقين: العجز عن دَرْك الإدراك إدراك.

عن حنظلة بن الربيع الأُسيدي قال: لقيني أبو بكر رضي الله تعالى عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنّة كأنّا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضَّيعات ونسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**ما ذاك؟**» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنّة كأنا رأيُ العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضّيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تداومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» ثلاث مرّات، رواه مسلم. وعن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، فأمّا أحدهما فبثثته فيكم، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم، يعني مجرى الطعام، رواه البخاري. قيل: المراد من الوعاء الذي لم يبثّه الأحاديث التي بيّن فيها أسماء أُمراء الجور؛ كقوله: أعوذ بالله من رأس الستّين وإمارة الصبيان، مشيرًا إلى إمارة يزيد بن معاوية. قلت: إطلاق الوعاء على علم بجزئيات معدودة غير مُستحسن ولا يتصوّر جعله قسيمًا، ونظيرًا لعلوم الشريعة، بل المراد به العلم اللّدني، فإن قيل: فما معنى قوله: فلو بثثته فيكم لقُطِع هذا البلعوم؟ قلت: معناه أنه لو بثثته باللّسان لقُطِع هذا البلعوم؛ لأن تلك العلوم والمعارف لا يمكن تعليمها ولا تعلّمها بلسان المقال، بل إنما تدرك بالانعكاس ولسان الحال كيف والتعلّم يتوقّف على أُمورٍ منها كون المعلوم مما يُدرك بالعلم الحصولي، ومنها كون اللّفظ موضوعًا إزائه، ومنها كون الوضع

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

(﴿فَاذْكُرُونِي﴾) بالمعذرة (﴿أَذْكُرْكُمْ﴾) بالمغفرة أو بالثناء والعطاء، أو بالسؤال

معلومًا للسامع، وليس شيء منها متحقّقًا في المعارف اللّدنية، فإنّ إدراكها تكون بالعلم الحضوري الذي لا يمكن ذهولها، بل سبيل ذلك وراء العلم الحصولي والحضوري، وأنّىٰ هناك وضع الألفاظ، وهيهات هيهات للسامعين العلم بوضعها، ومن أراد أن ينطق بتلك المعارف فلا بدّ له من إيراد مجازات واستعارات لا يهتدي إلى مرامها العوام، فيتخبّط به عقولهم ويفهمون غير مراد المتكلّم، فيفسقونه ويكفرونه، كما ترى للعوام ينكرون على أولياء الله تعالى من غير سبيل إلى دَرْك مرادهم، وذلك يفضي إلى قطع البلعوم، فإن قيل: إذا كان ذلك للعلم بحيث لا يمكن أخذه ولا إعطائه بالبيان، ويفضي إلى تلك المفسدة وقطع البلعوم النطق باللّسان، فأيّ ضرورة في التكلّم بها؟ وما بال القوم يصنّفون فيها مجلّدات كالفصوص والفتوحات؟ وأيّ فائدة في تلك التصنيفات؟ قلت: ليس الغرض من تلك التصنيفات إعطاء تلك العلوم، ولا يحصل بمطالعة تلك الكتب شيء من القرب والولاية، بل الغرض منها تنبيه العارفين المحصّلين تلك العلوم بالجذب والسلوك على بعض تفاصيلها وتطبيق أحوال المريدين ومواجيدهم على أحوال الأكابر ومواجيدهم، كي يظهر صحة أحوالهم وتطمئنّ به قلوبهم، وكثيراً ما يتكلّمون بتلك المعارف في غلبة الحال، فالطريق السويّ للعوام عند مطالعة كتبهم وسماع كلامهم عدم الإنكار وحمله على ظاهر الشريعة مهما أمكن بالتأويلات، فإنّ كلامهم رموز وإشارات أو تفويض علمه إلى علّام الغيوب، كما هو شأن المتشابهات، فإنّ في كلامهم مجازات واستعارات مصروفة عن الظاهر، وليس شيء منها مخالفًا للشرع، بل هي لبّ الكتاب والسنّة، رَزَقنا الله سبحانه بفضله ومنّه، ولمّا كان طريق تحصيل تلك المعارف منحصرًا في الإلقاء والانعكاس، وكان كثرة الذّكر والمراقبة إمّا في ملإ من الذاكرين أو في خلإ من الناس يفيد القلب والنّفس صلاحية تلك الانعكاس من مشكاة صدر النبيّ ﷺ بلا واسطة أو بوسائط، عقب الله سبحانه بقوله: (﴿فَاذْكُرُونِي﴾) قرأ ابن كثير بفتح الياء والباقون بالإسكان (﴿أَذْكُرْكُمْ﴾). عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «**أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في**

والنوال، أو بالتوبة وعفو الحوبة، أو بالإخلاص والخلاص، أو بالمناجاة والنجاة.

ملإ ذكرته في ملإ خيرٌ منهم، وإنْ تقرَّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه ذراعًا، وإن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» متفقق عليه. وروى البغوي عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه، وفيه قال: سمعت هذا الحديث من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عدد أناملي هذه العشرة. وعن عبد الله بن شقيق عنه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «**ما من آدمي إلّا لقلبه بيتان في أحدهما ملك، وفي الآخر الشيطان، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه فوسوس له**»، رواه ابن أبي شيبة. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**سبق المُفَرِّدُون**»، قالوا: وما المُفَرِّدُون يا رسول الله؟ قال: «**الذّاكرون الله كثيرًا والذّاكرات**»، رواه مسلم.

فاعلم أيّها الأخ السعيد أنّ الذّكر عبارة عن طرد الغفلة، والغفلة هي المُوجبة للقساوة، فكلّ أمر مشروع من قولٍ أو فعل أو تفكّر أُريد به وجه الله تعالى بالإخلاص والحضور فهو ذِكْر، وما كان بلا إخلاص، فهو شِرْك، وما كان بغفلةٍ فغير معتدّ به ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: الآيتان ١، ٢]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: الآيتان ٤، ٥]، وأفضل الذّكر لا إلٰه إلّا الله، وأفضل الدّعاء الحمد لله، رواه النسائي والترمذي وابن ماجة وابن حبان ومالك بسندٍ صحيح عن جابر عنه ﷺ. وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلّا الله، والله أكبر**» رواه مسلم. وفي رواية: «**هي أفضل الكلام بعد القرآن، وهي من القرآن**» رواه أحمد. وفي الحديث القدسي: «**مَنْ شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه**» رواه الترمذي والدارمي من حديث أبي سعيد. ومن أجل ذلك الأخبار اختار الصوفية العلية التهليل بالقلب وباللّسان جهرًا أو إخفاتًا. وأمّا المجد رضي الله تعالى عنه، فالمختار عنده تلاوة القرآن لما ذكرنا من فضله، ولأن القرآن صفة حقيقة قائمة بالله تعالى بلا واسطة، طرفه بيد الله وطرفه بأيدينا، فمَنِ استهلك فيه فلا مزيد عليه. والصلاة، فإنها معراج المؤمن إلّا المطهرون، يعني من رذائل النفس، والله أعلم.

(﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾) ما أنعمت به عليكم (﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾) ولا تجحدوا نعمائي.

(﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾) على ما أنعمت عليكم من إرسال الرسول والهداية والجذب وتوفيق السلوك وغير ذلك، ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ بجحد النّعم وتكذيب الرسل أو عصيان الأمر أو إضاعة الوقت والإعراض عن الذِّكر.اهـ.

وعبارة البيضاوي: (﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾) بالطاعة (﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾) بالثواب، (﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾) ما أنعمت به عليكم (﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾) بجحد النّعم وعصيان الأمر.اهـ. قال العلاّمة شيخ زاده رحمه الله: قوله: فاذكروني بالطاعة على ما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ من قوله: «**مَنْ أطاع الله فقد ذكره، وإن قلّت صلاته وصيامه وقراءته القرآن. ومَنْ عصى، فقد نَسِيَ الله وإن كَثُرت صلاته وصيامه وقراءته القرآن**»، وعلى ما رُوِيَ عن سعيد بن جبير من أنّ الذِّكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومَنْ لم يُطِعْه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح تلاوة الكتاب. كان الله تعالى يقول: «**اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي**»، قيل: الذِّكر إدراك مسبوق بالنسيان؛ كما قال الشاعر:

الله أعلم أني لست أذكره وكيف أذكره إذ لست أنساه

فورد عليه أن يقال: فعلى هذا لا يصح إسناد الذِّكر إلى الله تعالى؛ لكونه منزّهًا عن النسيان، فما معنى قوله تعالى: أذكركم، فاحتيج إلى أن يُجيب بأن المراد بذكر الله تعالى لعباده ما يفعل بهم من اللّطف والإحسان إفاضة الخيرات وفتح أبواب السعادات، وأطلق عليه الذِّكر بطريق المجاز والمشاكلة لوقوعه في صحبة ذكر العبد، فإن قيل: إنّ الذِّكر هو إدراك الشيء مطلقًا، أي سواء كان على نسيان أو لا؛ فلا سؤال ولا جواب، كما قيل: الذِّكر ذكران عن نسيان وذكرٌ لا عن نسيان. قال بعض العلماء: خصّ الله تعالى هذه الأُمّة بفضل قوّة وكمال بصيرة بالنسبة إلى بني إسرائيل؛ إذ قال لهم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٠] أي نعمة المنّة المغفول عنها لتنظروا فيها إلى المُنْعِم، وقال لهذه الأُمّة: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ فأمرهم أن يذكروه بلا واسطة لقوّة بصيرتهم. قال الإمام: الذِّكر قد يكون باللّسان وقد يكون بالقلب وقد يكون بالجوارح، فذكرهم إيّاه باللسان أن يحمدوه ويسبّحوه ويمجّدوه ويقرؤوا كتابه، وذِكرهم إيّاه بقلوبهم على ثلاثة أنواع: أحدها: أن يتفكّروا في الدلائل الدالّة على ذاته وصفاته ويتفكّروا في الجواب عن الشُّبه

....

العارضة في تلك الدلائل، وثانيها: أن يتفكّروا في الدلائل على كيفية تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من الوعد، وفي الترك من الوعيد سَهُل عليهم الفعل. وثالثها: أن يتفكّروا في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرّة من ذرّات المخلوقات كالمرآة المجلوّة المحاذية لعالم القدس، فإذا نظر العبد إليها انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال وهذا المقام مقام لا نهاية له. وأمّا ذكرهم إيّاه تعالى بجوارحهم، فهي أن تكون جوارحهم مستغرقة في الأعمال التي أُمروا بها وخالية عن الأعمال التي نُهُوا عنها، وعلى هذا الوجه سمّى الله تعالى الصلاة ذكرًا، بقوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩]، فصار الأمر بقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ متضمّنًا لجميع الطاعات، فلهذا ذُكِر عن سعيد بن جبير أنه قال: اذكروني بطاعتي، فأجمله حتى يدخل فيه جميع أنواع الفكر وأقسامه، انتهى كلامه. فالذِّكر بهذا المعنى هو الشكر، لا سيّما وقد ذكر الذِّكر بعد الفاء السببية المفيدة لكون مدخولها جزاء لما تقدم، وكون مضمون الكلام السابق شرطًا له، فكأنه قيل: إذا أنعمت عليكم بهذه النِّعم الجليلة فاذكروني بالطاعة، والطاعة الواقعة بإزاء النّعمة المسبّبة عنها هي الشكر بلا شبهة، وفي المعالم قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ يعني اشكروا لي نعمتي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية، فإنّ مَنْ أطاع الله فقد شكره، ومَنْ عصى الله فقد كفره.

ۭ وفي التيسير: الشكر إظهار النّعمة بالاعتراف بها أو بعمل هو كالاعتراف في القيام بحقّها والكفر أن يستر نعمة المُنْعم بالجحود أو بعمل هو كالجحود، وفيه مخالفة للمنعم، فلمّا كان الأمر بالذِّكر أمرًا بالشكر، كان قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ أمرًا بتخصيص شكرهم به تعالى لأجل إفضاله وإنعامه عليهم، وأن لا يشكروا غيره، وإليه أشار الإمام أبو منصور بقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ﴾، أي وجّهوا شكر نعمتي لي ولا تشكروا غيري. وصاحب التيسير جعل قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ أمرًا بالقول، وقوله: واشكروا لي أمرًا بالعمل، وأيّده بقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سَبَأ: الآية ١٣]. قال الراغب: إن قيل: ما الفرق بين شكرت لزيد وشكرت زيدًا؟ قيل: شكرت له هو أن تؤمّ إحسانه الصادر عنه فتثني عليه بذلك، وشكرته

....

إذا لم تلتفت إلى فعله، بل تجاوزت إلى ذكر ذاته دون اعتبار أفعاله، فهو أبلغ مِنْ شكرت له، وإنّما قال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ ولم يقل: اشكروني عِلْمًا بقصورهم عن إدراكه، بل عن إدراك آلائه؛ كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤]، فأمرهم أن يعتبروا بعض أفعاله في الشكر لله، ثم قال: فإن قيل: لِمَ قال بعده: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾، ولم يقتصر على أحد اللفظين؟ قيل: لمّا كان الإنسان قد يكون شاكرًا في شيءٍ مّا وكافرًا في غيره صحّ أن يُوصف بهما على حسب النظر إلى فعليه، فلو اقتصر على قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ لكان يجوز أن ذلك فهي عن تعاطي فعل قبيح دون حثّ على الفعل الجميل، فجمع بينهما لإزالة هذا الوهم، ولأن في قوله: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢] تنبيهًا على أن ترك الشكر كفر. فإن قيل: فلِمَ قال: ﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]، ولم يقل: ولا تكفروا لي؟ ليطابق قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]. قيل: خصّ الكفر به تعالى للتنبيه على أنه أعظم قباحة بالنسبة إلى كفر نعمه، فإن كفران النِّعم قد يعفى عنه بخلاف الكفر به تعالى، انتهى كلامه.

فإن قيل: قد تمّ الكلام بقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ سواء كان قوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥١] متّصلًا بما قبله أو بما بعده؛ لأن محصل المعنى على التقدير الثاني كما أنعمت عليكم بهذه الأنواع من النِّعم، فقابلوا تلك النِّعم بالذِّكر والشكر، كما إذا قلتَ: كما أحسنت إليك أحسن إليّ، أي قابلني بالإحسان مُجازاة ومكافأة لإحساني إليك. وعلى التقدير الأول حوّلت القبلة إلى الكعبة لئلّا يكون للناس عليكم حجّة، ويظهر سلطانكم على المخالفين ولأُتمّ نعمتي عليكم في أمر القبلة؛ إذ حوّلتكم إلى قبلة بناها أبوكم إبراهيم وإسمٰعيل عليهما الصلاة والسلام أو لأتمّ نعمتي عليكم في الآخرة بإثابتكم الجزاء الأوفى إنعامًا مثل إنعامي عليكم بإرسال رسول شأنه كذا وكذا، وإذا كان كذلك فاذكروني بالطاعة واشكروا لي بهذه النِّعم الجليلة، وإذا تمّ الكلام بقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٢]، فما وجه قوله: أذكركم بالجزم وجوابًا للأمر على أسلوب قولك: زدني أزدك، فإنّ ذلك إنما يتعارف إذا وقع الأمر ابتداء كلام، وكان الفعل المطلوب إحسانًا مبتدأ يستحقّ فاعله به المجازاة والمكافأة، وليس الأمر هٰهنا كذلك؛ لأن الشكر المطلوب منهم أمرٌ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ فيه تنال كل فضيلة ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ فإنها تنهى عن كل رذيلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والمعونة.

وجب عليهم شكرًا للنِّعم السابقة والعبد كيف يستحقّ الأجر والجزاء بأداء ما وجب عليه؟

والجواب: إنّ الله تعالى وإنْ أوجب عليهم الطاعة شكرًا لنعمه السابقة، إلّا أنه من عادة فضله وإحسانه جعلها بمنزلة ابتداء إحسان فوعد عليها الثواب، بقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾، وجعله جزاء مقابلًا لها كأنها ابتداء خدمة من جهتهم فضلًا منه وكرمًا، فإنّ مَنِ اتّصف بالكرم من العبيد إذا أنعم على أحد نعمةً، فإنه يربّي تلك النعمة بالإنعام عليه ثانيًا وثالثًا كأنه جزاء ما أعطاه أوّلًا، والله تعالى هو الموصوف بالكرم على الحقيقة، فلا يبعد ذلك، بل هو المستحق لذلك.

ثم الله تعالى لمّا أوجب عليهم الطاعة والعبادة شكرًا لما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة، والعبادة مما يشقّ تحمّلها على النفس حثّهم على الاستعانة بالصبر والصلاة تنبيهًا على أنّه بهما يتوصّل إلى الشكر المطلوب، ويتحمّل مشاق العِبادات، فإنّ الصبر الذي هو تحمّل المشاقّ من غير جزع واضطراب ذريعة إلى فعل كل خير ومبدأ كل فضل، فإنّ أوّل التوبة الصبر عن المعاصي وأول الزهد الصبر عن الْمباحات وأوّل الإرادات الصبر عن طلب ما سوى الله، ولهذا قال ﷺ: «**الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**»، وقال: «**الصبر خيرٌ كلّه**»، فمن تحلّى بحلية **الصبر** سَهُل عليه ملابسة الطاعة والاجتناب عن الْمُنكرات. وكذا الصلاة، فإنّها تجب أن تُفعل على طريق التذلّل والخضوع للمعبود، فإنّ جميع أركانها وواجباتها إنّما يُقصد به ذلك، ومَنْ سلك هذه الطريقة في الصلاة، فقد ذلّل نفسه لاحتمال المشقّة فيما عداها من العبادات، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]، ورُوِيَ أنّه ﷺ كان إذا حزّ به أمر فزع إلى الصلاة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾. فإن قيل: لِمَ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ولم يقل مع المصلّين؟ وقال في آية أخرى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ **(نزلت في شهداء بدرٍ وكانوا أربعة عشر رجلًا)**. ﴿أَمْوَاتٌ﴾ **(أي هم أمواتٍ** (﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾) أي هم أحياء.

وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٥]؛ فاعتبر الصلاة دون الصبر. قيل: لِمَا كان فِعْل الصلاة أشرف وأعلى من الصّبر؛ إذ قد ينفكّ الصبر عن الصلاة، ولا تنفكّ الصلاة عن الصبر؟ ذكر هٰهنا الصابرين، فعُلِم أنه تعالى إذا كان مع الصّابرين، فهو لا محالة يكون مع المصلّين بطريق الأَوْلى، وقال هناك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٥]، فذكر الصلاة دون الصبر تنبيهًا على أنّها أشرف منزلة من الصبر. اهـ.

قوله: (نزلت في شهداء بدر). . . الخ. كذا أخرجه ابن مندة. **قوله: (وكانوا أربعة عشر رجلًا)**: ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، وأسمائهم مسطورة في السِّيَر، وفيه لطيفة لا تخفى وهي إيهام أن بدرًا إنّما كان بدرًا بهؤلاء الشهداء؛ لأن القمر إنما يكون بدرًا بأن يمضي عليه أربع عشرة ليلة. **قوله: (أي هم أموات)** إشارة إلى أنه خبر مبتدأ محذوف، وكذا أحياء إلّا أن جملته لا محلّ لها من الإعراب، لأنها جملة مستأنفة، وبل إضرابية، وقيل: تقديره: بل قولوا هم أحياء ليكون في محل نصب أيضًا. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ. **قوله:** (﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾). . . الخ. حياة الشهداء ثابتة في الآيات والأحاديث، وقد اختلفوا فيها، فذهب كثير من السّلف إلى أنها حياة حقيقية بالروح والجسد، ولكنّا لا نُدْركها ولا نعلم حقيقتها؛ لأنها من أحوال البرزخ التي لا يطّلع عليها، وفي الحديث الصحيح: «**إنّ أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش، وإنهم يُعرض عليهم رزقهم غدوة وعشيّة**». وذهب غيرهم وعليه الزمخشري والبيضاوي إلى أنها ليست بالجسد، بل روحانية، وجميع الأموات وإنْ كانوا كذلك لكن تخصيصهم لمزيد كرامتهم وقُرب درجتهم، فكأنّ حياة غيرهم ليست معتدًّا بها. اهـ شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

وفي التفسير المظهري: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾، يعني: أنّ الله تعالى يعطي لأرواحهم قوّة الأجساد، فيذهبون من الأرض والسماء والجنّة حيث يشاؤون وينصرون

....

أوليائهم ويدمّرون أعدائهم إن شاء الله تعالى، ومن أجل ذلك الحياة لا تأكل الأرض أجسادهم ولا أكفانهم. قال البغوي: قيل: إنّ أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، قال عليه السلام: «**إنّ الشهداء إذا استشهدوا أنزل الله جسدًا كأحسن جسد، ثمّ يقال لروحه: ادخلي فيه، فينظر إلى جسده الأوّل ما يفعل به ويتكلّم فيظنّ أنهم يسمعون كلامه، وينظر إليهم فيظنّ أنهم يرونه حتى تأتيه أزواجه من حور العين، فيذهَبْنَ به**»، رواه ابن مندة مرسلًا.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود مرفوعًا: «**أرواح الشهداء عند الله في طير خضر تسرح في الجنّة حيث شاء، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش**»، فذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الحياة مختصّة بالشهداء، والحقّ عندي عدم اختصاصها بهم، بل حياة الأنبياء أقوى منهم وأشدّ ظهورًا آثارها في الخارج حتى لا يجوز النكاح بأزواج النبيّ ﷺ بعد وفاته بخلاف الشهيد والصدّيقون أيضًا أعلى درجة من الشهداء والصالحون ـ يعني الأولياء ـ ملحقون بهم كما يدلّ عليه الترتيب في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النّساء: الآية ٦٩]، وكذلك قالت الصوفية العليّة: أرواحنا أجسادنا، وأجسادنا أرواحنا، وقد تواتر عن كثير من الأولياء أنهم ينصرون أوليائهم ويدمّرون أعدائهم ويهدون إلى الله تعالى مَنْ يشاء الله تعالى، وقد ذكر المجدّد رضي الله تعالى عنه أن أرباب كمالات النبوّة بالوراثة. قلت: وهم الصدّيقون والمقرّبون في لسان الشرع يعطى لهم من الله تعالى وجودًا موهوبًا، ويدلّ على أنّ أجساد الأنبياء والشهداء وبعض الصُّلَحاء لا تأكلها الأرض ما أخرجه الحاكم وأبو داود عن أوْس بن أوس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**».

وأخرج ابن ماجة عن أبي الدّرداء نحوه.

وأخرج مالك عن عبد الرحمـٰن بن صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن جُبير الأنصاري كان قد حفر السَّيْل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السَّيْل، وكانا في قبرٍ واحد، وهما ممّن استشهد يوم أُحد، فحفرا ليُغَيَّرا من

(﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾) لا تعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لا تعلم حسًّا.

مكانهما، فوُجِدا لم يتغيّرا كأنّهما ماتا بالأمس، وكان بين أُحد وبين وقت حفر عنهما ستّ وأربعين سنة.

وأخرج البيهقي أنّ معاوية لمّا أراد أن يجري كظامة نادى: مَنْ كان له قتيل بأُحد فليشهد، فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابًا ينبتون، فأصابت المسحات رِجْل رَجُلٍ منهم، فانبعث دمًا، ولقد كانوا يحفرون التراب، فحفروا نثرة من تراب فاح عليهم ريح المسك، هكذا أخرج الواقدي عن شيوخه.

وأخرج ابن أبي شيبة نحوه.

وأخرج البيهقي عن جابر، وفيه: فأصابت المسحات قدم حمزة، فانبعث دمًا.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤذن المحتسب كالشهيد المتشخّط في دمه إذا مات لم يدود**[١] **في قبره**». وأخرج ابن مندة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات حامل القرآن أوحى الله إلى الأرض: أن لا يأكل لحمه، فيقول الأرض: أي ربّ كيف آكل لحمه وكلامك في جوفه؟**». قال ابن مندة: وفي الباب عن أبي هريرة وابن مسعود: قلت: لعلّ المراد بحامل القرآن الصديق، فإنّ مساس بركات القرآن مختصّ به حيث قال الله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: الآية ٧٩]. وأخرج المروزي عن قتادة، قال بلغني أن الأرض لا تُسَلَّط على جسد الذي لم يعمل خطيئة. قلت: لعلّ المراد بالذي لم يعمل خطيئة الصالحون من عباد الله ـ أعني الأولياء ـ لمّا كانوا محفوظين من الخطايا ومغفورين حتى صَلُحت قلوبهم وأجسادهم، والله أعلم. (﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾)، فيه تنبيه على أن حياتهم ليست من جنس ما يحسّه كل أحد، وإنّما هي أمرٌ لا يُدْرَك بالعقل ولا بالحسّ، بل بالوحي أو الفراسة الصحيحة المقتبسة من الوحي. اهـ.

---

(١) في النهاية: إن المؤذّنين لا يدادون، أي لا يأكلهم الدود، يقال: داد الطعام وأداد أو دوّد فهو مدوّد ـ بالكسر ـ إذا وقع فيه الدّود، انتهى. وفي الدّر المنثور: يدوّد ـ بالكسر ـ أي لا يأكله الدود. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

(عن الحسن ﷺ أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم) فيصل إليهم **(الروح)** والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوًّا وعشيًّا فيصل إليهم الوجع. وعن **(مجاهد)**: يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها.

وفي التفسيرات الأحمدية: وبالجملة فحياة الشهداء قدر ما يذوق النعيم.

(عن الحسن رضي الله عنه أنّ الشهداء أحياء عند الله تُعْرض أرزاقهم على أرواحهم). معلومة بالنصّ القطعي، ولكن ميلان القاضي البيضاوي إلى أنّ الآية تدلّ على أنّ الأرواح جواهر قائمة بأنفسها تبقى بعد الموت دراكة، وأن تخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة والمذكورة في كلام الإمام الزّاهد أن للشهداء لذّة الترزيق بدليل قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٠]، وأن أرواحهم في أجسام طيور ترعى في الجنّة إلى يوم القيامة، وأنها نزلت حين طعن الكفّار على الصَّحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، بأنهم ماتوا ولم ينالوا لذّة الدنيا، فقال لهم الله: إنّهم أحياء وليسوا بميتين، وأن الآية ردٌّ على المعتزلة حيث زعموا أن الميت جماد لا حياة له، فتعذيبه مُحال، وإنما سمّاهم أحياء باعتبار المآل ـ أعني يوم القيامة ـ ونحن نقول: إن تخصيصه بالشهداء ينافي ذلك؛ لأن الحياة باعتبار المآل يعمّ الكل، ويثبت أن تعظيم الميت الذي هو ميت في حقّنا غير مستحيل؛ إذ يجوز أن يكون حيًّا في حقّ الله تعالى، هذا حاصل كلامه.

ولكن لا يخفى أنّ صاحب الكشاف مع تصلّبه في مذهب الاعتزال قد اعترف بتنعيم الشهداء وحياتهم حيث نقل الآثار المذكورة، ثم قال: وقالوا: يجوز أن يجمع الله عن أجزاء الشهداء جملة ويُحييها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرّة، وهذا كلامه في سورة المؤمن على ما سيجيء دليلٌ على حقّية عذاب القبر عنده، وحاصل الكلام في هذا المقام أنّ الآية إن أُجريت على ظاهرها في حقّ الشهداء خاصّة كانت دليلًا واضحًا على كونهم أحياء ذائقين لذَّة التنعيم. وأمّا غيرهم من المسلمين والكافرين، فيعلم تنعيمهم وتعذيبهم وحياتهم على قدر ذلك من نصوص أُخر، وإن اعْتُبِر العموم في الآية وجعل تخصيص الشهداء لشرفهم كان الآية دليلًا على تنعيم كل مؤمن صالح وحياته ويقاس عليه الكافر، ولا خفاء على

....

ذي عقل فضل حياة الشهداء على حياة سائر المسلمين، حتى أن الشافعي رحمة الله عليه لم يجوِّز الصلاة على الشهداء وأوجبها على غيرهم إلّا أنّ الحياة قدر التنعيم ثابت في الكل، والمذكور في بعض كتب أُصولنا في بحث إشارة النص أنّ إشارة النص يكون عامًّا يخصّ؛ كما قال الشافعي رحمه الله: لا يصلّى على شهيد؛ لأنه حيّ حكمًا ثبت ذلك بإشارة النصّ، وهو قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٩]؛ لأنه مسوق لعلوّ درجتهم.

وأورد عليه أنّه عليه السلام صلّى على حمزة سبعين صلاة، فأجاب بأن تلك الآية خصّت في غيره، أو خُصَّ هو من عموم تلك الإشارة، فبقيت في حقِّ غيره على العموم. وهذا مما يدلّ على أنّ إشارة النص تكون عامًّا يخصّ. ثم الشهداء في الحقيقة مَنْ يكون كذلك في حقِّ أحكام الدنيا والآخرة، وهو مَنْ يكون مسلمًا طاهرًا بالغًا قُتِل بحديد ظلمًا، ولم يجب به مال أو وُجِد ميتًا جريحًا في المعركة ولم يرتث، فإنّه يجري عليه أحكام الدنيا حيث لا يُغسَّل ولا يكفّن ويُصَلّى عليه وله المرتبة العليا في الآخرة على ما نطقت به الآثار، ومنهم مَنْ لا يجري عليه أحكام الدنيا، ويكون لهم في الآخرة فضل مرتبة؛ كالغرقى والحرقى والهدمى والقتلى في الحدّ، ومَنْ مات في طريق الله مثل العلم والجهاد والحجّ، ومَنْ ماتت مِنْ نفاسها، ومَنْ مات مِن استطلاق البطن على ما ورد في الحديث. ومنهم من يجري عليه أحكام الدنيا دون الآخرة؛ كالمقتولين من غير نيّة صالحة، بل لأجرة أو لإظهار شجاعة أو جلادة أو نحو ذلك. ومنهم مَنْ لا يجري عليه أحكام الدنيا والآخرة؛ كالباغي وقاطع الطريق، فإنهم لا يغسلون ولا يكفّنون ولا يُصلّى عليهم في الدنيا، ولا ينالون درجة الشهداء في الآخرة، هذا ما تيسّر لي في تحقيق هذا المقام، والله أعلم. اهـ.

قوله: (وعن الحسن) البصري التابعي رضي الله تعالى عنه **(أن الشهداء أحياء)**. . . الخ. محصول ما رُوِي عنه أنّه لا شكّ أنّ حياة الشهداء ليست بهذا الجسد بالضرورة؛ لانعدامه وتلاشيه واضمحلاله، فلا بدّ أن تكون حياتهم بوجهٍ آخر روحاني، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ لأن شعورهم ليس إلّا بالحياة بهذا الجسد، والحياة ليست بهذا الجسد، بل هي حياة معنوية روحانية، فإنّ

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا. ﴿بِشَيْءٍ﴾ **(بقليل)** من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه. وقلّل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جلّ ففوقه ما يقل إليه، ويريَهم أن رحمته معهم في كل حال، وأعلمهم بوقوع البلواء قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها. ﴿مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ خوف الله والعدو ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ أي القحط أو صوم شهر رمضان ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بموت المواشي أو الزكاة، وهو عطف على شيء، أو على الخوف أي وشيء من نقص الأموال. ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت. أو بالمرض والشيب ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ ثمرات الحرث أو موت الأولاد **(لأن الولد ثمرة الفؤاد)** ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذه البلايا أو المسترجعين عند

الإنسان إنْ كان محسنًا كان روحه متنعّمًا إلى يوم القيامة، وإن كان مسيئًا كان معذّبًا إلى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب جماعة الصحابة والتابعين وأصحاب الحديث، ولم يخالف في ذلك إلّا جماعة من المعتزلة جعلوا الأرواح أعراضًا لا قوام لها بأنفسها، بل تحتاج إلى جسم تقوم به، ومهما فارقت الأجسام تلاشت وبَطُلت. رُوِي أنّه لمّا قتل صناديد قريش يوم بدر جمع جثتهم في قليب، فأقبل النبيّ ﷺ حتى وقف عليهم، فخاطبهم بقوله: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا؟ فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقًا**»، فقيل: يا رسول الله، أتخاطب جيفًا؟ فقال: «**ما أنتم بأسمع منهم، ولو قدروا لأجابوا**». وما يؤيّد هذا المعنى من الأحاديث أكثر من أن يحصى. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

قوله: (الروح) بفتح الراء الراحة والسرور. **قوله:** **(مجاهد بن)** جَبْر الإمام الشهير وهو تابعي رضي الله تعالى عنه.

قوله: **(بقليل)**. . . الخ. القلّة تؤخذ من لفظ شيء وتنكيره. **قوله:** **(لأن الولد ثمرة الفؤاد)**، أي القلب إطلاق الثمرة على الولد مجاز مشهور؛ لأن الثمرة كل ما يستفاد ويحصل كما يقال: ثمرة العلم والعمل وإضافتها إلى القلب كناية عن شدّة تعلّقه به ومحبّته له.

البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وفي الحديث («من استرجع) عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفًا صالحًا يرضاه». وطفُىء سراج رسول الله ﷺ فقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» فقيل: أمصيبة هي؟ قال: «نعم (كل شيء يؤذي) المؤمن فهو مصيبة». والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل مَن يتأتى منه البشارة.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصب صفة للصابرين. ولا وقف عليه بل يوقف على «راجعون». ومَن ابتدأ بـ«الذين» وجعل الخبر «أولئك» يقف على «الصابرين» لا على «راجعون». والأول الوجه لأن الذين وما بعده بيان للصابرين. ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾ مكروه. اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته. ولا وقف على «مصيبة» لأن ﴿قَالُوٓاْ﴾ جواب «إذا» و«إذا» وجوابها صلة «الذين». ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار له بالملك. ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ إقرار على نفوسنا بالهلك.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ الصلاة: الحنو (والتعطف) فوضعت موضع الرأفة، وجمع بينها وبين الرحمة (كقوله: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ [الحديد: الآية ٢٧]، ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: الآية ١١٧]). والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد

قوله: (مَن استرجع)، أي قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾... الخ. قال الطيبي: ما وجدته في كتب الحديث، وتعقّب بأنه أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. **قوله:** (كل شيء يؤذي)... الخ. حتى الشوكة يُشاكها والبعوضة تلسعه وهو حديث ورد من طريق عديدة.

قوله: (والتعطّف) عطف تفسير. **قوله:** (كقوله: ﴿رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾ [الحديد: الآية ٢٧]، ﴿رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: الآية ١١٧]) في الكواشي الرأفة بمعنى الرحمة إلّا أنها أشدّ وأبلغ من الرَّحمة، فلذلك جمع بينهما، فمن عمّ أراد رحمته إيّاهم في الرّزق والخلق والصّحة، ومن خصّ أراد رحمته للمؤمنين خاصة، انتهى. وفي التيسير: الرؤوف فعول ومعناه المبالغة في الرحمة، فالرحيم أعمّ، والرؤوف أبلغ،

رحمة. ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله. قال (عمر) ﷺ: (**نعم العدلان ونعم العلاوة**) أي الصلاة والرحمة والاهتداء.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ هما علمان للجبلين. ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ قصد الكعبة ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ زار الكعبة، فالحج: القصد، والاعتمار: الزيارة، ثم غلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين (**وهما في المعاني**) كالنجم والبيت في الأعيان. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ فلا إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، أي يتطوف فأدغم التاء في الطاء. وأصل

ولذلك جمع بينهما لإثبات المعنيين، وبدأ بالأبلغ وختم بالأعمّ، انتهى. **قوله: (عمر)** رضي الله تعالى عنه ابن الخطاب بن نفيل اتّفقوا على أنه أوّل مَن سُمِّي أمير المؤمنين، وإنّما كان يقال لأبي بكر رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ، رُوِيَ له عن رسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثًا، اتّفق البخاري ومسلم منها على ستّة وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بأحد وعشرين، وأجمعوا على كثرة عِلْمه ووفور فهمه وزهده وتواضعه ورفعه المسلمين وإنصافه ووقوفه مع الحقّ وتعظيمه آثار رسول الله ﷺ، وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين وإكرامه أهل الفضل والخير وأحواله وفضائله وسيرته ورفقه برعيّته وتواضعه وجميل سيرته واجتهاده في الطاعة، وفي حقوق المسلمين أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تُحصر، وطُعِنَ عمر رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من شهر ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ودُفِنَ يوم الأحد هلال المحرّم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد وعشرين يومًا، وقيل غير ذلك. **قوله: (نعم العِدلان ونعم العلاوة)** جعل قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عدلًا لقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، وجعل قوله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ علاوة لهما.

قوله: (وهما في المعاني)، يعني: إذا قيل الحجّ أو العمرة أو الاعتماد لا يفهم منه إلّا القصد والزيارة المخصوصان، ولا يحتاج إلى ذكر المتعلق بخلاف

الطوف المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما. قيل: كان على الصفا («**إساف**») وعلى المروة (**نائلة**) وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلًا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون الله. وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية (**فرفع عنهم الجناح بقوله**: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾).

الفعل، مثل حجّ البيت. اهـ. تفتازاني رحمه الله. **قوله: (إساف)** - بكسر الهمزة وخفّة السين المهملة وألف بعدها فاء - اسم رجل سُمّي به صنم على الصّفا. **(نائلة)** - بنون وألف تليها همزة مكسورة ولام - اسم امرأة سُمّي به صنم على المروة. **قوله: (فرفع عنهم الجناح بقوله**: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾)... الخ. فظاهر هذا الكلام وإنْ كان رفع الحرمة وإثبات الإباحة التي يستوي طرفاها من غير ترجيح جانب الفعل في السعي، ولكنه فوق الإباحة، وإنما أجرى هذا الكلام بحسب اعتقاد المخاطبين المعتقدين حرمته؛ فعند أحمد بن حنبل هو سنّة، وبه قال أنس بن مالك وابن عباس رضي الله تعالى عنهم على ما نصّ به القاضي البيضاوي وصاحب الكشاف؛ لأن مفهوم الآية الإباحة، وإنما ترجح جانب الوقوع بفعل الرسول ﷺ والصحابي، فيكون سنّة. وعند مالك والشافعي رحمهما الله ركن؛ لقوله عليه السّلام: «**اسعوا، فإنّ الله كتب عليكم السّعي**»، وعندنا واجب لدوام الرسول على ذلك والصحابي من غير تركه أحيانًا، فكان واجبًا يجب بتركه الدّم على ما عُرِف في الفقه ومعنى كتب كتب استحبابًا، كذا في الهداية. وصرَّح صاحب المدارك بأنّ في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ﴾، و﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٨] دليلًا على ردّ قول مالك والشافعي رحمهما الله.

وقيل: حرف لا مضمر، يعني: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما»، أي لو ترك السعي بينهما لا يفسد حجّه، لكن ينقص ويجبر ذلك النقصان بالدم، كذا في الزاهدي. وأمّا ما توهم من أن قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ كلام منقطع عما بعده، وقوله عليه متعلق بما بعده، أي وجب عليه أن يطوف بهما، فيكون دليلًا على وجوب السعي بقرينة أنه لو كان عليه متعلّقًا بما قبله، لكان اسم لا مشبّهًا بالمضاف، فينبغي أن ينصب لا أن يفتح؛ فكلام فاسدٌ، فإنه مع عدم الوقف على قوله تعالى:

وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال (**مالك والشافعي**) رحمهما الله تعالى. وكذا قوله: (﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾) أي بالطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن. («**ومن يطوع**»:

﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ وعدم تفريعه على ما سبق يقتضي مخاطبًا يعتقد جناحيّة الحجّ والعمرة، وليس كذلك. وتعلق قوله: عليه لا يقتضي كونه مُشبّهًا بالمضاف؛ لأنه من قبيل العائد وأن يطوف خبر لا. ثم طريق السعي هو أنه إذا فرغ من طواف البيت خرج وصعد الصفا واستقبل البيت وكبّر وهلّل وصلّى على النبيّ ﷺ ورفع يديه ودعا بما شاء، ثم مشى نحو المروة ساعيًا بين الميلين الأخضرين وصعد عليهما وفعل ما فعله على الصّفا يفعل هكذا سبعًا يبدأ بالصفا ويختم بالمروة، هكذا في كتب الفقه. واختلفوا في دليل وجوب ابتداء الصفا على المروة، فالشافعي يقول بوجوبه عملًا بمضمون الواو؛ لأن الواو يوجب الترتيب عنده، وذلك لأنّ النبيّ ﷺ بدأ في السعي بالصفا، وقال: «**نحن نبدأ بما بدأ الله تعالى**»، فَفُهِم الترتيب؛ لأن النبيّ ﷺ أحاله على الآية، ونحن نقول أيضًا بوجوبه، لكن بفعل النبيّ ﷺ لا بالواو، ولأن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إثبات أنهما من الشعائر والمناسك ولا يتصوّر فيه الترتيب، وإنّما ثبت السّعي بقوله تعالى: ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، ولا واو فيه غير أن السعي لا ينفكّ عن الترتيب والتقديم في الذّكر يدلّ على الاهتمام وهو يصلح للترجيح، هكذا في البزدوي في بحث حروف المعاني في بيان الواو .اهـ التفسيرات الأحمدية.

قوله: (**مالك**) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمّة الأعلام، توفي سنة تسع وسبعين ومائة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (**والشافعي**) هو الإمام البارع محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السّائب القريشي المطلبي الحجازي المكي، توفّي بمصر سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة رضي الله تعالى عنه. **قوله:** (﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾) من يطوف بهما في الحجّ والعمرة، أو من حجّ أو اعتمر من غير أن يكون فرضًا عليه.اهـ التفسيرات الأحمدية. **قوله:** (ومن **يطّوّع**) ـ بالياء وتشديد الطاء وجزم العين ـ على أن تكون مَنْ شرطية، ومحل الرفع بالابتداء وفعل الشرط خبرها على الأصح، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ جملة في محل الجزم على أنها جواب الشرط، ولا بدّ من عائد مقدّر، أي فإنّ الله

حمزة وعلي) أي (يتطوع فأُدغم التاء في الطاء) ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ مجاز على القليل كثيرًا ﴿عَلِيمٌ﴾ بالأشياء صغيرًا أو كبيرًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ (من أحبار اليهود) ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾ في التوراة ﴿مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ الهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾ أوضحناه ﴿لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (الذين يتأتى منهم اللعن) وهم الملائكة والمؤمنون من (الثقلين).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن الكتمان وترك الإيمان (﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أفسدوا) من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ وأظهروا ما كتموا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

شاكر له (حمزة وعلي) الكسائي أي (يتطوّع فأدغم التاء في الطاء). والباقون قرؤوا تطوّع على تفعّل ماضيًا، فكلمة مَنْ على هذا القراءة يحتمل أن تكون شرطية، والكلام فيها كما تقدّم، ويحتمل أن تكون موصولة وتطوّع صلتها، فلا محل لها من الإعراب حينئذ، وتكون في محل الرفع بالابتداء أيضًا، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ خبر دخلت الفاء عليه لتضمّن المبتدأ معنى الشرط والعائد محذوف، كما تقدم وأي شاكر له.

قوله: (من أحبار اليهود) أي علماء اليهود. **قوله:** (الذين يتأتّى منهم اللَّعن) إشارة إلى التعميم فيه. وقال الزجاج: اللاعنون هم المؤمنون من الجنّ والإنس والملائكة. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كل شيء في الأرض، والمراد أنهم مستحقّون لذلك. اهـ شهاب. **قوله:** (الثقلين) الجنّ والإنس. اهـ مصباح.

قوله: (﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أفسدوا)، يعني أنه لا بدّ بعد التوبة من إصلاح ما أفسده من أحوال نفسه وأحوال غيره، مثلًا لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتًا. والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون إذ بعضهم يلعن بعضًا يوم القيامة قال الله تعالى: (﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾) [الأعراف: الآية ٣٨].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مَن هم في «عليهم» ﴿فِيهَا﴾ في اللعنة أو في النار إلا أنها أضمرت تفخيمًا لشأنها وتهويلًا ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (**من الإنظار أي لا يمهلون أو** لا **ينتظرون**) ليعتذروا أو لا (**ينظر إليهم نظر رحمة**).

يلزمه بعد التوبة إزالة تلك الشبهة وبعد ذلك لا بدّ له من أن يفعل ضدّ الكتمان وهو البيان، وهو المراد بقوله: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾؛ فدلت الآية على أن التوبة لا تحصل إلّا بترك ما لا ينبغي ويفعل كل ما ينبغي.

قوله: (﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾) [الأعراف: الآية ٣٨] التي قبلها لضلالها بها.

قوله: (**من الإنظار**) بمعنى الإمهال والتأجيل، (**أي لا يمهلون**)، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لا يمهلون للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة، يعني أن الآية مشتملة على معنى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآيتان ٣٥، ٣٦]، ومعناه: أنهم لا يُجابون إلى نحو قولهم: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطِر: الآية ٣٧]، وقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٧]، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يُعذّبون على الدّوام والاستمرار، وأن كل وجه من وجوه عذابهم يتّصل بوجه آخر مثله أو أشد منه، وأنهم لا يمهلون ولا يؤجلون ساعة ليستريحوا فيها. **قوله:** (**أو لا ينتظرون**) ليعتذروا أو لا[1] (**ينظر إليهم نظر رحمة**) مبنيّان على أن يكون قوله: ﴿يُنظَرُونَ﴾ من النظر لا من الإنظار. ثم إنّ النظر إمّا

---

(١) بيان المعنى: لا دلالة على حذف حرف الجرّ. ١٢ منه عمّ فيوضهم.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (فرد في أُلوهيته) لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غير إلـٰهًا (﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته.

بمعنى الانتظار؛ كما في قوله تعالى حكاية: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣]، أي انتظرونا، أو بمعنى الرؤية والإبصار والنظر بهذا المعنى قد يتعدّى بنفسه وقد يتعدّى بحرف الجرّ، يقال: نظرته ونظرت إليه؛ فقول المصنف رحمة الله عليه: أوّلًا ينظر إليهم نظر رحمة بيان للمعنى، لا للاحتياج إلى تقدير حرف الجرّ.

قوله: (فرد في أُلوهيته)، لا يخفى أنّ في قولنا: سيّدكم سيّد واحد من تقرير السيادة وتسليمها عند المتكلّم ما ليس في قولنا: سيّدكم واحد، وأن معنى الوحدة هـٰهنا التفرّد بالسيادة، ولا إلـٰه إلّا هو بحسب صدر الكلام نفي لكل إلـٰه سواه، وبحسب الاستثناء إثبات له ولأُلوهيّته؛ لأن الاستثناء عن النفي إثبات، سيّما إذا كان بدلًا، فإنه يكون هو المقصود بالنسبة، ولهذا كان البدل الذي هو المختار في كل كلام تامّ غير مُوجب بمنزلة الواجب في هذه الكلمة حتى لا يكاد يستعمل لا إلـٰه إلّا الله بالنّصب، ولا إلـٰه إلّا إيّاه، فإن قيل: كيف يصحّ أنّ البدل هو المقصود بالنسبة، والنسبة إلى المبدل منه سببية؟ قلنا: إنما وقعت النسبة إلى البدل بعد النقض بإلّا، فالبدل هو المقصود بالنفي المُعتبر في المبدل منه، لكن بعد نقضه ونقض النفي إثبات. اهـ تفتازاني. قال العلّامة الشهاب عليه رحمة الله الوهّاب: وهذا كلّه بناء على أنّه بدل من اسم لا على المحل، وقد جعله أبو حيّان استثناء من الضمير المستتر في الخبر. اهـ.

قوله: (﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) تقرير للوحدانية؛ لأن الاستثناء هنا إثبات من نفي، فهو بمنزلة البدل، والبدل هو المقصود بالنسبة وإزاحة لأن يتوهّم أنّ في الوجود إلـٰهًا، ولكن لا يستحقّ منهم العبادة. اهـ كرخي.

قوله: (﴿إِلَّا هُوَ﴾) في محل الرفع على أنه بدل من اسم لا على المحل؛ إذ محلّه الرفع على الابتداء، وهو بدل من لا، وما عملت فيه، لأنها وما بعدها في محل الرفع بالابتداء، فإن قيل: كيف يكون بدلًا من إلـٰه والحال أنّه لا يمكن

وموضع «هو» رفع لأنه بدل من موضع «لا إلـٰه» ولا يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثاني، والمعنى في الآية على ذلك والنصب

تكرير العامل، فإنه لا يقال: لا رجل لا زيد. قلنا: إنهم لم يقولوا: إنّ لفظ هو بدل من اسم لا حملًا على اللفظ حتى يلزمهم اعتبار تكرير العامل، وإنّما يلزم اعتبار تكريره لو أجازوا إبداله من اسم لا حملًا على اللفظ، وهم لم يجيزوا ذلك لعدم إمكان تكرير العامل، ولا يجوز لا التبرئة لِما تقرّر من أنها لا تعمل في المعارف، بل الخبر محذوف، أي لا إلـٰه كائن لنا، هذا على قول مَنْ يقول: إنّ لا المبني معها اسمها عاملة في الخبر. وأمّا إذا جعلنا الخبر مرفوعًا بما كان عليه قبل دخول لا، وليس لها فيه عمل، كما ذهب إليه سيبويه؛ فحينئذ كان ينبغي أن يكون هو خبر إلّا أنه مُنِع منه كون المبتدأ نَكِرة والخبر معرفة، وهو ممنوع إلّا في ضرورة الشعر في بعض الأبواب. قال شهاب الدين الشهير بالسمين: والذي يظهر لي أنه ليس بدلًا من إلـٰه ولا من رجل، في قولك: لا رجل لا زيد، وإنّما هو بدل من الضمير المستكن في الخبر، فليس بدلًا من موضع اسم لا، وإنما هو بدل مرفوع من ذلك الضمير، وهو عائد على اسم لا، وتصريح النحويّين أنه بدل على الموضع من اسم لا مؤوّل على ما تقدّم. اهـ. شيخ زاده رحمه الله.

وفي النهر: لا يجوز أن يكون إلا هو خبرًا عنه عن لا على مذهب الأخفش ولا خبرًا عن مجموع لا إلـٰه؛ إذ هو في موضع مبتدأ على مذهب سيبويه؛ لأنه هو معرفة. وقالوا: هو بدل من اسم لا على الموضع، وهو مشكل؛ لأنه لا يمكن تقدير تكرار العامل لا نقول: لا رجل إلا زيد، والذي يظهر لي فيه أنه ليس بدلًا من لا إلـٰه، ولا إلّا زيد بدلًا من لا رجل، بل هو بدل من الضمير المستكنّ في الخبر المحذوف؛ إذ التقدير: لا رجل كائن أو موجود إلا زيد، كما تقول: ما أحد يقوم إلّا زيد وإلا زيد بدل من الضمير في يقوم، فهو بدل مرفوع من ضمير مرفوع. اهـ عبد الحكيم رحمه الله.

وفي الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: لا إلـٰه مبنيّ مع لا في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف، أي: لكم إلّا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا إلـٰه، ولا إلـٰه إلّا هو تقرير الوحدانية تنفي غيره، فإن قلت: هل يجوز

يدل على أن الاعتماد على الأول. ورفع «الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ» أي (المولى) لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ، أو على البدل من «هو» لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

ولما عجب المشركون من إلـٰه واحد وطلبوا آية على ذلك تنزل ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ (وَٱلْأَرْضِ) وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ في اللون والطول والقصر

أن يكون إلّا هو منصوبًا، كما تقول: ما جاءني أحد إلّا زيد. قلت: لا، لأنه لو كان كما زعمت لكان إلّا إيّاه. اهـ.

وفي مفاتيح الغيب: المُشتهر بالتفسير الكبير، قال: النحويّون في قوله تعالى: لا إلـٰه إلّا هو ارتفع هو؛ لأنه بدل من موضع لا مع الأُمم، ولنتكلم في قوله: ما جاءني رجل إلّا زيد، فقوله: إلّا زيد مرفوع على البدلية؛ لأن البدلية على الإعراض عن الأول والأخذ بالثاني، فكأنك قلت: ما جاءني إلا زيد، وهذا معقول لأنه يفيد نفي المجيء عن الكلّ إلّا عن زيد. أمّا قوله: جاءني إلا زيد، فهاهنا البدلية غير مُمكنة؛ لأنه يصير في التقدير: جاءني خلق إلّا زيد، وذلك يقتضي أنه جاء كل أحد إلّا زيد، وذلك مُحال؛ فظهر الفرق، والله أعلم. اهـ.

قوله: (المولى) أي المعطي.

قوله: (﴿وَٱلْأَرْضِ﴾)، وإنما جمع السمـٰوات وأفرد الأرض؛ لأن تعدّد السمـٰوات كان مقرّرًا عند المخاطبين بناءً على مشاهدتهم تعدّد حركات الكواكب بخلاف الأرض، فإنّ تعددها لم يثبت إلّا بالشرع والاستدلال إنما هو بما هو معلوم عندهم، وقيل: لأن السمـٰوات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين، فإنّ كلها من جنسٍ واحد وهو التراب، وقيل: لأن طبقات السمـٰوات متفاصلة

وتعاقبهما في الذهاب والمجيء ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾

بخلاف الأرضين، وهذا ليس بشيء، فإنّ الثابت بالسنّة كون كل واحد من السمٰوات والأرضين متفاصلة.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: بينما نبيّ الله ﷺ جالسٌ في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب، فقال نبيّ الله ﷺ: «**هل تدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذه العَنَان**[1]**، هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه**»، ثم قال: «**أتدرون ما فوقكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف**»، ثم قال: «**هل تدرون ما بينكم وبينها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**بينكم وبينها خمسمائة عام**»، ثم قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**سماء إن بُعْد ما بينهما خمسمائة سنة**»، ثم قال كذلك حتى عدّ سبع سمٰوات ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض، ثم قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنّ فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بُعْد ما بين السماءين**»، ثم قال: «**هل تدرون ما الذي تحتكم**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنها الأرض**»، ثم قال: «**هل تدرون ما تحت ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إنّ تحتها أرضًا أخرى ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة**» حتى عدّ سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم قال: «**والذي نفس محمّد بيده لو أنكم دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله**»، ثمّ قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: الآية ٣]، رواه أحمد والترمذي.

وقال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ الآية تدلّ على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه.

قلت: قوله ﷺ: «**لهبط على الله**» من المتشابهات، كما أن الرَّحمٰن على العرش استوى من المتشابهات، ولعلّ مراده ﷺ: لهبط على عرش الله

---

(١) كسحاب، ١٢ منه.

(بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس) و«من» في ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لابتداء الغاية وفي ﴿مِن مَّآءٍ﴾ مطر لبيان الجنس لأن ما ينزل من السماء مطر وغيره. ثم عطف على «أنزل» ﴿فَأَحْيَا بِهِ﴾ بالماء ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ثم عطف على «فأحيا» ﴿وَبَثَّ﴾ وفرق ﴿فِيهَآ﴾ في الأرض ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ هي كل ما يدب ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ («الريح»: **حمزة وعلي**). أي وتقليبها في **(مهابها قبولًا ودبورًا)** وجنوبًا **(وشمالًا)**، وفي أحوالها حارة وباردة

بحذف المضاف، وهذا يدلّ على كون العرش، وكذا ما فيه من السمٰوات السبع كرويًا حاويًا لجميع جهات الأرض، حتى إنكم لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على السمٰوات السبع وعلى عرش الله. اهـ مظهري بالتقاط.

قوله: (بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو ينفع الناس)، يعني: أن كلمة ما إمّا اسم موصول، وحينئذ تكون باء المُصاحبة مع مجرورها في موضع النصب على أنه حال من فاعل تجري، أي تجري مصحوبة بالأعيان والمعاني التي تنفع الناس، فافهم. ينتفعون بركوبها والحمل عليها للتجارات، فهي تنفع الحامل لأنه يربح، والمحمول لأنه ينتفع بما حمل عليه. وأمّا حرف مصدر، وعلى هذا تكون الباء للسببية، أي تجري بسبب نفع الناس في التجارة وغيرها وفاعل ينفع على الأول وضمير عائد إلى ما الموصولة، وعلى الثاني ضمير الجر أو الجري لا ضمير الفلك، لأنه جمع.

قوله: (الريح) بحذف الألف بعد الياء على الإفراد، **(حمزة وعلي)** الكسائي والباقون بالألف على الجمع.

قوله: (مهابها) جمع مهب وهو جهة هبوبها.

قوله: (قبولًا) وهي الصبا، وهي التي تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى اللّيل والنهار. **قوله: (ودبورًا)** أوزان رسول، وهي ما تُقابل الصبا. **قوله: (وشمالًا)**، وهي التي تهبّ من ناحية القطب وتقابلها الجنوب.

و(**عاصفة**) وليّنة (**وعقمًا ولواقح**). وقيل: تارة بالرحمة و(**طورًا**) بالعذاب. ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في الهواء ﴿(لَأَيَـٰتٍ) لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلّون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها.

وفي الحديث (**«ويل**) لمن قرأ هذه الآية (**فمج بها»**) أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها.

قوله: (**عاصفة**) العاصفة الشديدة الهجوم التي تقلع الخيام. **قوله:** (**وعقمًا**) العقم التي لم تقل شجرًا ولم تحمل مطرًا.

قوله: (**ولواقح**)، اللواقح: التي تلقح الأشجار، وهي جمع ملقحة على الشذوذ.

قوله: (**طورًا**)، الطور ـ بالفتح ـ تارة، وفَعَل ذلك طورًا بعد طور أي مرّة بعد مرّة. اهـ مصباح.

قوله: (﴿لَأَيَـٰتٍ﴾) اسم إنّ. وقوله: ﴿فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾... الخ. خبر مُقدَّم ودخلت اللام على الاسم لتأخّره عن الخبر، ولو كان في موضعه لما جاز دخول اللام عليه، وقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ جملة في محل الجر، لأنها صفة لقوم.

قوله: (**«ويل**)... الخ. قال العراقي: لم أقف عليه، لكن رواه ابن مردوية وابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله تعالى عنها بغير هذا اللفظ، وهو أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية ثم قال: «**ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها**»، وقال الأوزاعي: التفكّر فيها أن يقرأها ويعقلها.

وقوله: (**فمجّ بها»**) المجّ: حقيقة في قذف الرّيق ونحوه من الفم، وعدّى بالباء لِمَا فيه من معنى الرّمي، اسْتُعير هٰهنا لعدم الاعتبار، والاعتداد بها بأن يتفكّر

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي ومع هذا البرهان النيّر من الناس ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أمثالًا من الأصنام ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ كتعظيم الله والخضوع له أي يحبّون الأصنام كما يحبّون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لأنهم كانوا يقرّون بالله ويتقرّبون إليه. وقيل: يحبونهم كحب المؤمنين لله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من المشركين لآلهتهم لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بحال، والمشركون يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ («ترى»: **نافع وشاميّ**) على خطاب الرسول أو كل مخاطب، أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرًا عظيمًا ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ إشارة إلى متخذي الأنداد.

﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ («يُرون»: **شاميّ**) ﴿ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ شديد عذابه أي (**ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم**) العظيم

فيها ليكون بذلك من أصحاب اليقين، فإنّ مَنْ تفكّر فيها، فكأنه حفظها ولم يُلْقها مِنْ فِيه.

قوله: («ترى») بالمثناة من فوق (**نافع**) المدني (**وشامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بمثناة من تحت على إسناد الفعل إلى الظالم؛ لأنه المقصود بالوعيد والذين رفع به، وإذ مفعوله.

قوله: (يُرون) بضمّ الياء على البناء للمفعول. (**شامي**) أي ابن عامر الشامي. والباقون بفتحها على البناء للفاعل. **قوله:** (**ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم**)... الخ. يعني: إن رأى هنا بمعنى علم، والذين ظلموا من وضع الظاهر موضع المضمر للدّلالة على أن اتّخاذ الأنداد ظلم عظيم.

بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم، ويعلمون شدة عقابه للظالمين **(إذا عاينوا)** العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة، فحذف الجواب لأن «لو» إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلّما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب. و«لو» يليها الماضي. وكذا «إذا» وضعها لتدلّ على الماضي، وإنما دخلتا على المستقبل هنا لأن إخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقه كالماضي.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾

(﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ **مدغمة الذال في التاء حيث وقعت: عراقي غير عاصم)**. وهو بدل من «إذ يرون العذاب». ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ أي المتبعون وهم الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ من الأتباع ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الواو فيه للحال أي تبرؤوا في حال رؤيتهم العذاب ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ **(الوصل)** التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ أي الاتباع ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ نصب على جواب التمني لأن «لو» في معنى التمني والمعنى ليت لنا

وقوله: (إذا عاينوا) إشارة إلى أن إذ بمعنى إذا، والمضارع بمعنى الماضي، ورأى بصرية.

قوله: (﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ مدغمة الذال في التاء حَيث وقعت: عراقي غير عاصم) إذا اجتمع أهل الكوفة والبصرة. قيل: عراقي، أي حمزة الكوفي والكسائي الكوفي وخلف الكوفي وأبو عمرو البصري. وكذا هشام عن ابن عامر الشامي. والباقون بالإظهار.

قوله: (الوصل) بضمّ الواو وفتح الصاد المهملة جمع وصلة بسكونها بمعنى الاتّصال والارتباط.

كرة فنتبرأ ﴿مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ الآن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ (مثل ذلك الإراء) الفظيع ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي عبادتهم الأوثان ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾ (ندامات). وهي مفعول ثالث لـ «يريهم» ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم. ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بل هم فيها دائمون. ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ﴾ أمر إباحة ﴿مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «من» للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول ﴿حَلَٰلًا﴾ مفعول «كلوا» أو حال مما في الأرض ﴿طَيِّبًا﴾

قوله: (مثل ذلك الإراء) المشهور الإراءة، لكن العرب ربما تحذف التاء كما في قولهم: وإقام الصلاة، كذا نقله الزمخشري عن سيبويه.

قوله: (ندامات) يريد أن الحسرات جمع حسرة، وهي شدَّة الندام، والندم تألّم القلب بانحساره عمّا يهواه تألّمًا بحيث يبقى النادم كالحسير من الدواب، وهو الذي انقطت قوّته، فصار بحيث لا ينتفع به، وأصل الحسرة الكشف، يقال: حسرت المرأة قناعها إذا كشفته تحسّرًا، حسرًا من باب ضرب وحسر البعير يحسر حسورًا، أي أعيى، مثل دخل يدخل دخولًا، ومَنْ فات عنه ما يهواه وانكشف قلبه عنه يلزمه الندم والتأسّف على فواته، فلذلك عبّر عن الحسرة التي هي انكشاف القلب عمّا يهواه بلازمه الذي هو الندم والرؤية هٰهنا إنْ كانت قلبية تتعدّى بالنقل إلى ثلاثة مفاعيل ثالثها حسرات، والمعنى ما ذُكِر وإن كانت بصرية تتعدّى إلى اثنين بنقلها من باب الأفعال أولهما الضمير، وثانيهما أعمالهم ويكون حسرات على هذا حالًا من أعمالهم، والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات فلا يرون أعمالهم حال كونها حسرات، وعليهم فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلق بحسرات؛ لأن تحسّر يعدّى بعلى، وحينئذ لا بدّ من تقدير مضاف، أي على تفريطهم.

وثانيهما: أن يتعلق بمحذوف منصوب على أنه صفة لحسرات، أي حسرات مستولية عليهم، فإنّ ما عملوه من المبرّات محيطة بالكفر فيتحسّرون لو ضيّعوها

طاهرًا من كل شبهة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرقه التي يدعوكم إليها **(بسكون الطاء: أبو عَمرو غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر)**.

والخطوة في الأصل ما بين قدمي الخاطي. يقال: اتبع خطواته إذا اقتدى به **(واستن بسُنّته)**.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ **(ظاهر العداوة)** لا خَفاء به. وأبان متعدٍ ولازم. ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٧] أي الشيطان لأنه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهرًا فإنه يريهم في الظاهر الموالاة ويزيّن لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير **(قطّ)** إنما يأمركم ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالقبيح ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ وما يتجاوز الحدّ في القبح

ويتحسّرون على ما فعلوا من المعاصي لِمَ عملوها. عن السُّدّي رحمه الله: تُرفع لهم الجنّة فينظرون إليها وإلى بيوتهم فيها، فيقال لهم: تلك مساكنكم لو أطعتم الله، ثم تُقْسم بين المؤمنين فذلك حين يتحسّرون.

قوله: (بسكون الطاء: أبو عمرو) البصري **(غير عباس)** ابن الفضل الأنصاري عن أبي عمر، والبصري **(ونافع)** المدني **(وحمزة وأبو بكر)** شعبة بن عياش عن عاصم. والباقون بالضمّ.

قوله: (واستن بسُنّته) في تاج العروس من جواهر القاموس: **واستنّ** بسنّته: عَمِل بها، انتهى بحروفه.

قوله: (ظاهر العداوة) على أن يكون مبين من أبان بمعنى بان وظهر، وجعله الواحدي من أبان المتعدّي، حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، فقد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لأبيكم آدم، وهو الذي أخرجه من الجنّة.

قوله: (قطّ) أي أبداً.

من العظائم. وقيل: السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد ﴿وَأَن تَقُولُواْ﴾ في موضع الجر بالعطف على «بالسوء» أي وبأن تقولوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم، ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الضمير للناس. وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفاف. قيل: هم المشركون. وقيل: طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان واتباع القرآن، ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ فإنهم كانوا خيرًا منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ للصواب. ثم ضرب لهم مثلًا فقال:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾ يصيح والمراد ﴿بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ البهائم.

والمعنى مثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا **(جرس النغمة ودويّ الصوت)** من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئًا آخر

قوله: (جرس النغمة)، في المصباح: الجرس مثال فلس الكلام الخفي، يقال: لا يُسمع له جَرْس ولا هَمْس، وسمعت جرس الطَّير وهو صوت مناقيرها، وجرس فلان الكلام نغم به.اهـ. **قوله: (وَدَوِيّ الصوت)** الدَّوِيّ صوت ليس

كما يفهم العقلاء. و(**النعيق**): التصويت، يقال: نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع.

﴿**صُمٌّ**﴾ خبر مبتدأ مضمر أي هم صم ﴿**بُكْمٌ**﴾ خبر ثانٍ ﴿**عُمْيٌ**﴾ عن الحق خبر ثالث ﴿**فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ الموعظة، ثم بين أن ما حرمه المشركون حلال فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

بالعالي كصوت النحل ونحوه[١]. (**النعيق**) التصويت. في المصباح: نعق الراعي ينعق من باب ضرب نعيقًا صاح بغنمه وزجرها، والاسم النُّعاق بالضم.اهـ.

وفي مختار الصّحاح: النعيق صوت الراعي بغنمه ونعق بها ينعِق بالكسر نعيقًا ونُعاقًا بالضمّ ونعقًا بفتحتين، أي صاح بها وزجرها.اهـ.

آخر المجلد الأول

تمّ بعون الله وفضله المجلد الأول من تفسير الإكليل بهذه الآية من سورة البقرة

ويليه بتوفيقه سبحانه تتمة شرح الآيات في المجلد الثاني

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّه الكريم

---

(١) كالذباب، ١٢ منه.

فهرس المحتويات